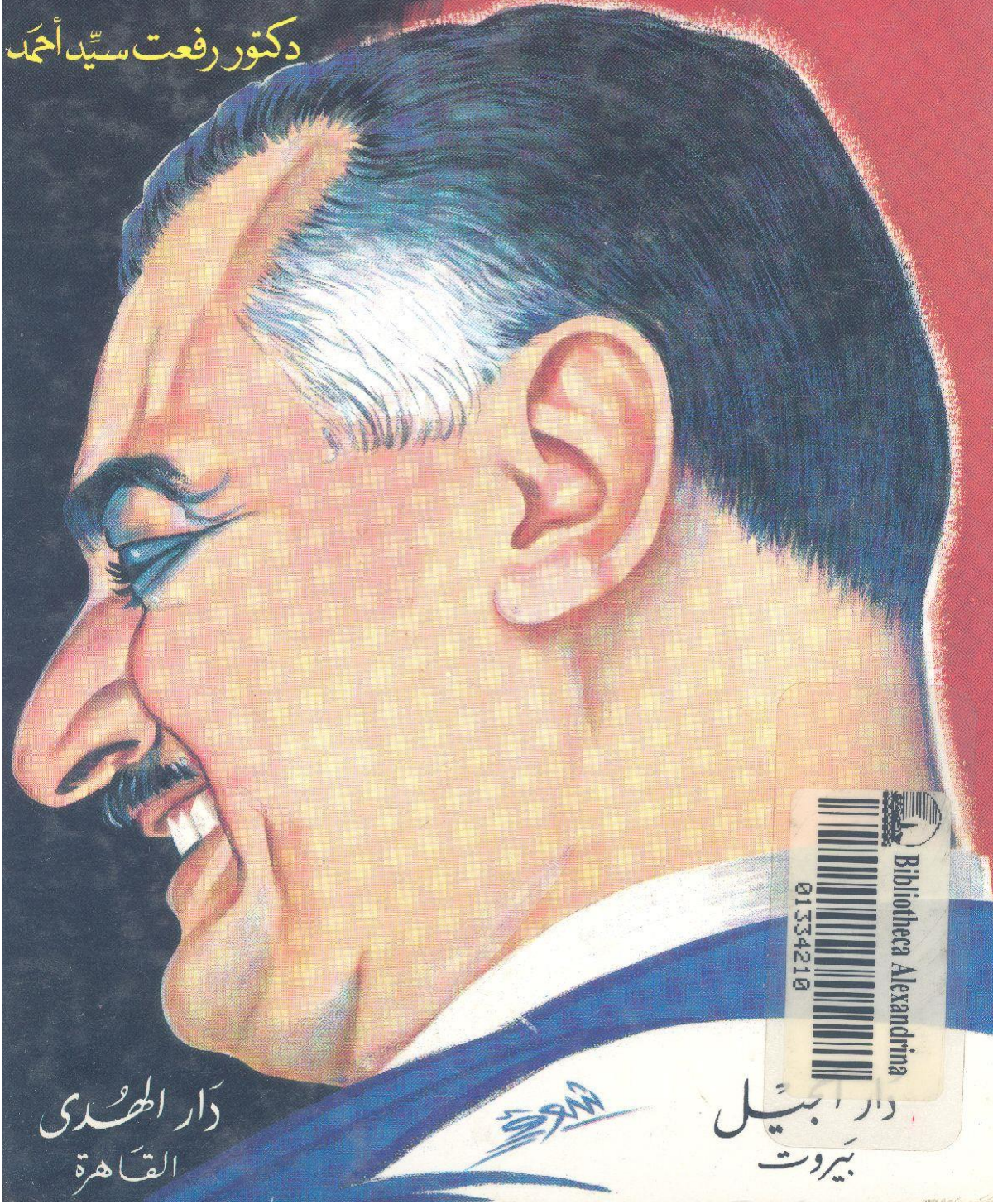


ثورة الجنرال

جمال عبد الناصر

دكتور رفعت سيّد أحمد



دار الهدى
القاهرة

دار البئيل
بيروت



تَوَكَّلْ عَلَى الْعِزِّ
قِصَّةُ الْعَبْدِ الْكَافِرِ

د. رفعت سيد أحمد

شُكْرَةُ الْجَنَّاكِ قِصَّةُ جَمَالِ عَبْدِ النَّاصِرِ كَامِلًا

مِنَ الْمِيلَادِ إِلَى الْمَوْتِ

١٩١٨ - ١٩٧٠

مَوْسُوعَةٌ فِكْرِيَّةٌ وَسِيَاسِيَّةٌ

دار الهدى
القاهرة

دار الجليل
بيروت

جَمِيعُ الْحَقُوقِ مُحْفُوظَةٌ

الطبعة الأولى

١٤١٤ هـ - ١٩٩٣ م

تصميم الغلاف
للغناء شوقي متولي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

«وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَانَا إِلَى اللَّهِ
وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ»

صدق الله العظيم

نقلت/ ٢٢

□ المقدمة □

* هذه الموسوعة عن جمال عبد الناصر ، لم تكتب لكي ترضى أحداً بعينه ، شخصاً كان أو تياراً فكرياً أو سياسياً .

* ولكنها على النقيض من ذلك تماماً ...

* كتبت لتقول الحقيقة ، ولكي نكتشفها ، ولذلك فهي ستغضب أو على الأقل لن ترضى غالب الآراء ، والاتجاهات ، وبخاصة تلك التي تتخندق خلف مصالح وإيديولوجيات بعينها ، ولا تحيد عما آمنت به من أفكار ، بشأن عبد الناصر ، حتى لو ثبت لها بالوثائق ، والحقائق الجديدة أن ما تتخندق من أجله ، وما آمنت به .. غير صحيح .

* إن هذه (الموسوعة) أتت لتصدم ، وتكشف وتضيء ، وفي سبيلها لذلك ، لم تلو جهداً في استقصاء رؤى وأفكار كافة القوى والتيارات المعارضة ، والمؤيدة للتجربة الناصرية ، ولم تلو جهداً في التفتيش عن كل صغيرة وكبيرة بشأن شخصية جمال عبد الناصر .. منذ ميلاده ونشأته الأولى عام (١٩١٨ م) وحتى وفاته عام (١٩٧٠ م) .

* لقد تحدثنا في هذه (الموسوعة) عن البدايات الأولى لجمال عبد الناصر ومصادر ثقافته ، وتنشئته الاجتماعية ، وأسلوب حياته ، وكفاحه صغيراً في صفوف بعض الأحزاب والجماعات السياسية المصرية ، وتناولنا بالتحليل تشكيل تنظيم الضباط الأحرار ، والرؤى المختلفة بشأن هذا التنظيم ، وبخاصة الرؤية الإسلامية التي نسبتها (أى التنظيم) إليها ، وتحديدنا إلى جماعة الإخوان المسلمين .

* وتعرضت الموسوعة بالتفصيل إلى السنوات الأولى من حكم الثورة ، وممارسة أهل الحكم وأفكارهم تجاه قضايا الأمة على اختلافها .

* وفي فصل متميز ، يعد أكبر فصول هذه الموسوعة ، تعرضنا بالتحليل لعلاقة عبد الناصر بالإخوان المسلمين ، والصدام الأول معهم (صدام ١٩٥٤ م) وأرقنا مع نهاية الفصل تلخيصاً وافياً للتحقيق مع أبرز قيادات الإخوان في (حادث المنشية ١٩٥٤ م) . والصدام الثاني عام ١٩٦٥ م .

* وتعرضنا بالتحليل ، وباستعراض كلفة الرؤى أيضاً - وهو منهجنا في هذا العمل - لحرب السويس ١٩٥٦ م . ما حدث فيها ، وما حدث بعدها .

* بعد ذلك تناولنا معارك الوحدة العربية كما خاضها عبد الناصر وكما أدركها وفكر فيها وموقف الإسلاميين الراديكاليين من هذه (الوحدة) كما فهمها وسلكتها عبد الناصر .

* وقدمت الموسوعة سجلاً علمياً نقدياً لإنجازات عبد الناصر على صعيد الداخل المصرى ، ومعارك التنمية والإصلاحات السياسية مع تقديم الانتقادات الإسلامية ، والوطنية المختلفة بشأن هذه الإصلاحات ، مع إضافة قوائم تفصيلية بالتشريعات والإنجازات . لكل ما قدمته التجربة الناصرية على صعيد التنمية .

* أما عن علاقة عبد الناصر بالغرب ، فلقد أوفينا هذا الجانب حقه بالعرض التفصيلي ، ومن أوراق ووثائق عربية وغربية تكشف أسراراً هامة عن تفاصيل تلك العلاقة التي كان طابعها الحذر ، والشك ، ثم الصراع بعد ذلك .

* وعن الغرب ، كان التجسس لصالحه ، وارداً ، وجاهزاً ، ولقد قدمنا تحليلاً وافياً عن واحدة من قضايا التجسس لصالح الغرب لما لها من دلالات هامة ، وهى قضية الكاتب الصحفى (مصطفى أمين) ومهدنا لذلك بتحليل نشأة وتطور جهاز المخابرات العامة فى مصر بقيادة صلاح نصر .

ولم ننس (مايلز كوبلاند) العميل الأمريكى السابق فى المنطقة ، وصاحب كتاب (لعبة الأمم) ، ولم ننس رأيه عن عبد الناصر وشخصيته ، وهزائمه وانتصاراته .

* وكان للصراع بين عبد الناصر والشيوعيين ، ثم الإخوان المسلمين (الصدام الثانى ١٩٦٥م) موقعه التفصيلي فى هذه الموسوعة ، فأعطيناه حقه ، ومن أوراق أصحاب الصراع أنفسهم .

* أما علاقة عبد الناصر بالدين : فكراً وممارسة فلقد أفردنا لها فصلاً ، تناولنا فيه مدركات عبد الناصر الدينية ثم تناولنا سلوكه السياسى تجاه المؤسسات الدينية وبخاصة المحاكم الشرعية - المجالس المليية القبطية - الأزهر - الطرق الصوفية - المساجد - الكنائس ، وغيرها وما وجه إلى هذا السلوك من انتقاد أو تقريظ ، وموقفنا نحن من ذلك .

* أما قضية فلسطين ، فلقد أفردنا لها - هى الأخرى - فصلاً مستقلاً تتبعنا فيه رؤى وسلوكيات عبد الناصر تجاهها ، مع التحليل النقدي لهذه الرؤى ، وكيف أنها على دقتها ، وأهميتها ، لم تنجز بالمقابل شيئاً ذا قيمة على صعيد لب القضية ذاتها ، تحرير فلسطين وإزالة الوجود الصهيونى منها .

* وتعرضت الموسوعة أيضاً للتنظيمات السياسية السرية التى أنشأها عبد الناصر أثناء الثورة وتحديداً إلى تنظيم (طليعة الاشتراكيين) ، ولقد قدمنا لهذا عرضاً تفصيلياً لاجتماعين من اجتماعات عبد الناصر السرية برجال التنظيم السرى بالقاهرة والجيزة ، تكشف فيهما العديد من المعارك والمفاهيم والقضايا التى عاشتها الأمة وتتناول

* وأخيراً تناولت الموسوعة (هزيمة ١٩٦٧ م) بالتحليل النقدي العلمى ، واضعة إياها فى السياق التاريخى الصحيح لعلاقة مصر بالغرب ، وصراعها مع إسرائيل ، وفساد أجهزة الإدارة العسكرية قبل الهزيمة مباشرة ، ومستعرضين كافة الرؤى المؤيدة ، والمعارضة لعبد الناصر بشأن هذه الهزيمة ، والتي مثلت بحق ، الموت الحقيقى لجمال عبد الناصر ، وهو الموت النفسى الذى عجل بالموت الجسدى بعد ثلاث سنوات عام ١٩٧٠ م .

* هذا ولقد أرفقنا مع نهاية كل فصل ملحق وثائقى يتصل بعبد الناصر سواء خطبه أو تشريعاته أو غير ذلك مما يزيد العمل عمقاً ودقة .

* وبعد ...

لقد حاولنا فى هذه (الموسوعة) أن تقدم (الحقيقة) كما وقعت بالفعل فى (الماضى) ، وأعيننا فى هذه المحاولة ، على (المستقبل) ، فنحن أبناء هذا (المستقبل) ، ومن حقه علينا ألا نخاصمه ونعانده ، باستغراقنا فى (الماضى) .

لقد حاولنا أن نقدم ، تجربة عبد الناصر ، بما لها وما عليها ، بأفراحها ، وأحزانها ، بأخطائها وإيجابياتها ، واستخدمنا فى محاولتنا المنهج العلمى النقدي القائم على البحث الدؤوب عن الحقيقة ، وبتجرد وموضوعية كاملين ، وطرحنا فى بحثنا كل الرؤى والاتجاهات على طاولة البحث أخذنا منها ما يدعم (موضوعيتنا) ويؤكدنا ، واستبعدنا ما يناقض ذلك .

* لقد حاولنا ... وهذا ما نستطيع أن نقوله بشأن تجربة لازالت (موضوعاً) للصراع وليست (طرفاً) فقط فيه ، وموضوعاً للصراع بين الإسلاميين والناصرين ، بين الوفديين والقوميين ، وبين من ليس لهم اتجاه ، ومن يحاولون أن يكون لهم بوصلة تحدد الطريق .

* لقد حاولنا .. والمحاولة يحتمل الصواب والخطأ فإذا كنا قد أصبنا .. فلنا أجر ... وإذا كنا قد أخطأنا فلنا أجران .

(والله عليم بذات الصدور) .

د . رفعت سيد أحمد
القاهرة ١٥/٦/١٩٩٢ م

الفصل الأول
عبد الناصر البدايات الأولى



عبد الناصر .. البدايات الأولى

طويلة هي قصة (عبد الناصر) الانسان ، والسياسى ، ولأن الحياة لا تنفصل عن محيطها الانسانى ، فالانسان لا يفصل بأى حال عن المحيط السياسى العام لوطنه بل ربما كان للتنشئة الأسرية ، والمؤثرات الاجتماعية الأولى ، تأثيرها الأول على سلوك ذلك الإنسان السياسى وعلى قراراته وتعاملاته الكبرى .

* وذلك تحديداً ، هو الشكل ، بشأن (جمال عبد الناصر) ، الانسان ، والسياسى ، فما حدث فى تنشئته الاسرية والاجتماعية الأولى كان له تأثيره المباشر على تكوين شخصية (الزعيم) ، والقائد الذى سيؤصل من خلال تلك التنشئة الأولى ، لقيادة أمته فى انتصاراتها وانكساراتها ، فى أحلامها وآلامها .

* ومن هنا تأتى أهمية تناول تلك البدايات الأولى ، التنشئة الأسرية والاجتماعية والسياسية لعبد الناصر ، وتأتى الصعوبة والحذر الشديد أيضاً ، فنحن ازاء شخصية تعددت فيها الآراء واختلفت بل وتناقضت ، ولم يتوقف تناقض تلك الآراء عند حدود بذاتها ، أو سقف بذاته ، بل هى تجاوزت كل الحدود والسقوف المسموح بها فى التحليل السياسى والبحث العلمى ، والمهم هنا أن هذا التجاوز وصل الى حد أسلوب التناول للنشأة الأسرية والسياسية الأولى لجمال عبد الناصر ، وحملها البعض — خاصة من المعارضين لناصر — أكثر مما تحتمل ، وقال بشأنها الكثير مما يقدح فى أسرة عبد الناصر ، وفى تكويناته الاجتماعية الأولى وعلاقاته العامة .. الأمر الذى لا يستقيم والرؤية الأمنية التى ينبغى أن يتسلح بها العلماء والمؤرخون .

* من هنا تأتى الصعوبة ، بعد الأهمية ، بشأن شخصية عبد الناصر فى تكويناتها الأولى ، ومن هنا نبداً محاولين تجاوز ذلك بقدر المستطاع وب مجرد علمى ، لا يخفى انحيازه ، ولكنه انحياز للحقيقة ، ولمصالح هذه الأمة ، التى تبنى فى نظرنا على أخذ العبرة من التاريخ من أجل فهم المستقبل ، وبخاصة تاريخ زعمائنا (نشأة وسياسة وسلوكا وأحلاما) وإلى عبد الناصر كنموذج .

البداية :

وُلِدَ جمال عبد الناصر فى بنى مر من أعمال أسبوط فى ١٥ يناير سنة ١٩١٨ .

أبو زيد بن أسيد البجلي

أحمد بن محمد بن أسيد

أحمد بن محمد بن أسيد

بشارقة إشارات شخصية

سنة ١٢١٥ هـ بمكة المكرمة

أحمد بن محمد بن أسيد

أحمد بن محمد بن أسيد

أحمد بن محمد بن أسيد

أحمد بن محمد بن أسيد

أحمد بن محمد بن أسيد

أحمد بن محمد بن أسيد

أحمد بن محمد بن أسيد

أحمد بن محمد بن أسيد

أحمد بن محمد بن أسيد

أحمد بن محمد بن أسيد

أحمد بن محمد بن أسيد

أحمد بن محمد بن أسيد

أحمد بن محمد بن أسيد

أحمد بن محمد بن أسيد

أحمد بن محمد بن أسيد

أحمد بن محمد بن أسيد

أحمد بن محمد بن أسيد

أحمد بن محمد بن أسيد

أحمد بن محمد بن أسيد

أحمد بن محمد بن أسيد

أحمد بن محمد بن أسيد

أحمد بن محمد بن أسيد

أحمد بن محمد بن أسيد



الطاقة الشخصية جمال عبد الناصر

ولد فى تلك اللحظات الحاسمة من تاريخ مصر .. بل وتاريخ العالم كله ...

فى هذا العام انتهت الحرب العالمية الأولى ، وأعلن «ولسون» أمام قبر واشنتون مبادئه التى خدع بها المصريون ، قال ولسون : «ان عهد الفتوحات والتوسعات قد مضى وانقضى ، وأصبح من الممكن لكل أمة تتفق أمالها مع العدل وسلام العالم أن تصرح الآن ، أو فى أى وقت من الأوقات بالأغراض التى تصبو إليها ... وأن دعائم العدل الدولى يجب أن تركز على مبدأ تقرير العدل بالنسبة للشعوب قاطبة ولكل الجنسيات لا فرق بين قويتها وضعيفها» .

وفى هذا العام عقدت الهدنة «١١ نوفمبر ١٩١٨» .

وكان فؤاد قد ولى سلطانا على مصر بتبليغ بريطاني

وكان أبطال الوطنية المصرية فى منقاهم خارج مصر وفى مقدمتهم الزعيم قديس الوطنية محمد فريد ، وكان لكفاحه مع زميله مصطفى كامل الأثر القومى فى روح الثورة المصرية التى اندلعت .

وفى هذا العام وقعت مقابلة ١٣ نوفمبر سنة ١٩١٨ بين سعد زغلول وعبد العزيز فهمى وعلى شعراوى لممثل دار الحماية فى مصر السير رچلند ونجت المندوب السامى البريطانى ، وهى المقابلة المخزية التى ظلت الأحزاب تحتفل بها مدى ثلاثين عاما كيوم من الأيام الخالدة المشرفة فى تاريخ «الوطنية» المصرية حتى جاء جمال عبد الناصر فألغى هذا «العيد» المؤسف .

وتألف فى هذا العام الوفد المصرى ، وبدأ يجمع توكيلات من الأمة لها صيغة هزيلة هذا نصها : «نحن الموقعين على هذا ، قد أنبنا عنا ... فى أن يسعوا بالطرق السلمية المشروعة حيثما وجد للسعى سبيلا استقلال مصر تطبيقا لمبادئ الحرية والعدل التى تنشر رايها دولة بريطانيا العظمى وحلفاؤها» .

وهكذا يمكن القول بأن جمال عبد الناصر ولد فى آتون الحوادث ، وفى اللحظات الحاسمة فى تاريخ مصر ، وفى فجر ثورة ١٩١٩ التى وضع الزعماء المتكالبون على الحكم الماء على نارها ، وقتلوا روحها التى كانت خليفة بأن تدفع مصر إلى الأمام بقوة .. لو قام على حراستها رجال فى مثل أمانة رجال ثورة ٢٣ يوليو .

وُلِدَ جمال عبد الناصر فى بلدة بنى مر ..

وهى قرية مصرية صميمة كانت قرية من معمران ثورة سنة ١٩١٩ ، وقد أدى أهلها

دورهم كغيرهم من أبناء هذه المنطقة في هذه الثورة التي اشتركت فيها جميع طبقات الشعب ، وأندلعت في وقت واحد في جميع أنحاء البلاد وفق أسلوب منظم مرتب ، تجلت فيه معنوية الشعب ، وأعتمدت على روحه وقوة إيمانه .

وشب جمال عبد الناصر في هذه القرية ، وسمع من أهله أنباء هذه الثورة ، فقد ظلت حديث الشيوخ مدة طويلة ، ولابد أنه سمع من شيوخ بني مر كثيرًا عن الدور الذي قامت به أسيوط والبلاد المجاورة لها .

ولقد هزت أحداث أسيوط الأنجليز ، ففي هذه المنطقة روح من الإيمان والاستماتة في سبيل مصر وحررتها ، هذه الروح التي تبلورت في جمال عبد الناصر .

قامت أسيوط بدور ضخم استمر طويلا ، بدأ بحريق الكميات الهائلة من التبن المقدسة لحساب السلطات العسكرية ، فالتهمت النار وتصاعدت ، وكان لها منظراً مفرعاً استمر عدة أيام ، وهجم الثوار على مركز البوليس في المدينة وأخذوا منه السلاح ، وهاجموا القوات البريطانية به ، وتفاقت الحال في أسيوط ، وهوجم المكان الذي أعدته السلطة البريطانية لتحصن فيه ، فقد احترق المهاجمون النطاق وأخذوا يطلقون النار على الجنود البريطانيين .

وظل هذا الموقف الخطير بين أصرار أهل أسيوط وبين دفاع القوات البريطانية من ١٠ مارس سنة ١٩١٩م إلى ٢٤ مارس حيث وصلت طائرتان حربيّتان مائتان إلى أسيوط فأشتركتا في أعمال الدفاع ، وألقنا بعض القنابل ، فأصابت بعض الأهليين وقتلت بعضهم .

وسارت النجادات الحربية مسرعة من القاهرة إلى أسيوط ، ولكنها لم تسر في أمان ، بل لقيت مقاومة عنيفة بين ديروط وأسيوط من جماعات الثوار على ضفة النيل .

وبلغ عدد فصائل الجنود التي أرسلت إلى الوجه القبلي ست عشرة فصيلة .

ولابد أن جمال عبد الناصر سمع قصص هذه الثورة بعد أن شب ، وكان في سن الصبا يتفتح للحياة ، وكان لهذه القصص أثرها في تكوين شخصيته المكافحة المجاهدة وسمع إلى ذلك قصص تروى عن «واقعة» عراقى ، وعن هزيمته .

وتفتحت روح الشاب اليافع على شيئين خطيرين :

هذه القرية التي عاش فيها إلى سن الثامنة ، وهذه الحياة التي يحيها أهلها ، لم يكن جمال من عائلة غنية ، ولا إقطاعية ، وإنما كان من أسرة فقيرة شعبية متواضعة ، كل رجالها يكافحون ويعملون في الأرض وفي التجارة .

ورأى جمال هؤلاء الذين يشقون الأرض ، ورأى مدى الظلم الذى يعانونه من السادة والاقطاعيين ، وسمع قصص القسوة والفقر والحاجة .

وفى هذه البيئة ترعرع جمال على مبادئ الرجولة مبادئ الصعيد فى الايمان ورعاية التقاليد ، وحماية الزمار .

وتحوط بنى مر الحداثى ، وجوها جميل ، وقد عرف أهلها بالكرم والوفاء والذكاء ، وهى متصلة بالنيل وحزان أسيوط من الجهة الغربية .

وفى هذه البيئة ، وبين هؤلاء الرجال المؤمنين بوطنهم ورجولتهم ، تكون الطابع الأول لشخصية جمال عبد الناصر الصعيدى .

ولقد فتح عينيه على عالم قروى داخل منزل مبنى بأشياء الأرض البسيطة ، فى قرية «بنى مر» ، وقد كانت توجد فى هذه القرية مدرسة ابتدائية واحدة وثلاثة مساجد صغيرة وكنيسة ووحدة صحية . هذا كل ما كانت تعرفه هذه القرية من عناصر حضارية ، لأنها ككل قرى مصر فى ذلك الزمن نتاج مراحل طويلة من القهر والاستغلال والتهيمن التى عرفها الريف المصرى سواء من طرف النظام الاقطاعى أو ضمن الأشكال الجديدة للاستغلال التى أدخلها الإحتلال الإنجليزى .

تميزت قرية «بنى مر» من جهة أخرى بكون ثلث سكانها من الأقباط ، الأمر الذى جعل منها فضاء مصرياً عربية يسمه التعاون والتعايش ، وشكل فيها تواجد كل من العنصر المسيحى والعنصر الإسلامى عوامل إخصاب واثراء للثقافة العامة التى كانت تنوزع داخل القرية ، خصوصاً وأن هذه الأخيرة لم تكن تتوفر على منشآت تعليمية أو ثقافية إلى حدود ١٨٩٠ إذ قرر جد جمال إنشاء كتاب قصد تعليم أبناء القرية القراءة والكتابة والحساب . وفى ١٩٢٢م بنيت أول مدرسة ابتدائية للبنين وفى سنة ١٩٤٤ أنشئت مدرسة أخرى للبنات .

داخل هذا الفضاء الريفى فتح جمال عينيه ، وبين أشياء وناسه وترعرع ومع عناصره الثقافية العفوية تفاعل غير أن ما أثر فيه هو تلك العلاقة الوجودية الصميمية التى تربط إنسان تلك القرية مع الأرض . فهى رأسماله ومنها يستمد شروط استمراره وتدخله فيها تشكل ثقافته ، تلك الثقافة التى تعكس بساطة العلاقة بين الإنسان كعنصر منتج والطبيعة باعتبارها قوة يتعين مصارعتها من أجل استعمال خيراتها .

كل هذه العناصر البيئية شكلت المناخ العام الذى فيه تروى جمال عبد الناصر ، وداخل هذه الظروف المادية القاسية استمد مقوماته الانفعالية واكتسب أساس شخصيته التى تجمع

بين مقاييس العزة والنخوة والعناد والإيمان بالعمل المبدع الذى يتجاوز الإيقاع الرتيب للحياة اليومية .

وعبد الناصر كان يؤمن بانتائه الاجتماعى ولم يتنكر له فى يوم من الأيام ، كان يقول : «أنا أفخر بأننى واحد من أهالى «بنى مر» ، وأفخر أكثر من هذا بأنى واحد من عائلة فقيرة . وأنا أقول هذا لا سجل وأعاهدكم أن جمال عبد الناصر سيستمر حتى يموت ، فقيراً فى هذا الوطن» .

انتقل إلى مدينة أسبوط لمواصلة تعليمه ، ومع ذلك بقى على اتصال يومى مع قريته . ولم تنسه حركة المدينة ارتباطه العضوى مع العائلة والأرض والناس . وبعد ذلك ذهب إلى الإسكندرية مع والده الذى عين فيما بعد بالقاهرة مأموراً للبريد فى حى «الخرنفش» الموجود بين الأزبكية والعباسية . وفى هذا الحى يستأجر أبوه بيتاً فى ملكية أحد اليهود المصريين . حيث سينخرط جمال عبد الناصر ، شيئاً فشيئاً ، فى حركة الوعى التى أخذت تتشكل ضد المستعمر البريطانى الذى كان يهيمن بشكل مطلق على مقدرات الشعب المصرى ويحاصر كل إرادة ، تسعى إلى الانعتاق والتحرر .

لكن موت أمه كانت صدمة عنيفة زعزعت كيان الطفل واستدعته للتفكير فى وضعه الجديد المتميز باليتم ، وليست هذه أول علاقة له مع الموت . إذ أنه فى طفولته المبكرة تعلم أن جهنم هى مآل كل من ارتكب ذنباً أو معصية و : «أن كل الأطفال يدخلون الجنة تلقائياً . وكانت فكرة جهنم تخيفه إلى حد أنه — وهو فى السابعة — قرر مع صبي آخر أن لا يخطأ بالذهاب إلى هناك ، فقررا أن يقدموا على الانتحار . وهكذا ذهبوا إلى مكتب البريد وسرقا شيئاً من الشمع الأحمر الذى كان والده يحذره دوماً من كونه ساماً . وأكلا الشمع ورقدا فى انتظار الموت»^(١) .

هكذا عاش الطفل جمال تجربة الموت ، ولكن أنطفاء أمه أدى به إلى طرح سؤال الموت وإلى عزله وجوديه تمكن داخلها من إعادة صوغ كثير من الأشياء التى تفتحت عليها شخصيته ونفسه ، ولقد شاهد ولمس فى هذا السن كيف تحولت الثورة — ونقص هذا ثورة ١٩١٩م — إلى مطامع وصراع .

(١) انظر فى تفصيل ذلك :

— مجلة الوحدة — المغرب — العدد ١٦ — لعام ١٩٨٦

— جان لاکويتر ، عبد الناصر ، دار النهار — بيروت ، ١٩٧١م .

— محمد حسنين هيكى ، عبد الناصر والعالم ، دار النهار — بيروت — ١٩٧١م .



قرب نهاية الدراسة الابتدائية .. واقفا في صورة تذكارية بين والده وعمه وعل الجانين وفي المقدمة أشقاؤه
الثلاثة

ففى سن الثامنة - الذى يوافق عام ١٩٢٦م ، وهو العام الذى غادر فيه جمال عبد الناصر الريف إلى القاهرة كانت السياسة قد قضت على الوطنية ، ونقلتها من روح الجهاد ومقاومة المستعمر إلى هذا الأسلوب من المناورات السياسية والصراع الحزبى ، وتحول الكفاح من الخارج إلى الداخل ، فبعد أن كانت مصر تتجمع كلها لتجارب المستعمر ، انقسمت إلى صراع داخلى قوامه الشتم والسياب بين الأحزاب المصرية .

ورأى جمال عبد الناصر كيف أن ثورة ١٩١٩ التى سمع قصتها من شيوخ بنى مر ، والتى اشتركت فيها طوائف الشعب فى أسبوط وفى كل الأقاليم ... فى نفس الوقت الذى اندلعت فيه فى القاهرة ... هذه الثورة قد سحق روحها المعنوية زعماء مصر ، من مدرسة السياسة الحزبية التى ظلت تسيطر على مقاليد الحكم حتى أزاحها جمال عبد الناصر فى ٢٣ يوليو ١٩٥٢ .

ولما بلغ جمال الثامنة من عمره ، أرسله والده إلى القاهرة لتلقى العلم معبراً عما يخالجه من مختلف المشاعر .

فأعجب بجمال القاهرة وكثيراً ما كان يتبادل الرسائل مع والديه .

ونضج جمال ميكراً ، أعطاه الريف ضعف عمره خبرة ونجربة ، هذه الیقظة التى تسمع وتستوعب وتخترن فى أعماقها كل تجارب الشيوخ والأعمال والأجداد .. فلما وصل إلى القاهرة لم يأخذه بهرها ، رغم أنه أعجب بها ، كان فى نفسه ذلك الطابع الذى ظل يعيش فيه حتى اليوم ، طابع الخلوة والتفكير العميق ، واعتزال المجتمع الصاخب ، والعكوف على آمال لم تكن بعد قد وضحت فى صورتها النهائية .

كانت رؤى تتأمل فى أعماق النفس ، كان وراء هذه الرغبة فى الخلوة وفى العكوف على النفس رسالة ومهمة وهدف ... مظهرها ما عرف عن جمال حيث كان فى المدرسة الثانوية يهيم على الطلبة ويفكر فى مستقبل مصر ، ويبدى كراهيته العميقة للاستعمار .

وكان إلى ذلك يحب أن يستمع إلى رأى الناس ، كانت فى دمه القيادة ، وفى طبيعته الزعامة ، وأن القدر يهيئه لدور ، كان يؤمن بأنه يستطيع أن يعمل شيئاً ... ولعل هذا المعنى قد دفعه إلى آفاق الأحزاب والهيئات يريد أن يصل فيها إلى توجيه النصيح للزعماء ، ليدرس إلى أى حد تستطيع هذه الأحزاب أداء واجب الوطن المقدس كان جمال يؤمن بنفسه ، ويؤمن بمصر ، ويؤمن بأنه لمصر ، ومن ذلك اليوم الذى وصل فيه إلى القاهرة ، كان قاسماً مشتركاً على جميع حركات التحرير والمقاومة .

وفي خلال هذا الاتجاه الذى كان يكشف شخصية جمال ، وقع حادث هام ... له أثره في تكوينه واتجاهه .

ذلك أن والدته توفيت في أواخر سنة ١٩٢٦ م . وكان جمال يحبها حباً خالصاً عميقاً ، فآثر ذلك في نفسه أى تأثير ، وساعدة على الخلوة والتفكير . وبدأت الحياة تأخذ في نظره مظهراً جديداً .

وأضى جمال عشر سنوات ، حتى كان عام ١٩٣٧ م ، كان قد نال شهادة «البكالوريا» من مدرسة النهضة المصرية بالقاهرة ، وكنت درجاته ممتازة ، وكان قد اشترك في ثورة ١٩٣٦ م بعد تصريح هور ، هذه الثورة التى فقد فيها صديقه وزميله في الكفاح الأول عبد الحميد مرسى الذى خر صريعاً للظلم والاحتلال ، فأنساه ما أصيب به في نفس اليوم ، ورسم في نفسه يومئذ أن عليه واجباً عليه أن يفتنى في سبيله .

فقد حدث في هذا اليوم أن صحا جمال مبكراً ، وذهب إلى المدرسة وقال للطلبة زملائه : «أن الإنجليز يفعلون كل يوم عملاً منكراً ، فيجب أن نظهر شعورنا باحتقارهم» ثم وقف في حوش المدرسة - بقوامه الطوال ، وعيناه اللامعتان ، وصوته الجهورى ، ولهجته الآمرة التى تحس فيها روح السيطرة والزعامة - وقال بأعلى صوت : «يسقط الإنجليز» . «يسقط الإنجليز» .

وفي نفس هذه اللحظات اجتمع حوله الطلبة وساروا في مظاهرة حتى وصلوا إلى الجامعة ، وهناك قامت الجامعة بأخطر مظاهرة حدثت في ذلك الوقت .

وقاد جمال هذه المظاهرة ، ثم فجأة وبلا مقدمات أطلق البوليس الرصاص على الطلبة ، ورأى أحد الجنود جمال فجري وراءه حتى لحق به وأصابه في وجهه إصابة مائزلة أثرها باقياً حتى الآن ، وما كاد يدخل المدرسة في اليوم التالى حتى قابله الناظر وقال له : «أنت مفصول» .

هل كان هذا الحادث بداية القصة ومقدمة الكفاح . إن جمال عبد الناصر نفسه لا يوافق على هذا ويقول : أن بذور الثورة في نفسى كانت أبعد من الغور الذى عشت فيه طالباً أمشى مع المظاهرات الهاتفة بعودة دستور ١٩٢٣ م ، وقد عاد الدستور سنة ١٩٣٥ م ، وأبام أن كنت أسعى مع وفود الطلبة إلى بيوت الزعماء نطلب منهم أن يتحدوا من أجل مصر ، وتآلفت الجبهة الوطنية سنة ١٩٣٦ م بالفعل على أثر هذه الجهود .

وفي خلال هذه الفترة كان جمال يقرأ بنهم عجيب ، كان يتطلع إلى تثقيف نفسه بكل ما تصل إليه يده ، وكان محباً لتاريخ الأبطال والزعماء من محرري البلاد وكان كلّفَا بأبطال الإسلام وشخصيات التاريخ ، وقد قرأ في هذه الفترة كتب « الحركة القومية » للرافعي ، وقر « عودة الروح » لتوفيق الحكيم .

وكان يتوق إلى دراسة الحقوق بعد الانتهاء من البكالوريا .
ولكنه عاد في اللحظة الأخيرة فقرر دخول الكلية الحربية .

وفي التفرقة بين كلية الحقوق والكلية الحربية ... كان الفارق بين شخصية الشاب الذي كان قد فهم أن تحرير مصر ليس عن طريق القضية المصرية كما كان يطلق عليها المحامون الذين أتبع لهم أن يصبحوا زعماء مصر من تلاميذ المدارس الحزبية .

وكأنما كان القدر يرسم الخط العميق في ثورة مصر وفي تحول التيار الوطني من أسلوب المغالطة وقلب الحق باطلاً والباطل حقاً ... وهو ما أخذت به الزعامة السياسية المصرية من ١٩٢٣م إلى ١٩٥٢م ، وهو نفس الأسلوب الذي كانت تعرفه بعض الصحف المصرية خلال هذه الفترة في الصراع بين الأحزاب على الاشلاء ، على المطامع الخاصة ، على كرسي الحكم ، على الفتات الذي ألقاه الإنجليز تحت أقدام المصريين ليتلهى به عن الهدف الأول الذي هو تحرير البلاد من الاستعمار .

في هذه الأعوام ، كان جمال يتقدم من سن الثامنة عشرة ، وقد تكون طابعه النفسي على تلك الصورة ، الاعتكاف والازدراء للمتعة الزائفة التي كانت تملأ نفوس الشباب في هذا السن ، وتلك الملامح البراقة التي يعيشها الطلاب في هذا العمر .

كان يحمل فوق أكتافه هذا الحزن العميق الذي صبغه موت والدته بطابع من الألم الدائم . بل أن قلقه سيتصاعد حين سيتزوج أبوه بعد موت أمه بمدة قصيرة ، فانخرط في إيقاع اليم وتولد لديه إحساس عام بالحرمان العاطفي ، الأمر الذي فرض عليه ضرورة الاعتماد على نفسه وترتيب شئون حياته ومستقبله لوحده بحيث اكتسب من هذه التجربة استقلالاً في النظر والحكم ، وتميزاً في أساليب التدخل والاختيار .

أما التجربة الثانية التي انكوى بها بعد الموت ، فتتمثل في مغامرة السجن . إذ أنه لما انتقل إلى القاهرة وجد نفسه داخل حركة عامة تنطق بالاحتجاج والتذمر من واقع الحال الذي وصل إليه الإنسان المصري والحجر الذي وجد نفسه محاصراً به . وفي إحدى المرات شارك في مظاهرة ضد الإنجليز ، وشارك فيها من منطلق إحساس قوي بمعاداة هذه القوى

الاستعمارية ، وليس اعتداء بوعى دقيق بحقيقة الحركة الجماهيرية أو بطبيعة المرحلة التاريخية والسياسية التى كانت تمر منها مصر ، وانتهت المظاهرة باعتقال مجموعة كبيرة من المشاركين فيها من بينهم جمال عبد الناصر الذى لم يطرح سؤال الغاية من المظاهرة إلا داخل السجن ، حين علم من شاب معتقل أن المظاهرة نظمت من أجل المطالبة بالاستقلال وجلاء قوات الاحتلال الإنجليزي .

قرية «بنى مر» . ترحل أبيه الدائم . موت أمه . اعتقاله . ميله القوى نحو المعرفة والسؤال ، كل هذه الاعتبارات جعلت من جمال عبد الناصر شاباً متميزاً ورجلاً جسوراً . يقول عنه رفيقه حسن النشار وهو يروى ذكرياته مع عبد الناصر : «كان جمال عبد الناصر بالنسبة لنا كزملاء فى المدرسة وأصدقاء فى الحياة ، يمثل شيئاً مبهماً . فهو رائدنا فى كل شيء ، فى الدراسة ، وفيما بعد الدراسة ، كان أطول قامة منا جميعاً ، وكان رزيناً يستأنس بالوحدة والتأمل والصمت ، وكان دائم التفكير » .

لقد عرف عن عبد الناصر شغفه الكبير بالقراءة ، وكان اختياره للنصوص التى اطلع عليها يعكس المضمون الأساسية التى كانت تعتمل فى دواخله . وهكذا قرأ كتاب «المدافعون عن الإسلام» الذى قدمه المناضل المصرى مصطفى كامل ، واكتشف «طبائع الاستبداد» لعبد الرحمن الكواكبي وكذلك كتابه «أم القرى» الذى يتصور فيه مؤمراً يتداول فيه المجتهدون موضوعات تتعلق بأسباب تخلف مصر والعالم العربى . كما قرأ محمد عبده وأحمد أمين وجمال الدين الأفغانى وشكيب أرسلان .

ويحكى «جان لاکوتير» أن عبد الناصر تأثر كثيراً بمصطفى كامل وبشخصية سعد زغلول كما غذته قصائد أحمد شوقى القومية .

ولم تقتصر قراءاته على الكتابات المصرىين ، إذ تعدتها إلى الاطلاع على المفكرين الفرنسيين وحياة كثير من الشخصيات السياسية التى أثرت على مجرى التاريخ . وفى هذا الصدد يقول لاکوتير أيضاً أنه كان « يقبل على مطالعة مؤلفات مشاهير المفكرين والكتاب الأجانب ، حتى أننا نجد له فى هذه المجلة التى كانت تصدرها مدرسة « النهضة » مقالاً بعنوان « رجل الحرية » وفيه يبرز الكاتب دور فولتير وروسو كمفكرين حريين فى التمهيد للثورة الفرنسية وينوه بمجهود أولهما فى سبيل حرية الفكر والتعبير » بل انه تبين أن عبد الناصر أثناء التحاقه بالمدرسة الحربية ، قرأ كتاب : « بونايرت حاكم مصر » « لشارل رو » وكتباً أخرى عن الرجال الذين أثروا ، ان قليلاً أو كثيراً فى حركة الأحداث .

لم يكن عبد الناصر رجلاً قرار وسلطة وحسب ، بل كانت له علاقة خاصة مع الكتاب ،

ولم يتعب من القراءة بالرغم من التعب الجسدى الذى أصابه فى آخر أيامه . وفى هذا السياق ، يحكى أحمد بن بله أنه من بين القواسم المشتركة التى كان يلتقى فيها مع جمال عبد الناصر تأتى القراءة . إذ أنهما كانا يتبادلان الكتب والرسائل ويتناقشان فيها حول موضوعات استفادا منها عن طريق القراءة .

كل ذلك ، أنتج لديه شغفاً عارماً بالحياة وبمفاهيم الشرف والعزة والكرامة والحرية ، الأمر الذى أدى به إلى الاقتناع بضرورة الحركة من أجل بلورة هذا الشغف إلى ممارسة استمدت من ثورة الشعب المصرى مقومات مصداقيتها وجعلت من ملاسبات المرحلة قاعدة استقطاب داخل صفوف الضباط والجنود التى انضم إليها بعد تخرجه من الكلية الحربية - كما سنفصل ذلك بعد قليل - وهكذا لم ينته عام ١٩٥١ م ، كما يقول لاکوتير « حتى كانت النواة (أى نواة الضباط الأحرار) تضم نحو ٣٠٠ عضو يشكلون خلايا سرية على رأس كل واحدة منها ضابط ، وقد سارع عبد الناصر بعد حوادث القناة وحريق القاهرة إلى وضع منهج عمل يتركز على ست نقاط هى :

- ١ - تصفية الاستعمار والخنوة الذين يؤيدونه فى صفوف المصريين .
- ٢ - تصفية الإقطاع الذى يملك أراض واسعة جداً ووضع حد لتحكم الإقطاعيين فى فلاحهم .
- ٣ - وضع حد لسيطرة رأس المال على الحكم .
- ٤ - تحقيق العدالة الاجتماعية .
- ٥ - إنشاء جيش وطنى قوى .
- ٦ - إنشاء نظام ديمقراطى سليم .

هذه هى المبادئ الأساسية العامة التى على هديها تحرك تنظيم الضباط الأحرار كما سنرى فى الفصل الثانى .

وبعودة إلى مرحلة الطفولة والتكوين العائلى بشتط البعض فى تفسيرها النفسى ، ومن هنا نحن نتفق فى رأى مع رفض التحليلات والتفسيرات المبتذلة التى تنسب بشكل « ميكانيكى » ذاك النوع من الوعى القومى إلى ذاك الانتهاء الطبقي ، باسم (ماركسية مبسطة) على سبيل المثال كما لو أن مجرد انتهاء فرد إلى طبقة أو فئة اجتماعية معينة ، يولد لديه أيديولوجية تطابق حتمياً أيديولوجية طبقته الأصلية . وهذا لا يعنى أننا ننفى تأثير الطبقة أو البيئة الاجتماعية لفرد ما على تصورات الأيديولوجية . لكن ما نريد أن نشدد عليه هو وجود تأثيرات أخرى ، كالممارسة السياسية والاجتماعية ، والوعى التاريخي ، والإرادة الثورية التى يمكن أن تدفع هذا

الفرد إلى تبني أيديولوجية تختلف عن أيديولوجية طبقته أو بيئته الأصلية^(١).

هنالك تفسيرات أخرى كتحليل ديكميجان ضخمت ، إلى حد ما ، تأثير العوامل النفسية - العائلية على وعى عبد الناصر السياسى والقومى . فقد كتب هـ . ديكميجان يقول :

« لقد كانت حياته العائلية غير مستقرة ، وكانت علاقات الشاب عبد الناصر بأبيه متوترة ، خاصة بعد وفاة أمه . وأصبحت حياته العائلية تعيسة للغاية بعد أن تزوج أبوه للمرة الثانية ، لأنه أبعد لكى يعيش مع أقربائه (...) فزاد تغربه بتعمق ، فى الوقت الذى انتقل من أزمة عائلية إلى أزمة أوسع ، كانت تصيب كل المجتمع المصرى فى منتصف العشرينات والثلاثينات^(٢) .
كما حاول الباحث الأمريكى ولفنشتاين أن يطبق التحليل النفسى الفرويدى فى هذا المجال ، فشدد على تأثير أحداث طفولة عبد الناصر على تصرفاته وسلوكه فيما بعد : وفاة أمه ، وخلانه مع أبيه ، مما أثر على نظرته للعالم ، فاعتبر أن مصر هى الأم الفقيدة التى يجب بعثها وإنقاذها من الدمار .

هذا لا يعنى أننا نفى أى تأثير لحياة عبد الناصر العائلية على تكون وعيه القومى ، ولكننا نعتقد أنه يجب الأخذ بالجانب الاجتماعى لحياته العائلية وليس الاقتصار على جانبها النفسى - العاطفى ، والمعروف أن عائلة ناصر عاشت فى ترحال دائم ، على عكس العائلات الفلاحية التى كانت فى حال نزوحها من الريف إلى المدينة ، تثبت فيها بشكل نهائى ، ذلك الانسلاخ الدائم يعود إلى مهنة الأب الموظف فى البريد ، الذى كان عليه أن ينتقل حسب متطلبات وظيفته . غادر والد جمال ذويه الفلاحين وقريته بنيمر نهائياً ، إلى الإسكندرية حيث تزوج فى ١٩١٧م من ابنة أحد التجار . وبعد ولادة ، عبد الناصر فى ١٩١٨م ، اضطرت العائلة إلى الانتقال إلى أسيوط (١٩٢١م) ثم إلى حلوان وهى إحدى ضواحي القاهرة ، (١٩٢٨م) ، ثم عادت إلى الإسكندرية (١٩٢٩م) وأخيراً إلى القاهرة (١٩٣٠م - ١٩٣٦م) .

وقد أدى هذا التجوال الدائم فى مصر على حد وصف البعض ممن تختلف معهم وهى

(١) مارلين نصر : القصور القومى العربى فى فكر جمال عبد الناصر (١٩٥٢م - ١٩٧٠م) دار المستقبل العربى - ١٩٨١م ص ٨٤ وما بعدها .

(٢) ويذكر ديكميجان عوامل أخرى كالممارسة والإحتلال البريطانى والأحداث السياسية العامة التى أثرت على حياة عبد الناصر الشاب ، بالإضافة إلى العامل النفسى - العائلى (فى مارلين نصر) مصدر سابق .



حلوان الثانوية لسنة واحدة عام ١٩٣١



البكالوريا : مدرسة النهضة بالظاهر عام ١٩٣٦



كلية الحقوق في بدايات سنة ١٩٣٧



طالب في الكلية الحربية في أواخر ١٩٣٧



جـال ملازم ثاني في ١٧ يوليو عام ١٩٣٨

بعد أن انتقل إليها من الحقوق



حامل علم الكلية في طابور احتفال عام ١٩٤٠

تمر في مرحلة تحول من الاقتصاد التقليدي إلى اقتصاد سوق تجارى ، إلى اقتلاع أسرة عبد الناصر من جذورها وجعلها قبل الأوان عائلة صغيرة نواتية من الطراز الحديث السائد حالياً في المدن الكبرى .

فلم يكن الارتباط الوحيد ، بالأرض - الإقليم ، الذى عرفه عبد الناصر في شبابه ارتباطاً بالقرية أو بالحي في هذه المدينة أو تلك ، على غرار ارتباط معظم المصريين ، وإنما امتد ارتباطه بالأرض إلى مجمل الأرض المصرية وبشكل خاص إلى المجال المدينى والضاحوى في مدن مصر الكبرى ، تارة القاهرة ، وتارة أخرى الإسكندرية حيث تابع عبد الناصر دروسه بعيداً عن المنزل الأبوى ، فكانت علاقته العائلية التى عرفها علاقة بعائلة صغيرة من نوع العائلات النواتية المتعلقة من بيتها الأصلية والمنقطعة عن العائلة الكبيرة الممتدة لتي كانت لاتزال ، آنذاك ، سائدة في الريف المصرى . وبالإضافة إلى ذلك فإن هذا الارتباط العائلى ما لبث أن انفك باكراً بالنسبة للفتى عبد الناصر ، عندما أرسل وهو في السابعة من عمره إلى بيت خاله في القاهرة لمتابعة دروسه في مدرسة « النحاسين » الابتدائية ، وما أن بلغ التاسعة من العمر حتى توفيت أمه وتزوج أبوه مرة ثانية وفقد بذلك حنان الأم وعرف الوحشة العائلية والعاطفية ، وهو بعد طفل .

أن عوامل التنقل أو عدم الاستقرار الجغرافى والانسلاخ الاجتماعى العائلى على حد وصف د . مارلين نصر لدى عبد الناصر كونت ، في اعتقاد العديد من المؤرخين العلمانيين أرضية خصبة لبروز وعيه القومى ^(١) .

بل ويذهب هؤلاء إلى أن ضعف الروابط التقليدية والاجتماعية (الريفية والمدينة) لدى عبد الناصر وانسلاخه الناتج عن انبهار تلك الروابط وعن التنقل الدائم ، جعله يبحث باكراً عن هوية انتماء من نوع آخر وجددها في مصر بأكملها ، وطنه الوحيد وفى أفق الأمة العربية ، فيما بعد ، أمته الوحيدة . لقد وجد هويته التى يبحث عنها منذ الصغر ، في عزلة سبباً في رغبته الجامحة بالوحدة . وحدة وطنية تجمع كل الشعب المصرى ، ووحدة قومية أوسع تجمع كل الشعوب العربية ، وتقضى نهائياً على « زمن العزلة » .

ونحن نختلف مع هذه الآراء ، ونرى أنها من قبيل ترهات وتخريجات خيالية لبعض القوميين العرب ذوى النزوع الماركسى العلمانى (الذى أقل زمانه وولى) ونؤكد في المقابل ألا تناقض.

(١) استمر عبد الناصر في التنقل من مدرسة إلى مدرسة ومن مسكن إلى آخر بين القاهرة والإسكندرية حسب تنقلات عائلة أبيه ، وذلك حتى نهاية دروسه الثانوية (١٩٣٦ م) ولم يعرف الاستقرار ، نسبياً ، إلا بعد دخوله الجيش ، فقد أمضى ثلاث سنوات في السودان (١٩٣٩ - ١٩٤٢) ولم يثبت نهائياً في القاهرة إلا بعد تعيينه مدرسا في الكلية الحربية .

يذكر بين (الهوية القومية) بمعناها الصحيح وبين التأكيد على هوية الأسرة الصغيرة والانتماء الأسرى ، والمأساة التي ارتكبتها د . مارلين نصر ومن حام حومها من القوميين العلمانيين - ونؤكد هنا على كلمة العلمانيين - أنهم لكي يؤكد قومية عبد الناصر ونزوعه الغروى ، أرادوا تفتيت انتائه الأسرى وتأكيد انسلاخه الاجتماعي لمحيطة الأسرى الصغير ، فهم من حيث أرادوا البناء هدموا ، إذ كيف يستقيم الانتماء القومى ومصداقيته لدى (عبد الناصر) وهو فاقد للانتماء بمعناه الأسرى الصحيح ، وكيف نعطي فكرة (زواج والده) بعد وفاة أمه - أكثر من حجمها وفكرة ترحال أسرته نتيجة وظيفة والده ، أكثر من حجمها الصحيح ، إن هذا تجنى ، وتحامل ليس فقط على (عبد الناصر) بل على الموضوعية العلمية ذاتها ، والتي أهدرها هؤلاء الباحثون دون وعى . إن الأدق هو التأكيد على انتائه الأسرى - كما حدث بالفعل - وعلى رؤيته العروبية والإسلامية إن وجدت ، وأيضاً دون مبالغة مفتعلة كما يحاول البعض أن يصور عبد الناصر القائد المسلم ، ونموذج لذلك وصف الأستاذ/أنور الجندي ، أن محمد (صلى الله عليه وسلم) كان المثل الأعلى لعبد الناصر ، ووفقاً لذلك ظل دائماً يتبع هديه ، ويفتحي خطاه ، ويستهدى صورة نفسه وملاح شخصيته ، مستوعباً شمائل النبي ﷺ ، وهو يصفه بهذه العبارات التي تنبعث من أعماق نفسه :

(كان محمد عليه السلام نقى السر والعلن ، ظهور المظاهر والباطن ، لا يوجد بين حياته الخاصة وحياته العامة حجاب ، فسيرته في نفسه وفي بيته كسيرته بين الناس ، ودعوته التي يعرض على الناس أصولها ، كان أول الناس احتكاماً إليها وأخذاً بها ، وقد ظل بارزاً للأصدقاء والخصوم سنين طويلة ، فما عرفت عنه ريبة ، ولا وقع تناقض بين سلوكه الخاص وسلوكه العام ^(١) .

إن الرسالة التي نادى بها هي الرسالة التي عاش فيها ، وهي التي ضببطت أحواله كلها سواء الذي أطلع عليه الناس ، والذي خفى عن أعين الناس .

ومثل ذلك لا يطيقه الأدعياء من أصحاب الشهوات ومن ذوى الرجولة المريضة ، والأخلاق الملتوية ، ولقد حاول خصوم رسالته أن يستدرجوه إلى اللداهنة والمسلك المزدوج فأبى ، وهو القائل : « ذو الوجهين لا يكون عند الله وجهاً » .

ومن ذلك يقول القرآن : ﴿ فلا تطع المكذبين ، ودوا لو تدهن فيدهنون ﴾ .

(١) أنور الجندي : جمال عبد الناصر والثورة - ١٩٥٥م - دار الجمهورية للطباعة والنشر - القاهرة - ص ٩ - ٢٠ (جدير بالذكر أن الأستاذ / أنور الجندي - أمد الله في عمره - من أهم وأبرز الكتاب الإسلاميين في مصر اليوم ١٩٩٢م) المؤلف .

والحق أن صاحب الرسالة العظمى قد زوده الله بيزاد من الشرف والصراحة والثبات ،
وهى كفاء ما حمل من أمانة ، وبلغ من رسالة .

ثم يختم جمال عبد الناصر تصويره العميق القوى لشخصية الرسول بهذه العبارة : « ولن
يصل صاحب رسالة نبيلة إلى غايته إلا إذا مشى في هذا السبيل » .

حقاً أن جمال صاحب رسالة نبيلة ، وأنه يبتدى بثلثه الأعلى ، ألم يواجه مجتمعاً أقرب
إلى ذلك المجتمع الذى واجهه النبى العظيم ؟.. إذن فهو فى حاجة إلى أخلاقه وهذه ليستطيع
أن يحطم الأصنام ويهدم صروح الطغيان ، ويقذف بالظالمين والإقطاعيين والمتسلطين خارج
الموكب الذى يريد أن يندفع فى قوة إلى المجد .

حقاً ... لقد جاء جمال عبد الناصر ليظهر طريق مصر من الصخور والجنادل ، فهو فى
حاجة إلى روح هذا النبى القوى ليهتدى به فى عمله العسير الشاق .

إنه يؤمن بما وصف به الرسول : أن طبيعة الرجل العظيم أن يعتمد دائماً على الصراحة
والصدق ، ولا ينتهز الفرص لبناء مجد كاذب ، أو اكتساب عظمة زائفة ، إن محمدا يجب
أن يدرس ويعرف ليدرك الناس من خلاله الذكية ونفسه النقية ، ما يعمر النفوس بالإخلاص
والبر .

لقد عاش جمال عبد الناصر شبابه يقرأ بشغف ، ويدرس حياة الاعلام والعظماء والفاثحين
والحاكمين ، شأنه فى ذلك شأن كل من هيا نفسه لعمل عظيم .

ولا شك أن النبى محمد ﷺ قد كان فى مقدمة هذه الشخصيات الضخمة التى قرأ
عنها بإمعان ، واستقى منها خبرتها وتجاربها ، وحاول أن يقتدى بها حين أسلمت إليه الأمور
مفاليدها . (والقول لأنور الجندى ونحن نشك فى هذه المبالغة^(١)) .

أسس الاختيار للوظيفة العسكرية :

كان جمال عبد الناصر راغباً إلى التخرج من كلية الحقوق . ولكنه غير رأيه فى آخر
لحظة واختار الكلية الحربية .. كان ذلك فى أوائل سنة ١٩٣٧م ، فما هو السر الذى
دفعه إلى هذا الاتجاه ؟.

كانت مصر قد عقدت معاهدة « الشرف والاستقلال » فى صيف ١٩٣٦ واستقبلتها
الصحافة والبلاد واستقبلت أبطالها الذين وقعوا عليها استقبال الفاتحين .

(١) المؤلف .



١٥ أبريل عام ١٩٤٨ في رحلة ميدانية لكلية أركان الحرب في سيناء على قمة جبل ميسى وبعد شهر واحد كان في سيناء مرة أخرى في طريقه للقتال في حرب فلسطين حيث احمررت فكره الثورة وبدأت تنظيماتها وراح بشكل خلايا الضباط الأحرار

كان جمال عبد الناصر قد اشترك فى دعوة الزعماء إلى الوحدة ، فلما رأى أن هذه الدعوة خلفت من وراءها غلاً جديداً وقيداً حديدياً .. هو تحويل الاحتلال الذى كانت بريطانيا فيه غاضبة إلى احتلال شرعى بمقتضى وثيقة . أذهل هذا جمال ، بعد أن رأى جميع زعماء مصر فى ذلك الحين يوقعون معاهدة الشرق والاستقلال ، وقد حشدتهم الاستعمار فيها حشداً : مصطفى النحاس . محمد محمود . إسماعيل صدقى . أحمد ماهر . على الشمسى . عبد الفتاح يحيى . واصف بطرس غالى . عثمان محرم . محمد حلمى عيسى . مكرم عبيد . حافظ عفيفى . محمود فهمى النقراشى . أحمد حمبى سيف النصر .

إذن لم يعد هناك أمل فى هذا الطاقم السياسى الذى خرجته كلية الحقوق ، وليس هذا هو الطريق الذى يؤدى إلى تحقيق آمال البلاد ، ورد حريتها وكرامتها ، ولا بد من سلوك طريق آخر :

.. هو طريق القوة ..

ولن يتحقق هذا إلا بالتحول إلى الكلية الحربية .

لقد اقتنع جمال عبد الناصر بأن التفوق فى العلم هو أهم أسلحتنا ضد الأجنبي وأن مقابلة الرصاص الإنجليزى لا يكون بالمظاهرات ، ولكن بالحرب والتدريب على فنونها . وكانت الصور التى قرأها للأبطال والأعلام والزعماء قد رسمت له صورة « البطل » فى صورة المجارب الفاتح الذى يحرر وطنه ويسوق المحتلين مورد الهلاك ، وزاده يقيناً بهذا الاتجاه وتأكيده له ، قراءته لتاريخ عرابى .. فإن لعرابى عند مصر ثأراً ، وله فى عنق الجيش المصرى وديعة .

لقد فتح الطريق أمام الطامحين لمثل هذا المجد ، مجد تحرير البلاد من ظلم هذه الأسرة الطاغية الأجنبية التى لا يجرى فيها الدم المصرى والتى تحتقر المصريين .

ولا أستطيع أن أقول أن هذه المعانى كانت واضحة فى ذهن جمال عبد الناصر على هذه الصورة ، ولكنها كانت متجمعة كبؤرة من الضوء تدفع فى قوة إلى اتجاه معين ، وتدع الرؤيا تنبعث منها مع تطور الزمن ومرور الوقت .

وكل ما يمكن أن يقال أن جمال الشاب فى سن الثامنة عشر كان قد اقتنع بأن البلاد تمر بمرحلة مريّة ذليلة من تاريخها ، وأن بريطانيا تدوس بقدمها على عنق هذا الوطن وترغمه على أن يمرغ رأسه فى الوحل .

ويبدو هذا فى وضوح رسالة جمال إلى أحد أصدقائه ، وتاريخ هذه الرسالة ٢ ديسمبر سنة ١٩٣٥م ، وهو فى ابان الثورة النفسية التى دفعته فيما بعد إلى الإيمان بأنه لا سبيل إلى تحقيق هدفه إلا بالقوة والاتجاه إلى الكلية الحربية كجزء من إعداد هذه القوة التى يمكن بها مقاومة الاستعمار وتحرير مصر . ويحمل هذا الاتجاه معنى الوضوح والواقعية والاتجاه إلى الناحية العملية الصرفة دون الاعتماد على الخيالات والأحلام .

« أخى » ...

قال الله تعالى : ﴿ وَأَعِدُوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ ﴾ ... فأين تلك القوة التى نستعد بها لهم . إن الموقف اليوم دقيق ، وموقف مصر أدق . ونحن نكاد نودع الحياة ونصافح الموت . فإن بناء اليأس عظيم الأركان .. فأين من يهدم هذا البناء ؟ ..

إن فى الحكم حكومة قائمة على الفساد والرشوة (وزارة توفيق نسيم) فأين من يغير هذا الحال .. إن الدستور معطل ، والحماية على وشك الإعلان . فأين من يقول للإستعمار قف عند حدك . فأين فى مصر رجالاً ذوى كرامة ، لا يريدون أن يموتوا كالأنعام . أين الكرامة . أين الوطنية . أين الذى يسمونه رعونة الشباب . كل ذلك قد غاب فى الآفاق ، وظهرت الأمة نائمة كأهل الكهف والرقم . فأين من يوقظ هؤلاء التعماء الذين هم عن حالتهم لا يعلمون ؟

قال مصطفى كامل : « لا حياة مع اليأس ولا يأس مع الحياة » .. ولكننا نجد الآن حياة مع يأس ويأساً مع حياة . لقد انقلبت الآية يا أخى فرجعنا إلى الوراء . رجعتنا خمسين سنة إلى الوراء . رجعتنا إلى حكم كرور ، ولكن كرور وجد من أذله وشنع به فى عرض المعمورة ، فكانت النتيجة أن استقال . ولكن أين من يشنع الآن . إن الجميع يتمسحون بأذيال الإستعمار ولا يعرفون إلا الملق والتزلف . أين ذلك البلسم الذى تستظل بظله الوطنية ، ويحتفى به الوطنيون ساعة الخطب المروع ، وهو أثبت من الأطواد رأياً وقلباً ، إذا عز النصر وخيف الزيف ، وأرهته القوة الغشوم .. بل أين الوطنية التى كانت سنة ١٩١٩م تشتعل ناراً فى الصدور . بل أين ذلك الذى بذود بلسانه وخطرات قلبه عن حياص هذا الوطن العزيز المقدس ، مضحياً بالحياة والعمر فى سبيل الاستقلال .

وفى رسالة أخرى مضى جمال فى تصوير شعوره الوطنى الذى تثور فى أعماقه معركة توشك أن تحدد موقفه من الإستعمار ومن الإستبداد ومن الدجل السبابى جميعاً (وفقاً لقول أنور الجندى) ..

« .. لقد انتقلنا من نور الأمل إلى ظلمة اليأس ، ونفضنا بشائر الحياة » واستقبلنا غبار الموت ، فأين من يقلب كل ذلك رأساً على عقب ويعيد مصر سيرتها الأولى . يوم أن كانت مالكة العالم . أين من يخلق مصر خلقاً جديداً ، حتى يصبح المصرى الخافض الصوت ، الضعيف الأمل ، الذى يطرق برأسه ساكناً صابراً على حقه المهضوم .. يقظاً على الصوت ، عظيم الرجاء ، مرفوع الرأس ، يجاهد بشجاعة وجراءة فى طلب الحرية والاستقلال ؟..

يقولون : أن المصرى يجزع من حفيف ثيابه فى وضوح النهار . ولكن يجب أن يتقدم من يقودونه إلى مواقف الدفاع ومواطن الكفاح ، فيكون لهم صوت أعلى من صوت الرعد ، تنداعى لقوته أنبية الظلم والاستبداد .. فكل روح سكنت جسماً جاء من أبوين مصريين لا ترضى بحالتنا الراهنة ، وتبذل نفسها قرباناً للوطن العزيز والجامعة الوطنية المقدسة .

قال مصطفى كامل : « لو نقل قلبى من اليسار إلى اليمين أو تحرك الأهرام من مكانه المكين أو تغير مجرى النيل ، فلن أتغير عن المبدأ .

.. كل ذلك مقدمة طويلة لعمل أطول وأعظم فقد تكلمنا مرات عديدة فى عمل يوقظ الأمة من غفوتها ويضرب على الأوتار الحساسة من القلوب ، ويستثير ما كمن من القوى فى الصدور . ولكن كل ذلك لم يدخل فى حيز العمل إلى الآن .. » .

الحياة العسكرية :

دخل جمال الكلية الحربية ، ولم يكن طلاب الكلية يتجاوزون من قبل ٩٠ طالباً ، وعرف باستقامته والاعتزاز بنفسه وميله إلى الحياة الجديدة .. ويصفه اللواء عبد الواحد عمار مدير الكلية بالآتى :

« الطالب جمال عبد الناصر حسين ذى النظرة الجديدة للحياة منذ رأته ومنذ التحق بالكلية الحربية فى ١٧ مارس سنة ١٩٣٧ م ، وأنا أراه لا يميل للمزاج ، فلا يأتى بحركات تخرج به عن حدود الرزانة والوقار . عرف جمع زملائه فى الكلية أنه رجل ، فلا يوقع بأحد ولا يخون أحداً . ومما عرفته أنه يعمل لكل شئ حساباً ، ويقدر العواقب ويعمل وفق ما يرضى ضميره وربه » .

حصل على ٧١ فى المائة فلم ترضى طموحه ، فالتحق بكلية أركان الحرب وسهر الليالى الطويلة مكباً على الدراسة العسكرية حتى هضمها .

كان نائراً منذ تخرج من الكلية الحربية ، وكان يتنقد كل ما فى مصر من أخطاء .



جمال ضابطا برتبة الملازم أول في الخرطوم في مائة سنة ١٩٤٠



وبين قاداتها وضباطها عام ١٩٤٥ وقد أصبح برتبة اليوزناشي نفس السن التي بدأت فيها الأحلام الأولى
للتفوة تراوده

ولا أزال أذكر مناقشاته لأصحابه وزملائه ، فقد كانت لا تدور إلا عن مصر ومستقبلها .
وتخرج جمال عبد الناصر في الكلية الحربية سنة ١٩٣٨ والتحق بالكتيبة الثالثة بنادق ،
ونقل إلى منقباد بأسبوط حيث تعرف بأتور السادات وزكريا محيى الدين .

وفي سنة ١٩٣٩م نقل إلى الإسكندرية حيث تعرف بعبد الحكيم عامر الذى تخرج
فى الدفعة التالية له من الكلية الحربية .
مصر له العلم
وفي سنة ١٩٤٢م نقل إلى معسكر العلمين ، وكانت هذه فرصة ليرقب حالة التوتر
التي كانت تسود مصر .

ثم نُقل إلى السودان ، وصحبه عبد الحكيم عامر حيث عملا فى جبل الأولياء .

فى هذه السنوات الخمس تنقل جمال بين منقباد والإسكندرية والعلمين والسودان ،
فكانت فترة خبرة لا شك فى أثرها البعيد فى تكوينه وإعداد الخطوط الرئيسية للخطوة العملية
التي كان يدرسها فى سبيل تحقيق الرسالة التي ملأت عليه آفاق حياته ، وهى بداية صفحة
جديدة من تاريخ جمال الضابط داخل الجيش ... « فقد كان الضباط فى ذلك الوقت
يكونون شبه أحزاب داخل كل كتيبة ، وكان كل حزب يحاول أن يستميل أكبر عدد
من الضباط ليتغلب على باقى الأحزاب » .

وقال اللواء عبد الواحد عمار عن جمال وعبد الحكيم ، وكان يعمل معهما فى الكتيبة
الثالثة بنادق بمدينة الخرطوم : « كنت لا أرى أحدهما بدون الآخر ، فجمال وعبد الحكيم
روح واحدة فى جسدتين ، وعندما نقل جمال وعبد الحكيم معاً مع القوة المسؤولة عن
حراسة منطقة جبل الأولياء فى السودان ، حمدا لله على أنه لم يفرق بينهما .. » .

ومن جبل الأولياء كتب لأحد أصدقائه فى مصر مصوراً آماله :
« .. سيكون أمامك المستقبل . ولكنه يحتاج إلى جهاد . ولا لذة لمستقبل دون جهاد .
فالحياة الخاوية الخاملة ، أو الطريق المرسومة المعروفة تنعدم فيها اللذة . كل عيبى هنا
أننى « دغرى » لا أعرف الملق ولا الكلمات المنمقة ، ولا أتمسح بالأذيال ، إذ أن شخصاً
هذه صفاته يحترم من الجميع ، ولكن الرؤساء يسوءهم ذلك الذى لا يسبح بحمدهم ،
ويسوءهم ذلك الذى لا يتملقهم . فهذه كبرياء . وهم الذين اعتادوا الذل فى كنف
الإستعمار . يقولون : « كما كنا يجب أن يكونوا ، وكما رأينا يجب أن يروا .. والويل
كل الويل لذلك المتكبر الذى تأبى نفسه السير على منوالهم .

ويحزننى أن أقول : ن هذه السياسية نجحت نجاحاً باهراً ، فهم يصهرون نفوس

الشباب . وكلهم شباب لم تضلهم الأيام بعد . ويحزننى أن هذا الجيل الجديد قد أفسده الجيل القديم ، فأصبح منافقاً متملقاً . ويحزننى أن أقول أننا نسير إلى الهاوية بالرياء والملق والنفاق ..

أما أنا فقد صمدت . ومازلت . ولذلك تجدنى فى عداة مستمر مع هؤلاء الكبار .. » . ولكن الأمور لم تسر طبيعية بعد ، فقد بدأ كبار ضباط الجيش فى ذلك الحين ينظرون إلى جمال كمنافس خطير .. جاء ليحطم الأصنام ، ويشر بدعوة جديدة . فشنوا عليه حرباً لا هوادة فيها ، وحاكوا له الدسائس .

ولكنه استمر فى دعوته .. وإن كان قد أحس بأن الطريق شاق ، وأن كبار الضباط الذين عاشوا على الدس والوقية والحقد لن يتركوه ... فلما حان وقت الترشيح للنقل إلى السودان « الكتيبة الثالثة » وضعوا اسمه بها .

ورحب هو بذلك ...

وفى السودان توطدت صداقة جمال وعبد الحكيم عامر ، وعلى الرغم من عزلتهما فإنهما كانا يشعران بسعادة كبيرة ، واتحد تفكيرهما فى كثير مما كان يساورهما من الآراء نحو مصر وأوضاعها - هكذا يقول المؤرخون^(١) - وتبلورت هذه المعانى فى صورة جديدة واضحة .. هى القضاء على الفساد الذى استشرى فيها .

وفى هذه الفترة قرأ جمال كثيراً .. والتهم وزميله عدداً من الكتب .

وكانت الكلية الحربية قد فتحت أمامه آفاقاً جديدة فى الدراسة ، دراسة الحروب والتكتيك والوقائع والأعمال الضخمة التى قام بها نابليون وخالد والاسكندر .

وكانت فرصة للتحضير لكلية أركان الحرب ..

حقاً .. لقد دخل جمال عبد الناصر فى دور صراع جديد ، هو الصراع مع الطبقة القديمة فى الجيش . أنه رفض أن يكون ذليلاً لهم . أن الذى يزعج جمال هو أن الجيل الجديد قد أفسده الجيل القديم فأصبح منافقاً متملقاً ، وأن الجيش لذلك يسير نحو الهاوية . على حد قول أنور الجندى فى كتابه سالف الذكر (ص ٢٧) .

ويبدو أن فترة التأمل الطويل التى أتاحها له الفراغ فى جبل الأولياء قد أكدت أفكاره وآرائه ، فهو يكتب فى أغسطس سنة ١٩٤١م إلى صديقه فى القاهرة خطاباً يبين هذا التطور

(١) انظر المصادر السابقة .

الجديد :

« .. إن الحياة الآن تختلف اختلافاً كلياً عما كانت عليه في الماضي ، وطبعاً في هذا الاختلاف تأثير على النفس وعلى الفكرة التي كونتها عن الحياة . والحقيقة أن كل ما كانت أعتقد في سنة ١٩٣٦م وما حولها من الأيام يتغير تغيراً مستمراً ، وثبت لي الأيام أن تفكيري في الأيام الماضية كان خطأ ، وأن نظرياتي ونظرياتك أيضاً كانت كلها من بنات الخيال .. وأن الحقيقة الآن تهدم هذا الخيال بالنسبة لي .. »

تصور كلامي وتعجب .. جرى أيه لجمال عبد الناصر .. ولكن إذا عشت ربع المدة التي عشتها في هذا الجو ، لكنت ألعن من ذلك . الإخلاص معلوم . والذمة مفقودة ، والضمير لا تسمع عنه . إذا كنت أنا الوحيد في هذه البيئة أعترف بالضمير وأعترف بالذمة فطبعاً أكون مغبوناً جداً .. إذ أن كل البلاوى ستقع على هذا الذي لا يرضى عن الذمة بديلاً .

في خلال هذه الفترة بدأ جمال عمله الفعلي . أشعل الجذوة في ليالي منقاد . وكان في صمته خلال نقله إلى السودان ، وبعد عودته ، يعد العدة لجذوة أخرى لا ينطفئ ضوءها ولا يفرغ زيتها (على حد تعبير أنور السادات في مؤلفه : « يا ولدي هذا عمك جمال ») .

كان جمال في خلال هذه الرحلة الطويلة يبحث عن الرجال والأعوان ، عيناه الفاحصتان تبحثان عن الأعوان والرجال .

إن جمال يؤمن بالحكمة في هذه الفترة المبكرة ، ولذلك فهو يقول لصديقه في مارس سنة ١٩٤١م ، في خطاب من الخرطوم : « أرجو ألا تكون قد اندفعت بغير عقل أو تندفع بغير روية .. » .

وهو بهذا التحفظ وهذه الأعصاب الهادئة ، يفكر طويلاً ، وتعيش الفكرة في أعماقه حتى تنصهر وتستوى وتولد قوية حية .. لا تموت .

لقد فتح جمال هذا الباب الجديد .. باب الضابط المصري المتحفظ بالكرامة الذي لا ينحني ولا يملق . والذي لا يخشى أحداً إلا الله . هذا النموذج الجديد الذي لا يعرف السهر ولا الشراب ولا اللذات الرخيصة ، المستقيم الذي يصلي ويصوم ويعبد الله ويخشاه .

لقد كسب خبرة ضخمة من معرفة الناس والبلاد ، وشاهد عن كتب أوضاع الإستعمار في السودان والعلمين .

وعاد جمال عبد الناصر من السودان سنة ١٩٤٢م حيث عين مدرساً بالكلية الحربية ، والتحق بكلية أركان الحرب فنال شهادتها بتفوق ، والتقى من خلال دراسته بها بزملائه الذين أسس معهم تنظيم الضباط الأحرار كما سنرى في الفصل الثاني من هذه الموسوعة .



عبد الناصر مع والده في الإسكندرية ١٩٦٤



في صالون البيت زراءه صورة الزفاف



مع حاتم صادق وقرينته هدى عبد الناصر وابنتهما الأولى هالة. في بيته بمنشية البكرى



منى عبد الناصر وابنتها جمال في استراحة القناطر وعبد الحكيم عبد الناصر في الخلف وخالد عبد الناصر إلى اليمين يرقبان جمال الجدد وجمال الحفيد



الأبناء خالد عبد الناصر وعبد الحكيم عبد الناصر إلى يساره في البيت بمنشية البكرى



ومع أصغر أبنائه عبد الحكيم ١٩٦٦

الفصل الثاني
الطريق إلى ثورة بولسبو
تشكيل الضباط الأحرار



الطريق إلى ثورة يوليو تشكيل (الضباط الأحرار)

فى الطريق إلى أحداث ثورة يوليو ١٩٥٢م أو (حركة يوليو) كما يحلو للبعض تسميتها ، جرت تحت السطح مياه كثيرة ، وكان تنظيم الضباط الأحرار ، بعضاً من تلك المياه ، ولأن البعض رأى فيه امتداداً له داخل الجيش ، والبعض الآخر رأى فيه تنظيمًا عميلًا لقوى أجنبية وبخاصة الولايات المتحدة ، بل وأسمى هذه الثورة بـ « ثورة يوليو الأمريكية » وبأن من لا يفهم ذلك فهو من المغفلين ^(١) لأن البعض رأى ذلك ولكى يستقيم الأمر ، وتوضح أبعاده ، فإننا سوف تقدم هنا نماذج من تلك الرؤى ، لعل فى إيرادها وبشكل أمين ونقدى ، أن نلم بكافة الجوانب التاريخية التى أحاطت بهذا التنظيم السياسى العسكرى .

من هنا سوف نـمـحـور الحديث حول النقاط التالية :

أولاً : البيئة الخاصة التى تشكل فيها التنظيم : مؤسسة الجيش وتاريخها .

ثانياً : الرؤية الأجنبية لتشكيل تنظيم الضباط الأحرار .

ثالثاً : الرؤية الناصرية لنشأة وتطور تنظيم الضباط الأحرار .

رابعاً : الرؤية الإسلامية لنشأة وتطور التنظيم .

خامساً : المناخ السياسى العام عشية ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢م .

وبتفصيل ما سبق يستبين ما يلى :

أولاً : البيئة الخاصة التى تشكل فيها التنظيم : مؤسسة الجيش وتاريخها :

كان الجيش المصرى قبل ١٩٥٢م ، بيئة فاعلة ومؤثرة فى الحياة السياسية المصرية ، لم تكن مفاهيم مثل (الانضباط العسكرى) ، و (الالتزام بشرف العسكرى) تحول بينه وبين التفاعل الحقيقى مع هموم الوطن وقضاياها الكبرى ، وكان الحديث فى السياسة ،

(١) انظر كتابات محمد جلال كـشـك عن ثورة يوليو وبخاصة :

— ثورة يوليو الأمريكية — القاهرة — ١٩٨٨م .

— كلمتى للمغفلين : القاهرة — ١٩٨٩م .

— الناصريون قادمون — القاهرة — ١٩٨٩م .

شائع ، ومباح ، داخل الجيش ، بل كان بعض القادة السياسيين والإسلاميين يحاضرون فى تلك الوحدات ، دون حرج أو خوف . أو ادعاء زائف بما يسمى بالانضباط العسكرى . فلقد كانت مصر ذات هم واحد ، وقضية مشتركة ، ساهم الاحتلال الإنجليزي العسكرى فى بلورتها ووضوحها .

* هذا ويعودة إلى التاريخ ، تاريخ مؤسسة الجيش المصرى ، يؤكد المؤرخون أن وصول أحمد عرابى إلى رتبة القائمقام فى الجيش ، تعد بمثابة النقطة ذات الأهمية فى بروز دور الجيش فى كفاح مصر وثوراتها ، فقد أنشأ محمد على الجيش من المصريين بالرغم منه ... وبعد أن فشل فى تكوينه من أولاد المماليك والضباط الأرناؤوط ، وكان أن خرج من هذا الجيش أحمد عرابى وعبد العال حلمى ومحمد عبيد .

لقد ثار عرابى وزملائه الضباط الأحرار على الظلم والضييم فى أيام سوداء مظلمة ، كان طغيان أسرة محمد على فيها بالغاً غايته من العتو والاستعلاء ، ففتحوا ثغرة من النور فى الليل المظلم .

ولا يقلل من عظمة العمل الذى قام به عرابى أن الثورة المصرية إذ ذاك بدأت بالمطالبة بحقوق الضباط أنفسهم إزاء طغيان عثمان رفقى ، والاتجاه الظالم بتفضيل الجراكسة والترك والإجحاف بحقوق الضباط الوطنيين فى الجيش^(١) .

ولا يغيب عن البال أن أول اجتماع عقده الضباط بمنزل أحمد عرابى وحضره عبد العال حلمى وخضر خضر وعلى فهمى الديب ومحمد عبيد وألفى يوسف وأحمد عبد الغفار ، قد ضمن عريضة المطالبة بتغيير نظام الحكم وعزل ناظر الجهادية وتعيين غيره من أبناء الوطن ، وتشكيل مجلس نواب من نهباء الأمة وإبلاغ الجيش العامل إلى ١٨ ألف جندى .

وتبدو قوة هذه الحركة فيما قام به الضباط من الهجوم على ثكنات قصر النيل وإطلاق سراح الضباط الثلاثة الذين اعتقلهم الخديو ، وكان على رأس المهاجمين محمد عبيد ، فقد أمر الخديو بعد وصول هذه المطالب باعتقال عرابى وعبد العال حلمى وعلى فهمى ، وسرعان ما سار محمد عبيد فى قواته فضرب الحصار على قشلاق قصر النيل وهجم على الديوان فبادر الجنود إلى الفرار ، وفى مقدمتهم عثمان رفقى نفسه ، وفكوا أسر زملائهم وخرجوا بهم ...

(١) فى تحليل وتفسير ذلك انظر بعض الكتابات المبكرة والهامة :

١ - فتحي رضوان - كتاب (أئضى المواطن) - القاهرة - ١٩٥٥م .

٢ - أنور الجندى - مصدر سابق .

٣ - عبد الرحمن الرافعى : تاريخ الحركة الوطنية .

وعزل عثمان رفقى .. وبدأ النفوذ العسكرى يأخذ طابعاً قوياً أقلق الخديو وحاشيته الذين حاولوا إطفاء هذه الحركة بالتقرب إلى الضباط ورفع مرتباتهم ، ولم يكن عفو الخديو عن زعماء الحركة الذي قاموا بمحاكمة قصر النيل إلا خدعة تحفى وراءها الاستعداد لقمع الحركة والانتقام من مدبريها .

وفى هذه الفترة كانت الآمال قد تعلقبت بعراى وامتدت الأنظار إليه ، وبرزت رابطة قوية بين مطالب الجيش ومطالب الشعب الذى أحس فى صوت عراى مخرجاً ومُتنفساً من الحرج والضيق الذى كان يلقاه من الخديو الظالم .

وقد وصف عبد الرحمن الرافعى هذا الشعور فى صورة رائعة فقال : « ... كل هذه الأعمال جعلت من عراى زعيماً قوياً اتجهت إليه الأنظار لتحقيق أمانى الشعب ولم يكن الجيش يصدر عن أفكار وعواطف تخالف أفكار الجماهير ، بل كان فى واقع الأمر يمثل الأمة فى أفكارها ونفسيها .. ولم يكن الناس راضين عن الحكومة وسياساتها بل كانوا يتربصون بمظالم الحكام . وينقمون من الوزارة استسلامها للنفوذ الأجنبى وخضوعها لأوامر القناصل ومحاباتها الموظفين الأجانب .. » .

ولم يأل عراى جهداً فى التحدث مع العلماء والأعيان والعمد حتى كسبهم إلى صفه فأصبح قوة شعبية كبيرة لا يمكن تجاهلها . ومضى يوطد نفوذه بين صفوف الضباط وحدد مطالبه بتأليف المجلس النيابى وإحداث انقلاب فى الحكم يحل الشورى محل الحكم الاستبدادى .

وقد كان من نتيجة المنشورات التى وجهها عراى إلى أهالى البلاد ما وصفه عراى فى مذكراته « .. وبناء على ذلك وقدت علينا الوفود من جميع أنحاء القطر وسلمتنا عرائض النيابة عنها وفوضت إلينا العمل لما فيه سعادة البلاد وخلصها من برائن الاستبداد معلنة تضامنها معنا فى كل ما نقوم به من أعمال الإصلاح ... » .

وفى خلال هذه الفترة بين واقعة قصر النيل (أول أبريل ١٨٨١م) و(٩ سبتمبر ١٨٨١م) يوم واقعة عابدين كان عراى قد اطمأن إلى أن الجيش أصبح فى قبضة يده وأن الأمة من ورائه وهنا بدأ فى أحداث هذا الانقلاب بأن زحف بالجيش إلى ميدان عابدين فأزعج الخديو وهزه هزاً عميقاً وفشلت كل محاولاته فى منع المظاهرة أو تأجيلها وزاد الأمر خطورة عندما انضم حرس الخديو الخاص إلى صفوف الكتائب .

ونزل الخديو إلى الميدان ومعه القناصل الإنجليز والمراقب المالى الإنجليزى حتى إذا ما توسط

الميدان نادى عراى فجاءه راكباً جواده شاهراً سيفه وخلفه نحو ثلاثين ضابط شاهرى السيوف .

ودار بين عراى وبين الخديو حوار تبين فيه مدى الاحتقار الذى كان يكرهه الخديو للمصريين .

الخديو - ما هى أسباب حضورك بالجيش إلى هنا .

عراى - جئتنا لنعرض طلبات الجيش والأمة وكلها طلبات عادلة .

الخديو - وما هى هذه الطلبات .

عراى - عزل رياض باشا وتشكيل مجلس النواب وإبلاغ عدد الجيش إلى العدد المعين فى فرمانات السلطانية .

الخديو - كل هذه الطلبات لا حق لكم فيها وأنا ورثت ملك هذه البلاد عن آباءى وأجدادى وما أنتم إلا عبيد إحسانتنا .

عراى - لقد خلقنا الله أحراراً ولم يخلقنا تراناً وعقاراً فوالله لا إله إلا هو أننا سوف لا نورث بعد اليوم .

وعاد الخديو إلى داخل السراى . وقبل مطالب عراى وسقطت وزارة رياض وعين محمد شريف رئيساً للوزارة وكان هذا هو أوج النصر لحركة الجيش .

وتطورت ثورة عراى تطوراً لم يكن فى يده ، فقد انتصر الإنجليز بفعل الخيانة لا بضعف الجيش ومال الخديو نحو الإنجليز وأسلم نفسه إليهم وأعلن خيانة عراى الذى وقفت الأمة كلها من حوله لتفتديه بأرواح .

شنت الخديو والإنجليز عراى وأنصاره وسحقوا هذه القوة الشعبية الضخمة سحقاً ، وظل عراى إلى عهد قريب يوصف بالخيانة فقد كانت أسرة محمد على مازال تحكم البلاد وتقف بالمرصاد للتاريخ الحق لهذا البطل وتغض من قدر هذا العمل الخالد الذى هز هذه الأسرة هزة عنيفة وجعلها تتأهب للهزة الأخرى التى أسقطتها من مكانها .

وسرعان ما وضع الإنجليز يدهم على الأمور فى مصر وكان أول عمل لهم هو إلغاء الجيش المصرى بصفة عامة وإنشاء جيش صغير يرأسه ضباط من الإنجليز فما أن تم للإنجليز احتلال العاصمة فى ١٤ سبتمبر ١٨٨٢م عقب هزيمة العربيين حتى أصدر الخديو توفيق مرسوماً بإلغاء الجيش المصرى فى ١٩ سبتمبر ١٨٨٢م بعد أن قبض على كبار الضباط لمحاكمتهم . كما صدر مرسوم بتجريد جميع الضباط الذين اشتركوا فى الثورة العربية ممن كانوا فى رتبة يوزباشى

وما هو أقل منها ، وحرمانهم أى حق فى المعاش أو مرتب الاستيداع .

وعهد بتنظيم الجيش الجديد إلى ضابط إنجليزى هو (فالتين بيكر) ليكون خاضعاً للسياسة البريطانية الذى بدأ فى خلق جيش جديد يكون أداة فى يد الإنجليز ، واقترح اللورد دوفرين عدد الجيش إلى ستة آلاف .

وانحط مستوى الجيش إلى أبعد حد وألغيت الصناعات الحربية كالت ألغيت البحرية المصرية وظل كذلك حتى قال سعد زغلول لعبد الرحمن الرافعى فى برلمان ١٩٢٤م عندما سأله عن موقف مصر من بعض الحوادث فى السودان كلمته المعروفة « هل عندكم تجريدة » .

وبقى الجيش شيئاً بعيداً عن الميدان السياسى يسيطر عليه الإنجليز ولا يسمحون بتقويته أو زيادته .

وقد وقعت فى يونيه ١٩٢٧م أزمة سياسية حادة بين مصر وبريطانيا بشأن الجيش إذ تضمنت الميزانية تقريراً بإصلاح الجيش المصرى وترقية التعليم فى المدرسة الحربية . وقبل أن تتقدم اللجنة الفرعية للميزانية يبحث هذه المقترحات علمت بها دار الندوب السامى والصحف البريطانية فهبت ترعد وتبرق وتهدد وتتوعد ونشأت أزمة ضخمة كان مظهرها توجيه مذكرة من الحكومة البريطانية إلى الحكومة المصرية فى ٢٩ مايو ١٩٢٧ جاء فيها أنه لوحظ فى الأيام الأخيرة أن هناك اتجاهاً مقلقاً يرمى إلى إدخال النفوذ السياسى فى الجيش المصرى واصطحب هذا الاتجاه وبمحاولات أكيدة للتقليل من اختصاص المفتش العام للجيش والضباط البريطانيين الذين يعملون فى المصالح المختلفة التابعة لوزارة الحربية . وترى الحكومة البريطانية أن الموافقة على هذه التوصيات يقلل كثيراً من الفرص التى تنهأ للتسوية الودية لهذه المسألة الهامة بين مصر وبريطانيا « العظمى » ولذلك تدعو الحكومة السرية إلى إعادة النظر فى موقفها بغير ابطاء وتضمنت المذكرة طلبات جديدة تضيف إلى سلطان إنجلترا على الجيش المصرى سلطاناً جديداً بتعيين ضباط بريطانيين جدد ورفع درجة اللواء سفينكس باشا المفتش العام للجيش الإنجليزى إلى رتبة فريق وأن تضم مصلحة الحدود وخفر السواحل لإشراف المفتش العام البريطانى للجيش .

وبذلك عاد الجيش المصرى إلى أسوأ مما كان فى أيام الحماية .

وأذاعت الأنباء أن ثلاث بوارج بريطانية أمرت بالسفر من مالطة إلى المياه المصرية وقال وزير خارجية بريطانيا فى مجلس العموم أن الحكومة المصرية تدخلت فى هذه المسألة لأن فريقاً من الساسة المصريين ذوى الكلمة النافذة أراد استعمال الجيش أداة معادية لإنجلترا والدليل على ذلك أنه طلب زيادة وحدات الجيش .

وخضعت الحكومة المصرية للإنذار البريطاني ونفذت كل ما تضمنه .

وفيما عدا هذا الحادث لم يسمع عن الجيش المصرى شيئاً في ذلك التاريخ الطويل وظلت قبضة بريطانيا على الجيش المصرى قوية حتى جاءت معاهدة ١٩٣٦م حيث تقرر إيفاد بعثة بريطانية لتدريب الجيش المصرى . وقد قدمت هذه البعثة من ١٥٠ ضابطاً وصف ضابط وكلفت الخزانة في الفترة التي أقامت في مصر ستة ملايين من الجنيهات واعتبرت التقارير التي وضعتها البعثة ملزمة تنفيذ بدون معارضة من جانب الجيش المصرى .

واستمرت ١٠ سنوات (١٩٣٦ - ١٩٤٦م) وأشارت ملاحق معاهدة صدق - ييفن إلى تحويل هذه البعثة العسكرية إلى لجنة دفاع مشترك .

وظلت بريطانيا تحول بكل قواها دون تكوين الجيش المصرى أو تزويده بالأسلحة أو بناء المصانع الحربية وغيرها .

وكان فاروق بوصفه القائد الأعلى للجيش يفخر بأن هذا الجيش ليس جيش مصر بقدر ما هو جيش ناروق . وتولى امرته رجال حاولوا أن يخضعوه لسلطانهم وكانت الأحاديث تروى عن مدى هذا الولاء .

ومن سخرية الأقدار بفاروق أنه في نفس هذا الوقت كان يرى من الجيش العصا التي يهدد بها البلاد ، كان الجيش يتجمع ليضرب الضربة الأخيرة ويتم عمل عراقى وليفتح لمصر باباً من الحرية .

وجاءت أحداث ٤ فبراير ومعركة فلسطين ومعركة القنال فأججت النار ورتبت الخطوط ودفعت الضباط الأحرار إلى الثورة .

وكانت فلسطين هي الموقعة الأولى لجيش مصر بعد أكثر من ٦٠ عاماً وقد دلت جميع التقارير على أن الجيش لم يهزم بالرغم من نقص الإمكانيات والعتاد الحربي وإنما هزمت السياسة في مصر فقد كانت روحه المعنوية عالية لولا ما يبتته السياسة ومن وراءها بريطانيا له في القاهرة من مناورات .

وقد سجل جمال عبد الناصر هذه المرحلة من التاريخ في عبارات قليلة واضحة :

قد يعدد الناس تاريخ الثورة المصرية التي قام بها الجيش ممثلاً للشعب باليوم الثالث والعشرين من يوليو ١٩٥٢ .

والواقع أن في هذا التاريخ مجافاة للواقع لأنه لم يكن إلا آخر مراحل الثورة ، أما أولى مراحلها فسابقة لهذا التاريخ عشرات السنين .

إنه اليوم الحادى عشر من يوليو ١٨٨٢م أى قبل هذا التاريخ الأخير بسبعين عاماً وأثنى عشر يوماً على التحديد .

ففى ١١ يوليو ١٨٨٢م ضربت الإسكندرية الوداعة بمدافع العدوان البريطانى ثم كان الاحتلال البغيض واشتعلت مصر نائرة وخرج الجندى والفلاح أحمد عرابى على رأس ثورة الأحرار من الضباط والجنود ليرد هذا العدوان الطاغى .

ولكن الثورة لم تحقق أهدافها واكتفت بأن سجلت مولدها . وكان لابد لها وقد بدأت طفله ساذجة صغيرة من أن تصبح حتى تنمو مع الأيام حتى إذا أصبحت مكتملة قادرة على أن تقوم بعمل ما لم تتردد فى القيام به . لقد حددت الثورة أهدافها منذ اليوم الأول لمولدها . « لابد من تحرير مصر ولابد من جلاء قوات الاحتلال » .

وكلما كانت الثورة تنمو كانت هذه الأهداف تزداد عمقاً فى ضميرها . وكلما كانت الأيام تمر كانت هذه الأغراض تشتد اتصالاً بإرادتها فما أن أقبلت ثورة ١٩١٩م وكانت الحرب العظمى قد انتهت . حتى هبت الثورة تطالب بتحقيق أهدافها فصاحت « الاستقلال التام أو الموت الزؤام » وكانت تعنى ما تقول فبذلت فى سبيل فكرتها وهدفها دماً ذكياً وتضحية عالية وروحاً سامية .

ولم تخف الثورة أمام رصاص المستعمرين . ولا أمام أذنانهم من رصاص المصريين ولكنها مضت قدماً لا تبالى بالخديعة والدس وإذا كانت الثورة بطبيعتها طيبة القلب صادقة النية فقد صدقت الخداع والخادعين ، وسكنت وأخذت تنتظر الوعود فإذا الوعود سراب .

وإذا بالثورة العارمة التى قامت لجلاء المستعمرين عن أرض الوطن ترضى بدستور ١٩٢٣م بدلاً من أهدافها الكبرى .

وئارت الثورة على نفسها ولكن المناورات الاستعمارية كانت قد كبلتها فما كانت تستطيع إلا أن تنتظر بعض الوقت حتى تفك قيودها .

واكتفت الثورة من وقتها بأن تنظر حولها وهى نسخر ممن استغلوها وأخذوا يتجرون بها ويتلاعبون باسمها .

كان كل من يريد أن يكسب لنفسه مجدداً يعلن صلته بها ، كان كل من يريد أن يكسب لنفسه مركزاً يباهى بأنه ابن الثورة وصانعها ومحركها . وأصبحت الجماهير ضحية لهذه المزايدات الوطنية . وهذا اللون الجديد من ألوان الاستقلال السياسى والإتجار باسم الثورة .

وبدأ تجار السياسة يختلفون ويتفقون دون أن يكون لأهداف الثورة دخل فيما يختلفون وفيما يتفقون ...» .

وغاية القول أن القصر والإنجليز حملاً على إفساد الجيش وجعله أداة طيعة في أيديهم ، وحرصاً على خنق كل روح وفيه حتى يظل ألعوبة في أيديهم . وحتى يظل تحت سلطانهم . ويظل قوة إرهابية للشعب ، لا يلتقى به دائماً ليبقى عاملاً من عوامل إخافته .

وقد وصف جمال عبد الناصر هذا المعنى في قوله : « لقد كان الحاكم في الماضي يعمل كل ما وسعه للفصل بين الشعب والجيش . وكانوا يجيئون مطالب الضباط في الجيش حتى يظلوا أداة في يد الطغاة للضرب على يد الشعب ، ولكن فقة من أبناء مصر الأحرار عرفت أن الشعب إذا كان يمثل الحق . فإن الجيش يمثل القوة . وأن الحق يحتاج إلى القوة حتى يظهر واضحاً جلياً . وعملنا متعاونين متساندين حتى التقى الحق والقوة في هذه الثورة الشعبية » .

لقد آمن جمال بالجيش على أنه أداة تحرير مصر فبدأ يكون مجموعته التي سميت بتنظيم الضباط الأحرار ويضم إليها أعوانه ويعد عدته لأمر خطير كما سيتضح فيما بعد .

ثانياً : الرؤية الأجنبية لتشكيل وتطور تنظيم الضباط الأحرار :

* تفاوتت الرؤية الأجنبية بشأن نشأة وتطور تنظيم الضباط الأحرار . بين إدانة غير مفهومة لتنظيم وطني حاول تحرير بلده ، إلى إعجاب مبطن بإنجاز هذا التنظيم ، وتفاوتت الرؤية واختلقت بين العداء التقليدي لكل ما هو عرقي أو مسلم ، وبين التعاطف بحكم المصلحة ، ليس إلا ، فالرؤية الأمريكية والإسرائيلية مثلاً ، كانت تقليدية في عداتها ، وهو أمر متوقع ، أما الرؤية الشيوعية فكانت متعاطفة ، ولكن إلى حدود معينة وهي حدود يتوقف عندها الأفق الماركسي ، والرؤية الماركسية لما سمي بحركات التحرر الوطني ذات الجذور الطبقة البرجوازية ، ومن ثم فالتعاطف معها ، كان تعاطفاً تكتيكياً ، وكان الفهم لها أيضاً فهماً مصلحياً وتكتيكياً ، وهذا مصيبة في حد ذاته ، عندما يخضع التاريخ لتفسير قصري مسبق ، ولمنهج ضيق في فهم طبيعة الصراعات والتحولات التي عاشها المجتمع الذي منه أتى الضباط الأحرار .

* أيا ما كان الأمر .

* فما بين أيدينا ، هي مجموعة من الرؤى الغربية ، التي استندت في معظم معلوماتها على كتب ودراسات مصرية ، واختلفت بعد ذلك في مسألة (توظيف) تلك (المعلومات) وعملية (تفسيرها) .

* ما بين أيدينا ، رؤى غربية بل وإسرائيلية وهذا هو الجديد فى الأمر حاولت تفسير الحدث ، فماذا قالت ؟

* يقول المؤرخ الإسرائيلى العازر بعيرى فى تقيمه لثورة يوليو أو انقلاب يوليو على حد وصفه :

(يختلف انقلاب يوليو ١٩٥٢م فى مصر ، من نواح عدة ، عما سبقه من انقلابات فى العراق وسوريا . فقد أقام نظاماً مستقراً للحكم ، دام طويلاً ، لا نظير له فى الشرق الأوسط فى العصر الراهن . كما أحدث ذلك النظام تحولات اجتماعية بعيدة الأثر ، ورفع مكانة مصر عالياً فى الشرق الأوسط ، وفى جميع أنحاء العالم ، أما من ناحية الإعداد والتنفيذ ، وطبيعة الرجال الذين قاموا به ، فالانقلاب المصرى يعد ظاهرة جديدة ، إذ كان من عمل جماعة سياسية سرية جميع أعضائها من الضباط حملة الرتب المتوسطة والصغيرة . فعندما قام بكر صدقى بانقلابه فى عام ١٩٣٦م كان برتبة الزعيم ونائباً لرئيس الأركان ، والسبعة الذين أطاحوا به فى ١٩٣٧م كانوا يتمتعون بتأييد اثنين من قادة فرق الجيش العراقى الأربع ، وعندما أطاح الصباغ فى ديسمبر ١٩٣٨م بحكومة المدفعى كان رئيساً لعمليات الأركان العامة ، ويشغل أعضاء مجموعته مراكز قيادية فى الجيش ، كما كان حسنى الزعيم فى ١٩٤٩م رئيساً للأركان ، والحناوى فى أغسطس ١٩٤٩م برتبة الزعيم وقائداً للواء مدرع ومندوباً للقيادة العامة ، كذلك كان الشيشكلى فى ديسمبر ١٩٤٩م عضواً بقيادة الأركان وقائداً للواء مدرع . أما أعضاء تنظيم الضباط الأحرار ، فكانوا فى يوليو ١٩٥٢ ، أما روادا أو مقدمين ، باستثناء واحد برتبة العقيد وقائد كتيبة للمدفعية . واللواء نجيب يعتبر استثناء بينهم ، وهو لم يكن عضواً بالتنظيم رغم ارتباطه الوثيق به . وجميع الضباط العراقيين والسوريين المذكورين آنفاً ولدوا قبل ١٩٠٠م ، وبلغوا سن الرجولة أثناء العهد العثمانى . بينما ينتمى الضباط الأحرار فى مصر إلى جيل آخر ، فجميعهم ولدوا فيما بين ١٩١٧ - ١٩٢٢م . ونجيب مولود فى ١٩٠١م ، والشيشكلى من مواليد ١٩٠٩م ، وهما بهذا يشغلان مكاناً وسطاً بين الجيلين .

ويمكن الفارق الأساسى بين الضباط المصريين وقادة الانقلابات من الضباط العراقيين والسوريين فى البناء التنظيمى للحركة . ولكى نفهم هذه النقطة علينا أن نعود إلى فترة ما قبل الحرب العالمية الثانية ، وربما قبلها) .

تلك هى رؤية العازر^(١) . ومن وجهة نظر الغربيين أن المصدر الرئيسى الذى يوضح

(١) العازر بعيرى : ضباط الجيش فى السياسة والمجتمع العربى - ترجمة : أنور الرفاعى - سينا للنشر - ١٩٩٠م ، (انظر أيضاً قائمة المراجع المرفقة بنهاية الكتاب) .

المراحل الأولى لهذه الحركة هو مذكرات أنور السادات ، التى تختلط فيها الحقيقة بالخيال ، بل ويعتمد بعض الناصريين هذه الرؤية أيضاً .

يحدد السادات تاريخاً بعينه ومكاناً لتأسيس الحركة .. ليلة ١٥ يناير ١٩٣٩م بجبل الشريف بالقرب من منقباد بصعيد مصر . فى ذلك الوقت ، كان هناك أربعة من الضباط برتبة الملازم ثان يخدمون ضمن وحدة عسكرية كبيرة ، وهم ممن التحقوا بالكلية الحربية فى ربيع ١٩٣٧م وتخرجوا فى نهاية عام ١٩٣٨م . وهؤلاء الأربعة هم : السادات ، وجمال عبد الناصر (ناصر) وزكريا محيى الدين بعد ١٩٥٢م ثم سفيراً لمصر بأسبانيا فى الستينات) . كان اليوم يوافق عيد ميلاد ناصر الحادى والعشرين ، ويقول السادات فى مذكراته : « فى أوائل عام ١٩٣٩ ، أسس ضباط منقباد جماعة ثورية سرية تستهدف تحرير البلاد » . وعقد أعضاؤها العزم على « محاربة الاستعمار والعرش والإقطاع .. وإقامة حياة ديمقراطية حرة ... ولم يكن أمامنا من سبيل إلا الثورة » .

واحد على الأقل من ضباط منقباد لم يكن جديداً على السياسة . فقد كان لناصر مشاركة نشطة فى التنظيمات السياسية ، وبين زملائه بالمدرسة الثانوية ، وذكرت الصحف اسمه عندما كان يبلغ من العمر ١٧ عاماً ، عندما اشترك فى نوفمبر ١٩٣٥م فى مظاهرة عاصفة ضد الإنجليز بالقاهرة ، وأصيب فى جبهته برصاصة من مدس أحد ضباط البوليس الإنجليزى . فى ذلك الوقت ، وباعترافه ، كان عضواً بالقمصان الخضراء التابعة لحزب « مصر الفتاة » وكان برنامج الحزب فى ١٩٣٣م ، يتحدد « أهدافنا : مصر فوق الجميع ، تأسيس امبراطورية عظيمة تتألف من مصر والسودان ، وتحالف الدول العربية وتترغم الإسلام » . وفى « الوصايا العشر » التى صدرت فى ١٩٣٨م كان على العضوان يلتزم - ضمن أشياء أخرى - بأن « لا تشتري إلا من مصرى » ولا تلبس إلا من صنع فى مصر ، ولا تأكل إلا طعاماً مصرى ، واحتقر كل ما هو إجنبي بكل نفسك ، وتعصب لقوميتك إلى حد الجنون » .

ويمكننا أن نستنتج أن مناقشات الضباط الشبان بمنقباد كانت تسودها هذه الروح ، وأنهم كانوا متفقين فى الآراء .

ويصف السادات مناقشات منقباد فى ١٩٣٩م - تماماً - كما لو كانت المجموعة آنذاك تبني شعارات الأيديولوجية الرسمية للدولة فى ١٩٥٥م ، فلا شك أن العداء للإنجليز كان موجوداً فى ذلك الحين ، ولكن لم يكن هناك عداء للعرش . ولا نرى - والقول للمروى الغربية والإسرائيلية - علامات هذا العداء عند الضباط إلا بعد يناير ١٩٥٢م . ففى ١٩٣٩م ، كان الشاب فاروق لا يزال معبود الشباب الوطنى المصرى ، علماً بأنه لم تكن

هناك « ديمقراطية حرة قوية » كالتي كانت هدفهم . وإذا ما استعدنا فترة الثلاثينيات ، فسنجد أن كلمة « ديمقراطية » كانت وصمة عار في قاموس الحركات الواقعة تحت النفوذ الفاشي .

تفرق الشاب الذي التقى في منقياد بين مواقع عدة ، بعد ذلك ، ما بين مصر والسودان . فانتقل ناصر إلى الخرطوم حيث التقى هناك بعبد الحكيم عامر وصاروا صديقين . كانا يعرفان بعضهما من قبل عندما كان عبد الحكيم طالباً بالكلية الحربية بالصف الثالث لناصر ، ولفترة كان ناصر معلمه .

لم تكن مجموعة الملازمين هذه - كما تقول الرؤية الغربية والإسرائيلية - المجموعة الوحيدة بالجيش المصري آنذاك ، بل ولم تكن أكثرها نشاطاً . فهي لم تكن منظمة ولم تشارك في أنشطة محددة . وتنحصر أهميتها في كونها فصلاً من فصول ما قبل تاريخ الضباط الأحرار . وأثناء الحرب العالمية الثانية ، لم يكن هناك نشاط ملحوظ سوى لمجموعة عزيز المصري والعناصر السرية الموالية للألمان . وكان أنور السادات واسطة الصلة بينهم .

وبعد هزيمة وسقوط الضباط المتمردين ، الذين ارتبطوا بألمانيا النازية، في مصر والعراق ، وبعد يأسهم من انتظار ألمانيا ، شهدت حركات التمرد في الجيوش العربية مرحلة تراجع ، لكن هؤلاء الضباط واصلوا تنمية أفكارهم السياسية وتدعيم روابطهم .

ومن بين الروابط ، كانت صلتهم بالإخوان المسلمين ، والتي ازدادت أهمية بتصاعد نفوذ الإخوان المطرود خلال الأربعينيات . وهنا أيضاً كان رجل الاتصال الرئيسي هو أنور السادات - الذي لا ينازعه أحد في مواهبه التأميرية . ويمرر السادات - وفقاً للرؤية الغربية والإسرائيلية - أنه التقى بحسن البنا المرشد العام للإخوان لأول مرة عندما كان على اتصال بعزيز المصري ، أثناء الاحتفال بالمولد النبوي في أوائل أبريل ١٩٤١ م . واستمرت الاتصالات منذ تلك اللحظة وحتى القبض على السادات في صيف ١٩٤٢ م . وأثناء فترة سجن السادات ، تولى الاتصال بالإخوان عبد المنعم عبد الرؤوف ، الطيار الذي حاول الحرب مع المصري ، فاعتقل ثم أفرج عنه في ربيع ١٩٤٢ م ، بعد أن قطع على نفسه عهداً بالكف عن أعمال التخريب . وأخذت صلة عبد الرؤوف بالإخوان تتوثق حتى أصبح معهم تماماً ، أيديولوجياً وتنظيماً . وكان لنشأته أثر في ذلك ، فهو سليل أسرة مشهود لها بالتدين وكان جده من مشايخ الأزهر . وعبد الرؤوف هو أحد مؤسسي « التنظيم السري » الإلهي للإخوان المسلمين ، وواحد من قادته الثلاثة في بداية الخمسينيات .

في الفترة ما بين ١٩٤٥ - ١٩٤٧ م ، عمل معظم الضباط الذين أصبحوا فيما بعد اللجنة

التنفيذية للضباط الأحرار ، في العديد من الوحدات القريبة من القاهرة ، وأقاموا علاقات قوية مع زملائهم وتبادلوا معهم الآراء ، وكسبوا من بينهم مؤيدين لهم . وفي خلال تلك الفترة تزايد عدد الضباط الذين اتنعوا بمجموعة ناصر ، وانضم إليها . ومن بين هؤلاء الملازم كمال الدين حسين من المدفعية والعضو السابق بالإخوان المسلمين ، وصلاح سالم اليوزباشي بالمدفعية وهو شاب موهوب ومتعصب ، استطاع خلال فترة قصيرة أن يصبح ركيزة من ركائز المجموعة ، وثرثرت عكاشة من ملازمي سلاح الفرسان وصهر أحمد أبو الفتح رئيس تحرير جريدة « المصري » الوفدية اليومية ، وخالد محيى الدين الملازم بسلاح الفرسان أيضاً وابن العم الأصغر لوكريا محيى الدين ، وهو اشتراكى انضم فيما بعد لـ « الحركة الديمقراطية للتححر الوطنى » (حدثو) الشيوعية . كما استعاد السادات أيضاً نشاطه . ففي نوفمبر ١٩٤٤م ، تمكن من الهرب من المعتقل ، واختبأ لفترة ثم أخذ يظهر علانية دون خشية من القبض عليه . وفي ١٩٤٥م ، عمل كسائق شاحنة ، ثم كصحفى ، ثم عاد للعمل مرة أخرى كمندوب اتصال بين الضباط والإخوان المسلمين ، والاشتراك فى العمليات الإرهابية . وبالرغم من أن دوره فى اغتيال أمين عثمان فى ٥ يناير ١٩٤٦م غير واضح تماماً فمن المعروف أن هذا الدور كان رئيسياً . وبعد عدة أيام قبض عليه مرة أخرى ، وظل فى السجن حتى نهاية ١٩٤٨م .

تركزت حرب فلسطين آثاراً عميقة فى أفكار هؤلاء الضباط الشبان . فهم لم يكونوا مؤهلين لإنجاز الأهداف التى أعلنت الحرب من أجلها . أى أى منع إقامة دولة يهودية واسترداد الأراضى التى قامت عليها المستوطنات - والقول للرؤية الإسرائيلية - وبعد ذلك بخمس سنوات ، يستشهد ناصر فى « فلسفة الثورة » بقول أحمد عبد العزيز قائد المتطوعين المصريين فى فلسطين ، بأن « ميدان الجهاد الأكبر هو مصر » . وهذه الكلمات لا تعتبر تحفظاً بالتلميح على محاربة الصهاينة . فعبد العزيز كان يعنى أن العدو الأكثر خطراً على الجيش المصرى هو النظام السىء فى الداخل ، وأن القضاء على الفساد الداخلى فى مصر هو شرط أساسى للقضاء على العدو اليهودى . وهذا ما فهمه ناصر ، فكراهيتهم لإسرائيل ، لا ريب فيها ، ولم يكن أحد فى ١٥ مايو ١٩٤٨ ، لا يغبط فاروق - من أعماق قلبه - على إعلان الحرب . بل أن عدداً من الضباط كان يرغب فى التطوع « بجيش الإنقاذ » بقيادة القواقجى قبل ذلك بخمسة أشهر ، حتى ولو أدى ذلك إلى انتهاك الانضباط ، وذلك لتوفير القوة البشرية والعتاد المصرى للمقاتلين العرب قبل أن تدخل مصر الحرب رسمياً . وعندما يؤكد ناصر على أن المعركة الرئيسية كان مفروضاً أن تكون فى مصر نفسها ، ويتباهى فى الوقت نفسه بتطوع رفاقه ، حتى قبل مايو ١٩٤٨م ويشيد بشجاعتهم فى القتال ، فلا تناقض فى الحالين .

ويروى البغدادي - وفقاً للرؤية الغربية والإسرائيلية - أنه قام في شتاء ١٩٤٧م - ١٩٤٨م ، بزيارة دمشق في مهمة رسمية بطائرة حربية ، حيث اتصل بالقواقجي . رأيت من واجبنا كعرب أن نفعل شيئاً لمستقبل العروبة وتحرير فلسطين . وقام ، بمساعدة حسين إبراهيم ، بتنظيم قوة للطيران تحت قيادة القواقجي تتكون من ١٥ طائرة سبتمبر و ٣ طائرات داكوتا . وكانوا يأملون ، في ١٩٤١ - ١٩٤٢م في تجنيد عدد من الطيارين من بين زملائهم . كما عرض ناصر خدماته وخدمات أصدقائه ، على المفتي الذي كان يعيش آنذاك في القاهرة . لكن المفتي رفض قبول الضباط المصريين دون موافقة حكومتهم .

وقد طلب عدد من الضباط من وزير الحرية السماح لهم بالتطوع في فلسطين . وفي ٢٠ أبريل ١٩٤٨م ، حصلوا على الإذن - كما تقول الرؤية الغربية - وكانت المجموعة تضم ١١ ضابطاً بقيادة أحمد عبد العزيز الذي سمي به القائد العام لقوات المتطوعين بحجة شمال فلسطين . كان عمره آنذاك ٤٠ عاماً ، وكان واحداً من أكثر الضباط المصريين شعبية وكفاءة ، وله تأثير كبير على طلابه بمدرسة قادة المدفعية حيث كان يقوم بتدريس التاريخ العسكري . وفي ٢٣ أغسطس ١٩٤٨م ، قتل برصاصة خاطفة أطلقها أحد الحراس العرب بالقرب من « جات » بينما كان مسافراً من بحر السبع إلى مجدل عسقلان . وهو القاتل بأن « ميدان الجهاد الأكبر هو مصر » بعد أن تفتحت عيناه في فلسطين ، وأدرك الفساد المتفشى في القاهرة . فحتى ما قبل رحيله إلى الحرب ، لم يكن يبدى في أفعاله أو خطاباته أية صورة من صور المعارضة . وزاد تقدير الضباط الأحرار له بعد موته ، وأصبحوا يعتبرونه مثلاً للجندي والوطنية الحقة ، ولم يتورعوا عن التلميح إلى إعجابه بأفكارهم ، إن كان هناك أفكار . أن أحمد عبد العزيز سليل أسرة أرستقراطية ، وابن لواحد من أميرات الجيش ، وحتى ربيع ١٩٤٨م لم يكن هناك أي خلاف بينه وبين النظام الذي عاش في كتفه ، ونال في ظله منزلة رفيعة .

كان الوحيد من جماعة ناصر والسادات الذي اشترك في مجموعة أحمد عبد العزيز ، هو البوزباشي كمال الدين حسين ، قائد مدفعية المتطوعين .

أما بقية زملاء ناصر فلم يكونوا ظاهرين في ربيع ١٩٤٨م ، ولم يرغبوا في الكشف عن أنفسهم ، ويروى ناصر في مذكراته أنه جرت محاولة في أبريل ١٩٤٨م للقيام بانقلاب ، لكن البوليس السياسي وضع الضباط المشتبه فيهم تحت المراقبة . فبدأوا يلتقون على فترات متباعدة ، حتى يجعلوا الشبهات عن أنفسهم .

في ١٥ مايو ١٩٤٨م ، صدرت الأوامر بإرسال كل من ناصر وصلاح سالم وزكريا

عيسى الدين مع عدد آخر من أصدقائهم إلى الجبهة . وكانوا قد أصبحوا آنذاك برتبة اليوزباشي أو الصاغ . عندما عاد هؤلاء الضباط من الحرب في ١٩٤٩م ، لم يكونوا نفس الرجال . فقد تغيرت آراؤهم وصارت أكثر وضوحاً . واستقبلوا . عند عودتهم إلى القاهرة ، استقبال الفاتحين ، وإن كانت الزينة والاحتفالات لم تهزمهم لأنهم كانوا على علم بهزيمة الجيش المصري . وبالرغم من ذلك فقد كانوا يرون أنفسهم كأبطال ، إذ أنهم أدركوا ، في النقب والقالوجا ، أن النصر حليف القوة التي تعنى مهمتها . ولم يمنحهم عجزهم عن الاستيلاء على النقب من التفكير في الاستيلاء على القاهرة ، بل كان حافزاً لهم .

وفي صيف ١٩٤٩م ، نضجت فكرة إنشاء تنظيم ثوري سرى ، ومما لا شك فيه أن الانقلابات العسكرية السورية خلال تلك الشهور ، قد أثرت في توجيههم ذلك . وبانتهاء عام ١٩٤٩م ، كان تنظيم الضباط الأحرار قد تأسس . وحتى ذلك الحين ، لم يكن هناك تنظيم متبلور كحركة ، أما منذ تلك الأونة فصاعداً ، فسوف يعمل ككيان منظم . وفيما بين ١٩٤٩ - ١٩٥٢م لم يكن الضباط الأحرار المجموعة الوحيدة التي تمارس نشاطها في أوساط الضباط المصريين . ولكن بعد نجاحها اهتم الجميع بتأكيد أهميتها وحدها . وأخذ أعضاؤها ينكرون دور المجموعات الأخرى ، بينما تؤكد التنظيمات الأخرى على أهمية دورها الذي لم يكن يقل أهمية - في نظرهم - عن دور هؤلاء الذين أصبحوا سادة البلاد . والحقيقة أن التمايز يكاد ينعدم بين التنظيمات المختلفة . فكل منها عبارة عن نواة يلفها محيط ، وكان هناك عدد من الضباط على علاقة بأكثر من تنظيم في وقت واحد .

وهناك زعم بأن أكبر هذه التنظيمات كان تنظيم الضباط التابع للإخوان المسلمين . وكان على رأس التنظيم محمود لبيب « الوكيل العام للإخوان المسلمين للشئون العسكرية » . وهو في الوقت نفسه قائد « التنظيم السرى » الإلهي التابع للإخوان . وكان التنظيمان على صلة أحدهما بالآخر . ولم يخدم لبيب ضمن قوة الجيش العامل مطلقاً ، ولهذا السبب أمكن له أن يصبح « القائد العام لقوات الإخوان المسلمين لإنقاذ فلسطين » في ١٩٤٨م . وقد مات في ديسمبر ١٩٥١م . وظلت هوية معظم الضباط التابعين للإخوان سرّاً ، ولم يتموا بالكشف عن أنفسهم سواء في عهد فاروق ، أو خلال حكم ناصر .

وكان السادات أيضاً يقود مجموعة تتبعه . وهو أيضاً - مثل لبيب - لم يكن بالخدمة العاملة في تلك الفترة ، فقد أعيد إلى الخدمة في ١٩٥٠م ، لكن صلته بزملائه الضباط ، بما فيهم ناصر وعزيز المصري ، لم تنقطع ، وكذلك علاقته بالإخوان . وفي نهاية المطاف ، اندمجت مجموعته في الضباط الأحرار .

وهناك مجموعة أخرى كانت تتبع اليوزباشى مصطفى كمال صدق من سلاح الفرسان ، والزوج الرابع للراقصة تحية كاريوكا . ويصف السادات هذه المجموعة بأنها « مجموعة إرهابية تضم ٢٣ شخصاً بين ضابط وصف ضابط ، وكان لها نشاط كبير » . خدم صدق بالمخابرات عامى ٤٦ - ١٩٤٧ م . وفى أوائل ١٩٤٨ م ، تطوع للحرب فى فلسطين ، مع الإخوان .. فى الظاهر . وفيما بين ١٩٤٨ - ١٩٥٢ م ، اشترك فى عدد من الاغتيالات السياسية ، وتقوم الشبهات حول اشتراكه فى عدد آخر منها . وفى ١٩٤٩ م حكمت عليه إحدى المحاكم العسكرية بالسجن لمدة سبع سنوات والطرود من الخدمة ، بسبب حيازته لأسلحة ومتفجرات بدون ترخيص ، وبعد فترة ، أصدر الملك عفواً عنه وعاد إلى الخدمة ، ويشاع أن فاروق نجح فى ضم صدق ورجاله إلى « الحرس الحديدى » . وفى أبريل ١٩٥١ م ، صدر فى حقه عقوبة التأنيب الشديد بسبب مهاجمته لرئيس الأركان على صفحات الجرائد ، ونقل من الفرسان إلى سلاح الحدود بالعرش ، ثم إلى إحدى الواحات ومنع من مغادرتها إلا بإذن خاص ، وفى أغسطس ١٩٥٤ م ، وبعد استيلاء الضباط على الحكم ، صدر ضده الحكم بالسجن خمس سنوات بتهمة الشيوعية . وقد كان لهذه المغامر علاقات مع كافة الأطراف .

وقد عبرت روح المعارضة تلك التى كانت سائدة بين صغار الضباط عن نفسها خلال نقاش جرى بين المؤرخ الإسرائيلى اليعازر وضابط مصرى شاب ، فى ١٤ يونيو ١٩٤٨ م . وبالرغم من أن الظروف كانت غير طبيعية (وقع هذا الضابط فى أسر القوات الإسرائيلية بالقرب من العسلوج ، قبل المقاتلة بثلاثة أيام) إلا أنه استطاع أن يعبر عن نفسه بصراحة ، فقد وجه نقداً لإسرائيل يتساوى فى عنفه مع ذلك الذى وجهه للحكومة المصرية . وقد قام الكاتب بكتابة نص النقاش حرفياً - بما فيه من عيوب ومزايا وبرغم ضآلة أهميته ، إلا أنه يعتبر شهادة معاصرة تساعدنا على استعادة الأحداث وتأملها .

والضابط هو الملازم محمد أحمد حسن من الكتيبة الأولى المضادة للدبابات ، والبالغ من العمر ٢٥ عاماً ، والابن الأكبر لواحد من ضباط بوليس القاهرة ، وهو يصنف نفسه ضمن أقصى اليمين ، سبق اعتقاله فى ١٩٤٧ م ، لمدة شهر للاشتباه فى اشتراكه فى محاولة اغتيال النحاس . أفرج عنه بعد ذلك مع عدد من زملائه بأمر من الملك . وبالرغم من أنه لم ينف أو يؤكد براءته من التهمة ، إلا أنه لم يرفض - من حيث المبدأ - الإرهاب الفردى ضد الزعماء الذين كان يعتقد يولائهم لبريطانيا . وكان يتباهى بعلاقته بغلاة الإرهابيين ، وصرح بأنه يعرف من الذى اغتال أمين عثمان ، وكان أمين عثمان الوزير الوفدى السابق للمالية والشديد الولاء لبريطانيا قد اغتيل فى ٥ يناير ١٩٤٦ م ، وكان أنور السادات أحد المقبوض عليهم فى هذه القضية ، وقد حكم على القاتل ، حسين توفيق ، فى ١٩٤٧ م بالأشغال الشاقة

المؤيدة ، وفي أواخر يونيو ١٩٤٨ م ، أى بعد أسبوعين من هذا النقاش ، تمكن حسين توفيق من الهرب . وفي ١٩٥٦ م ، عاد من منفاه بالأردن ، حيث عمل بالهيئة العامة للبتترول . وفي أغسطس ١٩٦٦ م ، حكم عليه بالمؤبد مرة أخرى ، للقيام بأعمال تخريبية ضد نظام ناصر ، أما محمد أحمد حسن فيعتبر نفسه من مؤيدي « مصر الفتاة » أو « الإخوان المسلمين » . وهو لا يرى فرقاً بين التنظيمين ويعتقد بأن لهم نفس الأهداف ، ولا يباعد بينهما سوى « الأطماع الشخصية » . وهو لا يرى أيضاً فرقاً بين الوفد والحكومة ، التي كان يسيطر عليها آنذاك النقراشي والسعديين . وكل ما هو مطلوب - في رأيه - المزيد من الإيمان الوطني ، وهو ما يفعله الشباب المثقف ، كما يرى . وهو معجب بفاروق : « الملك فوق كل شيء » ... قالها مثلما يقول آخرون « ألمانيا فوق الجميع » . وكان له تحفظات شديدة على اليسار . ويرى أن الميل نحو الاتحاد السوفيتي لن يؤدي إلا إلى استعمار جديد . ويعتبر جريدة « الجماهير » المعبرة عن الشيوعيين « جريدة كاذبة » . حاول أن يقرأ بعض كتابات ماركس لكنه لم يتمكن تكملتها . ولكنه شديد الإعجاب بكتابات نيتشة وشبنجلر . ويضع البريطانيين على رأس قائمة أعدائه ، لأنهم سبب كل ما تعانيه مصر من ضعف وفساد ، أما مسألة السودان فهي لن تحل إلا بالحرب . ويعزو إلى البريطانيين الدور الحاسم في إتاحة القوة اليهودية الكبيرة الصاعدة ، التي يعارض قيامها . « هم الذين أتوا بكم إلى هنا (أيها اليهود) أمدوكم بالمال والسلاح . لكن العرب سوف يتصرون في الحرب إن شاء الله » . وكانت الكلمة الأخيرة « إن شاء الله » صادرة من عزم وإخلاص عميق . وقال بأن العرب ، بعد أن ينتصروا سوف يحكمون البلاد عن طريق الانتخاب الحر . وهو يتحدث عن الفلسطينيين العرب بازدياد شديد . فقد جاء مع زملائه من أجل تحريرهم ، ولم يستطيعوا أن يقيموا صلة بهم ، وهو يشك في أنهم جميعاً « طابور خامس » أفسدهم اليهود بالخطر والنساء .

وتعتبر كلمات الضابط الشاب الأسير - وفقاً لرأى المؤرخ الإسرائيلي - تعبيراً نموذجياً عن الآراء والانطباعات التي كانت سائدة بين قطاع كبير من الضباط المصريين ، كما اتضح بعد ذلك ، فهي قرية من « الفلسفة » التي ظهرت بعد ذلك بسنوات في كتاب ناصر . أطلق سراح محمد أحمد حسن في ١٩٤٩ م ، واستمر في خدمة الجيش . وفي ١٩٥٦ م ، رقى إلى رتبة الصاغ ، وعين قائداً للحرس الوطني بمنطقة القناة ، وفي ١٩٦٤ م ، رقى إلى رتبة العقيد .

وعندما تأسس تنظيم الضباط الأحرار في أواخر ١٩٤٩ م ، تشكلت لجنة تأسيسية . وقد ضمت هذه اللجنة في بدايتها خمسة أعضاء ، ثم زيدت إلى عشرة بعد فترة قصيرة ، أما

الأعضاء الخمسة الأول فهم : ناصر ، وكال الدين حسين وحسن إبراهيم وخالد محيى الدين ، وعبد المنعم عبد الرعوف ، وكان الخمسة الآخرون هم : جمال سالم ، وعبد الحكيم عامر ، وعبد اللطيف البغدادي ، وأنور السادات . وظل خارج اللجنة كل من : ثروت عكاشة ، ويوسف منصور صديق ، وعلى صبرى . وكان من بين هؤلاء الضباط الأربعة عشر ، عشرة ضباط برتبة الصاغ واثنا برتبة البكباشي هما : جمال سالم ، يوسف منصور صديق ، واثنا برتبة اليوزباشي هما : حسن إبراهيم ، وخالد محيى الدين والبكباشي زكريا محيى الدين . وكانت أعمارهم تتراوح بين الثامنة والعشرين والثلاثين ، باستثناء يوسف صديق الذي كان عمره آنذاك ٣٩ عاماً .

لم يكن هؤلاء الشباب ضباطاً مجهولين ذاع صيتهم فجأة بعد انقلاب ١٩٥٢م ، فمن بين مائة يوزباشي رفقوا إلى رتبة الصاغ في نوفمبر ١٩٤٨م ، كان هناك أربعة لايزالون في ١٩٤٦م برتبة الملازم . وكان ثلاثة من أولئك الأربعة الذين حصلوا على ترقية استثنائية أعضاء باللجنة التأسيسية للتنظيم .. عامر ، وصلاح سالم ، وكال الدين حسين ، كما حصل ثلاثة آخرون على أوسمة بعد انتهاء حرب فلسطين ، وهم : ناصر ، والبغدادي ، وزكريا محيى الدين . وقد نال صلاح سالم شرف أن يكون أول مصرى يدخل غزة بعد رفع الحصار عن الفالوجا ، وتصدرت صورته الصفحة الأولى في جريدة « الأهرام » في أول مارس ١٩٤٩م . أما السادات ، فد كان ذائع الصيت بسبب مغامراته في العمل السرى مع الألمان أثناء الحرب العالمية الأولى ، ونشاطه مع الجماعات الإرهابية بعد ذلك .

كأن أن هناك خمسة من أولئك الضباط من خريجي كلية أركان الحرب ، هم : ناصر ، وصلاح سالم ، وزكريا محيى الدين ، وعامر ، وعكاشة . وقد تخرج جميعهم في الدفعة التاسعة بكلية الأركان التي بدأت في سبتمبر ١٩٤٦م ، وانتهت في مايو ١٩٤٨م ، وهى الدورة الوحيدة التي شهدتها الكلية في الفترة ما بين ١٩٤٥م ، ونهاية ١٩٤٨م . ولم يقبل بهذه الدفعة سوى ٢٦ ضابطاً من بين مائة ضابط تأهلوا للدراسة بها . وسوف يشغل معظم خريجي تلك الدفعة - إضافة إلى الخمسة السابق ذكرهم - بعد ذلك مناصب عسكرية وسياسية بارزة وهم : عبد المحسن كامل مرتضى ، قائد القوات المصرية في اليمن في ١٩٦٦م ... محمد صديق سليمان ، رئيس الوزراء في سبتمبر ١٩٦٦م ، كمال هنرى بادير وزير المواصلات بالوزارة المذكورة .

في ١٩٥٠م ، اختير ناصر رئيساً لتنظيم الضباط الأحرار ، وتشكلت من بين أعضائه الموجودين بالقاهرة « قاعدة » من كل من : ناصر ، وعامر ، وزكريا محيى الدين .

وقد قام التنظيم ، كما يذكر السادات ، على نظام الخلية وينقسم إلى خمسة أقسام : العضوية

والتدريب ، الأمن الإرهاب ، الدعاية ، والمالية .: أى تمويل الأنشطة ومساعدة أسر الأعضاء . وهو يؤكد على أن هذا الشكل التنظيمى كان قائماً بالفعل منذ ١٩٤٥ م . بيد أن التنظيم على أساس الأقسام ظل - فى الممارسة - حبراً على ورق ولم يؤخذ به .

فى أكتوبر ١٩٥٠ م ، ظهر أول بيان عن الضباط الأحرار ، وفى أكتوبر ١٩٥١ م صدر العدد الأول من « صوت الضباط الأحرار » وقد طبع من هذه النشرة سبعمائة نسخة وأرسلت للضباط بالبريد . واشترك فى تحريرها كل من ناصر ، وخالد محيى الدين ، وحسن إبراهيم ، وأنور عبيد .

لقد لعبت علاقة الضباط الأحرار بالكيانات السياسية الأخرى ، دوراً حاسماً فى تطور التنظيم ، وقد فرضت هذه المشكلة نفسها منذ ١٩٤٩ م ، وظلت تلازمهم - بصورة أولى - بأخرى - على الدوام . وكان اهتمامهم كبيراً بالمنظمات الجماهيرية القرية منهم .. الإخوان المسلمون حتى ١٩٥٤ م ، والبعث السورى فى ١٩٥٨ م ، ١٩٦٣ م وفقاً لما يقول اليعازر فى كتابه السابق .

وبالإضافة إلى الإخوان المسلمين - كما تؤرخ الرؤى الغربية والإسرائيلية - مد الضباط الجسور مع الشيوعيين والوفد . وكان خالد محيى الدين هو همزة الوصل ، وربما كان عضواً بمنظمة « حدتو » الشيوعية . وعن طريق خالد التقى ناصر بممثل الشيوعيين ، الذين ربما كانوا يعتقدون بأن الضباط من مؤيديهم أو حتى أعضاء بتنظيمهم . وحسباً يروى أبو الفتح ، فقد أدرجوا ناصر بتنظيمهم تحت اسم حركى هو « موريس » وبرقم عضوية ١١٧ . أما الوسيط الأساسى بين الضباط والوفد ، فقد كان ثروت عكاشة ، وكان ناصر يلتقى كثيراً بصهره أحمد أبو الفتح رئيس تحرير « المصرى » الذى عمل فى الأيام الأولى التى أعقبت الانقلاب كمستشار له ومتحدثاً باسمه ، وهى المكانة التى شغلها ، فيما بعد ، محمد حسنين هيكل ، وعن طريقه ، توافرت لناصر فى ٢١ يوليو المعلومات التى جعلته يحدد يوم ٢٣ يوليو كموعده للانقلاب ، وكان لناصر علاقاته بوقدين آخرين ، لكنه كان يخفى علاقاته المتعددة تلك ، ونجح فى إقناع كل منهم بأنه الوحيد محل الثقة . وكان قادراً على معرفة آرائهم وخططهم دون الإفصاح عن نواياه ، وعرف كيف يجمع أمور تنظيمه فى قبضته دون أن يكشف عن دوره أمام التنظيمات الأخرى ، كل ذلك من أهم قدراته ... كسب ثقة العديدين فى وقت لم يثق فيه سوى فى قلة محدودة . وقد أثار النصر الذى حققه الضباط الأحرار فى انتخابات نادى الضباط ، اهتمام غير المصرين أيضاً ، وبخاصة المخابرات الأمريكية . وكان الضباط أنفسهم يودون إامة صلات معهم كى يضمّنوا عدم تدخلهم عندما يحين

الوقت ، فالولايات المتحدة ، من منظور الضباط ، كانت أفضل الدول التي يمكن الاتصال بها . فهي القوة الأعظم ، ولا مصلحة لها في استمرار الأوضاع القائمة . كما أن الأمريكيين يسعون إلى وضع حد للنفوذ البريطاني في الشرق الأوسط كي يفوزوا وحدهم بعوائد النفط ، ويقفوا ، في الوقت نفسه ، في وجه التغلغل السوفيتي . وقد تحقق للضباط الاتصال بالأمريكيين على يد علي صبري قائد الأسراب بسلاح الطيران آنذاك ، وهو يمتلك عدداً من القدرات تؤهله لهذا الدور .. ذكاؤه الحاد ، وأصوله الأرستقراطية ، ثم موقعه بمخابرات سلاح الطيران . وأثناء إحدى حفلات الكوكيتيل التي أقيمت بالإسكندرية في ١٩ يوليو ، السبت السابق على الانقلاب ، أُلح بعض الضباط الأحرار إلى زملائهم الأمريكيين بعزمهم على الإطاحة بفاروق ، وقد دهشوا لرد الفعل المُشجع من جانب الأمريكيين . وفي الساعة الرابعة من صباح يوم ٢٣ يوليو ، أبلغ علي صبري نائب الملحق العسكري بالسفارة الأمريكية نبأ الانقلاب ، وأعطاه - باسم الحكام الجدد - تأكيداً لضمان أرواح وممتلكات الأجانب في مصر . وكان هذا أول عمل دبلوماسي يقوم به الضباط .

يشوب التقديرات المتاحة حول حجم عضوية الضباط الأحرار تضارب شديد ويفوق السادات ، بالطبع ، جميع التقديرات ، فهو يشير إلى أن التنظيم في ١٩٤٧م ، كان يضم أكثر من ألف ضابط . وهو رقم يعادل أكثر من ثلث عدد ضباط الجيش المصري في ذلك الحين . لكن نشرة « صوت الضباط الأحرار » لم يطبع منها في أكتوبر ١٩٥١م سوى سبعمئة نسخة كما سبق وأسلمنا . ويذكر لاکوتير أن التنظيم كان يضم عند وقوع الانقلاب « حوالي ٢٥٠ عضواً » . ويحدد خالد محي الدين ، في ١٩٥٨م عدد الأعضاء بـ ٧٠٠ فقط . وفي ١٩٦٢م ، يصرح ناصر بأنه « كان هناك بالقاهرة ٣٠٠ ضابط يؤيدوننا تأييداً مطلقاً » ولم يسمح للعديد منهم بالاشتراك في الانقلاب لأسباب أمنية ، وأن « ٩٠ ضابطاً لا يحملون سوى الأسلحة الصغيرة هم الذين استطاعوا السيطرة على أمة » . وإذا ما استبعدنا مبالغة السادات ، فإن التفاوت بين التقديرات المختلفة - يصبح على عكس ما يبدو للوهلة الأولى - ضئيلاً . فقد كانت هناك خلايا مغلقة تضم كل منها ما بين ١٠ - ١٥ عضواً . ترتبط بكل خلية حفنة قليلة من الرجال الذين يمكن الوثوق بهم وتكليفهم بالمهام ، وكل واحد منهم على صلة بواحد أو اثنين من أعضاء اللجنة التأسيسية دون علم بتفاصيل الهيكل التنظيمي أو البرنامج أو أسماء الأعضاء . وفيما بين يناير ويوليو ١٩٥٢م ، تنامت هذه المجموعة واجتذبت إليها كثير من المتعاطفين . وكان الخط الفاصل بين تلك الدوائر مرناً ، خاصة بين المتعاطفين وجموع الضباط . ولا نعرف من أسماء أعضاء التنظيم قبل الانقلاب ، سوى ما يزيد على الخمسين اسماً بقليل .

ولقد صدرت عن نجيب ، عندما كان يتحدث عن الفرق بينه وبين ناصر وفلسفته في ١٩٥١م ، ملاحظة بالغة الدلالة على أيديولوجية الضباط ، فهو يقول : « بما أن كلانا ليس فيلسوفاً فلربما كان الأفضل أن نسميها (ميكولوجية الثورة) . وهناك تفسير آخر يحمل نفس الروح قدمه عبد القادر حاتم ، إحدى الشخصيات البارزة بين الضباط الأحرار ، عندما قال : « أن الأسلوب الذي اتبعه زعماء الثورة كان يعتمد في مرحلة من المراحل على المحاولة والخطأ . وتمكنت الثورة في مرحلة تالية من وضع الأسس والقواعد » . وإذا كان الحال كذلك فيما بين ٥٥ - ١٩٥٩م ، فما بالك بما كانت عليه الأمور في الفترة من ٤٨ - ١٩٥٢ . ويمكننا القول - كما تقول الرؤية الغربية والأجنبية - أن الضباط الأحرار وطيون ورفضون الأوضاع القائمة ، لكنهم لم يكونوا يمتلكون أيديولوجية واضحة . ويمكننا أن نرى ذلك في بياناتهم التي صدرت قبل الانقلاب .

ثالثاً : الرؤية الناصرية لنشأة وتطور تنظيم الضباط الأحرار :

لقد ورد في الرؤية الغربية والإسرائيلية السابقة إشارات مستمدة من رؤية رجال يوليو الناصريين لتاريخ تنظيم الضباط الأحرار ، ولنشاطه وتعداده ، وأفكاره وغير ذلك ، ورغم ذلك تبقى بعض التفاصيل الهامة التي يريد مؤرخو الثورة من الناصريين (إن جاز التعبير) أن يوردها^(١) .

* وبداية يورد (أنور السادات) في كتابه (صفحات مجهولة) ، معلومات هامة جدية بالتسجيل لأنه فيما بعد تنصل من هذه المعلومات بل ونسب النجاح في تشكيل (الضباط الأحرار) ، وفي أحداث الثورة ذاتها إلى نفسه (انظر كتابه « البحث عن الذات ») ، إذن من المهم القراءة في كتبه الأولى ، لما لها من دلالة ، وأورد عبد الناصر أيضاً مذكرات هامة نشرت في مجلة المصور عام ١٩٥٢م وكذلك صلاح نصر في مذكراته وغيرهم من قادة الثورة .

وبداية يقول السادات في كتابه (صفحات مجهولة) :

« .. وكان جمال الذي يعمل هو جمال الناصح الذي مرت به تجارب السنوات الست الكثيرة . سنوات الحرب . وما تخللها من أحداث داخلية وخارجية . وما رآه فيها من هزات عنيفة ومن محاولات وطنية وأخرى خائنة ومن بطولات زائفة وأساليب خادعة ومن أوضاع غريبة حلت بالجيش أو فرضت عليه ... » .

(١) انظر قائمة تفصيلية بالمراجع الناصرية بشأن هذا الجزء في نهاية الكتاب .

وكان إخوانه الذين تعرف بهم وربطت بينه وبينهم أواصر الصداقة والاجتماع على الهدف قد بدلوا يندمجون فى صورة منظمة .

إن القصة الحقيقية للضباط الأحرار لم تكتب بعد . قصة التضحية وإنكار الذات قصة الجنود المجهولين الذين التفوا حول هذا الشاب طويل القوام . وآمنوا بفكرته وأحبوه . وامتمدوا إيمانهم من إيمانه .

وقد مرت عليه عملية الإعداد فى مراحل ثلاثة . الأولى خلال الفترة الواقعة بين سنة ١٩٤٢م وسنة ١٩٤٥م وهى فترة صعبة قام خلالها بنشر مبادئه وإشعال الروح الوطنية وكان أول وهج لذلك هو حادث ٤ فبراير سنة ١٩٤٢ ، الذى أهدرت فيه كرامة الوطن . ولقد كانت فرصة طيبة لكى يملأ قلوب الضباط بالحماس ووجد جمال فرصته فى التعرف إلى النفوس التى كانت حوله ، ومدى إيمانها بالعمل للوطن .

كان يستمع صامتاً . ويستدرج من يرى فيهم روى الوطنية إلى امتحان دقيق ، ويضعهم تحت الاختبار ، ومن هنا كان إخوانه وأعوانه نماذج صادقة من الوطنية والإيمان بمصر . والفداء والتضحية . كانوا . كأخاهم الأكبر . يؤمنون بأن يقدموا روحهم فداء لمصر . ويهبوا نفوسهم خالصة .

ودخلت الحركة فى الدور الثانى توا ، بين ١٩٤٥م ومايو ١٩٤٨م إذ بدأت تأخذ شكلاً منظماً وأصبح من حول جمال مجموعة كبيرة .

يقول جمال ه .. كنا مترددين - فى هذه الفترة - أول الأمر فى اللحظة التى نسلكها لتحرير الوطن . وهل نبدأ حربنا بالاستعمار أولاً أم نبدأها بأعوانه ، ولكن ترددنا لم يظل . إذ رأينا أن الاستعمار لا يستطيع أن يثبت أقدامه إلا باعتماده الكامل على أعوانه من الخونة أو الأشخاص الذين تتفق مصالحهم مع سياسة المستعمر المتقلبة المتغيرة حسب ظروفه وأهوائه فى تقريب الأشخاص أو الأحزاب .. ه .

وقد اعترضت طريق المرحلة الثانية عقبات ه كان أهمها عدم وجود الثقة فى النفوس . فالفرد لا يثق بنفسه ولا بزميله . وكانت هذه أصعب فترة مرت بنا . لذلك بذلنا جهدنا فى بث الثقة بين الضباط . وكنا ننتفع بالصداقات التى تربط الضباط بعضهم ببعض لإيجاد هذه الثقة وعدم إفشاء الأسرار الشخصية للأفراد ثم أسرار حركتنا .

واستطاع بذلك ضم أحرار جدد إلى صفوفنا فى الوقت الذى كانت المخابرات السرية والبوليس السىاى ينشط فى تعقب أى حركة . ولكننا نجحنا بفضل الإيمان بالله والإيمان

بالوطن والصبر والعزيمة .. » .

وقد روى أنور السادات قصة حدثت في هذه المرحلة تصور إلى أى مدى كان جمال عبد الناصر يصنع ثورته .

« .. كنت أتعجل وكان جمال يترث . حتى أتى اليوم الذى شكلت فيه وزارة المرحوم النقراشى عقب مصرع أحمد ماهر . وذهب النقراشى إلى السفارة البريطانية فقابلته كليرن على سلم السفارة . وكانت هذه القصة حديث مصر .

فقد كانت قصة بغیضة فاضحة . ولم يكن فى البلاد مصرى واحد يحتمل سماعها دون أن تفور الدماء فى عروقه ويهم بأى عمل يمكن أن يسمى من أعمال الجنود . فقد كانت خلاصة هذه القصة أن النقراشى لم يكذب بشئ إلى مطالب مصر حتى هز ذلك اللورد كتفيه فى استهتار وسخرية . وقال للنقراشى دعك من هذا الكلام فإن حديث الجلاء والوحدة ليس إلا حديث خرافة .

وكانت لطمة قاسية أردنا أن نردها .

وذهبت إلى جمال . وفى يدى خطة من التشكيل الشعبى لنسف السفارة البريطانية على كل من فيها . واستمع إلى جمال طويلاً . وناقش خطتى مناقشة كاملة . وأقر كل أطرافها وعناصرها . ولكنه فى آخر الأمر هز رأسه وقال لا : نحن لا نريد أن نعيد مأساة السودان التى وقعت منذ عشرين عاماً .

وكانت حملة فلسطين ونتائجها هى روح هذه المرحلة الخطيرة الحاسمة .

وكان جمال قد انتهاز هذه الفرصة فقدم استقالته ليشارك فى التطوع لفلسطين وليحارب بنفسه وكان ذلك قبل دخول جيش مصر الحرب بصفة رسمية . وقد اتخذ هذا القرار بالرغم من أنه لم يكن له ولأولاده مورد آخر ، ولكن طلبه رُفِض ، وتحقق أمله بأن سافر مع القوات المصرية وفقاً لما يورده أنور السادات .

« ... ومزارع الضباط الأحرار فى التطوع مع البطل أحمد عبد العزيز . وكان أغلب المتطوعين من الضباط الأحرار الذين سارعوا لتجدة لإخوانهم العرب واشترك الجيش المصرى فى حرب فلسطين ، وبدأت الحياة تظهر كل يوم بوجه جديد وبدأت النفوس تتحد بعد أن جمعتها الآلام ... » .

وكانت معركة فلسطين هى بؤرة الثورة . فهناك بين خطوط القتال وخنادق الحرب كان جمال يجتمع بصلاح سالم وعبد الحكيم عامر وزكريا محيى الدين وكمال الدين حسين وغيرهم

من زملائه . كانوا يتناجون بمصر وأمور مصر ، وقد تأكدت بينهم وحدة التفكير وروابط الثقة .

وكشفت فلسطين لجمال عبد الناصر عن دوره الحقيقي . وأكدت في نفسه حاجة مصر إلى القائد والزعيم والمنقذ .. فقد كشفت عن مخازر ومآسي جعلت أفكاره تتبلور ضد فاروق ورجاله ، وخاصة لما كان يلمسه من احتياجات الجيش إلى ذخيرة وإمكانات لا تتوفر له . ثم قصة المجدل التي كان الجيش يتوجه لأخذها بأمر من فاروق دون أن يكون لديه أى استعداد .

وكشفت فلسطين عن بطولة جمال عبد الناصر فقد قاد المعارك التي وكلت إليه بزوح عالية ، وكان يتصدر جنوده دائماً في المعارك .. مما أدى إلى إصابته برصاصة فوق القلب فأرسل إلى مستشفى غزة للنقاهة لمدة شهر ، ولكنه لم يحتمل البقاء في السرير ، فهرب بعد بضعة أيام وعاد إلى فلسطين .

ويصف جمال شعوره في هذه الفترة ، يقول :

« .. لقد كنا نحارب في فلسطين ولكن أحلامنا كانت في مصر . كان رصاصنا يتجه إلى العدو الرابض أمامنا في خنادقه .. ولكن قلوبنا كانت تحوم حول وطننا الذي تركناه للذئاب ترعاه » .

« .. وفي فلسطين كانت خلايا الضباط الأحرار تدرس وتبحث وتجتمع في الخنادق والمراكز .. » .

وقال الشهيد أحمد عبد العزيز أن ميدان الجهاد الأكبر هو في مصر .

وفي الفالوجا : كانت هناك تجربة أخرى .

« كانت الفالوجا محاصرة . وكان تركيز العدو عليها ضرباً بالمدافع والطيران تركيزاً هائلاً مروعاً . وكان جمال يقول لنفسه ها نحن في هذه الجحور محاصرين . لقد غرر بنا ودفعنا إلى معركة لم نعد لها .. لقد لعبت مطامع ومقدرات وشهوات وتركنا هنا تحت النيران بغير سلاح . » .

« وهذا وطننا هناك .. أنه فالوجه أخرى على نطاق كبير حاصرته المشاكل والأعداء وغرر به » .

وكان جمال أركان حرب الكتيبة السادسة بنادق وحوصرت في عراق المنشية . وهوجمت

مرتين . وانتصر جمال . انتصر بقوة أعصابه ومبادئه فقد استدعى نصف القوات العسكرية في الجانب الآخر من حدود المعركة دون أن يعلموا أن اليهود قد توغلوا هذا التوغل الخطير في صفوفهم واقتحم جمال المعركة بالمدد الجديد وانتصر ..

لقد شهد جمال معركة فلسطين منذ يومها الأول إلى يومها الأخير . من ١٦ مايو ١٩٤٨م إلى ٦ مارس ١٩٤٩م . فماذا أعطته . ماذا أمدت هذه الشخصية النائرة التي كانت تعد عدتها لعمل ضخم كبير .

لقد أعطته فلسطين الحقيقة الأخيرة .. الإيمان الأكيد بأنه على الحق .. وبأن مصر تمر بمرحلة الغروب . غروب الدولة الظالمة الفاجرة . المستبدة . ليشرق على يديه فجر جديد . والقول: لأنور الجندي في كتابه مصدر سابق ص ٤٩ .

ومن أهم هذه المواقف ليلة ٢٨ ديسمبر ١٩٤٨م . وقد روى جمال هذا الموقف الخطير وفي مذكراته المنشورة بمجلة المصور في نوفمبر ١٩٥٢م على النحو التالي :

« كان أخرج موقف هو ليلة ٢٨ ديسمبر سنة ١٩٤٨ - كنت أركان حرب الكتيبة السادسة التي كانت تحتل عراق المنشية في منطقة الفالوجا المحاصرة . وكانت عراق المنشية تبعد عن الفالوجا بحوالي ٣ كيلومترات ، وفي الساعة الثانية بعد منتصف الليل ، أبلغني قائد إحدى السرايا أن اليهود قاموا بهجوم ليلي ، وأنهم استطاعوا أن يتسللوا خلال سريتهم وأنهم يندفعون إلى داخل عراق المنشية ولم يكن عندي احتياط سوى عشرين جندياً فقط . ولكنني تمكنت بواسطة هذا الاحتياطي الصغير أن أسد المنافذ المؤدية إلى رئاسة الكتيبة . وبعد ساعة كان اليهود يحتلون ثلثي البلدة . ونحن تحتل الثلث الآخر . وكانت قواتنا موجودة في خنادقها حول البلدة ، كان الموقف غاية في الخطورة والخرج ، وكان الحل الأول هو طلب معونة من الفالوجا . إذ أن لديها قوات احتياطية كبيرة . وقد وعدوني بإرسال قوة أستطيع بها أن أقوم بهجوم مضاد لطرد قوات العدو من البلدة وبدأت أنفذ خطة أخرى هي سحب بعض الأفراد من القوات الموجودة بالخنادق لتعزيز الاحتياطي الموجود حول مركز رئاسة الكتيبة . وحتى الساعة الرابعة لم يصل أى شيء من الفالوجا . واستنتجت أنهم لم يبتوا في في : هل يرسلون قوة أم لا يرسلون وكان تفكيرهم أنهم لو فعلوا ذلك سيكون مصيرهم مثل مصيرنا تماماً . وهو القتل أو الأسر .

ولم يكن أمامي غير حل واحد في هذا الوقت العصيب الحرج . هو اعتمادنا على أنفسنا فأصدرت الأوامر بسحب جميع قوات الكتيبة من الخنادق وجمعها في ثلث البلد الذي كان

لا يزال في أيدينا ، وقد تم سحب هذه القوات بكل هدوء وعند أول ضوء من الصباح كانت جميع أفراد الكتيبة تقريباً تكون قوتين متقاربتين وبدأنا في تنفيذ خطة الهجوم المضاد لطرده اليهود . وكانت مفاجأة مذهلة لليهود ، الذين لم يتوقعوا انتظاراً ودامت المعركة الحامية من الساعة السادسة إلى التاسعة وانتهت بقتل ٣٠٠ يهودي وأسر خمسة منهم وفرت باقي القوات المعادية التي كانت في قلب البلدة . وعند الساعة الحادية عشر تقريباً استعادت قواتنا مراكزها حول البلدة .

» .. وعدنا من فلسطين في مارس ١٩٤٩م وبدأنا نجمع صفوفنا بعد أن تفرقت جموعنا . وقتل في الحرب عدد كبير من الضباط الأحرار . وتحلف البعض منا في الطريق . إذ رأى أنه لا أمل لنجاح خطتنا إلا بالاتصال بالملك السابق والاتحاد معه في حربنا مع المستعمر وأعوانه من الخونة . واتصلوا برجال الملك السابق فساقطهم شرورة ومفسده . وحادث بهم عن خطتهم . لقد كانوا وطنيين . ولكن الغواية أضلتهم عن الطريق الصحيح . ورأينا ازاء ذلك أن نخطط أعمالنا بكثير من الحذر لأن البعض يعرف الكثير من أسرارنا وهو متصل بالملك ورجاله .

وتظاهرت أنا وزملائي أمام هذه الجماعة بأننا صرفنا التشكيلات التي كنا أقمناها . وأنه أصبح لا هم لنا إلا أكل العيش .. » .

وكانت هزيمة فلسطين هي نقطة البداية .

عاد جمال وإخوانه بعد رفع حصار الفالوجا ... وما كاد يصل إلى بيته حتى حضر لزيارته من طلب إليه مقابلة رئيس أركان حرب الجيش الذي طلب إليه مقابلة رئيس الوزراء في ذلك الوقت (إبراهيم عبد الهادي) حيث وجهت إليه تهمة العمل ضد القصر ولندع جمال عبد الناصر يروي بقلمه قصة هذا التحقيق :

كان هذا أول تحقيق معي وأنا ضابط . ولو أنه لم يكن أول تحقيق معي . فقد أجروا معي عدة تحقيقات من قبل وأنا طالب بالمدارس الثانوية .

حضر إلّي أحد الضباط نحو الساعة الواحدة بعد ظهر يوم ٢٥ مايو . وأخبرني أن رئيس هيئة أركان حرب الجيش يطلبني لمكتبه . وسألني وهو مضطرب عما إذا كنت قد عملت شيئاً يستحق المواجهة فطلبت من زوجتي أن تبلغ عبد الحكيم عامر بأمر استدعائي إذا لم أعُدْ حتى الساعة الرابعة . فقد أحسست بالخطر وكانت التهمة الموجهة إلّي في ذلك الوقت هو تدريب المجاهدين في فلسطين .

وأجرى رئيس الوزراء التحقيق بنفسه معى . وقد دام هذا التحقيق سبع ساعات في حضور الفريق عثمان المهدي رئيس أركان حرب الجيش وحضر اللواء أحمد طلعت رئيس البوليس السياسى جانباً منه .

ولقد كانت أعصاب رئيس الوزراء ثائرة في ذلك اليوم . وكان يتألنى عن الضباط الذين اشتركوا معى في التدريب . وكان يهددنى بإحالتى إلى النيابة والبوليس لتأخذ الإجراءات معى . وقد كانت هذه الإجراءات تعنى الذى كان الشعب بأجمعه على علم به .

ولقد كنت مالكاً لأعصابى في ذلك اليوم . وطلبت منه أن يواجهنى بالبلغين .

وسألنى في التحقيق هل عندى أسلحة في منزلى . فقلت له عندى ذخيرة يهودية من فلسطين تبلغ حوالى ٢٠٠ طلقة مدفع ستين . ولقد فقد رئيس الوزراء الكثير من أعصابه في ذلك اليوم . وكان يقول لى بعد أن ضاق صدره من إصرارى وصمودى أمام تهديداته ، لا أدرى ماذا أعمل معك .. ضابط كبير مثلك قد تصدر إليه الأوامر فجأة لمقاومة أى حركة ثورية .. كيف يكون الوضع .. وكيف نطلب من الإنجليز الخروج .. والواضح على هذا الحال . أنكم تقولون أننى جبان ولست بجبان إلا في حالة واحدة فقط . وهى يوم يعتدى على إنجليزى واحد حتى ولو كان مرتدياً بنظولناً مقطعاً .

وكان رئيس الوزراء يقول في ثورته : هل تريدون أن يحتل الإنجليز القاهرة والإسكندرية . لقد وجدت في قصر الملك مفرقات .

وأنا أود أن أعرف ما الذى نعمله إذا جرى حاجة للملك فإن ظفر اصبع قدمه بالعائلة المالكة كلها .

وبعد سبع ساعات وكنت قد خرجت من مكتبه ليقوم رئيس هيئة أركان الحرب بمحاولة إقناعى بالاعتراف ثم طلبنى إبراهيم عبد الهادى مرة أخرى وقال : روح يا ابنى .

وطلب منى الفريق عثمان المهدي أن يتوجه معى لإحضار الذخيرة الموجودة في منزلى والننى حفظت في خزانة مدير المكتب القائمقام عبد العزيز فتحى حتى استولينا يوم ٢٣ يوليو على رئاسة الجيش ووجدنا عبد الحكيم عامر في خزانة مدير مكتب رئيس هيئة أركان حرب الجيش .

وانتهى التحقيق في الساعة الثامنة . وتوجهت إلى منزل عبد الحكيم عامر فوجدته قد اتصل ببعض الضباط الأحرار الموجودين في القاهرة . وكانوا مجتمعين به في منزله . وكان هذا أول يوم لى في الأجازة التى أخذتها من عملى في الإسماعيلية . وكانت لمدة شهر .

وقد بدأنا في وضع خططنا في ذلك اليوم . و في نهاية الشهر كان هملنا قد اجمع ورأينا أننا نحتاج إلى خمس سنوات لتعبئة ضباط الجيش حتى نستطيع التخلص من النظام كله ، أى أننا كنا سنقوم بحركتنا في عام ١٩٥٤م وليس في عام ١٩٥٢م كما دفعتنا الظروف والحوادث إلى التفكير في تنفيذ الخطة .

وتعددت بعد ذلك اجتماعاتنا في كل مكان وفي منازل متعددة .

« ونقلت في شهر أغسطس إلى القاهرة وبدأت في شهر سبتمبر ١٩٤٩م في التنظيم الجدى والخروج بالحركة إلى نطاق واسع ، فبنينا العيون في كل مكان في القصر وفي القيادة العامة للقوات المسلحة وفي البوليس السياسى ، وفي مختلف الأسلحة والوحدات ، وكانت هذه العيون تنقل إلينا كل المعلومات التى تصل إلى المسؤولين في ذلك الوقت عن حركة الضباط الأحرار .

وفي مذكراته يقول عبد الناصر :

ورأينا أن ننشر آراءنا ودعوتنا بين صفوف الضباط على نطاق واسع عن طريق المنشورات السرية .

واشترينا آلة رونيو لطبع المنشورات وآلة كاتبة وقام زملائنا من الضباط بشرائها ، وقد وضعنا هذه الآلة في منزل أحد زملائنا لأنه كان متصفاً بالمرح الذى يبعد عنه أى شبهة ، وبدأنا بطبع المنشورات في داره بكبرى القبة .

وصدر أول منشور للضباط الأحرار في شهر نوفمبر ١٩٤٩م ، وقد تضمن تحليلاً وسرداً للحالة ولأساسة فلسطين ، وكان جمال وإخوانه يقومون بتوزيع المنشورات على صناديق البريد ، وعلى فروع التوزيع في الوحدات والأسلحة المختلفة ، وكانوا يطبعون في المرة الواحدة ألف منشور ، وكانوا يحصلون على حاجتهم من الورق والحبر من الجيش ، وكان يتم توزيع المنشورات يتم بعضه بواسطة البريد والبعض الآخر باليد .

ثم انتقل زميلنا من منزله في القبة إلى حى يكاد يكون غير معروف فيه ، فانتقل إلى الجيزة ، واستمرت المطبعة في عملها وفي منزله حتى بدأت الثورة في ٢٣ يوليو .

وكان جمال وعبد الحكيم وكال الدين حسين وزكريا محيى الدين وحسين الشافعى يوزعون هذه المنشورات باليد في الجيش وكان البغدادي وحسن إبراهيم يقومون بالتوزيع في الطيران ، ووزع عبد الحكيم عامر وصلاح سالم باليد في فلسطين ، وقد قامت السلطات المختصة بضغط هذه المنشورات مرة واحدة في البريد ، إذ أنها شكت في محتويات ظروفها التى كانت من

مقاس واحد ، فغير جمال طريقة التوزيع بالبريد .

وكان لكل ضابط من الضباط الأحرار مهمته الخاصة ، فكان على البعض منهم مراقبة الضباط عند قراءتهم للمنشورات ونقل تعليقاتهم على ما جاء فيها وضم الأشخاص الذين يبدون تشجيعاً للحركة بعد وضعهم تحت المراقبة .

ويقول السادات في كتابه :

استمر جمال يعمل بهمة مع إخوانه في توسيع نطاق التنظيم ونشر الدعوة وتخوير المتنازين حتى سنة ١٩٥٢م .

وكان الملك السابق يبدى اهتماماً كبيراً بحركة الضباط الأحرار ، ويعمل للقضاء عليها ، وبدأ جمال وإخوانه يرتبون أنفسهم للمعركة ليكونوا مستعدين في أى وقت .

وفي أكتوبر ١٩٥١م أعلن رئيس الوزراء إلغاء معاهدة ١٩٣٦م ، وبدأت على أثر ذلك معركة القتال بين الفدائيين المصريين وبين الجنود الإنجليز وكان موقف الوفد بصفتهم الحزب الحاكم مخزياً .

وحمل جمال على أكتافه أكبر عبء في أعمال الفدائيين .

أن أحد لم يكن يعرف هذا الدور الضخم الذى قام له دون إعلان أو دعاية .

ولكن الموقف تحول تحولاً خطيراً حين حازت الخيانة القاهرة (٢٦ يناير ١٩٥٢م) ويصور السيد أنور السادات هذه الفترة فيقول : مثلما كان حادث ٢٦ يناير مفاجأة كبيرة لنا فقد كان أيضاً حافزاً على ضرورة تحديد موعد الحركة بصورة نهائية ، ولأن وقوع هذا الحادث كان ايذاناً ببدء عهد من النكبات والكوارث ، والإرهاب الملكى فى البلاد ، كان لابد بالطبع أن يوضع حد لهذا الجو الذى وجدت مصر فيه ، وكنا قد رتبنا أنفسنا على أن نضع هذا الحد مهما كانت عواقب المخاطرة .

وقد تساءل كثيرون لماذا لم تستغل حوادث ٢٦ يناير وخاصة أن قوات الجيش كانت تحتل الشوارع ، وكان التجول ممنوعاً بعد غروب الشمس ، ولكن جمال عبد الناصر يجيب على هذا السؤال بقوله : كان الوضع يستلزم المحافظة على الأمن فى البلاد وكانت الظروف لا تتحمل حوادث جديدة .

وهكذا يرى السادات الموقف العام قبل الثورة .

رواية أخرى : رواية صلاح نصر :

صلاح نصر أحد الضباط الأحرار ، ورمز مخيف فى ذهن المؤرخين لثورة يوليو . إذ أن مآسى المخابرات المصرية ارتبطت به ، وكان لرؤيته بحكم موقعه فى تلك الأجهزة ، أهمية مما يقول عن الثورة وتنظيم الضباط الأحرار .

يقول صلاح نصر فى مذكراته :

(كان من الأخطاء الجسيمة التى تنسب إلى تاريخ الثورة ، أنها لم تحفل بتسجيل أحداثها فى حينها ، وبخاصة أحداث فترة الإعداد للثورة .. ولذا تحدث الكثيرون عنها سواء كانوا مشاركين فيها أو مراقبين لها .. وتجاوز البعض حدود الحقيقة إما لإظهار نفسه بصورة البطولة ، وإما ليبدو أنه عليم بواطن الأمور ، قريب من أصحاب النفوذ .. وخرجت على السطح صورة مشوهة متناقضة ، كانت الأساس الذى بنى عليه البعض تنظيم الضباط الأحرار فى خيالهم) .

فمن قائل أن تنظيم الضباط الأحرار يرجع إلى عهد بعيد منذ قيام الحرب العالمية الثانية ومن قائل أنه تم تشكيله قبل ذلك عام ١٩٤٢م إلى غير ذلك من المعلومات التى لا أساس لها .

وساعد على بلبلة أفكار الناس انتماء بعض الضباط الأحرار قبل انضمامهم إلى التنظيم إلى بعض التيارات السياسية مثل جماعة الإخوان المسلمين أو إلى التيار الماركسى الذى كانت تمثله الأحزاب الشيوعية المصرية ، والتى كانت تعمل بأسلوب العمل السرى ، ناهيك عن تنظيم الضباط الوطنيين الذى كان يتزعمه رشاد مهنا والذى كشفت السلطات عنه النقاب فى أواخر الأربعينات ، كذا الأحزاب التقليدية التى كانت قائمة قبل الثورة وبخاصة أحزاب الوفد والسعديين والأحرار الدستوريين .. أما ما يقال عن حركة عزيز المصرى ومحاولته الهرب فى طائرة حربية إلى أعداء الإنجليز ، فلم تكن سوى عملية صغيرة محدودة ، ولم يكن لها أدنى علاقة بتنظيم الضباط الأحرار الذى لم يكن قد تكون بعد ، اللهم إلا من ناحية انضمام بعض الضباط الذين كانوا على اتصال بعزيز المصرى إلى تنظيم الضباط الأحرار وبعد تكوينه فيما بعد .

حقاً كانت هناك عدة تيارات سياسية داخل الجيش المصرى قبل قيام الثورة، لكنها كانت محصورة وضيقة ، وكانت أغلب هذه التيارات تركز على المسائل الحيوية المصرية ، التى كانت تشغل رأى العام المصرى حينئذ وأهمها قضية التحرير من الاحتلال البريطانى وإقامة حياة ديمقراطية سليمة تحقق عدالة اجتماعية ، وتقضى على فساد الأحزاب

على أن تشكيل تنظيم الضباط الأحرار بدأ حقيقة في حصاد حرب ١٩٤٨ م . كانت هناك هزيمة الجيوش العربية مجتمعة أمام عصابات إسرائيل ، وفرض مجلس الأمن الهدنة في ظروف ليست في صالح العرب ، فضلاً عن المعلومات التي ذاعت بين ضباط الجيش المصري عن الأسلحة الفاسدة ، ومتاجرة الملك فاروق بأرواح ضباطه وجنوده .. كل هذا كان له أكبر الأثر على تجمع كثير من الأفكار بين ضباط الجيش .. ولم يكونا في حاجة إلى أكثر من تجمع كثير منهم في تنظيم يعمل بالأسلوب السري ، ويشكلو أنفسهم في خلايا أشبه بتلك الحلقات المعروفة في العمليات السرية . وهكذا قام عبد الناصر في أواخر عام ١٩٤٩م بإنشاء نواة تتكون من ستة من الضباط ، أطلق عليها اسم « الهيئة التأسيسية للضباط الأحرار » ضمت كلاً من البكباشي أركان حرب جمال عبد الناصر ، والبكباشي عبد المنعم عبد الرؤوف ، والصاغ أركان حرب عبد الحكيم عامر بممثلين عن المشاة والرائد حسن إبراهيم ممثلاً للطيران ، والرائد أركان حرب كمال الدين حسين ممثلاً للمدفعية ، واليوزباشي خالد محبى الدين عن المدرعات . على أن البكباشي عبد المنعم عبد الرؤوف أبعد عن الهيئة ، ولم يفصل من التنظيم وذلك لمحاولته احتواء تنظيم الضباط الأحرار داخل جماعة الإخوان المسلمين التي كان ينتمى إليها .. ولذلك ظل يعمل في إحدى خلايا التنظيم حتى قيام الثورة . وقامت الهيئة التأسيسية بتكوين خلايا داخل الجيش ، وكان كل عضو في هذه الخلايا الرئيسية يكون بدوره خلية في تشكيله أو وحدته العسكرية .

وفي عام ١٩٥١م اتسع نطاق رئاسة تنظيم الضباط الأحرار فأضيف إليه كل من الصاغ أركان حرب صلاح سالم وعبد اللطيف بغدادى .. وكان أنور السادات قد أعيد إلى الجيش وضم إلى تنظيم الضباط الأحرار ووافقت الهيئة التأسيسية على ضمه إليها .. أما جمال سالم فقد ضم في أواخر عام ١٩٥١م بعد عودته من الخارج على نحو ما مبين فيما بعد .

والواقع أن الهيئة التأسيسية هذه كما كنا نطلق عليها كانت حبراً على ورق .. فمعظم أعضائها موزعون بين المناطق والتشكيلات العسكرية وكانت تنقلات ضباط الجيش تحتم على التنظيم إعادة تشكيل الخلايا في بعض الأحيان .

وللتاريخ فقد كان عبد الناصر هو العقل المدبر للتنظيم بينما كان عبد الحكيم عامر هو الدينامو أو المحرك لنشاطه وبلا شك كان له الفضل في تجنيد أكبر عدد من الضباط الأحرار .

(١) صلاح نصر : ثورة يوليو بين المسير والمسير : الجزء الأول : الأصول ، مطبوعات مؤسسة الإتحاد للصحافة والنشر - دى - ١٩٨٦م ص ١١٣ .

ويرى صلاح نصر في مذكراته أيضاً أنه قد كثر الحديث عن عدد الضباط الأحرار المنتمين للتنظيم ، فبينما قال البعض أن التنظيم كان يضم ما يربو على مائة ضابط من مختلف الأسلحة ، قال آخرون أنه وصل المائتين ، وزعم قائلون بأنه أكثر من الخمسين بقليل ... وكل هذه التقديرات غير صحيحة .. فحتى عام ١٩٥٥م كان هناك عدد من الضباط الأحرار غير معروفين ، فكلفني عبد الناصر وكنت أعمل حينئذ مديراً لمكتب القائد العام للقوات المسلحة ومسؤولاً عن التوجيه السياسي داخل القوات المسلحة بحصر أسماء الضباط الأحرار .

وكنا قبل قيام الثورة ندفع اشتراكاً شهرياً قدره خمسة وعشرون قرشاً كاشتراك رمزي وللصرف منه على طبع المنشورات الخاصة بالتنظيم ، وكان نظام الخلايا لا يسمح لعضو في خلية أن يتصل بأى عضو آخر في خلية أخرى أو حتى يتحدث مع أى إنسان دون إذن من رئاسة التنظيم .

وقد قمت بحصر أسماء الضباط الأحرار بالاستعانة ببعض أعضاء الخلايا ، وكان عبد الناصر هو الشخص الوحيد الذى يعرف أغلب أسماء الضباط الأحرار وإن كان لم يرههم جميعاً .

ولكى يكون الحصر سليماً قمنا بتقسيم الضباط الأحرار إلى مجموعتين : مجموعة اشتركت في خطة ليلة الثورة وتنفيذها سواء بتحركها بقوات من الجيش ، أو الاشتراك في عمليات اعتقال كبار الضباط ، وهذه المجموعة هي التي استولت على السلطة في القاهرة صباح ٢٣ يوليو ، ومجموعة أخرى تنتمي إلى تنظيم الضباط الأحرار ولكنها لم تشارك في أحداث ليلة ٢٣ يوليو لكونها كانت خارج العاصمة موزعة على تشكيلاتها العسكرية في المناطق العسكرية المختلفة وهذه المجموعة قامت بتأمين وحداتها صباح ٢٣ من يوليو .

وقد بلغ عدد الضباط الأحرار وفقاً لهذه الكشف ثلاثمائة وتسعة وعشرين ضابطاً حراً اشترك منهم فعلاً في أحداث ليلة ٢٣ يوليو ما لا يقل عن ثمانين ضابطاً حراً .

وفى مثل ظروف الثورة يدعى البعض أعمال البطولة وينسبون لأنفسهم أعمالاً لم يقوموا بها ، أو يزعمون بأشياء غير حقيقية ولذا جاءت المعلومات عن أحداث الثورة خالية من الدقة بل مشوهة في كثير من الأحداث .

وربما كان هذا ما دفعنى إلى أن أكتب بالتفصيل خطة تنفيذ الثورة ودور الكتبية الثالثة عشرة مشاة وأسماء الضباط الذين اشتركوا فيها . لا للتباهى والتفاخر ولكن إقراراً للحق وتسجيلاً للتاريخ ، فقد ضاعت أسماء بعضهم في نسيان التاريخ .

أعود للحديث عن رئاسة تنظيم الضباط الأحرار ، التي بلغ عددها تسعة أفراد وقد ظلت

هذه الرئاسة مجرد تنظيم على ورق حتى قيام الثورة .. وكان عبد الناصر ينصل بأفرادها وفقاً للظروف والتطورات وبخاصة أن نصف عددها كان يعمل خارج القاهرة في السنة الأخيرة قبل قيام الثورة .. وكان هؤلاء منضمين إلى خلايا في المناطق التي يعملون بها .

وكنا قبل الثورة نحاول أن نبحث عن رتبة كبيرة تصلح لكي تكون واجهة مقبولة لتولى رئاسة الثورة ، فقد كانت معظم رتبنا العسكرية تتراوح بين رتب البكباشي والصاغ واليوزباشي والملازم ، أى أن معظم الضباط الأحرار كانوا من الرتب الصغيرة والمتوسطة .

ومن الأسرار التي يوردها صلاح نصر في مذكراته أنه كان قد تم الاتصال قبل قيام الثورة باللواء أركان حرب أحمد فؤاد صادق ، وكان يتمتع بشهرة مرموقة بعد تعيينه قائداً عاماً للقوات المصرية في فلسطين عام ١٩٤٨م بعد أن خلف اللواء الموادي القائد السابق .. كما كان يتمتع بشخصية محترمة ، وكان من الضباط القلائل القدامى الذين درسوا في كلية الأركان حرب ، فضلاً عن أنه كان ينتسب إلى أصل سوداني .

ولذا كان يعد اللواء أحمد فؤاد صادق واجهة مناسبة لتقديمه للشعب كقائد للثورة .. ولكن حدث ما خيب الآمال ، فحينما فاتحه صلاح سالم في الأمر بتكليف من الثورة اعتذر اللواء صادق وقال : أقسمت بيمين الولاء لمولانا الملك ، ولكن إذا نجحت الثورة فسأكون أول من يساندها .

فطرحنا هذه الفكرة جانباً .. والحق أن الرجل مع أنه رفض الانضمام إلى تنظيم الضباط الأحرار ، فقد احتفظ بالسر ، وكان في استطاعته تبليغ الملك بنشاطنا ، وبخاصة أنه كان محل ثقة من الملك .

وانجهدت أنظار الثورة إلى شخصية أخرى .. ووقع الاختيار على اللواء أركان حرب محمد نجيب ، وكان يتمتع بسمعة طيبة وكفاءة مشهورة .

وكان علينا كتنظيم سرى أن نجري اختباراً لمدى شعبية نجيب في الجيش ، ولمدى قوتنا في الصراع مع الملك ، ومن ثم كانت أزمة انتخابات النادى التي تحدثت عنها سلفاً .

على أن ثمة قصة حدثت لعبد الناصر في عهد وزارة إبراهيم عبد الهادى عام ١٩٤٩م كادت تفشى بالتنظيم .. ذلك أن عبد الناصر استدعى يوماً إلى مكتب الفريق عثمان المهدي رئيس أركان حرب الجيش وانتظر في مكتب البكباشي عبد العزيز فتحى مدير مكتبه .. وبعد فترة وجيزة استقل الثلاثة السيارة إلى مكتب رئيس الوزراء دون أن يعرف عبد الناصر أسباب استدعائه .

وأثناء انتظاره في مكتب سكرتير رئيس الوزراء أحس عبد الناصر بنوع من القلق ، إذ كان يعمل في جيبه بعض الأوراق التي قد تكشف نشاطه السري ، فضلاً عن بعض أسماء الضباط الأحرار ، فاستأذن كمر يذهب إلى دورة المياه وفي المرحاض أخرج هذه الأوراق ومزقها ثم ألقي بها في المرحاض وعاد إلى مكتب السكرتير .

وأحس عبد العزيز فتحى بأن عبد الناصر قد تخلص من بعض الأوراق فسأله : هل معك أوراق سرية ؟ أجاب عبد الناصر : لقد تخلصت منها .

ودخل عبد الناصر لمقابلة رئيس الوزراء الذى حذره من أى نشاط سياسى ، ولم يفهم عبد العزيز فتحى بشئ عن الأوراق وكان لهذا التصرف أثر طيب في نفس عبد الناصر الذى ظل يذكر هذا الحادث على أنه ضرب من المروءة من عبد العزيز فتحى .. فلما جاءت الثورة كان عبد العزيز فتحى من الضباط الكبار القلائل الذين استمروا في العمل وكان محل ثقة كبيرة من عبد الناصر .

سردت هذا الحادث لأن عبد الناصر كان يعده من الأحداث المهمة ، فلو قدر أن قام أحد بتفتيشه وعثر على هذه الأوراق لكانت أضرت كثيراً بقضية الثورة .

وما أن تم للثورة النصر ، حتى بدئ في إعادة تشكيل مجلس قيادة الثورة .. قبلإضافة إلى الأفراد التسعة الذي شكلوا الهيئة التأسيسية قبل قيام الثورة ، أضيف في الخامس عشر من أغسطس ١٩٥٢م إلى رئاسة التنظيم كل من اللواء محمد نجيب ، والقائمقام يوسف صديق ، والبكباشى زكريا محيى الدين ، والبكباشى حسين الشافعى ، والقائمقام عبد المنعم أمين .

والواقع أنه لم يكن هناك تشكيل حقيقى للمجلس قبل قيام الثورة ، فلما قامت الثورة أصبح من الضرورى إنشاء رئاسة تسير الأمور التى واجهت الثورة بعد الاستيلاء على السلطة .. وقد روعى في هذا التشكيل تمثيل الأسلحة جميعها في المجلس ، ووضع عامل الأقدمية محل الاعتبار بقدر الإمكان حتى لا تسود الفتنة بين الضباط الأحرار ، وبخاصة بين الذين كانوا يطعمون إلى الانضمام إلى المجلس ، ويرون أنهم أحق من بعض من عينوا في المجلس .

كان هذا التشكيل من الأسباب الرئيسية لثبرم كثير من الضباط الأحرار في الأسلحة المختلفة ، وفي أزمة اعتصام سلاح الفرسان عام ١٩٥٤م ، ثم المطالبة بإعادة تشكيل مجلس الثورة على أساس انتخاب حر بحرية الضباط الأحرار ويمثل الأسلحة المختلفة بنسب عادلة .

وقد حاولت السراى احتواء تنظيم الضباط الوطنيين ، ففكرت فى إنشاء حرس سرى خاص بجمعى الملك ، ويقوم باغتيال خصومه من تنظيم الضباط الوطنيين .

وفعلأً تم إنشاء الحرس ، وعرف هذا الحرس باسم الحرس الحديدى استقطب بعضاً من ضباط تنظيم الضباط الوطنيين عن طريق الدكتور يوسف رشاد الطبيب بالخدمات الطبية والذى انتدب للسراى ليعمل طبيباً خاصاً للملك ويأوراً له .

ولقد قام هذا التنظيم بعدة عمليات إرهابية منها إطلاق الرصاص على مصطفى النحاس فى ٥ من أبريل عام ١٩٤٨م فى محاولة فاشلة لاغتياله ، كذا محاولة نشف منزله بسيارة محملة بالديناميت فى الخامس والعشرين من أبريل .

ومع أن هذا التنظيم لم يكن له أى انتهاء رسمى للسراى أو الجيش . فقد كان محمد حيدر وزير الدفاع يعلم به ويباركه ويشد من أزره .

وكان من أفراد البارزين الضباط مصطفى كمال صدق وعبد الرؤوف نور الدين ، وحسن فهمى عبد المجيد ، وسيد جاد .. كما انضم إليه أنور السادات عن طريق الدكتور يوسف رشاد .

على أنه يجدر بى أن أنوه عن تشكيل هذا الحرس الحديدى وكيف تم انتقاء ضباطه . كان قد تشكل تنظيم سرى فى الجيش من الضباط أطلق على نفسه اسم « الضباط الوطنيين » وكان زعيم هذا التنظيم البكباشى رشاد مهنا (الوصى على العرش بعد قيام الثورة) . وكان رشاد مهنا من الضباط المشهود لهم بالكفاءة والسمة الطبية والوطنية . كان هدف هذا التنظيم توعية ضباط الجيش لما يجرى من فساد فى البلاد والقيام بعمليات اغتيال لبذور الفساد .

وفعلأً قامت هذه الجماعة بإصدار منشورات سرية نددت فى بعضها بفساد قيادة الجيش تحت رئاسة إبراهيم عطا الله رئيس أركان حرب الجيش فى ذلك الوقت ، بل وصل الحد إلى قرار اغتياله .

ولكن لم يكتب لهذا التنظيم الاستمرار ، إذ سرعان ما انكشف للسلطة - بعد أن وشى بهم أحد الصولات - وتم القبض على أفراد التنظيم تمهيداً لمحاكمتهم .

ولكن السراى لم تقدم أفراد التنظيم للمحاكمة ، وصدرت الأوامر بالإفراج عنهم ، وإعادتهم إلى الجيش ، ويبدو أن ذلك يرجع إلى عدم رغبة السراى فى إثارة البلبله بين ضباط

الجيش ، ومحاولة احتواء هذه المجموعة لخدمة الملك .

ولذا لم يكن غريباً أن ينحى إبراهيم عطا الله « الذى قررت الجماعة اغتياله » من مركز رئيس أركان الحرب للجيش وتعيين بديل عنه عثمان المهدي الذى أمضى أغلب خدمته في ياوران الملك فاروق .. ثم ينجىء محمد حيدر من خارج الجيش - وهو ضابط سجون - ليعينه الملك في منصب وزير الحرية. ، بأمل أن يسيطر على الجيش .

ولكن هذا التعيين لم يكن مؤقتاً ، إذ لقي استياء عاماً بين ضباط الجيش وبخاصة الضباط من الرتب الوسطى والصغيرة .. وكان ذلك محل نقد وجدال بينهم ^(١) .

رابعاً : الرؤية الإسلامية لنشأة تنظيم الضباط الأحرار :

سوف نورد هنا ودون تدخل الا في الهامش وفي حدود البحث العلمى رؤية إسلامية هامة لمفكر إسلامى شاب ينتمى إلى حركة الجهاد الإسلامى في مصر ، وهو (أسامة حميد) ^(٢) ، ونظراً لما يتمتع به من عمق ودقة في الرؤية فإننا لن نخذف كلمة مما قاله ، وذلك لأهميته من ناحية ، وأيضاً حتى نكون موضوعين أيضاً في تناولنا لتاريخ هذه الفترة ، وهذا وسوف نورد رؤية الإسلاميين في جميع مراحل وأجزاء هذه الموسوعة انطلاقاً من القنوات التى أوردناها في المقدمة ، والآآن ماذا يقول أسامة حميد في رؤيته لتنظيم الضباط الأحرار ؟ يقول :

عندما كان الإخوان ينشئون تنظيمهم السرى (١٩٤٠ م) - كان حسن البنا يكلف نائبه محمود ليبب بتكوين وإدارة تنظيمين سرين في كل من الجيش والشرطة ، وبالطبع كان لابد من اختيار اسم للتنظيم يبعد به عن الارتباط بالإخوان - فاختار محمود ليبب لتنظيم الجيش اسم « الجنود الأحرار بالجيش » وأحياناً « الضباط الأحرار » .

وفي ديسمبر ١٩٤١م أرسلت « لجنة الجنود الأحرار بالجيش » عريضة إلى الملك طالبت بما يلي :

- ١ - بث الروح في أفراد الجيش المصرى ضد الجيش البريطانى .
- ٢ - مقابلة الاعتداء بالاعتداء ﴿ ومن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم ﴾ .
- ٣ - القبض على أى فتاة مصرية تسير مع أى جندى بريطانى .
- ٤ - الإفراج عن عزيز المصرى وعن عدد من الطيارين .
- ٥ - إلغاء معاهدة ١٩٣٦ م .

(١) صلاح نصر : مصدر سابق ص ١١٦ .

(٢) أسامة حميد - موجز تاريخ مصر فى الحقبة العلمانية - بحث بدون ناشر - القاهرة ١٩٨٦م .

٦ - منح الجندي حق محاربة ما يخل بالقانون .

كان أول من انضم للتنظيم لثان : عبد المنعم عبد الرؤوف وحسين حموده - قاماً بدورهما بضم خمسة من زملائهم (عبد الناصر - كمال الدين حسين - سعد حسن توفيق - خالد محيى الدين - صلاح الدين خليفة) .
وكون هؤلاء الخلية الرئيسية التى تفرعت عنها فيما بعد سلسلة من الخلايا^(١) .

ويذكر السادات أن الضباط عرضوا على حسن البنا خطة لإبادة الجيش الإنجليزى عند عودته من العلمين ولكن البنا أجهد باليكاء « فلم تكن هناك قوة كافية لتنفيذ الخطة »^(٢) .
كان محمود لبيب هو المشرف على اجتماعات كل الخلايا^(٣) وكان هو الوحيد الذى يعرف أفراد التنظيم كله - وفى البداية دار جدل بين حسن البنا ومحمود لبيب (وربما اشترك فى النقاش آخرون) حول ما إذا كان ينبغي الاهتمام بغرس القيم الإسلامية فى نفوس الأعضاء أم يكفى بتجميع العناصر الوطنية المتحمسة ثم يأتى تحويلهم إلى الإسلام فى مرحلة لاحقة - وفى النهاية انتصرت وجهة النظر الأخيرة - وهكذا كان كثير من أعضاء التنظيم لا يحملون الفكر الإسلامى - وكانت كل أفكارهم لا تعد وبعض التصورات السطحية الهلامية .

ولكن بسبب النضال ضد الإنجليز وشن الإخوان لحرب عصابات فى عام ١٩٤٦م - فقد قام أفراد التنظيم بمبايعة الإخوان وقام بعض أعضائه بتدريب التنظيم السرى للإخوان (الذى كان يقوده السندى) بهدف مواصلة النضال ضد الإنجليز^(٤) .

ويبدو أن عبد الناصر كان أكثر تحمساً - بدليل أن محمود لبيب عندما اعتلت صحته أفضى بأسرار التنظيم لعبد الناصر - وفى الحقيقة أن محمود لبيب رغم مركزه الهام داخل الإخوان - كان (متساهلاً) فى بعض أفكاره ولم يكن يرى تعارضاً بين الوطنية المصرية

(١) كان من أعضائها : عبد اللطيف البغدادى - عبد الحكيم عامر - السادات - ثروة عكاشة - توفيق عبده - إسماعيل - إبراهيم الطحاوى - صلاح سالم - حسين الشافعى - حسن إبراهيم .

(٢) أنور السادات : أسرار الثورة المصرية ط ١٩٥٧م ، ص ٩١ - ٩٢ .

(٣) فى مذكراته التى نشرها بمجلة المصور (٣١ / ١٠ / ١٩٥٢م) قال عبد الناصر أنه انضم للتنظيم الذى كان يقوده الصاع م . ل . ومع ذلك قال عبد الناصر فى مرحلة لاحقة أنه هو مؤسس التنظيم - ثم قام السادات بدوره بأداء تأسيسه للتنظيم وأنه « سلم لعبد الناصر » واشترك حمروش بدوره فى حملة التزييف تلك .

(٤) راجع مثلاً : شهادة إبراهيم بغدادى فى : حمروش : قصة ثورة ٢٣ يوليو ج ٤ طبعة بيروت ١٩٧٧م .

والإسلام^(١). وهكذا لم يكن هناك حرج من تفضيل عبد الناصر على غيره من قدامى الإخوان^(٢).

في ذلك الوقت أيضاً كان بعض الوطنيين بالجيش يعملون على محاربة الإنجليز والوفد^(٣) من خلال تنظيمات صغيرة هي أقرب ما تكون إلى الشلل ، ولكنها - في مرحلة لاحقة - تحولت إلى أداة في يد الملك لتصفية خصومه (الحرس الحديدي) فقد انتع معظم الأعضاء بجذوى الاستناد إلى الملك في غمرة عدائهم للإنجليز والوفد - وكان السادات أحد الذين عملوا في الحرس الحديدي .

وفي ذلك الوقت أيضاً كان بعض ضباط الصف والجنود يأخذون طريقهم إلى تنظيمات شيوعية (ولكن بقي عددهم محدوداً جداً) .

ومع تجدد النضال ضد الإنجليز جزئياً - بسبب انسحابهم من مدينتي القاهرة والإسكندرية - اعتباراً من سنة ١٩٤٧م ، وبسبب اشتداد الصراع الداخلي في مصر بين القوى السياسية ، شعر بعض الضباط بالإحباط وبخطورة الارتباط بتنظيمات قائمة - وطبعاً كان ذلك بسبب قلة وعيهم - ذلك أن نظام التنشئة العسكرية يجعل الإنسان ينفر من الفوضى ويشكل عقله بطريقة لا يستطيع معها أن يفهم مغزى التحولات الاجتماعية في مرحلة مخاض خطيرة كمرحلة ١٩٥٢/٤٥ - وبسبب إهمال الإخوان في تقديم برنامج تثقيفي محدد للضباط - فقد اتجه بعضهم للاتصال بالتنظيمات الشيوعية التي كانت تمتلك نظريات ومناهج كفيلة بشغل وقت العضو وإثارة الجدل - وهكذا انضم خالد محيي الدين إلى منظمة أبسكرا

(١) راجع بعض أفكار محمود لبيب في ثنايا روايته لأحداث فترة من حياته التي صدرت تحت عنوان (حماة السلام) عن دار الأنصار ١٩٨٠ (وإن كانت المخطوطة قد كتبت قبل وفاته سنة ١٩٤٨) ومن الكتاب يتضح أن محمود لبيب - إضافة لقبوله بالفكرة الوطنية كان يحترم أشياء غريبة مثل ما يسمى بالانضباط العسكري والشرف العسكري .. الخ (والقول لأسامة حميد) .

(٢) خاصة وأن هؤلاء لم يختلفوا كثيراً في طريقة تفكيرهم عن محمود لبيب - راجع مثلاً مذكرات حسين حمودة بعنوان : أسرار حركة الضباط الأحرار والإخوان المسلمون دار الزهراء للإعلام العربي - ١٩٨٥ م .

(٣) مثلاً عندما كان النقراشي يقول للإنجليز «أبها القراصنة أخرجوا من بلادنا» كان النحاس - وهو غير ذي صفة رسمية - يرسل برقية إلى مجلس الأمن يقول فيها أن النقراشي لا يمثل الشعب المصري ولذلك قرر أحد تنظيمات الضباط إعدام النحاس - وبعد فشل محاولتهم إقترحوا نصف منزله على من فيه ولكن عارض بعضهم بحجة أن في ذلك قتل الأبرياء - انظر تفاصيل كثيرة عن أحداث متشابهة في : حمروش - الجزء الأول (مصر والعسكريون) ص ١١٢ - ١١٦ .

الشيوعية ومنها إلى حدثت - ولكن بسبب خيانات حدثت عندما اندلعت حرب فلسطين فقد انفض من حولها معظم من انضموا إليها - وفي الحقيقة لم يكن هؤلاء الضباط ملحدين (وان كان اعتناقهم النظرية الاقتصادية الشيوعية أخرجهم عن الإسلام بالطبع) .

وبسبب حرب فلسطين فقد تفكك الهيكل التنظيمي للضباط (الذي كانت عوامل تفككه موجودة في الأصل) - وبعد انتهاء الحرب - وفي مطلع ١٩٥٠م تشكل تنظيم « الضباط الأحرار » من جديد - وكانت لجنته التأسيسية هذه المرة مكونة من خمسة أشخاص : عبد الناصر - كمال الدين حسين - عبد المنعم عبد الرؤوف - حسن إبراهيم - خالد محيي الدين^(١) ولم يكن على صلة تنظيمية بالإخوان سوى عبد المنعم وإن بقيت لكمال الدين حسين صلات بالإخوان (ولكن بصورة غير تنظيمية) - وبعد عدة شهور ضم خمسة آخرون للجنة التأسيسية : صلاح وجمال سالم - عبد اللطيف بغدادى - عبد الحكيم عامر - السادات . وهكذا أصبح التنظيم على صلة بالإخوان (عبد المنعم عبد الرؤوف) وبالشيعيين (خالد محيي الدين) وبالمك (السادات) .

وبعد ذلك بدأ التنظيم (الذي انتخب عبد الناصر رئيساً له) حملة أرسل فيها الآلاف من المنشورات على عناوين ضباط الجيش وبدأت حملة واسعة لتجنيد أعضاء جدد (وصل عدد الضباط غداة الانقلاب إلى ٢٦٧) .

ورغم أن بعض قيادات التنظيم كانت معروفة للنظام (مثلاً على أثر تصفية التنظيم السرى للإخوان سنة ١٩٤٨م اكتشف النظام علاقة عبد الناصر بهم واستدعاه رئيس الوزراء إبراهيم عبد الهادى وحذره من أى ارتباط بالإخوان^(٢) - رغم ذلك فقد كان تحرك التنظيم سهلاً بسبب قوة المد الشعبى وتفكك أوصال النظام وضعف أجهزة الأمن^(٣))

اتصل عبد الناصر بكل من الإخوان ومصر الفتاة والوفد والشيوعيين وعرض عليهم مساعدة التنظيم في الانقلاب - فتشكك الجميع في أهدافه ومشروعه - فأنه بعدد الجمع عدد كبير من الضباط (من الغرز والبارات على حد تعبير كمال الدين حسين في رسالته الشهيرة

(١) حمروش ج ١ ص ١٤٦ .

(٢) في هذا اللقاء قال عبد الناصر لرئيس الوزراء أنه معجب بالإخوان ولكنه ليس عضواً في تنظيمهم أما علاقته بمحمود لبيب فقد بررها بأنهما عملاً معاً لتنظيم الدفاع عن فلسطين .

(٣) مذكرات عبد الناصر في عدد ٥ ديسمبر ١٩٥٢م « مجلة المصور » .

(٣) يذكر حمروش أن عدد ضباط المخابرات الحربية وقتها لم يزد على ١٥ جندي بعضهم في التنظيم وأن عدد ضباط القسم المخصوص (مباحث أمن الدولة حالياً) لم يزد على ٢٤

لعبد الناصر بعد ذلك) - وقد أطلق على هؤلاء الضباط من باب السخرية « كالة العدد » وكان عبد الناصر يجمعهم في جلسات لتحضير الأرواح (لكي يختبرهم على حد تربيته)^(١)

ونظراً لأن عبد الناصر كان برتبة مقدم فقد سعى التنظيم للإتيان بواجهة له يكون برتبة كبيرة - وهكذا وقع اختيارهم على أحد الضباط الوطنيين (محمد نجيب) بعد أن أبلى بلاءً حسناً في حرب فلسطين .

الأصول الاجتماعية والفكرية :

لم يكن عدد أفراد الجيش المصرى يزيدون على ١٥,٠٠٠ غداة توقيع معاهدة ١٩٣٦م - وكان جل هؤلاء من أبناء الإقطاعيين والمترفين ولكن بسبب إحساس الإنجليز بتفاقم الخطر النازى - فقد فتحت أبواب الكلية الحربية على مصاريحها لتخرج أكبر عدد من الضباط وفى أسرع وقت - ومن الدفعات الأولى من خريجي الكلية بعد ١٩٣٦م كانت قيادات تنظيم الضباط .

لقد كان معظم الضباط من الطبقات المتوسطة - لأن المصاريف المرتفعة للكلية لم تسمح للفقراء بدخولها - ولكن لم يكن فيهم أبداً ابن لإقطاعى أو رأسمالى - وإن كان بعضهم (عبد الحكيم عامر - بغدادى) من أبناء العمد - ومن بين ٢٦٧ ضابطاً لم يكن هناك سوى قبضى واحد .

وبسبب انتقال الضباط من المدارس الثانوية إلى الكلية الحربية مباشرة - وبسبب طبيعة الحياة العسكرية - فلم تتح فرصة لبلورة أفكار وتكوين مدركات عن العالم من حولهم - وفى ذلك يقول حمروش (ج ١ ص ٢١١) « يصعب القول بأن الضباط في مجموعهم أو في الأغلبية من قياداتهم كانوا من المثقفين لأن طبيعة الضباط وتعليمهم وعزلتهم عن المجتمع تجعل منهم فئة خاصة تتعامل مع الحياة بالأسلوب الذى اعتادته في الجيش والذى يخلق دائرة التفكير غالباً في حدود إعطاء الأوامر وتنفيذها » - ولم يكن من بين الهيئة التأسيسية للضباط من حصل على شهادة جامعية سوى خالد محيى الدين (بكالوريوس تجارة) .

ولذلك فمن الإجحاف أن نقول أنه كان لحركة الضباط فكر (باستثناء بعض الإخوان

(١) راجع وصفاً لجلسة تحضير أرواح فى بيت عبد الحكيم عامر حسب رواية عبد الناصر لها فى عدد ٧ نوفمبر ١٩٥٢م من مجلة المصور .

والشيوعيين) - بل أن السادات نفسه عزا نجاح الحركة إلى « عدم وجود نظرية خاصة بها » لأن النظرية « قد تعرض للجدل فتعرض الجماعة للانقسام ولذلك أرجع الفضل في نجاح هذه الثورة إلى شيء أهم من المبادئ - إلى الصداقة العزيزة الوثيقة التي ربطت بين كل من شارك فيها !! »

وقد برر عبد الناصر في وقت لاحق (سنة ١٩٦١م) هذا الموقف فقال : « ماكانش مطلوب مني أبداً في يوم ٢٣ يوليو أني أطلع معاييا كتاب مطبوع وأقول أن هذا الكتاب هو النظرية - مستحيل - لو كنا قعدنا نعمل الكتاب ده قبل ٢٣ يوليو ماكانش عملنا ٢٣ يوليو لأن ماكانش نقدر نعمل العمليتين مع بعض » .

إن الافتقاد إلى فكر جمال عبد الناصر (حسب روايته في فلسفة الثورة) ينظر إلى القضية الفلسطينية باعتبارها مجرد عامل تهديد لأمن مصر .

أما السادات فقد ذكر أكثر من مرة أنه (وعى) تاريخ مصر من كتب الراحل (فهل هذا يكون قد وعى شيئا) - أن أكثر النماذج الصارخة في خطورة الافتقاد إلى فكره هو إعلان الانقلابيين بأن الثورة (غير دموية) - فكيف تكون ثورة وفي نفس الوقت غير دموية . وبسبب الافتقاد إلى فكره فقد كان طبيعياً ألا يتم تحديد العدو بدقة - ورغم أن مقر الحركة الصهيونية كان قد انتقل إلى أمريكا بعد ١٩٤٥م ورغم دور أمريكا الواضح في حرب ١٩٤٨م فلم يكن الضباط (باستثناء الإسلاميين يكرهون أمريكا - وإن كان حمروش يحاول تبرير ذلك) (ج١ ص ١٨٢ - ١٨٨) بقوله « والمقطوع به أن الأمريكيين قد وجدوا في التنظيم السري لحركة الضباط الأحرار بعض ما يحقق لهم أهدافهم في المنظمة ولكنهم لم يستطيعوا أبداً أن يكونوا مسيطرين عليه »^(١) .

(ولماذا يرهقون أنفسهم بالسيطرة عليه مادام يحقق أهدافهم ؟) .

وبسبب الافتقاد إلى فكره فلم يكن للتنظيم برنامج محدد^(٢) - بل ولم يكن للتنظيم لائحة (لأنه لم يتسع الوقت لكتابتها^(٣)) وعندما علم الضباط باكتشاف أمر التنظيم - لم يدروا

(١) طبعة بيروت ج ١ ص ١٨٢ - ١٨٨ ، الموقف العربي ج ٢ ص ١٥ .

(٢) تزعم بعض الدراسات أن برنامج الضباط كان الأهداف الستة التي كتبها عضوان في حديثه (أحمد فؤاد وإخالد محيي الدين) وعلى الرغم من أن هذه الأهداف لا تشكل إلا صياغة نظرية إنشائية حول بعض مطالب القوى الجماهيرية فقد صرح صلاح سالم أحد قادة التنظيم بأنه لم يسمع عن هذه الأهداف ولم يعرفها إلا بعد نجاح الإنقلاب (حمروش ١٨٠) .

أما أول بيان أذيع عن حركة الجيش فقد ذكر « قمنا بتطهير أنفسنا وتولى أمرنا في الجيش رجال نثق في قدرتهم وفي خلقهم وفي وطنيتهم وإنني أطمئن إخواننا الأجانب على مصالحهم وأرواحهم وأموالهم » .

(٣) حمروش ج ١ ص ١٧٨ .

ما يفعلون - وفي ١٩ يوليو ١٩٥٢م قرروا اغتيال ٣٠ شخصية من المفسدين (منهم فؤاد سراج الدين - حافظ عفيفي - حسين سرى عامر) ولكن بسبب افتقارهم إلى سيارات فقد تطور تفكيرهم إلى التخطيط للسيطرة على الإذاعة لإعلان بعض مطالبهم ، ولكن وبفكر السرعة والارتجالية - تقرر عمل انقلاب كانت نسبة نجاحه في تقديرهم ٢٠٪ - وكان انقلاب ٢٣ يوليو .

ورغم ذلك - فيجب ألا نسخر من الطريقة التي حدث بها الانقلاب - لأنه طبقاً لسنن الله كان لابد من سقوط النظام الليبرالي بوصول الظلم نقطة معينة - وطالما أن الإسلاميين تقاعسوا في ذلك الوقت - فقد أراد الله أن يعلمنا أن عدداً من الضباط الذين ... لا يحملون فكراً ، قد تمكنوا وبطريقة ارتجالية - من إسقاط الحكم عندما توفر لديهم التصميم على ذلك) .

* * *

انتهت رؤية أسامة حميد ، والتي تقدم بإيجاز شديد ، تأريخاً إسلامياً أصولياً لنشأة وتطور تنظيم الضباط الأحرار ، وهي رؤية يرد عليها في العديد من النقاط وبخاصة مسألة العلاقة بين الإخوان والتنظيم ، والولايات المتحدة الأمريكية والتنظيم ، وبخاصة إذا ما قارن ذلك بالحقائق التي أوردتها الرؤية الغربية السابقة ، ولكن ورغم كل ذلك فنحن لا ننكر علمية تلك الرؤية ، وصدق أغلب ما توصلت إليه من نتائج ، بل ونشيد بصاحبها الذي أسند رؤيته إلى مصادر تاريخية معروفة ، بل وناصرية أيضاً (نموذج أحمد حمروش) مما ينفي عنه شبهة الانحراف بالحقائق عن مواضعها .

خامساً : المناخ السياسي العام عشية ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢م :

كان المناخ السياسي العام عشية ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢م يبنىء بانفجار هائل ، فالقاهرة كانت قد احترقت ، والأوضاع السياسية تتردى ، والسفارات الأجنبية بدأت تنشط ، وتستقطب القوى الجديدة الصاعدة .

في غمرة من هذا المناخ الحافق جاءت منشورات الضباط الأحرار لتعكس حقيقة الوضع ، ولتأمل ما ورد في بعض منها .

يقول منشور صادر عام ١٩٥١م : « أن هيئة الضباط الأحرار تطالب بأن تكون مهمة الجيش هي تحقيق استقلال البلاد ، ولا تقبل أن يستعمل في القضاء على الحركات الوطنية .. ولا تقوم للجيش قائمة إلا في بلد متحرر قوى : نحن نطالب بتسليح الجيش من جميع الدول التي تباع لنا سلاحاً شرقية كانت أم غربية » .

« ونطالب بإطلاق جميع الحريات للشعب إذ لا يمكن لشعب أن يكافح الاستعمار وهو مكبل بقوانين تقيد حريته ». وعندما رزق فاروق بطفل في ١٦ يناير ١٩٥٢م ، قبل عشرة أيام من « السبت الأسود » وأقيم عرض عسكري بتلك المناسبة ، استنكر الضباط هذه « المهزلة » واستخدام الجيش في أمور لا تليق بوظيفته ، لكن البيان لا يكشف عن عداء مبدئي للعرش ، بل على العكس يعتبر ميلاد ولي العرش « مناسبة سعيدة » ويستطرد البيان قائلاً : « فاليكم يامن نجمعون المال من عرق الشعب لتنفقوه في غير صالح الشعب .. إليكم يامن تسوقون البلاد إلى هاوية سحيقة لتصلوا إلى مآربكم الخاصة ، إليكم كلمتنا هذه لتكون نذيراً لكم ، عليكم تتوبون إلى رشدكم ، وترجعون عن غيكم .

« وأنتم أيها الضباط ، إليكم هذا الموجز لما يحدث اليوم من مهازل ، فكونوا يقظين لما يدبر لجيشكم وبلادكم ، ولا تنهونوا في حقوقكم قدر أئمة ». وفي أواخر يناير ، وبعد « السبت الأسود » ، صدر بيان إلى الضباط يحذر من « الخونة من المصريين » الذين يسعون إلى استغلال الجيش في قمع الشعب ، في حين أن رسالة هذا الجيش هي دحر العدوان الخارجي . « إن الوطن في خطر .. التفوا حول الضباط الأحرار ففى ذلك نصر لكم وللشعب الذى أنتم جزء لا يتجزأ منه ». وهم يعلنون في بيان آخر منسوخ بخط اليد « كنا نعتقد أن الخنة التى أصابت البلاد في حرب فلسطين قد أعطت درساً قاسياً للمسؤولين لينهضوا بالجيش ، ويعملوا على تدريبه وتسليحه ويعدوه عن تلك المظاهر الخادعة ، كالاشتراك فى الحفلات وإقامة الزينات . والعالم اليوم تمر به المحن والأخطار فتهدم أركانه وتستعد الأمم كل طارئ وتوجه الشعوب والحكومات إلى كل ما هو نافع ، ومفيد ، إلا نحن في مصر حيث يصير سادتها وأولى الأمر فيها أن يعيشوا عيشة الدعة والبهجة ، فيقيمون الاحتفالات والمباهج بمناسبة وغير مناسبة ، عليها تنسى الشعب ما هو فيه من جوع وعرى وحرمان » .

إن هذه البيانات تعكس بوضوح ما كان يثير ثائرة الضباط الأحرار : تدهور وضع الجيش على الجبهة وفي داخل البلاد ، والتفريط في استقلال البلاد ، وإسراف الأرستقراطية في مقابل الفقر المدقع الذى يقاسيه الشعب ، لكن هذه البيانات كلها لا تتضمن مطالب محددة ، سواء بالنسبة للمشكلات الداخلية أو الخارجية ، باستثناء ما يتعلق بأوضاع الجيش ومهمته .

والحقيقة أن أوضاع الجيش في ١٩٥٢م ، كانت محوراً للصراعات السياسية التى سبقت الانقلاب . وجاءت أزمة تعيين وزير الحربية لتقدم سبباً مباشراً للاستيلاء على الحكم بواسطة الضباط .



عبد الحكيم عامر وكمال الدين حسين ورفقا . وأمامهما جمال عبد الناصر ثم عبد اللطيف البغدادي وأورد
السادات وحسن ابراهيم وزكريا يحي الدين . كما يرى محمد نجيب الذي استمعه الثورة ليكون واجهة
جاهلية طا - ويوسف صديق أول من خرج يقرانه من الضباط الأحرار . ولم يظهر : حسين الشافعي
صلاح سالم - جمال سالم - خالد يحي الدين - وعمل الحائط نتيجة عليا صورة الملك فاروق والتاريخ
٢٣ يوليو ١٩٥٢

فبعد « السبت الأسود » استقالت حكومة الوفد ولم تستطع حكومتنا علي ماهر والهلالي الاستمرار في الحكم ، فكلّف الملك حسين سرى ، في الثاني من يوليو ، بتشكيل حكومة جديدة . وأراد حسين سرى أن يهدىء من حالة القلق بين الضباط ، فاقترح تعيين نجيب وزيراً للحرية ، ولو كان قد أخذ باقتراحه هذا ، فربما سارت الأمور على نحو يختلف عما آلت إليه . لكن الملك ، بعنايه الأحق ، رفض الاقتراح ، وتولى حسين سرى وزارة الحرية ، وفاض الكيل بالضباط .

قبل ذلك بفترة قصيرة كان أحد جواسيس القصر قد شاهد اليوزباشى حسن علام ، من الضباط الأحرار ، وهو يحمل إحدى نشرات التنظيم . وفي ١٣ يوليو قدم إلى المحكمة العسكرية ، حيث حكم عليه بالإعدام . وفي ١٥ يوليو ، أمر الملك بجلّ مجلس إدارة نادى الضباط ونقل أعضائه إلى مواقع بالأرياف بعيداً عن القاهرة . ولم يعد الضباط الأحرار يتخشون على مناصبهم فقط ، وإنما على حياتهم أيضاً . فمضوا قدما في الإعداد لانقلابهم . وفي الوقت نفسه ، رأى سرى استحالة البقاء في منصبه ، فقدم استقالة حكومته في ٢٠ يوليو ، وطلب الملك ، مرة أخرى ، إلى الهلالي تشكيل الوزارة . وفي ٢١ يوليو علم أحمد أبو الفتح أن وزير الحرية المنتظر هو حسين سرى عامر .. العدو اللدود للضباط الأحرار ، والذي نجا بأعجوبة من رصاصات ناصر قبل ذلك بستة شهور ، والذي يعلم تماماً أن القاتل الجهول هو أحد الضباط المناوئين له ، وعندما علم أبو الفتح بالاتجاه إلى تعيينه أسرع إلى إبلاغ ناصر عن طريق عكاشة ، وفي ذات الوقت ، علم الضباط أنه تمخّذ يوم ٢٤ يوليو موعداً لتنفيذ حكم الإعدام في حسن علام . ولذلك ، حدد ناصر الساعات الأولى لليلة ٢٣ يوليو ، موعداً للانقلاب ، وبالفعل أصابت الدهشة الهلالي عندما ذهب إلى الإسكندرية (حيث يقضى القصر والحكومة فصل الصيف) لعرض على الملك أسماء الوزارة ، وفوجيء بتعيين الملك للقائمقام إسماعيل شرين وزيراً للحرية ... وشرين هو سليل أسرة محمد علي ، وحصل على رتبته العسكرية بسبب مصاهرته للملك ، فهو زوج فوزية أخت فاروق . وقد رأى الضباط في تعيين شرين استفزازاً لهم .. ونهاية للعرش .. وبينما كانت الوزارة الجديدة تقسم المهام الدستورية في الإسكندرية ، كان الضباط الأحرار في القاهرة قد أتموا استعدادهم ، ليستولوا على حكم البلاد خلال عشر ساعات . وقد كان .

هذا وتورد الدكتور/ لطيفة محمد سالم^(١) وصفاً مثقراً للساعات الأخيرة في عهد النظام الملكي ، ولل ساعات الأولى في عهد الثورة التي قادها تنظيم الضباط الأحرار فيما يلي :

(١) د . لطيفة محمد سالم - فاروق وسقوط الملكية في مصر (١٩٣٦ - ١٩٥٢) - مكتبة مدبولي - ١٩٨٩ م ط ١ - ص ٩٨٧ وما بعدها .

بدأن الأحداث تتوالى سريعاً منذ مساء ٢٢ يوليو ١٩٥٢م في وقت لم يقدر فيه فاروق خطورة الموقف في الجيش ، حقيقة أن نشاط الضباط الأحرار أقلقهم ومنشوراتهم أثارتهم وتحركاتهم سببت له الريبة ، ولكن مع ذلك كان على يقين من أن هذا جميعه فقاعات هوائية إذ ترسب في أعماقه لآخر لحظة أن الجيش جيشه هو ، مطيع له ، منفذ لأوامره ، فالثقة المتزايدة في النفس سيطرت عليه من ناحية ، والإحساس بقوته وجبروته أعطاه التأني في التصرفات من ناحية أخرى ، وخاصة بعد أن أدرك أن كبار رجال الجيش حوله يحمون عرشه ، هذا بالإضافة إلى أن حاشيته صاحبة التأثير عليه هونت له الأمر ، وبالتالي تحدى وقرر التصدى والإطاحة بتلك الشرذمة الصغيرة التي اعتقدت أنها بؤرة الضباط الأحرار ، وبالفعل كانت التحريات تجري في كل مكان لسحق هذه الحركة ، مما دفع بأصحابها للتعجيل بها . ونحن هنا لا نقيم حركة الضباط الأحرار ، فكفائهم وقضائهم وشجاعتهم وجسارتهم ووطنيتهم أمر مفروغ منه ، ولكن المتبع لأحداث الحركة منذ ليلة ٢٣ يوليو يجد أن الظروف ساعدتهم ودفعت بهم إلى القيام بانقلابهم ، وأنه كان من الممكن لأى عارض أن يعترضهم ويفشل التخطيط ويذهبوا وراء الشمس ، فقبل الانقلاب يزم ، ورغم الحيلة الشديدة التي التزم بها أصحابه ، علم المسؤولون - وكانوا بمصيف الإسكندرية - أن هناك أمراً يديره الجيش أكدته التحركات داخله .

وكان فاروق في تلك الليلة وبعد تشكيل وزارة الحلال وتأييدها اليمين قد هدأ يقيناً منه بأن المشكلات التي اكتنفت الحكم ربما تنتهى ، ولكن سرعان ما تبددت الصورة بوصول نبأ الحركة إليه عن طريق محمد حسن ، فأمر بالاتصال بمحمد حيدر وحسين فريد ، وأبلغ الأخير أحمد كامل بأن الحركة بسيطة وستتولى قمعها . أيضاً اتصل النجومي من القصر بحسين فريد ، وكان قبض عليه في مكتبه بالرئاسة ، ومن ثم رد عليه عبد الناصر وأفهمه أن رئيس الأركان في جولة تفتيشية . وتلقى محمد نجيب مكالمات تليفونية من وزير الداخلية ووزير التجارة والصناعة ورئيس الوزراء لوقف الحركة وتهدة الحال والتنبيه بأن النتائج ستكون وخيمة وخاصة أن القوات البريطانية على مقربة ويخشى من تقدمها ، ولكن في نفس تاء اللحظات كان الضباط قد استولوا على مبنى القيادة وتحركت المدرعات ودخلت القاهرة وقبض على اللوائت ودخل محمد نجيب مقر القيادة .

وحتى الساعات الأولى من صباح ٢٣ يوليو لم يكن فاروق يتوقع أن يكون الأمر أكثر من انتفاضة ، وأنها ليست إلا زوبعة في فئجان وعلى وجه الخصوص بعد أن طمأنه كل من النجومي ومحمد حيدر ، والأخير اتصل بقائد المدفعية ورد عليه نقيب انتحل شخصيته وأكد له سلامة الموقف ، وبالتالي نقله الملك وأدخل في روعه أن قوات المدفعية كلها رهن إشارة

القائد الأعلى ، وما لبث الأمر أن علم بما قام به الضباط ، وعندما سمع أن هناك بياناً سيذاع مع افتتاح الإذاعة أمر كريم ثابت منع إذاعته ، فبادر بالاتصال بمحطة إرسال أبو زعبل وطلب فك المحطة ، وأصدر مرتضى المراغى أمر بقطع التيار الكهربائي ، ولكن أحد الضباط أسرع للمحطة وهدد بالسلاح وأدارها . ورأى فاروق إمكانية إحباط الحركة عن طريق حصر عاكف الذى طار من الإسكندرية إلى أمانا وهبط على مقربة من السرب الملكى ليطير به إلى أنشاص ومن هناك يتولى المقاومة . ومنى بالفشل لوجود كورونات الجيش ولوصول قوات أطلقت نيرانها فأصاب الطائرات الملكية ببعض الطلقات ، وانتهت حركته بالعودة إلى قصر المنتزه

واتصل الهلالى بالملك وطلب منه تفويضاً للاتصال بالقوات الثائرة وبحث مطالبا ، فأعطاه إياه فطلب من قائد الحركة تأجيل إذاعة البيان ، ولكن الخطة نفذت ، وأذاعه السادات X باسم محمد نجيب الذى أعلن نفسه قائداً عاماً للقوات المسلحة - فى الساعة والنصف من صباح ٢٣ يوليو ، ولم يتعرض بكلمة صريحة لفاروق وأشار إلى الرشوة والفساد وعدم استقرار الحكم وهزيمة فلسطين والخيانة ، وبين دور الجيش وهدفه ، وألقى المسئولية عليه ، وطلب بالتزام الهدوء والسكينة ، وطمان الأجانب على أرواحهم ومصالحهم ، وأيقن فاروق خطورة الموقف ودقته وانهارت حالته وانقلب استهتاره إلى خوف سيطر عليه ، ودق تليفونه عدة مرات عند السفير الأمريكى ، وفى كل مرة يقول له بوضوح أن التدخل الأجنبى فقط هو الذى يمكن أن ينجيه هو وأسرته ، وإن لم يطلب بالتحديد تدخل القوات البريطانية إلا أن هذا الأمر كان واضحاً .

ويتصل لكافرى بالقائم بالأعمال البريطانى ليوقف على رد الفعل عليه ، فيبين له أن عليه تبليغ الملك بأن قائد القوات البريطانية بلغ تبليغاً كاملاً بالأحداث ، وأن وجهة نظره - أى كريسول - الشخصية أن المسألة داخلية بحتة ، وأنه لا يعتقد أن الحكومة البريطانية ترغب فى استخدام القوات البريطانية لهذا الغرض ، وسأل كريسول السفير الأمريكى عما يمكن أن تكون هذ الإجابة سبباً فى مغادرة فاروق مصر ، فأجابه بأن الملك فى حالة ذعر رهيب ، لكنه سيعمل كل ما فى وسعه ليجعله هادئاً ، وثابتاً فطلب منه القائم بالأعمال البريطانى أن يعطيه مثل هذه النصيحة منه أيضاً ، ويسجل للندن أنه لم تقدم طلبات من المنشقين بعد للملك ، وأنه إذا حافظ على هدوئه فربما يتخطى الأزمة ويخرج منها كحاكم دستورى ، وقد بين لكافرى - والذى عندما تنقطع الاتصالات التليفونية يبعث إليه برسوله - بأنه لا يزال

يمكنه الاعتماد على البحرية . وفي اللحظة التي كتب فيها كريسول هذا الخطاب لحكومته ، وصل رسول من طرف محمد نجيب - أرسل عن طريق عضو من السفارة الأمريكية - ومعه رسالة بأن الحركة في مجموعها عمل داخلي وهدفها الرئيسي القضاء على الفساد وأن أى تدخل بريطاني سيقاوم .

وتبعث الخارجية البريطانية بردها الفوري الذي توافق فيه على رأى ممثلها بعدم التعرض للحركة لما في ذلك من نتائج سيئة للغاية ، وأن على كافرئ تهدئة فاروق ، وتعشم أن يحرص على عدم إتخاذ أى عمل وهو في حالة الرعب التي تملكه ، وإن عليه الاستمرار في الإتصال بحكومته التي يمكنها الإتفاق مع محمد نجيب على الشروط ، كما تستحسن أن يجرى ممثلها الإتصالى بقائد الحركة ، ويكتب وزير الدفاع البريطاني ليؤيد موقف كريسول لما في ، الوضع من حساسية ، ويبين أنه من الأساس ضرورة تجنب أى عمل يثير القوات المسلحة المصرية ، وأنه لم تظهر أية مخاطر سواء علأ أرواح البريطانيين أو ممتلكاتهم في مصر ، وأيضاً على أمن القوات البريطانية في منطقة القناة ، وعليه فيجب إلا تتخذ أية تحركات خارج منطقة القناة أو أى عمل يخطط لإغلاقها .

وكان البكباشي ملور قد ذهب في الساعة الحادية عشرة صباحاً إلى القائد المصرى لمنطقة القناة وأثناء الحديث معه إتصل به محمد نجيب ، وعندما علم بوجود الضابط البريطاني طلب التكلم معه ، وسأله عما ستقوم بعمله القوات البريطانية إذا طلب الملك منها التدخل ، فأجابه بأنه ضابط صغير ولا يعرف ، وهنا أخذ القائد المصرى سماعة التليفون لينقل إليه يقينه من أنه لم يكون هناك تدخل لإنقاذ الملك من الوحل الذى وضع نفسه فيه ، ويعت كريسول بمساعد الملحق العسكرى مع بعض أعضاء السفارة .

وفي موضع آخر تذكر د . لطيفة أن الملك فاروق راح عندما شعر بنهايته يعد لآخر رحلة له ، ولم يكن باقياً إلا ساعات قليلة ، ويسجل أنه اصطحب معه صناديق وحفائب وطرود بلغت ١٥٠ فى عددها وقليل من الملابس ، ولم يتمكن من نقل حاجياته الشخصية حيث كانت فى القاهرة ، أيضاً لم يصطحب معه شيئاً وقت أن ترك قصر المنتزه إلى قصر رأس التين . لكنه أمر بإحضار حقيبتين من القصر الأول وكان شغوفاً بهما ، وقام بالمهمة ساعى بوللى . وبهذا الصدد أثرت مشكلة عقب السفر مباشرة إذ أدلى بوللى بالقول أن فاروقاً أخذ معه مجموعة من سبائك الذهب ، مما أثار الضباط وأغضبهم وجعلهم يضغظون على أن تحاصر المحروسة بطائرات حربية لإعادتها ثانية بمن عليها ، وتدخل كريسول وأخبر على ماهر بأن هذا العمل سيكون حقيراً وغير مهذب ويسبب إنطباعاً يؤسف له في الخارج ، وأنه لا بد أن ينزل فاروق وأسرته بسلام إلى البر ، ويمكن للحكومة بعد ذلك الاتصال بالدبلوماسى

بحكومة إيطاليا لإعادة المحروسة وسبائك الذهب . ومن ثم نشر تكذيب بأن ما صرح به بوللى مضلل ، وأن الإجراءات التفتيشية للمحروسة كانت دقيقة حتى لقد أعيد منها إلى القصر ما أخذ من غير الحاجيات الخاصة لفاروق . والواقع أن الجزم فى مسألة هذه السبائك صعب ، فاحتمالات التنفيذ قائمة نظراً لأن مثل هذا السلوك ليس بجديد على فاروق ، فله السوابق فى ذلك ، بالإضافة إلى شهوته للثروة خاصة أنها آخر فرصة ، كما أن احتمالات عدم وقوعها واردة نظراً للإرتباك الذى أحاط به وبجاشيته - التى كانت تتولى المهمة فيما سبق - مما يعوق التنفيذ .

وتناول فاروق غدائه على المائدة الملكية ، واستعد للرحيل وكان مرتدياً لباس أمير البحر ، ويذكر أنه أرسل كلمة إلى زوجته السابقة عن طريق أحد الخدم تفيد بأن بناتها قررن السفر مع أيهن . ولم تصل الرسالة إلا بعد أن غادرت المحروسة الإسكندرية ، وبالتالي فلم تأت لتوديعهن ، وقد خشى أن يعث بهن لوداعها فربما لا يعدن ، والتقى فاروق بأخيه فوزية وفائزة وزوجيهما ووالدة ناريمان ، وفى الساعة الخامسة وصل للقصر رئيس الوزراء وكافرى ومعه سامبسون ، وتحدث فاروق مع السفير الأمريكى قائلاً : أمل ألا يكون ما قمت به من عمل فى هذا الصباح ما يسبب إزعاجاً لك مع حكومتك ، فأجابه بأنها مهتمة للغاية بسلامته ، وقد كان حريصاً على تلك الحماية حتى آخر لحظة ، وينقل كافرى لحكومته أن فاروق ركز فى حديثه معه أمام رئيس الوزراء على أنه لم يهرب وإنما أرغم على مغادرة البلاد ، وبصور حالته فيذكر أنه لم يكن سعيداً وبدأ عليه القلق بشأن مستقبل مصر ، وقد طلب منه أن تقابل بخته إحدى قطع البحرية الأمريكية فى مكان ما بالبحر المتوسط لحمايته ، ولكن السفير الأمريكى جعله يفهم عدم إمكان تلبية مثل هذا الطلب ، وبين على ماهر إنه تجميع بأن الاسطول فى أثينا والوقت ضيق . وشكر فاروق رئيس الوزراء وطلب منه إعداد الأمور لأبنة الذى أصبح ملكاً لمصر ، فرد عليه بأنه سيقوم بعمل كل ما فى إمكانه ، ولم يعط وعداً قطعاً ، وأخيراً يوجه فاروق حديثه إلى كافرى وعلى وماهر معا ويصرح بأن الذين اضطروه للخروج من مصر مجرمون تماماً وأنهم لن يستمروا فى الحكم إلا أياماً قليلة .

ورست المحروسة على رصيف رأس التين فى الساعة الخامسة ، وأعطت القيادة الأمر لجلال علوبة بالإقلاع بها وإعادتها ، ورافقه بعض " حدة " ، كما سمح لستة ضباط من الحرس الملكى وبوليس القصر بالسفر عليها والعودة معها ، إلى السادات مهمة الإشراف على خروجها إلى عرض البحر . وكان فاروق قد تعهد بإعادتها فور نزوله للبر ، ولكن وكما يذكر كريزول لحكومته فإن الشك الذى ساور الضباط بخصوص عدم تنفيذ تعهده والإحتفاظ بها أدى إلى إصدار التعليمات للسفير المصرى فى روما أن يعيدها حتى لو كان هناك إدعاء بأنها بحاجة

إلى عميرة عاجلة في حوض إصلاح السفن بإيطاليا . وفي الساعة الخامسة والنصف غادرت ناريمان وأحمد فؤاد وفريال وفوزية وفادية القصر حيثما استقلوا زورقا بخاريا إلى المحروسة ، وحيا فاروق موظفيه وضباطه ، وكانت الساعة السادسة إلا عشر دقائق ، ولما لم يكن محمد نجيب قد حضر بعد ، انتفض واقفا وقال إنه انتظر طويلا ، ووضع قدمه على آخر درجة من سلم القصر وانزل العلم الملكي من سارية القصر ، وعلى أثر نزوله تفقد حرس الشرف وعزفت الموسيقى السلام الوطني . وتقدم الضابط الذي كان يحمل العلم ، فطواه وسلمه له كما تقضى التقاليد العسكرية ، وحلقت أربع طائرات نفائة مشاركة في التحية ، واطلقت المدفعية ٢١ طلقة وأدى حرس الشرف التحية العسكرية ، ويسجل كريزول الموقف للندن بناء على وصف السفير الأمريكي ، فيذكر أن ضباط الحرس والخدم انهاروا وانهمكوا في البكاء ، ولكن فاروق كان رابط الجأش . وصافح المودعين ، وتوجه لرئيس الوزراء قائلاً : «ادعو لكم بالتوفيق وأتمنى كل الخير للبلاد ، ويجب على الإنسان أن يخضع لحكم الظروف والأقدار ، وأسأل الله للجيش والبلاد كل نجاح» ووضح الإدارة في هذا القول الذي لا ينم عما في قلبه من حقد وكراهية لرجال الجيش القائمين على الحركة وهو ما سبق ان عبر عنه ، ولم يستطع على ماهر في تلك اللحظات الحرجة إلا أن يسمح دمعة طفرت من عينيه تأثرا ، فمن الضروري أن شريط الذكريات دارت عجلته بسرعة أمامه من إستقباله في نفس المكان عند عودته من بريطانيا للمناداة به ملكا عقب وفاة أبيه إلى لحظة الوداع . وركب فاروق الزورق البخارى وفي مميته بعض رجال القصر متجها إلى المحروسة بينما كانت المدمرة فاروق تواصل إطلاق مدافعها تحية له^(١) .

* وهكذا ... بدأ عهد جديد ، على أنقاض عهد سابق .. وبدأ صباح ثورة يوليو يشرق ، ولكن إشراقه يختلف عند الكثيرين ... وكأن الاختلاف هو سمة هذه الحقبة من تاريخ مصر المعاصر .

(١) د . لطيفة سالم - مصدر سابق - ص ١١٦



في الأشهر القليلة الأولى للثورة لم يكن أحد قد عرف بعد أسماء أعضاء مجلس قيادتها ولم يكن أحد قد عرف دوره كقائد للثورة ورئيساً لجلسها ، وكان يتردد على مبنى مجلس الوزراء في شارع قصر العيني ، فإذا ما نزل من سيارته سكت كل ضجيج وتنبه الحبايط الحاضرون ، ولفتت هذه الظاهرة نظر المصور فالتقط له يوماً هذه الصورة وفي فكره أنه لابد أن يكون مهماً ، وبعد قليل عرفت الحقيقة وأعلن الدور الحقيقي للبكاشي جمال عبد الناصر .

... ملحق الفصل الثانى

معنى الثورة فى مدركات عبد الناصر

معنى الثورة :

الثورة تغيير أساسى لنظام المجتمع تبدأ بها قلة تعبر عن الكثرة . ويتسع نطاقها تعبيراً ومشاركة بحيث يتيسر عن هذا الطريق وحده إيجاد التغيير المطلوب .
(العيد الثالث عشر للثورة ١٩٦٥/٧/٢٦ م)

* الثورة والإنتقال :

فرق كبير بين الثورة وبين الإنتقال .. أما الثورة فهي الحصول على السلطة من أجل التغيير الواسع .. تغيير المجتمع من الواقع الذى يثور عليه إلى المستقبل الذى يطالب به .. قد تبدأ الثورة بالقلّة ، وإن كانت أهدافها تعبر عن أهداف الكثرة .. ولكن الثورة بالعمل والممارسة من أجل تحقيق أهدافها .. تصل إلى حد التعبير عن الكثرة وتصل من الاستثناء إلى الكثرة .. عمل الثورة يتسع ويكبر وتزداد المشاركة كل يوم وكل ساعة وكل سنة ..

الإنتقال جماعة من الناس تتآمر بالمؤامرة أو المغامرة ويصلو إلى السلطة والسلطة هدفهم .
(العيد الثالث عشر للثورة ١٩٦٥/٧/٢٦ م)

لقد كان يمكن أن يتحول الحدث الكبير الذى جرى ليلة ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢م إلى مجرد تغيير للوزارة أو تغيير لنظام الحكم .. وكان يمكن أن يتحول إلى ديكتاتورية عسكرية تضيف إلى التجارب الفاشلة تجربة أخرى فاشلة .. لكن أصالة الوعي الثورى وقوته .. قررت أن يكون الحدث الكبير يوم ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢م خطوة على طريق تغيير جديد كامل يعيد الأمانى الوطنية إلى مجراها الثورى السليم .

الثورة ليست فرد .. إذا تخلصوا منه تنحل كل مشاكلهم ولا عدة أفراد إذا كانوا يتخلصوا منهم تنحل مشاكلهم ..

الثورة شعب .. الثورة تغيير مستمر بالشعب وبآمال هذا الشعب .

إن مصدر القوة العظيمة للثورة هنا أن الشعب قد تحرر وسوف يقدم الرجال واحداً بعد واحد ويصنع المعجزات معجزة بعد معجزة فى ثبات وفى عزم وفى دوام .
(العيد الثالث عشر للثورة ١٩٦٥/٧/٢٦ م)

* الثورة والسلطة :

كل ثورة في الدنيا تستولى على السلطة تقابلها مشكلة المحافظة على هذه السلطة وتوجيهها لتحقيق الهدف الشعبى ، كيف تستطيع أى ثورة استولى على السلطة أن تحافظ على هذه السلطة ؟

لو درسنا تاريخ حركات ثورية كثيرة نجد أنها حصلت على السلطة ولكنها لم تستطع أن تحافظ على السلطة أبدا .. ليه - فى رأى فيه مفاتيح كثيرة ضرورية لفهم المشكلة وفيه أسئلة كثيرة مثلا :

ما هو الخلاف الاجتماعى ؟

ما هو التناقض الطبقي ؟

ما هو التمرق الذى يمكن أن ينتج عن تدخل الدول الإستعمارية فى البلاد التى تشابه بلادنا ؟

السلطة فى النهاية هى الهدف التى تريد هذه الخلافات الاجتماعية والتناقضات الطبقية والتدخل الخارجى أن تحصل عليه لكى تضمن توجيه الأمور لصالحها .

(مباحثات الوحدة الثلاثية ١٩٦٣/٤/٧ م)

بعد قيام الثورة والاستيلاء على السلطة يجب على كل ثورة أن تبحث وتدرس كيف تحافظ على هذه السلطة .. إن أى ثورة تستولى على السلطة لا يمكن لها أن تحافظ على السلطة إلا إذا طبقت شعاراتها تطبيق واضح .

الرجعية أقوى من الثورة خصوصا فى أيامها الأولى . لأن الرجعية لها جلور والرجعية لها أسلحة والرجعية عندها أساليب ..

(مباحثات الوحدة الثلاثية ١٩٦٣/٤/٧ م)

إن هناك نقطتين بارزتين فى كل ثورة :

١ - إن الثورة فى متطقها مهما ذهب الفلاسفة فى تحديد الدوافع هى إرتفاع شعب من الشعوب فوق الأنقال والأغلال التى تقيده ، وتصميمه بالحزم والعنف على أن يقفز فوقهما إلى وضع يمكن جماهيره الحرة من أن تعمل بغير عوائق وتجد طاقاتها الكاملة لبناء مجتمع جديد

٢ - إن الثورة فى هدفها مهما تنوعت الاجتهادات : هى حياة أفضل بالنسبة للجماهير المعاملة وليست الشعارات هى الهدف وإنما الهدف هو تطوير المستويات الاقتصادية والثقافية

للشعوب وتأمينها ضد كل الضواغط .

(مجلس الأمة في ١١/٥/١٩٦٤)

إن المحافظة على هذه السلطة هو تجريد أعدائها - أعدائها الاجتماعيين من أسلحتهم الأساسية مع حساب أن العدو والرجعية من باب أولى بعد الثورة دائماً أقوى من الثورة خصوصاً إذا كانت أهداف الثورة غامضة .

(المصدر السابق)

الحقيقة لكي تحقق هذا الهدف لابد أن نكون على درجة كبيرة من الوضوح أولاً بيننا وبين أنفسنا ثم بيننا وبين الشعب .. أنت لما تقول اشتراكية معناها إنك تبقى ضد الإستعمار العالمي وضد الرأسمالية العالمية .

(مباحثات الوحدة الثلاثية ١٩٦٣/٤/٧ م)

إذن توضيح أهداف الثورة .. وتجريد أعدائها من كل سلاح هو العامل الأول لضمان إستمرار الثورة . العامل الثاني لإستمرار الثورة هو تجميع قوى الشعب العامل .

إذا لم يجمع الشعب العامل كله إلى يشعر أن الثورة قامت لتحقيق أهدافه وأمانه تستطيع الرجعية والرأسمالية أن تجذب جزء كبير من هذا الشعب العامل وتغتر به .. وتخدعه .. وخصوصاً جزء كبير من الطبقة المتوسطة بأفهامهم بأن مصالحهم مهددة .

معركة استمرار الثورة لازم تقوم على أساس علمي وعلى أساس واضح وعلى أساس سليم .

(مباحثات الوحدة الثلاثية ١٩٦٣/٤/٧ م)



عبد الناصر

الفصل الثالث
الضباط يحكمون

عبد الناصر واستقرار الحكم

١٩٥٢ ~ ١٩٥٤
السياسات والأفكار





الضباط يحكمون عبد الناصر واستقرار الحكم (١٩٥٢م - ١٩٥٤م) السياسات والأفكار

* كان عبد الناصر ، كما قال المؤرخون فيما بعد ، هو الدينامو ، والمحرك لإحداث ثورة يوليو ١٩٥٢م ، وكان اللواء (نجيب) هو الواجهة ، والمظهر العام الهادى الذى تم تقديمه للشعب ، وللسفارات الأجنبية ، صباح يوم ٢٣ يوليو ، كان مظهراً فقط ، أو هكذا أريد له أن يكون ، ولكنه حاول الخروج عن النص المعد له سلفاً ، فكانت نهايته بعد أزمة مارس ١٩٥٤م ، وطيلة الفترة من يوليو ١٩٥٢م حتى مارس ١٩٥٤م ، كان عبد الناصر وتنظيمه السرى (الضباط الأحرار) يحاولون خلق الاستقرار السياسى - كما يفهمونه - وكانت المصاعب عديدة ، وفى هذا الجزء من بحثنا ، نحاول تلمس بعضها ، وموقف عبد الناصر وزملائه منها ، خاصة وأن مصر كانت على شفا إنفجار شعبى جارفة عشية يوم ٢٢ يوليو ١٩٥٢م ، واستمرت الظروف الموضوعية المساعدة لهذا الانفجار لأكثر من عامين متواصلين إلى أن تمكنت قبضة عبد الناصر من الحكم ، ومن الإطاحة بكافة منافئيه .

وسوف نمحور الحديث فى هذا الجزء من الدراسة فى المحورين التاليين :

أولاً : وثائق إنفجار يوليو (قراءة فى المقدمات) خلال الفترة (١٩٥٢م - ١٩٥٤م)

ثانياً : سنوات القلق : التطورات السياسية والفكرية خلال الفترة (١٩٥٢م - ١٩٥٤م)

وبتفصيل ما سبق يستبين الآتى :

أولاً : وثائق إنفجار يوليو قراءة فى المقدمات :

كانت ثورة يوليو ١٩٥٢ ، هى النتيجة النهائية المتوقعة لمقدمات سياسية واقتصادية طويلة (سبق تفصيل بعضها فى الفصل السابق) وفى هذه العجالة ، نقدم بعضاً آخر من تلك المقدمات الطويلة التى مهدت الطريق أمام ضباط يوليو ، وبداية لتأمل الوثائق الدولية ماذا تقول عن تلك الفترة من تاريخ مصر المعاصر .

كتب السير « رالف ستيفنسون » يقول فى تقرير مطول وصفه محمد حسنين هيكل فى

كتابه الهام «حرب الثلاثين سنة : الجزء الأول ملفات السويس ص ١٣٣» بأنه كان أخطر وثيقة تشهد على العصر كله ، لقد كتب ستيفنسون يقول :

١- إن التدهور التدريجي للأمن العام والنظام ، وتطور الموقف السياسى المصرى منذ أن تولت حكومة الوفد السلطة فى يناير/ كانون الثانى ١٩٥٠م ، وعلى وجه الخصوص السرعة المتزايدة لهذا الاتجاه ، من الصيف الماضى ، وصولا إلى أمال الشعب فى القاهرة ، وانهار سياسة الوفد فى ٢٦ يناير/ كانون الثانى الماضى ، قد جعل الكثير من المراقبين ممن لهم معرفة جيدة بالتاريخ المصرى يشعرون بالتشاؤم البالغ بالنسبة للمستقبل . واتعمق فى التقلبات القصيرة المدى فى الأحوال هنا ، فلقد أخبرنى هؤلاء المراقبون إن كل هذه الأشياء إنما هى أعراض للإنهيار التدريجى والسريع لمصر إلى حالة الإفلاس المالى والفوضى الإدارية ، والحرب الأهلية المحتملة . وسيكون هذا متفقا كلية من واقع التاريخ المصرى على مدى الثلاثة آلاف سنة الأخيرة .

٢- وإننى لعل إقتناع بأن هناك الكثير من الحقيقة فى هذه النبوءة المقبضة ، ولذا فإن هذه لحظة مناسبة للنظر فيما إذا كان ينبغى لنا ، فى حقيقة الأمر ، ألا نتناول مشكلة مصر من وجهة نظر جديدة تماما ، ولقد انبثقت سياستنا إزاء مصر حتى الآن أساسا من تخطيطنا الدفاعى من أجل شرق البحر المتوسط والشرق الأوسط ، والذى قام فى حد ذاته على افتراض أن مصر ستظل دولة مستقرة استقرارا مختللاً ، وصديقة بشكل معقول . وعلى هذا الأساس فقد وجهت سياستنا نحو بلوغ إتفاق دفاعى تكون مصر به محور نظامنا الدفاعى فى هذا الجزء من العالم ، مع إعطاء مصر فى الوقت نفسه كل ما باستطاعتنا أن نقدمه من دعم . على أن الأحداث الأخيرة قد جعلتنى أشكك فيما إذا كان أى من الافتراضين - الإستقرار المحتدل أو الصداقة المعقولة - قائماً اليوم أو يحتمل له أن يسرى فى المستقبل .

٣- وليس من الممكن فى هذه الأيام العثور على علاج ناجح لمثل هذه الأمور . فعلى الرغم من أن المساعدة الاقتصادية وحدها يمكن أن تفعل شيئا ما فى تقليل التوتر ، إلا أنه لا يمكن الإعتماد عليها وحدها لعلاج جذور المتاعب ، وهى جذور اجتماعية وسيكولوجية ، والتدخل العسكرى وإعادة إحتلال مصر . كما يقام من خلالها نظام إدارى أقوى مما يستطيع المصريون أنفسهم إقامته - نظام كرومرى آخر فى حقيقة الأمر - أمر مستبعد لعدة أسباب ، سياسية وعملية على خد سواء . ولذا فإننا مضطرون فى الوقت الذى نمارس فيه نفوذنا الدبلوماسى والاقتصادى ، ممارسة كاملة ، إلى أن نقيم فى الدور غير المريح للغاية ، وهو دور المراقبين بينما تعمل قوى الإنهيار والتمزق والفوضى على إعادة مصر تدريجيا إلى التبعية والدور

غير الخلاق الذى ظلت تلعبه في هذه المنطقة منذ بداية العصر الاسلامى .

٤- كما أشعر إنه من الضروري التحذير من أنه لم يعد لدينا ، في رأى ، مبرر للأعتداف في أى ظروف منظورة على موافقة مصرية لإعادة إحتلال بريطانيا للدلتا واستخدامها كقاعدة في زمن الحرب ، بالرغم من أنه قد يمكن ترتيب تسهيلات فنية معينة ، مثل استخدام وسائل الإتصالات . والاحظ من الكتاب ، رقم ٦٤٤ (ام . اى) سى . أو . اس . الموجه من رؤساء الأركان السى (ام . اى) لى . دى . سى . سى . أنه يجرى الآن وضع خطط لتغطية كل من حالتى التعاون غير العسكرية المصرى (واحتماله - كما أوضحنا أعلاه - بعيدا جدا) والعداء المصرى لنا في زمن الحرب . ومن رأى أن الحالة الراهنة للرأى العام المصرى هى أن علينا أن نأخذ في حسابنا ، في الحالة الأخيرة ، حدوث مقاومة عنيفة لأى محاولة للحصول بالقوة على التسهيلات التى نحتاجها في الدلتا ، وباستمرار الإلتزام من ناحية القوات ، «بإبقاء مصر عند أدنى حد» بدرجة أتصور أنها قد لا تكون مقبولة في حرب كبرى ، ولا سيما عند بدايتها . ومصر الآن تموج بالقلق وتغص بالحملاء وبمنظمات ذات طابع وطنى متطرف أو ثورى (وهى فى كلتا الحالتين منظمات عادية لبريطانيا) . بحيث أنه حتى ولو نجحنا ، وباستخدام قوة السلاح ، وفي مواجهة مقاومة القوات النظامية المصرية ، في أن نعيد ارساء وجودنا في الدلتا ، فإننا سنواجه بطابور خامس نشيط للغاية ، ومثير للمتعاب يتكون من المتعاطفين مع العدو ولذا فلو كان تخطيطنا الإستراتيجى يقوم على أساس ثابت وواقعى فينبغى أن يكون الإقتراض أننا سنستطيع ، فور نشوب الحرب ، أن نتحرك من مكان آخر ، وأن نعيد تنشيط قاعدتنا في منطقة قناة السويس ، وليس أننا سنستطيع التحرك إلى الدلتا ذاتها ، وأن نستخدمها استخداماً كاملاً كقاعدة ، وفي كل الحالات ، بدون قبول الترام باهظ للغاية ودائم بأن نفعل ذلك باستخدام القوة .

٥- وإذا انتهينا ، بكل تلك الأسباب ، إلى استنتاج أنه لا يمكن لإستراتيجيتنا أن تقوم بعد الآن على أساس مصر ، فسيكون من المهم بالدرجة الأولى أن نحجب مصر عن نفوذ قوى يمكن أن تكون معادية لنا ، وسيكون هذا هو الهدف الغالب فيما يتعلق بعلاقتنا بمصر ، وأرى أنه هدف أكثر سهولة إلى متناولنا من أن نحاول بناء مصر ثانية على الوضع الذى كانت عليه من قبل . في الوقت الذى يمنع عنا فيه السلاح الرئيسى الذى يمكننا من ذلك ، ويبدو أنه لن يمكن للمشكلة السياسية المصرية أن تحل في آخر المطاف إلا بطريقة من اثنتين : أما بحكم البلاد بطريقة مباشرة ، أو بطريقة غير مباشرة بواسطة قوة خارجية ، أو بترك مصر تسير في طريقها الخاص . وليس من الممكن التوصل إلى حل وسط بين هاتين الطريقتين ، كما أوضحت ذلك بشكل متزايد التطورات منذ عام ١٩٣٦ م . على أنه ، في ظل البديل

الثاني ، فإن الهدف المحدود بحجب مصر عن النفوذ المعادى قد يكون عملياً أكثر من ذلك المتعلق بتأمين الظروف الضرورية لنظام دفاعي يعتمد على هذا البلد .

٦- وليس لي أن أتقدم برأى عن تفاصيل التخطيط الإستراتيجي . على أن خط التفكير الذي فصلناه فيما سبق يقودنا إلى استنتاجين :

(أ) إن النظام الدفاعي للشرق الأوسط ينبغي أن يتركز في منطقة الشمال الشرق لمصر حيث تلعب إسرائيل ودول الشام أدواراً هامة ، ويكون للأولى وضع رئيسي ، وهذا قد يؤدي إلى إقترح بنقل بعض قواتنا البرية المقاتلة تدريجياً إلى موقع ، يمكن لها منه أن تتعاون مع الجيش الإسرائيلي ، وأن تطور «باباً خلفياً» لخطوط الإتصال (مثل العقبة) .

(ب) إنه ينبغي خلق ضمان آخر للسيطرة الغربية على قناة السويس ، سواء بتدويل المنطقة أو خلاف ذلك ، لتحل محل مفهوم القرن التاسع عشر الذي كان قابلاً للتنفيذ ، إعتماداً فقط على وضعنا المهيمن في مصر ذاتها .

٧- ولذا فإنني أتقدم بالقول بأن الوقت قد حان لكي نضعف من محاولتنا الراهنة للتوصل إلى تسوية دفاعية مرضية مع مصر ، خلال خطة محددة مرحلية (على أساس القوى الأربع) لكي نقيم الدفاع عن الشرق الأوسط على أسس أكثر ثباتاً عن تلك التي يوفرها المسرح السياسي المصري ، وهو ما يمكن لنا أن نرجع إليه وقت الحاجة ، وفيما يتعلق بمصر فيجب أن يكون الغرض هو حججها عن أي نفوذ معاد ، والقضاء على أي خطر لإقامة الكتلة السوفيتية لوضع مهيمن هنا ، وفي الوقت نفسه إقامة نظام جديد لمنطقة قناة السويس . إن أي دليل على أننا مستعدون للرجوع إلى مثل تلك الخطة البديلة ، وإننا مستعدون بالفعل لعزل مصر كعدو محتمل يجب أن يكون له أيضاً ميزة عرضية باستثارة المصريين أنفسهم إلى قبول إتجاه أكثر واقعية إزاءنا ، وهم لا يزالون مقتنعين بأنه لا يمكن لنا الإستغناء عنهم - وهي حقيقة تجعلهم متصلين بصورة عمياء - وأي تصرف واضح يظهر عكس ذلك ، قد يجعلهم يدون مزيداً من الحرص على تسوية مشاكلنا المشتركة ، والتي يبدو لهم في الوقت الراهن أننا نتحمل كل المسؤولية عنها ، ومن ثم تجلب علينا العار كله .

وذلك ما تقوله إحدى هذه الوثائق الدولية الهامة (وما أكثرها) . [انظر الوثائق المرفقة في نهاية الكتاب] .

وإذا ما تأملنا مذكرات رجال الثورة أنفسهم عن تلك الفترة ، لشاهدنا نماذج متشابهة ، ففي مذكرات (صلاح نصر - مصدر سابق ص ٨٥) نراه يرصد الحقائق التالية :



عبد الناصر بعد اعلان الجمهورية ١٩٥٤

بعد إقالة حكومة الوفد ، كلف الملك على ماهر بتأليف الوزارة .. وكان على ماهر يميل إلى إشراك الأحزاب السياسية المعارضة معه في الوزارة ، ظنا منه بأن تجمع الأحزاب حوله سيفيد مصر .. ولكنه لم ينجح ، فقام بتأليف وزارة مستقلة لم يطل عمرها أكثر من خمسة أسابيع ، إذ قدم على ماهر لإستقالته في اليوم الأخير من شهر فبراير عام ١٩٥٢ م .

وكلف الملك أحمد نجيب الهلالي بتأليف وزارة مستقلة .

وكان نجيب الهلالي من أقطاب الوفد ، ولكنه اختلف مع النحاس ورفض الإشتراك معه في وزارته الأخيرة .. فما أن تولى رئاسة الوزارة ، حتى أخذ يندد بسياسة الوفد ، ويطلب بحل مجلس النواب الوفدى ، وبإجراء إنتخابات جديدة .

واعتمد الهلالي في حكمه على علاقة التفاهم مع القصر ، بينما وقف موقف العداء من الوفد ، وموقف التبعاد من المعارضة ..

ومع ذلك لم تعمر هذه الوزارة كثيرا ، إذ قدم الهلالي إستقالته في ٢٨ من يونيو عام ١٩٥٢ م ، وكلف الملك حسين سري بتأليف الوزارة .

والواقع أن خروج الهلالي من الوزارة كان نتيجة مؤامرة قام بتدبيرها أحمد عبود وكرم ثابت وأنطون بوللى للتخلص من وزارة الهلالي ... وقيل أنهم اجتمعوا في باريس لتدبير المؤامرة ، وإن عبود دفع مليوناً من الفرنكات السويسرية ثمناً لرأس الوزارة .

وقام حسين سري بتأليف الوزارة ، يدخل فيها كرم ثابت وزيراً للدولة ..

لقد أصبح الحكم في مصر مهلهلاً ، فالحكومات تتعاقب دون أن تستطيع أن تعيد الإستقرار للبلاد .. والناس يتحدثون عن الفوضى والفساد الذى يسود البلاد ، ويتوقعون أن أحداثاً داخلية جسيمة لابد أن تفرض نفسها .

وأصبح الحديث عن الضباط الأحرار يدور داخل الجيش في وسط الهيئات وجاء حادث نادى الضباط ، ليظهر للناس الصراع الخفى بين الملك والضباط الأحرار .

حالة من البلبلة الفكرية والتشوش تسود الجيش والشعب .. وكان حسين سري يعلم بنشاط تنظيم الضباط الأحرار ... دون أن يعلم الأسماء .

وكانت إنتخابات نادى الضباط هى المظهر الواضح لصراع الجيش ، فاقترح حسين سري على الملك أن يعين اللواء محمد نجيب رئيس النادى المنتخب وزيرا للحرية ، ظنا منه أن في ذلك علاجاً مؤقتاً للتذمر الذى كان يسود الجيش .. وفاته أن تنظيم الضباط الأحرار لم يكن

بتمنى إليه نجيب في ذلك الوقت .

ومع ذلك رفض الملك إقتراح رئيس حكومته واعتبر هذا الإقتراح بمثابة ضعف من رئيس وزرائه ، سوف يغرى هذه الشرذمة من الضباط للمغالة في مطالبهم .

وقدم حسين سرى إستقالته فقبلها الملك بمتعاضاً .. وقام بتكليف الهلالى بتأليف وزارة جديدة ، وحاول الهلالى تعيين محمد نجيب وزيراً للحرية ، فما كان من الملك إلا أن قام بتعيين قواد شيرين زوج اخته الأميرة فوزية وزيراً للحرية .

وكانت وزارة الهلالى آخر وزارة في عهد فاروق . وأصبح موقف تنظيم الضباط الأحرار حرجاً ، فأى تأخير في تحرك التنظيم قد يمكن الملك من القضاء عليه .. ولذا كان لابد لنا أن نقوم بعمل شيء ما .. فحدث ما حدث ليلة ٢٣ يوليو على نحو ما سألنيته^(١)

لقد تعاقبت أربع وزارات في مدى ستة أشهر .. صورة لحكم مهلهل ، تسوده القوضى ، ويسوده الصراع الدامى بين الملك والجيش .. ولذا كان لابد أن ينشب التصادم وقد حدث . ويقول صلاح نصر في مذكراته أيضاً :

أنه في أواخر يونية عام ١٩٥٢م صدرت الأوامر إلى الكتيبة الثالثة عشر مشاة (كتيبتى) بالتحرك من العريش إلى معسكر العباسية بالقاهرة بعد إنهاء مدة خدمتها في سيناء .

وكان من المفروض وفقاً لتقالات وحدات الجيش ، أن تبقى الكتيبة في هذا المعسكر شهرين ربّما تستعد للتحرك إلى السودان ، لتغير كتيبة أخرى انتهت مدة خدمتها بالسودان .

وكان العرف أن تقوم الكتيبة المنقولة إلى السودان بتسليم جميع معداتها عدا البنادق والرشاشات الخفيفة وذخيرة الخط الأول .. وحينما تصل الكتيبة إلى الخرطوم تسلم معداتها الكتيبة التى ستغيرها .. وتعود الكتيبة الأخرى من السودان ببنادقها ورشاشاتها فقط .

ولذلك صدرت إلينا التعليمات من رئاسة الجيش بتسليم حملة الكتيبة وعرباتها المجنزرة ومدافعها واحتياطى ذخيرتها .

وكان تنظيم الضباط الأحرار قد قرر من قبل تأجيل قيام الثورة عامين على الأقل من موعد قيامها .. وفى أثناء حريق القاهرة كانت هناك نية لقيام الثورة في شهر مارس عام ١٩٥٢م ،

(١) تكتسب مذكرات صلاح نصر أهميتها من القيمة السياسية لصاحبها ، والذي مثل رمزاً للرعب السياسى طيلة عهد عبد الناصر ولخص في شخصه وسلوكه كل سلبات تلك المرحلة من تاريخ مصر ، من هنا كانت لرويته أهمية خاصة لمن يريد التأريخ للأحداث (المؤلف) .

ولكن هذه الفكرة استبعدت ، إذ لم تكن قد تأهنا بعد للعمل .. وكان القصر قد بدأ يحس بنشاط الضباط الأحرار ، وتحديدهم للملك في إنتخابات نادى الضباط .

ولذا أسرع الملك وأصدر أوامره بسحب الجيش إلى ثكناته ، وبدأ يستخدم حرمه الخاص «الحرش الحديدي» في تنفيذ عمليات الاغتيال .. وكان المرحوم اليوزباشى عبد القادر طه أحد ضحايا الملك في عمليات الإغتيال .

وكانت هناك صلة قبل قيام الثورة بين تنظيم الضباط الأحرار وتنظيم «حدثو» الشيوعى أو ما يطلق عليه الحركة الديمقراطية للتجمع الوطنى ، وذلك عن طريق جمال عبد الناصر وخلد محيى الدين وأحمد حمروش .

وكان من المعروف أن عبد الناصر كان منضمًا إلى «حدثو» تحت اسم حركى يدعى «موريس» .

وتطورت الأحداث بعد إستقالة وزارة الهلالى الأولى في ٢٨ من يونيو عام ١٩٥٢م ، مما عجل بموعد الثورة .. إذ بدأ الصراع بين تنظيم الضباط الأحرار والقصر يظهر على السطح .. وأثارت إنتخابات النادى غضب الملك ، وأخذت السلطة تسعى جادة لكشف التنظيم ، وأصبحت بعض الأسماء من ضباط الجيش معرضة للإعتقال والفصل ، وكان من بينها بعض الضباط الأحرار ، ومعنى ذلك أن تنظيم الضباط الأحرار أصبح معرضا للضرب من الملك .

* هذا ولقد جاءت المرحلة الفاصلة في مرحلة ما قبل الثورة في أول يوليو ١٩٥٢م حين قام جمال بالأجازة الثانية له بعد حرب فلسطين وتوجه إلى الأسكندرية ، وكان الجهاز كله يعمل في صمت وسكون في القاهرة ..

وفي يوم ١٢ يوليو عاد إلى القاهرة بعد أن اطمأن على قواته في الأسكندرية .

وفي ١٥ يوليو بدأت الحوادث والأخبار ترد إلى جمال بعزل مجلس إدارة نادى ضباط الجيش في داخل الجيش ، ثم الإتجاه بعد ذلك إلى الشعب ، وباتجاه الطرف الآخر إلى كبت الشعور القومى والتنكيل به .

وكانت هذه هى إشارة الخطر .

يقول جمال عبد الناصر في مذكراته - مصدر سابق مجلة المصور ، نوفمبر ١٩٥٢م - : «فاجتمعنا وقررنا أن نتخذ إجراءً مضاداً وفي أقرب وقت ، فكان أماننا خطتان ، الخطوة الأولى أن يقوم الجهاز الخاص بالعمل باغتيال جميع الحونة المصريون ، والخطوة الثانية كانت



عبد الناصر قبل أن يبلغ الرى العسكرية ١٩٥٣

أن يقوم جميع الضباط الأحرار بالعمل لتغيير النظام بأجمعه .

وقررنا في ١٨ يونيو تنفيذ الخطة الأولى ، بل لقد وضعت هذه الخطة فعلا موضع التنفيذ ، وصدرت الأوامر بتنفيذها في القاهرة والأسكندرية يوم ٢٠ يوليو ، ولكن ...

اجتمعنا يوم ١٩ يوليو ، ووجدنا أننا بذلك قد نقضى على حركة الضباط جميعا ، إذ أن النظام سيقى مهما قتل من أنصاره وستكون النتيجة حملة من الإرهاب في الجيش وبين أفراد الشعب ، وسيكون الضرر الذى يحل بالبلاد كبيرا .

ولذلك قررنا إلغاء الخطوة الأولى ، وتنفيذ الخطة الثانية وكلف عبد الحكيم عامر وكمال الدين حسين وأنا بوضع الخطة التنفيذية .

وصدرت الأوامر للضباط الأحرار بعدم ترك منازلهم من الساعة الثالثة بعد الظهر إلى السادسة يوميا ، واستدعينا من في خارج القاهرة بالأجازه للعودة إليها للإستعداد .

وفي يوم ٢٢ يوليو اجتمعت اللجنة التأسيسية لأخذ الأوامر النهائية ، وتم إصدار الأوامر في الساعة الخامسة .. وخرج أفراد اللجنة التأسيسية للتنفيذ .

هذا ويروى عبد الحكيم عامر قصة الساعات الفاصلة في تاريخ الثورة من خلال حواراته العديدة (انظر نص كلماته في أنور الجندى .. مصدر سابق ص ٥٧) .

«نحن في أوائل يوليو ١٩٥٢م والوزارة وزارة ، السيد حسين سرى ، وموجات السخط تجتاح النفوس ، وتزداد وطأتها كلما قامت وزارة وراحت أخرى بسرعة مجنونة يحرك خيوطها ملك مجنون وعصبة فاجرة ، وجاعى جمال عبد الناصر ، وحسبتها زيارة عادية ، لكن كان لها ما بعدها فلا شئ وراء جمال عبد الناصر إلا الحسم .

سألنى : هل سمعت بأمر الملك الخاص بإغلاق نادى الضباط ؟

وأجبت : نعم ..

وصمت جمال قليلا ، إلا أنه كان يادى التفكير ، كمن قد اتخذ قرارا بينه وبين نفسه .

ثم عاد وسألنى : إيه رأيك .. أن حل مجلس إدارة نادى الضباط معناه إن الضباط سيصابون بهزيمة معنوية ينتج عنها تفكك رابطتهم وقوتهم .

واتبع كلامه بقوله : وحسين سرى عامر إذا أصر الملك على تعيينه وزيراً للحرية فمعنى ذلك أن أى ضابط «فيه رفق حيتهدل» ..

وتكلمت وأنا أعتقد أن كلامى سيطابق القرار الذى اتخذته بينه وبين نفسه ..

وقلت : مفيش حل إلا أن الحركة تتعمل ..

فقال : أنا فعلا وصلت إلى هذا القرار .

وتصافحنا .. وأصبحنا منذ هذه اللحظة داخل خط النار ، ولا خارجه كما كنا منذ دقائق ، ووجدنا أنفسنا فى الممعة نجد ونكد ونسهر وننام (إن نمانا) . بعين واحدة ، والأخرى تراقب الاحتمالات والمفاجآت التى تحملها لنا الليالى .. واتفقنا على إتخاذ إجراءات واسعة للإتصال بالضباط الموجودين بخارج القاهرة والموجودين بها ، وكثير منهم كانوا بالأجازات ، وأخذ البكباشى جمال على عاتقه أن يتصل بالضباط الموجودين بالقاهرة أساسا .

كان لابد أن أتصرف فى حكاية الأجازة التى انتهت ، حتى أستطيع البقاء فى القاهرة ، فذهبت إلى المستشفى العسكرى وقلت «عيان» فقالوا «لأ مش عيان» ولازم ترجع وحدتك .. باللا على رفع .. « ولكنى قلت للأطباء» هو العيان يقال له (لأ) كده ، مش تكشفوا عليه الأول «فسابونى ومسألوش فيا» وغبت عن المستشفى أسبوعاً كاملاً بلا أجازة ، قمت فيه بمهمتى من حيث الإعداد والتنظيم والإتصال .

... ودخلنا فى اللحظات الحرجة ، ووضعت أكثر من خطة على أساس تقديرين اثنين لا ثالث لهما ، إما أن تقوم بعمل كامل لتنفيذ الحركة ، وإما أن يقسم الضباط أنفسهم إلى (٣٠ تيم) بأسلحة كاملة من الجيش ، وفى ساعة الصفر تخرج هذه الجماعات وتخلص البلد من السياسيين الخونة وعملاتهم وتنظف البلد نظيفاً شاملاً .

ثم اقتربت الساعة الحاسمة ، وكنا قد انتهينا من احصاء قوتنا ، والتعرف على امكانياتنا ، فرأينا أن الأساس الأول : وهو القيام بحركة كاملة هو الأساس الأمثل ، واتخذنا هذا القرار ، ذلك لأن التدبير الثانى فيه ضرر ، وهو أننا مهما خلصنا البلاد من المفسدين فإن أذنانهم لا تنتهى .. وهنا رأينا أيضاً أن (تقدير الموقف) الذى حسبناه بعد عودتنا من فلسطين ، قد طابق الواقع تماماً ، ولقد ساعدتنا الظروف السياسية القلقة من ناحية وتذمر الضباط الشديد من تصرف الخونة فى مصر الجيش وأنظمتهم وكرامته على أن تنفذ خطتنا فى سنة ١٩٥٢م

وفى مذكراته أيضاً يروى جمال عبد الناصر أن القصر فى تلك الأيام لايزال شاكاً فى قدرتنا على القيام بحركة كاملة ، ولكنه كان يريد أن يطمش بنا إستعادة لمكانته التى رأى أنها إهتزت إهتزازاً شديداً .

وقطع الطريق علينا لأنه كان يعتقد أننا وإن كنا أضعف من أن نقوم بحركة كاملة فنحن على كل حال نستطيع أن يكون التمهيد للحركة الكاملة ، لذلك كان يريد أن يفتك بنا ، وكان يدبر لهذا الفتك في نفسك الوقت الذى كنا نحن قد فرغنا تماما من وضع الخطة الحاسمة للفتك به وعرشه وحكم أسرته للبلاد .

وفى الليلتين الحاسمتين بعد أن تحدد الموعد بدأ جو الثورة يأخذ طابعا رهيبا .. ويقول عبد الناصر أيضا :

كنا نجتمع فى بيوت مختلفة ليقول كل لأخيه حقيقة ما يشعر به وما يحسه ، وقد اخترنا أن نضع رؤسنا فوق أكفنا لتستقر عليها ، وهى تقدم على هذا الخطر الجسيم والمغامرة التاريخية .

وكان لكل منا زوجة وأولاد وأسرّة ومسؤوليات ، كان لا بد لنا من أن نفكر فيهما ونحن مقدمون على هذه المغامرة وكان السؤال الخافى الذى تسرب إلى قلوبنا هو : ماذا لو فشلنا وانتصر علينا المجرمون ؟

ولكن الروح التى أقبلنا بها على المعركة ، والدم الذى كان يغلّ فى عروقنا ، والقوة التى أظهرتها لنا الوحدة والكفاح الذى عززته التضحية قد جعل هذا السؤال الهامس يختفى ويختفى حتى يتلاشى ، وأقبلنا على المعركة وليست لنا فكرة تراودنا سوى مصر وشعب مصر وجيش مصر : أما الحياة وأما الموت .. وأما الأولاد وأما الأمهات والأشقاء فلم يتسع لهم فى حركتنا مكان ، وأصبح مكانهم الداخلى بين صفوف ملايين الشعب التى تقوم على التضحية من أجل سعادتها وحياتها .

كنا مؤمنين بحقيقة ثابتة هى أن الشعب معنا وإن كثر الجماهير ستقف حائلاً بين خططنا وجواسيس المجرمين ، وأتينا لو فقدنا الفرصة اليوم فإننا سنكسبها غدا .

وكان هذا هو ما يشجعنا ...

وقد سجل جمال عبد الناصر المواقف الحرجة التى صادفته ليلة ٢٣ يوليو فقال فى مذكراته :

مرت لى مواقف حرجة كثيرة ، ولكن أخرجها كانت ليلة الثورة ، كان موعد تحرك القوات الساعة الواحدة بعد منتصف ليلة ٢٢ يوليو ، وكان موعد إحتلال رئاسة الجيش فى الساعة الواحدة والنصف بحث تتقابل القوات كلها عند رئاسة الجيش لإحتلالها ، وفى الساعة الحادية عشرة علمت أن رئاسة الجيش احيطت خبراً بخطتنا ، لأن أحد الضباط

المشاركين في الحركة ، عندما مر الضباط لأخذه معهم فطن أخوه إلى أن هناك حركة ما ، فحاول منع أخيه الذي رفض أن يستمع إليه . وقد ذهب هذا الأخ المانع في إشتراك أخيه إلى سراى القبة ، وأخبر الضباط النوبتجي بالأمر ، الذي قام بإبلاغ سرى المتزح حيث كان يقم الملك السابق ، فصدرت الأوامر للفريق حسين فريد رئيس هيئة أركان الحرب لإتخاذ الإجراءات المضادة لمناهضة حركتنا والقضاء عليها ، وذهب الفريق حسين فريد إلى رئاسة الجيش بكبرى القبة ، واستدعى إليه جميع قادة الجيش لوضع الخطة وتنفيذها فوراً .. وقد وصلتني هذه الأنباء الساعة ١١ وأنا بدارى ، بعد أن عدت وقد أعد كل شيء للتنفيذ ، وكان كل الضباط في أماكنهم استعداداً للبدء ، ولم أجد أمامي إزاء ما اتخذ لإحباط حركتنا سوى إعتقال رئيس أركان الجيش وجميع ضباط الجيش المجتمعين معه قبل انفضاض مؤتمهم وتنفيذ خططهم .

لقد توجهت إلى منزل أخى عبد الحكيم عامر ، حيث كنا على موعد لتقابل في الساعة الثانية عشرة ولتوجه معا لأخذ قوة لتنفيذ فكرة الإعتقال ، غادرنا المنزل إلى قشلاق العباسية ، ولكننا وجدنا عددا كبيرا من البوليس الحرنى رابضاً على باب القشلاق ، وهنا لم يكن ضمن خطتنا ففهمنا فوراً أن الطرف الآخر قد بدأ العمل ، ضحركنا إلى سلاح الفرسان ، ولكننا وجدنا البوابة مغلقة وعليها قوات لم نستطع أن نعرف مع أى طرف تعمل هذه القوات ، معنا أو مع الطرف الآخر ، فقررنا التوجه إلى أمانه لإحضار قوة من هناك ، وفي طريقنا إلى أمانه - عند ميدان الكربة - رأينا على مدى البصر أضواء عربات كثيرة في طريقها إلى القاهرة ، وكانت الساعة حوالى منتصف الواحدة ولم يكن هذا أيضاً ضمن خطة قواتنا ، ولقد كان المقرر أن تتحرك قواتنا في الساعة الواحدة وأخذنا نفك ونقدر الموقف جيداً ، ونتساءل هل هذه العربات من قواتنا أم أنها تابعة لخطة رئيس هيئة أركان حرب الجيش التي بدأت في التنفيذ ، ولكننا تأكدنا أنه من المستحيل أن يكون رئيس هيئة أركان حرب الجيش قد بدأ تنفيذ خطته ، ورجحنا أنه لا بد وأن يكون أحد زملائنا الضباط المشاركين معنا قد أخذته الحماسة فخرج قبل موعده ، وانتظرنا على جانب الطريق ، حتى تصل إلينا هذه القوات، وفوجئنا عند وصول أول عربة بأن الفرقة الثانية قد تحركت لتنفيذ خطة رئيس أركان حرب الجيش ، وفي أسرع من لمح البصر كنت وعبد الحكيم عامر محاطين بخمسة ضباط فلاحمين مسلحين بالتومى جن وطلبوا إلينا أن نرفع أيدينا وأن نثبت في مكاننا ، وكانت أخرج لحظة في حياتي كلها. فعلاً ، لقد اعتقدت أن الخطة التى وضعناها ورتبناها قد باءت بالفشل الذريع

وبعد لحظة وجدت أحد إخواننا ينادينى من العربة الثالثة ويقول لى فى فرح زائد : «لقد

أسرنا قائد الفرقة وقائد ثانى الفرقة وأنا مع قوتي» ولقد أحضرت معى جميع العربات التى قابلتها فى الطريق ، ونزل من العربة وحضر إلى قائلاً أن القوة التى معه هى ٨٠ جندياً فقط لأن باقى الفرقة فى فلسطين ، وعرفت فى هذه اللحظة أنه تحرك فى الساعة ١٢ بدلا من الواحدة .. ولم يكن أمامنا غير حل واحد فقط ، هو إحتلال رئاسة الجيش بهذه القوة التى معنا ، وتحركنا إلى الرئاسة بكبرى القبة ، وبدأنا عملياتنا بمحاصرتها فى الساعة الواحدة إلا عشر دقائق أى قبل الموعد المحدد بأربعين دقيقة .

وبدئ فى توزيع القوة ، وقام عبد الحكيم عامر وضباط الكتيبة الشجعان وثلاثون جنديا فقط بمهاجمة رئاسة الجيش ، ولكن الباب الحديدى كان مغلقا ، وكانت عساكر رئاسة الجيش محتلة مواقعها وبدأت تطلق علينا النار ، واستمرت المعركة ٤٠ دقيقة ، وفى هذه الأثناء كانت قوات الفرسان قد بدأت فعلا فى التحرك من أماكنها وفى الساعة الواحدة والنصف سقط فى أيدينا مبنى رئاسة الجيش واعتقلنا كل من فيه ، وكان هذا العمل أول بادرة النجاح .

ثم أصبح ٢٣ يوليو فأذيع أول بيان للثورة ، وتنفس الشعب وأحس بأن الضياء قد بدا وأن الفجر قد طلع .

وقال جمال : إن روح الشعب فى ذلك اليوم أمدتنا بالقوة والعزم فلم نكن نتوقع هذا النجاح الغريب السريع ، فمضينا أقوىاء أمناء نعرف مواضعنا من الشعب الكريم ومن قلوب أبناء المظلومين .

لقد كان أول عرض فى العاصمة أحد الدوافع التى حركتنا دفعا إلى الامام ، ولقد وجدنا أن ملايين المصريون جميعا معنا ، فتنطورت وسائلنا لتحقيق أهدافنا ، وإندفعت خطواتنا سريعة مفاجئة حتى إنتهت بعزل الملك الفاسد ...

وبهذا نجح جمال عبد الناصر .

ومن طرائف ثورة يوليو ١٩٥٢م ، ما حاول السادات فيما بعد أن ينسبه لنفسه ، حين أوحى فى كتاباته العديدة (بعد أن أصبح رئيساً لمصر عام ١٩٧٠م وليس قبل ذلك) أنه هو المفجر الحقيقى لثورة يوليو ، ولنتأمل ما يقوله أحد كتبة السادات المخلصين (موسى صبرى فى كتابه السادات الحقيقة والأسطورة) :

حول مشاركة أنور السادات فى الثورة ، يدلل موسى صبرى على أن السادات لم يتهرب من المسئولية ليلة الثورة أيضا بشهادة الدكتور محسن عبد الخالق أحد الضباط الأحرار .. يقول عبد الخالق : «إن جمال عبد الناصر أرسل حسن إبراهيم بالطائرة لإبلاغ أنور



على قيادة الثورة عام ١٩٥٢

السادات بالحضور إلى القاهرة قبل يوم ٢٣ يوليو ، وحضر أنور السادات ، ولما لم يجد خبراً أو رسالة من جمال عبد الناصر حتى حوالى الساعة الثامنة أو التاسعة كما يقول بالنص

اصطحب زوجته إلى السينما وترك خيراً لدى البواب بأسم السينما وأبلغه أنه إذا حضر أى شخص له ترك رسالة أن يحضرها إلى السينما ، وبلغ مدير السينما بأنه فى الداخل و ينتظر صديقاً ، أو رسالة منه ورجاه أن يخبره إذا حدث ذلك .. ذهب جمال عبد الناصر لأنور السادات وكانت الثورة قد عرفت وترك رسالة سريعة للبواب . لم يتصرف البواب .. إنتهت السينما وخرج أنور حوالى الساعة ١٢،٤٥ أو ١٢،٣٠ بعد منتصف الليل ووجد رسالة جمال عبد الناصر ، فلبس الملابس العسكرية ، وذهب فوراً إلى مقر القيادة فى كوبرى القبة .

هذه هى بالنص الشهادة التى اعتمد عليها موسى صبرى لينفى عن السادات هروبه من المشاركة ليلة الثورة ، وهى تنسب التقصير إلى البواب المسكين الذى لم يتصرف .

وهى شهادة غير صحيحة .. على الأقل لأنها تتناقض مع شهادة أنور السادات نفسه ، ولا يمكن أن ننسب إلى أنور السادات دور هو نفسه ينفيه ، أو نعرف ما دار ليلة الثورة ، ونبره له ، وفى حين أنه له كلمات فى كتبه قاطعة .. تكذب تماماً هذه الشهادة بل إن السادات نفسه كتب إن عدم مشاركته فى الثورة تحول إلى نكتة يضحك عليها زملاؤه أعضاء مجلس الثورة كلما رأوه ... ويعايرونه لهذا الموقف .

قال لى حسن إبراهيم عضو مجلس قيادة الثورة إنه طار إلى العريش وأخطر أنور السادات بأن موعد الثورة هو ليلة ٢٣ يوليو أى أن السادات كان يعرف موعد قيام الثورة .. وحتى لو لم يحدد له الموعد وطلب منه حسن إبراهيم مجرد التواجد فى القاهرة وفى وقت كان يعرف أن هناك تحديد لموعد قيام حركة الجيش فما كان يجب أن يهرب ويور عدم تواجده ، ليلة الثورة ، بأنه لم يجد عبد الناصر فى إنتظاره على محطة القطار كعادته .

وهو عندما كتب قصة الثورة كاملة ، أو يا ولدى هذا عمك جمال الذى يروى فيه قصة علاقته بجمال عبد الناصر ، لم يذكر أبداً أن جمال عبد الناصر كان ينتظره عندما يأتى من العريش ..

وكان قطار العريش يغادرها فى الصباح المبكر ، ويصل إلى القاهرة حوالى الساعة الثانية بعد الظهر .

ولو أن جمال عبد الناصر معتاد على إنتظاره على محطة القطار ، وأرسل يستدعيه لأن موعد الحركة قد تحدد ، حتى ولو لم يعين الموعد بالضبط - ولم يجد جمال عبد الناصر فى إنتظاره

كعادته ، فقد كان ذلك أدمي إلى أن يبحث عنه ، لا أن يتركه ويذهب إلى السينا .

كيف تصرف أنور السادات بعد أن أبلغه حسن إبراهيم بموعد الثورة ، يقول السادات : «البحث عن الذات ص ١٤٠» وفي يوم ٢١ يوليو ١٩٥٢م أرسل عبد الناصر رسالة لى مع حسن إبراهيم تسلمتها فى مطار العريش يطلب منى فيها أن أنزل إلى القاهرة يوم ٢٢ يوليو ولكنى لم أجد عبد الناصر فى إنتظارى على محطة السكة الحديد كعادته فقلت فى نفسى لايد أن الوقت لم يحن بعد ، لذلك توجهت إلى بيتى واصططحت زوجتى إلى السينا ولكنى عندما عدت إلى البيت فى منتصف الليل وجدت بطاقة من عبد الناصر يطلب منى فيها أن أقابله فى منزل عبد الحكيم عامر الساعة ١١ مساء ، وعلمت من البواب الذى سلمنى هذه البطاقة ، أن عبد الناصر قبل أن يترك البطاقة أنى إلى بيتى مرتين مرة فى الساعة الثالثة مساء ، ومرة أخرى فى الساعة العاشرة مساء .

شهادة أنور السادات نفسه لم يقل أنه ترك عنوان السينا مع البواب أو أنه أوصى مدير السينا .

وهو عندما يروى الواقعة فى قصة الثورة كاملة يضيف إليها أنه ذهب إلى السينا مع زوجته وأولاده ، وكانت السينا صيفية وتعرض ثلاثة أفلام طويلة ولم يذكر أنه ترك رسالة لعبد الناصر مع البواب .

فالتبرير الذى يقدمه محسن عبد الخالق - والذى اعتمد عليه موسى صبرى غير صحيح إذن بإعتراف أنور السادات نفسه !!

والأهم من ذلك أنه جاء ولم يجد جمال عبد الناصر فى انتظاره ، وقرر الذهاب إلى السينا ، والسينا الصيفية لا يبدأ عرضها إلا بعد غروب الشمس وبداية الظلام ، فلماذاً صاحب زوجته وأولاده وخرج من المنزل فى الساعة الثالثة بعد الظهر .. لأنه لو كان هناك أحد فى البيت لترك له عبد الناصر الرسالة فى البيت ، أو لأبلغها البواب لأسرته فى وقت مبكر .

معنى كلام السادات نفسه أنه جاء من العريش ، وأخل شقته فصاحب زوجته وأولاده - قبل الساعة الثالثة - وهو موعد مرور عبد الناصر الأول - ولم يعودوا إلى البيت إلا بعد منتصف الليل .

ألا يكون ذلك عن موقف متعمد . ولا تكون المسألة هنا ، هى الذهاب إلى السينا الصيفية المسائية ، ولكن الاختفاء حتى ما بعد منتصف الليل فى وقت كان مستدعى من العريش لعملية محددة ..

هذه هي الملاحظة الأولى .. ولنستمر في قراءة ما كتبه السادات « في البحث عن الذات حول مشاركته في الثورة .. بعد أن عاد من السينما » غيرت ملايسى وأخذت مسدسى معى وتوجهت إلى منزل عامر ، وطبعاً لم أجده ، فذهبت إلى ثكنات الجيش في العباسية لم أكن أعرف كلمة السر بطبيعة الحال ، فمنعوني من الدخول ، وعندما تبينوا رتبتي طلبوا منى أن ألزم بيتى ، فهذه هي الأوامر بالنسبة للضباط العظام ، وناورت وحاولت كثيراً ، ولكن دون فائدة .. كدت أجن ، فكيف تقوم الثورة أمام عيني ، وأنا لا أشارك فيها ، لقد كرست كل حياتى لهذه اللحظة بالذات ... من أجلها ، كافحت وعانيت ، بل وكنت في كل مرحلة من مراحل العمر .. فقيم كان كفاحى ، وفيه كان كيانى ، وأنا أقف موقف المتفرج مما أعطى لهذا الكيان مبرراً لوجوده .

باعترافه هو يقول أنه كاد يجن ... لأنه لم يشارك في الثورة ليلة قيامها .^(١)

ولقد أذاع السادات البيان الأول للثورة بصوته للمرة الأولى على أرجح الأقاويل ثم أذاعته الإذاعة بصوت المذيعين بعد ذلك حتى سجل بصوت السادات بمناسبة مرور عام على حركة الجيش في عام ١٩٥٣م كجزء من تراث الحركة .

ولكن السادات فيما بعد - وهو رئيس - إستغل هذه الواقعة أبشع إستغلال .

أولاً .. أصبحت إذاعة السادات لبيان الثورة جزءاً من المادة الدراسية المقررة على المدارس ، حتى إن الكتب المدرسية إذا ذكرت ثورة يوليو تقرنها بإذاعة السادات للبيان ، لأنها لم نستطع أن نقول إن السادات هو الذى قام بالثورة ولكنها كانت تقول «إن ثورة يوليو - التى اذاع بيانها الرئيس السادات» .

ثانياً : أعاد السادات تسجيل البيان الأول للثورة بصوته في ظل ظروف أكثر تمكناً من كل النواحي ، وكان هذا أيضاً جزءاً من هويته التمثيلية.

ثالثاً : يكرر السادات أكثر من مرة في البحث عن الذات هذه الواقعة التى سبق إن ذكرها في جملة واحدة في كتبه السابقة :

« ما أن طلع صباح ٢٣ يوليو ١٩٥٢م حتى هرعت إلى الإذاعة أعلن ميلاد الثورة ، ليشاركنى الناس ما أنا فيه من سعادة ص ١٤٢ ».

« قبل أن أعلن الثورة ص ١٤٣ » كنت الوحيد من بين أعضاء مجلس الثورة الذى - كتبت

(١) عبد الله إمام : حقيقة السادات - ١٩٨٦ - د. د. ص ٩٦ .



صورة معبرة عن الفترة الأولى في حكم عبد الناصر : النظر بأمل في المستقبل

عليه مواجهة جميع الأحداث منذ إعلان قيام الثورة ، إلى خروج الملك من مصر فقد تسبب هذا في خلق حساسيات كثيرة بيني وبين زملائي في مجلس الثورة خاصة وإنني كنت الاسم الوحيد المعروف بينهم لدى الجماهير نتيجة لنضالي السياسي ، وبعد أن خلقت مني الصحف والمجلات بطلا أسطوريا في قضية أمين عثمان ١٤٧ هـ وأعلنت ميلاد الثورة هـ ص ١٥٥ هـ .

والتماذج كثيرة لاستغلال السادات لواقعة قراءة البيان الأول للثورة الذي يقول زملاؤه أنها لم تكن عملية مقصودة .

هذا ويؤكد عبد الله إمام أن كمال الدين حسين قال له حول دور السادات ليلة الثورة لقد استدعى السادات من العرش بعد أن تحدد موعد الثورة .. وخطر بهذا الموعد .. وكان يعرفه جيدا .. لقد ذهب إليه حسن إبراهيم وأخبره بالموعد وليس من المعقول وهو يعرف الموعد أن يحضر فيجد من ينتظره في محطة السكة الحديد .. ثم لماذا لم يحاول الاتصال بنا ليتعرف على حقيقة الموقف ، بدلا من أن يذهب إلى السينما إذا كان يريد فعلا الاشتراك في الثورة التي جاء من أجلها وبناء على معلومات مؤكدة حددت له الموعد ، لقد كان مفروضا وفقا للخطة أن يقوم بالسيطرة على التحويلة التليفونية في رئاسة الجيش ، ويبحث كيفية السيطرة على مصلحة التليفونات ، ولكنه جاء متأخرا بعد أن تم كل شيء .. فلم يجد له عملا .. وهكذا أسندت إليه مهمة إلقاء البيان الأول للثورة .

وقال لي كمال الدين حسين : « ربما كان هناك من أذاع البيان قبله .. لقد كان لدى مهام في تلك الليلة .. ولم أكن متعبا بالضبط من الذي أذاع البيان في الأول .. ولم تكن هذه قضية .. ولم يتصور أحد أن تكون ذات يوم قضية محورية تدور حولها ويكثر الحديث عنها .. لم تكن تتصور أنه سيأتي يوم يقف شخص ليقول إن أمجاده أنه أذاع بيان الثورة بصوته..! »

إن هذا البيان لم يذع إلا بعد أن سيطرت الثورة سيطرة كاملة على كل شيء ... فلم يكن عملا فدايياً . لأنه تم في ظل تأمين كامل .. وبعد أن سيطرنا على كل شيء .

وتذكر مذكرات ووثائق الضباط الأحرار أن الثورة قد واجهت منذ الأيام الأولى ثورات مضادة ، استطاعت أن تعالجها وتقضي عليها في مهدها .. وتبين لنا أنه لا مفر من هدم أسس النظام القديم بأكمله كي تستمر الثورة . فكيف تستطيع الثورة أن تحقق أهدافها وبخاصة بعد أن تبين لها أنها ستأمرس الحكم - في ظل نظام ملكي لا يزال قائماً ، وفي ظل دستور عفى عليه الزمن ..

كان على الثورة أن تسقط دستور ١٩٢٣م ففى العاشر من ديسمبر سنة ١٩٥٢م أعلن سقوط دستور سنة ١٩٢٣م ، وقرار الثورة بتول مهام السلطتين التنفيذية والتشريعية فى فترة انتقال يتم فيها وضع الدستور الجديد الذى يتفق وأهداف الثورة .

ويقول صلاح نصر فى مذكراته :

ومن ثم أصدر مجلس قيادة الثورة مرسوما فى ١٣ من يناير سنة ١٩٥٣م بتأليف لجنة من خمسين عضواً لوضع مشروع دستور جديد .

وكانت الخطوة التالية التخلص من القوى السياسية القديمة ، فأصدرت الثورة قانوناً فى ١٦ من يناير سنة ١٩٥٣م بحل الأحزاب ومصادرة أموالها لصالح الشعب وتحديد فترة إنتقال لمدة ثلاث سنوات .

وفى ١٨ من يناير سنة ١٩٥٣م أصدر مجلس الثورة مرسوماً بقانون ينص على أن الإجراءات التى اتخذها «رئيس حركة الجيش» لحماية النظام تعد من أعمال السيادة العليا إذ اتخذت فى خلال سنة من تاريخ ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ ومعنى ذلك ان هذه التدابير لا تخضع لرقابة القضاء .

ولكى تأخذ الثورة وضعها الدستورى وتكمل الشكل القانونى لاستيلائها على السلطة ، قامت بإعلان دستور فترة الانتقال فى ١٠ فبراير سنة ١٩٥٣م ، وبموجب هذا الدستور انتقلت السيادة العليا إلى يد قائد الثورة ، وأصبح من حقه تعيين الوزراء وعزلهم .. أما السلطان التشريعية والتنفيذية فقد وضعتا فى يد مجلس الوزراء ، وتشكل مؤتمر مشترك من مجلس قيادة الثورة ومجلس الوزراء ، لتسند إليه مسئولية وضع السياسة العامة للدولة ، ومحاسبة الوزراء .

وهكذا أصبحت الثورة تجمع كل السلطات ، فى يدها ، ولم تصبح أمامها أية عقبة سوى قيام النظام الملكى الذى يتناقض كلية مع أهداف الثورة ، ولذا جاءت الخطوة التالية مدعمة لإستمرار الثورة ، ففى يوم ١٨ يونيو عام ١٩٥٣م أعلن إلغاء النظام الملكى وقيام الجمهورية ، وتسلم محمد نجيب مسئولية رئاسة الجمهورية مع إحتفاظه بسلطاته القائمة فى ظل الدستور المؤقت .

وأحسن محمد نجيب بأن قوته سوف تضعف بعد تعيينه رئيساً للجمهورية ، إذ أعفى من قيادة القوات المسلحة وتسلم قيادتها الصاغ عبد الحكيم عامر الذى رقى إلى رتبة اللواء عند تعيينه .. ولم يجد نجيب أمامه سوى معارضة إعلان النظام الجمهورى مبرراً. ذلك بأنه ينبغى أن يتم ذلك عن طريق استفتاء شعبى عام ، كما عارض فى أن يقفز عبد الحكيم عامر أربع

رتب في ترقية اللواء ، موحيا للمجلس بأن هذا الإجراء سوف يثير نفوس الضباط ، ولكن جهود نجيب باءت بالإخفاق .

وبعد إعلان الجمهورية طالب محمد نجيب بعدة حقوق منها سلطة حق الاعتراض على أى قرار يجمع يجمع عليه أعضاء مجلس الثورة ، وحق تعيين الوزراء وعزلهم ، وسلطة ترقية الضباط كما كان يحدث في عهد فاروق ، بل امتدت مطالبه إلى سلطة نقل الضباط في الرتب العليا ، وتعيين الملحقين العسكريين .

وكان رد مجلس الثورة على ذلك تجاهلا متعمدا من أعضائه ، مع سوء معاملة وتشهير بسلوك وسط الضباط الأحرار ، ومن ثم لم يجد نجيب أمامه سوى طريق واحد هو التقارب مع القوى السياسية القديمة يتبنى قضية الديمقراطية كما أوضحه فيما بعد .

وهكذا بدأت أولى خطوات الحكم تستقر في أيدي الضباط الأحرار ولكن ماذا عن تفاصيل باقي الخطوات .

ثانياً : سنوات القلق : (التطورات السياسية والفكرية خلال الفترة ١٩٥٢م - ١٩٥٤م) .

كانت الفترة التي تلت استيلاء الضباط الأحرار فترة عدم إستقرار سياسى واجتماعى ، تصارعت فيها القوى ، والمصالح ، وإندثرت أحزاب سياسية كانت ملء الأسماع والأبصار ، وظهرت أخرى إلى السطح السياسى ، كانت من قبل سرية ، أو محجوبة عن الشرعية ، وولدت قوى وتنظيمات سياسية ، استخدمتها السلطة في صراعاتها السياسى ، وفى إدارة الأزمات السياسية على إختلافها محليا ودوليا .

* فى هذه الفترة (١٩٥٢م - ١٩٥٤م). وفى هذا المناخ القلق، كان على (الضباط الأحرار) أن يحكموا قبضتهم السياسية تأميناً لأهدافهم المعلنة (ما تعارف على تسميته بالمبادئ الستة) وغير المعلنة ، فماذا فعلوا وماذا حدث بينهم ومن حولهم من صراع سياسى ، وماذا حدث بسببهم من تطورات داخلية ودولية ، ذلك ما نرصده فيما يلى .

*بداية يحدثننا التاريخ أنه عندما تحدد أواخر يوليو ١٩٥٢م ، موعداً للإنتقال تصادف أن جميع أعضاء اللجنة التأسيسية لتنظيم الضباط الأحرار أما أنهم من ضباط الأركان وأما إنهم يخدمون بوحدات خارج القاهرة . ولذلك كان من الضروري إشراك قادة الوحدات الموجودة بالقاهرة في رسم الخطة وتنفيذها . وكان من أبرز هؤلاء القائم مقام أحمد شوقي ، قائد الكتبية ١٣ ، التي تعتبر وحدة من الطراز الأول والتي أطلق عليها فيما بعد «كتبية التحرير» وكذلك

البكباشى يوسف صديق منصور قائد سرية مدفعية متوسطة ، وقد لعبت هاتان الوجدتان دوراً حاسماً فى ليلة الإنقلاب . إذ كان موكلاً إليهما مهمة إحتلال مقر القيادة العامة والقبض على قيادة الجيش .

وكان قد تم توسيع لجنة التنظيم فى منتصف يوليو ، وقد استمر تسعة من الأعضاء العشرة القدامى ، بينما خرج عضو واحد هو عبد المنعم عبد الرؤوف ، وأضيف أربعة آخرون هم : يوسف منصور صديق ، وزكريا محبى الدين ، وهو من قدامى المجموعة وكان حتى ذلك الحين ، لسبب أو لآخر خارج اللجنة ، والبكباشى حسين الشافعى من سلاح الفرسان ، ثم عبد المنعم أمين من المدفعية . وهؤلاء - إضافة إلى نجيب - هم الذين تكون منهم بعد ذلك مجلس قيادة الثورة .

وكانت أحد التفصيلات التى صادفتهم أثناء الإعداد للإنقلاب ، اختيار رجل يمثل الحركة أمام الشعب والعالم الخارجى . فقد كان كل قادة الضباط الأحرار ما بين صاغ وبكباشى ، ولم تكن أعمارهم تتعدى الخامسة والثلاثين ، وقد رأوا أنه من الضرورى وجود ضابط كبير على رأس الدولة . واتجه التفكير فى البداية إلى عزيز المصرى ، لكن المقاتل القديم رفض الدور ، كما أن الضباط لم يحضوه ، فماضيه الموالى للألمان معلوم للكافة ، بالإضافة إلى خشيتهم من أن يتحول بعناده وتهوره إلى عبء عليهم بدلاً من أن يكون عوناً لهم ، وكان الرجل الثانى الذى حاولوا إجتذابه هو اللواء أحمد فؤاد صادق ، الذى كان يقود القوات المصرية فى فلسطين منذ نوفمبر ١٩٤٨ ، ومشهود له بالشرف . وكان يجاهر بولائه للبريطانيين ، وهو فى الوقت نفسه ، خصم قديم للوفد ، وكان يبدى ، من حين لآخر ، تعاطفه مع الأخوان والضباط الأحرار ، وتولى صلاح سالم التفاوض معه ووعدته بمنصب رئيس الأركان ، لكن الرجل ثمت إليه فى ذلك الوقت شائبة حول نية الملك لتعيينه فى نفس المنصب الذى تاق إليه طويلاً ، ففضل التكليف الملكى على وعود الضباط الصغار . لم يكن للشائبة أساس من الصحة ولم يتصل به الضباط ثانية ، وهكذا فقد كل شيء واستقر الأمر أخيراً على نجيب . وكانت إنتخابات نادى الضباط قد ضاعفت من شعبيته ، واكتشف الضباط من خلال تعاونهم الوثيق معه أنه رجلهم المأمول ، ولم يكونوا يدركون أنهم سوف يذلون جهداً كبيراً للتخلص منه .

وضع عبد الحكيم عامر الخطة التنفيذية للإستيلاء على السلطة ، وأدخل زكريا محبى الدين عليها بعض الإضافات وبعد تعديل طفيف أقرها ناصر بشكل نهائى .

وفى إجتماع عقد فى الرابعة من مساء ٢٢ يوليو بشقة خالد محبى الدين ، تحددت الواحدة



جمال عبد الناصر وعبد الحكيم سيارة واحدة وطريقان !! عام ١٩٥٢

قد اتصل به من الأسكندرية مستعلما عن أنباء وصلته حول تحرك القوات بالعاصمة .
واستطاع نجيب أن يقدم له إجابات مضملة .

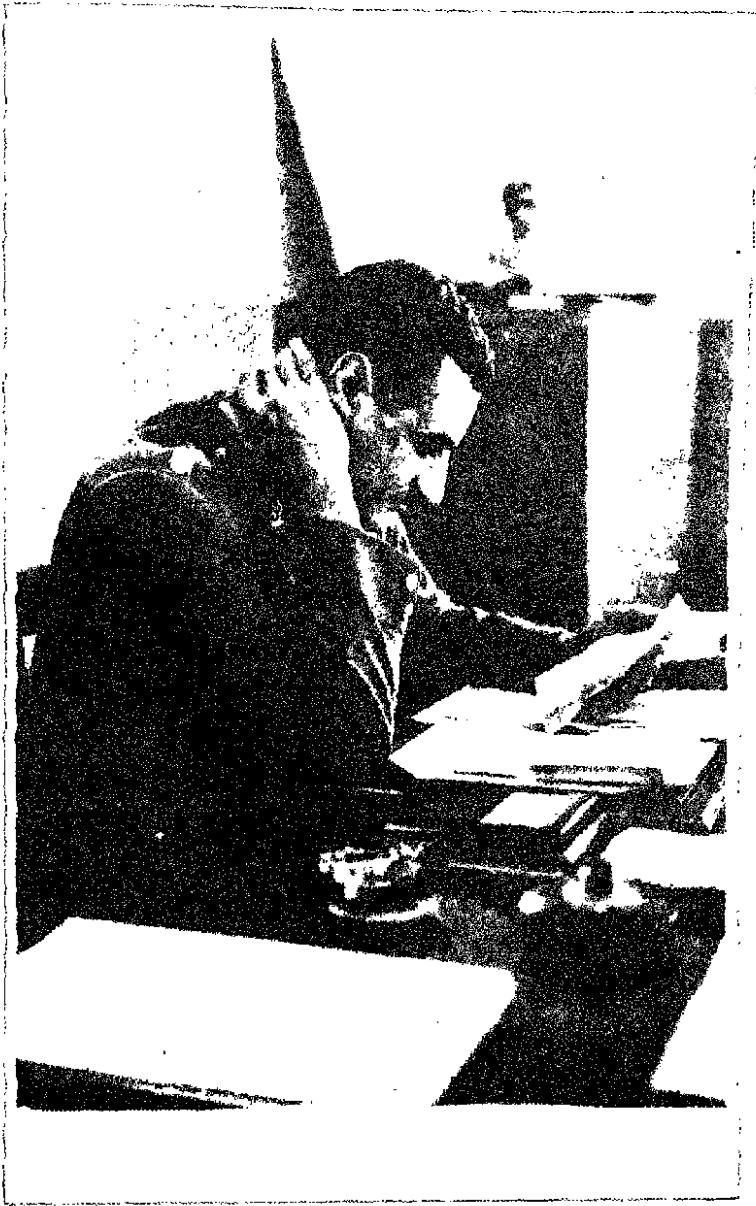
لم تصرف السهولة التي تم بها الإستيلاء على الحكم أنظار الضباط الأحرار عن المصاعب التي يمكن أن تواجههم ، فبدأوا ، في التو ، في تعزيز المواقع التي استولوا عليها ، وكان هدفهم الأول منع التدخل الخارجي . وفي الرابعة صباحاً قام على صبرى بإبلاغ السفارة الأمريكية بتطور الأحداث ، وأكد لهم على ضمان حياة الأجانب وممتلكاتهم ، وقد قدم الأمريكيون ، الذين لم يفاجأوا أو يستأعوا مما حدث ، خدمة كبيرة للضباط في تلك الأيام الحرجة ، فقد اقنعوا الملك بالاستسلام ومغادرة البلاد ، كما نصحوا البريطانيين بالكف عن مساندته .
وكانت الخطوة الثانية للضباط الأحرار هي تشكيل وزارة جديدة ، وقد عهدوا بهذه المهمة إلى على ماهر .

وكانت الخطوة الثالثة هي طرد فاروق ، الذي كان موجودا بالأسكندرية ، فبعد السيطرة على القاهرة وضمان ولاء القوات في رفع ، أمكن للضباط السيطرة على الأسكندرية في يسر . وكان السؤال الذي أثير آنذاك هو كيفية التصرف مع الملك . وقد ناقش الضباط المسألة على امتداد ليلة كاملة . فهم يتمتعون بديمقراطية تامة داخل دائرهم الضيقة ، ويتخذون قراراتهم بالتصويت الحر . وكان هناك رأيان ، رأى يرى تقديمه إلى المحكمة ، ورأى آخر يميل إلى إجباره على التنازل لصالح ولي العهد ، الطفل ، ومغادرة البلاد .

وصوت الأغلبية لصالح الإقتراح الثاني ، وخرج فاروق متوجها إلى منفاه ، وفي ٢ أغسطس تم تعيين مجلس للوصاية من ثلاثة أشخاص : الأمير عبد المنعم من الأسرة المالكة ، والدكتور بهي الدين بركات وهو قاض ورئيس سابق للبرلمان ، والقائمقام رشاد مهنا أحد ضباط الجيش البارزين (كما أوضحنا تفصيلا في الفصل السابق) .

في ٢٣ يوليو ١٩٥٢ م ، ولشهور عدة تلت ، لم يكن الضباط قد بدأوا بعد في استخدام كلمة ثورة ، والتي أصبحت محل التفاخر الرسمي . فاليانبات الأولى تحدثت عن « النهضة » وحركة الجيش المباركة ، وعندما فكروا في استحداث وسام جديد يمنح للضباط العاملين والمحاليين بعد ٢٣ يوليو ، أطلق عليه « وسام التحرير » وذلك في أغسطس ١٩٥٢ م .

وبتاريخ ١٣ نوفمبر صدر مرسوم ينص على اعتبار كل تدبير اتخذته القائد العام للقوات المسلحة « باعتباره رئيس حركة الجيش » عملاً من أعمال السيادة . وتكررت الصيغة نفسها في المرسوم المؤرخ في ١٨ يناير ١٩٥٣ م ، والخاص بحل الأحزاب السياسية . وكان الدستور



عد الناصر يتابع تقارير أجهزة المخابرات في بداية الثورة

صباحا كساعة للتحرك . وفي الساعة مساءً أخبر ضابط المخابرات سعد توفيق ناصر ، بأن القيادة العامة علمت بوجود حركة مريبة بين الضباط ودعت إلى إجتماع طارىء في تلك الليلة . وحاول ناصر وعامر الإتصال بزملائهما لتقديم الموعد ، وفشلا في ذلك .

وعلى الجانب الآخر ، كانت الأمور تسير بأسرع مما كان متوقعا ، وتحول إجتماع القيادة العامة إلى شرك أمكن للضباط عن طريقه الأيقاع بكل قيادات الجيش بضربة واحدة فعند منتصف الليل قامت سرية تابعة للكتيبة ١٣ بقيادة أحمد شوقي ، تصاحبها عربية مصفحة بقيادة يوسف صديق ، بمهاجمة مقر القيادة العامة ، وقد وقع تراشق قصير بالنيران سقط خلاله جندي واحد من كل جانب ، كما جرح اثنان آخران ، ثم استسلم الحرس ، وقام يوسف صديق وعبد الحكيم عامر ، يتبعهما بعض الجنود ، بإقتحام غرفة إجتماعات القيادة وهم شاهرؤا السلاح وطلبوا إلى الحاضرين تسليم أنفسهم . في البداية رفض حسين فريد رئيس الأركان ، ثم سلم مسدسه بعد أن أطلق ثلاثة أعيرة من خلال ساتر ، وألقى القبض عليه مع دسته من اللواعات والأميرالات ، وهكذا نجح الإنقلاب بأسرع وأسهل مما يتصور مدبروه .

وفي نفس الوقت ، قام عدد من وحدات الجيش ، بقيادة الضباط الأحرار ، بالاستيلاء على النقاط الاستراتيجية بالقاهرة .. خطوط التليفون ، المطار ، محطة السكة الحديدية ، ولم تصادفهم مقاومة تذكر في تلك المواقع . وفي الواحدة والنصف ، استولت مدرعات حسين الشافعي على محطة الإذاعة ، بينما تولى جمال سالم قيادة وحدات العريش ، وتولى أخوه صلاح قيادة قوات رفع . وفي الثالثة صباحا جاءوا بنجيب من منزله إلى مقر القيادة ليصبح القائد الأعلى للقوات المسلحة . وفي الساعة والنصف صباحا أذاع راديو القاهرة بيانه الأول إلى الشعب المصري والعالم ، نيابة عن الجيش . وقد صاغ البيان عامر وناصر ، وأذاعه السادات .

هل كان نجيب على علم بخطة الإنقلاب ، أم لا ؟ لقد أصبح هذا السؤال مثار خلاف بعد ١٩٥٤ ، والحقيقة أنه كان يعلم ، ولا يعلم ، فهو يعرف عن حركة الضباط الأحرار ، لكنه لم يكن عضوا بها ، بل كان يؤيدها ويدعمها دون أن يعلم شيئا عن تنظيمها وخططها . وفي ٢٠ يوليو ، قام ناصر وعامر بزيارته لإبلاغه بخطة الإنقلاب والدور المحدد له فيها ، لكنهما وجدا عنده اثنين من الضيوف لا يثقان بهما ، البكباشي مجدى حتاتة والصحفي محمد حسين هيكل ، فلم يطرحا الموضوع الى جاءا من أجله . وعلى مدى اليومين التاليين فضل الاثنان عدم الإتصال بنجيب درءا للشبهات . وفي ليلة الإنقلاب لم ييارح نجيب منزله . ولكن عندما حضر إليه اثنان من الضباط ليصحباه إلى مقر القيادة لم يبد دهشة . وكان وزير الداخلية

المؤقت في فبراير ١٩٥٣م ، أول وثيقة تحدثت عن سلطات «قائد الثورة». وفي نفس الشهر ، استخدمت للمرة الأولى عبارة «مجلس قيادة الثورة» .

ومن المعروف أنه وقبل الانقلاب كانت لتنظيم الضباط الأحرار علاقات متشعبة مع عدد من التنظيمات الجماهيرية ، لكنه لم يكن يتعاون معها ، وبعد الإستيلاء على الحكم ، استغل الضباط تلك الصلات في تدعيم نظامهم . فبعد أن حصنوا مواقعهم جيداً ، قاموا بحل جميع التنظيمات ، بلا إستثناء ، وبدأوا بالأحزاب البرلمانية وانتهوا بالأخوان المسلمين .

وعندما وقع الانقلاب لم تكن هناك صلة بين الضباط والجماهير ، وتركت الجماهير على سبيلها ، ولم تدع لتسيير دفة الأمور ، أو المشاركة في ارساء الحكم الجديد . وقد منعت المظاهرات منعاً صريحاً في ٢٥ يوليو ، ومما لا شك فيه أن انقلاب يوليو ١٩٥٢م ، كان تدشيناً لمرحلة جديدة من التحولات السياسية والاجتماعية الكبيرة في مصر ، ولكن لم تقيم «ثورة» . ولم يكن الضباط على رأس ثورة ، بل انهم أجبروها برغم تزييم بزى الثوار . فبينما أطلقوا ٢١ طلقة نحية للملك عند إبحاره من الإسكندرية في ٢٦ يوليو ، أطلقوا النار على عمال كفر الدوار الذين كانوا يهتفون للثورة ، وكانت المشائخ من نصيب زعمائهم . لقد عقد الضباط الأحرار عزيمتهم على تأييد سلطانهم في مواجهة أية قوة أخرى .. سواء من اليمين أو من اليسار . وكان تفنيت قوة الطبقة العاملة مهمة سهلة نسبياً .. كانت قضاء على غريم محتل ، أما كشريك لهم ، أو كبديل . لكن المعركة من اليمين كانت صراعاً ضد خصم عتيق من أصحاب السلطة التقليدية وكانت الخطوة الأولى في هذا السبيل هي تطهير الجيش ، والقضاء على الأحزاب ، ثم الإصلاح الزراعى .

وكان طرد قيادات الجيش أول الخطوات التي اتخذت في نفس ليلة الانقلاب ، وتواصلت التغيرات الشخصية حتى استبدلت جميع قيادات الجيش تقريباً خلال فترة قصيرة من الزمن . وقد طرد أكثر من ٤٠٠ ضابط : معظم من كانوا برتبة القائمقام ، وكل أصحاب الرتب الأعلى من ذلك باستثناء نجيب الأميرالاي محمد إبراهيم ؛ واحيل عدد منهم إلى المحاكمة ، والباقي إلى الإستيداع ، لم يحل محلهم بالضرورة ضباط من أعضاء التنظيم ، فهؤلاء وهبوا أنفسهم للمناصب السياسية ، وتركوا تلك الرتب لضباط آخرين ممن يثقون في ولائهم ومن المنافسين لهم مهنيًا ، وبهذه الطريقة ضمن قادة الضباط الأحرار ولاء عدد كبير من الضباط ، ونجحوا في الوقت نفسه في تحسين أوضاع الجيش .

ويرى المؤرخين أنه من الأحزاب ، فقد لعب ضباط الجيش لعبة القط والفار ، ففور وقوع الانقلاب تسابق زعماء الأحزاب في تقديمهم النهاى لحركة الجيش معلنين تأييدهم لأهدافها .

وسواء كان الباعث على تصرفهم هذا هو إظهار التأييد اعتقاداً بأن الأمور ستظل في النهاية على ما هي عليه ، أو أنهم اعتقدوا بهذه الطريقة أنه يمكنهم الإبقاء على النظام الحزبي وأوضاعهم السياسية والشخصية ، فقد أخطأوا التقدير في كلتا الحالتين ، إذ أن الضباط كانت نياتهم مختلفة . وفي ٣١ يوليو ، صدرت الأوامر إلى الأحزاب «بتطهير صفوفها» أسوة بالجيش . كان الطلب خدعة ذكية ، فهو ظاهرياً ، يعترف بالأحزاب ، ولكنه يخضعها ، عملياً ، لسلطات النظام الجديد ، بل ويلقى ببذور الفتنة فيما بينهم فزعماً الأحزاب لا يمكنهم رفض مبدأ التطهير بعد أن أعلنوا الولاء للنظام الجديد . وبعد أن وقعوا في المصيدة بقبولهم مبدأ التطهير ، انفجرت الصراعات والخلافات داخل كل حزب حول الأعضاء الواجب تطهيرهم ، في وقت إزدادت فيه الضغوط من أجل التوسع في التطهير ... وهددت الحكومة بالقيام بالعملية بنفسها إذا لم تطهر الأحزاب نفسها بنفسها . وفي ٨ سبتمبر صدر قانون لتنظيم الأحزاب يشترط موافقة الحكومة على برامجها وزعمائها . وسرعان ما ارتجلت الأحزاب القديمة لنفسها برامج جديدة .. قدم الوفد نفسه باعتباره حزباً ديمقراطياً اجتماعياً سياسياً ، وأطلق السعديون - حزب رجال الصناعة - على أنفسهم «الحزب الديمقراطي الاجتماعي» ولم تضاف تلك المهزلة سوى المزيد من المسامير في نعش الأحزاب . الحزب الوحيد الذي حاول أن يقود معركة هو الوفد تلك القوة الشعبية الكبيرة بتاريخها الطويل في مقاومة الإنجليز والسراي ، وصاحبة القدرات السياسية العالية . وأصبحت شخصية النحاس عقبة في سبيل الضباط . وفي الوقت الذي كان الضباط يطالبون بإبعاده ، كانت الصحف الوفدية تنصدها العناوين المثيرة مثل «لا وفد بدون النحاس» كما أعلن هو بنفسه : «لن تستطيع قوة ، بعد الله جلت قدرته ، أن تنحني عن هذه المنزلة سوى الشعب دون سواه» . لقد كان الإعلان الحماسي بأنه لا وفد بدون النحاس حقيقياً تماماً ، وهو نفس السبب الذي دفع الضباط إلى المطالبة بإبعاده . أما تصريح النحاس بأن الضباط لا يستطيعون حياله شيئاً ، فقد كان نوعاً من التباهي ، الفارغ ، فبعد أيام قلائل قام نجيب بزيارة لمدن الدلتا - مسقط رأس النحاس ومركز النفوذ التقليدي للوفد - استقبل خلالها إستقبلاً حماسياً ، كما دب الخلاف بين الوفدين أنفسهم حول قضية النحاس ، وفي ٦ أكتوبر أصبح النحاس «رئيساً شرفياً» للحزب ، بما يعني نهايته سياسياً .

ويرى المؤرخون أن النحاس لم يخرج من السلطة نظيف اليد ، فقد استغلت زوجته وأقرباؤه منصبه في تحقيق ثروات كبيرة . وكان يعارض الإصلاح الزراعي ، إلا أنه كان رمزاً لكفاح المصريين من أجل الاستقلال ، ومعارضاً للملك وقائداً لأكبر حزب سياسي ، ولم يكن التخلص منه بهدف التحول نحو ديمقراطية أفضل ، وإنما لاحكام قبضة الديكتاتورية .

كذلك فإن إستبعاد القيادة المبنية للوفد لم يكن الغرض منه تهديد الطريق أمام العناصر التقدمية ، وإنما لوضع حد للحركة الشعبية ، ثم كانت الخطوة التالية هى حل كافة الأحزاب السياسية ومصادرة أموالها ، فى ١٦ يناير ، وبعد ذلك بأسبوع - نصف عام على الإنقلاب - قامت «هيئة التحرير» .

وكان قانون الإصلاح الزراعى من أهم الإجراءات التى اتخذت ضد اليمين . وصدر القانون فى ٩ سبتمبر ، فيما بعد ، وبالمقارنة مع الإصلاح الزراعى الذى أنجز فى اليابان بعد الحرب العالمية الثانية - ناهيك عما تحقق فى بلدان الديمقراطيات الشعبية - فإن الإصلاح المصرى كان متواضعاً فى توجهاته ، محدوداً فى مداه . ومع ذلك فقد نجح فى تفويض الركائز الاجتماعية لسلطة الطبقة التى ظلت تحكم البلاد حتى ذلك الحين . كان ذلك أحد الأهداف الرئيسية من وراء المشروع ، وقد نجح بالفعل فى تحقيقه . صحيح ان ملاك الأراضى ظلوا على ثرائهم ، لكن أوضاعهم اختلفت تماماً . فقبل ذلك ، كانوا يملكون الثروة ويوجهون الأمور فى قراهم بينما يعيشون فى المدينة ويتمتعون بأموالهم فى وقت تتزايد فيه قيمة ممتلكاتهم باستمرار ، وهم تلقائياً يدخلون البرلمان ويتلقون الرتب والألقاب .. وقد انتهى كل هذا ولن يعود . لقد أصاب الإصلاح الزراعى وغيره من الإجراءات التى اتخذها الضباط القطاع الأكبر من كبار الملاك بالشلل السياسى .

وبعد القضاء سياسياً على الأسرة المالكة ، وكبار الضباط ، وملاك الأراضى والأحزاب ، وخنق الحركة العمالية فى مهدها ، لم يعد هناك أدنى لبس حول من هم الحكام الحقيقيون للبلاد . وكالعادة فى الأنقلابات العسكرية ، وعد الضباط الأحرار بالعودة إلى ثكناتهم فى الوقت المناسب .. فالبيان الأول فى ٢٣ يوليو يؤكد على أن «الجيش اليوم كله أصبح يعمل لصالح الوطن فى ظل الدستور» . وفى بيان صدر يوم ٢٥ يوليو أعلن أن الاجراءات التى اتخذها الجيش «مؤقتة» وكل الذين يتولون مواقع القيادة فى هذه الحركة المباركة سوف يعودون لإداء واجباتهم المعتادة عندما يطمئنون الى تسليم البلاد ليد أبنائها المخلصين . كما صدرت فى أواخر ١٩٥٣ م بيانات مشابهة حول إعادة الحياة البرلمانية وإجراء الانتخابات فى مستقبل قريب .. الخ . لكن الأمور كانت تسير ، عملياً ، فى اتجاه معاكس تماماً . ومن حيث المبدأ ، كان هناك خيارات ثلاثة أمام الضباط : النقل التدريجى للسلطة إلى آخرين ، أو السماح لقوة أخرى بمشاركتهم الحكم ، أو دعم سيطرتهم الفعلية على البلاد . وقد اختاروا البديل الثالث ، ولم يكن اختيارهم هذا بسبب غياب خيارات أخرى أمامهم .

كانت وزارة على ماهر كلها من المدنيين . وقد إستقالت هذه الوزارة في ٧ سبتمبر فقد رفض على ماهر ومعظم أعضاء وزارته الموافقة على قانون الإصلاح الزراعى ، وطلب إليهم ترك الوزارة ، وتشكلت وزارة جديدة في نفس اليوم برئاسة نجيب ، إضافة إلى توليه وزارتي الحرية والحرية ، مع الإستمرار في منصبه كقائد عام للقوات المسلحة . وألقى القبض على العشرات من أعضاء الأحزاب السابقين .

وفي يونيو ١٩٥٣م ، وفي يوم اعلان قيام الجمهورية ، أدخلت تعديلات كبيرة على الحكومة ، احتفظ نجيب ، الذى أصبح رئيسا للجمهورية ، برئاسة الوزارة ودخل الوزارة ثلاثة وزراء من الضباط : ناصر نائباً لرئيس الوزراء ، والبغدادى وزيراً للحرية ، وصالح سالم وزيراً للإرشاد القومى ووزير الدولة لشئون السودان ، ورفى عامر من رتبة الصاغ إلى رتبة اللواء ، وعين قائدا عاما للقوات المسلحة . وفي أكتوبر إنضم إلى الحكومة اثنان آخران من الضباط : جمال سالم وزيراً للمواصلات وزكريا محيى الدين كوزير للداخلية مع منحه صلاحيات واسعة في إدارات البوليس والمباحث . وقد استمرت هذه الصلاحيات بيده منذ ذلك الحين ، سواء كان وزيراً أو نائباً للرئيس أو رئيساً للوزارة ، وحتى سبتمبر ١٩٦٦م .

وفي إبريل ١٩٥٤م ، تشكلت حكومة جديدة ، وأصبح ناصر رئيساً للوزارة التى بلغ عدد الضباط فيها ثمانية ، بخلاف نجيب الذى ظل رئيساً للجمهورية . وكان الوزراء الضباط الجدد هم : حسين الشافعى وحسن إبراهيم وكال الدين حسين .

وفي سبتمبر ١٩٥٦ ، بعد إقرار الدستور الجديد خلع الضباط الزى العسكرى وصاروا يرتدون ملابس مدنية ، وكان نجيب قد خرج من الحكم وتم تصفية أغلب القوى السياسية المعارضة . ولم تضرب خصومها ضربات قاتلة وقد كانت - ولا زالت - تستطيع ، وأسرعت فأعلنت أنها تنهى الناس للحرية وتعددهم لحياة نياية نظيفة في المستقبل القريب .

ومضى البناء قويا ، كان كل يوم بعام .. ورفعت مصر عن كاهلها ذلك الذى كانوا يسمونه الروتين .. وأكد جمال في كل خطبة وفي كل مناسبة أن كل وضع استثنائى سيزول وأنه يعد البلاد لحكم ديمقراطى سليم :

«إنها مرحلة تنتهى معها الإجراءات الإستثنائية التى كان لابد أن تصاحب الدور الأول للثورة ، الدور الذى كان عليها أن تؤمن نفسها ، وحين أقول تؤمن نفسها فإنى أعنى الأهداف ولا أعنى الأشخاص ، الأهداف التى كنت أريد تأمينها هى الأهداف التى قامت من أجلها الثورة ، والتى قامت من أجلها كل ثورة في التاريخ الإنسانى وهى أن يحكم الوطن بواسطة أبنائه من أجل أبنائه ، بعقل وعدل ، وأنا لا يعينى أن أؤمن الأشخاص فأنا أرى



النزول من السيارة . أمام منزله عام ١٩٥٣



عبد الناصر يعلن تأميم شركة قناة السويس

أن لا قيمة للأشخاص إلا بالمبادئ التي يحملونها في قلوبهم .

لو كانت المسألة أن أؤمن شخص أو شخص زميل من زملائي بواسطة إجراء إستثنائي لكان الأمر سهلا ولكن أبسط ما فيه أن نؤثر العافية . وأن نبقي في مناصبنا التي كنا فيها قبل ٢٣ يوليو ، ولأنتهجنا بعد ٢٣ يوليو سياسة أخرى فيها نقسم الغنائم مع الذين يقتسمونها أو نسير على الطريق الذي كانوا يسرون فيه ، وما كان أسهل أن نخدع أو نضل ، ونأخذ مع ذلك تصفيق الناس ورضاهم

والمعروف أن الثورة قد شكلت (محاكم للثورة) و(محاكم للشعب) لمحكمة المعارضين لعبد الناصر وزملائه ، ولقد عاب عليه المؤرخون قسوتها وتفاهة القضاة بها خاصة وأن أغلبهم كانوا من الضباط (الأحرار) .

المحاور الفكرية السياسية الحاكمة لمنهج عبد الناصر (١٩٥٢م - ١٩٥٤م)

* هذا وبالنسبة للمحاور الفكرية التي حكمت منهج عبد الناصر في حكم مصر فإنها وفقا لكلماته - وبنصها - تتمثل في الآتي :

* أننا نتجه إلى ثورة سياسية وفي نفس الوقت إلى ثورة إجتماعية ولن تتحقق هذه الثورة السياسية وهذه الثورة الاجتماعية إلا إذا تغيرت طريقتنا في التفكير ، وبدأنا عهدا جديدا مبنيا على حرية الفكر وتخلص أيضا من الإستعمار الفكري ، ولن ننجح إلا إذا نظرنا إلى المجموع على أنه الدعامة الأساسية لهذا الوطن ولن تتمكن إلا إذا عملنا عملا قويا في بناء الجماعة .

* نحن نؤمن إيمانا عميقا بالفرد ونؤمن أيضا في نفس الوقت أن الوطن لن يكون قويا إلا إذا كان الفرد قويا ونؤمن أن واجبنا يحم علينا أن نعمل على تقوية الفرد حتى يصل إلى تقوية الوطن في جميع الميادين .

* هدفنا الأكبر أن يتساوى كل فرد مع أخيه في الحقوق ، وأن يشعر كل فرد أن هذا البلد بلد لا عبيد ولا أسياد ، نريد أن يشعر كل مواطن أنه حر في تفكيره ، حر في عرق جبينه لا يتحكم فيه آخرون يشترونه ويتحكمون في مستقبله .

* إن هذه الثورة تهدف إلى العدل والمساواة وتمكن جميع المواطنين من الفرص المتساوية لكسب الرزق الخلال ، وتيسر لقمة العيش لهم وهذا لا يتأتى إلا بمضاعفة ثروة بلادنا ، ونحن في سبيل تحقيق هذه الأهداف كان لابد من هدم الفساد والملكية والأحزاب التي احتكرت المنفعة الذاتية لنفسها ، وكان لابد أن نتخلص من أعوان الإستعمار الذين تاجروا بوطنيتكم من أجل مصالحهم الشخصية .

* إننا عازمون على تطهير منزلنا وتقوية أنفسنا كمجتمع حر بعد أن حرمتنا سنوات طويلة تلك المعونة وتلك الحرية نتيجة لتلك شئوننا في أيدي دخلاء يتصرفون فيها ويعيشون بها .

« إقتصدوا في عواطفكم »

نطالب المواطنين بالمعرفة وتعمق الأمور حتى لا يتمكن أعداؤنا من خديعتنا مرة أخرى ، وأن هذه الأمة التي صمدت للمتاعب والألام أربعمئة سنة لمى أمة عريقة .

* إننا نعمل على تطهير مظاهر الحياة والنفوس من النفعية والإستغلال وأرجاس الماضى التركى والإنجليزى ، ورواسب التعفن السياسى جميعا ونبدأ بناء الشخصية المصرية من جديد دون عودة إلى التبشير بالأشخاص دون المبادئ حتى لا نضيع ثورتنا كما ميع السياسيون ثورة ١٩١٩م ، وأنا أعلن أنني شخصا زائل أما الأهداف والأمال فهي الباقية .

* أعلنها صريحة إن هذه الثورة هدفها الأول هو الديمقراطية لأننا نؤمن بإرادة الشعب وقوته ولكن لن تكون للشعب قوة ولن تكون له إرادة إلا إذا أحس بالديمقراطية .

* لقد إستبد بنا التواكل مدة طويلة لأن أثار السياط على ظهورنا لاتزال تؤثر فى نفوسنا وقلوبنا ولا تزال تتفاعل مع شعورنا ومشاعرنا .

إن الإستعمار التركى والإستعمار الإنجليزى أوجدا فينا فحة من الطغاة ، وفحة من المستسلمين ، فإذا أردنا أن نحقق أهدافنا فيجب أن نتخلص من الطغيان ونتخلص من الأستسلام .

* إننا أيها المواطنون لم نفكر لحظة واحدة في الديكتاتورية لأننا لم نؤمن بها أبدا فهي تسلب الشعب إرادته وقوته .

* إذا تسلحنا بالمعرفة أمكن أن نتلافى خداعا كثيرا ونعلم من هو المخادع ومن هو الصادق فنطالبكم بالتعمق في الأمور والمعرفة .

* إن الاربعمائة سنة الأخيرة كانت سنين شدادا على آباءنا وأجدادنا لأن هذا البلد كان يحكم لغير صالح أنبائه بل لصالح الغزاة .

* إن المبادئ السليمة لا بد أن تنتصر مهما كانت المصاحب التي أمامها ويكون النجاح قريبا وسهلا إذا أحس كل فرد من أفراد الوطن بقيمته كفرد من المجموع وأحس في نفس الوقت بقيمة الآخرين .

* إن ثورتكم هذه وإن اتشحت بالرداء العسكري إلا أنها ثورة أخلاقية تهدف إلى تقويم ما فاتنا وخلق المواطن الصالح ، ولا شك أن أول خطوة في سبيل خلق المواطن الصالح هو منحه الحرية في إبداء رأيه .

* إذا أردنا أن نحافظ على العزة والقوة فلا بد أن نحرر العقل من كل آثار الماضي البغيض وأن نتجه إلى سياسة جديدة تبدأ من النشء وبهذا يمكن أن ننشئ وطناً كريماً يتمتع فيه المواطنون بالعدل والمساواة .

* إننا نحتاج إلى العمل والجهد والعزيمة حتى نحقق العزة التي ننادى بها ، إننا نحتاج إلى العمل وإلى الجهد ، وإلى كل فرد لنسير في الطريق الشاق الذي لم نقطع منه شيئا ، فإننا ما زلنا نتمهد فيه ونعده ليكون الطريق إلى العزة والكرامة .

* لسنا موظفين ولكننا أصحاب رسالة ، نموت ونحن نكافح من أجلها . لقد قمنا بثورتنا يوم ٢٣ يوليو ونحن نعرف أننا قد نموت ، ولكننا آثرنا الموت والتضحية من أجلها ، ولكن الله لم يرضى أن يتخلى عنا ونصرنا أكراما لكم وللزمن الطويل الذي كابدهم فيه ألوانا من الظلم والإرهاق .

* أطلبكم يا شباب بأن تكونوا واعين أقوياء تحكمون العقل وتحكمون الفكر .

* إننا لم نعمل حتى الآن عملا يذكر ، بل إننا حتى الآن نعهد الطريق لنراه طريقا مستقيما بوصلنا إلى الحرية والكرامة والعزة .

* إن ثورتنا في ٢٣ يوليو ليست إلا نقطة الإبتداء دفنا فيها الماضي ليخرج المستقبل إلى النور والمستقبل وديعة في أيدينا وأمانة في أعناقنا .

* اجدد العهد على أن نكون لكم وبكم ، أن تكون لكم خداما يعملون لوطنكم ، ويسهرون

من أجل أولادكم ، ويشقون فى سبيل مجدكم ، وأن نكون خداماً صغاراً إن طمعوا فى شرف الخدمة ، وإن زاحموا فى سبيل العمل الصالح متأسين بقول خاتم الرسل والنبين : «اللهم أحيى مسكينا وأميتى مسكينا واحشرنى فى زمرة المساكين» .

* لقد نسى بعضنا الماضى ونسى ما كنا نكابده فيه ، وهذا النسيان أخطر علينا من أعدائنا فإن أعدائنا نعرفهم ، ومظهرهم وحده يحفزنا إلى دوام اليقظة ، أما النسيان فيسلمنا إلى الإسترخاء والإستسلام .

* أريد منكم أن تحاسبونا على الملالم والجنهيات وأن تقيسوا أعمالنا بالأمتار والأطنان والأرطل فنحن بنى ونقيم ، نحن نؤسس ونوسع ونرم ، وهذا كله عمل شاق يحتاج إلى معونتكم وإيمانكم ، ولسنا نود أن نشترى ثقتكم الغالية وتعاونكم المنشود بشمن بخس ، وإنما نريد أن ندفع فيه عرقا يتصبب من الجبين ، وسهراً مرأ ، وعملاً متصلاً ، ونحن ندفع هذا الثمن راضية به قلوبنا طيبة نفوسنا لأننا نعرف أن من ورائه مجدا لهذه الأمة وعظمة لهذا الشعب وكرامة لهذا الوطن الذى نفتديه بالمهج والأرواح .

* ما جئنا اليوم نلهب العواطف ونثير الغرائز ولكننا جئنا هنا لنتلقى بكم ولنتحدث إلى عقولكم لا نريد أن نلهب العواطف فطالما سمعنا هتافا طالما هللنا فماذا كانت النتيجة . أننا نطالبكم بالنظام لنسير متمسكين بالوعى حتى نحقق الأهداف تاركين الهتاف بالأسماء .

* استطعنا أن نقضى على الإستبداد السياسى الذى أشاعه حفنة من المصللين .

استطعنا أن نقضى على الإستبداد السياسى ونحن نهدف بهذا إلى حياة سياسية سليمة واستطعنا أن نحرر الغالبية العظمى لهذا الوطن .

* إن نزعات آثمة وأفكارا شريرة ومذاهب مدمرة تزحف اليوم إلى عقولنا وقلوبنا من بلاد قرية أو بلاد بعيدة لتحطم فى نفوسنا الإيمان بالمثل الإنسانية الرفيعة وتخدعنا عن حقيقة وجودنا الروحانى فى هذه البقعة من العالم التى خصها الله برسائله وأنبيائه وجعل أهلها رواد الحق والخير والجمال والفضيلة للبشرية كلها .

* إن هذا الشعب الذى كافح السنين الطويلة قد خلف حرا ليعيش حرا ولن يقبل فى يوم من الأيام أن يكون عبداً .

نعم إن أبائنا وأجدادنا قد ثاروا فى الماضى وكافجوا ولم يظفروا بنتيجة ثورتهم ويجب أن نتعلم من ظروفهم وأن تبصر أمورنا وأن نتبين طريقنا وأن نتخلص من الأخطاء ونجتاز الصعاب التى صادقتهم .

إواننا لنعلم يقيناً أن هذا الشعب قد استعبده فئة طالما أبتزت منه الرزق ، ومعت عنه لقمة العيش وهذه الفئة مستعدة لاستعباده مرة أخرى متى منحت الفرصة .

ولكننا إذا تبصرنا أمورنا ونظرنا إلى الماضي وأخذنا منه العبرة وانتفعنا بدروسه بهذا فقط نستطيع تحقيق أهداف ثورتنا وهي القضاء على الاستبداد السياسى والظلم الاجتماعى والاستعمار البريطانى .

أحب أن أؤكد لكم إن الطريق الذى نسير فيها لتتخلص من هذه المآسى شاقة وطويلة ولكن بالإيمان والصبر والتعاون ستتمكن من هذا كله .

* الصبر والعزم والوعى لا يمكن الرجعيين أن يعودوا بنا إلى الوراء ، إن الرجعية والحزبية يتربسان بكم الدوائر فتسلحوا بالروح العالية حتى لا يتمكن أعوان الإستعمار أن يرفعوا رؤوسهم من الجحور .

* بدأنا نؤمن بضرورة التخلص من الفردية ومن القضاء على هذه المعانى البغيضة التى عمل الإستعمار على تأصيلها فينا وبدأنا نؤمن بالقوة وبذلك شعرنا أننا فى طريقنا إلى التخلص من كل الرواسب القديمة التى تركناها وراء ظهورنا فإننا سننشئ مضر العظيمة التى يشعر كل فرد منها بالعزة والكرامة .

* إني اطالبكم بألا تطمئنوا مطلقاً لأن الأطمئنان قد يبعدنا عن هدفنا فإن الجهاد يشعر بالإطمئنان ولذلك لا نتحرك ، ونحن فى هذه الظروف المحيطة بنا يجب ألا نشهر بالإطمئنان لأننا لا نستطيع أن نخيف أحداً إلا إذا عرفنا الخوف وعرفنا كيف نخيف أعدائنا .

* لقد قضت الثورة على الرجعية والاستبداد ونفذ رأس المال . وعلينا ألا نسمح بهذه المآسى أن تعود وأن نتعمق فى كل شئ حتى لا نخدع مرة أخرى ونغسى ونصبح فإذا ثورتنا زوبعة مرت بمصر يوم ٢٣ يوليو ثم انقضت دون أن تترك جذوراً ثابتة أو أثارا نافعة .

* نحن شعب قوى ينقصنا أن نصصح شخصيتنا ، ما أخرجنا إلى التخلص من روح الطغيان والاستبداد ، وهذا يتطلب من كفاحاً طويلاً مريراً يقوم على أسس من إدراك الواجب وإنكار الذات .

* إن فى هذا الشعب فئة من الناس أشد خطراً عليه من ألد أعدائه هى الفئة التى خلقت الطغاة السابقين ، فإن الطغاة الذين ظهروا فى بلادنا فى الماضى لم يستمرعوا الطغيان ، ولم يتشبثوا به إلا لأن ، بعض الناس أغروهم عليه ويسروا لهم سبيله .

* إن الثورة تريد من الشباب العمل اليقظ والتطلع إلى المستقبل ورقابة الزعماء والحاكمين

وحسابهم إن أخطأوا أو ضلوا ومنحهم الثقة بهم إن أحسنوا وساروا في الطريق المستقيم .

* إن الجيش هو عنوان شرف الأمة وهو قبضتها التي تضرب بها المهاجمين وتلوح بها في وجه المتربصين ، وهو آخر الأمر خلاصة ما في الشعب من قوة وثروة وعلم وأخلاق ، قلن يكون في أمة ضعيفة جيش قوى ولن يكون جيش ضعيف في أمة قوية .

* إن مستقبل الشوب لا يبنى على التمني وإنما يقوم على القوة والعلم والإغتناب ، والله لم يخلصنا عبثاً أو إرتجألاً أو مصادفة ، إنما جئنا إلى الدنيا نحمل رسالة الجندي والقائد المصلح والمؤمن القوى الأمين .

* إن مبادئ الثورة تركزت في أن يتمتع شعب مصر بحياة ديمقراطية صحيحة بدلاً من الدكتاتورية البرلمانية التي عانا منها سنوات طوالاً ، ونحن الآن ما زلنا نبث مبادئ الديمقراطية في الشعب ولما نتعد بعد فترة الانتقال .

* إذا استطعنا أن نخلق هذا الجيل من الشباب القوى الوطني المؤمن بنفسه ووطنه جاز لنا أن نطمئن إلى أن هذه البلاد لن تتكسر أو تعود إلى الوراء .

وما كان الاستباق وراء العواطف إلا الطريق إلى الخداع والضلال وكم خدع الشعب في الماضي لأن حكام البلاد كانوا يستغلون عواطفه ويخدعونه .

وعن الإتهام الذي وجه خلال هذه الفترة لعبد الناصر بأنه كان ديمقراطياً وذلك بسبب أسلوبه في التخلص من خصومه ، نراه يقول في مذكراته (مصدر سابق) :

أنا لست ديمقراطياً ، ولا أريد الديمقراطية ، لقد دعا مجلس الثورة الأحزاب غداة الثورة إلى تحمل المسؤولية فأبى إلا أن تسير على الطريق الذي إعتادت السير عليها ، إنها تريد أن تفعل الخير عن طريق الشر ، وما كانت طريق الخير في أي يوم من الأيام سوى الخير نفسه ، إنهم يتحدثون عن الديمقراطية فهل الديمقراطية في بقاء الجهل . وهل الديمقراطية في بقاء الأقطاع . وهل الديمقراطية في بقاء الفقر .

كيف يمكن أن نكون ديمقراطيين ونحن نستبعد ملايين الفلاحين . وكيف يمكن أن نكون ديمقراطيين ونحن لا نعرف للعامل حقاً ونحرص على أن نملك حق طرده في أي يوم وفي أية ساعة .

لقد كنا في الماضي نحكم ديمقراطياً . كان لنا ملك . وكان لنا مجلس نواب ومجلس شيوخ . فهل هذه هي الديمقراطية التي نريدها . هل نعود إلى ما كنا عليه ، وفيه كانت الثورة إذن .

أما كان في وسعي أن أقيم حكماً ديمقراطياً نيابياً على الأسس القديمة نفسها . أو حتى على أفضل منها . أما كان في وسعي أن أجمع مجلساً نيابياً لمجلس الثورة فيه أغلبية كبرى . ولكنى لا أحب هذه الأساليب .

إن للثورة مبدأ مقررأ ، هو أن تحرر الفرد المصرى من كل عبودية وحتى تطعن الثورة ، إلى أن الفرد المصرى قد تحرر فعلاً . وأنه أصبح قادراً على أن يفرض ما يريد هو كمواطن ، له كل الحقوق التى يتمتع بها أى مواطن آخر ، حين أطمئن إلى هذا تكون رسالة الثورة قد بلغت غايتها .

إن الثورة ما قامت لتطرد فاروق وحده من مصر ، وإنما قامت لإنقاذ مصر ، ويجب ألا تهتم الثورة بالإجرام لمجرد إنها لا تريد إعادة الأوضاع الفاسدة إلى ما كانت عليه . يجب أن تبنى واجبتها حتى النهاية . وهذا الواجب لا يمكن أن يندى كاملاً إذا لم يعرف الشعب المصرى حقوقه وواجباته وإذا لم يتحرر نهائياً من سيطرة السيد .

الديمقراطية ليست فوضى ، والحرية ليست حرية الفرد في أن يفعل ما يشاء .

إن للديمقراطية حدوداً . كما إن للحرية حدوداً . وفي نطاق هذه الحدود تعمل الثورة . إن ثورة مصر ، هى ثورة الشعب ، لا ثورة جمال عبد الناصر .

حين تولينا الحكم . لم نتصل بأجنى لنستعين به على الشعب . وإنما استعنا بالشعب على الأجنى . وكان علينا أن نطهر البلاد من الفساد ، وطهرنا ما أمكنا منه وكنا مؤمنين بأنه لا سبيل إلى القضاء على الاحتلال الأجنبى وعلى الخونة وقد فعلنا .

وحين أدرك المستعمر أنه لم يبق لهم من يعتمدوا عليه في البلاد ، حين أدركوا أن عيونهم في البلاد قد فقدت نورها ، وإن أيديهم قد بترت ، يومها فقط ، شعروا بأنه لا سبيل للبقاء . ويومها فقط شعروا بأنه لا مناص من الرحل فكان الجلاء .

ولكن الجلاء لا يتحقق يوثيقة .

إن خطره يظل قائماً مادام في البلاد جندي أجنى واحد .

ولكى نحدد المحاور الفكرية أكثر نرصد ما يقوله عبد الناصر من أقوال تحدد حقيقة شخصيته المهيمنة سياسياً والمهمة خلال هذه الفترة من تاريخ مصر . أنه يقول :

لا أسرار في السياسة وليعرف الشعب كل شيء .

ولقد مضى الزمن الذى يمكن أن يعيش فيه السطحيون .. .

«قوى الخير ستنتصر حتماً وتدوس قوى الشر بالأقدام» .

«قلت لكم في مارس الماضي ، أننا لن نخادع ، أو نضلل أو نستجدي ، قلت لكم هذا في أصعب الأوقات ، كنت أحمل في نفسي كل هذا ، وكنت أعلم أن هناك فئة تستجدي ، حتى إذا تمكنوا منكم فإنهم يستبدون بكم وبأرزاقكم .

إن بلادنا اليوم تحتاج لكل فرد من أبنائها ، تحتاج كل فرد في أبنائها فكريا وعقليا ونفسيا . لن تكون هناك حرية إلا إذا تحررت الأرزاق وتحررت لقمة العيش وشعر كل فرد أنه يعيش في وطن تتكافأ فيه الفرص ، ويستطيع أن يقوم ما يريد ولا يجبا مهدداً في رزقه ولا في أولاده أو في مستقبله .

«لا يجب أن يتنحى أى فرد منا جانبا من الحياة» .

ولما سأل عن أمله في الحياة أجاب هذه الإجابة الحاسمة .. أن أرى الفرص متساوية متكافئة أمام جميع المواطنين الأحرار . وأن أرى أبناء مصر يعملون جميعا لبناء دولتهم شاهقة جبارة ، متساندين متكاتفين وإن أرى الأناية والحسد والحقد والضغينة المتفشية في مجتمعنا قد انتهت إلى غير رجعة .

وهو يحدد التعبير حين يصور أمرا خطيرا ، تحس في تعبيره مدى الوضوح الذى فى نفسه .. «هذه الثورة منذ أول يوم وهى لا تزال عاملة على إرساء قواعد هذه الحرية بأكمل معانيها فهى قد عملت على إقامة حكم العمل لصالح الجماعة .. أما القضاء على الأقطاع وعلى سيطرة رأس المال فقد بدأت الثورة طريقها إلى هذا الهدف واستطعن بعد صراع طويل فى النواحي السياسية والاجتماعية أن تبنى هذه الأسس وهذه المبادئ» .

والحزبية ما هى :

يقول جمال عبد الناصر «لقد كانت الحزبية والحزبية وحدها هى السبيل الذى استطاع به الإستعمار أن يتمكن من أراضينا . لقد كانت الحزبية هى العامل الأول الذى صرف هذا الوطن عن أهدافه وحرته التى نادى بها فى ثورة ١٩١٩ م .

والحزبية هى الداء الذى حول معنى حرية الأغلبية إلى حرية الأقلية . وكانت الحزبية أقلية تتحكم فى الأغلبية ، وكان الحكم قائما لصالح الأقلية ، من أجل هذا تحكم فىنا الإستغلال وتحكم فىنا الإستبداد وتحكم فىنا رأس المال وتحكم فىنا الذين كانوا يرون مصالحهم تتحقق على حساب مصالح الأغلبية ..» .



عبد الناصر في منزله .. ١٩٥٣

ويصور جمال عبد الناصر الحكم بعد فترة الإنتقال :

«لن يكون حكما حزبيا ولكنه سيكون حكما قوميا» إن الديمقراطية التي قمنا من أجلها في ٢٣ يوليو ديمقراطية سليمة نظيفة لا تسمح للأجنبي بالتدخل ولا للمستغل بالتحكم . إنها ديمقراطية قوية من أجل مصالح الأغلبية غايتها تحرير الفرد ، تحرير الرزق ، عدالة حقيقية ، وحرية فردية ، وحرية جماعية .

وفي يناير ١٩٥٦م لن تكون في مصر أحزاب ، بل سيكون هناك برلمان يعمل للوطن وللأغلبية ، لا يعمل لرأس المال ولا للأقطاع أو تحت توجيه أى قوة خارجية شرقية كانت أو غربية ولكنه سيعمل لمصر وحدها .. سيكون هناك جيش وطني لحماية هذا الوطن لا لحماية حكم أو حكام لأنكم حينما قمتم بهذه الثورة قمتم لتحقيق أهدافها ولتثبيت هذه الأهداف .. » .

وحينما رفع العلم المصرى على الشلوفة هزه هذا المعنى الضخم كخطوة كبرى في تحقيق الجلاء فقال :

«الحرية ليست كلمة تقال ، ولكنها جهاد وعمل ، جهاد أمة وعمل شعب هذه الحرية التي نشعر بها اليوم ، نشعر بها في كل شعرة من أجسامنا . سنحافظ عليها ، وسنعمل على تقويتها في هذا الوطن ، هذه الحرية التي تسعطينا القوة فأنتا حينما نشعر أننا قد تحررنا تحرراً كاملاً ، تحرراً داخلياً وتحرراً خارجياً ، وتحرراً من كل الإستغلال في الداخل ، وتحرراً من الإحتلال الأجنبي ، حينئذ نشعر أن الوطن أصبح ملكا لنا جميعا .

وقال عن الجيش الذي تمنيناه في ٢٣ يوليو هو جيش وطني لحماية حدوده ، أن هذا الجيش لن يحمي الحكم والأفراد ولكنه سيحمي مبادئ هذه الثورة ومثلها العليا التي قامت من أجلها للشعب .. » .

وقال عن الجيش :

الذي تمنيناه في ٢٣ يوليو هو جيش وطني لحماية حدوده ، أن هذا الجيش لن يحمي الحكم والأفراد ولكنه سيحمي مبادئ هذه الثورة ومثلها العليا التي قامت من أجلها للشعب .. » .

ووقف جمال عبد الناصر في معمل القزاز حيث بدأ يوزع أراضي الإصلاح الزراعي فقال : تحديد الملكية التي تخلصنا بها من الإقطاع والإقطاعيين الذين طلوا سنين طويلة في هذا البلد يعبر عن معنيين رئيسيين المعنى الأول هو الحرية السياسية والتخلص من الإستبداد

السياسى وهذه الأرض هى العامل الأول دائما فى التوجيه السياسى فى هذا البلد والفلاح الذى كان يشتغل فيها ينظر إلى صاحب الأرض على أنه الرجل الذى يتحكم فيه ، وفى رزقه ، وكأن لا يستطيع أبدا بأى وسيلة أن يتخلص من التوجيه السياسى الذى يشير به عليه وكأن هذا التوجيه ينحصر فى نتيجة واحدة هى تحكم الإقطاع فى الحكم وتحكم الإقطاع فى سياسة الدولة .

هذه الأرض ليس معناها تمليك الأرض ولكن معناها التحرر والحرية ، التحرر من الظلم السياسى والحرية من التحكم فى الرزق والحرية فى التحكم من لقمة العيش .. » .

وفى مهرجان آخر للتوزيع أخذ يصحح الأخطاء التى وقع فيها بعض الناس ويربط الماضى بالحاضر ، لقد سلب محمد على الأرض من أصحابها وجاء جمال يعيدها إليهم :

« لقد سمعت من يقول إن الأرض ردت إلى أصحابها الفلاحين فى غمضة عين ، ولكن هذا اعتقاد خاطيء ، فالأرض التى توزع الآن كافح فى سبيل إستردادها أباؤنا وأجدادنا كفاحاً طويلاً مريراً شاقاً كانت له ضحايا فى الأرواح والأبدان بالمئات والآلاف ذاقوا من مرارة الحرمان كؤوساً مترعة ، ولم تقعدهم المزامم التى صادفتهم فى هذا الزمن الطويل عن مواصلة الكفاح لاسترداد الحقوق المقتضية .

ارجعوا إلى مصر محمد على وأذكروا ما فعل ، أنه جمع مستندات تمليك الأرض من أصحابها وأحرقها وأصبح هو المالك لأرض مصر ثم بدأ يوزع الأرض على البطانة الأجنبية التى أحضرها معه من الخارج .

كانت معركة استمرت عشرات السنين ، وكان لها ضحايا ، فكيف يقال إن النصر جاء فى غمضة عين ، وكيف ينسى الذين ماتوا من الجوع والتعب والأذى والذين هاجروا من ديارهم التماساً للأمن والظلم يطاردتهم .

باسم هؤلاء الضحايا ثرنا نحن أبناء الفلاحين وكانت ثورتنا خاتمة هذه المرحلة الطويلة من الآلام والعذاب وقد كللها الله بنصر من عنده . » .

وهو لا ينسى أبداً أن يذكر الناس باليقظة والحرص .. « يجب ألا نطمعن أبداً ، لأن الطمأنينة تدعو إلى التكاسل ، وإذا تهاونا إنقض علينا الإقطاع مرة أخرى ، وأنشب أظافر الاستغلال فى أعناقنا وعاد يتحكم فى أرزاقنا وفى حرياتنا .. » .

والصحافة التى قيل إنها أخرست فى تلك الفترة يرى بشأنها جمال عبد الناصر :

«لقد كنت أؤمن دائماً أن مهمة الصحافة ليست مجرد سر الأخبار ، ومتابعة تطوراتها يوماً بعد يوم ، ذلك جزء هام من طبيعة عملها لا أستطيع أن أنكره أو أقلل من أهميته ، ولكن أول واجبات الصحافة الرشيدة في البلد الرشيد ، أن تكون له بمثابة الأنوار الكاشفة على طريق الغد .

والمعلمون والتعليم : ماذا يقول فيها جمال عبد الناصر :

يقول «... إذا كنا قد حررنا الأرض من الاحتلال ، وإذا كنا نريد أن نحفظ بهذا النصر فلا بد أن نحر العقل والنفس من آثار الاحتلال والاستعباد وهذه رسالتكم أيها المعلمون» .
إننا لم نخادع ولم نضل ، ولكن ستمسك بالمبادئ والمثل العليا ونطالبكم بالمبادئ والمثل العليا وأن تعلموا النشء ألا يخادع أو يضل ، وبذلك نحقق قيام الوطن الذي يتساوى فيه الجميع .

وهو يصور مسألة استخدام الدين في التوظيف السياسي في مصر قبل الثورة ...
«كنا قبل الثورة نأتهين نشتكى لبعضنا وينتهى العمل بمجرد الشكوى ، وكانت النتيجة خضوعاً .

فباسم الخلافة والاحتلال التركي ضحكوا علينا باسم الدين وقضوا على الأخلاق وانتشرت الرشوة ونحن كشعب طيب كنا نصدق وكان المصير الإستغلال والاستعباد ، تحكموا فينا كأفراد وربوا في أنفسنا الخوف والفرع .

«.. لقد استبد بنا التواكل مدة طويلة ، لأن آثار السياط على ظهورنا لا تزال تؤثر في نفوسنا وقلوبنا ولا تزال تتفاعل مع شعورنا ومشاعرنا .

وإن الإستعمار التركي والإستعمار البريطاني قد أوجدا فينا فئة من الطغاة وفئة من المستسلمين فإذا أردنا أن نحقق أهدافنا فيجب أن نتخلص من الطغيان ونتخلص من الإستسلام...» .

وهو يقول في مصلحة مصر :

«.. لو هيأت لي الأسباب كلها لبدأت أن أجعل لكل فرد من هذه الأمة كيانه الذي يشعره بأنه عضو نافع له قيمته بين مواطنيه فهذا يستطيع أن يشعر كل مواطن بأن مصر ليست ملكاً لأحد غيره وإن عليه أن يحمي حماها أو يفتي في الدفاع عنها ، ولن يتأتى هذا إلا إذا أصبح الفرد في مستوى من المعيشة يليق بآدميته ، هذا أول ما أطمع في تحقيقه



عبد الناصر في لقطتان مع طلاب المدارس ١٩٥٤

لا لإسعاد الأفراد فإن كان كل إنسان منا إلى روال بل لإعزاز مصر ، ولتمكين محددا وسوددها إلى آخر الأبد

ويتكشف جانب من نفسيته عندما يتحدث في الإجابة على سؤال وجه إليه عن طريقته في الراحة بعد التعب .

«.. لا أظن أن لي طريقة في الراحة بعد التعب فحياتي كلها تعب ونضال .. ولا أظن أنني استمتعت بالراحة التي يتمتع بها سائر عباد الله على كثرة ما صادفني من أحداث كانت تعكر لحظات راحتي وتستنهضني للكفاح» .

ولو وازن الإنسان بين مقتضيات الراحة والكفاح لخرج من هذه الموازنة بنتيجة واحدة هي أن المحن في حياة الشعوب كالمحن في حياة الأفراد لا تدع لهم وسيلة للإستقرار .. لقد كانت مصر مثقلة بالأخطاء ، بعناصر الفساد تنخر من الداخل ، وكان الإستعمار يحجم فوق صدرها ويستغل مواردها ويفسد علاقاتها بالدول الأجنبية .

وكان هذا الوضع لا يرضى أى مصرى حر ، فإنشغل باله وحرّم الراحة على نفسه ثم إندفع في طريق طويل مرير . عساه يجد ما يخلصه من الفساد والمفسدين ، حتى إذا نجحت ثورة مصر وارتحنا من الفساد في الداخل ولم يبق إلا أن نستكمل راحتنا بعد أن يغادرنا ديارنا آخر جندي بريطاني ولن يطول بنا إنتظار الراحة المرجوة . وفي ذلك اليوم فقط سأشعر بالراحة ..

وعن رأيه في المرأة يقول :

«إن مجتمعنا يخلو من المرأة الموحية مجتمع عقيم لا ينجب عظيماء ولا صاحب موهبة ، فالمرأة هي التي تصنع العظماء وتهب لهم المواهب العظمية لتضع بهم المستقبل العظيم للوطن .

وقد كانت المرأة المصرية قبل ٢٣ يوليو تعمل في نطاق محدود .. لا يبيء لها وسائل الإنتاج والعمل المثمر إذ كانت الحياة الفاسدة من حولها ومن حول المصريين جميعا تفرض عليها أن تستهلك نصف طاقتها لمقاومة عناصر الفساد والشر في كل ميدان من ميادين العمل الخاصة والعامة . أما اليوم وقد زالت تلك الأسباب وإنزاحت من طريقها العقبات ، فقد إتاحت لها الفرصة لتحشد طاقتها كاملة للعمل الإيجابي المثمر سواء في ميدانها الخاص أو ميادين الخدمة العامة ، إنها تستطيع أن تنقل الثورة البانية إلى كل نفس وإلى كل دار في مصر وإلى كل جماعة عاملة في البلاد فثبت بذلك إنها نصف الشعب . بل إنها ذات أثر في كل

شعب ... ٤٠٠ .

تل هي المحاور الفكرية والإدراكية التي حكمت منهج عبد الناصر في إدارة الحكم خلال الفترة من ١٩٥٢م - ١٩٥٤م ترى هل يرى رجال الثورة نفس الرؤية لتأمل رأى أكثرهم حدة وعنف لتأمل ما يقوله صلاح نصر :

إنه يرى أنه ما إن نجحت الثورة في الإستيلاء على السلطة حتى ثار الجدل داخل البلاد وخارجها حول طبيعة ما حدث يوم ٢٣ يوليو .. فالبعض قال إنها مجرد إنقلاب محدود إستهدف قلب نظام الحكم القائم أو بمعنى أدق الإطاحة بالملك فاروق ، والقيام بضرب من الأصلاح وتطهير الحياة السياسية .. وقال البعض أنها ثورة ذات طبيعة خاصة تمهد لتطور تدريجي يحقق أهدافا إجتماعية وسياسية كانت تصبو إليها نفوس أغلبية الشعب .

والواقع الذي لا جدال فيه أننا كنا - كتنظيم للضباط الأحرار - لم يكن لدينا قبل نجاح الثورة أى ، مشروع للإستيلاء على السلطة وممارسة الحكم بعد القضاء على النظام القائم .. بل رسخ في ذهن التنظيم مسألة تطهير الحياة السياسية في مصر بعد الإطاحة بفاروق وتسليم الحكم بعد ذلك إلى الطبقة البورجوازية الكبيرة التي كانت تحكم قبل الثورة .

وكان هناك مشروع بتأليف وزارة وفدية على أساس أن حزب الوفد كان يجد حزب الأغلبية ، وذلك بعد أن يتم الحزب تطهير نفسه من العناصر التي أفسدت الحياة السياسية في ربع القرن السابق للثورة .. وكان يوسف صديث صاحب هذا المشروع ، وقد سجل أسماء الوزراء المرشحين بمخطه ، ولكن هذا المشروع سرعان ما وئد ولم يخرج للنور .

ولقد أطلق على ٢٣ يوليو تسميات كثيرة : الإنقلاب .. الحركة .. الثورة .. ولم يحدد اسم لها في بادئ الأمر .. حتى بيننا الضباط الأحرار كان البعض يقول «الإنقلاب» والبعض الآخر يعبر عما حدث بالحركة المباركة ، بينما كان آخرون يطلقون إسم الثورة على ٢٣ يوليو ..

حتى عبد الناصر وهو الزعيم الفعلي لثورة ٢٣ يوليو وصاحب أفكارها على الرغم من محاولات البعض التشكيك في ذلك ، كان يستخدم كلمة الإنقلاب في بادئ الأمر للتعبير عن ٢٣ يوليو .

ويعبر البعض على أن عدم قيام أيديولوجية معينة مع بدء الثورة لا يجعل منها ثورة حقيقية .. بل مجرد إنقلاب عسكري هدفه تحقيق المبادئ الستة الشهيرة .. وقد نسي هؤلاء أنه ما كان مستطاعا في ذلك الوقت أن تتم الإطاحة بنظام الحكم السابق وتنفيذ أيديولوجية



عبد الناصر يقرأ في مكتبه ١٩٥٤

معينة مرسومة قبل إستيلائنا على السلطة وذلك لعدة أسباب : أولها أن تنظيم الضباط الأحرار تشكل من مجموعة من الضباط مختلفة المشارب والتفكير والاتجاه السياسى ، فمنهم الماركسيون ومنهم من كان ينتمى لجماعة الإخوان المسلمين ، ومنهم البورجوازي التفكير ، ومنهم الليبرالى الإتجاه ، ومنهم من لم يكن له موقف سياسى ولذا لم يكن فى استطاعة التنظيم أن يجمع هؤلاء الضباط حول أيديولوجية معينة محددة المعالم .. وثانيها كانت هناك قضايا مصرية لها أهميتها مثل القضاء على الإستعمار الأجنبى وعملاته الخونة من داخل البلاد ، ومثل إتباع سياسة الحياد والإبتعاد عن الأحلاف التى تقيد حرية البلاد ، ومثل إقامة جيش وطنى قوى يستطيع أن يدافع عن الوطن ومن ثم كانت مسألة التحرير لها الصدارة .

وقد جذبت مثل هذه الأهداف أنظارنا وركزنا عليها كأهداف وطنية لها الصدارة والسبق .. وأخيرا لم يكن فى داخل التنظيم من يستطيع أن يقوم فى مرحلة الأعداد للثورة بعمل نظرية مدروسة متكاملة يتفق عليها الجميع .. ولذا آثرنا أن يسبق العمل النظرية ، أى نأخذ من التطبيق النظرية التى تناسب بلادنا وظروفنا وتقاليدنا) .

إنه إعتراف ضمنى بغياب الرؤية والأيدىولوجية الحاكمة ، وهو فى تقديرنا أهم نقاط الضعف التى ميزت حكم عبد الناصر خلال هذه المرحلة (١٩٥٢م - ١٩٥٤) .

أما عن أبرز ملامح فكر عبد الناصر أثناء تلك الفترة فإنها فضلا عما سبق تتمثل فى الآتى :
عن أسرة محمد على يقول عبد الناصر يوم ١٨ يونية ١٩٥٣م .

«.. حين قمنا بثورتنا هذه باسم الشعب لم يكن هدفنا شخصا معينا فاحسب . وإنما كنا

ندرك تمام الإدراك أن العلة الكبرى هى ذلك النظام الفاسد الذى فرضته على البلاد قسرا أسرة دخيلة عليها وعلى تقاليدها وكان هذا النظام يعلم تماما مبلغ إتساع الهوة بينه وبين الشعب فأراد أن يبقى سلطانه بحكم مطلق غاشم وأن يدعمه بالإستناد إلى عنصر أجنبى آخر فإنهز الفرصة المواتية له ودعا الجيش البريطانى منذ سبعين عاما ليسند عرشا متهاككا تحت سخط المصريين . ومن ذلك الحين قامت علاقة وثيقة على أساس المصلحة المشتركة المتبادلة بين هذين الغربين وضحيتهما الأولى الشعب المصرى . ولم يقف الأمر عند هذا الحد بل عمل الإثنان على أن يجعللا من الإقطاع قوة يعتمدان عليها وقد بلغت هذه المخالفة الثلاثية وهذا الإسفاف فى الفساد والظلم فى شخص فاروق قمنا والشعب بالثورة وطرده الطاغية وحططنا الإقطاع ، وبعد ذلك صار لزاما علينا أن نقضى على هذا النظام الغريب الفاسد . ومن هنا كان زوال الملكية أمراً محتوماً ..» .

الفساد الإقطاع :

يقول عبد الناصر يوم ٩ سبتمبر ١٩٥٢ م :

« كان الظلم الاجتماعى يتجسم فى كابوس الإقطاع البغيض فقد ورثنا طبقة من الحكام والإشراف ترفعوا عن الشعب وراحوا يستمتعون بنفوذهم وأموالهم ، وانقسمت البلاد إلى معسكر العبيد وطائفة الأسياد ورأينا الإستبداد السياسى يتجسم فى ماردىن هدامين هما الإحتلال الأجنبى البغيض والتاج المستهتر العرييد .

وبين هذا وذاك استغل النفوذ واستبيحت الحرمات وأثرى من أثرى على حساب الضعفاء والمظلومين وعمت الرشوة ، ومن كل مكان جأرت أصوات الشعب المغلوب على أمره .

أما عن الجلاء ففى عبد الناصر يوم ٢٧ يوليو ١٩٥٤ :

« .. إننا نعيش الآن لحظة مجيدة فى تاريخ وطننا . إننا نقف على عتبة مرحلة حاسمة من مراحل كفاح شعبنا .

لقد وضع الهدف الأكبر من أهداف الثورة ، منذ هذه اللحظة موضع التنفيذ الفعلى فقد وقعنا الآن بالحروف الأولى - إتفاقا ينهى الأحتلال وينظم عملية جلاء القوات البريطانية عن أرض مصر الخالدة وبذلك تخلص أرض الوطن لأبنائه شريفة عزيزة منيعة . بعد إن قاست اثنين وسبعين عاما مريرة حزينة .

إننى أسرح بخواطرى فى هذه اللحظة المجيدة عبر أسوار الحياة إلى الذين جاهلوا من أجل هذا اليوم ، ولم يمتد بهم العمر ليعيشوه أسرح بخواطرى إلى الرحيات المقدسة التى تعيش فيها أرواحهم الخالدة .. وأشعر أنهم يتابعون ما فعلنا كما تابعتنا نحن كل ما فعلوا وحملنا الأمانة بعدهم ورفعنا المشاعل على الطريق ..

إننى أتجه إليهم بقلب شعب وأتجه إليهم بوفاء جيل . إليهم جميعاً . الزعماء الذين كانوا : أحمد عرابى ومصطفى كامل ومحمد فريد وسعد زغلول . والشباب الذين باعوا أرواحهم للفساد على كل بقعة من ثرى الوطن .

أتجه إليهم بقلب شعب وبوفاء جيل وأقول لهم : سوف نمضى على الطريق لن نضعف ولن نتخاذل . ولن ننسى الأمانة التى حملناها ولا الواجب الوطنى الذى عاهدنا الله أن نقوم به ... »



عبد الناصر بطن تلميم شركة قناة السويس

أما عن تأميم قناة السويس :

فإن عبد الناصر يرى يوم ١٧ نوفمبر ١٩٥٤ م :

«.. في الثلاثين من نوفمبر ١٩٨٤ م منح فردناند دلسيس ترخيصاً بتأسيس الشركة العالمية لقناة السويس البحرية توصل ما بين البحر المتوسط والبحر الأحمر بإنشاء طريق للملاحة يصلح دائماً لمرور السفن الكبرى ولإستغلال هذا الطريق ، على أن تكون مدة الإمتياز هذا اليوم السابع عشر من نوفمبر ومنذ خمس وثمانين سنة افتتحت القناة للملاحة بعد أن تم حفرها وإعدادها . وبدأت مدة الإمتياز في السريان . ولم يبق منها اليوم سوى أربع عشرة سنة وهو ما يعد في عمر هذا الإمتياز فترة نهايتها .

وإنها لمناسبة نقف عندها قليلاً نسدد الطرف نحو ماضينا لكنى ننسب إليه حاضرننا ثم نقيس عليه مستقبلنا .

إن من يستعرض الأحداق التى عاصرت إنشاء برزخ السويس وتلك التى تلت هذا الإنشاء لا يفوته أن يدرك ما كان للقناة من أثر خطير في تاريخ بلادنا جعلت منه تاريخاً حافلاً بالخير مليئاً بالأيام الذكريات .

ألم تدفع مصر في هذا الطريق العالمى للملاحة ثمناً غالياً ألم تهدر حقوقها في تلك الفترة من تاريخها ؟ ألم تكن القناة من الأسباب الرئيسية التى دفعت بالإستعمار إلى إحتلال بلادنا بعد أن بيعت أسهم مصر فيها بأبخس الأثمان ؟ ألم يتخذ الإستعمار من القناة ذريعة يسوغ بها بقاء الإحتلال ومن الدفاع لربط مصر بعجلته ، ذلك عهد أحمد الله إن سجلنا نهايته وإنقضاه بإتفاق الجلاء ووالله ما كان لهذا العهد أن ينقضى لولا المشقة . ووالله ما إنقضى إلا بفضل كفاح طويل مرير إستغرق من الأجيال ثلاثة كفاح بدأه أجدادنا وحمل شعلته أبائونا وأوقد جيلوته شبابنا .

وإذا كان لهذا الجيل وهو يؤدى التحية للأجيال السابقة إن عبدت له الطريق- إذا كان له أن ينظر إلى حاضره بعين مستبشرة فلن تفر عينه بالمستقبل إلا إذا شهد الله على أن يقوم في الحاضر بمسئوليته كاملة قبل الأجيال القادمة .

لقد كانت مصر للقناة ذلك هو الماضى . ولم تعد مصر للقناة ذلك هو الحاضر ، وسوف تكون القناة لمصر ذلك هو المستقبل .

إلى اعلن باسمكم بداية الفترة التى تمهد لتسليم مصر مرفق قناة السويس عند إنتهاء مدة الإمتياز والقيام على إدارته وإستغلاله ، وإنه لواجب على حكومة الثورة أن تحصى عنايتها الفائقة

قناة السويس هذا الجزء الذى لا يتجزأ من بلادنا وأن تحرص كل الحرص على أن تقوم مصر بالأعباء التى تقع على عاتقها وعلى أن هذا الطريق العالمى للملاحة يظل مفتوحا مدارا خيرا لإدارة .

وإذا كنا نبدأ هذه الفترة من الآن فلكى نتق الوقوع من جديد فى أخطاء الماضى عندما كانت المشاكل تفاجئنا عاجزين واتباعا لمنطق التبصر والحكمة وهما يقضيان بالتمهيد ليوم إنتهاء الإمتياز بإجراء الدراسات اللازمة وإعداد العدة لمواجهة المشاكل الدقيقة التى تلازم إدارة مثل هذا المرفق وإستغلاله وجعل مصر فى المرتبة التى يتيح لها النهوض ببعثاتها كاملة على أحسن وجه ..

ولقد بين عبد الناصر فى كتاب (فلسفة الثورة) أبعاد الثورة خلال فترة ١٩٥٢م - ١٩٥٤م) بقوله :

« .. وليس صحيحاً أن ثورة ٢٣ يوليو قامت بسبب النتائج التى أسفرت عنها حرب فلسطين ، وليس صحيحاً كذلك أنها قامت بسبب الأسلحة الفاسدة التى راح ضحيتها جنود وضباط ، وأبعد من ذلك عن الصحة ما يقال أن ، السبب كان أزمة إنتخابات نادى ضباط الجيش » .

«لما الأمر فى رأى كان أبعد من هذا وأعمق أغواراً» .

ويحاول عبد الناصر أن يوضح الأسباب الحقيقية للثورة ، التى لم يستطع الآخرون أن يلموا بها .. وذلك إن عبد الناصر يرجع بتاريخ الثورة إلى زمن بعيد عن تاريخ قيامها فهو يقول :

«يريد بعض الناس أن يعتبروا يوم ٢٣ يوليو ١٩٥٢م بمثابة نقطة بداية لثورتنا .. ولكن الحقيقة غير ذلك .. إن ٢٣ يوليو لم تكن سوى المرحلة الأخيرة للثورة . إن بدايتها ترجع إلى الحادى عشر من يوليو عام ١٨٨٢م ففى هذا اليوم تعرضت مدينة الأسكندرية الوادعة إلى ضربها بالمدفعية من المعتدين الأنجليز ... وتلا ذلك الإحتلال البغيض وثار مصر ، إذ قام أحمد عرابى الجندى القروى على رأس قوة من الضباط الأحرار والجنود لطرد المعتدين .. ولكن الثورة لم تحقق أهدافها .. وولدت الثورة من جديد وكانت لا تزال فى مهدها ، وكانت تحتاج إلى وقت لتنمو وتنضج قبل أن تستطيع أن تقرر قيامها .. وهكذا فإن أول هدف للثورة منذ أول يوم فى حياتها كان تحرير مصر .

ويعزو عبد الناصر السبب الرئيسى لقيام ثورة ٢٣ يوليو إلى إستعباد الأمبرياليين وصنائعهم



من سادة الأرض الإقطاعيين المصريين للشعب المصرى . فهو يقول فى كتاب فلسفة الثورة .

«وهكذا يكون من هدف الثورة الرئيسى تحرير العبيد أى الشعب ، ونضعهم - بدل سادتهم - فى حكم البلاد .. إن الثوار المصريين شأنهم الثوار فى الماضى يحملون بإنشاء حكم الشعب .. إن ثورة ٢٣ يوليو هى تحقيق الحلم الذى يحلم به الناس منذ بداية القرن الماضى .. أن يحكموا أنفسهم ، ويصبحوا سادة مصيرهم» .

ويقول عبد الناصر أن الجيش يمثل الشعب لأن الجيش من الشعب وإلى الشعب .. وفى مناسبات عدة ، كان عبد الناصر يؤكد فى تصريحاته تمسكه بنظام ديمقراطى حر ، ويعد بعودة سريعة إليه فى ١٧ من يونية سنة ١٩٥٣م قال :

«إننى أؤمن بالديمقراطية الحقة ، لأننى أؤمن أن الشعب له الحق فى اختياره المحض لكل ما يخص وجوده ومستقبله ، ومن ثم أرى أن الشعب ينبغي أن يترك حراً كي يختار النظام المناسب لحكومته» .

على أن الديمقراطية التى كانت فى ذهن عبد الناصر تختلف عن الديمقراطية الغربية المعروفة .

فعبد الناصر بينما يقول أن الثورة تهدف إلى إقامة حكم الشعب للشعب ، كان يعلن أن الجيش هو الذى يختار الحكومة التى تحكم نيابة عن الجيش ومن الواضح أن هذه الديمقراطية تختلف تماماً عن الديمقراطية الغربية فهى نظرياً ديمقراطية تدرج من أسفل إلى أعلى كما فى النظام الشيوعى ، ولكنها من ناحية التطبيق تصبح عبارة عن سلطة عليا تمارس السلطة كما فى النظام الفاشى .

يقول بد الناصر فى كتابه فلسفة الثورة :

«لقد كنت أتصور قبل ٢٣ يوليو أن الأمة كلها متحفزة متأهبة ، وأنها لا تنتظر إلا طليعة تفتح أمامها السور ، فتندفع الأمة ورائها صفوفاً مترابطة منتظمة تزحف زحفا مقدسا إلى الهدف الكبير» .

«وكنت أتصور دورنا على أنه دور طليعة الفدائيين وكنت أظن أن دورنا هذا لا يستغرق أكثر من بضع ساعات ، وبأتى بعدها الزحف المقدس للصغوف المترابطة المنتظمة إلى الهدف الكبير ، بل قد كان الخيال يشطئ أحيانا فيخيل إلى أنى أسمع صليل الصغوف المترابطة وأسمع هدير الوقع الرهيب لزحفها المنظم إلى الهدف الكبير ، أسمع هذه كله ويبدو فى سمعى من فرط إيمانى به حقيقة مادية وليس مجرد تصورات خيال .. ثم فاجأنى الواقع بعد ٢٣

يوليو .. قامت الطليعة بمهمتها واقتحمت سور الطغيان وخلعت الطاغية ، ووقفت تنتظر وصول الزحف المقدس للصوف المتراسة المنتظمة إلى الهدف الكبير .. وطال إنتظارها .. لقد جاءت أجموع ليس لها آخر .. ولكن . بعدما أبعد الحقيقة عن الخيال .. كانت الجموع التي جاءت أشياء متفرقة .. وفلولا متنافرة ، وتعطل الزحف المقدس إلى الهدف الكبير وبدت الصورة يومها قائمة مخيفة تنذر بالخطر .

وساعتها أحسست وقلبي يملؤه الحزن وتقطر منه المرارة إن مهمة الطليعة لم تنته في هذه الساعة وإنما من هذه الساعة بدأت ..

«كنا في حاجة إلى النظام فلم نجد وراءنا إلا الفوضى .. وكنا في حاجة إلى الإتحاد ، فلم نجد وراءنا إلا الخلاف .. وكنا في حاجة إلى العمل ، فلم نجد وراءنا إلا الخنوع والتكاسل .. ومن هنا وليس من أى شيء آخر أخذت الثورة شعارها «الإتحاد ... النظام .. العمل» .

على أن شخصية عبد الناصر تغيرت مع ممارسة السلطة ، ففي بادئ الأمر ، كانت تصريحات عبد الناصر والتحقيق واضحة متناقضة في بعض الأحيان ولكنه بعد أن غادر مصر

للخارج في رحلته إلى السعودية وسفره إلى مؤتمر باندونج أحس بوعى جديد كرجل له رسالة إزاء العالم العربى والإسلامى كله ، ومن ثم ألقى بنفسه في تيار السياسة الخارجية .

وكما قال عبد الناصر في كتاب فلسفة الثورة ، فإن مسار الثورة توقف على عامل المكان أو المجال وعلى عامل الزمن .. والعامل الأخير يرتبط بخاصة بتاريخ مصر الداخلى .

ولقد أعلن عبد الناصر في الكتاب ذاته :

إن رسالة مصر يمكن أن تتحقق في ثلاثة إنجماحات ، أعنى المنطقة العربية ، والقارة الإفريقية والعالم الإسلامى .

«أيمكن أن نتجاهل أن هناك دائرة عربية تحيط بنا ، وإن هذه الدائرة منا ونحن منها ، امتزج تاريخنا بتاريخها ، وارتبطت مصالحنا بمصالحها حقيقة وفعل لا مجرد كلام ؟» .

«أيمكن أن نتجاهل إن هناك قارة أفريقية شاء لنا القدر أن نكون فيها ، وشاء أيضا أن يكون فيها اليوم صراع مروع حول مستقبلها ، وهو صراع سوف تكون آثاره لنا أو علينا سواء أردنا أو لم نرد ؟» .

«أيمكن أن نتجاهل أن هناك علما إسلامياً تجمعنا وإياه روابط لا تقرها العقيدة الدينية

فحسب ، وإنما تشدها حقائق التاريخ ؟ .

ولقد أكد صلاح نصر فى مذكراته (مصدر سابق) حقائق أخرى متشابهة تؤكد هذه الرؤية الناصرية المبكرة والمحددة لمنهج فكر عبد الناصر خلال هذه الفترة القلقة من تاريخ مصر الحديث .

وكل هذه الحقائق أصيلة ذات جذور عميقة فى حياتنا لا نستطيع مهما نحاول أن ننساها أو نفر منها .

وهكذا نجد أن أيديولوجية عبد الناصر حين قامت ثورة ٢٣ يوليو تبدو متناقضة مضطربة .. كانت تنبع من فكر عاطفى وإيمان دينى ، أكثر من نبوعها من نظرية إجتماعية ومن الواضح أن هذه الأيديولوجية لم تنتم إلى نظرية معينة ، بل اقتبست من أيديولوجيات مختلفة قديمة وحديثة .

ولذا لا نستطيع أن نقول أن الثورة قامت على أساس نظرية أيديولوجية معينة ، ولا بد لنا أن نتبع أحداثها وتطبيقاتها لنرى كيف تطورت ثورة ٢٣ يوليو وتدرجت وفقاً للظروف والأحوال التى فرضت عليها .
* وبعد

تلك كانت أبرز التطورات والأحداث والأفكار التى عاشتها مصر خلال الفترة الأولى المبكرة من حكم الثورة ، ترى ماذا حدث بعد ذلك من وقائع وأحداث لا زلنا نعيش آثارها ؟

.. ملحق الفصل الثالث

(مفهوم الديمقراطية عند جمال عبد الناصر)

إن المجتمع منقسم إلى قسمين ، أو منقسم إلى طبقتين : طبقة الملاك والمستغلين وطبقة الأجراء .

والملاك المستغلين الذين أقصدهم هنا ليس كل الملاك ، ولكن المالك الذى يستغل ملكيته حتى يحقق أكبر قدر من الإنتاج على حساب الشعب ، وكان فيه طبقة الأجراء التى هى تمثل العامل وتمثل الفلاح وتمثل الموظف وتمثل كل واحد يأخذ أجر ليعيش ، كل واحد يعمل من أجل أن يعيش .

والإقطاع والطبقة الرأسمالية جعلت من الحكم دائما أداة فى يدها لتحقيق أغراضها لحماية مصالحها ، ولأستغلال الأجراء ومنعهم من المطالبة بحقوقهم .

(العبد التاسع للثورة - ١٩٦١/٧/٢٣ م)

إذا كان المجتمع إقطاعيا يكون حتما الحكم إقطاعيا ، إذا كان المجتمع رأسماليا يكون الحكم رأسماليا ، إذا كان المجتمع أساسا إقطاعيا رأسماليا وأن الطبقة الإقطاعية والرأسمالية هى التى تتحكم . يكون حتما الحكم هو التحالف بين الإقطاع ورأس المال .

من أجل هذا هناك علاقات وثيقة بين السياسة والاقتصاد .

(اللجنة التحضيرية ١٩٦١/١٢/٣ م)

الديمقراطية التى كانت موجودة قبل الثورة ، لما كانت الرجعية تسيطر على إقتصاد البلاد وثروة البلاد كانت هى صاحبة النفوذ وكانت الرجعية هى صاحبة الإمتيازات كانت الديمقراطية مزيفة ، وكانوا يقولوا إن فيه حرية سياسية أو فيه ديمقراطية سياسية ، ولكن الإستغلال والإقطاع ورأس المال المستغل قضى على كلمة الديمقراطية إلى قالوها ، وعلشان كده إحنا بنقول لا يمكن بأى حال أن يقال إن هناك حرية إلا إذا توافرت الديمقراطية السياسية الإجتماعية .

(عيد الوحدة - ١٩٦٤/٧/٢٢ م)

هذه الدكتاتورية التى استغلت كل الوسائل لتبقى الطبقة السائدة .. استغلت اسم الديمقراطية ، وهل يمكن أن توجد ديمقراطية بدون عدالة إجتماعية .. هل يمكن أن توجد ديمقراطية مع الظلم الإجتماعى .. إن الديمقراطية أساسا هى إقامة عدالة إجتماعية وإنصاف

الطبقة المظلومة من الطبقة الظالمة ، الديمقراطية أساسا هي ألا يكون الحكم إحتكارا للإقطاع ولرأس المال المستغل ، بل أن يكون الحكم لصالح الأمة كلها ، أن يكون الحكم منصفا للمظلوم من الظالم .

الديمقراطية .. لا توجد بمجرد إصدار دستور أو قيام البرلمان .. الديمقراطية لا يحددها الدستور ولا يحددها البرلمان .

الدستور يهب الحرية ، والدستور يعطى الديمقراطية ، ولكن الإقطاع يسلب الحرية والديمقراطية ، والإستغلال يسلب الحرية والديمقراطية . ديكتاتورية رأس المال تسلب الحرية والديمقراطية .. فلا حرية حقيقية .. ولا ديمقراطية حقيقية إلا بالقضاء على الإقطاع والإحتكار والإستغلال وسيطرة رأس المال .

(العيد التاسع للثورة - ٢٢/٧/١٩٦١م)

هل المقصود بالديمقراطية الديمقراطية الغربية ؟ هل المقصود بالديمقراطية الديمقراطية المجردة ؟ وهل المقصود بالديمقراطية إننا نعمل أحزابا ؟ وعندما وضعت هذه الأسئلة وضحتها لحضراتكم . وقلت في كلامي إننى فى يوم من الأيام فكرت فى إقامة حزبين حزب يحكم وحزب يعارض ، ولكن فى أى إطار وفى أى نظام إجتماعى ، إفى أعتبر إننا فى ثورة ، ثورة إجتماعية ، الدولة لرأس المال ، الدولة التى يسمونها دولة ديمقراطية سواء تبادها هذا الحزب أو ذلك فهى عبارة عن ديكتاتورية رأس المال .

(المؤتمر الوطنى ٢٩/١١/١٩٦١م)

الديمقراطية معناها تأكيد سيادة الشعب ووضع السلطة فى يد الشعب وتكريسها لخدمة أهداف الشعب .

الديمقراطية هى الحرية السياسية .

إننا بنقول لا يمكن بأى حال أن يقال أن هناك حرية إلا إذا توفرت الديمقراطية السياسية مع الديمقراطية الإجتماعية .

إن الديمقراطية السياسية لا يمكن أن تتحقق فى ظل طبقة من الطبقات مع تسليمنا بوجود الصراع الطبقي ، وقلنا إن احنا فى تجربتنا من جل حياة ديمقراطية سليمة ، لا بد لنا أن نحقق الديمقراطية السياسية فى إطار الوحدة الوطنية وفى إطار تذويب الفوارق بين الطبقات وفى العمل على تصفية الرجعية .

(عيد الوحدة ٢٢ فبراير ١٩٦٦م)

وفي عام ١٩١٩م قامت في مصر ثورة ، وكانت هذه الثورة تهدف إلى حياة ديمقراطية سليمة ، وكانت الثورة تنادى بالاستقلال التام ، واستشهد من استشهد .. وقتل من قتل ومات من مات من أبناء الشعب المكافحين الأحرار الذين خرجوا وليس لهم من مطمع أو هدف إلا أن يموتوا ويستشهدوا في سبيل تحقيق هذه الأهداف الكبرى التي كانت تنادى بها البلاد من الشمال إلى الجنوب .

كان كل بلد ينادى بها ، وكل فرد من أبناء هذا الجيل ينادى بها أسلمت البلد قيادتها إلى زعمائها اعتبرتهم أمناء على هذه الأهداف وهذه الآمال .

.. وبعد ذلك .. ماذا حدث ؟؟

هل تحققت الديمقراطية ؟؟

هل تحققت الحرية التي مات من أجلها أبناء هذا الوطن ؟

تطورت الأمور وانتهت ثورة ١٩١٩م بنص دستوري وحصلت البلد على دستور ١٩٢٣م هل طبق الدستور حسب مواده ؟ وحسب أبوابه وبندوده ؟

هل طبقت الديمقراطية بحيث تكون الحرية حرية شاملة ؟ . ما الذي حدث ؟ بدأت العوامل تتدخل .. العوامل الرجعية والعوامل الإستعمارية .. وبدأ أعوان الإستعمار يتآمرون مع الإستعمار على هذا الشعب .

بدأوا يعطون الشعب كلاما جميلا .. كلاما براقا .. وعود خلافة . ولكن ماذا كانت نتيجة هذه الوعود الخلافة وماذا كانت نتيجة هذا الكلام الجميل ؟

إنكسرت ثورة ١٩١٩م وأصبحت الحرية هي حرية التحكم وحرية السيطرة وحرية الاستبداد وحرية الاستغلال . وبدأت فئة قليلة من أبناء هذا الشعب تعتبر أن هذه فرصة لتكسب لتغتنى وتجمع أكبر كمية ممكنة من المال . وهذا الشعب الذي قام وثار وقتل وقاسى وجابه الإستعمار . وبدأت هذه الفئة القليلة تتآمر .. تتآمر من أجل مصلحة خاصة .. وجدت هذه الفئة القليلة أنها لن تستطيع أن تقاوم الشعب وإنها لن تستطيع أن تقاوم الإستعمار في نفس الوقت ، وأيقنت أن الشعب لن يسلم ولن يستسلم . ولكنه سيحاول مرة أخرى .. أنه يطالب بحقه في الحياة ، سيحاول أنه يطالب بحريته .. سيحاول أن يطالب بعدالة إجتماعية .. سيطلب بحرية الرزق وحرية العيش .

فماذا كانت النتيجة ؟ إنجهدت هذه الفئة المستغلة إلى الإستعمار لتعاون معه .
(المؤتمر الوطني للقوى الشعبية)

ولقد واجهنا منذ أول أيام هذه الثورة متناقضات كبيرة وكنا نشعر أن عدم التكافؤ الاجتماعى وعمد التكافؤ الاقتصادى ، لابد أن ينتج عنه عدم التكافؤ السياسى . وكنا نشعر أن من يملك الأرض والإقطاع يملك معها حرية الناس ومن يملك رأس المال وأدوات الإنتاج يملك معها حريات الناس . وعلى هذا آمنا أن الحرية لابد أن تكون حرية سياسية وحرية إجتماعية ولا بد أن يتحرر الفرد من الاستغلال بكل معانيه .. الإقتصادى والاجتماعى حتى يستطيع أن يباشر حريته السياسية .

(المؤتمر الإفريقى الآسيوى ١٥ فبراير ١٩٦٢م)

إن الديمقراطية لا يمكن أن تتحقق إلا إذا تحققت الديمقراطية الإجتماعية .. والديمقراطية الاجتماعية معناها تأمين الرزق للعامل وتأكيد الرزق للفلاح . ونحن نسير فى سبيل تأكيد الرزق للجميع . كما نسير فى سبيل القضاء على الاستغلال بكل معانيه أو السيطرة الداخلية بكل مقوماتها .

وإذا تحققت الديمقراطية الاجتماعية وأصبح كل فرد امن على غده وآمن على رزقه ، فلا بد أن تتحقق الديمقراطية السياسية وأن الشخص الذى يأمن على يومه وغده لا يخاف أن يقول رأيه بوضوح وصراحة .. ولا يمكن بأى حال من الأحوال أن يبيع نفسه أو يبيع صوته أو يبيع إرادته .

لا يمكن بأى حال إن إحنا نقول عندنا ديمقراطية وعندنا برلمان ، ونبص نلاقى الإقطاعى هو الى يبروح البرلمان وصاحب رأس المال هو الى يبروح البرلمان .

طيب إزاي الإقطاعى يبروح البرلمان هل الفلاحين راضيين .. لا الفلاحين مش راضيين لكن لو الفلاحين ما أدوش للإقطاعى صوتهم يحصل إيه ؟ الإقطاعى يهددهم . أو كان يقتلوهم كانوا يسلطوا عليهم أو يطرده من البلد هو وعيلته ما كانش الفرد سيد نفسه فكان الفرد يشعر أنه دائماً مهدد فى يومه ومهدد فى غده .

وكان الإقطاعى من دول يقدر ويقول أنا بطلب وزير الداخلية ، ويقضى على أى فرد أو أى عائلة تطالب بحقوقها ، بل كان أكثر من كده الإقطاعى الى عنده آلاف الفدادين يشتري أرض الى عنده قيراط أو قيراطين وفدان وفدانين وخمس فدادين . وإذا ما كانش يرضى بيعها له بالسعر الى هو عايزه كان يستخدم الحكم .

(عيد السد العالى ١/٩/١٩٦٣م)

هذا هو ما سرنا عليه .. وهذا هو ما عملنا على تطبيقه ، حينما كنا ننادى بالحرية كنا نعنى حرية الفرد وحرية الإنسان وأمكنا أن نرى إلا حرية للفرد ولا حرية للإنسان إلا بإقامة

العدالة والمساواة والقضاء على الظلم الاجتماعى . وعلى هذا الأساس قضينا على الإقطاع وعلى هذا الأساس - قضينا على رأس المال^{٣٣} .. ونحن نشعر اليوم أن الحرية الاجتماعية والديمقراطية تتحقق . وأن إعادة تكوين مجتمع جديد تتحقق لأننا منذ آلاف السنين كنا نعيش فى مجتمع يتناهبه.الخلل الاجتماعى والخلل الاقتصادى . وبالتالي يتناهبه الخلل السياسى . وكنا نقاسى من هذا .. وعلى ذلك- فإننا نؤمن حتى تتحقق الحرية السياسية أنه لا بد أن نقضى على عدم التكافؤ الاجتماعى وعلى عدم التكافؤ الاقتصادى ولا بد أن يكون لأبناء الأمة الحق فى ثورة وطنهم القومية .

(المؤتمر الإفريقى الآسيوى ١٥ فبراير ١٩٦٢ م)

كنا نعى أن الحرية تعنى التحرر السياسى ثم تعنى أيضا التحرر الاجتماعى .. كان التحرر السياسى والتحرر الاجتماعى ينادى ويطالبنا أن نقضى على الإقطاع وعلى الإحتكار وعلى سيطرة رأس المال . وعلى الإنتهازية السياسية بكل معانيها .. كانت الحرية تنادينا أن نقضى على عدم التكافؤ بين ربوع جمهوريتنا حتى تكون هناك عدالة ومساواة وحتى يكون هناك تكافؤ الفرص .. وكان هذا هو السبيل .. وكان هذا هو أمل كل فرد من أبناء الجمهورية العربية المتحدة . وكنا نشعر أن الكفاح فى هذه المرحلة من نضال الأمة العربية له مطالب تختلف عن مطالبه السابقة .

(عيد الوحدة ٢٢ فبراير ١٩٦٢ م)

كانت الأمة تواجه مرحلتين من مراحل كفاحها ، مرحلة التحرر السياسى ومرحلة التحرر الاجتماعى وكانت مطالب كل مرحلة تختلف عن مطالب المرحلة الأخرى . وربما كانت المشكلة التى واجهتنا هى تداخل المرحلتين وتشابكهما مرحلة التحرر السياسى ومرحلة التحرر الاجتماعى والثورة الاجتماعية .

لقد تخلفنا طويلا عن العالم ، ولا يمكن بأى حال من الأحوال أن نفصل الثورة الاجتماعية عن الثورة السياسية . فبدون الثورة الاجتماعية تصبح الرجعية ويصبح الاقطاع والإحتكار وسيطرة رأس المال ويصبحون جميعا دكتاتورية تتحكم فى الشعب وفى رقاب أبناء الشعب جميعا .

(عيد الوحدة ٢٢ فبراير ١٩٦٢ م)

الطبقات التى أتولدتنا ووجدناها الى هى طبقة الإقطاع والرأسمالية المستغلة كانوا يمثلوا طبقة الحكام . فيه الطبقة المتوسطة العمال والفلاحين موش دى الثلاث طبقات الى كنا موجودين فيها .. إتولدتنا فيها وعشنا فيها .. ولكن البلد كلها كانت بتشتغل لحساب مين ؟ حساب

الإقطاع .. لأن النفوذ وصلنا لهذا وصلنا أن السلطة والنفوذ والمال والأسلحة كلها والجيش والبوليس والدولة تيجى فى يد الطبقة الغنية .. الطبقة القوية .. الطبقة الإقطاعية . وطبقة الرأسمالية المستغلة .. بل أكثر من هذا - إن الطبقة هى التى عملت الدولة وهى التى عملت الجيش وعملت البوليس وعلشان نحمل مصالحهم وهم يعتبروا أنفسهم أصحاب المصلحة الحقيقية فى البلد والباقي لازم يشتغلوا لهم لكى يحققوا المزيد من الأرض والمزيد من المال .. (المؤتمر الوطنى ٢٦ مايو ١٩٦٢م)

وديمقراطية الاشتراكية تختلف عن ديمقراطية الرجعية التى جربناها فى الماضى .. كانت تعنى أن تتحكم فئة من الإقطاعيين وقلة من الرأسماليين وقلة من الإقطاعيين السياسيين الى يبيعوا أنفسهم للإقطاعيين والرأسماليين ويستولوا على السلطة وعلى الدولة من أجل مصالحهم .. أما ديمقراطية الاشتراكية فهى ديمقراطية الشعب العامل الذى له الحق فى نتائج عمله وله الحق فى بلده . ديمقراطية الاشتراكية هى الديمقراطية الاجتماعية مع الديمقراطية السياسية .. هى القضاء على الإقطاع والقضاء على الاحتكار والقضاء على سيطرة رأس المال وإيجاد الفرص المتكافئة للجميع ، إذ لا يمكن أن تقوم ديمقراطية وهناك استغلال لرأس المال ، ولا يمكن أن تقوم ديمقراطية وهناك إحتكار أن الذى يمكن أن يقوم فى وسط هذه الظروف ليس إلا ديكتاتورية الإقطاع ورأس المال .

(العيد العاشر للثورة ٢٦/٧/١٩٦٢م)

كان من الواضح منذ أول يوم من أيام هذه الثورة أننا لا نستطيع أن نحقق العدالة الاجتماعية إلا إذا قضينا على الإحتكار وسيطرة رأس المال .. وكانت الثورة منذ أول يوم لها ثورة سياسية وثورة اجتماعية .

ثورة سياسية ضد الاستعمار وضد أعوان الإستعمار ، ثورة اجتماعية ضد الإقطاع والاحتكار والإستغلال وديكتاتورية رأس المال . الشعب الذى كان يئن من ديكتاتورية رأس المال لم يخف ولكنه تصدى لديكتاتورية رأس المال .

كان هناك نضال من الطبقة المظلومة لتحصل على حريتها ولتحصل على المساواة .. وكان هناك نضال من الطبقة المتحكممة المسيطرة ، من أجل السيادة ومن أجل الاستعباد ومن أجل الاستغلال .

طبقة تعمل بالأجر تمثل ٩٥٪ من الشعب . وطبقة تملك كل شئ وتحصل على نتيجة عمل الشعب ، عندها أكبر سلاح وهو سلاح المال ديكتاتورية رأس المال ديمقراطيتها تعبر

عن - ديمكتاتورية رأس المال .

(العيد التاسع للثورة ٢٢ يوليو ١٩٦١م)

«إن الديمقراطية عملة واحدة ذات وجهين : سياسى وإجتماعى وبغير الوجهين معا تصبح عملة زائفة لا سعر لها ولا قوة .

إن الديمقراطية لا تتحقق فى كمالها إلا بقيام التنظيم السياسى شامخاً دافعاً لها ، وقيام المجالس الشعبية المنتخبة توقع بإرادة الجماهير الحرة كل قرار وتؤكد بالفعل لا بمجرد القول أن صوت الشعب من صوت الله» .

(إفتتاح مجلس الأمة ٢٥/٣/١٩٦٤م)



لقاء الجماهير ... بالقائد ... ترى هل بقي الولاء !!

عندما تلف الشعب حوله يوم أن قام بثورته في يوليو ٥٢ كان يرى فيه وفي مبادئه الستة أمله وأمل بلاده في البناء والقوة .. ومضت السنوات .. والبناء والقوة متلازمان على الطريق الذي رسمه ويد تبني .. ويد تحمل السلاح، والشعب أيضا من حوله يؤيد خطوات تنفيذ الأمل خطوة وراء خطوة ويحيطه .

يوم ٢٥ مارس عام ١٩٦٥ خلف الجين ... رئيسا للجمهورية



الفصل الرابع
عبد الناصر والصدّام الأول مع الإخوان
المسلمين
عام ١٩٥٤



عبد الناصر والصدام الأول مع الإخوان ١٩٥٤م

* طويلة هي قصة الصراع السياسى بين عبد الناصر والإخوان المسلمين ، معقدة هي فصولها ، ودرامية هي أحداثها ، فالوقائع والحقائق كثيرة ولكنها بفعل الزمن والعاطفة والتأويل بل والتوظيف السياسى لها باتت أكاذيب ، وترهات وزيف .

* إنها قصة ، الخيال فيها أكثر من الواقع ، والشجن فيها أمضى تأثيرا من الحقيقة المجردة ، لقد اختلطت الأشياء ، والأسماء والأزمان فى تلك القصة إلى درجة صعب فيها التأريخ الأمين ، إذ عندما يدخل الدين ، والسجن ، والسياسة ، والمصلحة إلى منطقة (التاريخ) فإن أمانة التسجيل ، والرصد ، والتوثيق ، تصبح موضع شك .

* وهذا حدث بالضبط فى قصة عبد الناصر والإخوان .

* فما أتى إلينا من روايات (ناصرية) لتلك العلاقة ، يغلب عليها الوصف السابق ، ويغلب عليه الغرض والهوى ، والمصلحة ، ونفس الأمر ينسحب على ما خلقته لنا أدبيات الحركة الإخوانية وبخاصة خلال السبعينات والثمانينات ، والتي قدمت لنا تفاصيل العلاقة مع عبد الناصر فى الخمسينات والستينات ، بطريقة غلب فيها الهوى والرغبة فى التشفى ، والإنقاذ ، ليس فقط من رئيس سابق أو نظام سياسى سابق ، بل من تجربة تاريخية كاملة ، بل من مجتمع كامل عاش تلك التجربة وتفاعل معها بحق .

* الروايتان .. قاصرتان فى تقديرنا ، وتستحقان التمهيع والفحص الدقيق ، وإعادة الفرز لمكوناتهما ، لاستبعاد الهوى (وما أكثره) وتثبيت الحقيقة (وما أقلها) .

* وتلك هى مهمة المؤرخين الأمناء ، وليس الأدعياء منهم .

* وما نحاول أن نقوم به هنا ، هو مجرد خطوة ، متواضعة على طريق هذا التمهيع والفرز ، اخترنا لها أهم حلقة من حلقات قصة الصراع بين عبد الناصر والإخوان ، حلقة الصدام الدامى فى عامى ١٩٥٤م ، وهى أول وأهم الحلقات كما يؤكد ذلك التاريخ .

* وما نقوم به هنا هو إعادة نقد ونشر النصوص الخاصة بالمحاكمات غير المنقوصة أو غير المفروضة كما حدث فى سلسلة كتب (محكمة الشعب) والتي حرص أولى الأمر من العسكر وقتها على أن يسبق وأن يلى كل كتاب مقدمة وخاتمة من الإهانات والإتهامات ومصادرة حق القارئ فى المعرفة وبناء رأيه المستقل ، فضلا عن التعامل معه على أساس أنه قاصر وغير

ناضح ويحتاج إلى الوصاية الكاملة قبل نشر أية نص من نصوص المحاكمات .

* وما نقوم به هنا على النقيض من ذلك تماما .

* فإننا سنقدم نقد وتلخيص للنصوص الحقيقية للمحاكمات ، دون تدخل بالوصاية أو المصادرة أو الإتهام المسبق ، سنترك النصوص تقول بنفسها وتحكى بنفسها وقائع الصراع والأزمة ، مع تحقيق وتوضيح ما يستحق الإيضاح من وقائع قد تبدو مبهمة ، أو تحتاج إلى وقفة تحليلية أمانة ، أو إلى رد ونقاش .

* تلك هى مهمة هذا العمل ، ورسائله ، ومن هنا تنبع أهميته وتبليوره .

* وفى سبيلنا للدخول إلى نقد وتلخيص الوثائق للمحاكمات التى جرت عام ١٩٥٤م للإخوان المسلمين والتى جاوزت عدد صفحاتها الألفى صفحة ، قدمنا للعمل ، بمدخل تحليلى شامل يحتوى على موجز لتاريخ الإخوان المسلمين ، وملاحح رؤيتهم لشخصية عبد الناصر والفرق بينهم وبين الجماعات الإسلامية الأخرى ، وشهادتهم التاريخية تجاه حادث المنشية (موضوع الصراع الدامى عام ١٩٥٤م) والشهادات التاريخية الغريبة ، وغير الغريبة لهذه الحوادث ودلالاته السياسية والتاريخية ، ثم أتبعنا هذا المدخل بملخص للوثائق مرتبة ومحققة وفقا لجلسات المحاكمة مع الأحكام التى صدرت من واقع الأوراق الأصلية للتحقيق .

* ونأمل من الله أن يمثل هذا العمل إضافة للحركات الإسلامية التى رغم إختلافنا مع (بعض) رؤاها الفكرية ، و (بعض) سلوكياتها السياسية ، فإننا نعتبرها بحق أنبل فصائل الحركة السياسية المصرية والعربية المعاصرة ، وأكثر التصاقا بالواقع وبقضايا الأمة وهمومها ، وأقدرها على تحقيق أمانى الأمة ، وحفاظا على مصالحها ومستقبلها .

* فى هذا المدخل سوف نتناول عددا من النقاط الهامة التى تفيد فى فهم وتحليل الوثائق التى بين أيدينا ، وتترى الطريق أمام عملية إستيعابها ، وسوف نوجز هذه النقاط فيما يلى :

أولاً : موجز تاريخ جماعة الإخوان :

بداية أسس حسن البنا جماعة الإخوان المسلمين فى آذار / مارس عام ١٩٢٨م فى مدينة الإسماعيلية .. وكان ذلك بعد أربع سنوات من إسقاط الخلافة الإسلامية على يد كمال أتاتورك .

إنطلقت دعوة الإخوان من الإسماعيلية على يد البنا إلى كافة البلدان المصرية .. فكثر المؤمنون بالدعوة وازداد أنصارها ووجدت صدى طيبا لدى جموع الشعب

بعد أربع سنوات من تاريخ إنشاء الجماعة أصبح لها ما يقرب من عشرة فروع في المحافظات المصرية .. ثم أخذت هذه الفروع في الانتشار والإزدياد حتى أصبحت للدعوة شعبة في كل محافظة .

عندما قوى سلطان الدعوة وزداد تأثيرها .. شعرت الحكومة بتهديد هذه الدعوى فبدأت في محاربتها بمساندة بعض القوى .. وكان أول هذه الحرب ... نقل البنا المرشد العام للإخوان إلى القاهرة سنة ١٩٣٣م ، وأقام المؤتمر الأول للإخوان المسلمين .

استمر البنا في نشر دعوته انطلاقاً من القاهرة التي أنشأ فيها داراً جديدة للإخوان ... وأصبحت فيما بعد المركز العام للإخوان المسلمين .

تم تسجيل جماعة الإخوان المسلمين كهيئة رسمية . وبدأت في ممارسة أنشطتها العلنية من خلال المركز العام للإخوان المسلمين في القاهرة .. والذي يتابع أنشطة الشعب المختلفة في المحافظات ..

فى عام ١٩٣٧م التقارب بين الإخوان والقصر فى مواجهة حزب الوفد

وفى سنة ١٩٣٨م استكملت دعوة الإخوان المسلمين عناصرها وتبلورت فى كامل صورتها ... وأصبحت تضم كافة الطبقات من عمال وفلاحين .. موظفين ومهنيين ، مهندسين وأطباء ... وغيرهم وأنشئ قسم خاص للأخوات المسلمات ... وبهذا صارت الدعوة واسعة الانتشار .

* ١٩٣٩م إنشقاق جماعة (شباب محمد) وإدانتها للبنا بسبب علاقاته مع القصر .

* ١٩٤٠م الإنصال الأول بين حسن البنا والضباط الأحرار من خلال أنور السادات .

وفى سنة ١٩٤١م تعرضت الجماعة لأول محنة .. وتمثلت فى ضغط الإنجليز على الحكومة المصرية خشية من عواقب قرار الحل ... فأصدرت قرارات بوقف الاجتماعات ومصادرة المجلات وإغلاق المطابع ... ونقل البنا إلى قنا ثم عاد مرة أخرى للقاهرة حيث تم اعتقاله ثم أفرج عنه ...

وفى سنة ١٩٤٢م تم حل البرلمان وأعيد إنتخاب برلمان جديد .. ورشح البنا نفسه فى تلك الإنتخابات عن الإسماعيلية ... وطلب منه رئيس الحكومة أن يتنازل .. وتنازل البنا عن الترشيح ... إلا أن الحكومة .. خشيت من سلطان الجماعة وقتها فأصدرت قرارها بإغلاق الشعب وضيقت على الاجتماعات والأنشطة ... وكان ذلك تمهيداً لإصدار قرار حل

الجماعة ...

* ١٩٤٣م بداية إنشاء الجهاز السرى الخاص للإخوان المسلمين .

وفى سنة ١٩٤٥م قام الإخوان بترشيح أنفسهم لانتخابات البرلمان الجديد ... فقامت الحكومة بتزوير الانتخابات. وتعمدت عدم إنجاح أى عضو من الإخوان ... فرفض الإخوان الانتخابات ونددوا بها .

وفى سنة ١٩٤٥م أيضا تم اعتقال البنا المرشد العام للإخوان بتهمة إغتيال رئيس الوزراء ... ثم افرج عنهم فيما بعد لعدم وجود إتهام لهم ...

* ١٩٤٦م تشجيع من الحكومة للإخوان فى نضالهم ضد الوفد والشيوعيين .

وفى سنة ١٩٤٧م صدر قرار تقسيم فلسطين ... فرفضه بعض الإخوان وبدأوا فى إعداد كتائبهم العسكرية لخوض المعركة ضد الإنجليز واليهود .. وشهدت أرض فلسطين بطولات معروفة لجنود الإخوان ... فى حين كانت الحكومة تمد جيشها بالأسلحة الفاسدة .

. وفى ١٠ تشرين الثانى / نوفمبر ١٩٤٨م أصدر سفراء أميركا وانجلترا وفرنسا فى مصر .. بعد إجتماع لهم فى فايد ... قرارا بحل جماعة الإخوان المسلمين ... وتكليف الحكومة المصرية بتنفيذ ذلك ويتم الحل : بواسطة السفارة البريطانية فى مصر .

وفى ٤ كانون الأول / ديسمبر سنة ١٩٤٨م صدر القرار الحكومى بحل جماعة الإخوان المسلمين ... ثم فى يوم ٨ كانون الأول / ديسمبر صدر قرار عسكرى بمصادرة أموال وأماكن وشركات الجماعات وتصفية المصانع والمطابع التى تمتلكها الجماعة وحظر الاجتماعات وإغلاق المقارنات الخاصة بالجماعة .

بعد قرار الحل ... تم اعتقال جميع الإخوان .. وترك البنا المرشد العام وحيدا خارج السجن حيث لم يتم اعتقاله .. وكان ذلك تمهيدا لاغتياله ويعد هذا أكبر الاختبارات وأقساها عليه ...

وفى مساء السبت ١٢ شباط / فبراير سنة ١٩٤٩م تم اغتيال حسن البنا المرشد العام للإخوان المسلمين أمام جمعية الشبان المسلمين فى القاهرة ... بواسطة عملاء الملك .. وتم حفظ القضية ضد مجهول .

وفي سنة ١٩٥٠م تم إختيار المستشار حسن الهضيبي مرشدا عاما للإخوان المسلمين بعد إستشهاد حسن البنا وكان له من العمر ٥٩ عاما .

وفي سنة ١٩٥١ صدر قرار مجلس الدولة بإعلان قرار حل الجماعة .. وتم الإفراج عن الإخوان وعادت الجماعة لصورتها الرسمية .. وأعيدت لها ممتلكاتها .. وأعيد فتح الشعب والمراكز ..

وفي سنة ١٩٥١م بدأ الإخوان يخوضون مرحلة جديدة من الجهاد ضد الإنجليز وكان ذلك على أرض قناة السويس ... وشهدت المعارك مواقف طيبة لجنود الإخوان .

وفي سنة ١٩٥٢ لعب الإخوان دورا أساسيا في نجاح ثورة ٢٣ تموز / يوليو وذلك الإشتراك مع مجموعة من ضباط الجيش ... وقام الإخوان بتأمين الشوارع وحراسة المباني الهامة .

* ١٩٥٣م الجهاز السرى لإخوان يفلت من قبضة وسيطرة حسن الهضيبي وفي نوفمبر من هذا العام تم طرد عبد الرحمن السندى رئيس الجهاز من الجماعة وفي ديسمبر تم طرد صالح عشاوى ومحمد الغزالى من الجماعة لتعاونهما مع عبد الناصر .

وفي يوم ٢٦ تشرين الأول / أكتوبر سنة ١٩٥٤م وقع حادث المنشية الشهير .. واتهم الإخوان بمحاولة إغتيال رئيس الجمهورية ... وإتخذ الحادث ذريعة للقبض على الإخوان ... فتم اعتقال عدة الاف وفي المعتقلات لاق الإخوان صنوفا من التعذيب وصدر قرار بحل الجماعة ومصادرة ممتلكاتها وإيقاف نشاطها ...

وفي إحداث ١٩٥٤م إعتقل المرشد حسن الهضيبي وتم تقديم الإخوان للمحاكمات أمام ما سمي بمحكمة الشعب ... التى أصدرت حكمها بإعدام سبعة من الإخوان ... بينهم المرشد ... ثم خفف الحكم عليه لكبر سنه إلى السجن المؤبد ... ونفذ الحكم بالإعدام فى الستة الباقين فى يوم ٧ كانون الأول / ديسمبر سنة ١٩٥٤م .

وفي حزيران / يونيو سنة ١٩٥٧م امتشهد العشرات من الإخوان المعتقلين حوالى ٢١ فى سجون طره وجرح منهم المئات فى مذبحه طره .. التى دبرها قادة السجون ... حيث أطلق الرصاص على الإخوان فى الزنازين .

بدأ رجال الإخوان الذين خرجوا من السجون فى تلك الفترة مع من بقى منهم خارج السجن فى تنظيم أنفسهم وإعداد صفوفهم .. وبدأوا فى دعوة الناس من جديد إلى دعوة

الإسلام ولكن، في إطار من الحذر الشديد وتربص الحكومة بهم والتقت زينب الغزالي بعد الفتح لإسماعيل في مكة من أجل هذا الهدف .

* ١٩٦٤م تم إرسال الجيش المصري إلى اليمن وتم إطلاق سراح سيد قطب من السجن ثم إعادة اعتقاله عام ١٩٦٥م .

وفي سنة ١٩٦٥م تم القبض على الإخوان الموجودين خارج السجن .. ويقدر عددهم بنحو ٣٠ ألفاً وحوكم الإخوان محاكمات عاجلة ... وصدر الحكم على ثلاثة منهم بالإعدام بينهم سيد قطب ... وحكم على عدة مئات منهم بالسجن .. ونفذ حكم الإعدام يوم ٢٩ آب / أغسطس سنة ١٩٦٦م .

* ١٩٦٨م الإخوان في المنصورة يتظاهرون ضد عيد الناصر وضد هزيمة ١٩٦٧م .

وفي سنة ١٩٧١م بدأ الإفراج عن الإخوان المعتقلين وخرج آخرهم عام ١٩٧٤م .

وفي يوم ١١ تشرين الثاني / نوفمبر سنة ١٩٧٣م إنتقل حسن الهضيني المرشد العام للإخوان المسلمين إلى جوار ربه بعد صراع طويل مع المرض .. وكان له من العمر ٨٢ عاماً .

بعد خروج الإخوان من المعتقلات أعادوا تنظيم صفوفهم ... وبدأوا بممارسة الأنشطة المتاحة لهم وتم اختيار عمر التلمساني مرشداً عاماً جديداً للإخوان المسلمين .

* ١٩٧٦م سيطرت الجماعات الإسلامية على اتحادات الطلبة وفي يوليو من هذا العام أعادة إصدار مجلة (الدعوة) والإخوانية وفي نفس العام ظهرت جماعة التكفير والهجرة بزعامة شكري مصطفى ومن قبلها بعامين (١٩٧٤م) ظهرت جماعة صالح سرية الشهيرة بجماعة الفنية العسكرية .

وفي أيلول / سبتمبر سنة ١٩٨١م وقع صدام بين الحكومة والإخوان أدى إلى اعتقال المرشد العام عمر التلمساني مع بعض قيادات الجماعة ... ومئات من أفرادها وصودرت مجلة الدعوة الخاصة بالإخوان وأغلق مقرها .. ثم بدأ الإفراج عنهم في أواخر العام نفسه .

وشهدت أحداث أيلول / سبتمبر وقائع خطيرة كان أكثرها إثارة إستشهاد محمد كمال الدين السناني أحد قادة الإخوان في السجن .

بعد الإفراج عن الإخوان ... قرر الإخوان البحث عن الوسائل التي تعيد لهم إتصالهم بالشعب المصري .

وفى شهر أيار / مايو سنة ١٩٨٤م اتخذ الإخوان قرارهم بدخول إنتخابات مجلس الشعب على قائمة حزب الوفد ... ودخل بالفعل عدد من أفراد الجماعة مجلس الشعب .

وفى شهر أيار / مايو سنة ١٩٨٦م إنتقل عمر التلمسانى المرشد العام للإخوان المسلمين الى جوار ربه وتم إختيار محمد حامد أبو النصر مرشداً عاماً جديداً للإخوان المسلمين

وفى شباط / فبراير سنة ١٩٨٧م قرر الإخوان دخول إنتخابات مجلس الشعب على قوائم حزب العمل بالائتلاف مع حزبى العمل والأحرار ودخل منهم بالفعل مجلس الشعب حوالى الأربعين فرداً . وفى عام ١٩٩٠م حدثت إنتخابات جديدة لمجلس الشعب المصرى رفض الإخوان دخولها لعدم وجود ضمانات حقيقية للديمقراطية ولا يزال الإخوان يعملون بدون إعتراف رسمى من الدولة بهم ولا زالت قضية حل جماعتهم تتداول أمام المحاكم المصرية حتى اليوم ١٩٩٢م .

ثانياً : الإخوان والآخرون فى المحيط الإسلامى :

رصد الإخوان عددا من النقاط الفارقة ، بين طبيعة عملهم وطبيعة آدائهم السياسى ، وبين الجماعات الإسلامية الأخرى ، وهذه النقاط يمكن تلمسها فى كتابات الإخوان المسلمين أنفسهم وفى المجلات التى يصدرونها وفى مقدمتها مجلة الدعوة ويمكن إستخلاص تلك النقاط فى الآتى :

(١) إن طريق الإخوان بعيد كل البعد عن المظاهرات والعنف والتآمر بهدف الوصول إلى الحكم طريق الإخوان هو طريق العمل المستمر لنشرة الدعوة الإسلامية بواسطة تعريف الشعب وخاصة الشباب بأسس الإسلام .

(٢) إن أفكار أولئك الشبان تتعارض - من ناحية المبدأ - مع الإسلام ، لأن الدولة الإسلامية فقط ، وليس أفراد منها هى التى تملك إتهام أفراد أو جماعات بالكفر ومن الناحية العملية فإن تبنى هذه الفكرة بواسطة الدعوة المسلمين يعزهم ويجعل أغلب المسلمين يتكبرون لهم . إن مهمة الإخوان هى الدعوى الإسلامية وليست تكفير المسلمين نحن دعاة لا قضاة (إنظر تفصيل ذلك : مصطفى مشهور : نحن وغيرنا من الجماعات الإسلامية - العدد ٦٣ مجلة الدعوة) .

(٣) كل رجل مخلص شريف يعرف أننا والنظام الحاكم فى هذا البلد على طرفى نقيض فيما يختص بالبرامج والأوضاع . وسنظل كذلك إلى أن يأتى اليوم الذى تطبق فيه أحكام

الله وأوامره ولكن حتى يأتى هذا اليوم لن نكف عن الحركة ... والحركة عندنا ليست - كما يفهم البعض - هى إحراق وسائل المواصلات ، وتحطيم المحلات ونهب المنشآت ، إنما لا نقبل ذلك ... والله لا يرضى عن المخربين فما هم نبيه وتدميره ليس ملكا لرئيس الدولة أو الحكومة إنما هو ملك خاص للشعب ولكل واحد منا .

(٤) إذا كان المقصود بـ «الحركة» التآمر لقلب نظام الحكم ، فليكن معلوما أن هذا عمل من يسمى إلى السلطة من أجل السلطة .

(٥) بالنسبة لنا لا نختلف على شخص الحاكم ولكننا نختلف على نوع الحكومة وشرعيتها .

(٦) إن حركتنا تقوم فى إطار الرسالة الإسلامية ، إنما ننشد الحقيقة وندعو الناس للتجمع حولها لنقول لهم ما حلل الله لهم وما حرم عليهم .

(٧) ونحذر الناس من العلمانية المتكثرة فى ثياب إسلامية من أجل عزل الشباب المسلم عن دينهم ببطولات مسمومة بقدر ما هى معسولة ... وفى تعليمنا الشباب نعتمد على كتاب الله وسنة رسوله .

(٨) لا مجال فى البحث حول الإطاحة بالنظام فالأهم أن نقدم لهذا النظام ما يحسن منه تدريجيا .

(٩) إنما جزء من المعارضة الشرعية التى تعد من طلب النظام .

(١٠) إنما سنارس قدراً كافياً من الضغوط على النظام للوصول إلى تحول سلمى فى إتجاه ، الدولة الإسلامية ، التى تقام على أسس الشريعة «مصطفى مشهور» - المصدر السابق .

ورغم هذه الفوارق ، فإن قادة الإخوان حاولوا إستمالة الجماعات الإسلامية الأخرى إليهم بشتى الأساليب وكان من بينها تبنى مجلة الدعوة لأخبارهم وأفراد الصفحات لهم إلى أن يقول المرشد العام ، محذرا الحكومة وخاطبا لود الجماعات الإسلامية الأخرى :

(قبل أن تقيموا للشباب التشكيلات الرياضية أو الفنية ، أفسحوا لهم طريق التشكيلات الدينية ، ففى ثنائياها ومن تعاليمها أن يكون الشباب قويا فى جسده وفى علمه وفى خلقه وفى ثقافته وفى دينه ، الجماعة الإسلامية ، الواحدة عندما تدعوا الشاب إلى التمسك بدينه تعلمه أن الله يحب المؤمن القوى فى كل شئ أكثر من المؤمن الضعيف فى كل شئ ، إن الجماعات الإسلامية تعلم الشباب أن يخالط الناس وأن يصير على أذاهم ، وأن يأخذ بأيديهم إلى ما ينفعهم فى دنياهم وعقباهم) .

ثالثاً : رؤية الإخوان لإشكالية الوطنية :

كان للإخوان المسلمين تميزهم الفكري ، وإسهاماتهم الجادة - رغم إختلافها معها - بشأن العديد من القضايا الهامة ، وتأتى قضية الوطنية ، والتي إستند إليها النظام الناصرى فى مشروعيته عليها ، أساساً ، فهل كان المشروع الإخوانى مناقضاً لهذه الفكرة والتي تحدد مستوى أول للإنتباء هو هنا الوطن الأصغر ، ومستوى ثان له هو (دار الإسلام) ؟ ذلك ما تجيب عليه الأطروحات الإخوانية ، والتي نأتى هنا بنموذجين رئيسيين لها الأول يقدمه (حسن البنا) ، والثانى يقدمه (سيد قطب) فماذا عنهما ؟

(١) أطروحة حسن البنا :

ولد الشيخ حسن البنا عام ١٩٠٦م وإستشهد عام ١٩٤٩م ، وكان له تأثيراته العديدة على الفكر الإسلامى المعاصر ، وعلى الحركة الإسلامية فى الوقت ذاته ، وتميز دون سواه من قادة الحركات الإسلامية باتساع أفقه وعمق نظريته ودقة أحكامه بشأن قضايا الواقع الإسلامى بإجمال ، وكان للحركة التى قادها (جماعة الإخوان المسلمين ١٩٢٨م - حتى الآن) إضافاتها الفكرية والسياسية على الصعيدين العربى ، والإسلامى ، وفى سياق رصدنا لقضية (الوطنية) داخل أدبيات الفكر الإسلامى المعاصر ، لا يمكننا تجاهل رؤية حسن البنا للقضية وهى رؤية تتميز بوضوح بين جانبيين :^(١) .

الأول : هو الإستخدام السياسى للمفهوم فى إطار الحركة الوطنية ضد الاستعمار ولتحقيق الإستقلال . وفى هذا الاستخدام تتجسد الجوانب الإيجابية لمفهوم «الوطنية» التى يؤمن بها البنا إيماناً يجعلها تسمو إلى أن تصبح ، فرضاً من الله هو الذى أمر به ، وجزءاً من تعاليم الإسلام ، ومن ثم فالإخوان كما يقول البنا أشد الناس تطرفاً فى الوطنية ، فى حب الخير للبلاد والجهاد فى سبيل تخليصها (من الإستعمار) وإرتقائها^(٢) فهم لا يطبقون أن يكون فى أرض الإسلام مستعمر واحد ويعملون بالنفس والمال فى سبيل تحرير الوطن الإسلامى العام .

أما الجانب الثانى : الذى ميزه البنا فهو المضمون العلمانى «للوطنية» الذى يقيم علاقة الولاء

(١) من الكتابات المهمة والجادة فى هذا الصدد انظر :

— إبراهيم البيومى غانم : الفكر السياسى للإمام حسن البنا - رسالة ماجستير غير منشورة . كلية الاقتصاد - جامعة القاهرة - ١٩٩٠م .

— حسن البنا : مذكرات الدعوة والداعية ، القاهرة ، دار الشهاب د. ت .

— د. رضى سيد أحمد : الدين والدولة والثورة ، طبعة ثانية ، القاهرة - ١٩٨٩م .

(٢) إبراهيم البيومى غانم ، مصدر سابق ، ص ٢١٨ .

بين الفرد والدولة - في أحد محاور - على أساس الإنتماء لرقعة من الأرض تشكل إقليم الدولة في حين لا يقيم أى اعتبار للعقيدة كأساس لهذا الولاء بحجة الحفاظ على «الوحدة الوطنية» بين المسلمين وغير المسلمين ويرفض البنا هذا المضمون العلماني للوطنية لأنه يتصل بالبنية الأساسية لمفهوم الدولة كما تصورها البنا ، ولا يتردد البنا في دحضه والتحذير من مخاطره فالعقيدة - في نظره - هي التي ترسم حدود «الوطن» و «الوطنية» وليست التخوم الأرضية أو الحدود الجغرافية ويؤكد في موضع آخر «إن العقيدة الإسلامية تعتبر الأرض كلها وطناً واحداً»^(١)

وفي نفس الاتجاه وإنطلاقاً من قناعات واحدة كان رأى حسين البنا بشأن الوحدةتين العربية والإسلامية رؤية إذا ما قورنت برؤية بعض القوى الإسلامية اليوم ، فإنها تصبح أكثر تقدماً بمعايير الاستنارة وإستشعار هموم الأمة وتحديات مستقبلها وطبيعة الدور المناط بفرق الحركة الإسلامية لمواجهة تلك الهموم والتحديات ، فحسن البنا يرى بالنسبة للوحدة العربية أن هذا الإسلام نشأ عربياً ووصل إلى الأمم عن طريق العرب^(٢) ، ويرى أن الكتاب الكريم جاء بلسان يوم كان المسلمون مسلمين ، وقد جاء في الأثر إذا ذل العرب ذل الإسلام ، وقد تحقق هذا المعنى حين زال سلطان العرب السياسي وانتقل الأمر من أيديهم إلى غيرهم من الأعاجم والديلم ومن إليهم ، فالعرب هم عصبية الإسلام وحراسه ، ويؤكد حسن البنا ، أيضاً ، أن الإخوان المسلمين يعتبرون العروبة كما عرفها النبي ﷺ فيما يرويه ابن كثير عن معاذ بن جبل رضى الله عنه : «ألا إن العربية اللسان ، ألا إن العربية اللسان» ومن هنا كانت وحدة العرب أمراً لا بد منه لإعادة مجد الإسلام وإقامة دولته وإعزاز سلطانه - ومن هنا وجب على كل مسلم أن يعمل لإحياء الوحدة العربية وتأييدها ومناصرتها وهذا موقف الإخوان المسلمين من الوحدة العربية^(٣) .

وتزداد القضية وضوحاً في فكر حسن البنا ويرفع بشأنها أى تناقض بين الدوائر الإنتائية إذا ما كان الإسلام هو إطارها الصحيح ، وبخاصة بالنسبة لمجتمع مثل مصر وهنا يأتى فكره واضحاً عندما يرى :

إن مصر هي قطعة من أرض الإسلام وزعيمة أممها ، وفي المقدمة من دول الإسلام وشعوبه

(١) المصدر السابق ص ٢١٩ .

(٢) حسن البنا : موقف الإخوان المسلمين من الوحدة القومية والإسلامية - مجلة حوار - العدد الثاني - مصدر سابق ص ١٦٩ .

(٣) المصدر السابق ، نفس الصفحة .

والمصرية لها في دعوتنا مكانها ومنزلتها وحققها في الكفاح والنضال .. إننا نعتز بأننا مخلصون لهذا الوطن الحبيب ، عاملون له ، مجاهدون في سبيل خيره ، وسنظل كذلك ما حيينا ، معتقدين أن هذه هي الحلقة الأولى في سلسلة النهضة المنشودة ، وإنها (أى مصر) جزء من الوطن العربى العام ، وأننا حين نعمل لمصر نعمل للعروبة والشرق والإسلام والعروبة - وهى الحلقة والدائرة الثانية والثالثة - لها في دعوتنا - كذلك - مكانها البارز وحظها الوافر - فالعرب هم أمة الإسلام الأولى وشعبه المتخير ، وبحق ما قاله عليه السلام : « إذا ذل العرب ذل الإسلام » ! ولن ينهض الإسلام بغير اجتماع كلمة الشعوب العربية ونهضتها إن هذه الشعوب الممتدة من الخليج إلى المحيط كلها عربية . تجمعها العقيدة ، ويوحد بينها اللسان ، وتؤلفها الوضعية المتناسقة في رقعة من الأرض متصلة متشابهة . لا يحول بين أجزائها حائل ، ولا يفرق بين حدودها فارق .. ونحن نعتقد أننا حين نعمل للعروبة نعمل للإسلام . ولخير العالم كله .. ودعوتنا ذات مراحل . ونرجو أن تتحقق تباعا ، نرجو أن تقوم في مصر دولة مسلمة ، تحضن الإسلام ، وتجمع كلمة العرب ، وتعمل لخيرهم ، وتحمى المسلمين فى أكتاف الأرض عدوان كل ذى عدوان .. وواجب أن يعمل الإنسان لوطنه ، وأن يقدمه فى العمل على سواه . وواجب أن نعمل لإحياء الوحدة العربية . وتأيلدها ومناصرتها باعتبارها الحلقة الثانية فى النبوض .. وواجب أن نعمل للجامعة الإسلامية ، باعتبارها السياج الكامل للوطن الإسلامى العام .. ولا تعارض بين هذه الوحدات ، بهذا الاعتبار ، فكل منها يشد أزر الأخرى ، ويحقق الغاية منها !^(١)

* أخيراً ، لقد حاول البنا أن يقدم تعريفا جغرافيا للوطن ، يتسق تماما مع مفهومه السابق ، فالوطن - حسب رأيه - فى عرف الإسلام يشمل القطر الخاص ... ثم يمتد إلى الأقطار الإسلامية الأخرى فكلها للمسلم وطن ودار ثم يرقى إلى الدولة الإسلامية الأولى التى شادها الأسلاف بدمائهم ولا تزال آثارهم فيها وكل هذه الأقاليم يسأل المسلم عنها بين يدى الله إذا لم يعمل على إستعادتها ثم يسمو وطن المسلم بعد ذلك كله حتى يشمل الدنيا جميعا^(٢) ويردف البنا فقرته السابقة بالآية الكريمة وهى قول الله تعالى : « وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله » (الأنفال من الآية ٣٩) وهذا التصور الذى تصوغه عبارات البنا ، مقرونا بالإشارة إلى الوظيفة الجهادية للدولة ، يمكننا أن نخلص إلى أنه قد أعاد صياغة

(١) حسن البنا : مجموعة الرسائل ، القاهرة ، دار الشهاب د. ت ، ص ٨٨ وما بعدها .

(٢) حسن البنا فى رسالة إلى الأمة الناعضة ٢٩ شوال ١٣٥٥هـ - ١٢ يناير ١٩٣٧م - فى إبراهيم

اليومى ، مصدر سابق ص ٢٢٠ .

مفهوم «الوطن» و «الوطنية» صياغة حركية تجعل قاعدة الدولة (إقليمها الأرضى) لا يستقر ولا يثبت إلا فى حالة واحدة فقط وهى أن يشمل الدنيا كلها أما قبل ذلك فتظل الدولة الإسلامية - حسب المنطق الذى يقود إليه تصور البنا - فى حالة «عدم إستقراره» طالما أنها لم تستكمل تحقيق رسالتها «كدولة عقيدية إسلامية» .

إن هذه الرؤية رغم مثاليتهما - وربما بسبب منها - ظلت تعد محاور الإجتهدات الفكرية لكل من تلى الإمام حسن البنا من قادة الحركة الإسلامية فى مصر وخارجها ، وصولاً إلى تحقيق الدولة الإسلامية العالمية ، أو ما يسميه البعض بالعالمية الثانية للإسلام .

(٢) أطروحة سيد قطب :

تعد رؤية سيد قطب بشأن قضايا الإنشاء (من قومية ووطنية وإسلامية) أكثر أهمية عما سبقها من الرؤى ، وذلك لاختلاف السياق السياسى والحضارى الذى أتت فيه كلية ، فالرؤية السابقة أتت فى سياق غياب المشروع القومى الذى استقطب الأمة تجاه العديد من التحديات الخارجية والداخلية ، فى حين أن هذا المشروع كان فى قمة تألقه عندما سبق سيد قطب ورفاقه إلى أعواد المشائى ، وكانت إنجازاته المادية على أرض الواقع تستقطب تلك القطاعات التى عاناها (قطب) بخطابه السياسى والدينى ، وكانت صرخة قطب هى الإستثناء الوحيد - ربما خلال القرن العشرين داخل مصر - الذى لم يجد صدها المباشر إلا بعد رحيل صاحبه بسنوات .

* وتأتى أهمية رؤية سيد قطب أيضاً ، من زاوية أنه المفكر الذى خرجت من تحت عباءة (ظلاله)^(١) ، و (معالمه)^(٢) ، كافة الأفكار الجهادية للتنظيمات الإسلامية الراديكالية خلال حقبتى السبعينات والثمانينات .

* لهذه الأسباب ولغيرها ، تأتى أهمية رؤية سيد قطب لقضية الإنشاء بدوائرها المختلفة (الإسلامية - القومية - الوطنية) ، وبداية يلاحظ أن سيد قطب كان أكثر جذرية عمقاً من سبقيه فى رفضه لمفهوم (الوطنية) كلية سواء كان هذا المفهوم قائماً على أساس إسلامى أو علمانى ، فهو لا يرى سوى (العقيدة) كوطن ، وكإنشاء من هنا نراه يؤكد على سيادة الشريعة الإلهية ، والإنشاء للحاكمية العليا : الله وذلك لأنه حين تكون الحاكمية العليا فى

(١) سيد قطب : فى ظلال القرآن ، ط ١٧ ، دار الشروق ، القاهرة ، ١٩٨٠ م .

(٢) سيد قطب : معالم فى الطريق ، دار الشروق ، القاهرة ، ١٩٨٢ م .

مجتمع الله وحده متمثلة في سيادة الشريعة الإلهية تكون هذه هي الصورة الوحيدة التي يتحرر فيها البشر تحرراً كاملاً وحقيقياً من العبودية للبشر وتكون هذه هي الحضارة الإنسانية^(١) ، وحيث أن المجتمع الذي يتجمع فيه الناس على أمر خارج عن إرادتهم الإنسانية ، فهو المجتمع المتخلف ، أو المصطلح الإسلامي هو المجتمع الجاهل^(٢) وحيث المعركة - وفقاً لهذا المنهج - بين المسلمين وخصومهم ، ليست معركة سياسية ولا معركة إقتصادية ولا معركة عنصرية ، ولو كانت شيئاً من هذا لسهل وقفها ، وسهل حل أشكالها ولكنها في صميمها معركة عقيدة ، أما كفراً أو إيماناً أو جاهلية أو إسلام^(٣) .

ويرى أيضاً أن هدف الإسلام لم يكن في يوم من الأيام هو تحقيق القومية العربية حيث : «إن هدف الإسلام لم يكن تحقيق القومية العربية ، ولا العدالة الاجتماعية ولا سيادة الأخلاق ، ولو كان الأمر كذلك لحققه الله في طرفه عين ، ولكن الهدف هو إقامة مجتمع الإسلام الذي تطبق فيه أحكام القرآن تطبيقاً حرفياً ، وأول هذه الأحكام أن يكون الحكم نفسه الله ، وليس لأى بشر ، أو جماعة من البشر وإن أى حاكم إنسان بل أى مسئول إنسان ، وإنما يتنازع الله سلطته ، بل إن الشعب نفسه لا يملك حكم نفسه ، لأن الله هو الذى خلق الشعوب وهو الذى يحكمها بنفسه^(٤) .

إن الأمة عند قطب - تجمع بشرى حول مرتكز عقيدى لا حول راية وطنية أو قومية ، أو هي في جملة أخرى دار تحكمها عقيدة ومنهاج حياة وشريعة من الله ، وهي عقيدة يراها قطب تعلو فوق المقومات التاريخية لبناء الأمة ، من هوية وتشارك قانونى ، وتجانس ثقافى ، مما يعنى أنه تعمل مع هذا المفهوم بصيغة أقرب إلى الأيديولوجية منها إلى التحليل العلمى^(٥) ، ويرتبط بمفهوم (الأمة الإسلامية) ، لديه ، مفهوم آخر هو العالم الإسلامى) ، أو (دار الإسلام) التى تضم كل أرض يعيش عليها مسلمون .

وطبقاً لرؤيته ، هناك داران : دار الإسلام ، وحماتها حماية للعقيدة والمنهج والمجتمع الذى يسود فيه ، ودار الحرب ، وهي الأرض التى لا يمين فيها للإسلام ، ولا تحكم فيها شريعته ،

(١) سيد قطب : معالم في الطريق ، مصدر سابق ١١٨ .

(٢) المصدر السابق ، ص ١٢٠ .

(٣) نفس المصدر ، نفس الصفحة .

(٤) نفس المصدر السابق ص ١٨٨ ع ٢٠١ .

(٥) د . محمد حافظ دياب : سيد قطب - الخطاب والأيديولوجية ، دار الثقافة الجديدة ، القاهرة - ١٩٨٧ م ص ١٣٧ - ١٣٩ .

بالقياس إلى المسلم وإلى الذمى المعاهد كذلك ، وتلك دار على المسلم أن يحاربها^(١) .

على ضوء هذا التصوير ، فإن هذه الأمة لا تملك الآن - وليس مطلوباً منها - أن تقدم للبشرية تفوقاً خارقاً في الإبداع المادى .. لا بد أن من مؤهل آخر لقيادة البشرية - غير الإبداع المادى - ولن يكون هذا المؤهل سوى (العقيدة) و (المنهج) الذى يسمح للبشرية أن تحتفظ بتنتاج العبقريّة المادية^(٢)

إن الخطاب السياسى الإسلامى لسيد قطب بهذا المعنى يقوم على ثلاثة فروض وأفكار أساسية :

تتلخص الفكرة الأولى فيما يلى :

يعيش العالم اليوم وفى مقدمته العالم الإسلامى جاهلية جديدة كذلك التى عرفها التاريخ قبل الدعوة الدينية الإسلامية وهذا ما يفسر لنا عموماً اللاأخلاقية وامتناب المادية وطفان الحكام الكافرين والحيرة والوجودية ... الخ ، ولا يمكن لمسلم جدير بهذا الاسم أن يقابل باللامبالاة هذه الحالة الاجتماعية والسياسية ، إذ المسلم مجبر - وهذه فكرة أو فرض قطب الثانى - بحكم تعاليم دينه أن يقوم ما أعوج فى عالمنا هذا ، هذا التقويم ، وهو مناط برقة كل المسلمين ، ينبع من كونهم أودعوا من عند الله تبليغاً عالمياً ، وهو تبليغ يتمثل فى نشر وتحقيق كلمة الله ، لذا وجب على أهل الكتاب ، المسيحيين ، واليهود أن ينحازوا إلى الرسالة الإسلامية أو ألا يقفوا على الأقل عقبة دون إنتشارها .

وحسب رأى قطب لو لم يجد المسيحيون واليهود عن دينهم الأول والأصيل لأعتقوا دين الإسلام الذى هو عقيدتهم الحقّة ، إذن الإسلام بحكم عالميته مجبر على الإنتشار لأنه لا يرتبط بوطنية ولا بقومية ولا بجنس ولا ببطقة إجتماعية ، جغرافيته الوحيدة هى جغرافية العقيدة ، ولكى يعيش الفرد المسلم هذه العقيدة التى تشمل حسب رأى قطب . وهذه فكرته الثالثة التى دافع عنها بقوة) - كل مظاهر الحياة أى الدين والدنيا والدولة ، لا بد من طليعة تكلف بالعمل لإقامة مجتمع مسلم ودولة مسلمة ، تتكون هذه الطليعة وهذا مفهوم مهم عند قطب كما يقول (أو ليفى كارب) من النخبة المؤمنة التى تمتاز برسوخ وقوة عقيدتها ولا بد لهذه النخبة من إعادة التجربة المحمدية بتمامها أى حتى فى تفاصيلها ومراحلها المكينة وتكون بثورة

(١) سيد قطب ، معالم فى الطريق ، ص ١٤٢ .

(٢) المصدر السابق ، ص ٧٧ .

ثقافية تعبد الطريق ، والمرحلة المدنية وهي إقامة الدولة الإسلامية ، أى الحاكمة وذلك بتطبيق الشريعة الإسلامية^(١) .

بهذه المعانى التى نستخلصها فإن سيد قطب يتفق مع سائر دعاة الإصلاح الإسلامى (بمن فيهم محدثو السلفيين) فى إقامة هذا الترادف بين (الإسلام) والفطرة ولكنه يذهب أبعد منهم ، ويتضح ذلك من موقفه من مسألة الدولة الوطنية فلسفة ومؤسسات ، فأمثال محمد عبده ، والأفغانى والكواكبي والبنا دخلوا معها فى حوار ، واجتهدوا فى تأويل الإسلام بها ، أو تأويلها بالإسلام ، فكانت إصلاحاتهم واجتهاداتهم ذات مسحة دينية .

أما عند قطب فإن هذه «الدولة الوطنية» مغيبة . هو يرفض نظريتها فى السلطة لأنها تجعل البشر هم مصدرها ، وتجعلهم الغاية من نظامها ، فهى دولة جاهلية .

إن اعتبار البشر مصدر للسلطة ، تشريعاً وتنفيذاً ، هو فى عرف قطب جاهلية لأنه خروج على عقيدة الاستخلاف فإن الإنسان مجرد وكيل لله على الأرض ، عليه أن يعمرها ويدير مجتمعها طبقاً لشرعه ، فلا هو المالك الأصلى لخيراتنا ولا الحاكم الحقيقى بها ، بل هو مجرد وكيل مستخلف وكل نظام يقوم على غير هذا فهو جاهلية .

* «الجاهلية» يراها قطب عامة ، تماماً كما كانت الحال ، حين ظهور الإسلام ، فلا بد إذن من سلوك نفس المنهج الذى سلكه الإسلام الأول ، لا بد من العودة إلى الإسلام الأصل ، إلى الفطرة وتكوين «الفئة» المسلمة حقاً ، نواة المجتمع الإسلامى ، المتمثلة للإسلام عقيدة وسلوكاً ، تنشره بالدعوة فى مجتمع عاد إلى «الجاهلية» وتقتدى فى مرحلتها الأولى هذه بما كان عليه الإسلام المكى ثم تنطلق إلى المرحلة الثانية ، لتعميم الإسلامى بـ«الجهاد» وتقيم «الدولة الإسلامية» . هذا ولقد ارتبطت دار الإسلام ، ليست وطناً ولا جنساً ولا قومية ، ولا «دولة وطنية» وإنما هى دولة «الاستخلاف» والتى تقوم على الشرع الإلهى^(٢)

إن سيد قطب ، كما هو واضح كان جذرياً فى رفضه لكل ما هو دون الإسلام على صعيد الإنشاء ، وبخاصة تجاه إشكالية الوطنية ، ونحن نعتقد أن للسياق السياسى ، وللظروف

(١) أوليفى كارهه : الصوفية والسياسة (المؤسسة الوطنية للعلوم السياسية - باريس - ١٩٨٤ م) عرض أسماء العريف المنار - العدد الأول يناير ١٩٨٥ م - دار الفكر العربى للأبحاث والنشر - باريس) ص ١٧١ - ١٧٣ .

(٢) د . على أولملىل : هجرتان سيد قطب وطه حسين - مجلة فكر للدراسات والأبحاث القاهرة ، العدد ١٠ - ١٩٨٦ م ص ١٨ .

الموضوعية (سجن سيد قطب وإعدامه في قضية الصراع مع النظام الناصري عام ١٩٦٥م) تأثيراتها المساعدة في علو نبرة الرفض في الخطاب القطبي تجاه هذه الاشكالية ، وتجاه غيرها من إشكاليات الفكر الإسلامى المعاصر ، وتميزت عن سابقتها من الرؤى وكان لإستشهاد صاحبها بسبب إيمانه بها ، تأثير نفسى هائل على من تلاه من الإسلاميين تجاه هذه الإشكالية بخاصة وتوارى العقل ، أمام العاطفة ، ودخل «الاستشهاد» مرة أخرى في صناعة السياسة ، وخلق الرؤى وتشكيل الوعى ، وعاشت السبعينات والثمانينات ، داخل علمنا العربى ، ومصر منه بخاصة ، مرحلة من التحول والتوتر الفكرى شديدة ومؤثرة ، وكان (سيد قطب) هو بطلها الحقيقى رغم رحيله الجسدى عام ١٩٦٦م .

رابعاً : رؤية الإخوان لشخصية جمال عبد الناصر :

تعددت زوايا الرؤية الإخوانية لشخصية جمال عبد الناصر الذى تدور من حوله وقائع هذا الكتاب وسوف نورد هنا رؤية أحد الإخوان لشخصية جمال عبد الناصر لعلها توجز كل الرؤى الإخوانية وتقدمها لنا فى بلورة واضحة إنها رؤية محمود عبد الجليم^(١) ، وشخصية عبد الناصر تتميز بالنسبة له فى الآتى من واقع جلسة طويلة معه قبل الثورة عام ١٩٥٢م . أولاً : أنه يتمتع بشخصية قيادية بدليل تزعمه لمجموعة متباينة من الضباط وكلها تدين بالخضوع له والالتزام بأمره .

ثانياً : أنه يتمتع بذاكرة وحافظة قويتين ، فقد كان فى سرده للأحداث التى كانت بينه وبين الإخوان يذكر كل حدث منها بتاريخه محدداً مع أن منها أحداثاً كان قد مضى عليها أكثر من خمسة أعوام وإذا فرضنا أنه كان قد عكف على تحضير هذا الحديث الذى تضمن عشرات الأحداث قبل أن نلتقى به ، فإن حفظ تواريخ هذه الأحداث ، وإلقائها إلينا دون خلط أو خطأ ، ينهض دليلاً على قوة ذاكرته ومتانة حافظته .

ثالثاً : إنه ذو شخصية متماسكة ذات أعصاب قوية ثابتة ، لا تكاد تستجيب للمؤثرات الخارجية مهما قويت هذه المؤثرات - وقد شعرت بذلك فى أثناء إلقائه حديثه الطويل دون أن يجرفه الموقف المثير جرفاً يخرج به عن سياق حديثه أو ينسيه ما رتب فى ذهنه من نقاط .. كما شعرت بذلك حين كنا نتحدث إليه ونحن مجموعة

(١) محمود عبد الجليم : الإخوان المسلمون أحداث صنعت التاريخ - دار الدعوة - القاهرة - ١٩٨٦م ص ٣٧٥ .

لها وزنها فى الإخوان ، وكان حديثنا فى ذلك اليوم حديثاً عاطفياً. ففاضاً تنور له وتستجيب له عاطفة كل سامع .. ومع ذلك فإن ذلك لم يحرك عواطفه حركة توائم ما نغمه به من عواطف ، بل كانت إجاباته تتمشى مع المنطق الذى أختاره لنفسه - وتماسك الشخصية قد يكون نتيجة الثقة بالنفس أو قد تكون الثقة بالنفس وليدة تماسك الشخصية ، أو قد يكون التعبيران لصفة واحدة .

رابعاً : هناك ملمح من ملامح شخصيته كشف لى عنه حديثه الممتزج بالمرارة حين كان يتحدث عن لقاءاته مع الأستاذ المرشد العام ، وهذا الملمح لا زلت فى حيرة من تسميته ، ولكننى أشير إليه بما كان يعث هذا الحديث فى ملامح جمال وفى قسّات وجهه ، وفى تقطيب جبينه ، وفى توقد عينيه ما يكاد يخيل إلينا أن لو كان الأستاذ المرشد أمامه لأطاح برأسه شفاء لما يتأجج فى صدره من غضب منه وحقد عليه .

وهو يرمى المرشد العام بصفات لم نعهدها فيه ، ولم نسمع أن أحداً نسبها إليه - وفجوها أنه يتجاهل جليسه ويحقر ضيفه - ولست أدري لماذا يشكو جمال وحده دون غيره - على كثرة من قابل المرشد العام من جميع المستويات - ويشكو صفة لم يشك منها غيره من هؤلاء ، المتعاملين سواء منهم العدو والصديق .

خامساً: الملمح الخامس والأخير فى شخصية جمال هو عدم مهالاته بالقيم ولا بالعلاقات وهو ما يعبر عنه بمبدأ «الغاية تبرر الوسيلة» . وهذا المبدأ يستبيح الدم والعرض مادام ذلك يحقق هدف الشخص . والهدف فى هذه الحالة عادة يكون هو السيطرة والاستئثار بالسلطة . وصاحب هذا المبدأ مادام يملك القوة فإنه لا يرحم ولا يرفعى إلا ولا ذمة .

ولقد وضع هذا الملمح حين كان جمال يتكلم عن طلبة الجامعة وأساتذتها وما أعده لهم من معتقلات أخذ يصف بشاعتها .. كما وضع حين كان يتكلم - وهو يشعر أنه فى مركز القوة - فتراه يرفض عروضنا عليه ، وهى عروض كان هو يتمناها من قبل ، وطالما سعى هو إليها ، وحين سعى وجد منا قلوباً مفتوحة ، وعواطف فياضة ، وتغاضياً عن الإساءة ... وناهيك ما كان منا عقب خروجنا من المعتقلات فى مارس ١٩٥٤م ونحن فى أوج القوة وهو فى حضيض الضعف ، وطلب أن يزور المرشد فى بيته ، فرحب المرشد بلقائه ونسينا ما كان من إساءاته التى بسطنا الحديث عنها من قبل .

وعلى كل فإن هذا الملمح الذى بدا لنا منه ما بدا فى هذا الاجتماع وكان مجرد كلام

وتهديد ، مما جعلنى أتشكك فى أصالة هذه الصفة المردولة فى نفعه ، وأحسن الظن فأتصورها مجرد عارض نفسى تنزع إليه بعض النفوس فى أثناء الحديث لتظهر أمام مستمعها بمظهر يتم بالقوة والبطش .. ولكن الأحداث بعد ذلك أبانت عن أن حسن ظننا لم يكن فى موضعه ، وأثبتت أصالة هذه الصفة فى نفعه ، بل وضحت أنها الصفة المسيطرة عليها ، والتي تتحكم فى جميع تصرفاته وخطواته .

خامساً : رؤية الإخوان لحادث المنشية : الشهادة الأولى :

هناك العديد من الشهادات بالنسبة لصدام ١٩٥٤ بين عبد الناصر والإخوان ، منها شهادة صلاح شادى والتلمسانى وصالح ع شماوى وجابر رزق وزينب الغزالى وغيرهم من الإخوان الذين ظهرت شهاداتهم فى السبعينات بعد الأفراج عنهم وفى مجلة (الدعوة) إلا أننا نورد هنا رواية حديثة نسبياً وهى أقرب للسرد الذاتى منها إلى التاريخ ومن هنا أهميتها ، نظراً لغزويتها الشديدة وهى رواية «محمود عبد الحليم» أنه يحدد رأيه فى حادث المنشية فى النقاط التالية :

١ - إذا كان الإخوان يريدون إثبات عمل كهذا ، أفلم يكن الأولى بالقيام به إخوان الاسكندرية ، والمثل يقول «أصحاب الدار أدرى بمسالكها» والمفروض فيمن يرشح نفسه لمثل هذا العمل أن يرتب لنفسه خطة الحرب ، ولا يستطيع هذا إلا من له دراية كاملة بمعالم هذا البلد وأدق تفاصيل مسالكه .^(١)

٢ - لا شك فى أن جمال عبد الناصر ومن حوله من حرس حكومى يدخل فيه المباحث العامة والمباحث الجنائية والشرطة العسكرية والمخابرات العسكرية والمخابرات العامة وغيرهم - كانوا يتوقعون كل شئ من ناحية الإخوان لاسيما النظام الخاص . كرد فعل لحملاهم الإستفزازية ، وهم فى نفس الوقت ملمون إلاما تاماً بجميع شعب الإخوان فى القطر كله وبأفراد النظام الخاص على وجه الخصوص ، بدليل إنهم بعد حادث المنشية مباشرة ألقوا القبض على جميع أفراد هذا النظام فضلاً عن إعتقال غيرهم من الإخوان .. فلو إنهم أرادوا منح محمود عبد اللطيف - وهو معروف لهم بالذات

ومعروف لجمال نفسه - من السفر إلى الاسكندرية فى ذلك اليوم لفعلا - فعدم منعهم إياه يشم منه رائحة التواطؤ أو على الأقل التغافل إحتاجة فى نفس يعقوب .. قد كان يعلمها محمود وقد لا يعلمها هو ويعلمها من يرأسه فى النظام الخاص .

٣ - لو كان الإخوان يريدون إغتيال جمال عبد الناصر ، فقد كانت أمامهم عشرات الفرص

(١) محمود عبد الحليم : الإخوان المسلمون ، مصدر سابق - ص ٣٩٧ .

لتنفيذ ذلك دون مخاطرة تذكر - ولو فرضنا أن كل الفرص فاتهم وأرادوا أن ينفذوها بعد ذلك لما وقع إختيارهم على تنفيذها في حفل عام يضم هذا العدد الضخم وهم يعلمون أن رجال المباحث مندسون وسط كل صف من صفوف الجالسين والواقفين ، ولما إختاروا أن يصوبوا إلى مسدسا من أسفل إلى أعلى على بعد لا يقل عن عشرين مترا .. ولكان تصرفهم غير هذا التصرف الذى هو أشبه أن يكون عملا إستراتيجيا منه بأن يكون عملا جادا .

٤ - إذا افترضنا جدلا أن هذا العمل قام به أفراد من الإخوان ، فإن إتيانهم بهذه الطريقة يدل على أنه ليس من تدبير هيئة كهيئة الإخوان المسلمين فيها من العقول ومن الخبرة مالا يتمخص عن مثل هذه الخطوة الصيبانية ... وبهذا كان يبنى إعتباره عملا فرديا لا علاقة له بدعوة الإخوان المسلمين ، ولا بهذه الهيئة المترامية الأطراف ، وما كان يبنى أن تؤخذ هذه الهيئة بجريرة فعل فردى ، بل يؤخذ هؤلاء الأفراد وحدهم بجريرة ما فعلوا .. ولكن يبدو أن ، الهدف كان مبيتا لدى أصحاب السلطة .

ساساً : رؤية غريبة للحادث :

نورد هنا رؤية ريتشارد ميتشل الهامة التى تعد بمثابة أطروحته للدكتورة (قبل وفاته) ، ونشرت في كتاب على جزئين ، يحمل عنوان الإخوان المسلمون ، نورد هنا رؤيته لحادث المنشية وتحديداً لعملية (المحاكمات) والتى سميت فيما بعد (بحكمة الشعب) .

فماذا يقول ميتشل ^(١) :

في الثانى من نوفمبر سنة ١٩٥٤م شكل مجلس قيادة الثورة (محكمة الشعب) لمحاكمة أعضاء الجماعة ، برئاسة جمال سالم وعضوية كل من أنور السادات وحسين الشافعى ، وكان أغلب الشخصيات الهامة في الجماعة قد تم إعتقالهم في الأسابيع القليلة الأولى التى أعقبت محاولة الإغتيال : ففى ٢٧ أكتوبر سلم هندواى دوير نفسه ، وصدر قرار إعتقال الهضبي في ٣٠ أكتوبر (ليست هناك معلومات واضحة حول ما إذا كان قد سلم نفسه للسلطات) ، وفي ١٨ نوفمبر ألقى القبض على حميدة

(١) نشر كتاب ميتشل في مصر عام ١٩٧٧ ، انظر ريتشارد ميتشل (الإخوان المسلمون - الجزء الأول والجزء الثانى - مكتبة مدهولى ١٩٧٧م - مصدر سابق) .

لإشتراكه في أعمال الجهاز السرى ، وقبض على إبراهيم الطيب في الثاني عشر من نوفمبر وعلى يوسف طلعت رئيس الجهاز السرى في ١٤ نوفمبر ، وعندما تم اعتقال الأخير نشطت البورصة المصرية التي كانت - طبقا للتقارير - قد تعرضت للركود بعد محاولة الاغتيال ، وخلال تلك الفترة تم اعتقال كل الأعضاء الآخرين في مكتب الإرشاد والمؤيدين البارزين للهضيبي ، وقد بقي ثلاثة فقط من بين هؤلاء الذين أنفق على أنهم لعبوا دورا بارزا في أحداث تلك الفترة مطلقى السراح حتى الآن وهم حسن المشماوى وعبد المنعم عبد الرؤوف أبو المكارم عبد الحى .

وفي التاسع من نوفمبر بدأت المحاكمات وكانت أولى القضايا قضية للمتهم بإرتكاب محاولة الإغتيال محمود عبد اللطيف ، وطلب إلى ثلاثة من أبرز المحامين في مصر - محمود سليمان غنام وفتحى سلامة ومكرم عبيد - أن يتولوا الدفاع عنه ، إلا أنهم رفضوا نظراً لأنهم اعتبروا مثل هذا (المجرم) غير جدير بأى دفاع ، وعينت المحكمة محاميا هو حمادة الناحل ، الذى كانت تجربته الأولى والوحيدة مع الإخوان هي الدفاع عن مفتالى حسن البنا ، وأقر المتهم بأنه مذنب فيما يتعلق بتهم إرتكاب (أفعال مناهضة لشكل الحكم الحالى) بإشتراكه في مؤامرة إجرامية للقيام بعصيان مسلح وثورة وبالشروع في قتل رئيس الوزراء ، وقبل أن تنتهى محاكمته في ٢٠ نوفمبر تم استدعاء تسعة عشر شاهداً ، كلهم من الإخوان المسلمين ، ثم استدعى الهضيبي للمحاكمة في ٢٢ نوفمبر ، ثم استدعى في تلاحق سريع كل من هندواى دوير وإبراهيم الطيب ويوسف طلعت ، ثم أعضاء مكتب الإرشاد ، لتنتهى المحاكمة في الثالث من ديسمبر .

وفي الجلسات الأولى للمحاكمة أدى ذكر لإسم محمد نجيب إلى عزله من منصبه كرئيس للجمهورية وتحديد إقامته في منزله ، وكان نذير سقوطه ، ذلك الاستدعاء ، الذى تم في نفس اليوم لأخيه على ، سفير مصر في سوريا ، وزعم أن الاستدعاء تم للتشاور حول الموقف المتدهور للعلاقات بين مصر وسوريا ، ولقد ذكر لإسم نجيب مع أسماء محمد حسن المشماوى وزير التعليم السابق (الذى اعتقل) وعبد الرحمن عزام الأمين السابق للجامعة العربية (الذى لم يتعرض للإعتقال) - وذلك في سياق مناقشته للتخطيط لمظاهرة شعبية ، وهى المناقشة

التي دارت بين الإخوان وتوصلوا إلى ضرورة وجود شخصية وطنية تعمل على إعادة النظام في البلاد ، وعندما إنتهت المحاكمة لم يكن هناك أى دليل مادى يثبت أن أيًا ممن ذكرت أسماؤهم كان مشاركاً عن علم في أى مرحلة من محاولة الإغتيال ، أو أن أيًا منهم كان على علم بطبيعة الدور الذى رسمه الإخوان له ، ورغم توافر أدلة كافية على وجود نوع من الإتصال

بين نجيب والإخوان ، إلا أنه ليس واضحا الشكل الذى اتخذته هذا الإتصال أو إلى أى مدى تورط فيه نجيب ، وشهادة الإخوان فيما يتعلق بهذه النقطة لم تكن واضحة بما فيه الكفاية - بحيث أوحى بغياب أى تخطيط فعلى - ولم يقدم نجيب للمحاكمة ، ومن الواضح بالنسبة لنجيب على الأقل ، أن ناصر قد اختار اللحظة التى اكتسب فيها شخصية كبيرة لكى يسوى - دفعة واحدة وإلى الأبد - خلافه الذى لم يحل مع رئيس الجمهورية المتمتع بشعبية بين الجماهير ورغم أن عزل نجيب لم تكن له إصداء شعبية ، ألا أن أحد المراقبين لاحظ بذلك أنه نتيجة لذكر اسم نجيب فى محاكمات الإخوان ، تحلل الموقف تدريجيا من الموضوع الكامل إلى موقف يكتنفه الغموض فى أذهان الناس .

أما المحاكمة نفسها فكانت معرضا لا ينسى للحقوق التى تمتلكها الحكومات الثورية وتستحوذ عليها فيما يتعلق بالمعاملة القانونية الواجبة ، فقد كان واضحا منذ البداية أن استيضاح معالم الدعوى وتحديد مدى كل ذنب على حدة هو آخر ما كانت تستهدفه الحكومة ، وفى تلك القضايا التى عين فيها الدفاع من قبل المحكمة ، كان المحامون يسألون أسئلة ويصوغون تعليقات كان من الأفضل تركها للإدعاء ، أما القاضى (رئيس المحكمة جمال سالم - فقد نصب نفسه مدعيا عاما ، فكان يقاطع كما يحلو له إجابات الشهود إذا لم تحز الإجابة رضاه ، وكان يضع الكلمات فى أفواههم ويكرههم أحيانا بالتهديد - على الإجابات المطلوبة ، وكانت أسئلته تصاغ بطريقة بحيث تحول دون أى إجابة تختلف عن الإجابة التى تطلبها المحكمة وأية محاولة لإضافة تفاصيل أخرى كانت تصد فى الحال ، وفى بعض الأحيان كان يشتبك فى حوار ومجادلة مع الشهود توج فيها إهانات وقحة ، وفى بعض الحالات كانت الإهانات تصدر من المحكمة وحدها ، وكانت المحكمة تمارس بحرية تامة مواجهة شاهد بآخر ، وتلفيق شهادة أحدهما لاستفزاز الآخر ، وكان يسمح للجمهور ، بل كان يشجع فى أحوال كثيرة ، بالمشاركة فى الضحك والسخرية من الشهود وتوجيه الإهانات لهم ، وفى مناقشة الشهود لم تكن غالبية الأسئلة الموجهة لهم مرتبطة بالجريمة ، فكانت تتضمن بدلا من ذلك إمتحانات فى تفسير الآيات .. القرآنية ، وقواعد النحوية القصد منها إرباك الشهود .

ولقد اضطرب الشهود ، وإنتابهم الخوف ، كما إنتهم فى الأغلب الأعم ، كانوا يفتقرون إلى الحياء ، أما الأدلة فكانت حافلة بالمتناقضات ، وكان مرجع ذلك لأسلوب معاملة المحكمة للشهود من ناحية وإلى تحفظ الشهود ، وعدم توفر الرغبة لديهم فى الإفصاح ، وفضلا عن ذلك فقد عكست هذه الأدلة من جهة ثانية وضع كل شاهد داخل الجماعة ، وبالتالي عكست المستويات والمنطلقات المتعددة التى نظر منها للمسائل موضع التحقيق ، كما أن

السهولة للملاحظة التي إنهار بها الولاء ، ووجه بها الأعضاء أصبح الإتهام كل منهم نحو الآخر ، أظهرت إلى أى مدى إهترزت مشاعر الثقة المتبادلة ، ونفس الشيء حدث أيضا في التحقيقات التمهيدية ، والتي ظهرت من خلالها معظم (الاعترافات) وكان من أسباب هذا الإنبهار السريع للبنية التنظيمية ما حدث من تعذيب في السجون على أن الأخطر من المحاكمة - أن ينظر مباشرة إلى وجه المضيبي .

ولقد قامت الصحف بالتغطية الكاملة لوقائع المحاكمة - بإستثناء بعض التعليقات البذيئة للمحاكمة - وكانت ترفق بنصوص أقوال الشهود تفسيرات مبهمة لم تكن دائما أو في أغلب الأحوال تنسجم مع الحقائق المعروفة ، على أن فصل الوقائع عن إفتتاحيات أعمدة الأخبار التي تنقل المحاكمات لم يكن متعلنا نظراً لأن معظم الشهادات كانت متاحة ، ولقد إعتدنا على هذه الشهادات بصورة أساسية في محاولتنا صياغة روايتنا الخاصة للأحداث ، إنطلاقاً من أن هذه الشهادات وبإفراض أن الحكومة قد أخرجت من جعبتها - خلال المحاكمات والتحقيقات التمهيدية وفي الصحافة - كل ما تحوزه من بيانات حول نشاط الإخوان ، يمكن لنا أن نقدم بعض الملاحظات الموجزة حول إدعاء الحكومة وحول ما حدث بالفعل .

كانت الفكرة الأساسية التي صدر عنها الإدعاء بسيطة للغاية . فاغتيال رئيس الوزراء هي بداية (عصيان ذلك كان إنهار الروح المعنوية للتنظيم فلم يكن الجهاز السرى الجديد قد تمرس فيما فيه الكفاية بحيث يطور الثقة المتبادلة بينه وبين الأعضاء ، أو ، وهو الأهم ، بين الأعضاء والقادة ، وفيما يتعلق بالحالة الأخيرة ، ورغم وجود سلطة عليا معترف بها رسمياً ، إذ أنه لم يكن هناك في واقع الممارسة ، تسلسل واضح ومحدد للسلطة ، وكان التنظيم العام للجماعة في حالة من الإنقسام الداخلي العميق بخلافاته الداخلية المحترمة بحيث كان من السهل نسبياً العمل على تحقيق ما أصابه من تفسح ، بالاعلان على أوسع نطاق جماهيري يمكن من (اعترافات) و (خيانات) - بعضها حقيقى والبعض الآخر ملفق - تنسب إلى عدد كبير من أعضائه ، ومن الأمور ذات ، المغزى في هذا الصدد أن الجزء المتبقى من الجهاز السرى والذي كان ما يزال يمارس نشاطاً ، قام - بعد أن نشرت الصحف بعض الروايات عن (الخيانة) المزعومة التي أدت لكشف مكان إختفاء المضيبي - بتوزيع منشور ينكر فيه هذا الزعيم ويؤكد التعاون المستمر والولاء الكامل للأعضاء ، وقد أضفت الصحف طابعا دراميا مثيرا على المسألة عندما لاحظت أن ، يوسف طلعت كان الرجل الوحيد الذي إستطاع - خلال مسلح دموى) يستهدف الأطاحة بالنظام الحاكم ، والمضيبي و (عصابته) هم المسؤولون عن التخطيط للتعهد والوعاى لهذا كله ، ولقد سبق إن رأينا أن الأمر لم يكن كذلك على وجه التحديد ، فالواضح أن محاولة الإغتيال قد وقعت لا بسبب النشاط الفعال

من جانب القيادة الجماعة بل وقعت بالأحرى نتيجة لعدم ممارسة هذه القيادة لنشاطها ، وكل صلة مباشرة أو حقيقة بين القادة وبين القيام بعصيان مسلح أو حتى إعداد خطط غير واضحة أو محدودة من أجل (مظاهرات شعبية) ظلت في الواقع مفتقرة إلى الدليل ، كذلك ظل دون دليل ، إن مسألة التظاهر قد تعدت مرحلة المناقشة ، بل ولم تتضح هوية المشتركين في المناقشات على نحو قاطع ، ولقد جسدت شهادة رئيس الجهاز السرى الخصائص الأساسية للإفتقار إلى القدرة على التخطيط ، فلقد أبدى جهلاً مطبقاً بالمسائل مثل تنظيم الأسلحة والتصرف فيها ومشكلات التماسك والتوزيع التنظيمي ، بل ووضح عدم إكترائه بها ، وتقدير طلعت المقدم للهضيبي في الأسبوع الأول من أكتوبر حول الإضطراب واليأس الذى أصاب الصفوف هو مثال واضح آخر على ذلك .

وعلى وجه الأجمال ، يمكن القول بأن الإخوان المسلمين - مع التسليم مرة أخرى بأن كل الأشياء التى يمكن تأويلها كأفعال مضرّة بالبلاد قد أذيعت على الملأ - كانوا بعيدين تماماً عن أن يكونوا نداً لحوض معركة مع الحكومة ، وربما كان في مقدورهم أن ينهضوا فحسب ، وعلى نحو تلقائى ، لتأييد حركة منتظرة ومرجوة من جانب الجيش ، ويجدر أن ننوه هنا إلى أن ناصر ونظامه كان يفتقر إلى التأيد في ذلك الوقت ولو أنه سقط صريعاً تحت وابل الرصاص الذى أطلق عليه لسقط بالتالى النظام الحاكم كما كان متوقفاً ، ولكان مرتكب المحاولة - الذى شقق بسبب إخفاقه - قد صار بطلا قومياً .

أما الفقرة الثانية في قرار الإتهام ، والخاصة بمسئولية الهضيبي وعصائته فهى أبعد من سابقتها عن المعقولة فى ضوء الشواهد المتاحة ، ذلك أن المحاولة كانت مسألة مبادرة فرد أو مجموعة داخل الجهاز السرى تمت دون علم باقى الأعضاء ، وربما دون علم قائد الجهاز نفسه ، كما أنه من المؤكد أن أحداً من الأعضاء من خارج الجهاز السرى لم يشارك فيها ، ولم يكن أحد من الشهود - باستثناء محمود عبد اللطيف صاحب المحاولة نفسه وهندلوى دوير رئيسه فى الخلية وإبراهيم الطيب رئيس مجموعة القاهرة - يملك أى ضوء مباشر على الإطلاق ليلقيه على المحاولة ، أما هؤلاء الأعضاء الذين كان ممكناً أن يدلوا بمعلومات مفيدة بالفعل (وهم حسن العشماوى وعبد المنعم عبد الرؤوف) ، فكانوا مطلقى السراح . ولم توضح المحكمة أو الشهود من هو الشخص الذى أصدر القرار فالمتهمون إعترفوا بأنهم أخبروا بأن (القيادة) قد اتخذت قرارها بقتل ناصر ، لكنهم لم يتمكنوا من تعقب مصدر القرار إلى أبعد من رؤسائهم المباشرين ، ولقد لمح الطيب ، وهو يبلغ القرار إلى دوير ، إلى أنه لم يستطع الحصول على موافقة الهضيبي - ودلت الشواهد أثناء المحاكمة على أن الهضيبي كان بريئاً من قرار القتل ، وهو ما سبق أن أوضحناه ، وأنه قاوم مثل هذا الحل للمشكلة ، ولقد حاول

الطيب وعبد الرؤوف معا بالتخلص من الرئيس الرسمى للجهاز السرى ، يوسف طلعت ، الذى كان واضحا أنه يجهل الخطة الموضوعة للإغتيال ، والإحتمال الأقرب إلى الصحة هو أن عبد المنعم عبد الرؤوف كان المخطط الرئيسى للعملية وأنه تصرف بمبادرته الخاصة بتعاون محتمل - وأن لم يرقم عليه الدليل - من الشيخ محمد فرغلى (مستشار الجهاز السرى فى اللجنة العليا وعضو مكتب الإرشاد) وبمساعدة الطيب الذى كان يملك صلاحية كافية بوصفه رئيسا لقطاع القاهرة ، لكى ينفذ أمراً من (القيادة) إلى دوير وعبد اللطيف دون أن يلاقى اعتراضاً .

على أن الدلائل لم تتوافر فى اتجاه نفي احتمال صدور قرار رسمى بعملية الاغتيال فحسب ، بل وأوضحت أيضاً موقفا لم تعد فيه القيادة فى التنظيم العلنى والسرى تمارس السلطة الفعلية ، وقد سجل طلعت تلك الحقيقة ، فيما يختص بالمجموعة السرية عندما أورد فى تقرير له الجدل الذى ثار حول أساليب العمل بينه وبين الطيب وعبد الرؤوف وتجاهلها لآرائه واستبعادهما الواضح له فى خططهم الخاصة ، ولم يضيف طلعت فى شهادة كانت فى النواحي الأخرى صريحة ومباشرة إلى حد بعيد أية معلومات تتصل بعملية بمحاولة الاغتيال ، لسبب واضح هو أنه لم يكن يملك ذلك ، وكان الطيب فى مرحلة أخرى هو الذى عرض تزويد عبد الرؤوف بالأسلحة ، وليس طلعت الذى لم يكن يعلم الكثير حول موضوع توزيع الأسلحة .

وفى القطاع العلنى من تنظيم الجماعة كان الإضطراب أكثر تفشياً ، فالهضبيى فى إختفائه لم يكن على إتصال بالحالة الراهنة للأمور سوى فى أضيق الحدود ، بعد أن فوض أتباعه المخلصين فى ممارسة سلطاته فى كل من القطاعين - وتباعا ، عانى هؤلاء والمستويات الأخرى للقيادة سواء فى ذلك أصدقاء الهضبيى أو خصومه إحباطات تراكت على مر الشهور فى العلاقات القائمة بينهم وبين الأعضاء - خلال يوليو وأغسطس وسبتمبر ومع تزايد عمق الأزمة فى الهيئة التأسيسية وبداية سفور ما أصابها من تفسخ ، بينما أملت حدة النزاع إصدار بيانات الولاء ، التقى أعضاء الهيئة التأسيسية (فى جماعات) لمناقشة موضوع إنتقال السلطة ومركز القوة عمليا إلى الجهاز السرى المجهول الهوية وغير القابل للإنضباط ، وفى مكتب الإرشاد عبر المعارضون لسياسية أنصار الهضبيى عن قلقهم المتزايد بسبب فقدان المكتب لنفوذه والإحباط الذى تعانیه إرادته .

وفى يوليو ومع ظهور منشور (الإخوان فى المعركة) ، قدم عبد العزيز عبد الستار ، وهو واحد من أقدم أعضاء الجماعة وعضو مكتب الإرشاد ، إستقالته من الجماعة ولم يوافق

على سحبها إلا بعد أن صدر أمر إلى كل الشعب بوجوب عدم اعتماد أية تعليمات موجهة للأعضاء إلا إذا كانت صادرة عن مكتب الإرشاد كذلك ذكر عضو آخر في المكتب هو عبد الرحمن البنا ، إن المكتب تخلى عن مسؤوليته فيما يتعلق بتنفيذ سياسة الجماعة وإدارة شعونها .

ولقد سبق أن رأينا ، في معرض الحديث عن توقيع المعاهدة مع بريطانيا في ١٩ أكتوبر أن عضوا ، هو كمال خليفة قد زار نائب رئيس الوزراء لتقديم تهانته وإن المجلس أرسل في ٢٤ أكتوبر مبعوثا خاصا إلى الحكومة يحمل عرضا آخر للمصالحة وأن أحد قادة الجماعة (عبد العزيز كامل) قام في ٢٦ أكتوبر وهو نفس يوم محاولة إغتيال عبد الناصر بزيارة هنداوى دوير ولم يحدثه الأخير عن الخطة الموضوعية . والتي كانت فى طريقها للتنفيذ فعلا . ومن بين مؤيدى الهضيبي وخصومه فى القيادات العليا للجماعة لم يكن هناك من يدرى شيئا عن الأحداث المتوقعة ، ذلك أنهم كانوا يعيدون تماما عن أى إتصال حقيقى أو تأثير ملموس فى الأعضاء .

والشاهد الأكثر وضوحا على ما أصاب البنية الرسمية للتنظيم من شلل وتصدع يقدمه الأعضاء أنفسهم ، فجو الحيرة والغموض الذى أعقب إخفاء الهضيبي ، والذى نجم عن تصوير الحكومة المتتيس والمضلل لمجرى الصراع بين المتخاصمين داخل التنظيم إزداد تفاقمه نتيجة لاقصار وسائل الإتصال على كل المستويات فى الجماعة - منذ أغسطس حتى أكتوبر - على المنشورات السرية وعلى الأحاديث الشفوية ، وكان الإهتمام الرئيسى للمنشورات - فيما عدا إستثناءات قليلة - يتركز فى الخلاف مع الحكومة ودعم الروح المعنوية بصفة عامة ، أما الإتصالات الشفوية فقد عقدها التشكك والمبالغة وهم مظهرين طبيعيين لموقف تفاقم توتره فى جو إنعدام الثقة الذى بدأ يستنزف القوة الأساسية للجماعة . والواقع أن أقوال الأعضاء فى المحاكمة كانت تجسيدا حيا لتلك التشكيلة من الشائعات والمعتقدات التى سادت فى كل من التنظيم العلنى والسرى فيما يتعلق بما قاله هذا الشخص أو ذاك من قيادات الجماعة وما أعتقده وفعله أو أراد أن يفعله .

لقد دفعت تلك الحيرة الشاملة يوسف طلعت إلى الذهاب للهضيبي فى مكنته بالإسكندرية فى أكتوبر ، يلتبس من الزعيم أن يعود للظهور العلنى ، حتى يتشجع جو الإضطراب الذى إستقر فى رؤوس الأعضاء ، ونتيجة لفشل طلعت فى مهمته تلك ، إلى جانب كل عناصر عدم الإستقرار فى تسلسل السلطة ، أصبحت الفرصة سانحة أمام الراغبين فى العمل أن ينفذوا ما أرادوا ، ولقد صور أحد المشاركين فى محاولة الاغتيال ذلك الإضطراب والتشويش الذى

أصاب الجماعة على مستوى الأعضاء ، فقد تحدث هندأوى دوير عن فقدان الجماعة لاهتمام الأعضاء ، وبعد وصف الانقسامات القائمة داخل التنظيم ومحاولة تعديل تكوين الهيئة التأسيسية لكى تصبح أكثر تمثيلاً للإخوان ، تحدث كذلك عن كيف فقدت الهيئة والمرشد العام القدرة على توجيه الأمور . وفى تلك الظروف أصبح الجهاز السرى هو الركيزة الحقيقية للنشاط ، وباستثناء الجهاز السرى ، وجدنا أن الجهاز الإدارى للجماعة قد أصابه الشلل ، ويقر خميس حميدة نائب المرشد العام بأسف ناظرأ للمشكلة من الجانب الآخر بأن (القيادة) فشلت فى السيطرة على الجهاز السرى (١٤١) ولقد أوجزت تلك العبارة بإيجازا موقفا المشكلة التى أدت مرة أخرى إلى إنبهار جماعة الإخوان المسلمين .

وفى الرابع من ديسمبر ، نطق الحكم الأول لمحكمة الشعب على هؤلاء الذين شاركوا فى محاولة الاغتيال والقيادات العليا للتنظيمين العلنى والسرى ، وحكم بالسجن المؤبد مع الأشغال الشاقة على سبعة من أعضاء مكتب الإرشاد وكلهم مستشارين للهضيبى ، هم كمال خليفة ومحمد خميس حميدة وأحمد عبد العزيز وصالح أبو رقيق ، وحكم على اثنين من أعضاء المجلس هما عمر التلمسانى وأحمد الشريطى بالسجن خمسة عشر عاما ، وأطلق سراح ثلاثة من أعضاء المجلس هم عبد الرحمن البنا وعبد المعز عبد الستار والبهى الخولى ، والثلاثة كانوا أصدقاء الحكومة وصدر الحكم بالإعدام على سبعة من أعضاء الجماعة هم : حسن الهضيبى وعمود عبد اللطيف وهندأوى دوير وإبراهيم الطيب ويوسف طلعت والشيخ محمد فرغلى وعبد القادر عودة ثم خفف مجلس ، قيادة الثورة حكم الإعدام بالنسبة للهضيبى إلى السجن المؤبد مع الأشغال الشاقة على أساس أن الهضيبى ، ربما سقط تحت تأثير المحيطين به ، وهو رأى يحززه سوء حالته الصحية وتقدمه فى السن ، وقد رفضت الحكومة إنباساً قدمه عبد القادر عودة بإعادة النظر فى قضيته .

وفى التاسع من ديسمبر ورغم الإحتجاجات التى تصاعدت من أرجاء العالم العربى وبرغم حالة من عدم التصديق فى مصر ، تم تنفيذ أحكام الإعدام ، وقد سجل عدد من المراقبين الكلمات الأخيرة للمحكوم عليه بمجوار المشائق : كان كل من محمود عبد اللطيف وهندأوى دوير يرتل الآيات القرآنية وقد ظهر عليهم - هكذا قيل - رعب شديد ، أما الطيب فقد صاح بغضب : المحكمة كانت مهزلة ، أعدأؤنا هم قضائنا ، والنمس طلعت الصفح من الشيخ فرغلى ، الذى كان يشعر بأنه مسعول عن الإنباع به ، ثم أضاف : ربما غفر الله لى ولهؤلاء الذين سببوا لى الضرر . أما فرغلى وكان فى حالة سلام واضحة مع نفسه ، فكان تعليقه الوحيد أنا مستعد للموت وإننى سعيد بلقاء ربى ، وأنهى «عودة» الدقائق الأخيرة من حياته وهو يقول ملوحاً : الحمد لله الذى أمانتنى شهيدا وأنه لقادر على أن يجعل دمنى لعنه

تحقيق برجال الثورة .

واستقبل الناس في مصر أنباء الأعدام بصمت ذاهل مرتعب. واتخذت الحكومة احتياطا لها بتعزيز الدوريات والمواقع العسكرية حول المدينة وخارج البلاد ، وقامت مظاهرات الإحتجاج في الأردن وسوريا وباكستان ، وفي دمشق أقام مصطفى السباعي قائد الإخوان هناك صلاة الغائب على أرواح من أعدموا وطالب جمهور المصلين (بالإنتقام للشهداء) وأبدته الجمهور المتجمع ، ومرة أخرى وصلت العلاقات بين مصر وسوريا إلى نقطة التدهور .

وبعد شق الإخوان جرت الأحداث في مناخ أكثر رداة وفوض عمل المحكمة الثورية إلى ثلاثة أفرع برأسها ضباط أقل رتبة وعندما أغلقت المحكمة أبوابها في بداية فبراير ، كان قد تم محاكمة ١٠٠٠ من الإخوان ، وعلى وجه الاجمال حكم على خمسين بالإعدام ، إلا أن الأحكام خففت جميعا فيما عدا ستة منهم ، ونصف هؤلاء الذين حوكموا تم الإفراج عنهم أو حكم عليهم بالسجن مع وقف التنفيذ . كذلك مثل أغلب أعضاء الهيئة التأسيسية ، أمام المحكمة . إلا أن هؤلاء الأعضاء إما أفرج عنهم أو حكم عليهم مع وقف التنفيذ ولشهور عديدة فإن عددا لا يحصى من الإخوان الذين حوكموا وبرئوا والذين لم يقدموا إلى المحاكمة أصلا ظل داخل السجون ، والجدير بالذكر هنا أن من بين الإخوان الذين قدموا للمحاكمة لم يكن هناك غير تسعة وعشرين من القوات المسلحة معظمهم كانوا من القوات المقاتلة ، وقدموا جميعا في المحاكم الثورية ، ودلالة ذلك في سياق الموقف العام للمحاكمات ، أن جرميتهم الأساسية هي جمعهم بين الإنتماء للدولة والجماعة معا ، ونتيجة ذلك بالنسبة لهم هي أن وضعهم كان شاذا ، من حيث أن وجود (الخلايا) التي تقوم بأعمال تخريبية داخل القوات المسلحة كان من الموضوعات الرئيسية للنزاع بين الحكومة والمضيق ، الذي أنكر بإصرار وجود هذه الخلايا ، أما الأحكام التي صدرت على كل من أبو المكارم عياد الحلي وعبد المنعم عبد الرؤوف الضابطان الماربان فكانت من نوع مختلف : إذ حكم عليهما غيايبا بالإعدام رميا بالرصاص .

تلك كانت رؤية غربية (معاهدة نسبيا) لحادث المنشية والمحاكمات التي تمت بشأنه ومصر الذين تمت محاكمتهم إنها رؤية ريتشارد ميتشل وقد أوردناها كشهادة تاريخية ثانية لكني نعرف بوضوح ماذا حدث أثناء محاكمة الإخوان عام ١٩٥٤ م .

والآن ماذا عن الحقيقة بعد هاتين الشهادتين ؟

سابعاً : علاقة عهد الناصر بالإخوان : حقيقة صدام ١٩٥٤م :

* كانت العلاقة بين عبد الناصر والإخوان ، علاقة مريرة وصدامية إلى حد بعيد ، وسوف نورد هنا تفاصيل هذه العلاقة وتفاصيل الصدام (١٩٥٤م) مستندين في هذا على أطروحتنا للماجستير والتي صدرت فيما بعد في كتاب يحمل عنوان (الدين والدولة والثورة) إصدار دار الهلال والدار الشرقية وبتفصيل هذه العلاقة يتضح ما يلي :

بداية تعود العلاقة بين الضباط الأحرار والإخوان المسلمين إلى منتصف الأربعينات ، حين كانت الأوضاع السياسية والإجتماعية في مصر تدخل مرحلة دقيقة في مواجهة القصر والإنجليز ، ومثلت هذه الأوضاع في مجملها ، نقطة الالتقاء التي وحدت أغلب القوى السياسية الوطنية وفي إطار تفاعلات الأربعينات ولدت العلاقة بين الإخوان المسلمين وتنظيم الضباط الأحرار ، ويرى البعض أن بداية تنظيم الأحرار تعود إلى عام ١٩٣٨ في منقباد ، عندما كان عبد الناصر وأنور السادات وبعض الضباط حديثي التخرج ، هناك ، فبدأوا في تشكيل تنظيمهم^(١) .

ومنذ ذلك الحين إنعكست على تنظيم الضباط الأحرار الأحداث التي أثرت على مجرى الحياة السياسية في المجتمع المصري ، وأهمها حادث ٤ فبراير ١٩٤٢م وثورة رشيد عالي الكيلاني في العراق وظروف الحرب العالمية الثانية ، ثم حرب فلسطين عام ١٩٤٨م التي تعد ويحتمل أحد الأسباب المباشرة التي عجلت بقيام ثورة يوليو ١٩٥٢ نتيجة لتزايد السخط في نفوس ضباط الجيش مما لا قوة في هذه الحرب .

وتمكنت الجماعات العقائدية ممثلة في جماعة الإخوان المسلمين ، والتنظيمات الماركسية ومصر الفتاة من إجتذاب بعض الشباب من ضباط الجيش إلى الإهتمام بالقضايا العامة ، وأدى ذلك إلى أن تتباين الإتجاهات داخل تنظيم الضباط الأحرار مثل عبد المنعم عبد الرؤوف ، وأنور السادات ، وكال الدين حسين ، وإنضم البعض الآخر إلى الأحزاب اليسارية مثل يوسف صديق ، وأحمد حمروش وخالد محي الدين^(٢) .

ويرى البعض أن إتصال جماعة الإخوان بالضباط الأحرار بدأ منذ الحرب العالمية الثانية ، وكان عزيز المصري يمثل نقطة البداية في هذه الإتصالات ، إذ أن صلة الإخوان بعزيز المصري

(١) أنور السادات : أسرار الثورة المصرية في : عبد الهادي الخطيب : الدور السياسي لحركة الإخوان المسلمين ، رسالة ماجستير - كلية الإقتصاد - جامعة القاهرة - ١٩٨١ ، ص ٢٦٢ .

(٢) المصدر السابق ، ص ٢٦٢ - ٢٦٣ .

كانت سابقة لصلتهم بالجيش ، وكذلك لصلة الضباط به ، فقد قام وفد من الإخوان وعلى رأسهم حسن البنا المرشد العام للجماعة باستقبال عزيز المصرى في المطار ، أقر عودته من لندن عام ١٩٣٧ م ، وقد استقبله في المطار ثلاثة أشخاص يرتدون الملابس الإسلامية وقدموا له التحية^(١) .

ومنذ ذلك التاريخ توطدت العلاقة بين حسن البنا وعزيز المصرى ، ويشير أنور السادات إلى الإتصال الذى جرى بين الضباط الأحرار والإخوان بأنه قد قابل حسن البنا هو من قدمه إلى عزيز المصرى أول مرة وعرض عليه الإنضمام إلى جماعة الإخوان المسلمين وكاشفة عن نشاطه فى جميع السلاح وتخزينه والتزامه السرية الكاملة فى ذلك حتى على الإخوان أنفسهم . ويذكر السادات أنه فرح يومها عندما عرف أن الضباط عندما يضربون ضربتهم سيجدون قوة شعبية تقف فى الصف الثانى مسلحة ومدرية^(٢) .

وقد حل عبد المنعم عبد الرؤوف محل أنور السادات كضابط إتصال بين الجيش والإخوان بعد القبض على السادات فى أغسطس ١٩٤٢ م .

هذا وقد استمر التعاون مع الضباط حتى الثورة (١٩٥٢ م) إلى أن كان عام ٩٥٤ م وهو العام الذى شهد الصراع فقد شهدت الفترة من يناير حتى أكتوبر ١٩٥٤ م قصة الصراع بين جماعة الإخوان المسلمين ومجلس قيادة ثورة يوليو ١٩٥٢ م ، حيث شهدت هذه الفترة صدامين مثلاً صدهما عنيقا فى علاقة الإخوان بالثورة ، ورتبت تصورات دينية وخبرات ذاتية متناقضة لدى طرفى العلاقة ، كان حريا بها أن تحدث صدامات أخرى ، ومواجهات أكثر دموية .

١ - الجولة الأولى للصدام يناير ١٩٥٤ م : سبق قرار حل جماعة الإخوان المسلمين فى يناير ١٩٥٤ م مقدمات عدة مثل الهجوم الضارى الذى قام به الإخوان على هيئة التحرير وتنظيمها الشبابى يوم ١٢ يناير ١٩٥٤ م ، وقد بلغت ضراوة القتال بينهما أمام حرم الجامعة إلى حد استخدام الأسلحة والقنابل والعصى وحرق السيارات فى الجامعة فى ذلك اليوم وهو اليوم الذى خصص للإحتفال بذكرى شهداء معركة القناة ، وكان لوجود نواب صفوى زعيم منظمة فدائيان إسلام محمولا على أكتاف الإخوان تأثيره المباشر على إحتداد المواجهة بين الطرفين .

(١) ريتشارد ميتشيل : الإخوان المسلمون - مكتبة مديول - ١٩٧٧ م مصدر سابق ، ص ٥٨ .

(٢) عبد الهادى الخطيب ، مصدر سابق ، ص ٢٦٣ .

بعد هذه المواجهة بيوم واحد ، ونتيجة لحالة الإضطراب والتخبط التى ميزت العلاقة بين الإخوان والثورة يومئذ ، أعلن مجلس قيادة الثورة قراره الخاص بحل جمعية الإخوان المسلمين واتخذ القرار بالإجماع ، فيما عدا محمد نجيب الذى اعترض من حيث المبدأ وليس لأنه يشايع الإخوان^(١) ، ولكن عدم موافقة نجيب لم تؤثر فى صدور قرار الحل فقد كان هو الصوت الوحيد المعارض ، ورغم أنه لم يكن على صلة بهم ، ولكن هذا الموقف أوجد فى صدور زملائه الخشية أن يكون هناك تدبير ما بين محمد نجيب والإخوان ، ويخلص بيان مجلس قيادة الثورة الاتهامات الموجهة للإخوان الميرة للحل فى الآتى :

— التقاعس فى تأييد المرشد العام للحركة إلا بعد خروج الملك .
— عدم تأييد قانون الإصلاح الزراعى والمطالبة برفع الحد الأقصى للملكية فى حالة التطبيق إلى ٥٠٠ فدان .

— محاولة فرض وصاية على الحركة بعد حل الأحزاب السياسية .
— إتخاذ موقف المعارضة من هيئة التحرير .

— بدء التسرب إلى ضباط الجيش وضباط البوليس وتشكيل وحدات تحت إشراف المرشد مباشرة

— تشكيل جهاز سرى جديد بعد حل الجهاز السرى الذى كان يشرف عليه عبد الرحمن السندى منذ أيام حسن البنا .

— حدوث إتصال عن طريق الدكتور محمد سالم بين المستشار الشرق للسفارة البريطانية فى مايو ١٩٥٣ ومنير الدلة وصالح أبو رقيق ثم حسن المضمينى بعد ذلك .

— زيارة حسن العشماوى يوم الأحد ١٠ يناير ١٩٥٤م ، أى قبل قرار الحل بأيام للوزير البريطالى المقفوض ثم عودته فى نفس اليوم لزيارة أخرى إمتدت سبع ساعات^(٢)

ولقد صاحب إصدار هذا البيان ، إعتقال حسن المضمينى و ٥٤٠ عضوا بالجماعة فى القاهرة والأقاليم^(٣) ، وفى اليوم التالى ولعدة أيام شنت الحكومة حملة صحفية ضد المضمينى

(١) بتفصيل أنظر : د . عبد العظيم رمضان ، عبد الناصر وأزمة مارس ، مصدر سابق ، ص ١٠٧ .

(٢) بيان مجلس قيادة الثورة بحل جماعة الإخوان المسلمين . مصدر سابق .

(٣) محمد الله إمام : مصدر سابق ، ص ٦١ .

والجموعة المحيطة به ، وليس ضد الإخوان كجماعة ، وتركزت الحملة على مجموع الإنتقادات التى ظهرت داخل التنظيم ضد المضيبي وبوجه خاص فشله فى الإقضاء بشخصية البنا ، وإساءته وإهماله لجوهر رسالته ، ولم يكن هناك ما يتصل بتهمة قلب نظام الحكم ، سوى [كشفاً] حياً للأسلحة فى عزبة يملكها أحد أعضاء الجماعة وقد إنتشرت على نطاق واسع شائعة تقول أن تلك الأسلحة هى بعينها الأسلحة التى سبق أن خبأها أعضاء المجموعة العسكرية قبل الثورة بأنفسهم هناك .

غير أن تنظيم الإخوان إستمر رغم هذه الضربات ، ورغم حله المستوى الرسمى وأصل عمله بشكل غير رسمى تحت القيادات غير الرسمية لعبد القادر عودة حيث إلتقى الأعضاء الذين لم يتعرضوا للإعتقال فى جلسات صغيرة عقدت كل منها فى بيت واحد منهم ، كذلك سارعوا بتنظيم شبكة لجمع وتقديم الإعانات لعائلات الأعضاء والمعتقلين ، ورغم أن الحكومة ألقت القبض على بعض الأعضاء ، وهم يقومون بتقديم إعانات إلا أنها لم تكن راغبة فى عرقلة هذه العملية . وفى فبراير وخلال الأحتفال بالذكرى السنوى للبنا والذى أقيم فى مقبرته ، أعلن عبد القادر عودة على الملأ إقتناعه بأن الثورة قد حققت أهداف حسن البنا^(١) .

وفى ذات الوقت حرص عبد الناصر على ألا يقطع الصلة نهائياً بالإخوان فقام فى ١٢ فبراير وفى نفس الذكرى السابقة بزيارة قبر حسن البنا ومعه صلاح سالم وأحمد حسن الباقورى ، وخطب قائلاً : «أشهد الله أنى أعمل وكنت أعمل لتنفيذ هذه المبادئ وأفنى فيها وأجاهد فى سبيلها»^(٢) . وبدأ عبد القادر عودة مع آخرين سلسلة من المحادثات الخاصة مع الحكومة لإستعادة الشرعية للجماعة وقد طلب من الحكومة فى هذا الصدد ، السماح له بزيارة السجون كما أتمس إستقالة المضيبي وكانت هناك خطط أخرى قيد المناقشة فملت تأسيس تنظيم دهنى جديد تحت قيادة عبد الرحمن البنا^(٣) .

وعلى أن كل شيء توقف فجأة ، بل وتبدل فجأة عشية الأزمة السياسية التى طوقت

(١) جريدة الجمهورية ١٣ فبراير ١٩٥٤م ، كذلك مجلة الدعوة بتاريخ ١٦ فبراير ١٩٥٤ .

(٢) أحمد حروش : قصة ثورة ٢٣ يوليو ج ١ ، مصدر سابق ، ص ١٣٥ .

(٣) مجلة الدعوة بتاريخ ١٥ أكتوبر ١٩٥٤م ، ص ٧ .

مصر كلها والتي سميت بأزمة مارس ١٩٥٤م وكانت بين محمد نجيب وعبد الناصر^(١) وتتلخص أسباب ووقائع هذه الأزمة في أنها كانت مرتبطة بمطالبة محمد نجيب بسلطات تتناسب مع مكانته وحول الأسلوب الواجب إتباعه في إدارة شئون مصر ، فمن وجهة نظر محمد نجيب الأكبر سنا أن عملية إبعاد كافة القوى الاجتماعية مع استمرار مسيرة الثورة أمر لا يحتمل ، ولابد من مشاركة كل القوى في هذه المرحلة في إصلاح البلاد ، على الناحية الأخرى كان عبد الناصر وهو ابن جيل آخر وذو إقتناع مختلف ومتطور قد نفذ صبره حين أدرك أن مسألة الحفاظ على استمرار عملية التغيير وعمق تأثيرها تعنى أنه لا رحمة مع الذين يعارضونها .

ومع تزايد حدة العداء الجديد من القوى المعارضة تزايدت ضرورة إجراءات القمع ، وتساعد الخلاف بين الرجلين حول من يمتلك سلطة الحسم الأخيرة في شئون البلاد وكيفية استخدام هذه السلطة ، ويتصاعد مع إستقالة محمد نجيب في ٢٣ فبراير وفي الليلة التالية داخل مجلس قيادة الثورة وفي ٢٦ فبراير وبعد تمرد سلاح الفرسان حيث كانت الأفكار الديمقراطية تجد مجالا خصبا للنمو كنتيجة لوجود خالد محي الدين ضابطا بمخابرات السلاح وثروت عكاشة أركان حرب السلاح الذي كانت تربط صلة النسب بأحمد أبو الفتوح رئيس تحرير المصري^(٢) .

بعد هذا العصيان المسلح وخروج مظاهرات تأييد لنجيب أضطر مجلس قيادة الثورة أن يعلن إعادة تقليد نجيب لمنصب الرئاسة ، ولم تنته الأزمة لأن المشكلة الأساسية والخاصة بمن يملك السلطة وأسلوب استخدامها ، ظلت دون حل ، وفي التاسع من مارس أعلنت الحكومة أن نجيب سوف يسند له ثانية منصب رئيس الوزراء ورئيس مجلس قيادة الثورة ، في ذلك الوقت كتب المضيبي رسالة لمحمد نجيب من السجن يطلب فيها الإفراج عن الإخوان المسلمين حتى تتم موازنة المواقف ، وانضمت إليه مجلة الدعوة الناطقة وقتذاك بلسان حسن العشماوى ومجموعة المطالبين بالإفراج عن الإخوان واصفة قرار الحل الذى صدر في يناير بأنه كان خطأ^(٣) .

(١) تفصيل دقيق للأزمة في : أحمد حمروش ، قصة ثورة ٢٣ يوليو ، مصدر سابق ، ص ١٣٧ - ٨٩ .

كذلك : د . عبد العظيم رمضان : عبد الناصر وأزمة مارس ، مصدر سابق ، ص ٢٥١ - ٢٢٠ - ١٨٩ أعداد جريدة الأهرام خلال الفترة (٢٨ مارس - ٢٥ إبرير ١٩٥٤م) .

(٢) أحمد حمروش ، قصة يوليو ، مصدر سابق ، ص ١٣٥ .

(٣) الدعوة في ١٦ مارس ١٩٥٤ ص ١ .

وفى يوم ٢٥ مارس ١٩٥٤م أعلن مجلس قيادة الثورة ، فيما إتضح بعد ذلك أنه كان مناورة بارعة من عبد الناصر أن الثورة قد إقتربت من إنتهاء مهمتها وأن ، البلاد سوف تستأنف الحياة البرلمانية السوية ، وفى ذات الوقت وتحت ظروف وتدخلات متعددة كان آخرها واسطة الملك سعود ، أمرت وزارة الداخلية بالافراج عن المضيى والإخوان المسلمين تطبيقاً لقرار صدر بإلغاء قرار يناير ١٩٥٣م بشأن إلغاء الأحزاب السياسية ورفع الرقابة تماماً عن الصحف وأصبح فى إمكان أى شخص أن يقول ما يشاء يومئذ .

وفى الثامن والعشرين من مارس وبعد ثلاثة أيام من الحرية الكاملة وغير المحدودة للمعارضة تحرك عبد الناصر وامتلات الشوارع يومئذ بالمظاهرات الشعبية التى تطالب بالحفاظ على الثورة وأهدافها وبإستمرار إلغاء الأحزاب السياسية ، وإندفعت حشود ضخمة من إتحادات العمال والنقل التى خرجت فى ذلك اليوم ومعها الشباب المنتمى للمنظمات الشبابية الحكومية ، تحملهم عربات النقل الخاصة ببيتة النقل يعربون عن أن الثورة قد جاءت لتبقى ، وكان الإعتداء على جريدة المصرى وعلى مجلس الدولة ، هما من أبرز ما حدث فى هذه الأثناء ، وتم تدعيم هذه التحركات من الجيش ، وتحيدا من ضباط الصف ، والضباط المؤيدين لعبد الناصر أمثال كمال الدين رفعت ، وأحمد أنور ومجدى حسنين ووجيه أباطة وحسن التهامى ، ومحمد أبو الفضل الجيزاوى وسعد زايد وغيرهم .

وفى ذات المساء - ٢٩ مارس ١٩٥٤م - أصدرت الحكومة أوامر بحظر التظاهر منذ الآن فصاعداً ، وفى اليوم التالى وإستجابة للإرادة الشعبية السابقة قرر مجلس قيادة الثورة مرة أخرى أن يأخذ على عاتقه مسئولية الحكم كاملة ، وألغيت مرة ثانية كافة الأحزاب السياسية بإستثناء جماعة الإخوان المسلمين الذين وعد قادتهم بحسن التصرف ، والذين إتفقوا على أن يجنحوا للسلبية فى هذه الأيام الحرجة وأن يتعلموا عن الاشتراك فى أى مظاهرة معادية للمجلس وباتت البلاد فى قبضة قيادة الثورة مرة أخرى^(١).

وهكذا أخرجت أزمة مارس الإخوان المسلمين من السجون ، وخلقت حالة من الهدوء المشوب بالخذر والتفجر المكثوم بينهم وبين الثورة ، وهو المتفجر الذى كان ينتظر عود الثقاب لإشعاله ثانية .

(١) أحمد حمروش ، قصة ثورة ٢٣ يوليو ، ج ١ ، مصدر سابق ، ص ١٧٥ .

٢ - الجولة الثانية للصدام (أكتوبر ١٩٥٤ م) :

سبق أن رأينا أن الجهود كانت تبذل من أجل إعادة الجماعة إلى سابق عهدها قبل يناير ١٩٥٤ ، على أن تمارس نشاطها دينيا فقط ويكون مرشدها عبد الرحمن البنا ، وقد أتاح حضور الملك سعود إلى مصر لهم الفرصة ليرتفع صوتهم مطالبا بعودة الجماعة ، حيث كان من بين أهداف زيارة الملك سعود التوسط في أمر إعادة الجماعة ، وبالفعل نجحت الوساطة ورأت الثورة ، أن تعيد الجماعة ، وتم الإفراج عن الهضيبي والمعتقلين من الإخوان ثم صدر قرار مجلس قيادة الثورة بإعادة ، الجماعة وتسليمها ممتلكاتها ، وسمح للمرشد العام حسن الهضيبي وعدد من الإخوان بالسفر إلى سوريا والسعودية ، وهناك أدلى المرشد العام بتصريحات ضد الثورة وضد إتفاقية الجلاء . وفي ٢٧ يوليو ، أى وقت ان كان الهضيبي بالخارج أعلنت حكومتا مصر وبريطانيا موافقتهما المشتركة على عدد من المبادئ العامة كأساس لمعاهدة جديدة تسوى النزاع الإنجليزى المصرى ، ولكن فى ٣١ يوليو نشرت صحيفة بيروتية^(١) . بأحرف ضخمة وعناوين بارزة ، رأى حسن الهضيبي فى الإتفاقية ، وكانت النقاط الرئيسية فى نقله هى كما يلى :

— كان من المفروض أن ينتهى أجل معاهدة ١٩٣٦م بعد أقل من عامين وإذ ذلك كان على بريطانيا أن تجلو عن القاعدة وأن تركها دون أساس قانونى لا يمكنها من العودة إليها فيما بعد ، أما المعاهدة الجديدة فتمنحها هذا الحق باشتغالها على مادة تسمح بإعادة تشغيل القاعدة فى حالة حدوث أى إعتداء على أية دولة عربية أو على تركيا .

— المادة التى تسمح بإعادة تنشيط القاعدة فى حالة إعتداء تركيا يربط مصر والدول العربية بها ، وبالتالى يربطهم جميعا بالمعسكر الغربى .

— الفقرة التى تسمح لبريطانيا بصيانة القواعد الجوية تمثل تهديدا لمصر وهى على المدى الطويل أداة لدوام السيطرة .

— المدنيون الذين سيناط بهم المساعدة فى تشغيل المعدات هم ، بطبيعة الحال ، شخصيات عسكرية فى ثياب مدنية .

— جددت الإتفاقية أجل معاهدة ١٩٣٦م لفترة خمس سنوات أخرى ، وسمحت بإجراء

(١) جريمة المهدف فى ٣١ يوليو ١٩٥٤ ص ١ ، وقد تسربت نسخ كثيرة من هذا العدد إلى مصر وكذلك أذيع الحديث من راديو دمشق . نقلا عن : ريتشارد ميتشل : مصدر سابق ، ص ٢٧٩ - ٢٨٠ .

تساور لمراجعة الموقف عند إنتهاء فترة العمل بها ، وهو نفس النوع من البنود التي كفل في الواقع الإستمرار الدائم لمعاهدة ١٩٣٦م ، بناء على هذه البواعت جميعا رفض الهضيبي الإتفاقية مؤكداً أن أى إتفاقية بين مصر وحكومة أجنبية ينبغي أن تعرض على برلمان منتخب بإرادة حرة وعلى صحافة متحررة من الرقابة وتملك حرية المناقشة ، وقد ظل التوتر الذى أثارته هذه الأراء محكوماً وسيطراً عليه طوال فترة تغيب الهضيبي الذى كان لا يزال في سوريا ، وعبد الناصر الذى سافر إلى السعودية من ٥ إلى ١٧ أغسطس ١٩٥٤ بغرض الحج وحضور مؤتمر لقادة البلدان الإسلامية الذى اقترح عقده مؤخرًا في مكة . وعاد الهضيبي يوم الأحد الموافق ٢٢ أغسطس وفي نفس اليوم بدأت الحكومة حملتها العنيفة لتنفيذ هجومه على الإتفاقية معتمدة أساسا على إحياء قصة المعاهدة السرية التي قيل أن الهضيبي كان يتفاوض بشأنها مع البريطانيين في ذلك الربيع والتي قيل أنه خلالها تنازل أكثر مما تنازلت الحكومة .

واستمرت الحملات المتبادلة بين الجماعات وبين الثورة طيلة شهرى أغسطس وسبتمبر عام ١٩٥٤ ، ويأتى شهر أكتوبر ليشهد إنفجار الصدام بين الإخوان المسلمين والثورة ، فعند الأيام الأولى للشهر قررت المجموعة التي سميت بقيادة الجهاز السرى ، القيام بإغتيال عبد الناصر^(١) والذي كانت سيطرته الفعلية على البلاد قد وضحت وتمددت ، وقد إختارت القيادة محمود عبد اللطيف وهو سمكرى من ضاحية إمبابة بالقاهرة ، لإنجاز العمل ، وكان هنداوى دوير المحامى وقائد قطاع إمبابة هو الذى أبلغه بهذا القرار وترك له ثلاثة أيام مهلة لاتخاذ قراره ، وفي ١٩ أكتوبر وهو اليوم الذى وقع فيه عبد الناصر معاهدة الجلاء مع البريطانيين ، قرر محمود عبد اللطيف قبول مهمة اغتياله بسبب ما ارتكبه من خيانة بتوقيع للمعاهدة التي أهدرت حقوق الأمة ، وقد خطط لتنفيذ المهمة في نفس اليوم ، إلا أن الظروف لم تكن مواتية وسط هذا الحشد المتجمع والمختار بعناية لتنفيذ الخطة بنجاح لذا تم تأجيلها إلى وقت آخر أكثر ملائمة .

وفي الرابع والعشرين من أكتوبر زار كمال خليفة وهو واحد من أبرز أعضاء مكتب الإرشاد وأطال في تهنئته بالمعاهدة ، وفي ذلك المساء وبينما كان عبد الناصر يلقي خطابه أمام حشد كبير من المواطنين بالاسكندرية إنطلقت عدة رصاصات وللحظة قصيرة توقف عبد الناصر عن الكلام بينما الرصاصات تدوى ، وكان محمود عبد اللطيف يجلس في الصفوف الأمامية على بعد ١٥ متراً من منصة الخطباء والضيوف ، وأصيب ممرغى حزة وزير السودان والمحامى

(١) د . عبد العظيم رمضان : الإخوان والتنظيم السرى مصدر سابق ، ص ١٢٣ - ١٥٠ .

أحمد بدر الذى كان يقف بجانب جمال عبد الناصر - الذى لم تصبه الرصاصات - والذى أصر على متابعة خطبته بعد ما حدث فى السراى من هرج مردهاً قوله «أيها الرجال فليبق كل فى مكانه .. حياىى لكم ، وهى فداء لمصر ، أتكلّم إليكم بمون الله بعد أن حاول المفرضون أن يعتدوا على ، أن حياة جمال عبد الناصر ملك لكم عشت لكم وسأعيس حتى أموت عاملاً من أجلكم وفى سبيلكم»^(١) .

تفاصيل الحادث

يحدثنا التاريخ أنه فى ١٩ تشرين الأول (أكتوبر) سنة ١٩٥٤ م تم توقيع إتفاقية الجلاء بين الحكومة المصرية وبين بريطانيا .

وكان الرئيس جمال عبد الناصر منذ بدأ المحادثات قد أخذ يقتصد بالظهور فى الأماكن العامة وبين الجماهير لتحاىى وقوع أى إعتداء عليه ، قد يؤجل إتمام الإتفاقية ، وبمجرد توقيعها أخذ فى الظهور كسابق عادته ، وتقرر أن يلقى خطاباً فى إجتاع عام بميدان المنشية مساء ٢٦ تشرين الأول (أكتوبر) ١٩٥٤ م .

وفى مساء ذلك اليوم وأثناء إلقاء الرئيس لخطابه أطلق شخص كان يجلس بين الجماهير أمام المنصة ، تسع رصاصات على الرئيس قاصداً قتله ولكنه أخطأه ... وأصيب بعض الذين كانوا يقفون بجواره بإصابات سطحية .. ومن بينهم السيد مرغنى حمزة وزير خارجية السودان الذى أصيب برصاصتين .

قبض على المتهم واتضح أنه يدعى محمود عبد اللطيف ويعمل سمكياً (بأمبابة) واعترف بأنه من جماعة الإخوان المسلمين وأنه كان ينوى إغتيال الرئيس ، وأن الذى كلفه بتنفيذ هذه المأمورية محام بأمبابة يدعى هندواى دوير .. الذى القى القبض عليه ..

أسفرت التحقيقات عن أن الحادث مدير ومخطط له من أعلى المستويات فى قيادة الإخوان ، ويبدو أن إختفاء قادة الإخوان ، كان انتظاراً لما سيسفر عنه الإعتداء ، فإذا نجح بادروا

(١) تفاصيل الإعتداء على عبد الناصر فى :

— جريدة الأهرام بتاريخ ٢٥ ، ٢٦ أكتوبر ١٩٥٤ م ، كذلك د . عبد العظيم رمضان : عبد الناصر وأزمة مارس ، مصدر سابق ، الإخوان المسلمين والتنظيم السرى ، مصدر سابق ، ص ١٣٣ - ١٥٠ .

— ريتشارد ميتشل : مصدر سابق ، ص ٣٩٢ .

بالظهور منتهزين فرصة الفوضى والإضطراب الذى سيود مصر ، أما إذا فشل فسيمضون فى الفرار والتخفى . كما كشفت التحقيقات عن شخصيات أعضاء الجهاز السرى للإخوان بأكمله وتم القبض عليهم جميعا ، عدا بضعة أفراد تمكنوا من الفرار خارج البلاد ..

كانت الضربة التى وجهت إلى جماعة (الإخوان المسلمين) وجهازها السرى قوية بحيث كفلت إعادة الهدوء والإستقرار إلى الحياة السياسية فى البلاد .

وتجدر الإشارة إلى أن (الإخوان) قدموا لجمال عبد الناصر بمحاولة إغتياله حب الجماهير فى مصر والوطن العربى على طبق من ذهب كما قال البعض ^(١) .

وقد أمر جمال عبد الناصر أن يصرف لزوجة الجنائى محمود عبد اللطيف ١٥ جنيتها مصريا فى مطلع كل شهر وفقا لأحمد حمروش ^(٢) .

وفيما يلى نص الكلمة التى ألقاها جمال عبد الناصر فى ميدان المنشية :

أيها المواطنون . يا أهل الإسكندرية الأمجاد أحب أن أتحدث إليكم ونحن نحتفل اليوم بعيد الجلاء .. بعيد الحرية والاستقلال عن الماضى وكفاح الماضى .

تعالت هتافات المواطنين للرئيس .

كفى هتافا .. لقد هتفنا فى الماضى طويلا ... فماذا كانت النتيجة ؟ هل سنعود إلى الفوضى والتبرج .

لا نعتفوا باسم جمال عبد الناصر ... بل سيروا إلى الأمام .. ولنعمل جميعا لبناء هذا الوطن حرا سليما .

يجب أن نتقدم ، وأن نعمل للمبادئ والمثل العليا .

أصغوا إلى ، استمعوا فإنى أتحدث عن كفاحكم وكفاح آبائكم وأجدادكم .

لقد بدأت أنا كفاحى من هذا الميدان فى الإسكندرية .. كنت شاباً صغيراً عام ١٩٣٠ ومن هنا بدأت لأول مرة أهتف مع أخوانى أبناء الشعب للحرية واليوم أشكر الله .. فلقد أثمر كفاح آبائكم وأجدادكم ... وجميع الشهداء الذين استشهدوا فى هذا السبيل .

وهنا سمع دوى ٩ رصاصات موجهة إلى جمال عبد الناصر .

(١) فى خدمة الأمن السياسى ، لواء حسن طلعت ، ص ١٠٠ - ١٠١ .

(٢) قصة ثورة ٢٣ يوليو ، أحمد حمروش ، ج ٤ من شهادة أحمد أنور .



أربع لقطات نادرة لحادث المشية ١٩٥٤ قبل وبعد إطلاق الرصاص على عبد الناصر "



وإنطلق عبد الناصر يقول : دمی فداء لکم ... دمی فداء لمصر .

هذا جمال عبد الناصر يتحدث إليکم ... لا تفزعوا فإنه ما زال يتحدث إليکم بعون الله ، بعد أن حاول المفرضون أن يعتدوا على حياته ..

إن جمال عبد الناصر منکم ولکم وحياته فداء لمصر وللوطن ..

أيها الناس .. ها هو جمال عبد الناصر ما زال بينکم .. لا تروعوا ولا تخافوا .. فأنا لست جباناً .. لقد ثرت من أجلكم ومن أجل عزتکم ومن أجل کرامتکم .

إن دمی من دمیكم .. وسأعيش حتى الموت مکافحا في سبيلکم .. ومن أجل حريتکم .. ومن أجل کرامتکم وعزتکم .

ليقتلوني .. فقد أودعت فيکم العزة .. ليقتلوني .. فقد أنبت في هذا الوطن الحرية والکرامة ..

ليقتلوني من أجل مصر .. من أجلكم .. من أجل أبنائکم وأحفادکم ..

يا أبناء مصر : کافحوا واحملوا الرسالة والأمانة . لقد ثرت من أجلكم وسأموت في سبيلکم . أيها المواطنون : إذا مات جمال عبد الناصر فإنه يموت مطمئناً لأنکم کلکم جمال عبد الناصر .. لا تخافوا الموت .. فالدنيا فانية .

أيها المواطنون : لن تكون حياة مصر معلقة بحياة جمال عبد الناصر بل هي معلقة بکفاحکم .

أيها المواطنون : سيروا إلى الأمام فمصر اليوم قد حصلت على عزتها وکرامتها وحریتها ، سيروا إلى الأمام على بركة الله نحو المجد والعزة والحرية .

بعد الحادث بـ ١٠ دقائق ... وبعد القبض على الجاني أصرت الجماهير على رؤية عبد الناصر ، وخرج عبد الناصر ثانية إلى الشرفة وألقى العبارات التالية :

أيها المواطنون : الحمد لله ... إن الله الذي أراد لمصر العزة يوم ٢٣ يوليو ، لم يخذلها ولن يخذلها أبداً .

الحمد لله على نجائی من أجلكم لا من أجل نفسي .

الحمد لله على نجائی لأحقق لکم العزة والحرية والکرامة .

الحمد لله الذى أراد العزة لمصر ولن يخذها أبدا .

وقيل وقت الحادث أن حادث الإعتداء كان نقطة هامة فى مشاعر الشعب الذى كان يرفض وإرهاب الإخوان المسلمين قبل ٢٣ يوليو ١٩٥٢م ونقطة تحول أخرى لصالح شعبية عبد الناصر الذى قام بجولة يوم ٢٧ ، أكتوبر فى رحلة عودة من الاسكندرية إلى القاهرة ، ولقد قوبل بمظاهرات تأييد له^(١) .

وفى ليلة الحادث صدرت الأوامر باعتقال الإخوان المسلمين وبدأت أكبر حملة شهدتها مصر حتى وصل الأمر إلى حد إعطاء المعتقلين بطاقات يسجلون فيها أسماءهم وعناوينهم لتدون فى كشوف سليمة^(٢) وشكل مجلس قيادة الثورة فى أول نوفمبر ١٩٥٤م محكمة خاصة باسم (محكمة الشعب) برئاسة جمال سالم وعضوية أنور السادات وحسين الشافعى ، فكانت بهذا رابع نوع من المحاكم تشكله الثورة بعد المجالس العسكرية ، ومحكمة الغدر ، ومحكمة الثورة ، وقد شكلت ثلاث دوائر فرعية من محكمة الشعب ، الأولى برئاسة اللواء صلاح حتاتة ، والثانية برئاسة قائد الجناح عبد الرحمن عنان ، والثالثة برئاسة القائمقام حسين محفوظ ندا ، ولقد اضطرب الشهود وإنتاجهم الخوف ، كما أنهم فى الأغلب الأعم كانوا يفتقرون إلى الحياد ، أما الأدلة فكانت حافلة بالتناقضات وكان يرجع ذلك لأسلوب معاملة الشهود من ناحية وإلى تحفظ الشهود وعدم توافر الرغبة لديهم فى الإفصاح ، فضلا عن ذلك فقد عكست هذه الأدلة من جهة ثانية وضع كل شاهد داخل الجماعة ، وبالتالى عكست المستويات والمنطلقات المتعددة التى نظر منها للمسائل موضع التحقيق ، كما أن السهولة الملحوظة التى إنهار بها الولاء ، ووجه بها الأعضاء أصبح الإتهام كل منهم نحو الآخر ، أظهرت إلى أى مدى إهتزت ، مشاعر الثقة المتبادلة ، ونفس الشيء حدث أيضا فى التحقيقات التمهيدية والتى ظهرت من خلال معظم الإعترافات^(٣) .

وفى الرابع من ديسمبر نطق الحكم الأول فى (محكمة الشعب) ثلثة الأحكام الأخرى ، فلقد بلغ عدد الذين حكم عليهم محاكم الشعب ٨٦٧ ، وعدد الذين حكمت عليهم المحاكم العسكرية من المتهمين الذين يتممون إلى الجيش وعددهم ٢٥٤ ، وصدر الحكم بإعدام محمود

(١) ميتشل : مصدر سابق : ص ٣٠٣ .

(٢) أحمد حمروش : قصة ثورة ٢٣ يوليو — ٢ ، مصدر سابق ، ص ١٨٦ .

(٣) ريتشارد ميتشل : مصدر سابق ، ص ٣٠٩ .

عبد اللطيف ويوسف طلعت ، وهنداوى دوير ، وإبراهيم الطيب وعبد القادر عودة ومحمد فرغل ونفذ الحكم فعلا . كما صدر الحكم بإعدام حسن المصيصي . ثم خفف الحكم إلى الأشغال الشاقة المؤبدة ، ثم حكم على سبعة آخرين بالأشغال الشاقة المؤبدة .

وهكذا ومع وصول الصدام الأول بين الثورة والإخوان إلى نهايته الدرامية هذه ، كانت الأوضاع في مصر قد تحددت تماما ، فعزلت محمد نجيب من رئاسة الجمهورية ، وتم حل جميع الأحزاب السياسية ، بما فيهم الإخوان ، ووجود قيادتها داخل السجن ، وأغلقت جريدة المصرى ، والتي لعبت دورا كبيرا في أزمة مارس ١٩٥٤م ، وفشلت محاولات الانقلاب العسكرى وإنهاء التنظيمات العسكرية المستقلة أو التابعة للقوى السياسية الخارجية داخل الجيش ، ثم حلت مجالس نقابات الصحفيين وعينت لهم لجان مؤقتة موالية لمجلس قيادة الثورة ، وأخيراً حلت جماعة الإخوان المسلمين ، واستقرت الأوضاع تماماً للنظام السياسى الجديد ^(١) .

مدخل إلى الوثائق :

والآن وبعد أن إتضحت الرؤى أو كادت بالنسبة لصدام ١٩٥٤م بين عبد الناصر والإخوان ، بقى أن نستمع إلى ملخص الوثائق التاريخية التى تروى وقائع هذا الصدام ، بقى أن نستمع إلى ملخص النصوص للمحاكمات التى تمت للإخوان المسلمين عام ١٩٥٤م والتى سميت في حينها (بمحكمة الشعب) .

* إننا نوردها هنا كاملة ملخصة وبحققة تاريخيا وعلميا وسياسيا ، محاولين في هذا أن نقدم التاريخ كما حدث بالفعل وليس كما أريد لنا أن نعرفه ، سواء من (أجهزة الثورة) أو كتاب (الإخوان المسلمين) ، فكلما الطرفين أراد أن ينسب الحق إلى نفسه ، وأن يسيء إلى الطرف الآخر بقدر المستطاع ، وأن يظهره في موقف المزييف للحقائق وللوقائع التاريخية .

* ونحن نريد هنا أن نختلف مع الاثنين بشأن ، (الحقيقة التاريخية) ذاتها ، إننا هنا نحاول أن نعيد تقديم الوثائق التى قدمت من قبل سواء تحت مسمى (محكمة الشعب) والتى صدرت في ٧ أجزاء شعبية متوسطة الصفحات ، دعائية التوجه ، ومنحازة من أول صفحة إلى منتهاها إلى طرف واحد كانت بيده السلطة آنذاك ، هو عبد الناصر ورفاقه ، إننا نحاول أن ننقى

(١) يذهب صلاح عيسى إلى القول بأن السلوك السياسى للإخوان المسلمين خلال هذه المرحلة (١٩٥٣م - ١٩٥٤م) هو الذى دفع بعبد الناصر إلى التخلص منهم ، بل إلى أن يصير ديكتاتورا كما وصفوه : انظر صلاح عيسى : الإخوان المسلمين : من المسئول عن ديكتاتورية عبد الناصر ؟ جريدة الهدف الكويتية بتاريخ ١٩٧٧/٦/٣٠ .

هذه الوثائق وتحققها من أصولها بالفعل هذا من ناحية . ومن ناحية ثانية نحاول أن ننقى هذه الوثائق من الإتهامات العنيفة (والعاطفية) التي صدرت على شكل كتب وروايات ومقالات ودراسات متفرقة للإخوان المسلمين وبخاصة في السبعينات والثمانينات من هذا القرن .

✽ إن ما نحاوله هنا ، هو أن نورد التحقيقات .. والمحاکمات والأحكام كما وقعت بالفعل ، وليس كما أريد لها أن تقع (وفقا لما نشر من قبل الطرفين) تلك هي مهمة هذا الكتاب . والتي نطمح أن يكون قد حققها .

ملحق الفصل الرابع الوثائق تتحدث عن صدام ١٩٥٤م

(١) ملخص التحقيقات مع :

حسن إسماعيل الهضيبي مستشار سابق ومرشد الإخوان

- ١ - أحداث فتنه دامية لقلب نظام الحكم بالقوة
- ٢ - تنظيم جهاز سرى مسلح لتنفيذ الانقلاب .

* يمثل الإدعاء في هذه القضية عبد الرحمن صالح ومصطفى الهلباوى وعلى نور الدين .
(المؤلف) .

المحاكمة فى سطور

* بدأت محاكمة حسن إسماعيل الهضيبي في الساعة العاشرة والنصف من صباح الإثنين ٢٢ نوفمبر سنة ١٩٥٤م .

* استمرت محاكمته خمس جلسات حيث إنتهت في الساعة الثالثة والدقيقة الخامسة والخمسين مساء الخميس ٢٥ نوفمبر سنة ١٩٥٤م .

* استمعت المحكمة إلى ثمانية من شهود الإثبات .

* صدر الحكم في صباح السبت ٤ ديسمبر سنة ١٩٥٤م .

أجمع الشهود في قضية حسن الهضيبي وهم من كبار رجالات الإخوان على ما يأتي :
* المرشد هو المستول الأول عن الجهاز السرى وقد سحب السلطة من مكتب الإرشاد لينفرد بها .

* الجهاز السرى كان يراقب الإخوان المعارضين للهضيبي .

* حسن الهضيبي لم يوافق الحكومة على حل الجهاز السرى .

* في منزل الشيخ فرغلى دهرت فكرة المظاهرة المسلحة في إجتماع شهده يوسف طلعت



حسن إسماعيل الهضيبي .

فائز الإحسان في حازت ١٩٥٤

وصلاح شادى .

- * الشيخ فرغلى «الشاهد الثالث» يعترف للمحكمة بأنه لم يقرأ إتفاقية الجلاء .
- * طالب الإخوان بفرض وصاتهم على الثورة وحاولوا التدخل فى المحاكمات العسكرية .
- * وافق الإخوان على فترة الإنتقال وتأجيل إعادة الحياة النيابية .
- * أمر المضيى بصرف ١٨٠ جنيتها فوراً لشراء مطبعة رونيو حديثة لطبع المنشورات .
- * يوسف طلعت يروى قصة الجهاز السرى الرهيب فى صراحة ويقر أنه مخترع الحزام الناسف .

* عبد المنعم عبد الرؤوف وضع خطة كاملة لإحتلال مجلس الوزراء .

* المضيى لم يطلب من يوسف طلعت حل الجهاز السرى .

* لم يجد الإخوان فى حرب فلسطين قائداً يقود متطوعهم .

محضر الجلسة

الثالثة عشرة لمحكمة الشعب

المنعقدة علناً فى الساعة العاشرة والنصف صباحاً بمقر قيادة الثورة فى الجزيرة يوم الإثنين ٢٢ نوفمبر سنة ١٩٥٤م (الموافق ٢٦ ربيع الأول سنة ١٣٧٤) .

المؤلفة وفقاً للأمر الصادر من مجلس قيادة الثورة بتاريخ أول نوفمبر سنة ١٩٥٤م (الموافق ٥ ربيع الأول سنة ١٣٧٤هـ) بناء على المادة السابعة من الدستور المؤقت .

والمشكل برئاسة قائد الجناح جمال مصطفى سالم عضو مجلس قيادة الثورة وعضوية القائمقام أنور السادات والبكباشى (أ . ح) حسين الشافعى عضوى مجلس قيادة الثورة . وبحضور البكباشى سيد جاد المدعى والأستاذ على نور الدين وكيل أول نهاية أمن الدولة عضوى مكتب التحقيق والإدعاء .

قدمت القضية رقم ٢ سنة ١٩٥٤م محكمة الشعب والمتهم فيها حسن إسماعيل المضيى .

«وقد حضر المتهم ومعه محاميه الأستاذ سامى مازن» .

الرئيس - فتحت الجلسة .. المدعى .. المتهم موجود ؟

البكباشى سيد جاد (المدعى) - أبوه يا أفندم .

الاستاذ سامى مازن (المحامى) - أنا حاضِر مع المتهم بس لو سمحتم لى طلب أتقدم به لحضراتكم ..

الرئيس - بس لما نقرأ الإدعاء أولاً .

اسم المتهم حسن إسماعيل الهضيبى والإدعاء :

وأنى أفعلاً ضد نظام الحكم الحاضر وضد سلامة الوطن فى الداخل والخارج وذلك أنه فى ٢٦ أكتوبر سنة ١٩٥٤ وما قبله بمديتى القاهرة والاسكندرية .

أولاً : أدار مع آخرين إتفاقاً جنائياً الغرض منه إحداث فتنة دامية لقلب نظام الحكم بالقوة وذلك بأن وضع خطة شاملة للقيام بإغتيالات واسعة النطاق ، وإرتكاب عمليات تدمير بالغة الخطورة وتخريب شامل فى جميع أنحاء البلاد تمهيداً لإستيلاء الجماعة التى يرأسها على مقاعد الحكم بالقوة .

ثانياً : نظم جهاز سرياً مسلحاً يخضع لرياسته ويأتمر بأمره مخالفاً بذلك قوانين الدولة . وأعد هذا الجهاز لتنفيذ الإنقلاب الذى دبره .

فهل أنت مذنب أو غير مذنب ؟

المتهم - غير مذنب .

الرئيس - الدفاع كان عاجز يقول حاجة ؟

الاستاذ سامى مازن (الدفاع) - لقد بذلت ما وسعنى الجهد لأحضر مستعدا ولكنى لم أستطع لأنى أمضيت إلى الساعة الثانية والنصف بعد الظهر فى السجن الحرقى والوقت لم يتسع للإطلاع فإذا سمحتم لى بالأجل الذى يسمح به أمر تشكيل المحكمة فأنى أكون شاكراً .

(مداولة قصيرة بين أفراد هيئة المحكمة) .

الرئيس - المحكمة تأسف لعدم إجابة الدفاع لهذا الطلب لأن هناك شهوداً كثيرون ويمكن فى خلال فترة سماع الشهود أن يستعد الدفاع والان نسمع الشاهد الأول .

البكباشى سيد جاد (المدعى) - الشاهد محمد محمد محيس حميده .

« حضر الشاهد »

الشاهد الأول

محمد خميس حميده

تحدث خميس حميدة أمام محكمة الشعب حديثاً إستغرق ثلاث ساعات وكان يحاول دائماً أن ينفي عن نفسه كل إتهام ويحملة لغيره من رجالات الإخوان . وكان مع ذلك يدور ويلف في حديثه ورغم ذلك كله ذكر عدة حقائق :

* فقال إن المضيبي لم يكن من الجماعة وبجيبه مرشداً لم يكن قانونياً .

* وقال أنه طلب من يوسف طلعت عدم توزيع منشورات ضد الحكومة فرد عليه يوسف طلعت بقوله : « أنا لا أتلقى الأوامر منك ولكن أتلقاها من المرشد مباشرة » .

* وقال أنه كان يتمنى أن يظل صيدلياً كما هو ولا ينضم للإخوان .

* وقال إن المضيبي إختفى إلى أن يقع حادث .

* وقال إن الإخوان لم يدخلوا الوزارة بعد الثورة حتى لا يتحدثوا للحكومة متاعب بإشتراكهم في الحكم .

* وقال إن المضيبي منذ إن اختفى كان منفرداً بالسلطة وكان مكتب الإرشاد محروماً من كل السلطات .

الجهاز السري كان يتلقى الأوامر من المرشد مباشرة .

* وقال إن الجهاز السري وضع الإخوان المعارضين لسياسة المضيبي تحت المراقبة فكان يبعث إليهم بخطابات تهديد .

* وقال إن المضيبي كان يعلم بإختفاء عبد المنعم عبد الرؤوف من الحرس .

الرئيس - إسمك إيه ؟

الشاهد - محمد خميس حميده .

الرئيس - صناعتك ؟

الشاهد - صيدلي .

الرئيس - سنك كام سنة ؟

الشاهد - ٤٣ سنة .

«وأقسم الشاهد البين»

البكباشى سيد جاد (المدعى) :

اذكر للمحكمة معلوماتك عن النظام الخاص فى جماعة الإخوان .

الشاهد - كان فى جماعة الإخوان نظام خاص من حوالى سنة ١٩٤٢ أو قبل كده . وظل النظام قائما لغاية سنة ١٩٤٨م و ١٩٤٩م واختير الاستاذ الهضيبى مرشدا والاستاذ عبد القادر عودة وكيلا للجماعة وكان النظام موجوداً فى ذلك الوقت وكان فيه مشكلة حاول الاستاذ عودة بتكليف من المرشد علاج مشكلة النظام الخاص . فلم يتيسر له علاجها وبعد فترة أرسل لى الاستاذ الهضيبى وأخبرنى بأن النظام فيه مشكلة وبسببه للدعوة مشاكل وتوليت أنا وعبد العزيز كامل وحسين كمال الدين علاج ذلك . فاقترحنا حلاً للمشكلة وهو توحيد فكرة الجماعة واختير للنظام فى ذلك الوقت الأخ حلمى عبد المجيد مهمته أن يزبل الثنائية من الجماعة حتى تأخذ الجماعة كلها طابع واحد وإنتهت المهمة كلها عند ذلك الحد ورجعت المنصورة .

وفى فبراير ١٩٥٣م جيت القاهرة وانتدبت نائب مرشداً فوجدت الحالة متحسنتش والإضطراب قائم فى صفوف الجماعة وكان هناك أخ اسمه عبد الرحمن سندى هو المسئول فى المدة دى كلها عن النظام من يوم ما أنشئ فقلت له أن الإضطراب قائم وأن الوضع أصبح غير صحيح للجماعة وأنه لم يعد هناك ضرورة للنظام السرى بعد أن إيجح التدريب العسكرى وإنه يستحسن أن الإخوان يشتغلوا فى المحيط العام فوافقنى على ذلك ، وكان هناك خلاف بينه وبين الهضيبى ومشيت الأمور مدة شهر أو شهرين وبعدين جه عبد الرحمن السندى وقال لى : إن الفكرة أن نسير بالنظام إلى أن يأخذ الوضع الطبيعى ولكنى خشيت أن المرشد يعمل نظام جديد فى الجماعة فى حين أننا إتفقنا عل أن نسير بالنظام إلى الحل . فسألت الهضيبى عن ذلك فقال : أبداً ، وبعد كده عبد الرحمن السندى قال لى أنه لا يمكنه التعاون مع المرشد وتنحى واختير يوسف طلعت ليسير بالنظام إلى الوضع الطبيعى وده كان فى نوفمبر سنة ١٩٥٣م .

الاستاذ على نور الدين (المدعى) :

ما هى أسباب الخلاف بين السندى والمرشد ؟

خميس - السندى قال إن المرشد يعمل نظام جديد ومعنى كده أنه مطلوب تنحيته لأن معنى النظام الجديد هو عمل نظام غير النظام اللى كان موجود للسرى فى الحياة الطبيعية .

الرئيس - ما معنى إنشاء نظام جديد ؟

خميس - معنى الإستمرار في تكوين نظام .

الرئيس - ما معنى إنشاء نظام جديد . وما الفرق بينه وبين القديم ؟

خميس - الأفراد الأول ميكونوش هم الأفراد الجدد والقيادة القديمة لا تكون هي القيادة الجديدة دى تقريرا المخطوط الرئيسية .

وهذا لأنه قد يكون عبد الرحمن السندى غير خاضع تماما للاستاذ المضيبي . وذلك نظراً لأن هناك بين المضيبي والسندى بعض الأمور منذ عين مرشدا وفيه نفور . فالسندى يرى أن المضيبي مكش يجب يكون مرشداً لأنه مش من تشكيلات الجماعة ده تقديره .

الرئيس - الأسباب أية ؟

خميس - المضيبي لم يكن من الجماعة وبجبهه لم يكن قانونيا .

الرئيس - لما عملتم لجنة لحل الإشكال وجدتم إيه ؟

خميس - وجدنا فريقين فريق يرى أن لا داعى الآن لهذا الوضع ولا النظام السرى ولا (التشكيلات) ويكفى التربية المتكاملة ، وفريق يرى أن وجود الجهاز السرى لا مانع منه ولما يحصل حاجة يبقى أعضاء الجهاز السرى ، وإن التربية المتكاملة معناها أن الجماعة تنازلت عن فكرة الجهاد .

الرئيس - ما السبب الذى جعل الفريق الأول يدعو إلى حل الجهاز ؟

خميس - اللخبطة والحوادث الى حصلت وخوفا من إن شابا يتورط في عمل ويعرض الجماعة للهزات ، وعلى كل حال ياريتى فضلت في إجزاعتى صيدلى بعيدا عن كل ذلك كان يبقى أحسن .

أخطأنا وقصرنا

الاستاذ على نور الدين (المدعى) :

إليه الإجراءات التى عملتها لضمان تنفيذ القرارات بالنسبة للأسلحة .

خميس - كان يجب حصر الأسلحة ، وإحنا أخطأنا وقصرنا في هذا ولم نعمله . واللجنة دى كانت قبل قيام الثورة فكنا رايحين نقدم الأسلحة لمين . فلما قامت الثورة إعتبرنا كل ما عندنا للثورة من رجال ومن أسلحة ، وما زلنا نعتبر هذا .

يوسف طلعت

الاستاذ على نور الدين (المدعى) :
من هم المسئولون ؟

خميس - يوسف طلعت وصلاح شادى مع الاستاذ الهضيبي .

الاستاذ على نور الدين (المدعى) :
إيه علاقة يوسف طلعت بالمرشد ؟

خميس - مسئول عن النظام ويتبع المرشد مباشرة .

الاستاذ على نور الدين (المدعى) :
كيف اختاره لهذه العملية ؟

خميس - بعد تنحى السندى ومن معه يوسف كان معروف إنه راح فلسطين ومعروف فى النظام فالمرشد. سألتنى فيه وسأل بعض الإخوان فيه وفى الوقت نفسه قلنا مفيش مائع إنه يكون بدل السندى واختير يوسف طلعت .

الاستاذ على نور الدين (المدعى) :
ما هى القواعد المنظمة للجهاز ؟

خميس - النظام هيئة تتبع المرشد مباشرة .

الاستاذ على نور الدين (المدعى) :
والأوامر تصدر له من مين .

خميس - من المرشد مباشرة .

أجازة للمرشد

الاستاذ على نور الدين (المدعى) :

إنت قلت إن يوسف طلعت بدأ يعمل تشكيلات ، مفهوم من هذا إنك عرفت إن النظام ينظم من جديد ولا يصفى . ماذا عملت ؟

خميس - فعلا الأوضاع بدأت تتعب . وحينما وكلنا بهذا وكانت الشكاوى كثيرة من النظام فقام فريق من الإخوان أعضاء الهيئة التأسيسية ووقعوا عريضة بضرورة تصحيح هذه الأوضاع واعتبار المرشد فى أجازة وضم الإخوان المفسولين وحل النظام السرى وتكوين مكتب إرشاد

جديد ووقع على العريضة ٧٠ عضواً .

الاستاذ على نور الدين (المدعى) :

ليه اعطيتموه أجازة ؟

خميس - علشان انه مختفى .

الاستاذ على نور الدين (المدعى) :

المرشد وضعه إيه بالنسبة للحالة دى ؟

خميس - المرشد متصل بالنظام السرى الجديد طبعاً .

الاستاذ على نور الدين (المدعى) : إزاي ؟

خميس - لما المرشد إختفى . اختفى معه يوسف طلعت وصلاح شادى فالحالة اضطربت
وكان إحساسنا إن فيه تشكيلات .

الاستاذ على نور الدين (المدعى) :

استنتجتم إيه من الإختفاء ؟

خميس - استنتجنا لخبطة .

الاستاذ على نور الدين (المدعى) : وضع ؟

خميس - منشورات تنزل من غير ما نعرف . واخوان اختفوا مش عارفين ليه واضطراب
عام .

وفى غياب المرشد صدر العدد (١١) من نشرات الإخوان فى المعركة (١) وأنا كنت
قابلت رئيس الوزارة بعد العدد العاشر وقررت أنا والإخوان عدم إصدار هذه النشرة وأنا
أرسلت لأحمد حسنين وهو أخ قديم وفى النظام السرى وقلت له أوقف إصدار هذه النشرة .
وبعد ذلك فوجئت بأن العدد (١١) نزل للإخوان فأنا قلت ليوسف طلعت إزاي العدد ده
ينزل فقال : أنا آخذ أوامر من حسن الهضيبي وليس منك . قلت له المرشد مش هنا الآن ،
فقال : إنه يتصل به فى سوريا .

تعيين المرشد

الاستاذ سامى مازن (المحامى) :

متى عين الهضيبي مرشداً ؟ أذكر لنا كل الظروف ؟

خميس - لما طلعنا من المعتقلات علمنا أن بعض الإخوان يرشحون المضيبي مرشداً لأنهم كانوا يعرفونه من قبل وأحلوا رأيي فقلت لا أعرفه وليس من الجماعة ، فقالوا ده راجل طيب ومستشار ووجوده يعطى فكرة كويسة عن الإخوان . فقلنا : لا لما يخرج باقى المعتقلين . ولما خرجوا اخترناه وكلمناه فرفض ، ثم اشترط أن يكون معه الاستاذ عبد القادر عودة وكيلاً .

فى تشكيل الوزارة طلب السيد الرئيس من الإخوان ترشيح بعض إخوان وزراء وكنا بالنهار فرشحنا ثلاثة هم منير الدله وحسن العشماوى والشيخ الباقورى . ويظهر حسن العشماوى لم توافق عليه القيادة لأنه صغير السن هو ومنير الدله ، فجاء بالليل وقال : ما فيش داعى ندخل الوزارة .

الرئيس - من اللى قال كده ؟

خميس - مكتب الإرشاد بالليل .

الرئيس - اللى رشح الوزراء مين ؟

خميس - الاستاذ المرشد .

الرئيس - دون الرجوع إلى المكتب ؟

خميس - أيوه . ويعدين المكتب رفض دخول الوزارة . « باب المنشورات والمستندات » .

الاستاذ مازن (المحامى) :

ده الوزارة اللى طالبة منكم وزراء .

خميس - وجود إخوان فى الوزارة قد يثير بعض الناس ويسبب مشاكل للحكومة .

الإخوان والحكومة

خميس - الإخوان فريقين فريق يرى أن التفاهم مع الحكومة ممكن وفريق يرى عدم إمكان ذلك .

الاستاذ سامى مازن (المحامى) :

والفريق الذى يرى عدم التعاون يرى إليه ؟

خميس - الموقف السلبى .

الاستاذ سامى مازن (المحامى) :

والمرشد رأيه إليه .

خميس - رأيه إنه شايف إن مفيش تفاهم سيتم .

الاستاذ سامى مازن (المحامى) :

هل ذهبت إلى المرشد إنت وعبد الرحمن البنا وكلمته فى هذا الشأن ؟

خميس - والاستاذ عبد الرحمن البنا قال إنه يقابل الصاغ صلاح سالم وإنه يرى إن الخلافات بين الإخوان والثورة يمكن تسويتها .

الرئيس - خلاف إيه ؟ الحكومة بتعمل حاجات . إنتم مش موافقين على إيه ؟

خميس - حل الإخوان .

الرئيس - الإخوان إنخلت ورجعت .

خميس - الإفراج عن بعض الضباط .

الرئيس - إيه سلطتكم يا جماعة إنكم تقفوا فى وجه القوات المسلحة وتطلبوا عدم محاكمة الإخوان .

خميس - لم يكن لنا الرجاء .

الرئيس - رجاء إيه ؟

خميس - العفو عن الضباط الذين اعتقلوا بسبب الإخوان .

الرئيس كان ده إمتى ؟

خميس - فى إبريل سنة ١٩٥٤م .

الرئيس - وفى مايو سنة ١٩٥٣م طلبت منكم الحكومة إيه ؟

خميس - حل الجهاز السرى فى الجيش والبوليس .

الرئيس - وعلمم إيه ؟

خميس - مفيش .

الرئيس - يبقى الحكومة تعمل إيه ؟

خميس - تحاكم الضباط اللى من الإخوان .

الرئيس - يبقى إزاي كنت بتعمل على إزالة النظام السرى فى الجيش من مايو سنة ١٩٥٣م

وبعدين تيجى فى إبريل سنة ١٩٥٤م تطلب الإفراج عن الضباط اللى فى الجهاز السرى ؟

خميس - كان الوضع كله سيتهى .

الرئيس - إزاي ده ؟

مخيس - كان المطلوب الإفراج عنهم .

الرئيس - ليه ؟ كان غرضكم إيه من هذا ؟ دى النية الوحيدة والظاهرة الوحيدة اللى أظهرتموها فى خطة حل الجهاز إنكم تطلبوا الإفراج عن الضباط وإنكم تعيدوا التنظيم . وإنكم تعينوا يوسف طلعت رئيس له ثم عدم تلبية أى دعوة للحكومة فى الإجراءات التى طلبتها منكم . إيه كان . تكلم عن الموقف الإيجابي والا عايز تتكلم عن الموقف السلبي . عن المشورات ضد الإنفاقية مع إنكم كنتم صالين معاهدة سرية لتحتل إنجلترا البلاد فى حالة خطر الحرب وإنكم عايزين الإنجليز يقعدوا كخبراء بملابس عسكرية . دى السلبية ؟ إنكلم يا أخى .

الرئيس - لما قابلت الرئيس جمال عبد الناصر إيه الكلام اللى قلته بخصوص النظام السرى فى الإخوان ؟

الشاهد - الرئيس قال إنتم عندكم تشكيلات فى الجيش وفى البوليس ودى يجب ماتكنش موجودة وكان النظام كله .

الرئيس - ليه ؟

الشاهد - لأن وجوده يؤدى إلى خطورة وفوضى وإضطراب فى البلاد وما يصحش فعلا يكون موجود . وأنا قلت هذا فعلا .

الرئيس - ماذا كان جواب المرشد عندما أبلغته هذا ؟ وهل عرض الأمر على مكتب الإرشاد ؟
الشاهد - كان موافق - ولم يعرض الأمر على مكتب الإرشاد ولكن كل اللى حصل علمه المكتب .

الرئيس - ما اتخذتوش أى إجراء لتنفيذ الحل ؟

الشاهد - لا لم يتخذ أى إجراء .

مكتب الإرشاد والجهاز السرى

الرئيس - مكتب الإرشاد يعلم بوجود جهاز سرى أو لا يعلم ؟

الشاهد - يعلم .

الرئيس - يعلم أنه برياسة مين ؟

الشاهد - يوسف طلعت وإن المسئول عن هذا الجهاز هو المرشد العام .

الرئيس - وهل يعلم مكتب الإرشاد أن هذا الجهاز تحت يده أسلحة ؟

الشاهد - يعلم أن في يده أسلحة .

الرئيس - هل يعلم مكتب الإرشاد أن هذا الجهاز السرى الذى تحت يده أسلحة طلبت الحكومة إلقائه ؟

الشاهد - أيوه يعلم .

الرئيس - ما الإجراء الذى اتخذته المكتب ضد رياسة الجهاز والمرشد لتنفيذ طلب الحكومة بإلغاء هذا النظام السرى ؟

الشاهد - لم يتخذ أى إجراء .

الشاهد الثانى

محمد محمد فرغلى

الرئيس - الشاهد جاهز ؟

البكباشى سيد جاد (المدعى) :

أيوه يا أفندم .. محمد محمد فرغلى .

حضر الشاهد

الرئيس - إستمك إيه ؟

الشاهد - محمد محمد فرغلى .

الرئيس - صناعتك ؟

الشاهد - واعظ . بالإسماعيلية .

الرئيس سنك ؟

الشاهد - ٤٧ سنة .

« وأقسم الشاهد البين »

تحدث محمد فرغلى أمام محكمة الشعب حديثا استغرق ساعتين ونصف وكان هادئا فى كلامه تعلق وجهه صفرة ظاهرة ويتملكه خوف واضح ممزوج بالحسرة والندم . وفى وسط هذه المشاعر كلها أدلى بحقائق رهيبة تتفق ومركزه فى جماعة الإخوان :

* فقال إن المرشد هو الذى إختار يوسف طلعت رئيساً للجهاز السرى لسابق معرفته به ولأن يوسف كان بين الذين عرضوا على المضيى منصب المرشد وسافر إلى الاسكندرية لمقابلته

لهذا الغرض .

* وقال أن المرشد لم يطلع مكتب الإرشاد على تفصيلات وإتصالاته بالإنجليز أثناء المفاوضات .

* وقال إن يوسف طلعت سافر أكثر من مرة إلى الاسكندرية واجتمع بالمهضيي .

* وقال أنه ليس من حق أى عضو من أعضاء الجهاز السرى التوقف عن العمل بإرادته وإن الغرض من إخراج السندى لم يكن تصفية النظام بل إحلال آخر محله يكون أكثر حضوعا وطواعية للمرشد .

* وقال إن يوسف طلعت إقترح فى حديث بينه وبين صلاح شادى تنظيم مظاهرة مسلحة لمقاومة الإنفاقية ووافق صلاح شادى على ذلك .

* وقال ان حسن المهضيي رفض القيام بأى إجراء لحل الجهاز السرى .

* وقال إن المرشد هو الذى قرر موقف الإخوان من الإنفاقية دون علم مكتب الإرشاد .

* وقال إنه لم يقرأ نص إتفاقية الجلاء وإنما قرأ نقطتها الرئيسية فقط وليس له أى اعتراض عليها .

* وقال إن المقصور من معارضة الإنفاقية إنما كان مجر المعارضة فقط .

الاستاذ على نور الدين (المدعى) :

ما هى معلوماتك عن النظام السرى فى جماعة الإخوان المسلمين ؟

الشاهد - النظام فى جماعة الإخوان موجود من قديم فى عهد الإمام الشهيد حسن البنا وعرضه أعداد بعض شباب الإخوان لمكافحة الإستعمار والجهاد فى سبيل الله إذا اقتضى الأمر ذلك ولا يزال هذا النظام موجوداً فى الجماعة ويرأسه فى الفترة الأخيرة يوسف طلعت يعاونه آخرون وهذا النظام يتبع المرشد العام رأساً وليس من الأوضاع التى تخضع لمكتب الإرشاد .

وكان هذا النظام مرعوسا لعبد الرحمن السندى ثم إختلف عبد الرحمن السندى مع المرشد فى شأن قيام النظام فى الجماعة وكان الاستاذ المهضيي لا يريد وجود النظام واختلف مع السندى ثم تخلى السندى وتولى الأمر محمود الصباغ وتخلّى إلى أن اختار المرشد يوسف طلعت بناء على معرفة وطيدة بينه وبين المرشد ولأن يوسف من الإخوان الذين سعوا فى إختيار المرشد وسافر إلى الاسكندرية أكثر من مرة لإقناعه بقبول منصب الإرشاد وسعى لدى كثيرين

ليقبلوا ترشيحه للمنصب والمرشد يعرفه معرفة كاملة . ويوسف معروف من عهد الإمام الشهيد .

أسباب الخلاف

والمرشد كان لا يريد قيام النظام ولكن السندى بإعتباره أول من كون النظام ويؤمن به ويتعصب له هو ومن معه من الشباب فوقف وقال لابد من بقاء النظام وإستمراره . ولما قبل المرشد بقاء النظام حدثت خلافات فى العمل فقد كان المفروض خضوعه خضوعا كاملا للمرشد والسندى كان يرى فى نفسه سلطة عليا فكان يخرج عليه .

وقد وجه المدعى العام عدة أسئلة إلى الشاهد فأجاب عنها بالآتى :

* سئلت عن يوسف طلعت عند اختيارى بإعتبارى رئيس منطقة الإسماعيلية ويوسف عضو ووافقت .

* كان يعاون يوسف طلعت أحمد حسنين وإبراهيم الطيب والأول إختصاصه الأقاليم والثانى القاهرة .

* فيه تشكيلة خاصة بالبوليس برئاسة صلاح شادى وتشكيلة فى الجيش برئاسة أبو المكارم عبد الحمى .

* أنا وخميس لنا صلة بالنظام وليس فى إدارته ولا فى توجيهه ولكنها صلة بدأت عند الخلاف بين السندى والمرشد وكان وضعنا استشارى ولما إنتهى السندى إنتهت مهمتنا فى شأن النظام .

إخراج السندى

الاستاذ على نور الدين (المدعى) :

كيف اخرج السندى من رئاسة النظام السرى ؟

فرغلى - لخلافاته مع المرشد ..

الاستاذ على نور الدين (المدعى) :

استقال أو اقبل ؟

فرغلى - لما كانت خلافاته مع المرشد .. والناس الى تدخلوا رأوا أنه مفيش جدوى من إستمرار الحال والمرشد إنتهى إلى أنه لا يمكن بقاء السندى .. فلما علم السندى بهذا تنحى .

الاستاذ على نور الدين (المحامى) :

ألم يتقرر فصله ؟

فرغلى - لم يصدر قرار بفصله . ولكنه عندما علم أن مغيث مجال لبقائه فضل أن يتنحى حتى لا يواجه قرار الفصل .

الاستاذ على نور الدين (المدعى) :

هل فصل بعد ذلك من الجماعة ؟

فرغلى - نعم . فصل من الجماعة ومعه ثلاثة آخرون من أعوانه .

الاستاذ على نور الدين (المحامي) :

إذن كان فصل السندى أو إخراجهم من النظام ليس بالفرض منه تصفية النظام ؟

فرغلى - لا . بل ليحل محله آخر من النظام .

مجلس الجهاد الأعلى

الاستاذ على نور الدين (المدعى) :

يوسف طلعت يقرر أنه توجد لجنة عليا إسمها مجلس الجهاد الأعلى للنظام الخاص . وأن

هذه اللجنة أنت أحد أعضائها .

فرغلى - أنا لا أعلم أن هناك لجنة عليا بهذا الاسم ولست عضوا فيها ..

الاستاذ على نور الدين (المدعى) :

ألم يكن يوسف طلعت يقضى بعض أيام فى منزلك بعمارة وهبه ؟

فرغلى - لا ماكنش يقضى بعض أيام ، وإنما كان يتردد فقط .

الاستاذ على نور الدين (المدعى) :

آخر مرة كانت إمتى ؟

فرغلى - آخر مرة كانت بعد أن اختفى بأيام .. وجاء آخر مرة لأنه كان له بعض حاجات .

وكان يريد أن يرسل لأولاده فلوس . فأعطاني عشرة جنيهات بإعتبار أن منزلى بالإسماعيلية

وكان هو يقوم بإدارة قطعة أرض فى الإسماعيلية فقال لى أنه مش حورجع لى الأرض بعد

كله وكان معاه سيارة وقال إنها تركها بالإسماعيلية فكلف أحد من الإخوان يتصرف فيها

أو يسلمها للمركز العام ودا كان خلال شهر أغسطس .

الاستاذ على نور الدين (المدعى) :

ألم يحضر لى منزلك صلاح شادى وأبو المكارم ومحمود عبده أثناء وجود يوسف طلعت

وقد درستم موقف الإخوان من الحكومة ؟

فرغلى - بهذه الصورة لم يحدث . والى حصل إنهم كانوا يترددوا عندى فى بعض الأحيان والكلام فى موقف الإخوان من الحكومة كان دائماً بين الإخوان عامة لأن الخلاف كان معروفاً واتعب نفوس الإخوان وكان حديثهم فى الشهور الأخيرة .

الاستاذ على نور الدين (المدعى) :

ألم يقترح يوسف طلعت فى هذا الإجتماع تنظيم مظاهرة مسلحة لمقاومة الإخوان للحكومة ؟

فرغلى - اذكر أن يوسف طلعت وهو يتحدث مع صلاح شادى عن معارضة الإتفاقية وطريقة المعارضة وإيقاف توقيعها قال يوسف أنه يستطيع عمل مظاهرة شعبية مسلحة ووافق صلاح شادى على ذلك .

الاستاذ على نور الدين (المدعى) :

هل الجهاز السرى مسلح ؟

فرغلى - النظام له أسلحة موزعة فى الجهات .

الرئيس - جهاز سرى فى الدولة ومسلح ده مخالف للقوانين أو متفق معها ؟
فرغلى - مخالف .

الرئيس - مين اللى على رأس هذا الجهاز المسلح ؟
فرغلى - يوسف طلعت .

الرئيس - ويوسف يأتمر بأمر مين ؟
فرغلى - المرشد .

حل الجهاز السرى

الرئيس - يعنى جهاز سرى مسلح مكتب الإرشاد لا يعلم عنه شىء ورياسة الجهاز المطلقة لحسن الهضبي والحكومة طالبت بحل الجهاز وكنت أنت بين الذين طالبتهم الحكومة . هل أبلغت هذا الطلب إلى المرشد ؟
فرغلى - نعم .

الرئيس - كان رده ليه ؟

فرغلى - قال المسائل دى عايزه وقت . وقال إن اللى فى الجيش جماعة مؤمنين بالفكرة وليسوا فى الجهاز وليس لهم نشاط . أما المدينون فدخل متعصبين للفكرة ومش من السهل إقناعهم بسهولة والمسألة عايزة وقت طويل .

إختفاء المرشد

الاستاذ على نور الدين (المدعى) :

إليه سبب إختفاء المرشد ؟

فرغلى - المرشد قال لبعض الإخوان إنه يخشى على نفسه الاغتيال وإنه اختفى حتى لا يحمل الجماعة تبعه ذلك ومن جانب آخر يعطى الإخوان الذين يريدون التفاهم مع الحكومة فرصة التفاهم .

الاستاذ على نور الدين (المدعى) :

متى إختفى يوسف طلعت وصلاح شادى وإيه الأسباب ؟

فرغلى - يوسف طلعت إختفى قبل إختفاء المرشد بفترة وجيزة وصلاح شادى إختفى مع المرشد فى نفس الوقت وأنا كنت حائر فى أسباب هذا الإختفاء .

الاستاذ على نور الدين (المدعى) :

من أى ناحية لم تكن مرتاحاً ؟

فرغلى - لأن الجماعة كانت تمر بفترة حرجة فى الداخل للخلافات بين الإخوان خارج الجماعة بسبب الخلاف بين الإخوان والحكومة .

المنشورات

الاستاذ على نور الدين (المدعى) :

المنشورات توالى فى فترة إختفاء المرشد فما تعليل ذلك ؟

فرغلى - ربما أن هذا ترتب على إحتجاب المجلة .

الرئيس - مجلة إيه ؟

فرغلى - مجلة الإخوان المسلمين .

الرئيس - كانت مجلة أو جريدة ؟

فرغلى - جريدة الإخوان المسلمين الأسبوعية .

الرئيس - وإيه اللى وقفها ؟

فرغلى - رئيس التحرير قدم تقريراً لمكتب الإرشاد قال فيه إنه لا يستطيع نشر رأى الجماعة .

الرئيس - فى إيه ؟

فرغلى - فى المسائل السياسية وغيرها .

الرئيس - إيه رأى ده ؟

فرغلى - رأى الامتاز الهضيبى فى الإتفاقيه لم يسمح بنشره .

الرئيس : ما هو هذا البيان ؟

فرغلى : البيان عرض علينا بعد إعداده وكان بعد الإتفاقيه وقد بين أضرارها .

الرئيس - بإعتبارك أحد واضعى البيان قول لنا فيه إيه .

فرغلى - البيان ينتقد رجوع الجيوش إلى البلاد العربيه فى حالة ...

الرئيس الى ينتقد مش ينتقد بالمقارنه بين فكرته وما تم عليه العمل أو بالمقارنه للمثل العليا .

فرغلى - بالنسبة للحق الكامل للبلاد .

الرئيس - يعنى المثاليه ؟

فرغلى - أيوه .

الرئيس - هل يجوز لشخص أن ينتقد أمرا سبق إن أبدى فيه رأيا بالموافقه على أقل مما إنتهى

إليه هذا الأمر ؟

فرغلى - لا .

الرئيس - هل تعلم الأسس التى قبلها الهضيبى من الإنجليز للإتفاقيه ؟

فرغلى - عندى علم بمقابله المرشد للمستشار الإنجليزى وسمعت أن المستشار عرض ما يمكن

للإنجليز قبوله كأساس للإتفاق .

الرئيس - وبعدين الهضيبى لما قابل جمال عبد الناصر قال له إيه ؟

فرغلى - عرض على الرئيس جمال تقريراً عن مقابلة للمستشار فى مقابلتين .

الرئيس وبعدين تم إيه كعرض أو ك رأى للهضيبى نيابة عن الإخوان فى موضوع الإتفاق

مع الإنجليز ؟ دى نقط محدده .

فرغلى - والله أنا مش متذكر . واللى قيل لنا أن المقابلة كانت موضع إرتياح من الرئيس

وزملائه .

الرئيس - وبناء على ما قيل وما لا تذكره تكتب بيان تعرض فيه الإتفاقيه ده كلام يقبله

العقل ؟

فرغلى - المسأله لم تعرض علينا كقواعد يقبلها الإخوان .

الرئيس - وإنما عرضت عليكم الإتفاقية كقواعد يتقدها الإخوان . ألا تعلم أن المضيبي قبل الآن :

أولاً - وجود القاعدة . ثانياً - وفيها إنجليز عسكريين . ثالثاً - معاهدة سرية لعودة الإنجليز لإحتلال مصر في حالة خطر الحرب .
فرغلي - أنا لا أعلم ذلك .

الرئيس - ولا تعلم أن الرئيس جمال قال إننا لا نقبل هذه الأسس ؟
فرغلي - لا .

الرئيس - كيف تسمح لنفسك بالتوقيع على البيان وأنت تجهل ما وراءه ؟
فرغلي - أنا وافقت على نصه ولا أعلم ما وراءه .

الرئيس - وإلى يوفعه وهو يعلم ما وراءه من المعلومات التي قلتها لك الآن ؟
فرغلي - يبقى غير متفق مع رأيه الأول .

الرئيس - يبقى تضليل .

فرغلي - يبقى تناقض مع رأيه الأول .

فرغلي - نوع من الرأي .

الرئيس - حتى لو كان مخالفا للرأي الأول ؟

فرغلي - جازب عدل عن رأيه الأول .

الرئيس - يعني لما أعطيك قرش تعريفه وتفرح به وأعطيك خمسة جنيه بعدها تفرح أم لا ؟
فرغلي - أفرح .

الرئيس - أو تقول هات عشرة ؟

فرغلي - لا . لأن ده يبقى طمع .

الرئيس - وإلى بطمع في مصالح البلاد دون أن يظهر الحقيقة يبقى أبه ؟

فرغلي - الطمع في مصلحة البلاد .

الرئيس - أنا أقول ويل للمصلين .. إذا كان الطمع مع إخفاء الحقائق يبقى إبه ؟

فرغلي - يبقى إخفاء الحقيقة .

الرئيس - وإلى يخفي الحقيقة لما رب يبقى إبه ؟

فرغلى - ييقى مضلل .

الرئيس - ومكتب الإرشاد كان طامع أو مضلل لما أصدر البيان ؟
فرغلى - المكتب كان مخلصا ولم يكن على علم بالحقائق .

الرئيس هل يصح أن يصدر بيانا وهو على غير علم ؟
فرغلى - المكتب كان خالى الذهن من الأحداث الماضية وهو لا يعلم الغيب .

الرئيس - ييقى الرقابة لما منعت البيان كان ليه يا فضيلة الشيخ ؟
فرغلى - مصلحة البلد .

المهضبي والإنجليز

الرئيس - أنت كعضو مكتب إرشاد علمت أن فيه اتصال بين المهضبي والإنجليز وبين المهضبي
وجمال عبد الناصر . هل عرض عليكم رأيه ؟
فرغلى - فى ذلك الوقت لم أكن عضوا فى المكتب .

الرئيس - ألم تسأل أحدا من الأعضاء إن كانت المسألة عرضت أم لا ؟
فرغلى - لم تعرض كما علمت .

الرئيس - كيف يسمح المهضبي لنفسه بالإنفراد بهذا العمل ؟
فرغلى - كان فيه مجموعة من المكتب معه فى هذا العمل .

الرئيس - أبورقيق مكش فى المكتب ولا منير دله .. مفيش غير حسن العشماوى .
فرغلى - الدكتور خميس كان معاه .

الرئيس - الدكتور خميس بيقول إنه لم يعرض عليه الأمر .
فرغلى - معرفش .

الرئيس : إذن ييقى عرض الأمر على اثنين بس من مكتب الإرشاد . ده كويس ؟
فرغلى - لا .

الرئيس - لماذا تصرف هكذا ؟
فرغلى - جايز أخذ المسألة على عاتقه وحده .

الرئيس - وهل هذا من حقه ؟ أين الشورى ؟ المرشد متهم أمامك أهه ، بص شوفه يمكن
أنت فاكرك إنك لسه بتشهد فى قضية محمود عبد اللطيف . المرشد قاعد متهم عايزين نشوف

هل هو برىء أم لا ، لماذا تنازلتم عن الشورى ؟ هل هو رفض الشورى أم إنكم تنازلتم عنها وتركم له وحده الإتصال بالإنجليز ؟

فرغلى - لو طلب منه مكتب الإرشاد المشورة اعتقد أنه مكش رفض .

الرئيس - ولماذا لم تطلب أنت ؟

فرغلى - مكش عضو .

« لم تقرأ الاتفاقية ،

الرئيس - هل قرأت الاتفاقية ؟

فرغلى - نعم قرأت النصوص فقط .

الرئيس - قرأت ملحقات الاتفاقية ؟

فرغلى - أظن قرأتها .

الرئيس - فين ؟

فرغلى - كانت في صفحة في الجرنال .

الرئيس - ملحقات الاتفاقية كانت في ٣٠٠ صفحة فولسكاب .. قرأتها فين ؟

فرغلى - مش مستقر في ذهني .

الرئيس - اللى مستقر في ذهنك إيه ؟

فرغلى - عندى فكرة .

الرئيس - أسألك فيها أو ترجع تقول مش متذكر ؟

فرغلى - أنا ذاكرتي ضعيفة شوية

الرئيس - بقى ده حال يرضى ربنا ، ده يرضى ربنا معنى ، لا تقرعوا الاتفاقية ولا ملحقاتها .

وتعارضوها ولما نسألکم فيها تقولوا ذاكرتنا ضعيفة .

فرغلى - إحنا لم نهد رأيا في النصوص النهائية والبيان كان خاصا بالنسبة للنصوص الموقعة بالحروف الأولى .

الرئيس - تقدر تقول لى هى إيه ؟

فرغلى - هى الجلاء في عشرين شهرا والإحتفاظ بالقاعدة في حالة صالحة لعودة القنات إذا ،

هوجت البلاد العربية أو تركيا . وإبقاء بعض الفنانين وتكون إدارة القاعدة لشركات إنجليزية أو مصرية ويتسلم الجيش المصرى القواعد .

الرئيس - لى اى الجيش المصرى يتسلمها ولزى تبقى قاعدة إنجليزية ؟
فرغل - القاعدة إحبرت مملوكة لمصر .

الرئيس - والمنشآت الباقية ؟
فرغل - تسلم للجيش المصرى وبعض المنشآت تديرها شركات .

الرئيس - ليه بعض المنشآت ؟
فرغل - مش عارف .

الرئيس - اعترضت على ليه ؟
فرغل - على وجود أمور مطلقة والمفروض إن القاعدة كانت مصر تتسلمها كلها دون تحفظ .

الرئيس - والحاجات بتاعتهم اللى رايحين يخلوها خلال العشرين شهراً ؟
فرغل - طبعاً ، تسلمها مصر خلال المدة .

الرئيس - وما يتبقى بعد ذلك يدبره مين ؟
فرغل - الشركات .

الرئيس - لحساب مين ؟
فرغل - أصحابها .

الرئيس - أصحابها مين ؟
فرغل - تحب مملوكة لمصر ولكن الموجودات ...

الرئيس - موجودات دى فين ؟
فرغل - معروف .

الرئيس - موجودة فى المخازن ؟
فرغل - أبوه .

الرئيس - دى بتاع مين ؟
فرغل - الإنجليز .

الرئيس - تدار لحساب مين ؟
فرغل - الجيش البريطانى لمدة سبع سنين .

الرئيس - وبمدين ؟

فرغلى - تسلم لمصر .

الرئيس - تسلم لمصر أو إليه ؟

فرغلى - مش عارف .

الرئيس - يشيلوها ؟

فرغلى - أيوه .

الرئيس - رأيته إليه فى ده . إليه اللى مش عاجبك فيه ، معترض إليه ؟

فرغلى - مفيش إحتراض ، وكان مقصود بالبيان بيان حق البلد الكامل .

الرئيس - فيه حد فى البلد مش عارف الحق الكامل إليه ؟

فرغلى - معروف . وكان المقصود فائدة المفاوض المصرى فى موقفه من المفاوض الأجنبى .

الرئيس - حتى لو كان صاحب البيان قبل من الإنجليز أقل من ذلك ؟

فرغلى - أنا مكتتش أعرف .

الرئيس - كنت متعرفش . وكنت معتقد إن البيان لمساعدة المفاوض أو لبلبة الأفكار .

فرغلى - شخصيا كنت أرى أن هنا لتأييد المفاوض .

الشاهد الثالث

منير أمين دلة

الرئيس - الشاهد موجود ؟

البكباشى سيد جاد (المدعى) :

أيوه يا أئندم .. منير الدله .

حضر الشاهد ،

الرئيس - إسمك إليه ؟

الشاهد - منير أمين دله .

الرئيس - صناعتك ؟

الشاهد - مستشار مساعد بمجلس الدولة .

الرئيس - سنك كام سنة ؟

« وأقسم الشاهد اليمين »

تحدث منير دلة أمام محكمة الشعب حديثاً طويلاً جاء فيه أنه أكد للمحكمة أنه لا يعلم أن هناك جهاز سرياً في جماعة الإخوان . وكان يتهرب كثيراً من الإجابة بحجة أنه كان مريضاً ومسنافراً . ورغم ذلك كله فقد أدلى بأقوال لا تقل خطورة عما ذكره غيره من أعضاء الجماعة :

* قال إن الإخوان لم يطلبوا العودة للحياة النيابية فوراً . وإن الإخوان ليس لهم برنامج مفصل لنظام الحكم .

* قال إن الشورى هي ركن من أركان الإسلام غير مطبقة تطبيقاً تاماً لا في الحقيقة التأسيسية ولا في مكتب الإرشاد لأن مصدرها الأول هو التعيين .

* وقال إنه ذهب والصاغ صلاح شاذى إلى الرئيس جمال عبد الناصر وطلباً منه أن يعرض عليهما القوانين قبل إصدارها حتى يتأكد التعاون والتفاهم بين الإخوان والحكومة .

* وقال إن الإخوان ليس لهم برنامج لحكم إسلامى وكل هدفهم هو الحكم بالشورى .

لمسرة الإنتقال والحياة النيابية

الاستاذ على نور الدين (المدعى) :

ألم تعترض الجماعة على فترة الإنتقال التي قررت وهي ثلاث سنوات ؟
الدله - لا .. لأنها مدة معقولة لإجراء تطهير سياسى واجتماعى مطلوب للبلاد .

الاستاذ على نور الدين (المدعى) :

وهل فى رأيك أن التطهير السياسى والاجتماعى تم الآن ؟
الدله - فى رأى الشخصى أنه لم يتم بعد .

الاستاذ على نور الدين (المدعى) :

لماذا تطالب جماعة الإخوان المسلمين الآن بعودة الحياة النيابية فوراً ؟
الدله - لا أعلم أنهم طالبوا بإعادة الحياة النيابية فوراً ولا أذكر أن هذا حدث سواء كان كتابة أو شفها أو بأى طريقة من الطرق .

الاستاذ على نور الدين (المدعى) :

هل لجمعية الإخوان برنامج لنظام الحكم ؟

الملك - ليس لجمعية الإخوان برنامج مفصل لنظام الحكم .

الرئيس - نظام جمعية الإخوان نظام شورى أو غير شورى - إسلامى أو غير إسلامى ؟

الدله - الواقع إنه نظام مبنى على الشورى .

الرئيس - هل كنت تعلم بوجود جهاز سرى أو لا تعلم ؟

الدله - لا يمكن أن أحدد .

الرئيس - هل تعرف أن فيه جهاز سرى ؟

الدله - أعرف أن هناك نظاماً خاصاً بوضع معين

الرئيس - يعنى تعرف أن فيه جهاز سرى موجود ؟ وهل هو مسلح أو غير مسلح ؟

الدله - الواقع أنه كان فى وقت فلسطين مسلح .

الرئيس - ملناش دعوة بوقت فلسطين .

الدله - أنا حالياً ما عنديش فكرة عنه .

الرئيس - هل يجوز فى نظام الشورى إنشاء جيش فى الجمعية دون موافقة الجمعية التأسيسية ؟

الدله - لا .

الرئيس - ده النظام اللى كنت تطالب الحكومة به ؟

الدله - فرق بين الدولة والجمعية .

الرئيس - ليه .. إنتم عندكم برلمان من ١٤٧ ومجلس وزراء من ١٥ زى الدولة تماماً .

الدله - لم تحدد صورة للنظام البرلمانى الذى نطلبه وإحتنا ماكتناش راضيين عن نظام الجماعة

وكنا نحاول إصلاح نظام الشورى فى الجمعية خطوة خطوة .

الرئيس - وعائزين الحكومة تنط السور وتعمل نظام نيابى .

جيش الإخوان

الرئيس - هل تتصور أن مجلس وزراء لا يعرف أن فى الدولة جيش ؟

الدله - لا .

الرئيس - كنت تعرف أن عندكم جيش ؟

الدله - لا يا فندم .

الرئيس - عرفت دلوقت أو قبل دلوقت بشوية ؟

الدله - قبل دلوقت بشوية .

الرئيس - الجهاز السرى كان خاضع لمن ، مجلس الوزراء ، متأسف لمكتب الإرشاد بتاع سيادتكم أو لغيره ؟
الدله - معرفش .

الرئيس - سمعت فى مايو ١٩٥١ ان الحكومة طالبت الإخوان بحل الجهاز السرى ؟
الدله - أنا سمعت بطلبات خاصة بنشاط الإخوان فى الجيش والبوليس وطلبت وقفه .

الرئيس - وبالنسبة للمدنيين ؟
الدله - لم أسمع .

الإخوان والوزارة

الرئيس - تقدر تقول لنا ظروف ترشيح عدد من الإخوان للدخول فى وزارة الثورة بعد ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ برئاسة محمد نجيب فاكه التاريخ ؟
الدله - فاكه الواقعة .

الرئيس - التاريخ كان ١٩٥٢/٩/٧ م .
الدله - اللي أعرفه إن حسن العشماوى كان فى مجلس قيادة الثورة .

الرئيس - عضو يعنى ؟
الدله - لا .. فى كوبرى القبة والرئيس جمال أبلغه وجهة نظره وكلم الاستاذ المرشد علشان يرشح وزراء ، فالمرشد قال له بضعة أسماء وبعد كده فى نفس اليوم المرشد قال أنا مقدرش أهت فى الأمر لوحدى .

الرئيس - رشح مين ؟
الدله - حسن العشماوى .. وحسن قال له إن الرئيس جمال بيقول إنى صغير والمرشد قال له أنت ومنير الدله وكال خليفة ومحمود أبو السعود .

الرئيس - الظاهر إنك ناسى أوى ... وبعدين ..
الدله - إنتهت المكالمة التليفونية على هذا .. وفى المكالمة الثانية المرشد قال أنا عايز أعرض المسألة على مكتب الإرشاد .

الرئيس - حسن العشماوى مش رد على المرشد وقال له القيادة مش موافقة على ولا على منير ؟
الدله - المكتب إجتمع وقال بلاش إشترك فى الوزارة .

الرئيس - ده كان غير ذى موضوع لأن الوزارة كانت تشككت .
الدله - الرئيس نجيب إتصل بالمرشد وطلب منه وزير أو إثنين فالمرشد إعتذر وكان مكتب الإرشاد مجتمع والمرشد قال له بلاش لأن إشتراك الإخوان بسبب عقبات للوزارة .

الرئيس - تذكر يوم ما رحلت لجمال عبد الناصر أنت وصلاح شادى سنة ١٩٥٣م ؟
الدله - فاكتر .

الرئيس - تذكر يوم ما قابلت جمال وطلبت منه أن تعرض عليكم القوانين قبل إصدارها ؟
الدله - كان حصلت مشكلة صادفت الثورة قبلها بيوم وإحنا رحنا علشان نقول للرئيس إن الإخوان يؤيدون الحركة ، وتطرق الحديث بين صلاح شادى والسيد الرئيس وقال له صلاح : حبنا لو أن الحاكم يقرب نفسه للشعب ويعرض عليه القوانين والمشروعات علشان لما تصدر القوانين الشعب ينفذها بروح .. وده كان رأى شخص لا يمثل الجماعة .

الرئيس - وأنت ألم تشترك فى هذا الحديث ؟

الدله - أنا اشتريت فى حته تانيه.

الرئيس - وكنتم أنتم الشعب ؟

الدله - جزء منه .

الرئيس - والشعب أرسلكم علشان تطلبوا بالإطلاع على القوانين قبل إصدارها ؟

الدله - سأقول لسعادتك دلوقتى المقابلة دى بالتفصيل التى دار فيها .

الرئيس - التفصيل أن إنت وصلاح شادى طلبتم عرض القوانين عليكن قبل صدورها فالرئيس جمال قال' لكن والله إحنا لا نضع أنفسنا تحت وصايتكم . قلتم إنكم تمثلون الشعب قلنا لكم إنكم لا تمثلوا الشعب وإحنا نمثله أكثر منكم ، ودلوقت تقول إنك نسيت .
الدله - أنا أقسمت .

الرئيس - أنت أقسمت وادى إحنا شايفين اليمين إنتهى على إيه .. وإحنا أقسمنا بيمين بيننا وبين الله ونعمل به .

الدله - الفكرة كانت عرض القوانين علشان تمام التعاون ومعرفة نية الحكومة .

الرئيس - والنية متقدرش تعرفها من الأعمال . تعرفها من الوصاية إالى عايز تعرفنها على الحكومة ؟

الرئيس - أمال تقدر تقول لى لما أمرر عليك القوانين يبقى إيه . لما أمرر عليكم المشروعات

يؤدى بنا إلى إيه ؟
الدله - زيادة التفاهم وتأمين للتفاهم المعروض . وتبادل الآراء ، واللى قلناه كان مجرد رأى شخصى فردى .

الرئيس - تعرف إيه عن جماعة الإخوان المسلمين . أنت لا عارف حاجة ولا فاكّر حاجة ، ورأيتك إن الشورى بتاع الإخوان مش مضبوطة . طيب تعرف إيه عن جمعية الإخوان ؟
الدله - «سكت» .

الرئيس - إيه اللى تعرفه .

الدله - معادتك تسألنى .

الرئيس - أنا بأسألك فى كل ناحية . مش عارفها . متعرفش حاجة تانية ... يا أهل البلاد .. السيد منير الدله والسيد صلاح شادى جم قابلوا جمال عبد الناصر يوم أن قرر مجلس الثورة إلغاء الأحزاب وجم علشان يؤيدوا البكباشى جمال على شرط أن تعرض جميع القوانين عليهم ونعمل لجنة مشتركة بين الحكومة والإخوان تبحث القوانين قبل إصدارها . أدى الحكاية اللى تعثرت الثورة فيها وهى إلغاء الأحزاب . وفى اليوم ده أو تانى يوم جم يطلبوا وضع الثورة تحت انوصاية مقابل تأييد الحكومة وده كان على ما أذكر فى يوم ٢٦ يناير ١٩٥٣ م .

الشاهد الرابع

سيد قطب

الرئيس : الشاهد الذى يليه .

البكباشى سيد جاد (المدعى) :

سيد قطب .

حضر الشاهد

الرئيس - إسمك إيه ؟

الشاهد - سيد قطب .

الرئيس - سنك كام سنة ؟

الشاهد - ٤٨ سنة .

الرئيس - الصناعة ؟

الشاهد - رئيس تحرير جريدة الإخوان المسلمين .

المرشد العالم للإخوان المسلمين وحسن المحضى عاد ١٩٥٤ يطلب مقابلة عبد الناصر

بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله الذي جعلنا من عباده

المرشد العالم للإخوان المسلمين وحسن المحضى عاد ١٩٥٤ يطلب مقابلة عبد الناصر
والحمد لله الذي جعلنا من عباده
الحمد لله الذي جعلنا من عباده
الحمد لله الذي جعلنا من عباده

استمر عبادات قبرا بما يحق له من العبادات والحمد لله الذي جعلنا من عباده
الحمد لله الذي جعلنا من عباده
الحمد لله الذي جعلنا من عباده
الحمد لله الذي جعلنا من عباده

والحمد لله الذي جعلنا من عباده
الحمد لله الذي جعلنا من عباده
الحمد لله الذي جعلنا من عباده
الحمد لله الذي جعلنا من عباده

والحمد لله الذي جعلنا من عباده
الحمد لله الذي جعلنا من عباده
الحمد لله الذي جعلنا من عباده
الحمد لله الذي جعلنا من عباده

« وأقسم الشاهد الجين »

تحدث سيد قطب أمام محكمة الشعب حديثاً قصيراً ومع ذلك فقد ذكر حوادث هامة في شهادته القصيرة :

* فقال إن المرشد أخبره أثر عودته من سوريا أن هناك خطة سوف تنفذ ضد نظام الحكم الحاضر .

* وقال إن المرشد أخبره أن أغلبية رجال الجيش بقيادة محمد نجيب سيقومون بحركة مشابهة للحركة التي حدثت في سوريا .

* وقال إن المرشد أخبره أن الرئيس نجيب قد قام بشتى الاتصالات اللازمة مع الدول الأجنبية لتأييد إنقلاب الإخوان على أثر تنفيذه .

* وقال إن المرشد هو الذى أعطاه النقود اللازمة لشراء ماكينة (رونيو) لطباعة المنشورات .
الاستاذ على نور الدين (المدعى) :

اذكر الحديث الذى دار بينك وبين المرشد بعد عودته من سوريا .
قطب - أعدت عليه ما اقترحته قبل ذلك مرات قبل سفره بأن الإخوان يجب أن يطالبوا بعودة الحريات والضمانات القضائية لأن هذا هو واجبهم الذى يجب أن يؤدوه نحو الله والشعب . وكان يقول إن الإخوان لا يقومون بحركة منفردة ولا بد أن يكون الشعب والجيش معهم ، وبعد عودته من سوريا قال : إن الجيش فيه أغلبية عظمى ستقوم بحركة شبيهة بما تم في سوريا من إختيار الجيش أن يعود إلى الثكنات ويسلم البلاد إلى المدنيين وإن الإخوان سيكون دورهم التأييد الشعبى للحركة الجديدة .

الاستاذ على نور الدين (المدعى) :

فهمت من المرشد أن فيه خطة لإحداث إنقلاب ؟
قطب - هو قال إن فيه ترتيبات داخلية عملت وكنت أريد أن أتأكد من أن الموقف في مصر متصل بالموقف الدولى . والمرشد قال إن هذا معمول حسابه وإن الرئيس نجيب سيطر على رأس الدولة وسيعاونه الأشخاص الجدد .

الرئيس - ألم تسأل المرشد عن القوات التى ستعاون معه من الجيش والمدنيين ؟
قطب - فهمت أن اللواء نجيب سيكون على رأس الأغلبية التى تقوم بالضغط على بقية الجيش لإقناعه بالعودة إلى الثكنات وإعادة الحياة النيابية . ولم أسأل عن تفصيلات أكثر من ذلك .

الاستاذ على نور الدين (المدعى) :

هل كلفك المرشد بشراء آلة الطباعة للمنشورات ؟

قطب - لم يكلفنى أنا . ولما أغلقت الجريدة لعدم إستطاعتى نشر ما أريده شكوت للمرشد وقلت له : يمكن أن نطبع التعليقات فى المكتب الإدارى فى القاهرة .. ووجدت أن المكتب ليس لديه ماكينات صالحة فأمر المرشد بشراء ماكينة حديثة بمبلغ ١٨٠ جنيها دفعتها المرشد على دفعتين وسلمت المبلغ لندوب المكتب الإدارى لإستحضار الماكينة .

الاستاذ سامى مازن (المحامى) :

كيف انتقل الحديث مع المرشد إلى حماية الحريات ؟

قطب - لأنى أعدت عليه إقتراحى الذى كنت أقترحه دائماً وهو وجوب قيام الإخوان بالمطالبة بعودة الحريات والضمانات وبذلك تكون الجماعة جماعة شعبية تطالب بقضايا الشعب ومظالمهم باعتبارها أكثر جماعة فى البلاد يجب عليها أن تقود الحركة الشعبية .

الاستاذ سامى مازن (المحامى) :

الحركة الشعبية للمطالبة بالحريات .

قطب - فى هذه المرة كانت للمطالبة بالحريات .

الاستاذ سامى مازن (المحامى) :

بالمظاهرات الشعبية .

قطب - المظاهرات وسيلة ، وهناك وسائل منها الخطب والمحاضرات وأحاديث الثلاثاء .

الشاهد الخامس

صاغ بالمعاش حسين حمودة

الرئيس - الشاهد الى بعده .

البكباشى إبراهيم سامى (المدعى) :

الصاغ بالمعاش حسين محمد أحمد حمودة .

حضر الشاهد

الرئيس - اسمك ؟

الشاهد - حسين محمد أحمد حموده .

الرئيس - الصناعة ؟

الشاهد - ضابط متقاعد .

الرئيس - الرتبة ؟

الشاهد - صاغ .

الرئيس - سنك كام سنة ؟

الشاهد - ٣١ سنة .

« أقسم الشاهد اليمين »

تحدث الصاغ بالمعاش حسين حمودة أمام محكمة الشعب حديثا هاما ولكنه ذكر بعض الحقائق التي كشفت عن أمور خطيرة :

* قال إنه قابل المرشد وصلاح شادى ويوسف طلعت فى منزل قصر النيل حيث أخبره المرشد أن الرئيس محمد نجيب «مطرشق» من أعضاء مجلس قيادة الثورة وأنه يعتمد على الإخوان فى التخلص من قادة الثورة .

* وقال إن الإتصال بين المرشد ومحمد نجيب كان يتم عن طريق اليوزباشى محمد رياض ياور رئيس الجمهورية السابق حيث كان يتصل بحسن العشماوى ليوصل التعليمات إلى المرشد .

* وقال أنه كان يلرب الإخوان عسكريا من سنة ١٩٤٥م وانقطع التدريب فى أزمة الإخوان الأولى بعد حرب فلسطين وبدأ التدريب مرة أخرى هذا العام فى شهر يونيو .

نجيب « مطرشق »

الاستاذ على نور الدين (المدعى) :

تعرف المرشد ؟

حموده - أبوه .

المدعى - قابلته قبل كده ؟

حموده - قبل الإعتقال فى يناميل . فات على الدكتور غراب فى بيتى وقال المرشد عايز يقابلك فى بيت بجوار جريدة المصرى وأعطانى عنوانه وهو بيت أحد الإخوان . فذهبت إلى هناك وكان موجود المرشد وصلاح شادى والصابغ خليل نور الدين .

الاستاذ على نور الدين (المدعى) :

ليه إلى حصل فى الإجتماع ؟

حموده - المرشد قال إن رئيس الجمهورية اللواء محمد نجيب إتصل به وفهمه إنه مطرشق من أعضاء مجلس قيادة الثورة بسبب الحكم الدكتاتورى اللى فى البلد . وأن نجيب يرغب

في إقامة حكم نيائي ودستور ودى رغبة الهيئات الشعبية ومنها الإخوان وإن نجيب يريد الاستعانة بالمرشد لعمل ترتيب للتخلص من العهد ده ونجيب قال إن دعوة الإخوان دعوة حق وخير ويرغب في أن يرى المصريين كلهم إخوان .

والمرشد قال أنا جمعتمكم بإعتباركم ضباط في الجيش والراجل ده مسئول عن المدنيين وتبين إن الراجل ده كان يوسف طلعت ..

الاستاذ على نور الدين (المدعى) :

كان حاضر الإجتماع ؟

حمودة - أيوه . والمرشد قال أنا تارك لكم التفاصيل .

الاستاذ على نور الدين (المدعى) :

كيف كان يتم إتصال المرشد بنجيب ؟

حموده - بواسطة ضابط في الياوران اسمه رياض وواحد مدنى اسمه حسن عشاوى . وهذا ما سمعته .

الاستاذ على نور الدين (المدعى) :

ألم تقابل يوسف طلعت بعد ذلك ؟

حموده - بعد كده اجتمعت أنا وأبو المكارم و خليل نور الدين وصلاح شادى في بيت أبو المكارم لبحث تنفيذ رغبة المرشد ومحمد نجيب . وكان يوسف طلعت حاضر ، وقال إنه يشرع في عمل جهاز جديد ، ويطلب الإنتظار سنة ليكون جهازاً من عشرة الاف من الإخوان لأن السندى يعاكسه .

الاستاذ على نور الدين (المدعى) :

ده كلام يوسف طلعت لكم ؟

حموده - أيوه . وصلاح شادى قال إن عودة ١٩ ضابط بوليس في الجهاز وبالنسبة للجيش كان عدد الضباط من الإخوان قليل جداً وانتهى الأمر بأننا لم نستطع القيام بأى خطة وإعتقلنا في ١٨ يناير .

الاستاذ على نور الدين (المدعى) :

هل دربت أحد من الإخوان ؟

حمودة : أنا دخلت الإخوان في سنة ١٩٤٥م في الجهاز السرى بتاع السندى وكنا ندرب الإخوان وأما في الوقت الحاضر إحنا خرجنا من السجن في يونيو فاتصل بنا أبو المكارم وأنا

والخضري ورمضان وربيعة وطلب منا إعادة تنظيم صفوف الجيش مرة ثانية بالاتصال بالإخوان
الى في الجيش ، وأنا قلت لأبو المكارم أنا من يوم خروجي من السجن مفيش ضابط قال
لى حمد الله على السلامة وعلى ذلك أنا مقدرش أتصل بهم فأمن عبد الخالق على هذا الكلام .

وبعد كده طلب منى أبو المكارم تدريب الإخوان وعرفنى بالاستاذ إبراهيم الطيب أنا
وقواد جاسر وقال إنه محامى فى مكتب عودة ووكيل الجهاز الإدارى للإخوان وعرفنا بعد
كده بسليم وده كان يدعى إنه تاجر وتبين أنه طالب فى الزراعة .

وسليم راح لقواد جاسر وعرفه بواحد من الإخوان علشان يدره وجاب لى واحد أدره
وكذلك جاب لربيعة ورمضان وأنا مكنتش أعرف الشخص الى أدره .

الرئيس - هل السرية بلغت فى الإخوان لحد الأسماء ؟
حموده - أيوه .. والرجل ده قابلنى فى الجيزة ثم فى باب الخلق وودانى فى حوارى ملتوية
ليلا وقابلنى بثلاثة أشخاص باين لإنهم طلبية وطلعنا فى أوده على السطوح وقالوا إن الطلبة
دول فصيلة من غير سلاح وقعدنا وانصرفنا .

وقابلته مرة ثانية فى شارع عماد الدين ورحنا بيت فى الحنفى وقابلت نفس الشبان ولم
أعرف أسمائهم وقالوا إحنا مش قادرين نتدرب اليوم لأننا كنا سهرانين فى إجتماع الجمعية
التأسيسية وبعد كده اعتذرت بأنى مراقب .

الرئيس - الخطوة الى كانت مطلوبة كان غرضها إيه ؟
حموده - نخلص رئيس الجمهورية من مجلس قيادة الثورة .
الرئيس كان غرض الخطوة إيه . إنت راجل عسكرى .
حموده - شيل أعضاء مجلس قيادة الثورة وبعدين محمد نجيب يبقى فى البلد .

الرئيس - ومخلصتوناش ليه يا أخى ؟
حموده - وقالوا أنهم عاوزين حكم نياى .

الأستاذ على نور الدين (المدعى) :
كيف اعقلت أخيراً ؟

حموده - اعقلت فى بلد جنب رشيد فى عزبة الشيخ حجازى التجار ويقرب لجمال ربيع

الأستاذ سامى مازن (المحامى) :
إنت بتقول تواليت تدريب . كيف كان يتم ذلك ؟

حموده - في البيوت .

الأستاذ سامى مازن (الحمamy) :

أفراد أم جماعات ؟

حموده - أربعة أفراد .

الأستاذ سامى مازن (الحمamy) :

حصل إجتماع بينك وبين يوسف طلعت بعد الإجتماع الى قلت عليه ؟

حموده - حصل إجتماعات في بيت أبو المكارم وكنا نتكلم عما نعمله وإحنا أفهمنا يوسف ان ملناش إمكانيات في الجيش ، وصلاحي أنهم إن البوليس مفيش فيه إمكانيات ويوسف قال انه بعد سنة يكون عنده عشرة آلاف أخ .

الشاهد السادس

هنداوى دوير

الرئيس - الشاهد اللى بعده ..

البكباشى إبراهيم سامى (المدعى) - هنداوى دوير

«حضر الشاهد»

الرئيس - إسمك إيه ؟

الشاهد - هنداوى سيد أحمد دوير .

الرئيس - صناعتك ؟

الشاهد - محامى .

الرئيس - سنك ؟

الشاهد - ٣٢ سنة .

«وأقسم الشاهد اليمين»

تحدث هنداوى دوير أمام محكمة الشعب حديثاً يتفق وإعتباره عنصراً هاماً فى مؤامرة إغتيال أعضاء مجلس قيادة الثورة . وهو الذى قدم المسدس لمحمود عبد اللطيف لإغتيال الرئيس جمال ووقف أمام المحقق وأمام المحكمة ليروى الأسرار الرهيبة عن جهاز الإخوان الخاص والخطة الدامية التى كانت فى طريق التنفيذ لإشعال نار حرب أهلية بالبلاد . وعاد

هنا في قضية حسن الهضيبي ليؤكد ما جاء على لسانه في قضية محمود عبد اللطيف :

* قال سلمت المسدس لمحمود عبد اللطيف وقلت له نفذ الخطة .

* وقال إبراهيم الطيب هو الذى كلفنى بأن أكلف محمود عبد اللطيف بتنفيذ خطة إغتيال الرئيس جمال على أن يعتمد محمود على نفسه .

* وقال أنا فهمت من حديث إبراهيم الطيب لى أن المرشد موافق على الخطة .

الأستاذ على نور الدين (المدعى) :

أذكر الخطة التى بلغت إليك من قيادة النظام السرى لتنفيذ الاعتداء على الرئيس جمال تمهيداً لعمل إنقلاب .

هنداوى - الأستاذ إبراهيم الطيب جه قبل الحادث بحوالى ١٥ يوماً وقال إن خطة الإخوان هى الاعتداء على الرئيس جمال وأعضاء القيادة والضباط الأحرار وبعد كده الرئيس نجيب سيقوم بإنقلاب شعبى ويهدىء هو الحالة ، ده ملخص الخطة .

وأعطانى مسدس وقال لى إعطيه لمحمود عبد اللطيف علشان يتبع الرئيس جمال وكان يمر على كل يوم تقريباً وأخذت منه المسدس سلمته لمحمود وقال لى إن الخطة إن محمود يتبع الرئيس ويعتمد على نفسه فى ذلك .

وفى هذه الاثناء زارنى محمود الحواتكى وقال إن النظام السرى يقوم بإعداد عمليات إرهاب ولا يوافق عليها المرشد وأنا أمر على رؤساء المناطق أنبههم .

وأنا على أثر هذا قلت له يا محمود ما تعملش حاجة . وبعدين جانى إبراهيم الطيب وقلت له على حديث الحواتكى فأبراهيم قال لى : أبدا الحواتكى متصل بالمفصولين . المرشد موافق .

وهذه المسائل تركز على الثقة وأنا وثقت فى إبراهيم لأنه هو المتصل لى . وقابلت محمود عبد اللطيف وقلت له نفذ الخطة ، وكان مفروض أن الحادثة تقع فى مصر ولكن محمود قال لى أنا مسافر الإسكندرية لقتل الرئيس هناك وسافر .

الرئيس - يعنى إنت فهمت من إبراهيم الطيب إن المرشد موافق على ارتكاب الحادث ؟
هنداوى - أيوه .

الرئيس - الهضيبي رئيس الجهاز السرى ؟

هنداوى - المفروض أنه رئيس الجهاز .

المدعى - له سألت إبراهيم الطيب عن رأى المرشد فى إرتكاب الحادث ؟
هنداوى - المفروض إن المرشد هو الرئيس للجهاز .

الرئيس ده إعتقاده ؟
هنداوى - أيوه .

البيعة للهضيبى

الأستاذ على نور الدين (المدعى) :

أعضاء الجهاز السرى يقسمون يمين البيعة ؟

هنداوى - أيوه اليمين « أقسم بالله أن أكون حارساً لمبادئ الإخوان مجاهداً فى سبيل الله على السمع والطاعة فى المعروف وأن أجاهد فى سبيل ذلك ما استطعت » .

الأستاذ على نور الدين (المدعى) : السمع والطاعة ليمين ؟
هنداوى - للمرشد العام .

الرئيس - يبقى مفهوم من القسم إن الجهاز تابع للمرشد العام ؟
هنداوى - أيوه .

الرئيس - يبقى إنت تعلم على سبيل اليقين إن الجهاز تابع للمرشد العام .
هنداوى - أنا أقسمت أيام حسن البنا .

الشاهد السابع

أحمد فتحى البوز

الرئيس - الشاهد موجود ؟

البكباشى سيد جاد (المدعى) - أيوه يا أفندم . فتحى البوز .

الرئيس - اسمك ؟

الشاهد - أحمد فتحى على يوسف البوز .

الرئيس - صناعتك ؟

الشاهد - محامى .

الرئيس - السن ؟

الشاهد - ٢٥ سنة .

«وأقسم الشاهد اليمين»

تحدث فتحنى البوز أمام محكمة الشعب حديث الرجل الذى يتولى رئاسة فصيلة الجيزة الإرهابية وكان أهم ما ذكره أنه حاول الإتصال بالمرشد فى مخبئه ليطلب منه وقف تنفيذ خطة الإغتيالات والإضرابات المسلحة ولكنه فشل :

* قال إن يوسف طلعت هو المستول عن أمر الإغتيالات وإنه يتلقى أوامره من المرشد الرئيس الأعلى للجهاز .

* وقال بأن إبراهيم الطيب أبلغه بأنه سوف تقوم مظاهرات مسلحة عقب إغتيال الرئيس جمال وأنه سيتم فور ذلك إغتيال بعض أصدقاء الثورة ثم قلب الحكومة ويتم الإستيلاء على مقاعد الحكم بالقوة .

* وقال إن الجهاز الخاص كان أداة لمحاربة الحكومة بسبب دوافع شخصية .

الأستاذ على نور الدين (المدعى) :

اذكر للمحكمة كل ما جرى فى حديثك مع إبراهيم الطيب آخرة مرة .
فتحى - قال لى إبراهيم الطيب إن مسألة إغتيال جمال أصبحت مقررة وأن الأمور ماشية على ما يرام وإن الرئيس جمال تقرر إغتياله وكلف بذلك بعض الإخوان ولم يذكر لى اسماءهم وعلى الفور اتصلت ببعض الإخوان لأبلغهم هذا النبأ الذى كنا نعارض فيه . وكان علينا أن نتصل بجميع الإخوان لنحول دون تنفيذ أى شئ صادر من إبراهيم الطيب ، لأننا ماكانش مقتنعين به ، وقمت واتصلت بالحواتكى واتفقنا على أن آخذ غرب القاهرة والحواتكى شرق القاهرة وأن ننبه على أفراد الجهاز حتى لا يقع شئ .. وزيادة على ذلك اتصلت بالأستاذ عبد القادر عوده ، لأبلغه النبأ ، فقال إنه لا علم له بذلك . وأن هذا لا يمكن أن يقع فقلت له أنه من الضرورى إتخاذ إجراء لأن هذا العمل سوف يتم حتما . فقال لى : احضر لى إبراهيم الطيب . فقلت له إتصل به أنت . ولكنه قال : لا .. احضره لى لأنى مراقب، وفعلاً ذهب لإبراهيم الطيب ، وقلت له : إن الأستاذ عبد القادر عايزه ضرورى . ولم أذكر له السبب الحقيقى لأنه هو لو كان عرف السبب ماكانش حضر معى .. وحددت موعد له مع الأستاذ عبد القادرى ولكن الطيب لم يحضر ، والأستاذ عبد القادر قال لى : استمر فى البحث وأنا سأبحث من ناحيتى . وبعد ذلك الأستاذ عبد القادر حددت إقامته وبعد ذلك يومين وقع الحادث .

الأستاذ على نور الدين (المدعى) :

إبراهيم الطيب كان يذكر لك ذلك بشكل حديث أو أمر ؟
فتحى - بشكل أمر تقرر .

الأستاذ على نور الدين (المدعى) :

هل طلب منك الاستعداد ؟

فتحى - هو طلب منى أن أتصل بأحد الإخوان ليحضر له سلاح ، وفعلاً اتصلت بهذا الأخ ونهت عليه بعدم إعطاء إبراهيم الطيب أى سلاح . والأخ ده هو عبد العال المدنى . وفعلاً فعل كل ما قلته له لأننا نعرف إن السلاح سيستعمل فى أمور لا نقرها .

الأستاذ على نور الدين (المدعى) :

هل ناقشت الطيب فى هذا الأمر ؟

فتحى : أيوه ، بينت له إن هذا الأمر خطير ، وأنه سوف يجلب الكوارث على البلاد وعلى الإسلام .. ولكن لم أسترسل معه فى المناقشة . واتصلت بالأستاذ عبد القادر كما ذكرت ..

الأستاذ على نور الدين (المدعى) :

هل ما ذكره لك إبراهيم الطيب كان أمر صادر من القيادة العليا ؟

فتحى - هو كان أمر تقرر أنه صدر من المسئولين الى فوق .

الأستاذ على نور الدين (المدعى) - من المسئول ؟

فتحى - يوسف طلعت .

الرئيس - هل قال لك الطيب عن فكرة قتل الرئيس جمال ؟

فتحى - قال أنه سوف تقوم مظاهرات مسلحة عقب الحادث ويقتال بعض أعضاء رجال الثورة .

الشاهد الثامن

يوسف طلعت

الرئيس - الشاهد إلى متى بعده ؟

البكباشى سيد جاد (المدعى) - يوسف طلعت ..

«حضر الشاهد»

الرئيس - أهلاً سى يوسف .

الشاهد - ساكتاً .

الرئيس - إسمك ؟
الشاهد - يوسف عز الدين طلعت .

الرئيس - صناعتك ؟
الشاهد - تاجر حبوب .

الرئيس - سنك ؟
الشاهد - ٤٢ سنة .

«وأقسم الشاهد اليمين»

تحدث يوسف طلعت أمام محكمة الشعب وكان حديثه هاما ، فهو قائد الجهاز السرى ، وكان يدلى بالحقائق الدامية فى بساطة مذهلة وبكل هدوء . وكان فى نفس الوقت حاضر البديهة وقد برزت صراحته فى أكثر من موضع .

* قال أنه رئيس الجهاز السرى للإخوان ومسئول أمام حسن الهضيبي .

* وقال إن حسن الهضيبي لم يطلب حل الجهاز .

* وقال إن خميس حميده كان حلقة الإتصال بينه وبين الهضيبي .

* وقال إن التشاور على تسليح الجهاز كان مع إبراهيم الطيب وعبد المنعم عبد الرعوف وأحمد حسنين .

* وقال إن خطة الجهاز السرى كانت تتلخص فى القيام بمظاهرات تحميها قوة مسلحة ثم تبدأ الاغتيالات .

* وقال إن الهضيبي أمر بقيام المظاهرات التى كان عبد القادر عودة مسئولا عنها وإن يوسف طلعت مهمته حمايتها بالفصائل المسلحة .

* وقال إنه هو الذى أعد الحزام الناسف وسلمه لإبراهيم الطيب لاغتيال الرئيس جمال وإنه استوحى الفكرة من حادث السيد فايز .

* وقال إن هندواوى دوير تسرع فى تنفيذ الخطة ففشلت .

* وقال لرئيس المحكمة «انت كنت من الستة المقتولين يعنى كنا سنقتلك» .

* وقال عندما سأله الرئيس : هل أنت مؤمن : أنا مؤمن ولذلك فأنى أضحك من القدر ..

✽ وقال أنه عندما إطلع على منشور محمد نجيب ومنشور سليمان حافظ إجاز طبعها وأن إبراهيم الطيب كان يتولى الطبع وسيد قطب يتولى التحرير .

✽ وقال عندما نعت المدعى بأنه القائد الأعلى للجهاز « أيوه .. قول قائد أعلى .. كبير في قيمتي علشان كل ما تكبروى تقطعوا رقبتي .. أنا لا قائد أعلى ولا حاحة ، حليها بالبركة ، أنا نجار .. » .

✽ وقال إنه قرأ الإتفاقية بعد توقيعها بالحروف الأولى فوجد فيها بعض النقص ولما وقعت الاتفاقية نهائيا قرأها فوجد النقص قد زال وتداركه الجانب المصرى :

سأله المدعى عن مركزه فى الجهاز السرى وعن موعد تعيينه مسئولاً عنه فقال :

✽ أنا المسئول عن النظام السرى وقد عينت مسئولاً عنه بعد حادث السيد فايز بيومين أو ثلاثة . وفى يوم الحادث كان فيه إجتماع للإخوان حضر فيه فرغلى وخميس وأحمد زكى والصباغ وكان فيه خلاف بين السندى والمرشد وطلت من السندى أن ينتحى فتحنى . والموجودين رشحوا بعده ثلاثة ورفع الأمر للمرشد فعرضه على خميس وخميس وقع اختياره على .

وقابلنى بعد كده عبد المنعم عبد الرؤوف وعرض على مسألة الفضائل .

الرئيس - غرقك عبد المنعم ؟

الشاهد - غرقنى واللأ ما غرقنيش . المسألة انتهت والى حصل إننى انبسط من العملية دى وقلت دى نفتح الجهاز ، والسندى فهم أننا بسرح النظام والتهم كانت تنال علينا وواحد مره حط صابعه فى عينى .. وأنا قلت إننى فاهم فكرة الإسلام كويس . وبعدين جاءت محنة الحل الأول للجماعة سنة ١٩٥٤م وبعدين قابلت إبراهيم الطيب وقلت له إنه ينبغي أن نفهم الفكرة دى فى الإخوان وبدأ الإخوان يدخلون التشكيلات .

أنا عندما أخذت هذه العملية فالمفروض إن الشيخ فرغلى دعانى للجنة وفيها أبو المكارم ومحمود عبده وصلاح شادى وفرغلى قال أنه يعتبر دى هى اللجنة العليا لتنسيق الجهاز فى سبيل الإسلام .

الرئيس - متى كان هذا ؟

الشاهد - بعد الإفراج علينا مباشرة . لأن المدة اللى قبل كده كانت لتصفية النزاع بين المرشد وعبد الرحمن السندى ، وكانت مدة مشاكل وحضرت الاجتماع والشيخ فرغلى قال إن دى هى اللجنة العليا ، وقال إن شغلنا مش مصر بس . وقال فيه قتال فى مراكز وكان عايز

ياخذ صفة للجنة من المركز العام .

واجتمعنا مرة أخرى ولم يحضر أبو المكارم هذا الاجتماع وقالوا كل واحد يقول قوله ويدلى بياناته عن قدرته . ولم اجتمع بهم بعد ذلك وسافرت حتى سمعت خبر طلب إعتقالى .

الرئيس - ماذا كان غرض الجهاز .

الشاهد - الغرض يختلف فى نفسية كل فرد .. يعنى الروح القديمة الى متأصلة فى نفس بعض الأفراد جعلتنى غير مستريح وأنا فى نفسى كنت أحمل معنى أتمنى فيه أن يكون الأفراد يحملون الإسلام حملاً صحيحاً .. وهذا ليس للهرب . أنا مدان . ولكن الجو كان ..

الرئيس - كنت حاسس إن الجو إيه ؟

الشاهد - جو مش طعم .

الرئيس - جو مش طعم وعندما اتجهتم نحو التسليح للنظام ماذا حدث ؟

الشاهد - كنت اسمع إنى خائن وإنى عايز أسرح النظام

لا سرية فى الدين

الرئيس - تذكر أيام حسن الهضيبى ما قال لا سرية فى الدين وخرج السندي ؟

الشاهد - مش متذكر .

الرئيس حاول أن تذكر ؟

الشاهد - الهضيبى كان يقول إن الجهاز مش لازم يكون مع وجود جهاز خاص .

الرئيس - كيف خرج ؟

الشاهد - اللجنة قررت كده .

الرئيس - مش لازم تعرض على الهيئة التأسيسية ؟

الشاهد - اللجنة دى تتحكم فى النظام الخاص .

الرئيس - اللى حضر فيها سابق وفرغلى وخميس وأحمد زكى وانت ؟

الشاهد - أيوه .. ورشحوا ثلاثة واختارونى .

الرئيس - وعلى كدة تبقى تبع المرشد ؟

الشاهد - آمال أكون تبع نفسى .

الرئيس - يعنى تبع حسن الهضيبى ؟

الشاهد - باعتباره مرشدا للإخوان لو شالوه وجه واحد تانى أكون تبعه والعرف والسياسة كانت ماشية كده .

تصفية الجهاز

الرئيس - هل طلب منك حسن الهضيبي تصفية الجهاز ؟
الشاهد - لا . يمكن خاف أقول لغيرى من أصحاب فكرة بقائه .

الرئيس - المهم لم يقل لك . مش مهم السب ؟
الشاهد - لا .. لم يقل لى .

الرئيس - تكلمت مع الشيخ فرغلى عن مظاهرات ؟
الشاهد - المظاهرات المسلحة ؟

الرئيس - أبو إيه الحكاية دى .

الشاهد - فى يوم عيد المنعم عرض خطة من خططه عبارة عن مظاهرة تحميها قوة مسلحة لترد الاعتداء على الأفراد إن حدث .. ويعقبها خطة إغتيالات فأنا حملت هذا الرأى للمرشد . وده يمكن قبل حادث الإعتداء بحوالى ١٢ يوم . وكان فى الإسكندرية . وكانت أول مرة أقابله فيها بعد اختفائه . قلت له إن واحد من الإخوان يعرض مشروع باغتيال مظاهرة مسلحة ترد الإعتداء الذى يقع عليها إذا حدث ، وإن يقوم المسلحون باغتيال مجلس قيادة الثورة ، فقال لى إسمع يا فلان : أنا بقى لى كام يوم مش مستريح ومسألة الاغتيالات دى والقتل تضر بكم وإذا كنتم تستطيعون القيام بمظاهرة تشترك فيها جميع أفراد الأمة يكون مافيش مانع ، وتعرض الكلام على عبد القادر عودة والمظاهرة تكون مطالبها حرية الصحافة والبرلمان وفرض الاتفاقية عليه وفعلا رحت لعبد القادر وقابلت إبراهيم الطيب .

الرئيس - ما هى الاغتيالات التى قالها لك أنه كان غير مستريح لها ؟
الشاهد - هو نفسه بيتقول إن نفسه غير مرتاحة لحكاية الاغتيالات .

الرئيس - يعنى قوله إن بقى له كام يوم ييفكر فى حكاية الاغتيالات . فهل معنى هذا إن كان فيه كلام عن إغتيالات قبل كده ؟
الشاهد - هو وضميره .

الرئيس - وبعدين رحت اللجنة لدراسة الإقتراح ؟

الشاهد - أيوه . قابلت إبراهيم الطيب وإعطيته ورقة يعطيها للاستاذ عبد القادر عوده وبعد يومين قابلت إبراهيم وقال إن عبد القادر عرضها على اللجنة . وبعد يومين قال لي : إن اللجنة غير موافقة . فسألته : هل هو تأجيل أم إلغاء . فذهب وعاد وقال : إنه تأجيل . وبعدين قابلت عبد القادر مرة في بيته وسألته عن عدم الموافقة على المظاهرة فقال : يا يوسف يستحسن ننتظر شوية .

الرئيس - ما هي مسألة المظاهرة المسلحة ؟
الشاهد - مظاهرات وإغتيال بعض أعضاء مجلس قيادة الثورة .

الرئيس - الوحشيين فيهم ؟
الشاهد - واثنت منهم .. مش عايز الكلام الحق .. والله يا شيخ أنا أقسمت يمين على أن أقول الحق . وأنا حسبي إن الله يعرف كل شيء . وكل غلطة عملتها سأقولها .

الرئيس - ما هي الغلطات ؟
الشاهد - عملت حزام وإعطيته لإبراهيم الطيب على أنه وسيلة من وسائل الإغتيالات .

الرئيس - لتفتال من ؟
الشاهد - لم أحدد . والله لو حددت لقلت .

الرئيس - إبراهيم الطيب قال انك اعطيت خطة كاملة لإغتيال جمال عبد الناصر .
الشاهد - جمال عبد الناصر الأول .. لا .. الكلام إنه حين الموافقة على المظاهرات تقوم ويعقبها الاغتيالات .

الرئيس - بما هو غرض المظاهرات ؟
الشاهد - خطة من ضمن الخطط التي يضعها قائد عسكري .

الرئيس - وما القصد ؟
الشاهد - إنت عايز الجدد ؟

الرئيس - أيوه .
الشاهد - أنا وجدت نفسي بالنسبة لما صبحت عسكري أوصل الخطط .

الرئيس - وما القصد من الإغتيالات ؟
الشاهد - حسب ما فهمت يتغير الوضع الحالي ؟

الرئيس - ما الداعي ؟

الشاهد - مافيش حريات علشان نتكلم فى جرائد . والمعاهدة كان فيها ناقص شوية حاجات وقت ما عرضها عبد المنعم وأنا كنت مقتنع بكده .

الرئيس - أيه اللي كان ناقص ؟

الشاهد - مثلا إنه إذا حصل حرب وجه الإنجليز هل سيخرجون وحدهم أو نحن سنخرجهم .. وإستفادتهم بكل المطارات . وبعد كده أنا قرأت المعاهدة وقلت لحسن العشماوى إن المعاهدة فيها حاجات كثير كويسة وده مثلا خروجهم بعد أى حرب مباشرة واستيلاء الحكومة على كل المرافق وأخذ الرسوم على حاجاتهم وتطبيق قانون الشركات الأجنبية .

المظاهرات

الرئيس - من كان المسئول عن إخراج المظاهرات ؟

الشاهد - عبد القادر مسئول عن إخراج المظاهرة وأنا أحمى المظاهرة بإحضار مجموعة القصاصات .

خطة مهاجمة مجلس الوزراء

الأستاذ على نور الدين (المدعى) :

تلكم عن خطة مهاجمة مجلس الوزراء ؟

الشاهد - فى أول مقابلة بعد هروب عبد المنعم عبد الرؤوف وضع مشروع كبير وطلب ملابس وقال عاوز نعمل هجوم على مجلس الوزراء بملابس عسكرية علشان نعمل تضليل .

وكان عايز يقتحم مجلس الوزراء وهو كان يقول : إدينى قوة ومالكش دعوة . وكان يقول لى إنت مدنى .. وبعد إن عجزنا عن مطالبة سرحت الفكرة دى .. وبعدين جاءت حكاية تانية .. إذ فى يوم رحت البيت وجدته هناك ومعاه إبراهيم الطيب وقال: عايزين نرجع للحكاية القديمة وهى مجلس الوزراء ، وقلت له : وماذا تريد ؟ قال : ناس وسلاح ، فقلت له : أحلام . فإبراهيم قال له : عندى السلاح فقال لى : ادخل بقى صلى .

الرئيس - ماذا كان غرضكم ؟

الشاهد - والله أنا كنت أدعو ربنا بيوظ كل حاجة !

الرئيس - طيب ربنا إستجاب الدعوة .. وماذا كان الإتفاق الذى جرى بينكم ؟

الشاهد - نشيل الحكومة .

الرئيس - ماذا كان قصد المرشد عندما طلب إخراج مظاهرة ؟
الشاهد - والله أنا فهمت منه حكاية المظاهرة كتبرير للإخوان بإعتباره عمل أدته نحو المعاهدة ويكون الإخوان أدوا واجبه .

الرئيس - والحراسة مالوش دعوه بها ؟
الشاهد - والله دى تدخل فيها عبد المنعم والشیطان .

الرئيس - موجهها كلامه لحسن الهضبي - شفت الجهاز اللي عملته يا مستشار يا قصير الباع .. لماذا لم تحله ؟
المتهم - الحكومة لا تقدر أن تحله .

الرئيس - إحنا نحل أبوه ..
المتهم - ناس غير معروفين .

هنداوى تسرع

الأستاذ على نور الدين (المدعى) :
قابلت إبراهيم الطيب بعد تسليمه الحزام ؟
الشاهد - إيوه .. قبل الحادثة وكان الحديث علشان عبد القادر بلغ الإخوان عدم إرتكاب اعتداءات وبعد الحادث سأله فقال : أخوك هنداوى تسرع .
الرئيس - تسرع فى التنفيذ . والفكرة موجودة بس الزمن لم يحدد ؟
الشاهد - أيوه .

المنشورات

وتحدث الشاهد عن المنشورات فقال : منشورات بتاع سليمان حافظ بعنوان رأى وزير سابق وواحد باسم محمد نجيب وواحد ثالث كمان وده شفته بعد طبعه .

الرئيس - عندما يضع إنسان اصبعه فى عين آخر لمن تكون المحنة ؟
الشاهد - لمن فقتت عينه . وأنا بشر أنا إنسان مش معصوم وأنا أحكى لك فإذا كان معنى الشر غلب على فالقصاص يأخذ حقه .

الأستاذ على نور الدين (المدعى) :

صدر عدد من المنشورات بتوقيع حسن الهضيبي فما معلوماتك عنها وهل تعرض عليه المنشورات ؟

الشاهد - بس والنبى طول بالك على شوية .

الرئيس - أكثر من كده ؟

الشاهد - لا . يعنى خللى أخلاقك أوسع منا .

الرئيس - والله أنا لا أكرهك !

الشاهد - تعرف ليه ، لأننى لا أكرهك وأنا طمعان فى كرمك أكثر .

الرئيس - طيب حاضر .

الشاهد - الجواب جه ممضى من الهضيبي وأنا سلمته لعبد القادر .. وده جواب مطبوع .. هات أرشيف المنشورات وأنا أطلعه .

الأستاذ على نور الدين (المدعى) :

الدكتور خميس طلب أن توقف نشرة الإخوان ؟

الشاهد - أيوه قابلكه فى المركز العام وقلت له الواحد محتار أنا عايز أروح فقال لى طول بالك وقال حاجة زى دى إزاي تنزل من غير إذنى : وأن أى حاجة تانية أعرضها على ، ولما أقول لك لا تنزل يعنى ما تنزلش ، وتناقشنا فى هذا .

الرئيس - من كان يطبع ؟

الشاهد - هذه النشرة أعطيتها لإبراهيم وهو طبعها .

الرئيس - من كتبها ؟

الشاهد - مرة أخذنا شوية حاجات من سيد قطب .

ملخص أقوال يوسف طلعت

الرئيس - يعنى أنا سأعيد كلامك وإذا كان مضبوط صدق عليه وإلا فاعترض ، إن هناك جهاز سرى فى الإخوان . والجهاز المصرى مسلح وإنه لم يطلب منك حل الجهاز والتشاور عن التنظيم والتسليح كان مع الطيب وعبد المنعم وأحمد حسين ولم تكن تعرض التفاصيل على المرشد وبعدين عملتم خطط والمرشد لم يصدق على الإغتيالات وصدق على المظاهرات وعدت لعودة ثم أصدرتم أوامر للفصائل وهنداوى تسرع .

الشاهد - لم تصدر أوامر .. ده الطيب قال : أخوك هنداوى تسرع .

الرئيس - يعنى تسرع فى التنفيذ ؟
الشاهد - أنا لم إصدار أوامر وإلا قلت .

الرئيس - طيب وبعدين بعد عدم نجاح الخطة إجتماعهم وعدت للخطة الأولى وطلب عبد المنعم رجال وسلاح وملابس بوليس حربي . والجو بتاع الجهاز كان جو مش طعم وكان جو عصاهات وروح مش كويسه . والمرشد طلب إزالة الروح دى . والنظام فيه أسلحة .. ده مخالف لقوانين البلد ؟
الشاهد - أيوه .

الرئيس - وما هو حكم الإسلام ؟
الشاهد - أن اسمع قوانين البلد .

مرافعة المدعى : على نور الدين

بسم الله الرحمن الرحيم

قضاة الشعب : لقد شاءت إرادة الله - جلت قدرته - لوطننا العزيز الخير والسلامة - فكان الحادث، المشعوم ، حادث الإعتداء على الرئيس جمال عبد الناصر النذير الذى أظهر لنا هذا الخطر الجسيم الذى كان يترص بالوطن ليدمره وبالشعب ليشع فيه التقتيل والتخريب ويعود بنا القهقري مئات السنين .

تلك آية من آيات الله ولا عجب أن يؤيد الله المؤمنين بنصره ويخزل الكافرين . فما بالكم بمن يدعون الإيمان بالله ويقولون بأفواههم ما ليس فى قلوبهم . يستغلون دينهم للخداع وغايتهم الحقيقية المنافع والأغراض ووسيلتهم القتل والتخريب والتدمير ، لا عجب إذن أن يجذلهم الله ويكشف أمرهم ، أولئك قد ضلوا طريق الهدى ولن يجدوا لهم ولها ولا نصيراً .

هذه يا حضرات القضاة الجماعة التى يحاكم رئيسها وكبرها الآن جماعة أراد رجالها وقادتها الوصول إلى كراسى بأى ثمن . فما راعوا ديناً ولا وطناً . فأخذوا فى التفرير باسم الدين الحنيف ليخفوا أغراضهم الحقيقية الإرهابية ، وما زالوا يدبرون ويجهزون حتى سقطت عنه الأفتنة وكشفت حقيقتهم فظهر للجميع واضحاً لا يحتاج إلى بيان .

وسمعناهم ينادون بالشورى ورأينا فى نفس الوقت كيف يطبقون نظام الشورى فيما بينهم فى داخل جماعتهم . وإن أول ما يطلب من العضو هو أن يقسم يمين السمع والطاعة للمرشد حتى يصبح مجرد آله صماء فى هذا الجهاز المدمر .

إننا لا نتجنى ولا نظلم يا حضرات القضاة إذا .. إتهمنا هذه الجماعة بالتضليل . تضليل من شأنه أن يودى بالوطن إلى الهلاك والدمار . فبالأمس القريب ضبط مخزن آخر للأسلحة في مدينة الإسماعيلية وجد به ٣ مدافع فيكرز واستن ١٢ بندقية ومسدس و ١٥٩ قنبلة يدوية و ٥٠٠ كيلو جلعنايت علاوة على آلاف المفجرات والطلقات - هذا المخزن موجود في مدينة بور سعيد في منطقة القنال فلماذا لم يستعمل في وقت المعركة ضد الإنجليز ؟

* المتهم هو المسؤول الأول عن الجهاز السرى . والرئيس الأعلى له .

هذه حقيقة لا شك فيها فقد أجمع الشهود وجميع من سئلوا في التحقيق من أعضاء الجهاز وقادته على أن المرشد هو الرئيس الأعلى للنظام السرى الذى يمسك بيديه الخيوط المحركة لأجهزة هذا النظام ، بحيث لا يمكن أن يصدر أى أمر بغير الرجوع إليه وإقراره .

* وذكر الشاهد محمد فرغلى صراحة في شهادته أمام المحكمة أن المرشد بعد ان كان ينادى بوجود حل الجهاز والا سرية في الدعوى عاد واقتنع بوجود وجود هذا الجهاز وعهد برئاسته إلى يوسف طلعت . كما ذكر يوسف طلعت أن المتهم عندما كلف برئاسة الجهاز لم يطلب منه أن يصفى الجهاز .. قالها الشاهد يوسف طلعت صراحة .

* جاءت أقوال المتهم في القضية ناطقة بحقيقتين : الأولى إن المتهم أقر أمام المحكمة في شهادته أنه يعلم بوجود هذا الجهاز وأن افراده يدربون على إستعمال الأسلحة تدريبات عسكرية مخالفا بذلك قوانين الدولة .

الثانية - أنه هو الرئيس الأعلى لهذا الجهاز.

إذن فالتهم يقر في هذه الأقوال أن هذا النظام الخاص كان موجودا في الجماعة لعلمه . وإنه عين رئيسه يوسف طلعت ، ولكنه يتصل بعد ذلك من المسؤولية عن أعمال هذا النظام الخاص ، وعن الغرض منه .

* والوقائع المادية - يا حضرات القضاة - تقطع بأن المتهم كاذب وأنه ما أراد إلا التخلص من المسؤولية . ولعل ما حدث أخيرا في صدد الخطة التي وضعت للانقلاب حيث سافر يوسف طلعت بعد وضع الخطة إلى الإسكندرية لعرضها على المرشد في مخبئه . قاطع في الدلالة على أن يوسف طلعت رئيس الجهاز لم يكن يأتمر إلا بأمر المرشد . وأن المرشد كان هو الرئيس الأعلى للجهاز الذى يجب أن تعرض عليه كل خطة لإقرارها .

يا حضرات القضاة :

تبين لكم من كل ما قدمنا أن المتهم قد أعد فريقاً من أتباعه في جيش سرى مسلح .

أعده ليشن به حرباً أهلية ضد الحكومة وضد أبناء الوطن المسالمين .. ووضع لهذا الجيش خطة لإشغال هذه الحرب الأهلية . بدأ بتنفيذها فعلاً بحادث الشروع في إغتيال رئيس الحكومة - ولولا لطف الله بهذا البلد الأمين ، لكانت المذابح ، ولكان التقتيل والتدمير ، والتخريب الذى كان حتماً سيعصف بكل مقومات الدولة ، وما وصل إليه الشعب بكفاحه من رقى وحضارة .

وإذا كانت هذه هي النتيجة الحتمية لهذه الجرائم أفلا يكون القصاص العادل لهذا ، هو بتر الأعضاء الفاسدة المخربة من جسم المجتمع . لتطهر البلاد من شرورها ، إننا نطالب باسم الشعب الذى يريد لوطنه نهضة دائمة ، وباسم الملايين التى تريد أن تعيش في محبة وسلام نطالب قضاة الشعب بتوقيع عقوبة الإعدام على هذا المتهم وعلى من يثبت إشراكه في هذا العمل الإجرامى .

«إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فساداً ، أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض . ذلك لهم خزي في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب عظيم» .
قضاة الشعب . وفقكم الله .

مرافعة الدفاع : سامى مازن

سيدى الرئيس : حضرات الأعضاء المحترمين :

* إذا كان الأستاذ حسن الهضيبي قدّم للمحاكمة فى هذه التهمة الخطيرة والتي هي حسب الوصف الذى أعطاه الإدعاء لها تتصل بشخص قضاته فإنه لا يجوز لأنه مؤمن بالإيمان كله أنه برىء مما هو منسوب إليه كما أنه مؤمن بأن القاضى إذا جلس مجلس الحكم انقطع ما بينه وبين الناس واتصل ما بينه وبين الله الحكم العدل القدير المتعال .

فالقضاة عبادة . وإذا كنت أريد أن أستهل مرافعتى فلم أجِد خيراً لاستهلالها من أن أشهدكم وأشهد الله بأن حسن الهضيبي أشد الناس إستنكاراً للجريمة .

* عندما قامت هذه الدعوة لقيت إقبالاً وإستجابة منقطعة النظير وعلى حد ما قالت جماعه كبار العلماء فى هذا الأمر إن الجماعة كانت موضع إرتياح من الناس وإجتذاب جمهورتهم وهذا كان أمراً طبيعياً لأن النفوس إذا غلبها الشر أول ما تفرغ إلى الدين وإذا ما غلبت على الناس شقوتهم وطلعت المادية عليهم لا يجدون مخلصاً إلا بالروحانية لتسموا نفوسهم .

وكان منهاج الجماعة هو الذى دعا إلى إنشاء هذا النظام لأن المرشد حسن البنا رحمه الله حين أراد أن يبين وسائل الجماعة فى الوصول إلى هذه الأهداف قال فى رسالة له إن الخطب والدروس لم تجدى نفعاً ولكن للدعوات وسائل لا بد من الأخذ بها وهى الإيمان العميق والتكوين الدقيق والعمل المتواصل .

وقد فكرت طويلاً فى معنى التكوين الدقيق حتى عثرت على حكم صدر من محكمة القاهرة الجنائية تعرض فيه لمعنى التكوين الدقيق فى حادث السيارة الجليب ولقيت فى هذا عجباً لأن التنظيم الدقيق الذى أعد فى هذا النظام الخاص كان استثنائياً عجيباً يبدأ بأمر هى غاية من الأهمية ، فمثلاً الدعوى التى كانت أمام محكمة الجنايات المتهمون فيها قدموا بتكوين نظام متصل وهو ما عبر عنه بالتكوين الدقيق . وقال الحكم فى هذا الصدد كيف يكون التكوين ؟ فقول أن الشخص يتعرف على إخوانه ويجلس معهم عشرات الجلسات ثم تبدأ مرحلة ثانية فثالثة تنتهى إلى إعداد الأشخاص إعداداً خاصاً حتى يتحملوا عبء الجهاد وعند بحث الموضوع أمام محكمة الجنايات وجد كيف أن هؤلاء الأشخاص الذين يسمون بالمكونين يصلون إلى اغراضهم فى هيئة الشباب للوصول بهم إلى أغراضهم .

* كان المطلوب أمام محكمة الجنايات أن تصل المحكمة إلى سر هذا النظام حتى يمكنها إيقافه ، ولكنها لم تصل ولم تستطع تحقيق هذا الغرض ، ومرد هذا إلى النظام الدقيق السرى الذى يحتفظ كل فرد فيه بسريته حتى أن من يبيع السرية تقع عليه عقوبة الأعدام .

* المضيى كان من رأيه العلول عن النظام كلية وأنه يخفى فى شأن التدريب الذى كات الحاجة ما زالت ماسة إليه إذ كان العدو ما زال جاثماً على صدر البلاد . وفريق آخر رأى أن يبقى الجهاز حتى يعاون الدول العربية ولكن بصورة تبعد عنه الإرهاب .

ولكن قيل أن المرشد عين يوسف طلعت .. وقد قال يوسف طلعت هنا أن مأموريته كانت تصفية الجهاز أو بالأقل نزع الروح الشريرة منه . وفعلاً شكلت لجنة لهذا الأمر ووضع نظام كفيل لجعل الجهاز يقوم بمجرد عمليات تدريب أو تفهيم للأعضاء .

وقد ذكر السيد الرئيس أن الجهاز إذا أصبح بهذه الكثرة واصبح كل فرد مسلحاً فإن الأمريكيون أخطر مما كان .. وهنا أود أن أشير إلى أن هذا الوضع حين حدث فى سنة ١٩٥٣م كان الأمر بيننا وبين الإنجليز من غير حل وكان الموقف يهيب نفوس الأمة كلها للجهاد والإخوان لم يخرجوا عن كونهم نفراً من هذه الأمة ، وعلى ذلك فبقاء الهيئة كان لها غرض . وكان الغرض معروفاً وكل ما كان يجب أن يجرى حوله البحث هو أن ترتفع

السرية . والسرية كما قلت عبارة عن تكوين اتصالات وجلسات .

* قالوا أنه تكلم مع يوسف في شأن مظاهراته ، وما دام الأمر كذلك فلو كانت المظاهرة سلمية ولو كان المرشد حفيز يوسف طلعت من أى عمل إجرامى والمظاهرة لم تقع إلا أنه كان من الممكن أن تقع المظاهرة وكان يمكن أن تكون مسلحة ويقع إلتحام يؤدي لنتائج ومعارك ، هذه النتائج المفترضة والإلتحام الموهوم يتحملة المضيبي ويقال إنه وضع خطة لقلب نظام الحكم .

يقول المدعى أن رئاسة المرشد للنظام لابد أن يعلم كل الحوادث التي يرتكبها الجهاز ، لماذا الإضراب ؟ جماعة بها عدد وفير من الناس جاء شخص منها وشذ عن تعاليمه فهل لابد أن يتحمل المرشد كل نتائجه ؟ هذا كلام لا يستسيع المنطق وأركان الأفعال في مجموعها يعززها الدليل . بل منقوصة لا أساس لها .

هل حسن المضيبي معارض للثورة متعارض معها لا .. أنه منذ أول يوم خرجت منه جميع التصريحات لتأييد الثورة التأييد الكامل لأن هذه الثورة يجب على كل إنسان أن يؤيدها . خلقت مصر خلقا جديدا . وقف كل موقف فيه معاني التأييد الكامل .

تعقيب حسن الهضيبي

وهنا طلب المتهم أن يتكلم فقال :

* مسألة الجهاز دى بعد محاكمة السندى أمام ، الجنائيات سألت عن موضوع الجهاز ووجدت السندى واضح يده على الجهاز فقالت له ، يا سندى دلنا على أشخاص النظام وسلاحهم فقال اللى كشفته الحكومة واحنا حاولنا أن نعرف منه مسألة السلاح والأشخاص فلم تتمكن ، وشهد الشهود أنه كان يريد أن يسير الجماعة فى إتجاه خاص وفى هذا الظرف كان لى أن أقول إننى لا أعرف مكان السلاح أو أفراد النظام بعد قول السندى لى هذا . والسلاح لم يكن لشخص . لمثلى معرفته ولا الأشخاص الذين تكون منهم النظام .

وأنا كنت أصبت بشلل نصفى والأستاذ سامى جاب شهادة من الدكتور المفتى تدل على حالتي . وهذه الشهادة الطيبة .

وقرأ الأستاذ سامى ما زال ما جاء بالشهادة :

«أشهد إنى توليت علاج السيد الهضيبي فى سنة ١٩٥١ من شلل نصفى وهذه الإصابة سببت له ضعفا فى الذاكرة» .

وأنا لما قبلت منصب المرشد قلت لهم أنا لا أقدر أن أبأشر كل الأعمال وقد وجدت أنه يستحيل على أن أعمل مثل المرحوم حسن البنا لأنه هو كان مشرف على الجهاز بنفسه ، وأنا كلفت مباشرة الأستاذ عبد القادر عوده . وأنا لم أجد بدا من طرد السندى ولجأت لمكتب الإرشاد . وعندما عرض فرغلي لإختيار أحد الإخوان يكون قريبا من الجهاز وينفذ خططه وعلى ذلك مكتب الإرشاد أقصى السندى وعين ثلاثة مشرفين على النظام عن طريق الشيخ فرغلي ، واللجنة كانت من حسين كمال الدين وكمال خليفة والشيخ فرغلي ، وأنا تركت العمل للدكتور خميس .

* وأنا والله لا أعلم عن هذه التنظيمات أى شىء ولا أدرى عنها شىء . وإحنا جيب يوسف ليسير بالنظام نحو التصفية ، ولو كنا خيلنا النظام ده ماكنشى يؤدى بنا لشىء ، ولكن قلنا إننا نفتح الباب وده يؤدى للتصفية وأنا والله العظيم برىء من هذه التهمة ولم أعلم بهذه الجريمة ولم أمر بها ولم أعمل لها ولم أسمع بها إلا ثانى يوم الحادثة الساعة ٨،٣٠ من الصحف والله على ما أقول شهيد .

تعقيب الإدعاء

وعقب على نور الدين المدعى العام على مراضة الدفاع فقال :

* شاء الدفاع أن يشوش الحقائق لينتهى إلى عدم مسئولية المتهم مع أن الأدلة كلها ناطقة بأن المتهم هو المسئول بحكم وصفه الرئيس الأعلى للجهاز السرى الذى أعده للإنتقال .

* نحن نحاسب المتهم الآن عن الإنحراف بالدعوة والتستر على أغراضها الإجرامية . وقد تبرأت الدعوة منه ومن جماعته يوم أن انحرف بالدعوة واتخذها ستارا للوصول إلى مآربه الشخصية والوصول إلى كراسى الحكم .

* لا يمكن أن يقال إن الجماعة للدين فقط وبعبدة عن الحكم ، ويبرر تكوين جيش سرى مسلح فى داخل الدولة ويستند فى حكم صدر فى قضية السيارة الجيب وأنا بصفتى أحد أفراد الأسرة القضائية لا أنعرض للحكم ولا أقول أن أحد أعضاء المحكمة أصدرته وهو الأستاذ أحمد كامل قد انضم لجمعية الإخوان بمجرد إحالته إلى المعاش .

* جاء بالحكم الذى أصدرته محكمة الجنايات إن جماعة الإخوان تقوم على أساس تكوين نظام سرى ولذلك فهذه الجمعية تكوين جيش وقال الحكم أن النظام السرى كان متصورا به العبث بالأمن العام عن طريق الاغتيال لتحقيق أهداف قيادة الإخوان .

* الإتفاق الجنائى جريمة فى القانون ومجرد الإتفاق معاقب عليه سواء وقعت الجريمة أم لا ، وبعد ذلك يقول الدفاع إن الاتفاق الجنائى لا يقع إلا إذا كان هو مرتكب الجريمة .

* مسئولية المتهم فضلا عن رياسته للجهاز السرى وإشتراكه فى الإتفاق الجنائى هو المنظم له والمادة ٩٨ من قانون العقوبات تنص على هذا ، ونحن هنا فى وضع غير عادى والقوانين العادية موضوعة لغير هذه الظروف ونحن الآن أمام جيش سيقوم بحرب أهلية . فهل نشنق محمود عبد اللطيف ونترك هؤلاء فى الخارج ؟

* القضاء يرى من الهضيبى ومنصبه كمستشار سابق يضاعف من مسئوليته مما كان يجب ألا يتحدر إلى هذا المستوى الإجرامى الذى وصل إليه .

الحكم

فى الساعة الحادية عشرة من صباح السبت ٤ ديسمبر سنة ١٩٥٤م أصدرت محكمة الشعب حكمها بإعدام المتهم حسن إسماعيل الهضيبى شنقا .

تصديق مجلس قيادة الثورة

« طبقاً للمادة السابعة من أمر تشكيل محكمة الشعب تعرض الأحكام الصادرة من المحكمة على مجلس القيادة للتصديق عليها . وقد عرض الحكم الصادر على المتهم حسن إسماعيل الهضيبى على مجلس قيادة الثورة فى يوم السبت ٤ ديسمبر سنة ١٩٥٤ فخففه المجلس إلى الأشغال الشاقة المؤبدة وذلك لأن المجلس - كما صرح الصاغ صلاح سالم - رأى إن المتهم ربما يكون قد وقع تحت تأثير المحيطين به من أعضاء الجماعة ومما يساعد هذا رأى مرضه وكبر سنه » .

(٢) ملخص التحقيقات مع يوسف طلعت

محضر الجلسة الثامنة عشرة لمحكمة الشعب

المنعقة علنا في الساعة العاشرة والربع صباحا بمقر قيادة الثورة في الجزيرة يوم السبت ٢٦ نوفمبر سنة ١٩٥٤ م (الموافق ٢ ربيع الثاني سنة ١٣٧٤ هـ) .

المؤلفة وفقا للأمر الصادر من مجلس قيادة الثورة بتاريخ أول نوفمبر سنة ١٩٥٤ م (الموافق ٥ ربيع الأول سنة ١٣٧٤ هـ) بناء على المادة السابعة من الدستور المؤقت .

والمشكلة برئاسة قائد الجناح جمال مصطفى سالم عضو مجلس قيادة الثورة وعضوية القائم مقام أنور السادات أ . ح حسين الشافعي عضوى مجلس قيادة الثورة .

وبحضور البكباشى محمد التابعى والاستاذ مصطفى الهلباوى رئيس نيابة أمن الدولة عضوى مكتب التحقيق والإدعاء .

قدمت القضية رقم ٣ سنة ١٩٥٤ م (محكمة الشعب) المتهم فيها يوسف عز الدين محمد طلعت .

حضر المتهم ..

الرئيس - المتهم موجود ؟

البكباشى محمد التابعى (المدعى) :

المتهم موجود والقضية جاهزة .

الرئيس - يوسف عز الدين محمد طلعت .

المتهم - أيوه يا أفندم .

الرئيس - الإدعاء المقام عليك :

أتى أفعالاً ضد نظام الحكم الحاضر وضد سلامة الوطن .. وذلك لأنه فى يوم ٢٦ أكتوبر سنة ١٩٥٤ وما قبله فى أنحاء الجمهورية :

أولاً : أدار مع آخرين إتفاقاً جنائياً الغرض منه إحداث فتنة دامية بوصع خطة شاملة للقيام باغتيالات واسعة النطاق وارتكاب عمليات تدمير بالغة الخطورة وتخريب شامل فى جميع أنحاء البلاد تمهيداً لاستيلاء الجماعة التى ينتمى إليها على مقاعد الحكم بالقوة .



يوسف طلعت
فائد الجهار السرى العقل المدبر لحادث ١٩٥٤

ثانياً : أدار جهازاً سرياً مسلحاً مخالفاً بذلك قوانين الدولة .

مذنب أو غير مذنب ؟

المتهم - فيه حاجات مذنب فيها وفيه حاجات مش مذنب فيها .

الرئيس - قول اللي عايز تقوله . إيه الحاجات المذنب فيها وإيه الحاجات اللي مش مذنب فيها ؟
المتهم - أولاً أنا مذنب لأن كان لازم أسلم الحاجات قبل أن يقبض على ...

الرئيس - أنا باقول لك الآن تقول مذنب في أى حنة ومش مذنب في أى حنة .. أدار جهازاً سرياً مسلحاً مخالفاً بذلك قوانين الدولة .

المتهم - أنا اللي ادرته !! هم حطوني عليه ... والله دى مصيبة وانحطت على .. مصيبة حطوني فيها ولا شك القانون لا يسمح لذلك .. أمرى إلى الله ..

الرئيس - مذنب أو غير مذنب ؟!

المتهم - مذنب .. لاني ماقلتش وقبلت .

الرئيس - أدار مع آخرين إتفاقا جنائياً . يعنى إنكم إتفقتم على بهدلة .. فيها دبح وتقتيل .
المتهم - لى كلمة في الحنة دى .. أولاً مسألة القتل والحاجات دى كلها .. كنت في الحقيقة أجارى عبد المنعم عبد الرؤوف في كلامه . والدليل إنك لا تجد في كلام أى واحد منهم إن فيه خطة إنتهينا إليها أبداً .. في الحنة دى أعتقد إن شاء الله حاطل مش مذنب فيها ...
(ضحك) في حنة القتل دى مش مذنب .

الرئيس - طيب .. مش عايز واحد محامى ؟

المتهم - لا .

الرئيس - ليه ؟ .

المتهم - قلبى .. أنا يعنى حاسس إن اللي ربنا يجيبه على لسانكم راضى به والمحامى حيمنع قضاء ربنا يعنى ؟ أنا حقول اللي في نفسى وإنتم تفهموه وأنا راضى .

الرئيس - ليه مش عايز محامين ؟

المتهم - ما باحش محامين .. أصلى فاكر إن ربنا حيحاسبهم يوم القيامة لأنهم يدافعون عن ناس أحياناً بالباطل .. (ضحك) .

الرئيس - يعنى إنت حتدافع عن نفسك ؟

المتهم - حاقول الحق وبس . المسألة مش إن الإنسان يقول الحق وإنتم حضراتكم تحكموا ؟
والا حد تاني حيحكم ؟! مش حضراتكم حتحكموا ؟ أنا راضى .

الرئيس - شوف يا يوسف ضح ودانك دلوقت للكلام اللى حيقوله المدعى .. واعطيله ورقة وقلم يكتب فيها النقط (موجهها كلامه للمدعى) كل نقطة عايز ترد عليها فأخذ مذكرة بيها وفي والآخر ترد عليها .

المتهم - حاضر .

وهنا وقف الاستاذ مصطفى الهلباوى رئيس نيابة أمن الدولة والمدعى بمحكمة الشعب يقول كلمة الإدعاء باسم الشعب ..

مرافعة المدعى مصطفى الهلباوى

بالأمس قدمنا مرشد هذه الجماعة وقائدها الأعلى :

واليوم نقدم لكم الرجل الثانى فى هذه الجماعة أو العصبة المسلحة .. هذا الرجل الذى كان بالأمس نجارا فأصبح اليوم الجزار والجلاد وصاحب مصنع الموت فى هذه العصبة . وكل مؤهلاته قدرته على التدبير الإجرامى المتمطش إلى الدم الساخن . هذا العطش الذى جعل قلبه يخلو من كل ذرة من ذرات الشفقة أو الرحمة أو الدين هذه القدرة التى جعلته يتكر هذا الحزام الناسف الذى كنا نقشعر جميعا ونحن نستمع إليه .

* اعترف المتهم صراحة وحتى اليوم أنه الرئيس السرى المباشر للنظام السرى والمسئول عنه فى جميع أنحاء البلاد .

* وقرر المتهم اليوم أنه مذنب فى الإدعاء الثانى وهو الخاص بإدارة الجهاز .

* اعترف بأن خطة الاغتيالات الشاملة وحوادث التخريب والتدمير قد تم الإتفاق عليها فى منزل أخيه بشيرا بينه وبين عبد المنعم عبد الرؤوف وإبراهيم الطيب . وقد قال إن الخطة هو المسئول عنها وأنه أصدر أمره لإبراهيم الطيب بتنفيذها وإبلاغها للمناطق .

* قال إنه كانت هناك خطة لإقتحام مجلس الوزراء بعساكر يرتدون ملابس البوليس الحزبى لإغتيال الرئيس وإنه كلف الصول بركات بشراء أربعين بدلة .. كما اعترف بأنه أعد الحزب الناسف وسلمه للطيب .

* اعترف أن الجهاز السرى محالف لقوانين الدولة بل ومخالف لأحكام الإسلام . ومع ذلك يعترف بأنه إشتري للجهاز خمس مدافع استن .

* هذه هى إقرارات المتهم وهى كافية للإطاحة بعنقه .

* أناشدكم وأطالبكم باسم الشعب أن تطهروا أرض الوطن من مثل هذا المتهم الذى
ما فعل ولم يندم على ما فعل .

وعقب ذلك وجه الرئيس كلامه للمتهم :

الرئيس - تجيب محامى تقول له اللى إنت عايزه وهو يتكلم عنك ؟

المتهم - مش عايز حاجه خالص .. توكل على الله يا شيخ .

الرئيس - كل اللى عايز تقوله قوله .

مرافعة المتهم يوسف طلعت

* أولا يا حضرات مسألة التجارة مش عيب لأن دى صناعة سيدنا نوح وسيدنا يوسف
ومسألة تعطشى للدم فأنا خبطت فى منزل كان فيه ستن وبه مدافع فلو كنت كذلك لدافعت
عن نفسى ولكن يعلم الله أننى أنهم معنى الإنسانية وكان فى يدى سلاح ولكن ضميرى
وقلبى لم يسمح لى باستعمال أى شىء . والحقيقة إنى كنت عايش فى الجهاز فى رعب
وتهديد .

* ومسألة الحزام ده حتى الآن ناقص ولا أحد يعرف الشىء الناقص فيه ولن أقول السر
فى هذا إلا بينى وبينكم . حتى لا يستعمله إبن حرام .

* بعد السندى أنا وجدت الجو مهيأاً لتصفية النظام ولكن كان فيه ناس جعلونا نعيش
فى رعب بحجة المحافظة على التراث وهو الجهاز لفكرة الجهاد ومسألة الاغتيالات لا أحد
يقول إننى دبرت هذا ، وأنا سافرت الاسكندرية وقابلت عبد المنعم عبد الرؤوف وقلت
له على مسألة المظاهرة الشعبية من جميع الطوائف التى قال عنها المرشد ، فأنا قلت له
هذا فقال : إنهم يحصدوهم فى كل ناحية بالرصاص . فقلت له : أنا أرسلت لعبد القادر
عودة ولم يحضر بعد .. وبعدين عبد الرؤوف قال الخطة بتاعت الاغتيالات فأنا قابلت
إبراهيم الطيب .. وقلت له : أسأل الأستاذ عبد القادر . فعاد إلى وقال : إنه غير موافق
على المظاهرة وأنا والله وكتاب الله أنا لم أقل لإبراهيم الطيب خذ خطة ونفذها وأنا كل
اللى حصل إننى بلخته إن فيه خطة وضعها عبد المنعم عبد الرؤوف .

* وبعدين جانى إبراهيم بعد الحادث وقلت له : إيه يا إبراهيم ؟ فقال لى أنه ذهب لهنداوى
فوجده سافر، فذهبت إلى منزل بالروضة وجلست به خمسة أيام وحدى ، وبعد ذلك رحى
بيت فى السيدة قال لى عليه إبراهيم الطيب فقابلت عبد المنعم عبد الرؤوف فقال لى :

إليه يا يوسف الشغل ده ؟ فقلت له : لعله خير . وبعدين عرض فكرة إقحام مجلس الوزراء بملابس عسكرية . فقلت له : تفاهم مع إبراهيم . فسأله إبراهيم عن السلاح ، فقال له : عندي . وسأله عن الرجل فأجاب ، وبعد ذلك فقال لى : ادخل انت صلى . فقلت له : مش أقعد اتفاهم معاكم ؟ فقال : لا ده مش إسلام ده فن وعسكرية .. ادخل صلى .. وبعدين أنا أخذت على خاطرى وبكيت ..

الرئيس - إنت تكلمت ودافعت عن نفسك ولكن أنا أرى أنه ليس كافيا ، ولذلك قررنا استحضار محام لك .
المتهم - مش عايز .

الرئيس - لا .. المحكمة ملاحظة إن المتهم غير طبيعى لا سيما وقد سمع الإدعاء يطلب إعدامه ودى مسألة طبيعية . نجيب واحد يشرح كلامك .

ووقرت المحكمة إنتداب الأستاذ أحمد لطفى حسونه للدفاع عن المتهم والمحكمة رأّت أن الأستاذ لطفى وقد حضر جميع جلسات القضية يمكنه تولى الدفاع عن المتهم .

مرافعة الدفاع لطفى حسونة

الأستاذ لطفى حسونة :

أنا مُستعد للحضور . ولكنى أريد أى أجل للاطلاع ويكفينى ساعة لمناقشة المتهم فى بعض النقاط .

تم ترافع الاستاذ لطفى حسونة . وهذه مقتطفات مما قاله :

* إن المتهم الذى شرفتمونى للدفاع عنه لم يتقدم لكم ليقول أنه مجنون أو منوم ولكنه كما لاحظتم حضراتكم اعترف منذ الدقيقة الأولى للقبض عليه بكل ما يعرفه وسهل للأداة الحكومية أن تضع يدها على عناصر الشر .

* يوسف طلعت جاء اليوم واعترف والمتهم الذى يعترف ويدلى بما عنده لابد أن يكون هذا الإقرار أقرب إلى الحقيقة عنه من المتهم الذى ينكر كل شيء .

* وقال : إنه لم يتلق أمرا من أحد بحل الجهاز واعتقد أنه موجود على رأس الجهاز لتصفية ولكنه دخل فى نفسه الرعب لا سيما بعد قتل السيد فايز . وحاول الإتجاه بالجهاز الإتجاه

السليم ولكنه للأسف لم يتلق أمرا من المرشد بحل الجهاز وكان تحت ضغط وإرهاب حتى أصبحت يده مشلولة . في الجهاز ، وأصبح الاشراف الخميس وفرغلي وأمثالهم وخرج الزمام من يده .

رجل جأى في بساطة يقول كل ما في قلبه وحضراتكم تقدرون إنه رجل اشترك في جهاز خطير كهذا وفي جمعية إجرامية كهذه وقدروا الظروف المحيطة به واحكموا بما ترون أنه العدل والله يوفقكم .

المتهم - تسمحوا لي أشكره ثم وجه الشكر للاستاذ لطفي حسونة على دفاعه عنه .

الرئيس - عايز تقول حاجة ؟

المتهم - لأ .

«رفعت الجلسة حيث كانت الساعة الثانية عشرة وخمس وأربعين دقيقة» .

الحكم

في الساعة الحادية عشرة من صباح السبت ٤ ديسمبر سنة ١٩٥٤م أصدرت محكمة الشعب حكمها بإعدام المتهم يوسف عز الدين محمد طلعت شنقا

تصديق مجلس قيادة الثورة :

«طبقا للمادة السابعة من أمر تشكيل محكمة الشعب تعرض الأحكام الصادرة من المحكمة على مجلس القيادة للتصديق عليها وقد عرض الحكم الصادر على المتهم يوسف عز الدين محمد طلعت على مجلس القيادة في يوم السبت ٤ ديسمبر سنة ١٩٥٤م فصدق المجلس على الحكم» .

التنفيذ

في تمام الساعة الثامنة والنصف من صباح ٧ ديسمبر سنة ١٩٥٤م نفذ الحكم الصادر على يوسف عز الدين محمد طلعت حيث أعدم شنقا بسجن الإستئناف .

(٣) ملخص التحقيقات مع هنداوى دوير محضر الجلسة التاسعة عشرة لمحكمة الشعب

المنعقدة علنا فى الساعة العاشرة والدقيقة العشرين صباحاً بمقر قيادة الثورة فى الجزيرة
يوم الإثنين ٢٩ نوفمبر سنة ١٩٥٤م (الموافق ٣ ربيع الثانى سنة ١٣٧٤هـ) .

المؤلفة وفقاً للأمر الصادر من مجلس قيادة الثورة بتاريخ أول نوفمبر سنة ١٩٥٤م
(الموافق ٥ ربيع الأول سنة ١٣٧٤هـ) بناء على المادة السابعة من الدستور المؤقت .

والمشكلة برئاسة قائد الجناح جمال مصطفى سالم عضو مجلس قيادة الثورة وعضوية
القائمقام أنور السادات والبكباشى أ . ح / حسين الشافعى عضوى مجلس قيادة الثورة .

وبحضور البكباشى إبراهيم سامى جاد الحق المدعى والاستاذ عبد الرحمن صالح وكيل
النائب العام عضوى مكتب التحقيق والإدعاء .

«قدمت القضية رقم ٤ سنة ١٩٥٤م (محكمة الشعب) المتهم فيها كل من هنداوى
دوير وإبراهيم الطيب» .

«حضر المتهم هنداوى دوير» .

الرئيس - المدعى .. المتهم موجود ؟

البكباشى إبراهيم سامى (المدعى) :

المتهم موجود والقضية جاهزة يا افندم .

الرئيس - المتهم هنداوى سيد أحمد دوير .

المتهم : أيوه يا فندم .

الرئيس - الادعاء المقام عليك :

أتى أفعالا ضد نظام الحكم الحاضر وضد سلامة الوطن ، وذلك لأنه فى يوم ٢٦ أكتوبر
سنة ١٩٥٤م وما قبله بمدينتى القاهرة والإسكندرية :

أولاً : أدار مع آخرين إتفاقاً جنائياً الغرض منه إحداث فتنة دامية لقلب نظام الحكم بالقوة
بوضع خطة شاملة للقيام بإغتيالات واسعة النطاق ، وإرتكاب عمليات تدمير بالغة الخطورة
وتخريب شامل فى جميع أنحاء البلاد ، تمهيداً لإستيلاء الجماعة التى ينتمى إليها على مقاعد
الحكم بالقوة .



هندوى دور
المقامى أحد القادة المدبرين لحادث ١٩٥٤

ثانياً : أدار جهازاً سرياً مسلحاً مخالفاً بذلك قوانين الدولة ..

فهل أنت مذنب أو غير مذنب ؟

المتهم - غير مذنب .

الرئيس - غير مذنب في أولاً وثانياً ؟

المتهم - إن شاء الله .. أنا يعني مدين في واقعة واحدة ، وهي واقعة حمل المسدس فترة معينة وإيدته لمحمود عبد اللطيف .. أما غير هذا .. لا ..

الرئيس - مش جايب محامي يا هنداوى ؟

المتهم - لا يا أفندم .. أنا أصلى محامى .

الرئيس - إنت يا هنداوى عايز تجيب شهود ؟

المتهم - لا يا أفندم .. أنا ما عنديش شهود .

وهنا وقف الاستاذ عبد الرحمن صالح وكيل النائب العام والمدعى بمحكمة الشعب ليقول كلمة الإدعاء باسم الشعب .

مرافعة المدعى عبد الرحمن صالح

* المتهم هنداوى ظهر إسمه على لسان المتهم محمود عبد اللطيف عقب القبض عليه بعد حادث محاولة اغتيال الرئيس جمال وقال لمحمود عبد اللطيف إن الذى أمره بإرتكاب الحادث هو هنداوى رئيسه فى الجهاز السرى .

وهنا بالتدريج ظهر المتهم وظهر أمر الجهاز بالتدريج سواء كان تصاعدياً أن تنازلياً وانتهينا إلى تبين نظام الجهاز السرى وكيف تصدر الأوامر إليه .

* وأقول : أن هنداوى كان - فضلاً على أنه عضو أو رئيس فصيلة فى الجهاز السرى - فقد كان له دافع خاص من نفسه هو التعطش إلى إرتكاب الجرائم . ولم تحل ثقافته العالية - وقد بلغ فيها مدى واسعاً حتى صار محامياً - لم تردعه هذه الثقافة وأبى إلا أن يكون فى ذاته عاملاً أساسياً من عوامل الإرهاب والتخريب والإغتيال

* هنداوى دوير رئيس فصيلة إمبابة فى الجهاز السرى ولم يكتف بذلك وإنما كون من هذا الجهاز السرى فى إمبابة بالذات خلية خاصة ترأسها هو وجعل فيها عضوين هما سعد حجاج ومحمود عبد اللطيف لتكون هذه الخلية الصغيرة أداة إرهابية خطيرة .

* هنداوى دوير رئيس فصيلة إمبابة فى الجهاز السرى كان مرؤوسا لإبراهيم الطيب رئيس الجهاز السرى فى القاهرة الذى رأى إختيار خلية إمبابة لإرتكاب الحادث نظراً لنشاط هنداوى .

* اعترف هنداوى بأنه تلقى الأمر باغتيال الرئيس جمال عبد الناصر من الطيب وأنه تلقى منه السلاح وسلمه لمحمود عبد اللطيف ثم موته بالتقود والطلقات وترك الأمر لمحمود ليختار طريقة تنفيذ الأمر

* اعترف هنداوى بأنه قال لمحمود عبد اللطيف أن له إختيار خطة الاغتيال . كما اعترف بأنه لما أخذ الحزام الناسف من الطيب عرضه على محمود عبد اللطيف ومحمد نصيرى وقد رفضا استخدام الحزام .

* وفشلت الخطة فلجأ المتهم إلى الهرب مع حرمه إلى المنيا ليدبر أموره ولما وجد أن محمود ذكر اسمه سلم نفسه للبوليس .

ويقول هنداوى أنه سلم نفسه لخدمة العدالة . وهذا غير صحيح لأن هنداوى بعد أن سلم نفسه ووجه بأقوال محمود عبد اللطيف وناقشه المحقق فى حوالى عشرين صفحة كان هنداوى يصبر على الإنكار ولم يعترف إلا بعد مواجهته بسعد حجاج .

* ولو بقى هنداوى دوير لما بقى الاستقرار . إن الشعب يريد أن ترسموا له خطة الاستقرار فإذا ما أخذتكم الرأفة فلتكن بالشعب وحياة المتهم إزاء حياة الشعب لا تساوى شيئاً ، وإلى مصر ومصمم على طلب الإعدام .. وفقكم الله .

مرافعة المتهم هنداوى دوير

وترافع هنداوى دوير عن نفسه فسرد عدة وقائع عن نشاطه وتكليف المرحوم حسن البنا له بدخوله إلى معسكرات الجيش الإنجليزى فى التل الكبير . ومعرفة أماكن السلاح البريطانى وذكر أنه وضع فيها شنطة مفرقات وكانت الخسارة بين عشرة وخمسة عشرة مليون جنيه .

* زى المدعى العام ما شرح محمود عبد اللطيف أخذ المسدس منى . ده صحيح والحقيقة إننى قلت لمحمود عبد اللطيف : بلاش يا محمود ما تروحش ولكن هو راح .

الرئيس - ده يخالف ما جاء فى إعترافاتك إنت قلت له ما فيش داعى يا محمود طول بالك .

هو قال لك : لا ... فأنت قلت له : توكل على الله .
المتهم - الفقرة الأخيرة لا أذكرها .

الرئيس - الفقرة الأخيرة دى فى إعتراقاتك فى التحقيق وفى المحكمة هنا .

* وإذا قام إنسان لمحاربة الإنجليز وإنضم لجهاز سرى ثم إنحرف بعض أفراد الجهاز لإرتكاب الجرائم فاللوم على الذين إنحرفوا . وأنا لم أنحرف .

* وزى ما قلت لحضراتكم أنا فى معنى الإستفادة من تسليم نفسى للسلطة المختصة وتسليمها الأسلحة ، أنا قمت بهذا واجبا على ولا أريد له ثمنا . وأنا قمت بهذا كواجب أشعر به كل الشعور ولا لهربت . لذلك فأنا أضع نفسى بين أيديكم مطمئنا إلى عدالة المحكمة والله ولى التوفيق .

«ورفعت الجلسة فى الساعة الحادية عشرة صباحاً»

(٤) ملخص التحقيقات مع إبراهيم الطيب

محاكمة إبراهيم الطيب

بعد الإنتهاء من سماع مرافعة المتهم هندأوى دوير عن نفسه رفعت الجلسة فى الساعة الحادية عشرة صباحا للإستراحة ثم أعيدت الجلسة فى الساعة الثانية عشرة إلا ربعا حيث قدمت قضية المتهم إبراهيم الطيب .

« حضر المتهم إبراهيم الطيب » .

الرئيس - المتهم موجود ؟

البكباشى إبراهيم سامى (المدعى) - أبوه يا فندم موجود .

الرئيس - المتهم إبراهيم الطيب إبراهيم صقر .. الإدعاء المقام عليه :

أتى أفعالا ضد نظام الحكم الحاضر وضد سلامة الوطن وذلك لأنه فى يوم ٢٦ أكتوبر سنة ١٩٥٤م وما قبله بمدينتى الإسكندرية والقاهرة :

أولاً : أدار مع آخرين إتفاقا جنائيا الغرض منه إحداث فتنة دامية لقلب نظام الحكم بالقوة بوضع خطة شاملة للقيام باغتيالات واسعة النطاق وإرتكاب عمليات تدمير بالغة الخطورة وتخريب شامل فى جميع أنحاء البلاد تمهيداً لأستيلاء الجماعة التى يتسمى إليها على مقاعد الحكم بالقوة .

ثانياً : أدار جهازا سريا مسلحا مخالفا بذلك قوانين الدولة ..

فهل أنت مذنب أو غير مذنب ؟

المتهم - غير مذنب .

الرئيس - عاوز شهود يا إبراهيم ؟ وعاوز محامى ؟

المتهم - لا يافندم متشكر . أنا محامى وحدافع عن نفسى .

وهنا وقف الاستاذ عبد الرحمن صالح وكيل النائب العام والمدعى بمحكمة الشعب ليقول

كلمة الإدعاء باسم الشعب ..

مرافعة المدعى عبد الرحمن صالح

* أقدم لكم إبراهيم الطيب ..

فهو المسئول عن الجهاز السرى فى منطقة القاهرة ولقد سألنا الكثير من أعضاء هذا الجهاز فاجتمعت أقوالهم واجمعوا على أن إبراهيم الطيب هو القوة البارزة فى منطقة القاهرة وهو المحرك للجهاز .

وقد اعترف المتهم بأنه رئيس منطقة القاهرة . وقد تجاوز نشاطه وتأثيره إلى أبعد من ذلك ، وقد قال يوسف طلعت أن إبراهيم الطيب اشترك إشتراكا فعليا فى المؤامرة الكبرى لقلب نظام الحكم التى دبرها المسئولون فى الجماعة ، ثم أخذ على عاتقه أن يقوم بتنفيذ قرارات القيادة فبادر إلى تجهيز العدد والعدد من الرجال والسلاح .

* والمتهم اعترف أمامكم بأنه سلم الحزام الناسف إلى هنداوى ثم اعترف بأنه احضر المسدس وأعطاه لهنداوى دوير وكان المتهم يستحثه ويؤكد له أن المرشد هو الأمر بالخطوة .

* وشهد فتحى البوز أمامكم بأنه قابل إبراهيم الطيب قبل حادث محاولة اغتيال الرئيس جمال وفاتحه فيما وصل إلى القصاصات من أوامر وتناقشا . وصارحه إبراهيم الطيب بأن مسألة اغتيال جمال عبد الناصر قد تقرر ولا تناقشنى فيها .

* قال تعالى : « من اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم » وأنا باسم الشعب أطالبكم بإعدام هذا المتهم بالحزام الناسف الذى أراد أن ينسف به جمال عبد الناصر .

وقضكم الله ووقى البلاد فتن هذا المتهم وأمثاله .

الرئيس - المتهم حثدافع عن نفسك ؟

المتهم - إننى مكتفى بما سبق أن أوردته فى الجلسة السابقة وما قلته فى التحقيقات . وأفوض أمري إلى الله .

الرئيس - المحكمة مصرة على أن تسمع دفاعك .. فأما أن تعيد كلامك أو تقوم المحكمة بانتداب محامى لك .

المتهم - أنا ممكن أخلصها .

مرافعة المتهم إبراهيم الطيب

وكان دفاع المتهم قصيراً وهذا أهم ما فيه :

* ما قمنا به وما أعدنا له إنما كان يهدف أول ما يهدف إلى تحقيق الأهداف التي قامت عليها الثورة وهي كفالة الحريات وإقامة حكم نيابي سليم من الشوائب التي لوثته في الأزمنة السابقة . ومن ناحية أخرى إطلاق الحريات وبخاصة حرية الصحافة وهذه كما تعلمون هي المطالب التي قامت لها الثورة منذ اللحظة الأولى .

* وهذه المطالب هي التي دفعتنا إلى ما قمنا به حقيقة أننا كنا نعمل في جانب معين وكان عملنا إجتهدا والإجتهدا يحتمل الخطأ ، فإذا كنا أخطأنا فهذا ما يتعرض له المجتهدون ، وأفوض أمري إلى الله .

ورفعت الجلسة في الساعة الثانية عشر ظهراً .

الحكم

في الساعة الحادية عشرة من صباح السبت ٤ ديسمبر سنة ١٩٥٤م أصدرت محكمة الشعب حكمها بإعدام المتهمين هنداوى سيد أحمد دوير وإبراهيم الطيب صقر شنقا . تصديق مجلس قيادة الثورة :

«طبقاً للمادة السابعة من أمر تشكيل محكمة الشعب تعرض الأحكام الصادرة من المحكمة على مجلس القيادة للتصديق عليها ، وقد عرض الحكم الصادر على كل من المتهمين سيد أحمد دوير وإبراهيم الطيب صقر على مجلس القيادة في يوم السبت ٤ ديسمبر سنة ١٩٥٤م فصدق المجلس على الحكم » .

التنفيذ

في تمام الساعة التاسعة من صباح ٧ ديسمبر سنة ١٩٥٤م نفذ الحكم الصادر على هنداوى سيد أحمد دوير حيث أعدم شنقا بسجن الاستئناف .

ونفذ الحكم الصادر على إبراهيم الطيب صقر في تمام الساعة التاسعة والنصف من نفس اليوم حيث أعدم شنقا بسجن الاستئناف .

(٥) ملخص التحقيقات مع

عبد القادر عودة

حسين كمال -

محمد كمال خليفة

محضر الجلسة

الحادية والعشرين لمحكمة الشعب

المنعقدة علنا في الساعة السادسة والدقيقة الخامسة والعشرين مساء بمقر قيادة الثورة في الجزيرة ، يوم الثلاثاء ٣٠ نوفمبر سنة ١٩٥٤م (الموافق ٤ ربيع الثاني سنة ١٣٧٤) .
المؤلفة وفقا للأمر الصادر من مجلس قيادة الثورة بتاريخ أول نوفمبر سنة ١٩٥٤ ،
(الموافق ٥ ربيع الأول سنة ١٣٧٤) بناء على المادة السابعة من الدستور المؤقت .
والمشكلة برئاسة قائد الجناح جمال مصطفى سالم عضو مجلس قيادة الثورة وعضوية
القادر تام أنور السادات ، والبكباشي (أ . ح) حسين الشافعي عضوي مجلس قيادة
الثورة .

وبحضور البكباشي إبراهيم سامي جاد الحق المدعى ، والاستاذ عبد الرحمن صالح
وكيل النائب العام ، عضوي مكتب التحقيق والإدعاء .

وقدمت القضية رقم ٦ سنة ١٩٥٤م (محكمة الشعب) المتهم فيها كل من عبد القادر
عودة وحسين كمال الدين خليفة .

حضر المتهم عبد القادر على عودة .

الرئيس - فتحت الجلسة ، المتهم موجود ؟

الاستاذ عبد الرحمن صالح (المدعى) :

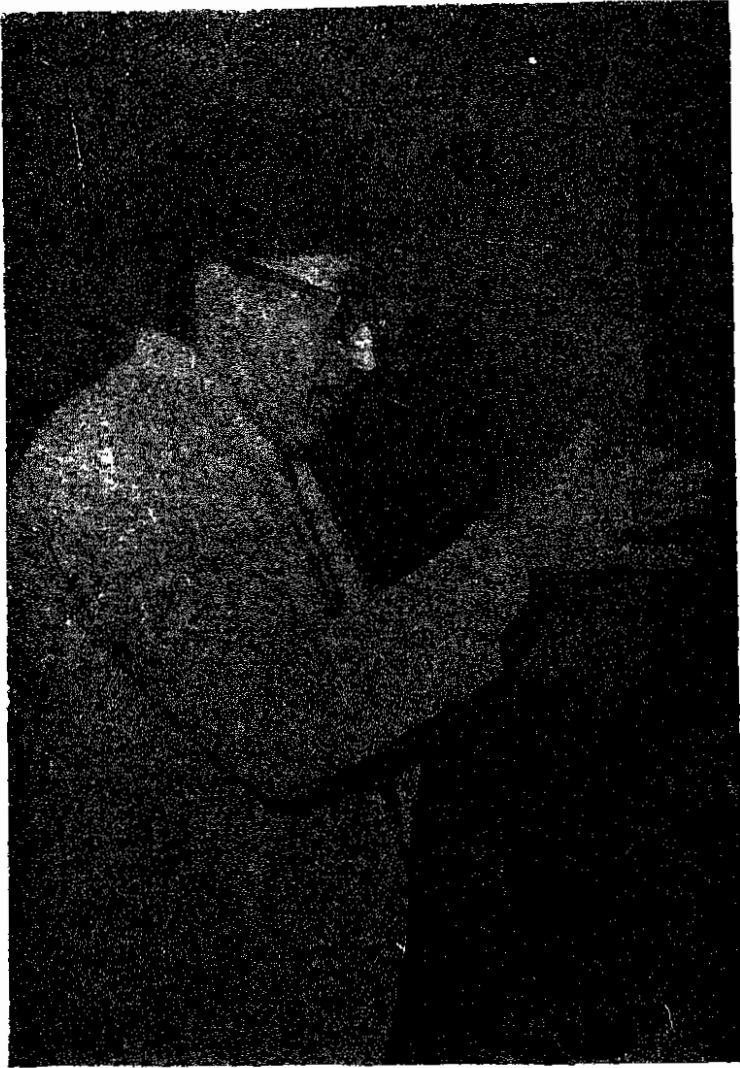
المتهم موجود يا افندم والقضية جاهزة ..

الرئيس - عبد القادر على عودة ..

الإدعاء المقام عليك :

«أتى أفعالا ضد نظام الحكم الحاضر وضد سلامة الوطن وذلك لأنه في ٢٦ من أكتوبر
سنة ١٩٥٤ وما قبله في أنحاء الجمهورية :

أولاً : بوصفه عضوا في مكتب الإرشاد بجماعة الإخوان المسلمين إشتراك في توجيه سياستها



عبد القادر عوده
مهامي وكيل جماعة الاخوان قال له فتحي البوز : أن الطيب قرر اعتيال الرمس



حسين. كمال الدين
استاذ جامعى والمشرى العام على جواله الإخوان ١٩٥٤

إلى استعمال العنف والإرهاب . وأقر قيام نظام سرى مسلح لقلب نظام الحكم تمهيداً
لإستيلاء الجماعة التى ينتمى إليها على السلطة بالقوة .
ثانياً : أدار مع آخرين اتفاقاً جنائياً الغرض منه إحداث فتنة دامية لقلب نظام الحكم بالقوة وذلك
بأن أشرك فى مؤامرة وضعت فيها خطة شاملة للقيام باغتيالات واسعة النطاق
وارتكاب عمليات تدمير بالغة الخطورة وتخريب شامل فى جميع أنحاء البلاد ، تمهيداً
لإستيلاء الجماعة التى ينتمى إليها على مقاعد الحكم بالقوة .

مذنب أو غير مذنب ؟

المتهم - لا ، غير مذنب يا أفندم .

الرئيس - عندك شهود ؟

المتهم - لا والله ما عندىش وإنما أنا اطلمت على أقوال الشهود فى التحقيقات وأنا
حادافع عن نفسى .

الرئيس - طيب اتفضل اقعد .. المدعى ..

وهنا وقف الاستاذ عبد الرحمن صالح وكيل النائب العام والمدعى بمحكمة الشعب
ليقول كلمة الإدعاء باسم الشعب ..

مرافعة المدعى عبد الرحمن صالح

قضاة الشعب :

المتهم بإعتباره كان وكيلاً لهذه الجماعة ومتصل بالمرشد لا ينكر أنه كان يوجد
تنظيم سرى ولكنه يقول أنه لا يعرف شيئاً عنه بعد أن عينت لجنة من خميس ومن
أربعة آخرين لمحت النظام وإعادة تنظيمه يقول كما أن النظام ده غير شرعى ولا
يتمشى مع الأصول الدينية . ولكنه ماذا فعل لحله ؟ لا شىء .. يوسف طلعت يقول
ويعترف - رغم أنه ينكر صلته بالجهاز - أنه عرض عندما دبر أمر المظاهرة السلمية
التى يعقبها الإغتيالات. الأمر على المرشد والمرشد وافق وقال له على شرط تعرض
الأمر على عبد القادر عودة وإن المتهم قال له انتظر لأن فيه لجنة تحتجتم لحكاية
المظاهرات . وقال يوسف طلعت أمام المحكمة أيضاً إن عبد القادر عودة مسئول
عن إخراج المظاهرات . يبقى لما يجى عبد القادر ويقول أنا ماليش دعوة بالجهاز
السرى يبقى كذاب . لأنك يا عبد القادر عودة ومعاك أعضاء فى مكتب الإرشاد
مختصين بهذه المسائل ونظرتم الموضوع وإنتهى الأمر بأنكم قلتم إن الخطة مش

الغيت .. لا أتأجلت بس . وفرغلى قال فى أقواله إن عبد القادر عوده أعطى منشورين لطبعهم - المنشور الأول من رئيس الجمهورية والثانى منشور الوزير السابق الذى تبين أنه سليمان حافظ - أعطاهم لإبراهيم الطيب رئيس منطقة القاهرة فى الجهاز السرى وشريك المتهم فى مكتبه . ويقول عبد القادر عوده أنه يستكر الجريمة ويستكر محاولة الاعتداء . وده كلام من محكمة أهلية ولا يمكن أتصوره ويأبى الله إلا أن يسوق لنا الدليل لأنه مع المخلصين وعمره ما نصر مراوغ أو منافق .. الرئيس - ممكن قوى أن ينصرهم علشان يأخذهم بما يفعلون وفيه إيه فى هذا المعنى .. المتهم - «حتى إذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة»

الأستاذ عبد الرحمن صالح المدعى :

الحمد لله زى ما ربنا أخذكم ... وفيه دليل اقوى من كده وهو أن أحد أقطاب الجهاز اليسلى وهو رئيس فصيلة من القساطر .. (فتحى البوز) جه وقال أمامكم : أنه قبل الحادث بأربع أو خمس أيام قابلنى إبراهيم الطيب وقال لى : إنا قررنا القيام بإنتقلاب يبدأ بالاعتيالات وإنها مسألة قد تقررت وإن جمال قد انتهى . وفتحى قال بعد كده إن الحماية الإنسانية أخذته وبعد ما اتكلم مع الحواتكى ونجده إنيجه إلى عبد القادر عودة - وهو أى عبد القادر عودة يقول ماليش دعوة بالجهاز ورئيس فصيلة يتصل بيه ليه ؟ لأنه مالوش دعوة بالجهاز .. كذب - راح لعبد القادر عودة وقال له : أنا سمعت النهارده من إبراهيم الطيب إنهم قرروا القيام بإعتيالات وقلب نظام الحكم وإعتيال جمال .. فقال له المتهم روح شوف لى إبراهيم من تحت الأرض .

يا حضرات القضاة - إن السرية كانت سرية مطلقة فى الجهاز - ولا يمكن يخرج سر خصوصاً إذا كان متعلقاً بتنفيذ خطة إلا لواحد محل ثقة فى الجهاز وفتحى البوز راح لعبد القادر عودة وقال له كلام إبراهيم الطيب وإنهى الأمر بوقوع الحادث - عملت إيه لما بلغك أن رئيس الحكومة حقتل وإن الإنتقلاب دبر من شخص شريك فى مكتبك ؟ إن أضعف الإيمان يا راجل هو أن تمسك تليفون وتبلغ مأمور القسم بالحكاية . ولكن هل يهون عليك يا إبراهيم الطيب شريك فى المكتب ؟ وبعد كده تقول : موقفى .. بقى الموقف .. هو فيه العن من كده .. وهذه الواقعة بالذات ما تقدرش تقلص منها أبداً يا عبد القادر . هذا عدا إنك إختصاصى فى المظاهرات .

وعيد القادر عودة لما إنقيض عليه طلع علينا بجواب بعته لرئيس الحكومة ... وده برضة من حكم ربنا أن يدينا السلاح اللي يدينه ... فكذب يقول :

(لقد سمعت - وده العجيب - إن الشخص الذى حاول الإعتداء عليك يتمرن فى مكتبى فإذا صح هذا فإننى أؤكد لك إننى لا أعلم شيئا عن هذه الجريمة ...) - كذاب كذاب لأن فتحى البوز قال لك عليها قبلها بأربع أيام وفتحى البوز بره أنا محضرة لك بره . ثم يقول فى الخطاب : إذا ثبت أن لى يدا فى الجريمة فأنا أحل لك روحى ..

ثم يقول أيضا : لقد استطعت يا أخى بما لك من حكمة وسعة فى الأفق أن تمهد الجو بين مصر والإنجليز فى نزاع دام سبعين عاما .

يا سلام .. بقى ده يمشى مع المنشورات ، اللي بتقولو فيها : انتم سلمتم البلد للإنجليز واهتمتوه هرو. وزملاؤه بالكفر - إلا تعلم إن من كفر مسلما بالباطل فقد كفر . ويقول أيضا : وإنى أحب فىك سعة الصدر وسعة الأفق والتسامح وأرجو أن تسمى جوا من المودة بين الحكومة والهيئات - والحاكم والحكومة ..

يا سلام ده غلب فىكم كلمكم بالحسنى وأمهلكم وبأما نصحكمم فقابلتم هذا النصح . وهذه السماح بما لا يجب أن تقابل به .. ثم يقول فى الخطاب : أحب أن اطمئن إن حادث الاسكندرية لا يكون عقبة فى سبيل ما دعوت إليه من التسامح ..

إزاي الكلام ده ؟ هو انتم بس كتمت ناوين على قتل الرئيس ؟ ده انتم كتمت ناوين تخبروا البلد . وينتهى الخطاب بإقتراحات وهى العجب العجائب فقد قال : لا زلت أذكر إقتراحاتك بحل الجهاز السرى وتشكيلات الجيش والبوليس .

يا سلام إحنا فى ٢٨ أكتوبر سنة ١٩٥٤ م ، والمتهم يفتكر إقتراحات الرئيس اللي كانت فى مايو سنة ١٩٥٣ م يعنى افكر دلوقت بس بحل تشكيلات البوليس والجيش والمدنيين وتسليم الأسلحة فيقوموا يردوا على هذه النصيحة الخالصة لوجه الله والوطن بتنظيم جديد وتسليح وتدريب فلما وقعت الواقعة وعرفوا إنهم لا مناص من أخذهم أخذ عزيز مقتدر . قالوا نرجع لزمان ونحلل التشكيلات ويقترح فى خطابه : أولا - بحل النظام الخاص وتسليم أسلحته وذخائره فى مدة تتراوح بين عشرة أيام أو اسبوعين ... وهذه النقطة بعد الإنكار اعتراف إن فيه نظام خاص مسلح ويقول كان : تتعد الجماعة عن السياسة المحلية وتصرفها إلى الدعوة الإسلامية حتى تنتهى فترة الإنتقال ويتم تنظيم الجماعة على هذا الأساس فى ظرف اسبوعين . يعنى عايز ينظم من جديد .

ثانيا - إصدار قانون بوقف عمل قانون الأسلحة والذخائر دون المحاكمة وإطلاق سراح جميع الإخوان المعتقلين بمجرد تنفيذ التعهد الأول ...

يا سلام .. والقلة والمتآمرين عشان يرجعوا تاني ويتآمروا على حياة البلد دى عمله تعملها حكومة تحترم نفسها ؟

هذه هى الإقتراحات الرئيسية والمضحكة إعتراف صريح إنه يعرف الجهاز السرى وأسلحته وأن الزوينة كلها من غير حق قالها مضطرا لأنهم لا يقولون الحق إلا اضطرارا لأن شيمتهم الكذب والتضليل لا يصلحون ولكن دأبهم الفساد .

إن عبد القادر عودة يا حضرات القضاة لا يقل عن سبقوه من جهابذة الجهاز السرى أمثال يوسف طلعت وإبراهيم الطيب وهنداوى دوير فإذا طالبت حضراتكم بتوقيع جزء القصاص على هذا التهم .. إذا طالبت بعنقه فأينما اطالب لشعب مصر وللمجتمع وللانخلاص بقصاص يحفظ للشعب طمأنينته وكرامته وإنسانيته والله يوفقكم دائما إلى ما يحبه ويرضاه .

مرافعة المتهم عبد القادر

النظام الخاص وجد من أيام الشيخ البنا ولا أعلم كيف بدأ لأنى اتصلت بالجماعة فى نوفمبر سنة ١٩٥٠ ، وجعله لمساعدة فكرة الجهاد والشيخ البنا كان يرى أن ، البلد محتلة بالإنجليز وإن هناك سلطات ظالمة وأنه لكى نوجد الشعور بالحرية والكرامة ينبغى أن يتعلم الشباب كيف يؤدى فريضة الجهاد . والجهاد فريضة دينية وينبغى لممارستها التمرن على السلاح .

والشيخ البنا أوجد هذا النظام لهذا الغرض ، وكان سرىا لأنه أنشئ فى وقت ما كان يسمح به علناً ، وكان الشبان محرومين من التجنيد العام . ولم يكن هناك ضباط إحتياطيون أو حرس وطنى فكان القيد يرى إتحاد الروح الوطنية فى الشباب . وهذا على ما أعلم عن نشأة الجهاز .

وقد علمت أن الرئيس جمال طلب فى أواخر يونيو ١٩٥٣م حل الجهاز فى الجيش والبوليس . وأنا قابلت الرئيس وقال لى : أنه علم أن هناك توجيه عدائى من التشكيلات ضد رجال الثورة فأنا عدت إلى مكتب الإرشاد والمرشد وتكلمت فى هذا الموضوع ، ولكن المرشد أنكر وجود أى توجيه عدائى . ولم أصل إلى نتيجة لحل الجهاز . وكان أن حلت الجماعة فى فبراير ١٩٥٤م وقابلت الرئيس . وقبل إعادة الجماعة بشرط حل النظام الخاص وأنا شيخصيا وافقته على هذا . ومن ضمن طلبات تعليم الأسلحة . وكان يعرفها تماما لأنه

كان في معركة القتال وأمد هو ورجال الجيش الإخوان بالأسلحة . وكانت الأسلحة غير كافية عند الإخوان . وكذلك السيد أنور السادات ... والسيد صلاح سالم .. فكان يعلم بوجود الأسلحة .

ولذلك فإن النظام لم يشأ للإستيلاء على الحكم بل لأغراض سامية .

مناقشة

الرئيس - ألم يقل لك الرئيس أن وجود نظام سرى في البلد يكون له غرض سرى وإن معنى وجوده إن هناك سياسة سرية وسياسية علنية ؟
المتهم - الحديث كان بيني وبين الرئيس جمال وقال : إن التوجيه لا زال مستمراً . وأنا قلت له : أنه لم يعد هناك توجيه . فقال : لا ..

الرئيس - معنى التوجيه لم يكن قاصراً على الحركة بل كان موجهاً ضد مصلحة البلد ؟
المتهم - هو كان غرضه المحافظة على المصالح العليا وأنا كتبت خطابي وعرضت فيه حل النظام وليس معنى هذا وجود النظام . وعرضت تسليم الأسلحة وليس معنى هذا علمي بوجود مكان الأسلحة . وإذا قال هذا أحد أكون مداناً . ولكن كل علمي أن هناك نظاماً فقط . كتبت هذا الخطاب وأنا مؤمن بكل كلمة فيه لم أقصد به خديعة أو حيلة وهذا اردده منذ نوفمبر ١٩٥٣م ومن يوم ما طلب منا هذا الرئيس جمال رددت هذا كثيراً .
وقال عبد القادر عودة في الدفاع عن نفسه ردّاً على أقوال البوز :

الذي حدث إن فتحى البوز حضر لى فعلا مساء يوم الخميس وقال لى أن هناك تعليمات لقتل الرئيس جمال . فقلت له : هاته وتعالى باكر . فعلا جاء فتحى البوز ولم يحضر الطيب وهذه كانت أول مرة أعلم فيها إن إبراهيم الطيب له صلة بالجهاز . وطلبت من البوز البحث عن الطيب فأحضره فحدثته فى هذا وقد حلف لى بأغلب الإيمان أنه لا يوجد فى البرنامج شىء من هذا وإن البوز كاذب فعلا صدقت الطيب ولو كنت صدقت أو مالت نفسى إلى التصديق لأن هذا ممكن أن يحدث لأنخبرت الرئيس جمال عبد الناصر بأن يحتاج إلى نفسه ولكن اعتقدت إن كلام البوز كاذب أو إشاعة .

الرئيس - إنت عايز فتحى البوز أولاً ؟
المتهم - لا ، أنا مكفى بأقواله ومصححها ..

عبد القادر عودة ومحمد نجيب

وقال عبد القادر عودة :

بعد حل الإخوان واتصالى بالرئيس جمال كان فيه إتفاق على عودة الإخوان فى الوقت المناسب وحل الجهاز فى أقرب فرصة .. وكان من رأى عودة الإخوان حتى يمكن الإتصال بهم مباشرة حتى لا يوجهوا توجيهها غير سليم . وتحدثت مع الرئيس جمال فقال لى أن اتصل بالصاغ صلاح سالم ، وتقابلت معه فعلاً فى اليوم التالى وأهديت كثيراً من الحجج التى تؤيد عودة الجماعة بسرعة فامتنع . وقال : أنه سيجاول إثارة هذا الموضوع فى إجتماع مجلس الثورة ، ولكن لا يضمن موافقة الأغلبية . وأنا قمت بالاتصال ببعضهم وتكلمت معهم فى هذا الإجتماع ..

وكان من ضمن من اتصلت بهم اللواء نجيب فقال لى : أنه لا يمانع فى عودة الجماعة بشرط عدم وجود الهضبة على رأسها . وبعد ذلك لم أقابل الرئيس جمال ولا غيره .

وحدث بعد ذلك التصورات التى حدثت يوم ٢٧ فبراير و ٢٨ فبراير وكان اليزباشى محمد نصير بيتزوج وأخبرنى بما حدث فى الصباح واتصلت بالرئيس جمال فعلمت أنه قدم استقالته وأخبرنى صحفى من المصرى أن الإنجليز عند الكيلو ٥٥ وإن الوزارة إستقالت . وإن الرئيس نجيب يقوم بعمل مشاورات وتمت وذهب للإتصال به فلم أجده .

وعدت وثانى يوم علمت أنه توجد مظاهرات وإن الإخوان هناك وإن هناك رصاصاً أطلق على المتظاهرين . وأنا قلت لمن أخبرنى روح اصرفهم خالص ، وبعدين كمال السنائيرى طلب سنى أن أذهب لأصرفهم لأنهم متعصبين وهذا ثابت فى التحقيق فاطلعوا ليه إن شتتم وأما عن مظاهرة القصر الجمهورى فأنا ذهبت لفض المظاهرة فقلت أن الرئيس محمد نجيب يتكلم وواقف فى الشرفة فأشار لى وكان من الأدب أن أصعد إليه .

والنتيجة يا حضرات القضاة إن إبراهيم الطيب ويوسف طلعت والبوز وفرغلى شهدوا على أنفسهم وأنا لست أعز لديهم من أنفسهم .

اخلىص من هذا إننى ضد النظام وإننى لم أقره فى يوم من الأيام . وكونى لم أستطع حله فليس معنى هذا أنى أعاونه لقلب نظام الحكيم . كما أنى لم أشارك فى التدبير أو فى عمل مظاهرات . وكان ما جاء على لسان الشهود هو أما إرجاء أو عدم موافقة وهذا لا يعنى موافقتى .

هذا وموقفى لا لبس فيه غبار وقد عشت فى حياتى قاضيا أحارب الجريمة وأكرهها وأذكر إننى وأنا شاب كنت إذا سلمت على شخص أعتقد إنه ارتكب جريمة فإننى أغسل يدى - وليس لى علاقة بأى عمل . والمسألة متروكة لحضراتكم . والله يتولانا جميعاً ويهديننا سواء السبيل .

بعد أن انتهت مرافعة المتهم عبد القادر عودة عن نفسه قدمت القضية المتهم فيها حسين كمال الدين أحمد إبراهيم وقد مثل الإدعاء فيها البكباشى محمد التابعى والاستاذ مصطفى الهلباوى رئيس نيابة أمن الدولة عضو مكتب التحقيق والإدعاء .

الرئيس - المدعى .. المتهم الثانى جاهز ؟

المدعى - أيوه يا فندم .

«حضر المتهم ومعه الاستاذ محمد هاشم للدفاع عنه» .

الرئيس - المتهم حسين كمال الدين أحمد إبراهيم الإدعاءات المقامة عليك : أتى أفعالا ضد نظام الحكم الحاضر وضد سلامة الوطن .. وذلك لأنه فى يوم ٢٦ من أكتوبر سنة ١٩٥٤م وما قبله فى أنحاء الجمهورية :

أولاً : بوصفه عضواً فى مكتب الإرشاد بجماعة الإخوان المسلمين اشترك فى توجيه سياستها إلى إستعمال العنف والإرهاب .. وأقر قيام نظام سرى مسلح لقلب نظام الحكم تمهيداً لاستيلاء الجماعة التى ينتمى إليها على السلطة بالقوة .

ثانياً - إشتراك فى تنظيم جهاز سرى مخالف بذلك قوانين الدولة ..

مذنب أو غير مذنب ..

المتهم - غير مذنب ...

الرئيس - فيه شهود ؟

الاستاذ محمد هاشم (المحامى) - لا .

الرئيس - الإدعاء يتفضل .

وهنا وقف الاستاذ مصطفى الهلباوى رئيس نيابة أمن الدولة والمدعى بمحكمة الشعب ليقول كلمة الإدعاء باسم الشعب .

مرافعة المدعى مصطفى الهلباوى

المتهم عضو بمكتب الإرشاد ورئيس مكتب إدارى بالقاهرة . وقد سبق أن تحدث زملائى عن هيئة مكتب الإرشاد وهى تعتبر السلطة التنفيذية التى تدير شئون الجماعة وهى المسؤولة عن أعمالها وتصرفاتها . وقد سمعنا من الدكتور خميس ومحمد فرغلى أن مكتب الإرشاد كان هيئة تعلم بوجود النظام الخاص بينها وأن رئيس الحكومة طلب من كبار المسئولين فيها أن يحلو النظام السرى . وإن يسلموا أسلحته . وعرض الطلب على مكتب الإرشاد . ولكنه سكت وهذا السكوت أقرار ضمنى بمسؤولية مكتب الإرشاد عن هذا النظام وعن تصرفاته . وقد قال خميس : إن أعضاء مكتب الإرشاد كانوا طاطير ، وإنه كان فى سلسلة أخطاء كانت ستؤدى إلى حرب أهلية داخل الدولة .

والمتهم يعلم كثيرا عن هذا النظام السرى وعن أسلحته ويعلم بقيادة هذا النظام لأنه رئيس مكتب إدارى القاهرة يرأس المناطق التى قال محمود عبده إنها هى التى تمد النظام الخاص بالمدد الشعبى إذا أراد أن يقوم الجهاز بمظاهرات . وكان عضوا باللجنة التى عرض عليها إبراهيم الطيب فكرة قيام مظاهرة مسلحة .

والمتهم أيضا كما قال محمود عبده فى التحقيق أنه كان أحد أعضاء الجماعة التى اجتمعت فى عمارة الهامى بالروضة . وكان بالإجماع رؤساء المناطق وعلى رأسهم إبراهيم الطيب .

وقال محمود عبده أيضا إن هذه الاجتماعات كان إحداها برئاسة المتهم وأضاف إنها كانت لمناقشة الخطة .. وقال كذلك أنه ذهب إلى إجماع بمنزل كمال خليفة بالدقى وحضره فرغلى . ويوسف طلعت وصلاح شادى والمتهم وهذا يبين صلته بالجهاز ويقول يوسف طلعت أنه تحدث مع المرشد فى شأن إختفائه فرفض المرشد أن يظهر وقال إن حسين كمال الدين كان موافقا للمرشد كل الموافقة .

ولذلك فإن المتهم الذى يدير مكتب إدارى القاهرة ويوزع المنشورات لا يمكن أن يقطع صلته بالجهاز بل يظهر لإشراكه فى السياسة التى إنحرفت إليها جماعة الإخوان . من الدعوة إلى الدين إلى سياسة العنف والإرهاب . ولذلك اطلب من حضراتكم أن تأخفوه بكل شدة .

مرافعة الدفاع الدكتور محمد هاشم

إن المتهم أستاذ مساعد فى كلية الهندسة وهو ابن الشيخ أحمد إبراهيم أستاذ الشريعة ومن أئمة الفقه فى العصر الحديث ومن أشد الناس تمسكا بالإسلام . وهو مكب على عمله ومنصرف إليه الأمر الذى دعا الحكومة لأن توفذه فى بعثة إلى أوربا فى سنة ١٩٥٣ م . ثم تغيب سنتين فى الخارج بعد عودته إنتدب للتدريس فى العراق . ثم عاد إلى القاهرة فى سنة ١٩٥١م وأن عمله كرئيس لإدارة مناطق القاهرة لا يدل على إنتائمه للجهاز السرى لأن لإدارة مناطق القاهرة لا يدل على إنتائمه للجهاز السرى لأن عمله على لا خفاء فيه .

ويقول الإدعاء إنه كان يدبر الانقلابات والإغتيالات وأدلتة مستمدة من أقوال بعض المتهمين . كذلك بقوله إن المتهم حضر إجتماعات لرؤساء المناطق بغمرة وبالهرم وبعمارة الهامى ، والمتهم ينكر واقعة حضور إجتماع غمرة والهرم . ويفسر حضور إجتماع عمارة الهامى بسبب ظروف تتلخص فى أن رؤساء المناطق التى يهيمن عليها . كانوا يخشون الإعتقال فاجتمعوا لتسليم رئاسة الشعب من محمود عبده الذى كان قد نقل إلى الصعيد ..

مناقشة المتهم

الرئيس - المتهم عضو مكتب الإرشاد فما هى الإجراءات التى إتخذها للقضاء على الجهاز السرى المسلح بالجماعة ؟

المتهم - اللجنة التى كونت لبحث النظام قررت أنه لا يصح بقاء النظام . وعند فتح المعسكرات الشعبية سهل هذا قبول فكرة حل الجهاز ولكننا ذهبنا للتدريب فى هذه المعسكرات وإتباع الأوضاع المشروعة العلنية . والمكتب عندما لاحظ أن السندى خلف وعده بإنشاء التشكيلات ... المكتب قرر فصله . وما يثبت حسن نية المكتب أنه عندما علم بوجود منشورات قرر وقف المنشورات وكلف الدكتور خميس بوقفه . والمكتب كان هدفه إتباع الطرق المشروعة .

«انصرف المتهم» .

«بعد أن انصرف المتهم حسين كمال الدين حضر المتهم الثالث محمد كمال خليفة ومثل الإدعاء البكباشى سيد سيد جاد المدعى والأستاذ على نور الدين وكيل نيابة أمن الدولة عضوى مكتب التحقيق والادعاء» .

الرئيس - المتهم محمد كمال خليفة .
المتهم - افتدتم .

الرئيس - الادعاء المقام عليك :

(أتى أفعالا ضد نظام الحكم الحاضر وضد سلامة الوطن وذلك لأنه فى يوم ٢٦ من أكتوبر سنة ١٩٥٤ وما قبله فى أنحاء الجمهورية بوصفه عضوا فى مكتب الإرشاد بجماعة الإخوان المسلمين إشتراك فى توجيه سياستها إلى إستعمال العنف والإرهاب وأمر قيام نظام سرى مسلح لقلب نظام الحكم تمهيدا لإستيلاء الجماعة التى ينتمى إليها على السلطة بالقوة) .

مذنب أو غير مذنب ؟

المتهم - غير مذنب .

وهنا وقف الأستاذ على نور الدين المدعى ليقول كلمة الإدعاء باسم الشعب .

مرافعة المدعى على نور الدين

الإدعاء المنسوب للمتهم وهو أنه بوصفه عضوا فى مكتب الإرشاد أقر قيام نظام سرى مسلح لقلب نظام الحكم ولذلك سنين وضع مكتب الإرشاد فى الجماعة وكذلك الهيئة التأسيسية التى تعتبر برلمان الجماعة وأنا آسف لأن هذا الوصف لا ينطبق عليها . والحقيقة كما سمعتم إن الدكاتورية طاغية هناك وأن المرشد هو ديكاتور الجماعة .

ووضع مكتب الإرشاد كجهاز تنفيذى يستتبع أن يتحمل كل أعضائه مسئولية أعمال الجهاز وبقائه والمسألة لا تخلو من أحد فرضين . وهو أما أن يكون العمل قد عرض على المكتب وأقره فيكون مسعولا . وأما أن يتخذ المرشد أو أحد أفراد الجماعة قرارا وعلم به مكتب الإرشاد وسكت عليه ويكون فى هذه الحالة أيضا مسعولا عنه لأنه بسكوته إقرار ضمنى له .

والإدعاء ينسب للمتهم أنه بهذه الصفة اشترك فى توجيه السياسة إلى العنف والإرهاب ودور المتهم واضح . وكان مظهر سياسة العنف فى حملة المنشورات التى قامت بها الجماعة وكلها تدعو إلى محاربة الحكم القائم ومقاومة الثورة . وسلسلة دعايات لتشكيك المواطنين

في نزاهة القائمين على الثورة .

ولقد أقر المتهم قيام نظام سرى فلس في حاجة إلى التدليل على ذلك بعد قيام الجهاز بإرتكاب جرائم في العهود السابقة . ولكن المتهم ذكر في التحقيق أنه لا يعلم كل ما يدور في الجماعة ، وعلى كل فقد قرر الدكتور خميس أن السندی عندما قرر فصله من النظام عرض الموضوع على مكتب الإرشاد فبعد طرح أمر رئيس الجهاز لا يمكن أن نصدقه عندما يقول عضو المكتب أنه لا يعلم عنه شيئاً .

وكذلك مقتل سيد فايز وعلم كل الإخوان أن هذا دليل على بقاء النظام وأن تحت يده أسلحة .. فالدفاع بالجهل بوجود النظام السرى غير صحيح لهذا الطلب من المحكمة توقيع أشد العقوبة عليه ..

مرافعة الدفاع الدكتور محمد هاشم

الواقع أن للدكتور كمال خليفة موقفين : الأول باعتباره مجرد عضو في الإخوان والثاني باعتباره عضواً في مكتب الإرشاد . والموقف الأول فأنا لا أعدو الحقيقة إذا قررت عن إيمان لأن الدكتور خليفة كان زميلاً لي منذ الدراسة الابتدائية لأنه رجل ذو خلق ودين وإيمان .

وأنا لا أعدو الحق إذا قررت أنه التحق بجماعة الإخوان لأنه أراد أن يحقق خدمة لدينه عن هذا الطريق .

وهو بحكم هذونه وأعماله وثقافته لا يتسع له الوقت لبحث وسائل الإرهاب ، وقد يعاب عليه أنه لم يتخذ موقفاً إيجابياً بوجود نظام خاص . ولكن اعتقد أن لحضراتكم بحكم ثقافتكم العسكرية وبحكم قيامكم بالشئون العامة وبحكم إمامكم بالحياة العامة تكونون أولى الناس بالحكم على ظروف الإنسان وأنه قد لا يستطيع أن يعلن عما في عزمه وأن كان يدبر شيئاً مرضياً ، فقد كان يخشى الظروف المحيطة به وقد يجد في نفسه حرجاً وهذه طبيعة الإنسان ولا نريد أن نحمل الإنسان أكثر مما يستطيع وينبغي أن نحمله مسائل في قدرته حتى نرتب نتائج تمشي مع هذا التقدير .

ولذلك فالدكتور كمال خليفة لا يمكن أن ينسب إليه عمل من أعمال الإرهاب .

إذن فمن الجور العام والوقائع التي أسندها الإدعاء للمتهم لا يمكن أن يخرج بأن المتهم مسئول وأسأل الله لكم التوفيق .

الرئيس - احنا سكنتنا لغاية الأمل بقي رصاص . والبلد كلها تقول إن الحكومة خائفة « الثورة إنخوان » حتى امتلأت الأذان بالحديث .

المتهم - حكومة الثورة أقوى من حكومة إبراهيم عبد الهادي وتقدر تعمل كل شيء .

الرئيس - أنا حدثتك هذا كله لا رد على السيد المحامي لأنه عندما انتدب الدكتور كمال خليفة مديراً لمصلحة الطرق والكبارى . كان بناء على الحاحى رغم المعارضة القوية وأنا أحضرته لا لمجرد أمانته فقط بل لاعتبار فتى ... ونصحته وكلمته .

المتهم - أرجو أن أكون فى الإدارة قد سلكت مسلك قومى عالى وسيادتك تقدر هذا .

الرئيس - كل هذه النصائح لم تجعلك تقدر مسئولياتك كعضو إرشاد ، زميل طقولة ، وزميل آخر ، وشخص آخر .

المتهم - ما فيش شك كانت نصيحة مخلصه .

الرئيس - أنا عايز أسمع دى علشان أخلص ذمتى من ربنا .

المتهم - أشكر لسيادتك النصيحة وأنا آسف .

وورفعت الجلسة فى الساعة الواحدة والثلث من بعد ظهر يوم أول ديسمبر سنة ١٩٥٤م .

الحكم

فى الساعة الحادية عشر من صباح السبت ٤ ديسمبر سنة ١٩٥٤م أصدرت محكمة الشعب حكمها فى القضية رقم ٦ بالآتى :

أولاً : إعدام المتهم عبد القادر على عودة شنقاً .

ثانياً : بالأشغال الشاقة المؤبدة على حسين كمال الدين أحمد إبراهيم .

ثالثاً : بالأشغال الشاقة المؤبدة على محمد كمال خليفة .

تصديق مجلس الثورة :

«طبقاً للمادة السابعة من أمر تشكيل محكمة الشعب تعرض الأحكام الصادرة من المحكمة على مجلس القيادة للتصديق عليها ، وقد عرض الحكم الصادر على كل من المتهمين عبد القادر عودة وحسين كمال الدين أحمد إبراهيم ومحمد كمال خليفة على مجلس القيادة فى يوم السبت ٤ ديسمبر سنة ١٩٥٤ . فصدق المجلس على الحكم» .

التفصيل

في تمام الساعة العاشرة والنصف من صباح ٧ ديسمبر سنة ١٩٥٤م نفذ الحكم الصادر على عبد القادر على عودة حيث أعدم شنقا بسجن الإستئناف .

(٦) ملخص التحقيقات مع

منير الدله

صالح أبو رقيق

محضر الجلسة

الثانية والعشرين لمحكمة الشعب

المنعقدة علناً فى الساعة الحادية عشرة والربع صباحاً بمقر قيادة الثورة فى الجزيرة يوم الأربعاء الموافق الأول من ديسمبر سنة ١٩٥٤م الموافق ٥ ربيع الثانى سنة ١٣٧٤هـ .

المؤلفة وفقاً للأمر الصادر من مجلس قيادة الثورة بتاريخ أول نوفمبر سنة ١٩٥٤م الموافق ٥ ربيع الأول سنة ١٣٧٤هـ بناء على المادة السابعة من الدستور المؤقت .

والمشكلة برئاسة قائد الجناح جمال مصطفى سالم عضو مجلس قيادة الثورة وعضوية القائم مقام أنور السادات والبكباشى (أ . ح) حسين الشافعى ، عضوى مجلس قيادة الثورة .

وبحضور البكباشى إبراهيم سامى جاد الحق المدعى والامتاذ عبد الرحمن صالح وكيل نيابة أمن الدولة عضوى مكتب التحقيق والإدعاء .

قدمت القضية رقم ٧ سنة ١٩٥٤م (محكمة الشعب) المتهم فيها كل من منير الدله ، صالح أبو رقيق .

«حضر المتهمان ومعهما الاستاذان محمد هاشم للدفاع عن المتهم الأول ومحمد فهمى القلعاوى للدفاع عن المتهم الثانى» .

الرئيس - فتحت الجلسة .. المدعى .. المتهم موجود ؟

المدعى - أيوه يا فندم ... المتهمان حاضران ..

الرئيس - المتهمين : منير الدله وصالح محمد أبو رقيق

الإدعاء المقام على كل منهما :

«أتى افعالاً ضد نظام الحكم الحاضر وضد سلامة الوطن .. وذلك بأنه فى يوم ٢٦ أكتوبر سنة ١٩٥٤م وما قبله فى أنحاء الجمهورية بوصفه عضواً فى مكتب الإرشاد بجماعة الإخوان المسلمين إشتراك فى توجيه سياستها إلى إستعمال العنف والإرهاب وأقر قيام نظام سرى مسلح لقلب نظام الحكم تمهيداً لإستيلاء الجماعة التى يتبنى إليها على السلطة بالقوة .

الرئيس - مخاطباً المتهم صالح أبو رقيق : مذنّب أو غير مذنّب ؟
المتهم - غير مذنّب .

الرئيس - فيه شهود .

المدعى - مافيش شهود .

الرئيس - الإدعاء جاهز ؟ اتفضل ..

مرافعة المدعى عبد الرحمن صالح

نتقدم فى هذه الجلسة بطاقتى جديد من أعضاء مكتب الإرشاد بجماعة الإخوان المسلمين ، فالمتهمان منير الدله وصالح أبو رقيق فضلاً عن أنهما عضوان فى مكتب إرشاد تلك الجماعة فقد اختص بنشاط خاص وتوجيه خاص لسياسة جماعة الإخوان ، وجماعة الإخوان كما قلنا تذررت بدثار الدين حتى لا تنكشف أمام المواطنين : فأرادت أن تظل فى سياستها الحقيقية كتومة لا تبوح إلا لذوى الأغراض فيها والمتفقيين على تحقيق تلك الأهداف الدنيوية ..

والمتهمان كانا من هذا الصنف المختار فى داخل الجماعة ليصل إلى الأغراض ولو أدى الأمر إلى إتباع طرق ملتوية وإلى إتباع سبل غير مشروعة ولو أدى ذلك إلى سفك الدماء والدمار والخراب .

هم يقولون : نحن إذا تدخلنا فى أمور الدنيا-فذلك لأننا نريد حرية ونريد دستوراً ونسوا أو تناسوا إنهم فى ذاتهم لا يعرفون معنى الحرية ولا يعرفون معنى الدستور فتشكيل الجماعة هو أكبر دليل على إنها لا تعرف لهذا المعنى شيئاً . فالجمعية التأسيسية معينة ، وتعيينها من المرشد ، وهذا هو البرلمان . والجمعية التأسيسية معينة يختار منها أعضاء لمكتب الإرشاد بواسطة الجمعية معينة ، فيأخذو منهم ناس ويعينون كهيئة التنفيذية لهم وأكثر من هذا فإن لا الهيئة التأسيسية ولا مكتب الإرشاد يقدر يتكلم أمام الرجل الكبير الذى سمى نفسه المرشد . فكان الأمر أمر تحكم ودكتاتورى ، لا سلطان فيه لأحد إلا من كان ذو حظوة عند السيد الذى قال : أنا المرشد ..

وكان منير الدله وصالح أبو رقيق من هذه الفئة . فقد إختارهما المرشد ليكونا بطانة خاصة له . وهذه البطانة تلزمنى أن أقف قليلاً فهى ليست من عندى وإنما قالها جهابذتهم

الذين حضروا هنا .. وقد سئل فرغلى : من هم الذين يوجهون الاستاذ الهضيبى ؟ فقال أنا أعرف أن هناك بعض الإخوان يعمل المرشد لرأيهم ويتأثر بأرائهم ويقدرها مثل منير الدله وصالح أبو رقيق وصلاح شادى وحسن العشماوى وفيه لسه أشخاص زى فريد عبد الخالق وعبد القادر حلمى .

ليه اتجهوا بالجماعة هذا الإتجاه الذى هو ضد مصلحة البلد وضد الدين الذى يتدعوا إليه الجماعة ؟

خميس : وكيل الجماعة يجيب على ذلك بقوله : « لما زعل صلاح شادى من السيد الرئيس بعد أن رفض ترشيح منير الدله والعشماوى للوزارة والمرشد زعل لأن ، ترشيحه ماشيش فاتفق مع المرفوضين فى توجيه سياسة حسب السياسة المتفق عليها ضد الثورة .

إذن حقيقة موقف الإخوان من الثورة جأى من هذا التاريخ لأنه - كما قال خميس - قبل هذا ماكانش فيه فكرة إنهم يدخلوا الحكم لأنه لم يكن الأساس فى سياستهم .

أما مسألة النظام الخاص وصلتهما به . فقد سئل محمد فارس عبد الحكيم فريح من الشرقية وعضو فى الهيئة التأسيسية فظل أربع ساعات يتكلم عن النظام الخاص فى الجيش والبوليس - ويهمنى من كلامه أن فريد عبد الخالق وحسن عشماوى وعبد القادر حلمى كانوا من ضمن المتصلين بالنظام فى الجيش .. إلى أن قام أحد الأعضاء وهو فهمى أبو غدير وقال إزاي للحاجات دى ماكانش عارفينها .. فرد عليه صالح أبو رقيق وقال له : إن هذه الأمور لم يكن المرشد يصرح بها لكل الناس .

يعنى يا صالح إنت وثيق الصلة بهذا النظام لدرجة أن أحد زملائه قال إن دى حاجات ماكانش عرفينها فرد ، بقوله أنها مسألة سرية . فهنا نقطع بصلتك بالجهاز السرى وعليك به .

وبعدين كان رفيقا للمرشد فى البلاد الشقيقة علشان يفتروا علينا هناك بالمشورات والإذاعات . ولما وجه هنا عمل نفسه من الصالحين .

ومنير الدله وصالح أبو رقيق كانا من المتصلين برجال الحكومة فى صدر حل هذه التشكيلات وتدخلوا أيضاً بإعتراف صالح ومنير ، يبقى العلم متوافر فأنتم وجهتم المجرمين هذا التوجيه الخطير وجمعتموهم فى جماعتكم وأدخلتموهم الجهاز السرى فى الوقت الذى تقول لكم الحكومة ده فيه خطر .. تقولوا طيب لكن إحنا والمرشد ماشيين فى سكتنا من تحت لتحت .. تضحكوا على الناس وتضحكوا على ربنا كمان فى دعوتكم . ومش

فى مصر بس لا دول كانوا عاوزين يعملوا فتنة فى الشرق فمنيير وصالح كانا من أعضاء مكتب الإرشاد وسبكتا وكان السكوت عن عمد فإنتى إذا ما قلت أن مستوى إجرامهم يعملوا على مستوى الذين ترافعت ضدهم من قبل فلا أكون مغالياً إذا ما طالبت بإعدام الاثنين . فأنا اطالب باسم الشعب بإعدام منير الدله وصالح أبو رقيق . لأن الذى يضاعف من جرم كل منها أنه كان يواجه الحاكم بوجه ثم إذا ما خلا إلى شياطينه اتجه إتجاه الإجرام والله ولى التوفيق .

مرافعة الدفاع الأستاذ حسين أبو زيد

حضرات القضاة :

لقد استمعت إلى سيادة ممثل الإدعاء وقد جمع فى إدعائه بين المتهمين فى موقف كل منهما ويخيل إلى أن التفرقة واضحة ، وإن موقف مهنتى يختلف عن موقف الآخرين . فقد كان منير الدله عضواً فى الجمعية التأسيسية طبقاً للأوضاع القائمة فى الجماعة وحدثت خلافات وأراد البعض تغيير القانون النظامى للهيئة وأرادوا ضم بعض الأعضاء لمكتب الإرشاد .

ومنيير الدله لم يتقدم للإنتخاب حتى يقال أنه سقط فيه . وكونه متصلاً بشخص معين بالذات وتربطه به رابطة طبيعية يكون إنسجامهما طبيعياً بحيث إذا إنستجم منير الدله مع المرشد يكون هذا طبيعياً وليس معناه أنه يلتقى معه فى الأعراض الخفية . وحتى إذا سلمنا بوجود الجهاز فإنه لا يمكن أن تسند إليه أنه شارك فى توجيه الجهاز توجيهها إجرامياً . أو أنه كان يريد أن يستعمله فى غرض إجرامى حتى يقدم الدليل على ذلك .

هذا بالإضافة إلى أن منير الدله كان مريضاً بالقلب ولديه شهادات طبية متعددة من إخصائين وسافر عقب المرض إلى لبنان ومرض هناك وظل ملازماً الفراش حتى ١٠ أيام قبل ظهور إتجاهات الجهاز ... وإذا فمنيير دله . بإعتباره عضواً فى جمعية الإخوان لم يأت لنا الإدعاء بوقائع مادية تدلل على قيام الجريمة .

أما كونه عضواً فى مكتب الإرشاد فالمرشد . هو رأس الجماعة ومكتب الإرشاد رأيه استشارى وأنا قلت إمبارح إن المرشد هو رأس الجماعة والمكتب دا كان استشارى بالنسبة للمرشد . ومنير الدله لم يذهب من المرشد إلى البلاد العربية ولم يتصل به . ولم يتخذ فى

المكتب أو في الجمعية موقف يساند فيه الجهاز أو يساند من يريدون متابعة الجهاز في أغراضه .
الرئيس - الأستاذ القلعاوى يحب يتراجع دلوقت ؟ الأستاذ القلعاوى (محامى صالح أبو
رقيق) - نعم .

مرافعة الدفاع الأستاذ محمد فهمى القلعاوى

سيدى الرئيس .. إننى أود أن أودى واجبى كمصرى قبل أن أؤديه كمحام لأن التاريخ
الذى تتجازه مصر فى هذه الفترة دقيق . وقد قلت فى صراحة لموكلى اننى سأبدأ مرافعتى
كمصرى باستنكارى لتلك الجرائم إستككاراً تاماً وقد وافقنى موكلى واستنكرها معى .
والإتهام محصور فى أن موكلى عضو فى مكتب الإرشاد ، وقرول الإدعاء اليوم أنه يحاسب
المتهم على كونه عضواً فى الجماعة أو عضواً فى الهيئة التأسيسية فهذا لا أرد لأنه لم
يرد بالإتهام الأصلى . وقد عين المتهم فى مكتب الإرشاد فى أواخر مارس سنة ١٩٥٤م
وهو معتقل فى السجن والذى عينه الشيخ فرغلى وكان تعييناً مؤقتاً ، وذكر أن السبب
هو حسن سياسته بين الإخوان والحكومة .

وفى ٣ يونيو سافر إلى الحجاز يعنى المدة التى ظلها فى القاهرة هى إبريل ومايو والمتهم
يقرر أن الهضبيى لم يعينه - وسافر الحجاز مع الهضبيى وعاد فى ١٢ أغسطس سنة
١٩٥٤م يعنى يكون باقى على ٢٦ أكتوبر ٤ شهور . وعقب عودته مرض وظل ببلده
١٥ يوما وعاد إلى القاهرة فوجد الإخوان على شقاق . وكان هناك خلاف مع السلطات
فشكلت لجنة وكان هو أحد أعضائها ليكون رسول سلام من قبل الإخوان مع الحكومة .
وصالح أبو رقيق من الناس المغروس فى نفوسهم حب الرئيس جمال عبد الناصر وهو
من الذين أحبوا الثورة ومبادئها .

أن هندأوى دوير قال عن الخطة والمتهمين وعن النظام السرى ولم يرد لاسم المتهم
فى أى شىء وإبراهيم الطيب أزاح الستار فقال إن هناك مجلساً أعلى ليس فيه المتهم لهذا
فإنى أتمس رفض طلب الادعاء والحكم ببراءة المتهم .

(ثم رفعت الجلسة فى الساعة الواحدة وعشر دقائق بعد الظهر) .

الحكم

فى الساعة الحادية عشرة من صباح السبت ٤ ديسمبر سنة ١٩٥٤ أصدرت محكمة الشعب حكمها على كل من : منير أمين الدلة وصالح محمد أبو رقيق بالأشغال الشاقة المؤبدة .

تصديق مجلس قيادة الثورة :

وطبقا للمادة السابعة من أمر تشكيل محكمة الشعب تعرض الأحكام الصادرة من المحكمة على مجلس القيادة للتصديق عليها ، وقد عرض الحكم الصادر على كل من منير الدلة وصالح أبو رقيق على مجلس القيادة فى يوم السبت ٤ ديسمبر سنة ١٩٥٤م فصدق . المجلس على الحكم .

(٧) ملخص التحقيقات مع

- دكتور/ محمد خميس حميدة

- الشيخ / محمد فرغلى

محضر الجلسة

العشرون لمحكمة الشعب

المنعقدة علناً فى الساعة الحادية عشر والرابع صباحاً بمقر قيادة الثورة فى الجزيرة يوم الثلاثاء ٣٠ نوفمبر سنة ١٩٥٤م (الموافق ٤ ربيع الثانى سنة ١٣٧٤هـ) .

. المؤلفة وفقاً للأمر الصادر من مجلس قيادة الثورة بتاريخ أول نوفمبر سنة ١٩٥٤م (الموافق ٥ ربيع الأول سنة ١٣٧٤هـ) بناء على المادة السابعة من الدستور المؤقت .

والمشكلة برئاسة قائد الجناح جمال مصطفى سالم عضو مجلس قيادة الثورة وعضوية القائم مقام أنور السادات والبكباشى أ . ح حسين الشافعى عضوى مجلس قيادة الثورة .

وبحضور البكباشى سيد سيد جاد المدعى والأستاذ على نور الدين وكيل نيابة أمن الدولة عضوى مكتب التحقيق والادعاء .

* قدمت القضية رقم ٥ سنة ١٩٥٤م (محكمة الشعب) المتهم فيها كل من محمد خميس حميدة ومحمد محمد فرغلى .

حضر المتهم محمد خميس حميدة ومعه محاميه الأستاذ محمد هاشم ..

الرئيس - فتحت الجلسة ، المتهم موجود ؟

البكباشى سيد جاد (المدعى) -

موجود يا افندم والقضية جاهزة .

الرئيس - المتهم محمد خميس حميدة ..

الإدعاء المقام عليك :

أتى أفعالاً ضد نظام الحكم الحاضر وضد سلامة الوطن وذلك لأنه فى يوم ٢٦ من أكتوبر سنة ١٩٥٤م وما قبله فى أنحاء الجمهورية بوصفه وكيلاً لجماعة الإخوان المسلمين :

أولاً : اشترك فى توجيه سياسة هذه الجماعة إلى استعمال العنف والإرهاب وأقر قيام نظام



الدكتور محمد حميس
الصيدي و نائب المرشد



الشيخ محمد فرغل
الواعظ الديني وعضو مكتب الإرشاد ١٩٥٤

سرى مسلح لقلب نظام الحكم تمهيداً لاستيلاء الجماعة التي ينتمى إليها على السلطة بالقوة .

ثانياً : اشترك فى تنظيم جهاز سرى مسلح مخالفاً بذلك قوانين الدولة ..

مذنب أو غير مذنب ؟

المتهم - غير مذنب .

الرئيس - الدفاع عايز شهود أو أى شىء ؟

الأستاذ محمد هاشم (المحامى) - لأ يا أفندم .

الرئيس - الادعاء ... اتفضل .

وهنا وقف الأستاذ على نور الدين وكيل نيابة أمن الدولة والمدعى بمحكمة الشعب

ليقول كلمة الإدعاء باسم الشعب .

مرافعة المدعى

على نور الدين

قضاة الشعب :

نقدم لكم اليوم نائب الرئيس ووكيل الجماعة والمستشار الأول لعصابة الإرهاب والتضليل . كان المتهم أول من عهد إليه تنظيم الجهاز . فأسند رئاسته ليوسف طلعت .

* كان المتهم وكيلاً للجماعة فكان بذلك أول من علم بالجهاز السرى وحوادثه الدامية التى حدثت سنة ١٩٤٨م والتى كانت من تدبير الجهاز . وكان عليه عندما أسند منصب الإرشاد إلى الهضيبى أن يعيد تنظيم الجهاز بعد خروج بعض الأفراد منه . وكان كل همهم إخضاع سلطة الجهاز للمرشد لكى يهيمن على الجماعة كلها .

* أقوال الشهود تدل على مسئولية المتهم . فقد قال فرغلى أن المرشد أخذ رأيه فى تعيين يوسف طلعت . لذلك فإن تعيين يوسف طلعت كان إعادة تنظيم الجهاز . وقال يوسف طلعت أن تعيينه كان بأمر المرشد وخميس . وأنه لا المرشد ولا أحد غيره طلب منه تصفية الجهاز .

* يدعى خميس بعد ذلك أن صلته انقطعت بالجهاز السرى . وقد قال التحقيق أن المرشد هو المسئول عن النظام الخاص ومن بعده الرئيس المباشر للجهاز . وهو في هذا كاذب أو نصف كاذب . فالتهم له دوره ومسئوليته في هذا لأنه استشير في تعيين يوسف طلعت . كما أن فرغلي قال إنهما استشيريا في تعيين يوسف طلعت رئيساً للجهاز .

* ادعى المتهم أنه كان يجارب الاتجاه المضاد للحكومة وحرص على أن يظهر بمظهر الحمل الوديع الذى لا يعمل شيئاً والذى كان حماسة السلام لتهدئة النفوس . وهذا غير صحيح . فالتهم يقول هذا لدفع المسؤولية عنه بل كان يستطيع بصفته نائباً للمرشد أن يفعل الكثير لتهدئة أعضاء جماعته .

* مثل هذا الشخص أشد خطورة من العدو الظاهر لا يرمى دينا ولا ضميراً . ومثل هذا تتضاعف مسؤوليته ولهذا يطلب الإدعاء الحكم بالأعدام .

مرافعة الدفاع الدكتور محمد هاشم

حضرات القضاة :

* بدأت صلة خميس بالجماعة منذ مدة طويلة على عهد المرحوم البنا وعاصرها إلى اليوم . بدأ فرداً عادياً وانتهى الأمر إلى وكيل الجماعة ونائباً للمرشد فترة من الزمن . وقد قرر خميس إنه انتمى إلى هذه الجماعة بقصد تحقيق أهدافها من الناحية الخلقية والدينية .

* قرر أنه كان يوجد جهازاً فى عهد المرحوم البنا . وتبين بعد ذلك أن هناك إنحرافاً فى عهد المرشد الأول - وتوفى المرشد وخلفه المرشد الحالى وهنا يسأل خميس عندما علمت أن هناك انحرافاً فما الذى فعلته ؟ أنا أتصور موقفى مكان المتهم ماذا كنت أفعل :

أولاً : أعمل للقضاء على هذا الإنحراف .. ولكن ما هى إمكانياتى ؟ وما هى الصور التى كنت أتخذها ؟ هل من الممكن أن أتخذ إجراءً مادياً للقضاء على الجهاز فى يوم وليلة ؟ .. الحقيقة أن وكيل الجماعة ما كان فى قدرته عمل أى شئ والذى فى قدرته هو رأس الجماعة وهو المرشد .

* قد يقال كان على الدكتور خميس عندما عجز عن تصفية الجهاز أن يتنحى . ولكن هو فى جمعية وهو بين اعتبارين : بقاءه وهذا أصلح من خروجه لأنه كان يستطيع الإصلاح ، والأمر الآخر وهو متصور ذلك أن خروجه كان فيه شئ من الخوف وخشية من الذين

خرجوا من أعضاء الجهاز .

الدليل على أن خميس حاول أن يصفى الجو وأن يعيد الوئام بين الجماعة والحكومة بدليل أنه عندما علم أن هناك منشورات وكان نائب المرشد إتصل بيوسف طلعت وقال له : بلاش الحاجات دى . وفجأة نزل منشور آخر . الدليل على هذا والمنطق الذى يؤيده ما قرره جميع المتهمين أن يوسف طلعت يأتمر بأمر المرشد دون غيره ، وعندما وجد الفرصة لإنزال المنشور أنزله . وهذا دليل على حسن نية خميس .

لذلك أرجو أن نعطي فرصة جديدة لكى يظهر أنه مواطن صالح من جميع الوجوه . ولهذا وفى هذه الحدود أعتقد أن مهمتى قد إنتهت وأسأل الله لكم التوفيق .

الرئيس - لكم كلام يا خميس ؟

المتهم - لا متشكر ..

« رفعت الجلسة حيث كانت الساعة الثانية عشرة والرابع بعد انظهر » .

محاكمة محمد محمد فرغلى

بعد الإنتهاء من سماع مرافعة الدفاع فى قضية المتهم محمد خميس حميدة رفعت الجلسة للإستراحة فى الساعة الثانية عشرة والرابع بعد الظهر ، ثم أعيدت الجلسة فى الساعة الواحدة حيث قدمت قضية المتهم محمد محمد فرغلى وقد مثل الإدعاء فيها البكباشى محمد التابعى والأستاذ مصطفى الهلباوى رئيس نيابة أمن الدولة عضوى مكتب التحقيق والادعاء ..

« حضر المتهم محمد محمد فرغلى ومعه الاستاذ محمد هاشم للدفاع عنه » .

الرئيس - المتهم موجود ؟

البكباشى محمد التابعى (المدعى) - موجود يا فندم .

الرئيس - المتهم محمد فرغلى

الادعاء المقام عليك :

« أتى أفعالاً ضد نظام الحكم الحاضر وضد سلامة الدولة ، وذلك لأنه فى يوم ٢٦ من أكتوبر سنة ١٩٥٤م وما قبله فى أنحاء الجمهورية :

أولاً : بوصفه عضو فى مكتب الإرشاد لجماعة الإخوان المسلمين اشترك فى توجيه سياستها إلى إستعمال العنف والإرهاب وأقر قيام نظام سرى مسلح لقلب نظام الحكم تمهيداً

لاستيلاء الجماعة التي ينتمى إليها على السلطة بالقوة .

ثانياً : أدار مع آخرين إتفاقاً جنائياً الغرض منه إحداث فتنة دامية لقلب نظام الحكم بالقوة وذلك بأن اشترك في مؤامرة وضعت فيها خطة شاملة للقيام باغتيالات واسعة النطاق وإرتكاب عمليات تدمير بالغة الخطورة وتخريب شامل في جميع أنحاء البلاد تمهيداً لاستيلاء الجماعة التي ينتمى إليها على مقاعد الحكم بالقوة .

ثالثاً : اشترك في تنظيم جهاز سرى مسلح مخالفاً بذلك قوانين الدولة ..

مذنب أو غير مذنب ؟

المتهم - غير مذنب .

الرئيس - الدفاع يطلب شهود ؟

الأستاذ محمد هاشم (المحامي) - لا .

وهنا وقف الأستاذ مصطفى الهلباوى رئيس نيابة أمن الدولة والمدعى بمحكمة الشعب

ليقول كلمة الادعاء باسم الشعب ..

مرافعة المدعى الأستاذ مصطفى الهلباوى

* المتهم اليوم يا حضرات القضاة واعظ دينى . وعالم من علماء الأزهر الشريف . وخريج كلية أصول الدين . وظل بالإسماعيلية قرابة ٢٠ عاماً أقول هذا لأبين أنه بحكم ثقافته ومنصبه الرسمى كان واجباً عليه أن يبصر المسلمين بأحكام الدين وتعاليم القرآن ... لا أن يحفظهم آيات الجهاد من سورة آل عمران دون تفهيمهم معناها أو مدلولها .

* وقد قال يوسف طلعت ومحمود عبده أن مجلس الجهاد الأعلى ولد ورأى النور فى مسكن الشيخ فرغلى بعمارة وهبه وهو الذى سماه هذه التسمية .. وقال محمود عبده فى التحقيقات : أن فرغلى دعاه هو وأعضاء مجلس الجهاد - وهم يوسف طلعت وحازم وصلاح شادى - إلى مسكنه وعرض عليهم خطة القيام بمظاهرات مسلحة كمظهر من مظاهر معارضة الحكومة . ودعاهم مرتين فى مسكنه ليكونوا هيئة مجلس الجهاد الأعلى وليقرروا هذه الخطة .

فهذا المتهم الذى قال فيه يوسف طلعت أنه لا يجرؤ أن يوجه إليه أى سؤال أو يواجهه بشيء تظهر خطورته وسطوته وسلطانه بالجماعة ولذلك فأطلب أن تستعملوا معه كل الشدة التى تخولها لكم أوامر تشكيلكم ، والله يوفقكم .

مرافعة الدفاع الدكتور محمد هاشم

* حضرات القضاة :

الشيخ محمد فرغلى مقدم بإعتباره عضواً فى مكتب الإرشاد وعلى هذا الإعتبار إتهم بالإشتراك فى الجرائم .

يقول الإدعاء من أنه عضو مجلس الدفاع الأعلى ومستشار الجهاز السرى لا يقوم عليه دليل واحد فى الأوراق قال أن يوسف قرر أن الشيخ فرغلى عضو فى المجلس وهذا لم أعثر عليه فى الأوراق . وكذلك قول محمود عبده لم أجد منه شيئاً . أما من كانوا يجتمعون عنده فكانوا يجتمعون عنده بإعتباره عضواً فى الإخوان وبإعتبارهم أعضاء فى الإخوان واسباغ صفة المجلس على الإجتماع تشديد فى التخريج لا يسمح به ما هو مدون بالأوراق .

الرئيس - أقوال يوسف طلعت فى صفحة ٣ .. قال إن عبد المنعم عبد الرؤوف من أعوانه أبو المكارم وهو عضو فى مجلس الجهاد الأعلى وبشكل المجلس من الشيخ فرغلى وعبد الحى وأبو المكارم وأنا أى هو وحل عبد المنعم عبد الرؤوف مكان أبو المكارم .. وأقواله ممضى عليها

الأستاذ محمد هاشم (الدفاع) :

لو سمح سيادة الرئيس أقوال محمود عبده .

الرئيس - قال رداً على سؤال سبب إجتماعه يوسف طلعت أن الشيخ فرغلى دعاه لإجتماع فى منزله وكان هناك يوسف طلعت والحالة بين الحكومة والإخوان متوترة وطلت المجتمعون منى عمل مظاهرة مسلحة فرفضت .

الأستاذ محمد هاشم (الدفاع) :

على أية حال فيما يتعلق بأقوال يوسف طلعت من آخرين صوروا هذا التصوير وإذا عندما يتحدث مع الناس يطلق على الاجتماع مجلس الجهاد الأعلى . ولا أجد الدليل القاطع

على أن الشيخ فرغلي يعلم أن المجلس مجلس جهاد أعلى ، وكذلك أقوال محمود عبده لا تدل على أن الشيخ فرغلي هو الذي طلب القيام بمظاهرة ، ولكنه قال أن المجتمعين طلبوا القيام بمظاهرة ولا يمكن أن نصرفهم للشيخ فرغلي ونرتب هذه النتيجة إليه والله يوفقكم .

وورفت الجلسة في الساعة الواحدة والدقيقة الخامسة والثلاثين بعد الظهر .

الحكم

في الساعة الحادية عشرة من صباح السبت ٤ ديسمبر سنة ١٩٥٤م صدرت محكمة الشعب حكمها في القضية الخامسة وكان حكمها الآتي :

أولاً : حكمت المحكمة على المتهم محمد خميس حميده ، بالأشغال الشاقة المؤبدة .

ثانياً : حكمت المحكمة على المتهم محمد محمد فرغلي بإعدامه شنقاً .

تصديق مجلس قيادة الثورة :

وطبقاً للمادة السابقة من أمر تشكيل محكمة الشعب تعرض الأحكام الصادرة من المحكمة على مجلس القيادة للتصديق عليها . وقد عرض الحكم الصادر على كل من المتهمين محمد خميس ومحمد محمد فرغلي على مجلس القيادة في يوم السبت ٤ ديسمبر سنة ١٩٥٤م ، فصدق المجلس على الحكم .

التنفيذ :

في تمام الساعة العاشرة من صباح ٧ ديسمبر سنة ١٩٥٤م نفذ الحكم الصادر على محمد محمد فرغلي حيث أعلم شنقاً بسجن الإستئناف .

(٨) ملخص التحقيقات مع

- محمد حامد أبو النصر

- أحمد شريت

- عبد العزيز عطية

- عمر التلمساني

محضر الجلسة الثالثة والعشرين لمحكمة الشعب

المنعقدة علناً في الساعة الواحدة والأربعين بعد الظهر بمقر قيادة الثورة في الجزيرة
يوم الأربعاء الموافق أول ديسمبر سنة ١٩٥٤م ، الموافق ٥ ربيع الثاني سنة ١٣٧٤هـ .

المؤلفة وفقاً للأمر الصادر من مجلس قيادة الثورة بتاريخ أول نوفمبر سنة ١٩٥٤م
الموافق ٥ ربيع الأول سنة ١٣٧٤هـ بناء على المادة السابعة من الدستور المؤقت .

والمشكلة برئاسة قائد الجناح جمال مصطفى سالم عضو مجلس قيادة الثورة .

وعضوية القائمقام أنور السادات والبكباشي أ . ح حسين الشافعي ، عضوى مجلس
قيادة الثورة .

وبحضور البكباشي سيد سيد جاد المدعى والاستاذ على نور الدين وكيل نيابة أمن
الدولة عضوى مكتب التحقيق والإدعاء .

قدمت القضية رقم ٨ سنة ١٩٥٤م لمحكمة الشعب المتهم فيها محمد حامد أبو النصر
وأحمد أحمد شريت وعمر التلمساني وعبد العزيز عطية عوض الله .

(حضر المتهمون ومع المتهم الأول محمد حامد أبو النصر الاستاذ حسين أبو زيد
للدفاع عنه) .

الرئيس - فتحت الجلسة .. المدعى جاهز .. المتهمين موجودين .

المدعى - أيوه يا أفندم ..

الرئيس - أسماء المتهمين محمد حامد أبو النصر وأحمد أحمد شريت وعمر التلمساني
وعبد العزيز عطية عوض الله . والإدعاء المقام على كل منهم هو الآتي :

أتى افعالاً ضد نظام الحكم الحاضر وضد سلامة الوطن وذلك بأنه في يوم ٢٦ من

أكتوبر سنة ١٩٥٤م وما قبله فى أنحاء الجمهورية بوصفه عضواً فى مكتب الإرشاد بجماعة الإخوان المسلمين إشتراك فى توجيه سياستها إلى إستعمال العنف والإرهاب وأمر قيام نظام سرى مسلح لقلب نظام الحكم تمهيداً لاستيلاء الجماعة التى ينتمى إليها على السلطة بالقوة .

وقد سأل الرئيس المتهمين عما إذا كانوا مذنبين أو غير مذنبين فأقروا جميعاً أنهم غير مذنبين .

«وقد حضر الاستاذ أحمد أبو زيد عن محمد حامد أبو النصر وسيتولى بقية المتهمين الدفاع عن أنفسهم» .

الرئيس - الإدعاء ... اتفضل ..

مرافعة المدعى على نور الدين

حضرات القضاة :

الإدعاء ضد المتهمين هو أنهم إشتراكوا فى توجيه سياسة الجماعة إلى العنف والإرهاب بصفتهم من أعضاء مكتب الإرشاد وهذا الإدعاء نظاماً أن مكتب الإرشاد هو الهيئة التنفيذية للإخوان ومفروض فيه أنه يشرف على الإتجاهات الجماعية وتنظيماتها فهو بمثابة مجلس الجماعة وبوصفه هذا بتحميل أعضاءه المسؤولية المشتركة عن الإتجاهات المخالفة للقوانين .

هذه المسؤولية لا يمكن لأى فرد أن يتخلص منها متذرعاً بجهله لما يجرى داخل الجماعة لأن عضو الإرشاد يجب أن يقف موقفاً إيجابياً فى إدارة شئون الدعوة .

ولو أننا سمعنا هنا تنصل أعضاء مكتب الإرشاد من المسؤولية بقوله أنهم لا يعلمون شيئاً عن الجهاز السرى إلا أن هذا الوضع ينفيه حقيقة الوضع القانونى والعمل لمكتب الإرشاد الذى عاصر من أول الأمر دعوة الجمعية .

والأمر الثانى هو أن الجهاز السرى كان محل إعتراض الحكومة أكثر من مرة . وكان ذلك كما قررنا منذ مايو ١٩٥٣م وأعضاء مكتب الإرشاد يعلمون ذلك بإعتراف الكثيرين منهم ولكن مصير هذا الطلب كان الإهمال المطلق ، ولم يكلف مكتب الإرشاد نفسه مشقة الإستجابة للحكومة .

ليس لنا بعد ذلك أن نقدم دليلاً آخر على علم أعضاء مكتب الإرشاد بوجود الجهاز وخطورته وعدم وقوفه موقفاً إيجابياً .

هل يستطيع واحد من أعضاء مكتب الإرشاد أن ينفى وجود جهاز سرى داخل الجماعة . كلا ؟ فكلهم يعلمون أن مسؤولية مكتب الإرشاد في هذا مريحة واضحة . ومكتب الإرشاد مسئول عن إتجاه الجماعة للعنف والإرهاب وهذا الإتجاه بدأ بسلسلة منشورات معادية للحكومة وكان مكتب الإرشاد هو أول من بدأ هذه الحملة - حملة الكذب والتضليل - بمنشور أذاعه ينقد فيه الإتفاقية . وقد قال خميس في هذا : أن جماعة الإخوان نشرت رأيها وطعنت في الإتفاقية لتقوية ظهر المفاوضات المصرية ، سمعنا هذا وضحكنا له كثيراً .

وقد نوقش حول الأسس التي قبلها المرشد للإتفاق مع الإنجليز ، ومنها قبول المرشد عقد إتفاق سرى يسمح للإنجليز بإحتلال مصر في حالة خطر الحرب . فأقر ذلك كله .

والمتهمون المائلون أمامكم كلهم أعضاء في مكتب الإرشاد ويعلمون بوجود النظام الخاص . وقد اعترفوا بذلك في التحقيقات وكل منهم حاول بطريقة ما أن يبرر هذا الموقف السلبى في الجماعة .

ولكن ماذا عملوا ؟ ماذا اتخذ مكتب الإرشاد لمنع الخطر الجاثم ؟ لا شيء .. وقال خميس أيضاً عندما سُئل عن رأيه فيمن أقرروا حسن المضيى على هذه السياسة فأكد أن ذلك جريمة وأن مكتب الإرشاد كان يجب أن يتخذ علينا .. وعلى ذلك فمكتب الإرشاد أجرم . فخمس قال ذلك وهو الواقع والمنطق . هذه هى مسؤولية مكتب الإرشاد وأن القصاص يجب أن يوقع على هؤلاء المتهمين . وفقكم الله .

مرافعة الدفاع الأستاذ حسين أبو زيد

استمعت إلى الكلمة القيمة التي قالها الزميل ممثل الإدعاء اتى قال فيها أن المسؤولية تشمل جميع أعضاء مكتب الإرشاد . وأحب أن أقول أن مركز موكلى بأنه عضو فى مكتب الإرشاد - وقد أخبرنى وأرجو أن يكون صادقاً - إن مكتب الإرشاد قسمان : قسم قاهرى وقسم إقليمى . وموكلى عضو إقليمى من متفلوط وهو مزارع لا يحضر القاهرة إلا قليلا ولا يحضر كل الإجماعات .

وهو يحب الثورة ورجالها ويخلص لها فى جميع المناسبات كان يظهر الشعور الطيب

نحو الثورة ورجالها وقد أرسل موكلى إلى جريدة الأهرام مقالاً يدعو فيه إلى التعاون بين الحكومة والإخوان وذلك فى ٢٤ أكتوبر سنة ١٩٥٤م أى قبل أن تقع الحادث وعندما طلب الرئيس حل الجهاز . وأنا أعتقد أنه ليس شريفاً وأنا أقول رأى فيه بمتتهى الصراحة . وهو أنه ليس شريفاً ولا يحب الشر ويتعاون مع الشر . وبناء عليه أطلب البراءة .

مرافعة المتهم أحمد شريت

أنا متهم بالتستر على الجهاز السرى وقد بينت فى التحقيق أن علمى هو أنه جماعة رياضية غير مسلحة . وأنا بحكم وجودى فى أسبوط أحضر للقاهرة مرة كل شهر . ولم يعرض على مكتب الإرشاد أى شىء يتعلق بالجهاز .

ومنذ ذلك الحين وأنا دائم الإتصال بالإخوان وقلت لهم أن الإسلام لا يقر السرية وقلت ذلك للبهى الخولى وعبد المعز والحصرى ونور الدين وجوده وغيرهم . وقلت لهم أن السكوت على هذا بعد العلم جريمة .

وحضر إلى الاستاذ البهى الخولى فى أسبوط ومعه الاستاذ عبده قاسم وقال أن المعاهدة ستوقع ، ولابد أن نقب موقفاً مؤيداً منها ، وإتفقت معهما على ذلك ولو فصلنا الإخوان . وحضرت للقاهرة فى ٢٠ أكتوبر وأعلن عن الغاء المكتب القديم وتشكيل لجنة لعمل مكتب آخر وإختارونى عضواً فى اللجنة لأنى معتدل وقد أذيعت هذه القرارات وبعض الإخوان رضوا عنها وبعضهم سخط . وبعض الشبان قلت لهم أن المعاهدة أفادتنا كثيراً وأفرض إننا مرتبطون بالإنجليز فى أربع عجالات وفكينا عجلة ألا يكون ذلك تقدماً ؟ وإن الرسول عليه الصلاة والسلام نهى عن الذلة والخضوع .

مرافعة المتهم عمر القلمسانى

أنا تحدثت فى مكتب الإرشاد إن فيه تشكيلات فى الجماعة ويجب عدم السكوت على هذا واستشهد على ذلك بالبنا والخولى وعبد المعز ، وعقب الجلسة تقابلت مع جوده ، وقلت له ما حصل فى جلسة مكتب الإرشاد من معارضتى للجهاز .

وفى سبتمبر الماضى كان الهضيبى محتفياً . وأنا أستكرت هذا الوضع وقلت أنه لا يليق أن يختفى مرشد للمسلمين . وطالبت بإصدار بيان ينشر فى الصحف على أننا متعاونون



أحمد شريف وعمر التلمساني وحامد أبو النصر

وعبد العزيز عطية من قادة الإخوان ١٩٥٤

مع الحكومة ونشيد بالإصلاحات التي قدمتها للأمة

مرافعة المتهم عبد العزيز عطية

نحن بفضل الله مرتاحون تمام الراحة لأحكام المحكمة . وإن صفى فى الإخوان يرجع إلى سنة ١٩٤٢م وكنت أعطى دروساً بصفى معلما وفى سبتمبر الماضى إنتخبت عضواً فى مكتب الإرشاد . وكنا علمنا قبل ذلك أن هناك جهازاً سرياً يرأسه السندى . وحصل منه حوادث مثل قتل الفقراشى والखازندار رئيس المحكمة وغيره .

وفى يناير ١٩٥٤م حلت الجماعة وقبل ذلك حصلت حوادث شغلت مكتب الإرشاد مثل موضوع صالح عثماوى وموضوع إحتلال بيت المرشد والهجوم عليه واحتلال مكتب الإرشاد - تسمح لى سيادتك شوية مية !

الرئيس - أيوه . كباية مية من فضلك .

عطية - «شرب» ثم قال : وبعد الحل صار الإخوان فى وضع مؤرجح لأنهم كونوا لجنة لإزالة سوء التفاهم مع الحكومة . وفى الاسكندرية أنا لم أكن أعرف شيئاً عن الجهاز السرى بصفته الحالية .

مناقشة المتهم

الرئيس - أنت قلت أنك لا تعلم إن فيه جهاز سرى بالمعنى الذى عرف أخيراً يعنى كنت تعرف أن فيه جهاز سرى بوضع آخر ؟

عطية - عاوز أقول أنه فى الاسكندرية ظهر إن فيه جهاز سرى وأسلحة وموضوع محمد سليم ده خاص بمسألة ، لم تظهر إلا فى أن القراقصى جاء مرة وأبلغنى أن محمد سليم كان فى مصر وأنا لا أعلم إن سليم زى يوسف طلعت رئيس جهاز سرى .

« رفعت الجلسة فى الساعة الرابعة والنصف مساء » .

الحكم

فى الساعة الحادية عشرة من صباح السبت ٤ ديسمبر سنة ١٩٥٤م أصدرت محكمة الشعب حكمها على كل من :

١ - محمد حامد أبو النصر بالأشغال الشاقة المؤبدة .

- ٢ - أحمد أحمد شريت بالسجن خمسة عشر عاماً .
- ٣ - عمر التلمساني بالسجن خمسة عشر عاماً .
- ٤ - عبد العزيز عطية عوض الله بالأشغال الشاقة المؤبدة .

تصديق مجلس قيادة الثورة :

طبقاً للمادة السابعة من أمر تشكيل محكمة الشعب تعرض الأحكام الصادرة من المحكمة على مجلس القيادة للتصديق عليها . وقد عرض الحكم الصادر على كل من : محمد حامد أبو النصر ، وأحمد أحمد شريت ، وعمر التلمساني ، وعبد العزيز عطية عوض الله على مجلس القيادة في يوم السبت ٤ ديسمبر سنة ١٩٥٤م فصدق المجلس على تلك

(٩) ملخص التحقيقات مع

- عبد المعز عبد الستار

- عبد الرحمن البنا

- البهى نجا الخولى

محضر الجلسة

الرابعة والعشرين لمحكمة الشعب

المنعقدة علناً فى الساعة الثانية عشرة ظهراً بمقر قيادة الثورة فى الجزيرة يوم الخميس ٢ ديسمبر سنة ١٩٥٤م الموافق ٦ ربيع الثانى سنة ١٣٧٤هـ .

المؤلفة جميعاً للأمر الصادر من مجلس قيادة الثورة بتاريخ أول نوفمبر سنة ١٩٥٤م الموافق ٥ ربيع الأول سنة ١٣٧٤هـ بناء على المادة السابعة من الدستور المؤقت .

والمشكلة برئاسة قائد الجناح جمال مصطفى سالم عضو مجلس قيادة الثورة وعضوية القائم مقام أنور السادات والبكباشى (أ . ح) حسين الشافعى عضوى مجلس قيادة الثورة . وبحضور البكباشى محمد التابعى المدعى والاستاذ مصطفى الهلباوى رئيس نيابة أمن الدولة عضوى مكتب التحقيق والإدعاء .

قدمت القضية رقم ٩ سنة ١٩٥٤م (محكمة الشعب) المتهم فيها كل من عبد المعز عبد الستار .. وعبد الرحمن البنا والبهى نجا الخولى .

(حضر المتهمون) .

الرئيس - فتحت الجلسة ... المتهمون عبد المعز عبد الستار، عبد الرحمن البنا ، البهى نجا الخولى :

أتوا أفعالاً ضد نظام الحكم الحاضر وضد سلامة الوطن ، وذلك لأنهم فى يوم ٢٦ أكتوبر سنة ١٩٥٤م وما قبله فى أنحاء الجمهورية بوصفهم أعضاء فى مكتب الإرشاد بجماعة الإخوان المسلمين إشتراكوا فى تزجيه سياستها إلى إستعمال العنف والإرهاب وأقروا قيام نظام سرى مسلح لقلب نظام الحكم تمهيداً لإستيلاء الجماعة التى ينضموا إليها على السلطة بالقوة ..

وقد آل الرئيس المتهمين عما إذا كانوا مذنبين كما أقروا أنهم سيتولون الدفاع عن أنفسهم .



عبد الرحمن البنا وعبد المهر عبد الستار والهي الخولي من قادة الإخوان ١٩٥٤

مرافعة المدعى مصطفى الهلباوى

متهمون اليوم - يا حضرات القضاة - ثلاثتهم أعضاء مكتب الإرشاد ومن كباره وائتمته . نشأوا مع نشأة هذه الجماعة وبقوا فيها حتى تكشفت للناس الحقيقة الخفية لهذه الجماعة وعرف الناس عنهم ما عرفوا حتى آمن المواطنون أنها جماعة تلبس الحق بالباطل وهدفها الوصول إلى مناصب الحكم عن طريق رجالها أو عن طريق فرض الوصاية على الحكومات وأحد المتهمين شقيق مؤسس هذه الجماعة وثانيهم زميل له فى الدراسة وثالثهم واعظ دينى من وعاظ الحكومة وخريج الأزهر الشريف .

سلطة المكتب

أما عن مكتب الإرشاد فهو السلطة التنفيذية فى الجماعة وبجانبه الهيئة التأسيسية وهى برلمان الجماعة ، وقد قال خميس أن مكتب الإرشاد هو الهيئة العليا . وقال يوسف طلعت أن جميع الجماعة خاضعة لمكتب الإرشاد .

إذن مكتب الإرشاد هو المسعول الأول عن إنحدار هذه الجماعة وإتجاه سياستها إلى الإرهاب والمنشورات ومحاولة قلب نظام الحكم عن طريق الإغتيالات والتخريب والتدمير .

وهذا المكتب تصدر عنه جميع القرارات وهو الذى يدبر سياسة الدعوة وبذلك يكون اعضاؤه مسعولين عن هذا الإتجاه وعن هذا الإنحراف .

ولو قلنا غير ذلك لما كان هناك داع لقيام مكتب الإرشاد . ويبدو عن إصدار مكتب الإرشاد بيانا عن الإتفاقية وعن رأيه فيها . إن مكتب الإرشاد يؤكد للناس حقيقة رئاسته لهذه الجماعة وهيئته عليها .

هذا هو مكتب الإرشاد وهذا هو وصفه فى الجماعة وإختصاصاته الواسعة الشاملة ويترتب على هذا أن الإختصاصات يقابلها واجبات ومسؤوليات .

والآن كيف كان يتصرف المكتب فى شئون الجماعة وتخلي عن حقوقه فى تدبير الدعوة سمعنا من السنة الشهود أن هذا المكتب كانت قراراته إستشارية لا تلزم المرشد .

كما أن البيان الذى أصدره مكتب الإرشاد عن الإتفاقية لم يعرض على الهيئة التأسيسية .

وقال خميس : إن الأمر كان دكتاتورية وأن المرشد كان يتصرف كما يرى وأنه كان يدير الجماعة من مخبئه بواسطة بعض بطائنه .

فماذا فعل المكتب فى الجهاز السرى المسلح ؟
قال خميس : إن جميع أعضاء مكتب الإرشاد وبعض أعضاء الهيئة التأسيسية يعلمون بوجود الجهاز الخاص ورئاسة يوسف له .

مقابلة الرئيس

وقد قال خميس : انه ذهب مع عبد الرحمن البنا إلى رئيس الحكومة وتحدث معه عن التنظيمات السرية وطلب منه الإفراج عن ضباط الجيش من الإخوان .

وهذه الواقعة تدل على أن مكتب الإرشاد جميعاً كانوا على علم بقيام هذا النظام وعلى علم بأن هناك تشكيلات إخوانية فى الجيش والبوليس .

وقد طلب منهم رئيس الحكومة فى مايو ١٩٥٣م حل الجهاز وتسليم أسلحته فلم يستجيبوا وتحلوا الحكومة وأقروا إختيار يوسف طلعت رئيساً لهذا النظام السرى .

فماذا فعل مكتب الإرشاد فى هذا الصدد ؟ لم يفعل شيئاً وآثر السكوت والتستر والخضوع ليوسف طلعت والمرشد وبطائنه .

ماذا فعل مكتب الإرشاد حين سافر إلى البلاد العربية ليهاجم مصر ويدعو ضدها ؟

ماذا كان موقف هؤلاء المتهمين من هذا كله من الإرهاب ؟

قد يقول بعضهم أنه حين آنس من الجماعة هذا الاتجاه الإرهابى ، قدم إستقالته . هذا القول أيضاً لا يمكن أن نفعيه من المسائلة ، لأننا حتى لم نر واحداً منهم قبلت إستقالته - وكأن الإستقالات صورية يعقبا ماثرة على العلاقة بالمرشد والجماعة . والإستقالات لا تعفى من المسؤولية .

وكان على الأعضاء أن يصرخوا الحكومة ويقرروا الناس ويقولوا لهم : لا تصدقوا أن أهدافها دينية وأعلموا أن أهدافها سياسية للوصول إلى الحكم .

ولذلك أطلب عقابهم بالمواد المنصوص عليها فى أمر التشكيل .

مرافعة المتهم عبد المعز عبد الستار

أنا عينت فى المكتب وكنت متدباً للتدريس فى كلية الشريعة بمكة منذ ١٩٥٢م وفى
سبتمبر أو أكتوبر ١٩٥٣م انتخبت عضواً فى مكتب الإرشاد ولم أرشح نفسى وكنت عامل
عملية فى المستشفى والمفروض أن إجتماعات الهيئة التأسيسية تكون فى محرم والعام
الدراسى فى الحجاز يبدأ فى محرم ولهذا سافرت ولم أحضر إجتماعات الهيئة ولا مكتب
الإرشاد .

وبعد سفرى إلى الحجاز غبت إلى آخر رمضان . وعدت مرهقاً وسافرت إلى بلدى
وعدت إلى القاهرة وبعد العيد وكان المرشد سافر إلى البلاد العربية ولم أجتمع به ولم أره .

ولاحظت أن الإخوان كانوا مختلفين ومتناكرين ومتفاعل فى نفوسهم من المعانى مالا
أقرها ومالا أرضاها لأنى أؤمن بهذه الثورة ولا أحب أن أمتدحها حتى لا أكون مستشفعاً .

وإنى قلت فى خطبة إن الله بعث محمداً ليخرج الناس من عبادة الأشخاص إلى عبادة
الله وهذا ما فعلته الثورة وأقسم بالله الذى نفسى بيده لو علم أن واحداً منكم يستحق
المؤاخذه لقلت فى مواجهته وأنا لا يردنى عن الحق راد .

وحدث فى الإخوان انظارا للذين حررهم من عبادة الداعون إلى عبادة الله ، وحررهم
من ضيق العيش بتحديد الملكية والإصلاح الزراعى . وهذا ما قلته فى الأزهر فى خطبة
لى عندما كان تحديد الملكية محل مناقشة .

وقلت أن الثورة أخرجت الناس من حق المحكام إلى عدل الإسلام والعدل كالصدق
لا يمكن أن يكون ملوثاً ولا يمكن أن يكون هناك صدق أسود وصدق أحمر ولكنه صدق
واحد هو مطابقة القول للحقيقة ، وكذلك العدل .

وأنا لست بصاحب الموقف الضعيف الذى ينشئ فى الماضى وفى دفاتر المفلس ولكن
هذا هو موقعى .

مرافعة المتهم عبد الرحمن البنا

أثيرت دعاية قبل تعيين الهضيبي عن أربعة من كبار الإخوان يريدون الإستشارة بالدعوة
ودعانى الأستاذ الدله قبل إنتخاب الهضيبي فذهب إلى منزله وكان رسوله عبد القادر حلمى

ولما ذهبت وجدت الباقورى وعشماوى وقال منير : أنتم الأربعة متهمون بالتنافس على رئاسة الإخوان .

فعجبنا لذلك . وقلنا أن طلب الرئاسة أمر يمنعه الإسلام وحكم الإسلام . وإن طالب الولاية لا يولى . وإن أحداً منا لم يطلب ذلك .

وانتشرت بعد ذلك دعايات تعرف الهضيبي الذى لم نكن رأيناه بعد وترشحه لرئاسة الإخوان ثم بدأت أحضر الجلسات وأقوم بما يفرض على عضو فى مكتب الإرشاد الذى آلت إليه مسئولية دعوة الإخوان فلاحظت أن كثيراً مما كنت أتحدث به لا يجد قبولاً ولا تجاوباً وإذا أردت أن أتحاكم الى الأعضاء أجد عدم إفساح مجال لى من الأستاذ الهضيبي .

وسارت الأمور فى هذا الجهاز الداخلى ونحن حينما نخلو إلى الله فى الصلاة ونبتهل لابل لكل مؤمن من لحظات بينه وبين ربه . كانت لحظتنا أن يصلح الله هذا الصف الذى ورثناه نقياً طاهراً متحاباً .

وكنا ندعو الله تبارك وتعالى أن يتخذ البلد من حكم كان يسير على غير الأحكام التى ترتضيها أمة تبغى المجد والكرامة . ودعا الصالحون كذلك وأذن الله لهذه الأمة أن يستجيب لها هذه الدعوات وتحقق الآمال وطلع على الناس يوم ٢٣ يوليو .

بيان ٢٣ يوليو

واستمعت أول ما استمعت إلى المذيع فاهتر قلبي وطرب سمعى .

وذهبت إلى الأستاذ الهضيبي فى الاسكندرية وأخذت معى الأستاذان طمان ونصير وتكلمنا وقلت له : إن هذا هو بدء الأمر الذى عشنا عليه وفجر أشرق شمس جديدة على البلد ولايد من عمل تتخله وسهر نسهره وربط بين الإخوان والحركة . فاختلف معى الهضيبي فى الرأى فطلبت منه الحضور إلى القاهرة فلم يحضر إلا فى ٢٦ يوليو .

طلبت فى كثير من جلسات مكتب الإرشاد بالشورى وتبادل الرأى وما قرره الأستاذ البنا من أنه لا يفرض رأيه على مكتب الإرشاد . وقلت للهضيبي أننا نريد أن نعرف خطواتك واتجاهاتك فإذا قابلت وزير العدل فخذ أحداً من رجال القانون وإذا ذهبت لمقابلة صاحب اختصاص فخذ العضو المختص فى مكتب الإرشاد معك حتى يمكن متابعة خطواتك . قال : ولم تطلب هذا ؟

قلت : هذا تقليد الإخوان وماضيهم .
قال : أنا لا أريد أن يذكر لى أحد الماضى .

إن مكتب الإرشاد لم يكن يعرف أكثر من الأمور العادية التى تعرض عليه ولم يكن يعلم أبداً وعلى الأقل لم يكن بعض أعضائه يسلمون بالعنف ولكن الأمر المريب الذى خفناه ورأيناه أنه ضرر هو ما تبع إتفاقية الجلاء .

وجاءت رحلة الهضبيى إلى البلاد العربية وقال أنه سيمافر الحجاز للعمرة . وأنا شخصياً طلبت منه أن أذهب معه للعمرة فقال لا .. أنا حروح بعض البلاد الثانية فقلت له : لما تروح البلاد الثانية نحد حد معاك من مكتب الإرشاد فرفض .

مرافعة المتهم البهى نجا الخولى

كنت عضو مكتب إرشاد لمدة ٦ أسابيع على الأكثر وذلك إنى عقب فصل السندي قرر مكتب الإرشاد ضم عضو إليه وأنا قبل ذلك كنت محتكفا سنة ونصف سنة .

وقد حصل فى أثناء هذا أن أذيع خطاب أو منشور يطالب فيه المرشد بالحرية والحياة النيابية فأنا قلت ده معناه تدمير ما بنته الثورة والعودة إلى القديم وأنا أفهم أن الإخوان ما داموا أحراراً فى مركزهم العام وفى التنقل وفى الخطابة يبقوا عايزين إيه ؟ الإخوان متمتعين بالحرية إذن فهذا الطلب معناه خدمة الشيوعية وعودة الأحزاب إلى الدجل القديم والشعب لا يزال إلى الآن فى دور النقاة .

وكانت الهيئة التأسيسية وظروف نحسنا الجولة ولم نصل إلى شىء .

ويوم الثلاثاء وقع الحادث فى الاسكندرية وفى يوم الأربع الشعب نار وحرق المركز العام واجتمعنا فى بيتى وقررنا فصل الهضبيى من منصب الإرشاد وحرمانه من عضوية الجماعة وأرسلنا ذلك إلى الصحف فلم ينشر .

الرئيس - أنت كنت على إتصال برئيس الحكومة خلال المدة اللى عملت فيها مجهودك ؟
البهى - أيوه لنستعين به حتى لا تعطل جهودنا .

« رفعت الجلسة فى الساعة الرابعة والدقيقة الأربعين مساءً » .

وقلت أن المعارضة العادلة هي المطلوبة . ورجال الثورة يكرهون التعلق ويحبون من يصبرهم
بعبورهم وأخطائهم . وإذا لم يعجبنا عمل من أعمالهم يبقى لازم نذكر لهم حسناتهم ..
وقلت كفاية إنهم طردوا فاروق . وأعلنوا الجمهورية . وقرهوا بين الطبقات . وقلموا أظافر
الإقطاع . وتكفى حسنة واحدة من هذه الحسنات لتذوب فيها كل الأخطاء إن كانت لهم
أخطاء .

الحكم

في الساعة الحادية عشرة من صباح السبت ٤ ديسمبر سنة ١٩٥٤م أصدرت محكمة
الشعب حكمها على كل من : عبد المعز عبد القادر وعبد الرحمن البنا والبهى نجا الخولى
بالبراءة .

تصديق مجلس قيادة الثورة :

طبقا للمادة السابعة من أمر تشكيل محكمة الشعب تعرض الأحكام الصادرة من
المحكمة على مجلس القيادة للتصديق عليها . وقد عرض الحكم الصادر على كل من :
عبد المعز عبد القادر وعبد الرحمن البنا والبهى نجا الخولى على مجلس القيادة فى
يوم السبت ٤ ديسمبر سنة ١٩٥٤م فصدق على تلك الأحكام .

بسم الله الرحمن الرحيم
وإن استعصم
والله يقول الحق وهو يهتد

سيد رحيم محكم الشعب السلام عليكم ورحمة الله وبركاته
حده يجب الوفاء :-

أنا صديق الطائفة محمد انصفت الى الإخوان المسلمين سنة ١٩٢٤ في كاد اعتقادات
فوق هذه الفقه انه هذه الجوامع تحمل الدواير بأداة الإخوان لا يأمر به إلا ما فيه خير
الإسلام والسلامة فكانت أسس كل أمر في طائفة ودوره تردوداً وتناوباً له هذا
مادرمه أنا صديقكم وعلوه للإسلام ويقدره من مساندة الله في أمهات
يعلمه ذلك فكنت معهم على هذا الأسس وكنت أعجب على بعض الفقهاء
بناشئهم في أم وأخيل في نفسي إله المظلم عندهم حب الدنيا في شئ ولا
كل أمر يا صديق الإخوان أريد أن طامع هذا الأمر طاعة الله فالله معي في كل
السرا في صفة الخلق المذكورة لا تزداد وبعد تكوينه هذه الخلق قليل الظاهر أنا
وسمعتهم في وقت مثل أن أريد أوقات ووجدته في الجور من قبله وراقبته في السرا
ولكن في محاولة لإشغالهم وبعد رسوا فيها استمر الأمر على ما جرت به عادة في الرعية وفي هذا
الخصية فقلت الاستتار له لا يتبعه في الاستتار في بعضا فاستغلنا في هذا
الانصار الشريعة في بعض النبا في مساندة المأموريات وهي الأدب والادراك الثابتة من الذين
على الله عليه وسلم وفي فاشية الله الذي له كانه خالصا لوجهه ليسر الله وانه كان فيه ذلك
يرتفع الله وبعد كذا في هذه الاستتار أنا في توفيقه المكنة هذه التي كان
الظهور الحق في أمهات في هذا الاستتار وبعد ذلك انقلع مناهضة حتى علمت بعد ذلك أن في بعض
شامع الناصر وتسلل بكاه توفيقه هذا في دور وصال أنا أملك الأداة فقلت
خبراً به شار الله وتقبل الحوادث يا صديق امبر في أنا وسعد خراج بأمر الأول

بالتشال الرئيس على حال سبنا الناصر قال لنا أم وأعد مناهضة التاتمة صليتنا
له الزحف بنفذهنا الأمر في هذا الفقه فقلت أيضاً الاستتار له وبعد ما يرمي حال
هنا في راقون الأمر وكما لم يظن في سلاسل بعد وبعدها من بعد له من في السلام
ويقال في على كراهة الله في الحوادث في يوم كمالته وأخبرت بانه الرئيس في سافر في
الأداة اعتقالات شيعه وفي منتهز في الشرق فقلت في قال سافر في ذلك في سافر في
وأرسلت الحوادث في نعت الله على أني لم أذهب بعد ما الرئيس بالامر الناصر
واقف به بين يدي الله بما علمت من التتبع في اليوم الثاني من هذا في دور
الاغتيا في الساسم كره من السلام في شيعه ولعلهم عبرت في ورثته من قبل وفي
في أمهات في العباد في قول الكاذب في الله في قالوا لانا في رانا أنا طامع في رانا في
أنا في حقلهم في قنود في فلو كنت أعلم مناهضة قبل لنا في كل أمر كانه يأن في
الانصار وقلت أنا أول من في هذا أنا لا في كنت أكون كلاً في بعضه في قنود في
أنا في السلام في أعجب أم أني في جميع السابيه في في شار به الأداة وانا في في هذا
بانه لا في انصار في أمهات في أمهات في أمهات في السابيه في في شار به الأداة وانا في في هذا
أنا في ذلك في طامع في هذا الكلام لا في طامع في في في العادة ولكن له أنا في
للصحة والامر به في رسالة اليك في صوابه الشا والوال يقول في في
يودون السبل، والسلام عليكم يا سيد الرئيس ورحمة الله وبركاته
محمد عبد اللطيف
محمد

محمد عبد اللطيف

يعترف ويخط يده بمحاولة اغتيال عبد الناصر عام ١٩٥٤

بسم الله الرحمن الرحيم
و به نستعين

اذ ذكر بعض عبارات كماله قد ذكرها هؤلاء في بيع خامه انا وهو هذه العباد
عن « يا ابا عبد الله عجل اليه الامام السابعة بجر في سبيل الله » كما في معظم كتاب
البيع فثبت بهذه النصيحة التي ذكرها الله في اشق من هذه المودعة انفسهم والاول
بانه لهم الهدى وقد ذكر هؤلاء دوير في مشاهدته ان كنت يقسم فكما ذكر
به ويعلم انه بوجه هذا التمس الي وجهه عيسى عليه السلام



فتحي البوز
المحامى أحد القادة الكبار ١٩٥٤

وثائق الإخوان وبياناتهم السرية أثناء صدام ١٩٥٤م

بيان ونذير

الحمد لله الذى هدانا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله ، والصلاة والسلام على سيدنا
ونبينا محمد رسوله ومصطفاه اللهم إنا نستغفرك وتوب إليك ونشكرك وتتوسل إليك -
ونحمد لك الحمد كله وتتوكل عليك - حمداً ينم عما يجيش فى صدورنا - وما يحتمل
فى قلوبنا ..

وبعد .. فإن الأحداث تطورت داخل الإخوان ووصلت إلى درجة لم يعد يحتملها أى
مخلص لدعوة الإسلام . وإننا إذنا نحمد الله على السراء والضراء لثقت تامة فى عدالته ..
ونؤمن إيماناً عميقاً فى أنه ما من كرب إلا الله مفرجه وما من خطر يحيق بالجماعة إلا
والله كاشفه ورأده إلى نحور الذين عميت قلوبهم ، فأخذوا يقررون مصيرهم المحتوم
بأنفسهم ، ولقد شابت إرادة الله ولا راد لمشيئته أن يظهر نور الحق ويكشف عما يدور
فى جنح الظلام ، مما يدبره حفنة من الخارجين على الدعوة ، الكافرين بمبادئها ..

أيها الإخوان الأحرار .. وصل الاستاذ الهضيبي إلى منصب المرشد العام فى ظروف
ليست خافية على أحد من الإخوان وبمساعدة خصوم الدعوة ليسيروا بالجماعة فى طريق
رسموه له ، أبعد ما يكون من مبادئ الجماعة ، وأظل يتظاهر بالغيرة على الدعوة ، وإيمانه
المتزايد على حقوق الإخوان ، وبدى للإخوان الأحرار مقاصده الحقيقية ، وخطته الملتوية
التي أراد بها أن يغير من نظام الجماعة حتى يضمن الموقف فى يده ، ويظهر ذلك بجللاء
فى اجتماعات يعقدها مع الخوارج لغاية اليوم ، ليحارب المؤمنين الثابتين على ما عاملوا
الله عليه والإمام الشهيد .. أنه يريد إقصاء الأخ المؤمن الحاج صالح العشماوى لأنه كشف
عن إنحرافه عن سبيل الرشاد ، وأظهر لإجتماعاته الخطيرة مع أعداء الله من الإنجليز التي
حضرها واشترك فى تديرها الخوارج (منير الدله ، صالح أبو رقيق) ولقد زاد الأمر خطورة
لا يمكن التغاضي عنها ، إذ اتجه الاستاذ الهضيبي إلى عقد إجتماعات سرية مع أعداء الله
من الأمريكيين فمعقد مع (مستر لنت فى وجود الخوارج ، محمود مخلوف مدير شركة
البييسى كولا اليهودية) وخيل إليه أن نبأ هذه الإجتماعات لن يصل إلى الإخوان .

أيها الأخ المؤمن .. لم يبق وقت قصير فهل صحت من غفوتك وتداركت الفتنة ؟
وهل حزمت أمرك وأعددت المدة لليوم الفصل ؟ يجب عليك أن تعمل بكل ما أوتيت
من قوة لمبايعة الأخ الصالح الحاج صالح عشماوى مرشداً عاماً .. أنك إن فعلت ذلك
فقد أرضيت ربك وأرضيت روح الشهيد الإمام .

بسم الله الرحمن الرحيم منشور سرى للإخوان

نحمد الله سبحانه وتعالى على ما أولانا من نعمه فضلاً عميماً ، وخيراً كثيراً ، وجنبنا تبارك وتعالى مواطن الزلل وهفوات اللسان ، وزادنا إيماناً فوق إيماننا ، وقوى بالإسلام شوكتنا ، وألف بالتقوى والصلاح بين قلوبنا ، ووحد أهدافنا لخير الدعوة الإسلامية .

أما بعد ، فيا أيها المؤمنون .. إن الأيام تمر بنا سريعاً وعجلة الزمان تقف والمخطر يحدث بنا إن لم نتداركه أصابنا فى صميم دعوتنا التى كافحنا بدمائنا فى سبيل نشر لوائها بين العالمين ، ولقد كتب علينا أن نكافح من جديد ضد عدو من بيننا ليس مسوح الرهبان وكشفت الأيام عن حقيقته فإذا به مخادع منافق يستغل دعوتنا الإسلامية ، وأباح لنفسه ما حرمه على نفسه فضيلة الإمام الشهيد ، ألا وهو الاستاذ الهضيبى ، الذى شرع فى بث روح الفرقة بين صفوفنا ، وأرادهما نارا تأخذ الياس والأخضر وأرادها فتنة تفرق صفوف الإخوان الذين ظلوا كالطود الشامخ ، تألبت عليهم جميع القوى لتفت فى عضدهم فلم تستطع ، حاربهم المستعمر وحالفه الملك المخلوع والأحزاب المنحلة مجتمعة فلم تصل إلى بغيتها ، وأراد الله للإخوان إمتحاناً رهيباً اجتازوه بقوة إيمانهم وتمسكهم بالدعوة إلى بناها فضيلة المرشد الشهيد حسن البنا وظل يكافح فى سبيلها حتى سالت دماؤه زكية (ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون) .

أيها الإخوان .. سلك الاستاذ الهضيبى بالإخوان طريقاً أرادته لنفسه واستغله لشخصه ومن حوله ، وأباح مال الدعوة لغرض غرضه ، ولنزوات دنيوية ومصالح ذاتية ، واستن عملا ظنه يوصله إلى ما يريد ، فأبعد المخلصين عن مكانهم فى الدعوة ، وحشر المنافقين الوصوليين ، وغرته الحياة الدنيا وزينتها ، فنسى جلال الدعوة وهيبة المنصب الذى وصل إليه ، وانحرف عن الطريق السوى وأخذ يدعى على الشيخ الجليل عبد الرحمن البنا الكذب والبهتان ويرميه بقاسى القول فى جلساته الخاصة ، وهمس بين أصفياه متقولا على المرشد الشهيد ، وأصبحت الجماعة من تديراته مهددة بالفتنة والفرقة وهو ما لم تقدر عليه جميع القوى فيما مضى .. ولم يكتفى بذلك بل أخذ يعقد الندوات مع أعداء الله من المستعمرين ويمرر معهم معاهدات واتفاقات وما زال يقابل الإنجليز ، وكفر بنعمة الله وبدعوة الجماعة ﴿ مثل الذين كفروا بربهم أعمالهم كرماد اشتدت به الريح فى يوم عاصف لا يقدرُونَ مما كسبوا على شيء ذلك هو الضلال البعيد ﴾ من أجل ذلك كله أقسمنا بالله وبالروحانية التى تنبعث من الدعوة على ألا يهدأ لنا بال حتى تنقشع الغمة وتزول الحنة التى أحاطت بالإخوان على يد الأستاذ

المضيبي وأعوانه وصممنا على أن نعمل جاهدين لعزله ومبايعة الشيخ الجليل عبد الرحمن
البنّا ونحن نعد العدة ولن يقف في سبيلنا شيء ما دمنا مؤمنين وسنبذل الدماء في سبيل الحق
﴿وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل﴾ .

شباب حسن البنا
الله أكبر والله الحمد

منشور سبى التأمين الفردى

تدور هذه الأيام معركة بيننا وبين المخبرات والمباحث وكل همهم جمع أكبر قسط من المعلومات عن نشاطنا والبحث عن القادة توطئة لتجريد حملة واسعة النطاق يقوم بها معات من رجال البوليس الحربى عندما ينطلق صغير البدء والمقاومة هذه المعركة ثلاث طرائق :

الطريقة الأولى : تم إعدادها والحمد لله المستعان .

الطريقة الثانية : سلبية ومبادئها السلبية هى :

١ - دقة الملاحظة : ومعناها إستطاعتك فهم وإكتشاف كل ما يدور حولك عندما تطل من نافذة منزلك أو يدق بابك شخص غريب ويوجه لك أو لمن يفتح له الباب سؤالاً أعزب ، وعندما تسير فى الطريق العام فتجد أشخاصاً يتبعونك أو يتسكعون فى المنعطفات وفى كل مكان فى المدينة أن ملابسهم وحلاقة رؤوسهم ونظرات عيونهم وحركاتهم ولهجتهم تفضحهم دائماً .

٢ - الخداع : ومعناه تضليل العيون والأرصاد عن سكنك وتحركاتك وملابسك وطريقة سيرك وعاداتك وعمما إذا كنت بالمنزل أم خارجه ومن يكون أصدقاؤك وهل أنتم مجتمعون أم لا وهناك وسائل لا تعد ولا تحصى منها :

- أ - إنارة نور المنزل بينما أنت فى الخارج وأطفأؤه بينما أنت مجتمع فيه .
- ب - الخروج بملابس أفرنجية والرجوع بملابس مدنية متنوعة .
- ج - عقد الإجتماعات وقت القبلولة بمحديقة الحيوانات أو الأسماك أو فى أحد القوارب الخ ..
- د - الاستعانة بالزوجات (الأخوات) أو ، الصبيان فى تبادل الرسائل أو نقل العتاد .
- هـ - التحدث تليفونيا مع أهل دارك مستفسرا عن نفسك فيجاب عليك أو على الوسيط (المعتمد من قبلك) بأنك مريض ولا تستطيع النزول من السرير .
- و - استخدام وسائل مواصلات متنوعة عند ذهابك للإجتماع منها الأقدام والدراجات الخ .
- ز - غير مسكنك بشرط نقل أثاث المنزل على مراحل زمنية دون إشعار الرقباء باستعمال العربات التى تدفع باليد كى لا تلفت النظر وليظن أنها مرسله للإصلاح مثلا ، ويتم النقل فى الصباح المبكر أو ليلا وخلاصة الخداع أن تكون طبيعيا ولكن فى دهاء وسعة حيلة ومكر .

٣ - التفكير دائما فيما يجول برأس المباحث وبذلك تستطيع أن تسبقه فى عمل مضاد

وتفوت عليه مقصوده وحيلته .

الطريقة الثالثة : إيجابية : ونود من الجميع الاستعداد لما فورا وعدم التسليم إلا جثة هامة أو النصر المبين إن شاء الله .

لهذا ندعو لإتباع الآتى :

١ - طهر دارك من جميع الأوراق السرية التى تدبلك وإن كان ولا بد من وجودها فابتكر وسيلة سلمية للتخلص منها ومن آثارها عند حدوث كبسة .

٢ - خصص فردا خارج الدار خاصة أثناء الاجتماعات الهامة لينذرك بالكبسة فى وقت مبكر .

٣ - ضع نصب عينيك أن القائمين بالكبسة جناء خائروا العزيمه لأنهم يحاربون دعوة الحق . لهذا كان واجبا جميعا مقاتلتهم بغلطة وإيقاع أكبر ما يمكن من الخسائر فيهم وتضعف من روحهم المعنوية .

أما ماذا تفعل إذا أيقنت أنهم أتوا بالقبض عليك فاتبع الآتى :

١ - أغلق باب الشقة بإحكام وثرهاس غليظ معدا من قبل وبالمفتاح وأشدد عليه بأثاث المنزل .

الخطوة

١ - فى حالة حل الجماعة أو تحديد إقامة أحد ضباط الأعصاب والاستعداد .

٢ - فى حالة الاشتباك بالإخوان وكثرة الاعتقالات تبدأ عملية التجريد من الداوريات وأماكن الحرس .

٣ - يتبعها عملية تصفية موقف الأفراد المعادين .

٤ - تعطيل وسائل المواصلات المذكورة فى الدراسة .

٥ - فى جميع الحالات السابقة تستمر عملية إصدار النشرات التى يصدرها الإقليم أو تصل إليه من القاهرة .

٦ - تستمر عمليات المقاومة حتى يكتب الله لنا النصر إن شاء الله .

٧ - عدم التبذير فى الرجال والمحافظة عليهم بقدر الإمكان وتجنب الأعمال المكشوفة .

ملحوظة : يبدأ فى هذه العمليات بعد العملية الرئيسية مباشرة .

بسم الله الرحمن الرحيم

إن مهمة (الإخوان فى المعركة) أياها القارئ الكريم أن نعرض عليك الحقائق سافرة - دون غش أو غرض - لا رقيب عليها سوى الحق تبارك وتعالى - نرجو رضاه - وبالحق تصدع لا تخشى فيه لومة لائم .

العدد ١١ - ذو القعدة ١٣٧٣هـ

السنة الأولى - يوليه ١٩٥٤م

الإخوان فى المعركة لسان الدعوة الإسلامية أقرأ فى هذا العدد

- امتداد معاهدة سنة ١٩٣٦م .
- الاستعمار الأمريكى فى مصر .
- اتفاق سرى مع إسرائيل .
- أعضاء على الموقف السياسى - الأخبار
- الضغط على حكومة الثورة .

«صورة زنكوغرافية للعدد (١١) من منشور الإخوان فى المعركة» .

امتداد معاهدة سنة ١٩٣٦م

معلوم أن المعاهدة التى وقعها النحاس فى سنة ١٩٣٦م مع الإنجليز ينتهى أجلها فى سنة ١٩٥٦م ، وبذلك ينتهى الاستعمار البريطانى فى مصر وتحرر البلاد من جميع القيود الإستعمارية ، وقد ظل الإنجليز فترة طويلة يرفضون الدخول فى مفاوضات مع الحكومة المصرية (حكومة الثورة) مما دعا هذه الحكومة إلى الإلحاح فى فتح باب المفاوضات والتراعى على إقدام بعض الدول للتوسط بينها وبين الإنجليز ، فقد طلبت حكومة الثورة من حكومة الهند ثم من حكومة لبنان ثم من أمريكا التدخل لدى الإنجليز للدخول فى المفاوضات ، وأحس الإنجليز بأن معاهدة سنة ١٩٣٦م أوشكت على الإنتهاء ولم يبق من أجلها سوى سنتان ، وأحسوا كذلك بالفراغ الذى يعقب هذا الأجل ، فقبلوا الدخول فى المفاوضات نزولاً على وساطة الوسطاء فى الظاهر ورغبة فى ملء الفراغ الذى يعقب إنتهاء الأجل - فى الحقيقة - وقد تبين من أمر المعاهدة الأمور الآتية :

- (١) أن يتم الجلاء فى مدة سنتين ومعنى ذلك الجلاء الذى تفرضه معاهدة سنة ١٩٣٦ م .
 - (٢) قبول عودة الجيوش الإنجليزية والأمريكية إلى قاعدة القناة فى أى وقت تشاء إذا هوجمت تركيا .
 - (٣) أن تظل قناة السويس تحت إدارة البريطانيين من عسكريين ومدنيين (خبراء بملابس مدنية) ، ويبلغ عددهم ٤٠٠٠ أربعة آلاف ، وذلك لمدة عشر سنوات .
- وهذا فى حقيقته إمتداد لمعاهدة سنة ١٩٣٦ م ، وتجديد لها لمدة عشر سنوات أخرى ، فماذا كسبت مصر من ذلك ؟

اتفاق سرى مع إسرائيل

يشيع فى بعض الأوساط المطلعة على بواطن الأمور أن رئيس الحكومة المصرية عقد اتفاقاً سرياً مع إسرائيل على الأسس الآتية :

- (١) أن تقف إسرائيل موقف الحياد من النزاع المصرى البريطانى حول منطقة القناة .
- (٢) أن تقف الحكومة المصرية موقف الحياد من أى نزاع يقع بين إسرائيل وبين باقى البلاد العربية .
- (٣) أن تقوم كل من الحكومة المصرية وإسرائيل بالحراسة الدقيقة للحدود المشتركة فى قطاع غزة حتى لا يقع إعتداء من العرب على اليهود أو العكس .
- (٤) إن ينسحب الجيش المصرى من منطقة غزة ومن شبه جزيرة سيناء وتبقى فيه قوة رمزية .

وإذا صحت هذه الأخبار فإنها تكون كارثة من أعجب ما رأت الدنيا من الكوارث واليك الشواهد الآتية :

- (١) صرح الصاغ صلاح سالم فى إجتماع له بضباط الجيش تصريحاً حاسماً مضمونه أننا سوف لا ندخل فى حرب مع اليهود ، وإننا سوف لا نشتبك معهم بأى حال من الأحوال ما دامت القوات البريطانية موجودة فى منطقة القناة .
- (٢) صرح أحد أعضاء مجلس قيادة الثورة أمام كثيرين بأن قوة إسرائيل متفوقة بمراحل كثيرة عن قوة الجيش المصرى والجيوش العربية عامة وخصوصاً فى سلاح الطيران والبحرية .

(٣) تطبيقاً لهذا الإتفاق انسحبت فرق الجيش المصرى من منطقة غزة وسيناء ولم تبقى إلا قوة بسيطة لا تستطيع مجرد الوقوف أمام أى هجوم إسرائيلى يقع على الحدود .

(٤) الموقف السلبى الذى تقفه فعلا الحكومة المصرية (الثورة) من العدوان الإسرائيلى على حدود الأردن ومدينة القدس وغيرها من البلاد العربية .

أخبار

* طلبت الحكومة البريطانية نسخة من قانون المجلس الوطنى الاستشارى على أثر البدء فى التفاهم بينها وبين الحكومة المصرية وذلك للنظر فيما إذا كان يصلح للتصديق على المعاهدة الجديدة أم لا ؟

* اشترطت الحكومة البريطانية أن تكون المحادثات مع الدكتور محمود فوزى وحده . على أثر طلب الحكومة البريطانية لقانون المجلس الوطنى أجلت الحكومة المصرية تشكيل هذا المجلس .

* اشيع فى بعض الأوساط أن البكباشى أنور السادات رقى إلى رتبة القائم مقام وأحيل إلى المعاش ليعين رئيساً للمجلس الوطنى الاستشارى (المتتظر) .

* فصل من الخدمة وأحيل إلى المعاش - فى خلال شهر واحد - مائة ضابط من مختلف الأسلحة - وأغلبهم من سلاح الفرسان - وقد بلغ عدد المفصولين من الجيش إلى الآن حوالى الألف ضابط .

أضواء على الموقف السياسى

* صرح البكباشى جمال عبد الناصر لمندوب جريدة الدبلى ميل (الإنجليزية) أن بريطانيا ستترجم الحركة التجارية فى مصر إذا سويت مسألة القناة وأنه بموجب الإتفاق العاجل مع بريطانيا ، وأكد جمال عبد الناصر أنه لا يستطيع إقناع الشعب المصرى بفكرة الجلاء فى الوقت الذى يقى فيه فى القناة أربعة آلاف بحير يزهم العسكرى .

* نشرت جريدة دبلى إكسبريس البريطانية خبراً لمراسلها فى القاهرة بأن مصر تطالب بجلاء القوات البريطانية ، أما بريطانيا فتطالب بسرعة عودة جيوشها إلى منطقة القناة فى حالة نشوب حرب ، ونقل المراسل حديثاً عن مسئول فى السفارة البريطانية قال فيه أن مسألة الزى العسكرى للفنيين قد تم الإتفاق عليها وأما مسألة السماح للقوات البريطانية

بالرجوع إلى القناة في حالة الإعتداء على تركيا فقد حصلت بريطانيا على موافقة الحكومة المصرية في شأنها نظير أن تتخلى بريطانيا عن تمسكها بوجوب إرتداء الزي العسكري للفتين ، وذكر المراسل أن جمال عبد الناصر هو الذى إقترح هذا الحل وأبلغه إلى السفير الأمريكى لعرضه على السفير البريطانى .

الإستعمار الأمريكى فى مصر

أعدت وزارة المستعمرات الأمريكية (النقطة الرابعة) سلسلة مشروعات تستوعب نشاط الوزارات المصرية تقريبا ، حتى أصبح لها ما يزيد على ثلاثين مشروعاً داخل البلاد المصرية فى سائر الوزارات ، وفى هذه الوزارات ، أموال أمريكية وخبراء أمريكيان وموظفون تابعون لإدارة النقطة الرابعة ، وقد أعطت الحكومة المصرية (حكومة الثورة) لأمريكا إمتياز البحث عن البترول فى الصحراء الغربية فى مساحة تزيد عن جميع الأراضى المزروعة والمعمورة فى القطر المصرى ، وتفيد بعض الأنباء أن أمريكا ستقيم فى هذه المناطق عدة مطارات وستنشئ عدة مستعمرات أمريكية ؟ ومع ان الاستعمار الأمريكى ما زال فى بداية عهده فى مصر فقد حصل على كل هذه الإمتيازات فى عام واحد فى عهد حكومة الثورة السعيد ؟

«صورة زئكوغرافية لصفحات العدد (١١) من منشور الإخوان فى المعركة» .



الشهيد سيد قطب
إعدام مفكر = إعدام أمم

بسم الله الرحمن الرحيم
ان مهمة (الاخوان في الممرضة)
ايها القارئ الكريم ان تعرض
عليك الحقائق سافرة - دون غش
او غش - لا رقيب عليها سوى الحق
تيبارك وتعالى - نرجو رضاها -
والحق نعد ان لا تخيب فيه لومة لائم

الاخوان في المعركة

أقر في هذا العدد

- اقتداد معاهدة سنة ١٩٣٦
- الاستعمار الأمريكي في مصر
- اتفاق سري مع اسرائيل
- اضواء على الموقف السياسي
- الضبط على حكومة الثورة

■ الاخيهيار

١١ صورة زنكوغرافية للعدز (١١) من منشور الاخوان في المرسية .

الفصل الخامس
عبد الناصر والإنتصار الأول
حرب السويس
١٩٥٦



عبد الناصر والإنتصار الأول (حرب السويس ١٩٥٦م)

كانت حرب السويس ١٩٥٦م ، نقطة فاصلة في الصراع الدولي حول الشرق الأوسط ، وكانت إلهاماً بسقوط الإمبراطوريات الإستعمارية القديمة (بريطانيا وفرنسا) وصعود الإمبراطوريات الجديدة (الإتحاد السوفيتي والولايات المتحدة) ، ولأول مرة أمت القطبية الثنائية الجديدة المتحكمة في العالم آخذ ، من خارج أوروبا التقليدية ، وأتمت معها سياسات ومصالح وحروب جديدة كان لمصر - عبد الناصر - نصيب وافر منها .

* ولأهمية وخطورة هذه (الحرب الفاصلة) ، والتي كان لإدارة عبد الناصر السياسية البارة (على حد وصف محمد حسنين هيكل في كتابه الهام ملفات السويس) أو تلك المثير للإعجاب (على حد وصف الصحفي الأمريكي الشهير ساي سالزبيرجر في كتابه «آخر المعالقة») ، لأهمية هذه الحرب ، فإننا سوف نعقد لها هذا الفصل الموجز محللين إياها من خلال المحاور التالية :

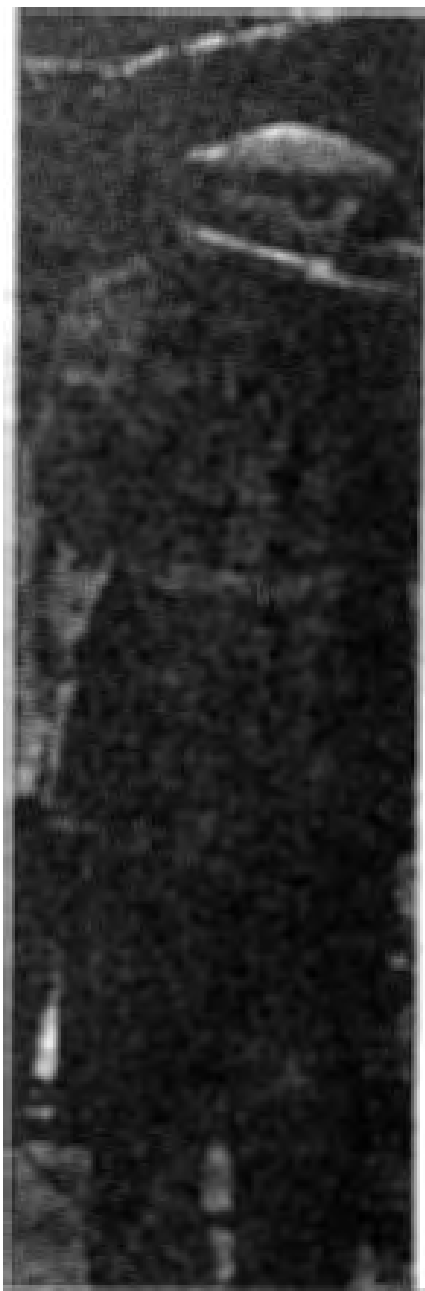
- أولاً : بيئة الحرب : المناخ العربي والدولي عشية حرب السويس .
- ثانياً : واقعة الحرب : التفاصيل العامة .
- ثالثاً : تقديم المفكرين المصريين لحرب السويس .
- رابعاً : نتائج الحرب .

* ويتفصيل ما سبق يستبين الآتي :

أولاً : بيئة الحرب : المناخ العربي والدولي عشية حرب السويس :

كان العالم مع بدايات العام ١٩٥٦م ، قد بدأ في التحول التدريجي تجاه ذاته وتجاه قضاياها الأساسية ، ومع إقتراب هذا العام من نهايته ، كان العالم قد تبدلت بعض ملامحه ، وكان لواقعة السويس الفضل الأول في إحداث هذا التبدل ، فلقد جاءت الحرب في وقت لم يعد فيه مجال للشك في أن شكل النظام الدولي الجديد مكون من قطبي يستأثران بقمة النظام .

وكانت الولايات المتحدة قد بدأت في ممارسة دور نشط في المنطقة العربية مستندة إلى النفوذ المتراكم للدول الإستعمارية الأوروبية ودعت إلى مشاريع الدفاع عن الشرق



الرئيس الشهيد دمعت عيناه وقد قبل علم مصر ورفعته على السارية التي تعلو مبنى شركة قناة السويس السابقة .. بعد أن أنزل علم الشركة .

الأوسط والحلف المركزى .

وقد بلغ التوتر الدولى أشده، نتيجة اتساع مجالات العمل السياسى الخارجى للدولتين العظميين وقيام الولايات المتحدة بإنشاء سلسلة من الأحلاف العسكرية التى تحيط بالاتحاد السوفيتى .

وحاول الإتحاد السوفيتى باستمرار النفاذ من هذا الطوق بتشجيع حركات التحرر وإثارة المشاكل فى وجه الاستراتيجية الأمريكية عن طريق مساندة دول العالم الثالث المستقلة حديثاً والتى اتبعت سياسة الحياد وخصوصاً بعد موت ستالين ١٩٥٣م والتى إنعكس آثارها على المنطقة العربية بعقد صفقة الأسلحة التشيكية مع مصر فى ١٩٥٥م .

ويمكن تلخيص الأوضاع الإقليمية فى المنطقة فى الآتى وفقاً لما ذكره اللواء الدكتور/ محمود خليل فى رسالته للدكتوراه عن (الأمن القومى العربى والمصرى) :

أ - لم يكن عدد الأقطار المستقلة يتعدى ثمانية أقطار وهى مصر وسوريا والعراق والسعودية والأردن واليمن ولبنان وليبيا ويلاحظ أن كل الأقطار كانت تعتمد تماماً على القوى الغربية فى التسليح ما عدا مصر التى لجأت للكتلة الشرقية كما يلاحظ تفوق إسرائيل منذ قيامها فى القوة العسكرية على قوة تلك الأقطار كلها^(١) .

ب - تركز الصراع داخل النظام فى تلك الفترة بين مصر والعراق حول مسألة التحالف مع الغرب وبالذات حلف بغداد حيث قررت الجامعة العربية فى ديسمبر ١٩٥٤م على أن الدفاع عن البلاد العربية لا يتم إلا بتوثيق الروابط العسكرية فيما بينها لكن العراق أعلن توقيع ميثاق للتحالف مع تركيا فى فبراير ١٩٥٥م .

وقد أبدت مصر كلا من السعودية وسوريا واليمن ووقعوا معا ميثاق تضمن رفض الدخول فى أى أحلاف ، والتعاون فيما بينها فى المجالات العسكرية والإقتصادية .

وهكذا استمرت العلاقات بين السعودية ومصر خلال هذه الفترة وثيقة وشهدت إتفاقات عسكرية بينهما وانضمت إليها اليمن .

وأما سوريا فقد لعبت دوراً كبيراً ضد محاولات مصر فى الجامعة العربية لإدانة وعزل العراق فى فبراير ١٩٥٥م لكنها كانت منقسمة على نفسها إزاء حلف بغداد

(١) صلاح العقاد . قضية فلسطين . المرحلة الحرجة ٤٥ - ١٩٥٦ . معهد البحوث والدراسات العربية . القاهرة . ١٩٦٧ . ص ٧٢ وما بعدها .

وتشكلت جبهة جديدة من العناصر الوطنية المعادية للغرب ووصلت للحكم وفور توليها الحكم أعلنت تأييدها لمصر ووقعت معها معاهدة دفاع مشترك .

وأما الأردن فقد كان يخضع لضغوط شديدة من قبل العراق وبريطانيا للانضمام لحلف بغداد وأُرسلت بعثة تمبلر لجذب الأردن في ديسمبر ١٩٥٥م لكنها أدت إلى أزمة داخلية شديدة حيث إستقال الوزراء الفلسطينيون من الحكومة ونشبت المظاهرات وتم طرد غلوب باشا في مارس ١٩٥٦م ثم وصلت حكومة وطنية للحكم في إنتخابات ١٩٥٦م في أكتوبر ووقعت معاهدة دفاع مشترك مع مصر ووافق الأردن على وضع قواتها المسلحة تحت قيادة مصر .

ج - كانت العلاقة بين الأقطار العربية والكيان الصهيوني علاقة حرب وصراع منذ مايو ١٩٤٨م والتي قامت على أساسها إجراءات المقاطعة العربية لإسرائيل في جميع الميادين والتزمت الأقطار العربية بقرار مجلس الجامعة العربية في إبريل ١٩٤٩م برفض الدخول في أى مفاوضات مباشرة مع إسرائيل .

وأما عن الجانب العسكري فإنه في فبراير ١٩٥٦م إستسمت الجبهتان الشرقية والشمالية بالهدوء فيما عدا الإعتداءات الإسرائيلية على قرى الضفة الغربية وبحيرة الحولة وأما الجبهة المصرية فقد سادها الهدوء بصفة عامة إلى أن قامت إسرائيل بغارتها الوحشية على قطاع غزة في ٢٨ فبراير ١٩٥٥م والتي ترتب عليها آثار خطيرة حيث أنه حتى ذلك التاريخ كانت القضايا الداخلية هي الغالبة على إهتمامات الحكم بحيث لم تكن القيادة المصرية قادرة على أن تدخل إسرائيل كعنصر أساسى من عناصر طموحاتها السياسية .

كما تؤكد الدلائل أن الإنجاء الرسمى بالنسبة للتسليح لم يتسم بالحماسة الشديدة أو يقتربن باعتبارات الأمن الخارجى لأن الخطر الإسرائيلى لم يكن ماثلا مثل أخطار الوجود العسكرى البريطانى والإنقسامات الداخلية . فى أنه يمكن القول بأنه لو لم تحدث غارة غزة لاستمر النظام لوقت أطول لا يعطى الخطر الإسرائيلى وزنه لاستمر يقلل من أهمية التسليح لأغراض الأمن الخارجى .

ولكن تلك الفاره كانت هى الدافع الذى جعل التسليح يأتى فى مقدمة أولويات القيادة المصرية .

د - رفض الولايات المتحدة تمويل السد العالى وسحب العرض بطريقة تشكلت فى سلامة

الاقتصاد المصرى وترجع الأسباب الحقيقية إلى صفة الأسلحة التشيكية وإقامة علاقات دبلوماسية مع الصين وقيام مصر بدور قيادى فى الوطن العربى وأحد مظاهره معارضة حلف بغداد كما كانت القضية بالنسبة لبريطانيا وفرنسا تتعلق أيضا بسياسة مصر العربية حيث تجد بريطانيا المتاعب منها فى الأردن والعراق وتجد فرنسا منها المتاعب فى الجزائر وشمال أفريقيا .

وهكذا تعود أسباب العدوان الثلاثى إلى سياسة مصر العربية أكثر منها ما يتعلق بشركة القناة التى أمت .

هذا ويلاحظ أن عبد الناصر كان يرى فى إسرائيل خطرين إبان هذه الأزمة :

- خطر واقع بالفعل وهو ضياع حقوق الشعب الفلسطينى .
- خطر تزايد احتمالات وقوعه وبوقوع غارة غزة أصبح هذا الخطر واقعا بالفعل أى خطر التوسع الإسرائيلى .

مع وجود إرتباط بين إستمرار ضياع حقوق الشعب الفلسطينى وبين إستمرار وجود خطر توسع إسرائيل بحيث أن مقاومة أى من الخطرين يعتبر فى الوقت نفسه مقاومة ودفعاً للخطر الآخر .

ويلاحظ أن غارة غزة هى محط رؤية عبد الناصر والقادة العرب لإسرائيل على أنها تشكل الخطر الرئيسى على الأمن المصرى والعربى .

ويظهر ذلك من مقارنة رؤية عبد الناصر لإسرائيل قبل وبعد غارة غزة فقبل غارة غزة فى يناير ١٩٥٥م أعلن «مهما يكن من أمر فإننا لا نريد أن نكون البادئين فى الصراع فليس للصراع والحرب مكان فى سياستنا الإنشائية التى رسمت لتحسين أحوال شعبنا .. أن أماننا الكثير لنعمله فى مصر وأمام بقية الدول العربية الكثير من المهام كذلك وستضيع الحرب علينا كثيراً مما نسعى إلى تحقيقه .

أما بعد غارة غزة فى ٣ مارس ١٩٥٥م إذا كانت إسرائيل تعتقد أنها هزمت الجيش المصرى عام ١٩٤٨م فهى تهددنا الآن واليوم أقول لها نحن لها وأن الجيش المصرى تحت قيادة عبد الحكيم عامر يختلف عن الجيش قبل ذلك وأن الأساليب التى ساعدت على هزيمتنا فى الماضى قد إختفت ولن تعود أبداً وأننا سندافع عن الشرف وعن الوطن وسندع العدوان بالعدوان وأن جميع إمكانات مصر ستعبأ فى هذا السبيل^(١) .

(١) راجع بصفة أساسية مجموعة خطب وتصريحات وبيانات الرئيس جمال عبد الناصر . القسم الأول

٢٣ يوليو ٥٢ ، يناير ١٩٥٨ ص ٦٨١ - ٦٩١ ، ص ٢٧٩ - ٢٨٠ ، ص ٢٧٧ .

رئيس الجمهورية العربية المتحدة

جمال عبد الناصر

عن الإمام أحمد ملك المملكة المتوكلية اليمنية

سمو ولي عهد المملكة المتوكلية اليمنية

سيف الإسلام محمد



خارجا من مركز قاية تحت الأرض في غزة عام ١٩٥٦

والطريف أن عبد الحكيم عامر لم يفعل شيئاً تجاه إسرائيل طيلة حياته العسكرية وكانت نهايته بعد هزيمة ١٩٦٧ وقيل أنه قتل من عناصر دفعها صديقة عبد الناصر إلى ذلك .

ثانياً : واقعة الحرب : التفاصيل العامة :

كثيرة هي المعلومات الخاصة بحرب السويس ، ولكننا سوف نورد هنا أكثر تحديدًا وأهمية ، وإيجازاً ، وذلك من وقائع الوثائق الدولية المتاحة ، وبخاصة تلك التي أوردها محمد حسنين هيكل في كتابه (ملفات السويس) .

فماذا تقول وقائع تلك الحرب ، من خلال ما أتيح لنا من وثائق ؟

لقد كانت مرحلة تنفيذ قرار تأميم قناة السويس بعد سحب تمويل السد العالي وما يتبعها من أحداث مجالاً خصباً للدبلوماسية ، ففي الوقت الذي كان يحرص فيه عبد الناصر على تأكيد أن قرار التأميم قرار نهائي غير قابل للمناقشة أو المساومة ، كانت الولايات المتحدة وبريطانيا تشنان حملة سياسية عالمية هدفها فرض إدارة دولية على القناة وذلك من خلال مؤتمر دولي في لندن لمناقشة شكل تلك الإدارة .

وقد انعقد مؤتمر لندن يوم الخميس ١٦ أغسطس وقد توصل مؤتمر لندن إلى إرسال بعثة إلى مصر برئاسة متريس رئيس وزراء إسترايا وذلك بهدف التفاوض مع مصر حول إدارة دولية للقناة . وقد جاءت اللجنة إلى مصر وفشلت مهمتها بعد أن رفض عبد الناصر الإدارة الدولية للقناة .

ولم يقتصر الأمر عند فشل مهمة لجنة متريس ، ففي ٢٣ سبتمبر ١٩٥٦ م ، قدمت كل من بريطانيا وفرنسا شكوى ضد مصر إلى مجلس الأمن بسبب تأميمها لقناة السويس . ولهذا قرر عبد الناصر أن يتولى الدكتور فوزى بنفسه تمثيل مصر في مجلس الأمن ، وكان عبد الناصر قد طلب من الدكتور فوزى قبل سفره إلى نيويورك أن يتحرك سياسياً بالطريقة التي يراها مناسبة على شرط واحد هو ألا تكون هناك إدارة دولية لقناة السويس ، وأنه إذا أصر الغرب على هيئة المتتبعين بقناة السويس فلتكن هذه الهيئة إستشارية تبدى آراءها لهيئة قناة السويس المصرية بطريقة لا تقيّد ولا تلزم .

وكان الدكتور فوزى قد وصل إلى نيويورك يوم ٣ أكتوبر ١٩٥٦ واتفق موعد وصوله بوصول أغلبية وزراء خارجية الدول الأعضاء في مجلس الأمن . وقام الدكتور فوزى بسلسلة من الإتصالات قبل إنعقاد المجلس إتضحت بها صورة الموقف والطريق الذي ستسلكه الأزمة في المجلس .

وفى نهاية إجتماعات مجلس الأمن تم التوصل إلى قرار المجلس والذي صدر فى ١٤ أكتوبر والذي تضمن ستة مبادئ هى :

- ١ - أن تكون الملاحة حرة ومفتوحة دون تمييز .
- ٢ - أن تحترم سيادة مصر .
- ٣ - أن تكون إدارة القناة منفصلة عن سياسات أى دولة كانت .
- ٤ - أن تحدد رسوم القناة باتفاق بين مصر والمتنفعين بالقناة .
- ٥ - أن تخصص نسبة عادلة من العائدات لتحسين القناة .
- ٦ - يسوى الأمر بالتحكيم فى حالات النزاع .

ولم تتوقف الأحداث عند صدور قرار مجلس الأمن ، وكان يتم الإعداد للعمل العسكرى بشكل سرى ، ولم تكن المناقشات فى مجلس الأمن إلا إستهلاكاً للوقت حتى تحين اللحظة المناسبة بالعمل العسكرى والذي نظر إليه على أنه الحل المناسب لموقف مصر وإصرارها على حماية قرار التأميم وبالفعل فقد بدأت المؤامرة العسكرية تتضح بالهجوم الإسرائيلى على مصر يوم ٢٩ أكتوبر ، وهنا بدأت مرحلة جديدة من العمل العسكرى والدبلوماسى لمعالجة الموقف الذى نتج عن العدوان .

وفى الواقع أن الدبلوماسية المصرية قد استطاعت الحصول على معلومات تفيد بأن هجوما عسكرياً سوف يقع على مصر ، فكان الملحق العسكرى بالسفارة المصرية بباريس قد حصل على خطة العدوان وأرسلها مع الملحق الصحفى بالسفارة « عبد الرحمن صادق » ، الذى قابل عبد الناصر وأبلغه بالخطة ولم يصدق عبد الناصر ، كما أنه كانت قد تجمعت معلومات أيضا لدى السفارة المصرية من العواصم الغربية وواشنطن وموسكو ، وكذلك حصلت المخابرات المصرية على معلومات عن التحركات العسكرية لبريطانيا وفرنسا .

وبالفعل بدأ الهجوم الإسرائيلى على سيناء يوم ٢٩ أكتوبر ١٩٥٦م ، وفى ٣٠ أكتوبر دعى السفير المصرى فى لندن والسفير المصرى فى باريس إلى وزارة الخارجية فى كل من العاصمتين كى يتسلم كل منهما إنذارا بريطانيا وفرنسيا يطلب إلى كل من مصر وإسرائيل الإنسحاب بعيداً عن قناة السويس لمسافة عشرة أميال لأن وجود الجيوش التجارية بعيداً عن الممر المائى الحيوى مسألة ضرورية للأمة ولصالح العالم .

وقام عبد الناصر بعد تسلم مصر الإنذارين البريطانى والفرنسى بعقد إجتماع طارىء لمجلس الوزراء ، وعرض عبد الناصر موضوع الإنذارين وقد تم رفض الإنذارين بينا قبلتهما إسرائيل ، هنا بدأت مؤامرة العدوان الثلاثى على مصر تتضح من جانب بريطانيا وفرنسا وإسرائيل .

لذلك عملت الدبلوماسية المصرية على مواجهة العدوان بالعمل الدبلوماسي إلى جانب العمل العسكري ، وليس هنا مجال شرح أبعاد الكفاح المصرى المسلح ضد العدوان ، ولكن نحاول التركيز على دور الدبلوماسية المصرية من مواجهة العدوان على الساحة السياسية خاصة في مجلس الأمن والجمعية العامة للأمم المتحدة .

ففى ٢٩ أكتوبر، تقدمت الولايات المتحدة بطلب إنعقاد مجلس الأمن بصفة عاجلة لبحث توغل القوات المسلحة الإسرائيلية في الأراضي المصرية وخرقها لاتفاقية الهدنة المعقودة بين مصر وإسرائيل عام ١٩٤٩م . وهنا قام رئيس وفد مصر في الأمم المتحدة السفير « عمر لطفى » وكذلك السفير المصرى في واشنطن بشرح أبعاد الموقف ، ودعا عمر لطفى إلى طرد إسرائيل من الأمم المتحدة بسبب السياسة الوسعية لها تطبيقاً لأحكام المادتين السادسة والسابعة من الميثاق . وذلك في الإجتماع غير العادى لمجلس الأمن يوم ٣٠ أكتوبر ، أما في جلسة ٣٠ أكتوبر (المسائية) فكان الإقتراح على مشروع القرار الذى قدمته الولايات المتحدة والذى ينص في جوهره على ضرورة انسحاب إسرائيل فوراً إلى ما وراء خط الهدنة والإمتناع عن تقديم أية مساعدة عسكرية أو إقتصادية أو مالية إلى إسرائيل ، ألا أن بريطانيا وفرنسا استخدمتا حق الفيتو ضد مشروع هذا القرار .

ولذلك رأى هرشولد « سكرتير عام الأمم المتحدة في ذلك الوقت » أن الحل هو ضرورة عرض المشكلة على الجمعية العامة للأمم المتحدة . وقد قام المندوب المصرى السفير عمر لطفى بإتصالات مكثفة مع أطراف عديدة في سبيل إصدار قرار من مجلس الأمن بعرض القضية على الجمعية العامة في دورة طارئة . وبالفعل تم التوصل إلى قرار من مجلس الأمن لعرض القضية على الجمعية العامة وذلك يوم ٣١ أكتوبر .

وعندما إنتقلت القضية إلى الجمعية العامة للأمم المتحدة ، فإن الدبلوماسية المصرية قد قامت بلور كبير ممثلة في وزير الخارجية المصرى الدكتور فوزى والسفير عمر لطفى من أجل تشكيل قوة الطوارئ الدولية ، بالفعل صدر قرار من الجمعية العامة في ٧ نوفمبر بالموافقة على إنشاء قوات الطوارئ وبدأ وصول تلك القوات إلى مصر يوم ١٥ نوفمبر .

وفي مرحلة ثانية من العمل السياسى من أجل العمل على انسحاب قوات العدوان ، لعبت دبلوماسية الدكتور فوزى دوراً خطيراً في الضغط على المعتدين من جانب كافة القوى والسكرتير العام في نفس الوقت ، ونجح في أن يتمكن من أن يظهر القوى العالمية المختلفة وكان بينها تنسيقاً واتفاقاً في مواجهة العدوان وبأنه يوجه تلك القوى في طريق واحد برغم ما بينها من تباين واختلاف وقد ساعد الدكتور فوزى على ذلك عناصر النجاح التى كان يتمتع بها ، وهى مكانته العالمية في المنظمة الدولية والثقة في كلمته وحكمته ، ووصلته الوثيقة

بالوفود ، ثم العلاقة الخاصة التي كانت تربطه بصديقه داج هرشولد . وبالفعل فقد تم إنسحاب آخر جندي من القوات البريطانية الفرنسية من على أرض مصر في ٢٢ ديسمبر ١٩٥٦ م ، وفي مرحلة ثانية تم الإنسحاب الإسرائيلي في ٨ مارس ١٩٥٧ م . وبذلك نجحت الدبلوماسية المصرية في إدارة الأزمة ونجح قرار التأمين^(١) .

ولمزيد من التفاصيل نورد ما يلي :

تفاصيل ووثائق :

تقول رواية محمد حسين هيكل : أن الهجوم الإسرائيلي على سيناء بدأ في الساعة الخامسة بعد ظهر يوم ٢٩/١٠/١٩٥٦م بتقدم اللواء السابع المدرع في اتجاه موقع « الكونتيل » . وبعد خمس دقائق من بدءته تلقى جمال عبد الناصر أول نبأ عنه وقد حملته وكالة الأنباء الأمريكية « يوناتدهرس » كان في بيته وكان يشارك في إحتفال عيد ميلاد ابنه « عبد الحميد » . وقرأ « جمال عبد الناصر » التقرير ثم غادر الإثنان الغرفة التي كان يجري فيها حفل عيد الميلاد ، وتوجها إلى غرفة مكتب الرئيس في بيته ، ومنها إتصل « عبد الحكيم عامر » تليفونيا برئاسة أركان حرب الجيش المصري في كوبر القبة يستفسر عن أية معلومات لديها ، لقد وزعت القيادة الإسرائيلية أنباء الهجوم على وكالات الأنباء في نفس اللحظة التي دارت فيها محركات الدبابات . وبدأت التفاصيل تردد دقيقة بعد دقيقة .

« كان التحرك العسكري الإسرائيلي مفاجئاً لجمال عبد الناصر ولم ير سبباً واضحاً يبرره في هذا التوقيت بالذات . فقد كان الموقف على خطوط الهدنة المصرية هادئاً طوال الأسابيع الأخيرة . فمنذ بدأت أزمة القناة ولاح خطر التدخل العسكري البريطاني الفرنسي في منطقتها - تقرر سحب مجموعة الجيش الرئيسية من سيناء وترك ست كتائب فيها فقط ، وكانت الفكرة من السحب أن لا تعزل قوات سيناء عن الدلتا إذا ما قام الإنجليز والفرنسيون بهجوم يستهدف قناة السويس . وجرى توزيع الكتائب الست التي بقيت في سيناء على طول خطوط الهدنة مع إسرائيل بوضع كتيبتين في منطقة أم قطف وكتيبتين في منطقة الشيخ زويد

(١) عمر عز الرجال - دور وزارة الخارجية في صنع القرار : تأميم شركات قناة السويس - مجلة اليقظة العربية - العدد ٣ ، السنة ٥ - مارس ١٩٨٩ - ص ٩٤ .

وكيبتين في منطقة العريش تعززان قوات الحرس الوطنى الموجودة في قطاع غزة كانت المواقع المصرية شبه خالية إلى درجة دفعت الجنرال « بيرنز » كبير مراقبى الهدنة إلى أن يكتب تقريراً « داج هرشولد » السكرتير العام للأمم المتحدة يقول له فيه « أن تقلص حجم القوات على الخطوط المصرية يمثل إغراء شديداً لإسرائيل » .

ولكن جمال عبد الناصر إستبعد أن تقرب إسرائيل من هذا الإغراء في هذه المرحلة . كان تقديره وقت إشتداد خطر التدخل البريطانى الفرنسى - إن إسرائيل سوف تتردد حفاظاً على صورتها العامة في آسيا وأفريقيا وأمام رأى العام العالمى عموماً - في القيام بدور التابع لأثنين من الدول الإستعمارية الكبرى .

وفي نفس الوقت كان تقديره وبعد تراجع خطر التدخل البريطانى الفرنسى عقب إنتهاء مناقشات مجلس الأمن - إن إسرائيل لن تسارع بالعمل المسلح وإلا فإنها سوف تظهر نفسها في صورة من يعيد تأزيم الموقف في الشرق الأوسط بعد أن بدت إحتالات إنفراجه وأن ذلك سوف يعرضها للوم شديد ويضعها في موقف سيامى صعب قد تفضل تجنبه » . وهكذا بدأ الهجوم الإسرائيلى على مصر في ذلك اليوم عملاً غير مفهوم في أهدافه ومقاصده وفقاً لمفهوم عبد الناصر .

وترك « جمال عبد الناصر » بيته وتوجه إلى مقر القيادة العامة للقوات المسلحة في كوبرى القبة وهو ما زال يتساءل عن أهداف الهجوم الإسرائيلى مستبعداً تماماً إمكانية تواطؤ إسرائيل في عمل مشترك مع بريطانيا وفرنسا ، وهذه هى رواية محمد حسنين هيكل والتي تؤكد أن عبد الناصر كان قصير النظر في مجال رؤيته للخطر الإسرائيلى .

كان إهتمام عبد الناصر قبل ذلك بساعات قليلة متجها إلى الأردن فقد تكررت التحرشات الإسرائيلية له (طبقاً لخطة الخداع الإستراتيجى ولم يكن « جمال عبد الناصر » بالطبع على علم بها في تلك الساعات) ولقد ركز من جانبه على تدعيم دفاعات الأردن وبعث إليه بشحنات من الأسلحة وأسراب من الطائرات هدية من مصر . وتلقى من الملك « حسين » ملك الأردن خطاباً بتاريخ ٢٧ أكتوبر (أى قبل يومين اثنين من بدء الهجوم الإسرائيلى) يشيد بهذه المساعدة قال فيه الملك « حسين » : « أن الأردن صابر وهو يتلقى من مصر العزيمة العون الأخوى ويرى المشاركة القوية المتمثلة في شحنات الأسلحة من مصر

شقيقة (.

وكانت قرارات عبد الناصر منذ وصل إلى رئاسة القوات المصرية موجهة لمقاومة الهجوم الإسرائيلي . وكانت هناك خطة طوارئ معدة لهذا الإحتمال وقد راجعها « جمال عبد الناصر » مع رؤساء أفرع القوات المسلحة في إجتماع عقده معهم بسرعة بينما كانت تحركات التشكيلات تجري بالفعل على رمال الصحراء ، كانت خطة المواجهة المصرية تقوم على ثلاث عناصر :

١ - على الكتائب الست الموزعة على خطوط الهدنة أن تتمسك بمواقعها لمدة ٤٨ ساعة وألا تسمح للقوات الإسرائيلية بأن تندفع في العمق .

وكذلك كان على قوات الحرس الوطني في غزة أن تتجنب الاشتباك في القطاع فإذا فرض عليها أن تشتبك دخلت معركة خنادق بهدف كسب الوقت .

٢ - في ظرف ٢٤ ساعة لابد أن تكون الفرقة المدرعة الرابعة قد عبرت قناة السويس إلى الشرق وتقدمت إلى نقطة تجمع في موقع « بير روض سالم » في قلب سيناء حيث كان التقدير أن تدور المعركة الأساسية في ضرب الهجوم الإسرائيلي .

٣ - يقوم الطيران المصري بغارات شبه إستطلاعية في مدى الـ ٢٤ ساعة المقبلة بحيث يكون مستعداً لمساندة المدرعات في المعركة الأساسية . وأما البحرية فقد كان دورها مقيداً في المراحل الأولى عن تقدير بأن منطقة الشرق البحر الأبيض المتوسط تعج بالأساطيل .

ولم تمض غير ساعات قليلة حتى دعى السفير المصري في لندن والسفير المصري في باريس إلى وزارة ، الخارجية في كل من العاصمتين لكي يتسلم كل منهما إنذاراً بريطانياً - فرنسياً يطلب إلى كل من مصر وإسرائيل الإنسحاب بعيداً عن قناة السويس لمسافة عشرة أميال لأن وجود الجيوش المتحاربة بعيداً عن الممر المائي الحيوى مسألة ضرورية لسلامته ولصالح العالم .

ويقول هيكल :

والآن بدأ شعب التواطؤ مائلاً للعيان ولكن « جمال عبد الناصر » كان غير قادر على التصديق ولعله لم يصدق تماماً إلا عندما إنتهت فترة الإنذار في الساعة السادسة بعد الظهر بتوقيت القاهرة - وبدأت أول غارة للطائرات البريطانية على مطار « المازة » الملاصق لبيته .. (إن هذا القول لهيكل يسمى لعبد الناصر أكثر مما يخدمه) .

وقد شاهد « جمال عبد الناصر » الغارة بنفسه فقد سمع أزيز الطائرات المغميرة بينما هو في مكتبه في البيت مجتمعاً مع السفير الأندونيسي في القاهرة الذي جاء يحمل إليه رسالة من رئيسه « أحمد سوكارنو » .

وهرع « جمال عبد الناصر » إلى مقر القيادة العامة للقوات المسلحة فقد كان تطور الأمور الآن يقتضى إعادة النظر في الخطط المصرية .

كان مكتب « عبد الحكيم عامر » حينما دخل إليه « جمال عبد الناصر » مزدحماً بعدد من الزوار بينهم بعض أعضاء مجلس الثورة القدامى وعدد من الوزراء وعدد من قادة القوات المسلحة . وكان الجو مشحوناً بالقلق والعصبية ونتيجة لهذا إحتدت الآراء وانقسمت إلى رأيين غالبين :

* الرأي الأول - وقد تبناه « عبد الحكيم عامر » - وهو منطق الوطنية الشهيدة التي يتحتم عليها أن تقاتل في مواقعها ومهما كانت الظروف إلى آخر طلفة وإلى آخر رجل .

* والرأي الثاني - وقد تبناه السيد « صلاح سالم » عضو مجلس قيادة الثورة السابق - وكان محكوماً بالمنطق « الواقعي » الذي وجد مصر تواجه ثلاثة أعداء في وقت واحد بينهم اثنان من القوى الكبرى - وهو حجم من القوة لا قبل لمصر بمواجهته - ومن ثم فقد اقترح « صلاح سالم » ب « أسى وحزن أنه لا خيار أمام جمال عبد الناصر » غير الإستسلام وبسرعة قبل أن يتمكن الطيران المعادى من تدمير مرافق مصر الحيوية وتمزيق جيشها وتهديم مدنها .

وتقول رواية هيكل ما يلي :

وفي اللحظة التي دخل فيها « جمال عبد الناصر » القاعة كان « صلاح سالم » يشرح رأيه الواقعي ، ولم يتراجع « صلاح سالم » عما كان يقوله وإنما كرره أمام « جمال عبد الناصر » وأضاف إليه . : « إنك قمت بخدمة عظيمة لهذا البلد وضحيته كثيراً من أجله والآن فقد كتبت عليك المقادير أن تضيف لتضحياتك تضحية أخرى وأن تقبل تسليم نفسك . إن « إيدن » أعلن في خطابه أن الحرب تستهدفك أنت وليس الشعب المصري فإذا عرفوا أنك على استعداد لتسليم نفسك توقفت الحرب على الفور » ، ثم استطرد « صلاح سالم » قائلاً أنه « يعرف أن السر همفري تريفيان « السفير البريطاني في القاهرة لم يغادرها بعد وإذا توجه « جمال عبد الناصر » لمبنى السفارة وسلم نفسه فإن ذلك كفيل بحل الأمور .

ولم يفقد « جمال عبد الناصر » أعصابه لهذا الذى سمعه فقد أدرك أن أبعاد الموقف أهم من أى اعتبار يتعلق بالأشخاص ، ومضى يشرح وجهة نظره فقال « إنه لو كان يعرف أن المعركة هى شخصه لا يتعد بأى وسيلة عن مسرح الحوادث ، ولكن المستهدف هو مصر وشعبها وإذا لم يقف الشعب المصرى فى هذا الموقف ويخوض المعركة دفاعاً عن وطنه ومستقبله فإن مصير الأمة العربية كلها يصبح معرضاً للضياع » .

ثم توجه « جمال عبد الناصر » إلى مكتب رئيس هيئة أركان الحرب تاركاً زحام مكتب القائد العام ، وهناك دعا إلى إجتماع محدود حضره بعض أعضاء مجلس قيادة الثورة السابق والمشاركون فى الحكم وقتها . ودعى إلى الإجتماع وزير الخارجية الدكتور «محمود فوزى» ، وعدد محدود من القادة العسكريين والمستشارين السياسيين .

وكان إتجاه الإجتماع مؤيداً لوجهة نظر « جمال عبد الناصر » وإن كان الدكتور «محمود فوزى» قد أبدى ملاحظة قال فيها « أن كل شئ يتوقف على أوضاع الإستعداد فى القوات المسلحة وعلى إمكانيات تعبئة الشعب لحرب طويلة . وفى كل الأحوال فإن المارك لا تخاض فى ميادين القتال وحدها وإنما تخاض فى ساحات السياسة الأوسع والأكبر وأنه حتى إذا استطاعت قوات الغزو أن تحتل منطقة قناة السويس فإنه على ثقة بمبادرة مصر وأصدقائها على خوض معركة ناجحة فى الأمم المتحدة تسمى العالم ضدهم وترغمهم على الرحيل » .

وطرح « جمال عبد الناصر » خطته لمواجهة الموقف الطارئ وكان أول بند فيها هو ضرورة إرجاع الفرقة المدرعة الرابعة التى عبرت فى الليلة السابقة إلى سيناء ووقف تقدم كل التشكيلات الأخرى التى كان مفروضاً أن تلحق بها .

وإن على الكتائب الست فى مواقعها المتقدمة فى سيناء أن تواصل مقاومتها كما كان مقرراً لمدة ٤٨ ساعة لكى تتمكن الفرقة الرابعة من إتمام إنسحابها. عائدة إلى الدلتا . وإعترض « عبد الحكيم عامر » لأن سحب القوات الآن « عار يلحق بنا » ورد عليه « جمال عبد الناصر » بأنه «إذا كنت ستسحب لتقاتل فى معركة أحسن لك ولمعركك ولخططك فهذا ليس عاراً فالعار هو أن تنسحب للهرب » .

ولم يقتنع « عبد الحكيم عامر » وقرر « جمال عبد الناصر » أن يتحمل المسئولية بنفسه فأصدر قراره بالإنسحاب من سيناء ووصل به الأمر إلى حد أنه إتصل بنفسه على خطوط

الإتصالات العسكرية بعدد من قادة الكتاب يقول لهم أن « الخطة المصرية للحرب يجب تعديلها بعد أن أصبح نزول الإنجليز والفرنسيين في منطقة قناة السويس محققاً . وإذا حدث ذلك فإن الجيش سيجد نفسه مشطوراً إلى قسمين أحدهما يواجه الهجوم الإسرائيلي في سيناء معزولاً عن قواعده ، والثاني يخوض المعركة ضد الغزو الإسرائيلي محروماً من نصف قواته . وأن الأولوية الأولى يجب أن تتركز ضد الغزو البريطاني الفرنسي فإذا ما تم دحره حان الوقت لمواجهة إسرائيل .

كان المنطق بسيطاً ومقتعاً وإستجابات القوات وإستعداد « عبد الحكيم عامر » أعصابه عندما وجد أن تحركات القوات تسير وفق الخطة الجديدة بما فيها أن الكتاب الست المتمركزة على خطوط الهدنة شمال سيناء كانت تحارب معركة تمكنت فيها من إيقاف تقدم الجيش الإسرائيلي للمدة التي كان مطلوباً منها أن تقاتل . لمنع تقدمه وهي ٤٨ ساعة .

كانت بقية خطة « جمال عبد الناصر » في المواجهة تقتضي إبعاد الطيران المصري تماماً عن المعركة لأنها أصبحت غير متكافئة وليس مهما تدمير الطائرات المصرية على الأرض لكن المهم الحفاظ على الطيران المصريين وعددهم محدود .

وبعد ذلك كانت هناك ضرورات الإستعداد للحرب شعبية ممتدة ضد الإحتلال فيما لو إستطاعت قوات الغزو أن تتغلب على القوات النظامية للجيش المصري .

وأخيراً كان هناك القرار بضرورة تعطيل قناة السويس لوضع العالم أمام واقع جديد (وكانت هناك خطة طوارئ جاهزة لإغراق باخرة محملة بالأسمنت في عرض البحر لسده في اللحظة التي يكون فيها ذلك ضرورياً) .

ولقد فضل « جمال عبد الناصر » أن تخوض مصر المعركة العسكرية وحدها لأنها لا تستطيع أن تتحمل مسئولية ما يمكن أن يجري على أرض عربية أخرى قد لا يستطيع أن ينجدها بقوات مصرية في الوقت المناسب . وكان تفضيله أن تقف الأمة كلها مع الشعب المصري بمشاعرها وبما تستطيع عمله دون القتال المسلح .

ومن هذا المنطلق كان رده على السيد « شكري القوتلي » رئيس جمهورية سوريا بأنه « لا يريد شيئاً من سوريا الآن سوى تأييدها السياسي وإنه من الأفضل أن يمضى الرئيس « القوتلي » في برنامجه المقرر لزيارة الإتحاد السوفيتي .

وحين إتصل به الملك « حسين » تليفونيا من عمان متحمساً بمشاعره وعواطفه ليسأله عما يطلبه من الأردن وجيشه في هذه الظروف ؟ كانت نصيحة الرئيس « جمال عبد الناصر » إليه على التليفون « إننى أرجوكم ألا تطلقوا طلقة رصاص واحدة على الخطوط الإسرائيلية . ومضر لا تريد الآن من الأردن إلا أن يحافظ على نفسه » . وكان « جمال عبد الناصر » على علم بترتب إسرائيل بالضفة الغربية للأردن ، أو أجزاء منها وكان مصمماً على حرمانها من أية فرصة في هذه الظروف وعدم إعطائها أية ذريعة لتحقيق مطامعها .

ولم يقم « جمال عبد الناصر » بأى تخريض على تعطيل خط أنابيب البترول الذى يمر بسوريا رغم أنه يعرف أهميته الحيوية في المعركة .

وأكثر من ذلك ففى أول نوفمبر تلقى مدير مكتبه السيد « على صبرى » رسالة من « كيرميت روزفلت » يقول فيها أن حكومة الولايات المتحدة بما فيها الرئيس تمنى أن تبذل مصر أقصى مساعيها لإقناع السوريين بالمحافظة على خطوط الأنابيب ومحطات الضخ الثلاث الواقعة في الأرض السورية وأن أى تعرض لها يمكن أن تترتب عليه مشاكل كبيرة تؤثر على الغرب كله .

وعرضت رسالة روزفلت على « جمال عبد الناصر » بالطبع وكان قراره إخطار « عبد الحميد السراج » برسالة « كيرميت روزفلت » دون التعليق عليها بالموافقة أو بالرفض ، فقد كان حريصاً على أن يعرف السوريون حقيقة الموقف وأن يتصرفوا وفق هذه المعرفة . وعندما قام « عبد الحميد السراج » بنسف محطات الضخ وخطوط الأنابيب كان « جمال عبد الناصر » سعيداً وبعث له « السراج » رسالة من كلمتين : « سلمت يداك » .

ويروى (هيكلم) في كتابه :

أنه وفي إجتماع عقده « جمال عبد الناصر » مع الدكتور « محمود فوزى » قبل سفره إلى نيويورك لحضور إجتماعات الأمم المتحدة التى تناقش العدوان على مصر حدد « جمال عبد الناصر » موقف مصر من مختلف القوى الدولية على النحو التالى :^(١)

١ - إن فرنسا لا أمل فيها وليس هناك ما نحرص عليه في علاقتنا معها في الوقت الراهن

(١) محضر إجتماع عقده الرئيس « جمال عبد الناصر » في مجلس قيادة الثورة بالجزيرة لوضع خطوط عمل الوفد المصرى في نيويورك .

ومن المناسب تركها لإسرائيل تورطها إلى آخر الشوط ونخرج مركزها - وللثورة الجزائرية من ناحية أخرى تستنزف قواها وترهقها .

(تلقت الثورة الجزائرية أكبر شحنة من السلاح من مصر أثناء إحتدام المعارك على جبهة قناة السويس) .

٢ - إن بريطانيا قضية تختلف عن قضية فرنسا فبريطانيا الآن منقسمة على نفسها لأن نصف شعبها على الأقل يقف ضد العدوان في عاصمته ويتظاهر ضده ويضغط على حكومته وعلى رئيسها بشكل مؤثر وفعال وهذا عنصر ملء بالإحتلالات التي يمكن الإستفادة منها .

وهكذا فتح « جمال عبد الناصر » قناة إتصال مباشر مع عدد من زعماء حزب العمال الذين تعرف عليهم وبينهم « أنيورين بيقان » نائب رئيس الحزب و « جورج براون » الذي أصبح فيما بعد وزيراً للخارجية واللورد « شنويل » الذي كان وزيراً للدفاع (رغم أنه من أصل يهودي) .

وكان من أغرب الرسائل التي تلقهاها « شنويل » من « جمال عبد الناصر » في ذلك الوقت رسالة يسأل فيها الرئيس المصري - وزير الحرب البريطاني السابق سؤالاً لم يخطر لأحد على بال وهو إنني « أريد أن أستشيرك في الطريقة التي نعامل بها الجنود أو الضباط البريطانيين الأسرى في يد قواتنا ؟ فنحن لا نستطيع أن نعتبرهم أسرى حرب بمقتضى إتفاقيات « برن » لسبب واضح وهو أن الهجوم البريطاني على أراضينا جاء دون إعلان رسمي للحرب ، فإذا عاملناهم كمجرمين . أو مخربين تسلوا إلى أراضينا فسوف يكون الحكم عليهم بالإعدام ؟ » وحمل « شنويل » هذا السؤال إلى المجلس وبدأت صيحات الأعضاء تصرخ في وجه « إيدن » : مجرم مجرم استقل استقل . ولم تهدأ الضجة إلى درجة أن « إيدن » ووزرائه اضطروا إلى مغادرة قاعة المجلس .

ولم يرض « جمال عبد الناصر » من جانبه بإعلان الحرب على بريطانيا واكتفى بقطع العلاقات معها ومع فرنسا . وكان وجهة نظره أنه إذا أعلن الحرب من ناحيته فسوف يكون مضطراً بعد عودة قناة السويس إلى حياتها الطبيعية أن يمنع بواخر بريطانيا وفرنسا من المرور في قناة السويس كما هو الحال مع إسرائيل إستناداً إلى حالة الحرب ، وكان في قرارة نفسه يدرك - رغم كل الظروف - أن تطبيق هذا الحظر على إسرائيل شيء - وتطبيقه على بريطانيا

وفرنسا شيء آخر وإلا فإنه يكون قد عقد المسائل لنفسه بأكثر مما هو ضرورى .

وفى يوم ٥ تشرين الثانى/ نوفمبر ، أرسل بولجانين رئيس الوزراء السوفيتى رسالة شديدة اللهجة إلى نظيره الإسرائيلى . وكانت لهجة رسالته غير عادية حتى بالنسبة للمراسلات السوفياتية لأصغر البلدان فى العالم الرأسمالى . وتقول الرسالة :

السيد رئيس الوزراء :

لقد أعربت الحكومة السوفياتية بالفعل عن شعبا القاطع للعدوان المسلح الذى شنته إسرائيل ، وأيضا بريطانيا وفرنسا ، ضد مصر ، والذى يشكل انتهاكاً مباشراً وصارخاً لميثاق الأمم المتحدة وسبيلها . وفى الدورة الاستثنائية الطارئة للجمعية العامة ، شجبت الغالبية الكبرى من بلدان العالم أيضا العمل العدوانى الذى ارتكب ضد الجمهورية المصرية ، وطالبت حكومات إسرائيل وبريطانيا وفرنسا بأن تضع حداً للعمليات العسكرية دون إبطاء وأن تسحب الجيوش الغازية من الأراضى المصرية . إن الإنسانية المحبة للسلام بكاملها تستنكر بسخط الأعمال الإجرامية للمعتدين الذى إنتهكوا وحدة الأراضى الإقليمية ، وسيادة واستقلال الجمهورية المصرية ، وبدون أن تأخذ هذا فى اعتبارها ، دأبت إسرائيل ، التى تعمل كأداة للقوى الإمبريالية الخارجية ، على القيام بمغامرات مجنونة ، متحدية بذلك جميع شعوب الشرق التى تخوض نضالاً ضد الإستعمار ومن أجل تحقيق الحرية والإستقلال لجميع الشعوب المحبة للسلام فى العالم .

إن هذه الأعمال التى تقوم بها حكومة إسرائيل تبين بوضوح القيمة التى تعلق على إعلاناتها الكاذبة عن حب إسرائيل للسلام ، وتطلعهما إلى التعايش السلمى مع البلدان العربية المجاورة . وأن هذه الإعلانات من قبل حكومة إسرائيل لا تستهدف فى الواقع إلا أضعاف يقظة الشعوب الأخرى ، فى حين أنها تستعد لشن هجوم غادر على جيرانها وذلك إذعاناً لإرادة أجنبية والتصرف وفقاً لأوامر من الخارج ، إن حكومة إسرائيل تعيث على نحو إجرامى غير مسئول بمصير العالم ، وبمصير شعبا ، إنها تذر بذور الكراهية لدولة إسرائيل فيما بين الشعوب الشرقية ، وهو أمر لا بد أن يترك أثاره على مستقبل إسرائيل ، ويشكك فى وجود إسرائيل ذاته كدولة .

إن الحكومة السوفياتية ، التى تهتم إهتماماً حيويًا بصيانة السلم ، والمحافظة على الهدوء فى الشرق الأوسط ، تتخذ فى الوقت الحاضر الخطوات لوضع حد للحرب وكبح المعتدين ،

ونقترح أن تنظر حكومة إسرائيل في ذلك ، قبل قوات الأوان ، ويجب أن تضع حداً لتدابيرها العسكرية ضد مصر . وإنني أناشدك ، وأناشد البرلمان ، وعمال دولة إسرائيل ، وأناشد كل شعب إسرائيل ، أوقفوا هذا العدوان أوقفوا سفك الدماء! إسحبوا جيوشكم من الأراضي المصرية ! وبالنظر إلى الموقف الذى نشأ الآن ، فقد قررت الحكومة السوفياتية أن تطلب من سفيرها في تل ابيب مغادرة إسرائيل والعودة إلى موسكو دون إبطاء . ونأمل أن تفهم حكومة إسرائيل فهماً كاملاً وتقدر تحذيرنا .

* ومن أروقة الأمم المتحدة أرسل الدكتور عمود فوزى إلى الرئيس عبد الناصر برسالة هامة جاء فيها ما يلى :

إلى السيد الرئيس من الدكتور فوزى قابلت هـرشولد مرتين في اليوم ثم :
١ - ذكر في شأن إنسحاب القوات المغيرة :

(أ) أنه مواصل بمنتهى الحزم والسرعة جهوده للإسراع بإنسحاب تلك القوات - وذكر أنه سلم لينو ، وجولدا مائير ولويد الأسئلة التالية طالباً أن يتسلم الرد عليها في وقت لا يتأخر عن الأربعاء ١٩٥٦/١١/٢١م حتى يستطيع أن يتقدم إلى الجمعية العامة بتقريره في هذا الشأن تنفيذاً لقرارها الخاص بالإنسحاب وذلك في وقت لا يتعدى الخميس أو الجمعة ١٩٥٦/١١/٢٣م على أبعد تقدير .

(ب) أنه تم الإتفاق مساء أمس على أن تدخل بعض وحدات قوة الأمم المتحدة إلى بور سعيد وأن هذا سيتبعه غيره مما يساعد على سرعة الإنسحاب ، وأضاف أن لويد مؤيد تماماً لفكرة الإنسحاب وأن بينو ليس له في هذا شأن يعتد به .

(ج) ذكر أنه يلاقي مقاومة عنيدة من إسرائيل في شأن الإنسحاب وأنه دارت بينه بهذا الصدد وبين جولدا مائير مشادة حامية مساء أمس .

٢ - حدثته عما جاء ببرقيتكم ٧٥/٧٣/٧٣ فذكر أنه مسارع إلى إتخاذ ما يلزم في هذا الصدد وأن دخول وحدات من قوة الأمم المتحدة بور سعيد سيسهل عمل هذا بالنسبة لها وأنه طلب من إسرائيل أن يدخل إلى منطقة غزة مراقبون على أن تتبعهم وحدة من قوة الأمم المتحدة وأضاف أن التقارير التى لديه عن غزة سيئة جداً .

٣ - تحدث عن الخطوط الرئيسية التي ينوي أن يسير عليها في تقريره عن القوة الدولية وتطهير القناة وأعلننى أنه متحدث بمثل هذا مع لويد وفى أثناء إجتماعنا الثانى مساء اليوم سلمنى نسخة من نص التقريرين كما يرجح أن يطبعهما ويوزعهما صباح الغد ١٩٥٦/١١/٢١ ولا ينتظر همرشولد أن يكون هذان التقريران موضع مناقشة طويلة . وسنرسل النصين بالكر بيرقيتين مفتوحتين .

٤ - أعرب عن أسفه لأن موضوع الجبر يشوش على موضوع مصر فى هذه الأيام .

وفى رسالة أخرى قال محمود فوزى :

زارنى شيلوف ومعه نائبه وتحدثنا على الأخص فى موضوع العدوان على مصر وتلاقت آراؤنا بشأنها . وأعرب شيلوف عن تأييد حكومته التام لمصر فى موقفها وفيما يتصل بوجود إنسحاب القوات المغيرة حالاً وإنسحاب قوة الأمم المتحدة بعد ذلك وتعويض مصر على ما أصابها من إضرار وعدم البحث فى قضيتى قناة السويس وفلسطين فى الوقت الحاضر وأن عملية تطهير القناة لا يجب أن تبدأ إلا بعد الإنسحاب .

٥ - الوثيقة تشير إلى « مصدر جديد فى مصر » تمكنت المخابرات البريطانية من الوصول إليه بضربة حظ ، ولدى شخصياً رأى فى هذه المسألة ولكنى أمسكت عن الخوض فى التفاصيل الآن مقدراً أن وثائقي أخرى سوف تكشف الحقيقة فى المستقبل وحيث يظهر وجه الحق ويبين ، هذا مع تسليمى بأن الكثير مما أعطاه هذا المصدر للمخابرات البريطانية هو على وجه القطع من وحى الأهواء والأغراض !

٦ - وبصرف النظر عما تقوله الوثيقة بخصوص ضرب مصر قتل « جمال عبد الناصر » - فإن الوثيقة تشير إلى خطط لتدمير إنقلاب فى سوريا ومن أهم بنوده العمل على إحداث إنقسام فى حزب البعث الذى يقوه الأستاذ « ميشيل عفلق » - كما أنها تشير إلى خطط لعزل الملك « سعود » ملك السعودية فى ذلك الوقت بسبب « تعاونه » مع « جمال عبد الناصر » . أو بسبب ضعف قدرته على مواجهة « جمال عبد الناصر » ! .

وفى هذه النقطة فإن الوثيقة تشير تساؤلات معاصرة تتصل بالحاضر الذى نعيشه الآن (وربما سنحت لى الفرصة لأتحدث عن هذه التساؤلات بالتفصيل فيما بعد) .

٧ - الوثيقة تظهر بما لا يقبل مجالا للشك أن التعاون مع إسرائيل عسكرياً ضد مصر كان

سابقاً في تفكير بعض الأجهزة البريطانية على الوقائع التي أعقبت قرار تأميم قناة السويس .
كذلك تظهر الوثيقة أن البريطانيين تشاوروا مع إسرائيل بشأن سوريا .

٨ - الوثيقة ملأى بالأسماء الرمزية وقد أرفقت بها ورقة تحمل أسرار هذه الأسماء الرمزية
وتفصح عن شخصيات أصحابها سواء كانوا من الأفراد أو الهيئات أو الحكومات .

٩ - لقد وجدت مرة أخرى مناسباً أن أترك لمركز الترجمة والنشر في « الأهرام » مسئولية
ترجمتها ضمناً لحيدة المعاني وحتى الألفاظ .

١٠ - وأخيراً فأنتى أضع الوثيقة بالكامل تحت تصرف القارئ العربي مضيفاً بين قوسين
أسماء الحكومات أو الهيئات أو الأفراد الذين تعنيهم الرموز - مستعيناً في ذلك بالمفتاح الذي
كان مرفقاً بالوثيقة الأصلية .

وفي وثيقة دولية هامة تؤكد تواطؤ المخابرات البريطانية والأمريكية قبل الحرب جاء ما
يلي حرفياً :

لقد وجدنا سموت (أم . آى . سكس . آى ، المخابرات البريطانية) في جولة إجتماعاتنا
الأخيرة أكثر حملاً وتصميماً على العمل المباشر مما كانوا في آخر جولة عقدناها للتنسيق معهم
في الشهر الماضي .

وقد قالوا لنا :

(١) أن « ناصر » مصمم على تدمير إسرائيل ولن يقبل سلاماً معها أو صلحاً .

(٢) أنه بسبب هذا التصميم يسمى لتوحيد العالم العربي تحت قيادة مصر .

(٣) أنه من نتيجة هذا التصميم على (١) و (٢) - فإن ناصر الآن يمكن إعتباره في جيب
الإتحاد السوفيتي - وهذا تقديرهم الذي لا يتزحزون عنه .

(٤) تقول سموت (أم . آى . سكس) أن ما سبق ذكره يغلب الآن على وجهة نظر الحكومة
البريطانية ، وأنه أفضى إلى عملية إعادة تقييم حاسمة للسياسة البريطانية في المنطقة ، وتدعى
أن وجهة النظر هذه عن ناصر تستند إلى إستخبارات سموت (أم ، آى . سكس) التي
جاءت أساساً من مصدر جديد في مصر تم الوصول إليه « بضربة حظ » وتثق فيه سموت
(أم . آى . سكس) لأقصى حد ، وعندما أوجزوا لنا ، خمسة وعشرين تقريراً حصلوا

عليها ، فقد بدأوا بتقرير عن (الإشتراكية الشعبية) صدر من نوفمبر الماضى .
وأكدوا أن جزءاك كبيراً من أكثر المواد أهمية هى مواد وثائقية بطبيعتها ، وأن « زبدة ما
حصلت عليه سموت (أم . آى . سكس) خلال الشهور الماضية قد نقل إليها من خلال
الإتصالات بيننا ، ونقل فى حالة التقارير الأكثر أهمية ، على مستويات أعلى (فى رسائل من
« ليدن » نفسه إلى « ليزنهاور » شخصياً) وسموت (أم . آى . سكس) مصرّة على قولها
بأنه نظراً لأننا لسنا مستعدين كما هو واضح لقبول إعادة التقييم التى قاموا بها لنأصر بصورة
حاسمة ، فإنه لابد من النظر إلى تغطية إستخباراتنا لمصر باعتبارها تغطية ضعيفة . وقد وصفت
تقارير كيوبارك (سى . آى . إيه) أى وكالة المخابرات المركزية التى نقلت لسموت (أم .
آى . سكس) فى الشهور العديدة أنها « نفاية » ، وتؤمن سموت (أم . آى . سكس) بأنه
ينبغى لنا إما أن نقبل تقاريرهم أو نقول أنها « زائفة » . أما أن نقبل الإستنتاجات التى إنتهوا
إليها أو نبين أنها ليست منطقية . وهم على أى حال يودون الإطلاع على أى دليل يثبت
أى وجهة نظر أخرى عن دوافع ناصر وعن الموقف .

هـ - وقد أكدت سموت (أم . آى . سكس) أن وجهة نظر الحكومة البريطانية حالياً هى
إنه ينبغى حماية المصالح الغربية فى الشرق الأوسط (خاصة النفط) ، من التهديد المصرى
السوفيتى بأى ثمن . واستخدم من أسميناهما « أ » (أم . آى . سكس) جورج يونج ممثل
المخابرات البريطانية و « ب » (اس . آى . اس) نيجيل كلايف ممثل جهاز الخدمة السرية
البريطانى وهو إمتداد للمخابرات البريطانية (تعبيرات مثل « إن بريطانيا مستعدة الآن لتحارب
معركتها الأخيرة و « أيا كانت التكلفة ستكون الكاين » . وعلى الرغم من إتفاقنا فى الإجتماع
الأول على مناقشة مسارات العمل المتاحة ، لا وديوك (يو . اس . جى) أى حكومة
الولايات المتحدة الأمريكية (وللحكومة البريطانية ، فقد رفضوا إعطاؤنا تفاصيل خططهم
ربما كان ذلك راجعاً لمعجزنا عن قبول تقديرات سموت (أم . آى . سكس) عن نطاق
العلاقة المصرية السوفيتية) وقدم لنا فقط موجز عريض من قبل من أسميناهما « أ » (أم .
آى . سكس جورج يونج) و « ب » نيجيل كلايف (اس . آى . أس) فى جلسات غير
رسمية وعلى ألا ينسب إليهما ذلك . وهما متلهفان لأقصى حد على تلقى رد فعل كيوبارك
(سى . آى . إيه) المبدئى خلال الأيام القليلة القادمة . مؤكدين أن الوقت أمر بالغ الأهمية
وأنه ينبغى إتخاذ إجراءات فى سوريا خلال شهر واحد . وقد أوضحت سموت (أم . آى .
سكس) أنه إذا جاء رد فعل كيوبارك (سى . آى . إيه) مرضياً ، فإنها ستكون رغبة

في مناقشة الخطط التفصيلية مع نورمان (كيرميت روزفلت مستول المخابرات الأمريكية في الشرق الأوسط) . وقد تركت لدينا إنطباعاً بأن الخطط تحظى بموافقة فورمن (وزارة الخارجية البريطانية) وأنه حتى ، إجتماعات سنكسون (جيمس إيكليبرجر) - تشابو ورث (الميجور جنرال السير جون سينكلير رئيس اس . آى . أس) ستكون موضع مناقشة مجلس الوزراء .

٦ - وفيما يلي إنطباعاتنا عن خطة الحكومة البريطانية ثلاثية المراحل (وقد اطلعنا سموت (أم . آى . سكس) على ذلك هذا الصباح ولم تعرض على إقتراحنا بأن نرى بذلك إلى كيوبارك (سى . آى . إيه) وتعليقات « أ » (أم . آى . سكس) جورج يوج (مينة في الإقتباسات الواردة بين هلالين صغيرين :

(١) **المرحلة الأولى :** إحداث تغيير كامل في حكومة سوريا . وتعتقد سموت (أم . آى . سكس) أنها تستطيع أن تقوم بهذه العملية لوحدها . لكنها ستلجأ عند الإقتضاء إلى العمل المشترك مع العراق وتركيا ، وإحتمالاً مع إسرائيل . وإنطباعنا هو أن هذا الأمر نوقش مع الدولتين الأوليين وربما في الثالثة (نوقش الوضع في سوريا مع إسرائيل لكن ليس من زاوية الحصول على مساندتها الإيجابي) . ولسنا متأكدين من أن ذلك لن يتضمن عملاً عسكرياً عراقياً (أننا لا نعطي تأكيدات حول العمل العسكري العراقي) ومع ذلك ، فلن يتم تغيير في حدود سوريا رغم أنه ستقوم فيها حكومة موالية للعراق بصورة حازمة ، وتضمنت المناقشة الأولى عن الإجراءات المتعلقة بسوريا استخدام تعبير هو « توسيع نطاق النفوذ الهاشمي » . وبناء على تساؤلاتنا ، أعطيت لنا تأكيدات بأن هذا لا يتضمن وضع سوريا تحت حكم العائلة المالكة العراقية وأن تعبير « توسيع نطاق النفوذ بالعراقي » ربما كان أكثر دقة ، كذلك أشير إلى « النقطة العراقية الرابعة » بإعتبارها نوعاً من النشاط محل نظر . وخير ما يمكن بنا أن نتكهن به هو أن الحكومة البريطانية تنظر في استخدام بعض ، أو كل من المخططات التالية : استخدام الأموال العراقية لمساندة الأحزاب السياسية الموالية للعراق والرد على الحملات الصحفية السعودية المصرية - المساندة النشيطة للجهود المبذولة لقسمة صفوف « إيه . أس . آر . بي » (الحزب الجمهوري السوري) من خلال « إيه . أف . ال . إيه . كيو » (حزب البعث السوري) و « أس . إيه . واى . واى . أى . دى » (غير واضحة أو محددة في الأصل) - وإثارة الإضرابات القبلية في الجزيرة وإثارة تركيا وإسرائيل للإضطرابات على الحدود مما يقتضى مساعدة العراق لإعادة

الإستقرار لسوريا - وإستخدام الـ « بى . بى . اس » (الحزب القومى السورى) للتسلل من لبنان . وتسلم سموت (أم . أى . سكس) بأن تولية حكومة مصرية جديدة تتوقف على السيطرة على رد الفعل السعودى وأن الحكومة البريطانية تأمل فى مساندة أوديوك (حكومة الولايات المتحدة الأمريكية) .

(ب) المرحلة الثانية : تود سموت (أم ، أى . سكس) مناقشة إمكانات كيوبارك (سى . آى . إيه) فى العمل السياسى . واعتقد أن سموت (أم . آى . سكس) مستعدة ليزل الجهود لإستغلال الإنقسامات فى الأسرة المالكة (السعودية) وإحتمال إستغلال موقفهم فى الإمارات المتصالحة (إمارات وسلطنات الخليج الآن) للتعجيل بسقوط سعود . وقد خرجنا بإنتطباع مؤداه أنهم يقدرّون كثيراً إمكانات العراق تجاه المملكة العربية السعودية وإنهم ينظرون فى القيام بعمل مشترك مع العراقيين أو العمل من وراء جبهة عراقية فى حالة عدم رغبة أوديوك (حكومة الولايات المتحدة الأمريكية) فى مد يد المساعدة أو عجزها عن تلك (أعتقد أن مساندة أوديوك) (حكومة الولايات المتحدة الأمريكية) فى المملكة العربية السعودية ستفيد فى المرحلة الأولى لكنها ليست ضرورية بالنسبة لآليات الإجراء (أو الانقلاب) الذى سيتخذ فى سوريا (لكن على الرغم من أن البريطانيين يدرّكون أن مسألة موافقة أوديوك (حكومة الولايات المتحدة الأمريكية) أو إذعانها عامل هام فى المرحلة الأولى . فإنهم مصممون على الشروع فى هذا العمل) . (من المؤكد أن الإجراءات التى ستأخذها أوديوك (حكومة الولايات المتحدة الأمريكية) ستساعد فى إبطال تأثير الإجراءات المصرية المضادة) .

(ج) المرحلة الثالثة : سيتم الاضطلاع بها توقعاً لرد فعل مصرى عنيف تجاه المرحلتين الأولى والثانية . وقد خرجنا بإنتطباع هو أن نطاق الإجراءات البريطانية سيتناسب تناسباً مباشراً مع رد الفعل المصرى . ويتراوح هذا من فرض ، العقوبات المحسوبة لعزل ناصر إلى إستخدام القوة (البريطانية والإسرائيلية على حد سواء) لإسقاط الحكومة المصرية . (ونأمل فى أن تكون الحكومة (المصرية) الجديدة التى ستقوم أكثر إذعائاً) . (كما أن نطاق خطط العمل البريطانية سيتوقف على مدى مساندة أوديوك (حكومة الولايات المتحدة) لنا . (علينا أن نواجه إمكان أن يطلق ناصر القناة ونود أن نعرف كيف سيكون رد فعل أوديوك (حكومة الولايات المتحدة) تجاه هذا . ونعتقد أن الإمكانيات المتطرفة

ستتضمن عمليات خاصة من قبل الإسرائيليين ضد مخزون مصر من إمدادات الذخيرة والطائرات والدبابات التي إشترتها حديثا . وكذلك الهجوم الإسرائيلي المباشر على غزة ومناطق الحدود الأخرى .

(٧) ميصل سنكرسون (جيمس ايكليجر) لنيويورك صباح يوم ٢ إبريل . وما لم تصدر تعليمات بغير ذلك سيبقى تشابو ورث (الميجور جنرال السير جون سينكلير رئيس سى . آى . اس) فى لندن لضمان إستمرار الإتصالات فى حالة ما إذا رغب المقر الرئيسى فى نقل رسالة حول هذا الموضوع قبل وصول نيرمان (كيرميت روزفلت) .

وقائع الحرب فى رواية متعاطفة :

نورد هنا رواية متعاطفة مع عبد الناصر ، وعلى الرغم من اللغة الدعائية إلا أن بها بعض الحقائق التي قد تفيد فى فهم ما جرى فى تلك الحرب ، أنها رواية دكتور محمد صقر خفاجة التي أوردها فى بحث له بعنوان (مصر بين دعائم نهضتها - إصدار ١٩٥٧م) ونشر ضمن الكتاب الذى قدم له طه حسين عن (العدوان الثلاثى على مصر) وجاء فى رواية د . خفاجة ما يلى :

كان للعدوان الإسرائيلى تأثيره المباشر على أمريكا والإتحاد السوفيتى . ففى واشنطن كان الرئيس إيزنهاور يعرب عن « إمتعاضه من تلك المفاجأة الأليمة » مفاجأة العدوان الإسرائيلى على مصر ، وترسل وزارة الخارجية ، بل يرسل الرئيس إيزنهاور نفسه المذكرة تلو الأخرى إلى الحكومة الإسرائيلية طالبا وقف العدوان فى الحال ، دون أن تكثر حكومة بن جوريون ببناء أمريكا ، وذلك لعلمها أن وراءها حكومتين غادرتين فى إنجلترا وفرنسا قد افقتا على تنفيذ العدوان إذا قامت إسرائيل بالدور الأول فى المسرحية . ولم تنحصر الصدمة التى أصابت الرأى العام الأمريكى فى الدوائر الحكومية ، بل أن الكثيرين من الكتاب وأعضاء الكونجرس أعربوا صراحة عن رأيهم عندما وصفوا العدوان الثلاثى بأنه مؤامرة تنم عن القدر والنذالة ويراد بها خلق ذريعة لتدخل بريطانيا وفرنسا فى شئون مصر . بل أن الكثيرين من أعضاء الكونجرس الديمقراطيين والجمهوريين كانوا ينادون الحكومة الأمريكية باتخاذ إجراءات حاسمة ضد إسرائيل بمنع المساعدات المالية والعسكرية والاقتصادية عنها ، ويتحذير حكومتى ، بريطانيا وفرنسا من إستغلال الموقف وإلا تعرضتا لسوء العاقبة إذا ما توسعت العمليات الحربية فى

الشرق الأوسط .

ولا شك أن موقف الرأى العام الأمريكى كان له أكبر الأثر فى التأثير على الحكومة الأمريكية التى أبدت موقفا حازما مشرفا خلال الأزمة وبخاصة عندما نظر أمر العدوان الثلاثى أمام مجلس الأمن والجمعية العامة ، وكان جزاء الولايات المتحدة على موقفها الحازم هذا أن تعرضت من جانب أبواق الدعاية المسمومة فى بريطانيا وفرنسا إلى حملة شعواء إتهمت فيها أمريكا بمهادنة مصر . وإتهمت فيها الأمم المتحدة بأنها منظمة ظالمة مفرضة تخضع لإرهاب مصر وتهديداتها !! .. « نعم هكذا تعدت الصفاقة كل حدود المنطق بعد أن تكشفت بوادر الخراب الذى كان آتيا لا محالة فى إنجلترا وفرنسا إذا ما تمادتا فى غيهما . والقول هنا للدكتور محمد صقر خفاجة فى بحثه (مصر تبني دعائم نهضتها) :

وكان موقف الإتحاد السوفيتى دون شك أكثر وضوحا فى موقفه إزاء العدوان ، لأن حكومته لم تكن مرتبطة مع إنجلترا وفرنسا فى أحلاف عسكرية كما كان الحال بالنسبة للولايات المتحدة . فلو أن تلك الأخيرة إقترحت سحق العدوان الثلاثى بالقوة وتأييد مصر عسكريا لكانت مهزلة دولية ينشق فيها الحلفاء على أنفسهم وتصارع قواتهم بعضها البعض .. لذا إكتفت الولايات المتحدة بالتأييد القانونى فى ظل ما تقره هيئة الأمم المتحدة . أما الإتحاد السوفيتى فقد كان « متحرراً » من أحلاف الأطلنطى وما شابها من التنظيمات العسكرية ، ولذا جاء كلام ساسة الكرملين واضحا حازماً صريحاً ، مما أثار الفزع فى نفوس المعتدين وجمعهم يفكرون فى سوء العاقبة رغم تشدقهم وإدعائهم بوجود مؤامرة بين روسيا ومصر لتهيد السلم ، وما كان هذا الإدعاء الباطل إلا محاولة يائسة لتغطية سوء النية والغدر الذى تكشف للعالم فور قيام الدول الثلاثة بعدوانها على مصر .

وليس معنى ذلك أن أمريكا إنفردت بالعمل داخل الأمم المتحدة بينما إنفردت روسيا بالعمل خارجها ، بل أن المقصود من الإشارة إلى تحرر روسيا من روابط الأحلاف الغربية هو أن موقفها ساعدها على عرض الحلول العملية والدفاع عن مصر ضد العدوان إذا ما لم تمثل الدول المعتدية لقرارات الأمم المتحدة التى دأبت روسيا منذ اللحظة الأولى على تأييدها مشاركة بذلك الولايات المتحدة فى إنجهااتها القانونية وتمسكها بأهداف الميثاق ، على أننا بينما كنا

نسمع أخبار متطوعين يريدون المحاربة في صفوف الدفاع المصرية متطوعين من الإتحاد السوفيتي والصين الشعبية كنا لا نسمع (ولا يعقل أن نسمع) عن متطوعين أمريكيين أو من إحدى الدول الغربية لأن حكم الواقع جعل من سياسة تلك الدول معارضة إنجلترا وفرنسا من الناحية الواقعية وإن لم تكن قد أقرت عدوانها على مصر .

وقد بدا تأييد الإتحاد السوفيتي ، كما كان تأييد الولايات المتحدة ومنذ اللحظة الأولى للعدوان الإسرائيلي ، فتكلم المندوب الروسي في مجلس الأمن بلمغة قانونية حازمة ، فقال متهماً بريطانيا وفرنسا بالتآمر على مصر : « إن الغزو المدبر يأتي من دولتين من الدول الدائمة في مجلس الأمن ، وهما بهذا تحرقان ميثاق الأمم المتحدة ، وتهقدان السلم العالمي ، وتحاولان حل مسألة قناة السويس باستعمال القوة ، مما يثبت معه أن الهجوم الإسرائيلي كان مديراً للتهديد لهذا الغزو البريطاني والفرنسي . كذلك تجلّ موقف روميا الحازم في توجيهها الإنذار الصارم إلى إسرائيل ، وإستدعاء السفير الروسي من تل أبيب لإحتجاجاً على عدوان إسرائيل الغادر . ولم يتردد رئيس وزراء الإتحاد السوفيتي ولم يدع في كلماته مجالاً للشك حين أرسل إنذار حكومته إلى كل من حكومتى فرنسا وبريطانيا مؤكداً أن الإتحاد السوفيتي مصمم على إستعمال القوة لصد العدوان الإنجليزى من مصر إذا اقتضى الحال ذلك . وكانت كلمات المارشال بولجانين ذات ، معنى قاس مرير حين وجه كلامه إلى بريطانيا وفرنسا متسائلاً : « فى أى وضع ستكون إنجلترا وفرنسا إذا ما كانتا هما ضحية لعدوان من جانب دولة ثالثة تحت يدها وسائل حديثة غنية للدمار كالأسلحة الصاروخية .. وما الفرق بين إستعمال تلك الأسلحة ضد إنجلترا وفرنسا وإستعمال الأخيرتين لقواتهما الهجومية المائلة ضد مصر الآمنة التى لا تملك وسائل الدفاع النسبية لصد هذا العدوان ؟ .

ولم تقتصر حكومة الإتحاد السوفيتي على مجرد إرسال مذكرات الإحتجاج أو التهديد الأجوف ، بل إنها إقترحت الأشتراك مع الولايات المتحدة فى إرسال قوة مشتركة من قوات الدولتين لصد العدوان الثلاثى على مصر ، إلا أن رد أمريكا على ذلك الإقتراح أشار إلى مخاوف الولايات المتحدة من أن إجراء كهذا سوف يعنى تصارع قوات دولتين من الدول الكبرى مع قوات دولتين آخرين ، وطالما أن الأمم المتحدة فى إستطاعتها فرض قراراتها على المعتدين بعد أن نددت بموقفهم غالبية دول العالم ، والتوقف عن العدوان . هذا وقد زاد شعب مصر إطمئناناً على سلامة مركزه وعدالة قضيته ما شاهده من تأييد الشعوب بالإضافة

إلى تأييد الحكومات . فقد نقلت الأنباء رغبة الآلاف من المتطوعين الروس للعمل بجانب القوات المصرية في دفاعها ضد المعتدين .. ولم تستطع الصين الشعبية الإعراب عن موقفها في الأمم المتحدة ، ولكن شعبها وقف وقفة مشرفة مشكورة حين أعلن أن نحو ربع مليون من الأهالي قد تطوعوا فعلاً لخدمة قضية السلام بمشاركة مصر في دفاعها ضد العدوان . إن تلك الآلاف - ليس في روسيا والصين فحسب ، بل في شتى أنحاء العالم - كانت تحس كمشعوب محبة للسلام في صد العدوان الغادر عن مصر وعن كل بلد آخر يقع ضحية لمؤامرات تجار الحروب ومهددي السلام .

ولم تكن دول العالم الأخرى أقل حماسة في تأييد قضية مصر ، وإن كان المقام يضيق بنا هنا لسرد جميع مظاهر الحماسة المتدفقة لنصرة مصر ضد المعتدين . ففى الأردن وسوريا والمملكة السعودية وغيرها من الأقطار العربية قامت الحكومات والشعوب تؤيد مصر وتعرض مساعدتها بكل ما لديها من إمكانيات ، وتعلن أن جيوشها وأرواح مواطنيها فداء لمصر . القطر الشقيق الذى كان يدافع مستبلاً أمام عدوان مثلث غادر . وقد أثبتت معظم الأقطار العربية للمستعمرين كيف أن العدوان على دولة عربية يعد عدواناً على الأمة العربية بأسرها ، بل عدواناً على كل بلد آمن يناهض غمر المستعمرين واستغلال المحتلين الآثمين .

وكانت تصريحات المسئولين في دول العالم تدل دلالة واضحة على استنكارهم الصارخ للعدوان على مصر ، كما تدل على وقوف تلك الدول حكومت وشعوبا في جانب الحق والعدل مهما كانت التيارات السياسية والحزبية داخل الدول وخارجها ، إذ لم يدع مركز مصر المشرف ودفاعها الباسل مجالاً لشكل أو تردد في أية دولة كانت تنظر إلى القضية نظرة بعيدة عن تضليل المعتدين . وليس أدل على الموقف المخزي لحكومات تجار الحروب والتآمرين الغادرين من ذلك الصوت المدوى الذى إنبعث من حزب المعارضة في إنجلترا من غالبية الشعب البريطانى الذى كان ينجبل لسياسة حكومة المحافظين . فقد تجمعت آلاف الوفود من البريطانيين في المدن الإنجليزية تستنكر سياسة إيدن الخرقاء وتطالب حكومته بالإستقالة مؤيدة بذلك أصوات المعارضة البرلمانية التى قصرت بمعدل خمسين صوتاً عن إحباط مؤامرة المحافظين واستمرارهم للعدوان على شعب مصر الآمن .

وإن ما حدث من جانب ذلك الفريق من الشعب البريطانى الذى كان يتوخى الحقيقة ويعارض العدوان الغادر بقلبه بكل ما كان تحت يديه من وسائل الضغط البرلماني ، لم يحدث

له مثيل في تاريخ بريطانيا . لقد كانت أصوات المعارضة تنهم إيدن بالإجرام ، وتطالبه بالإستقالة ، وتأمّره بالإفصاح عن الحقيقة والكف عن التضليل .. إن إيدن بتصرّياته الكاذبة المضلّة إما أحقّ غيبي أو مجنون متهور .. وفي كلتا الحالتين أننا لا نريده رئيس حكومة ... هكذا قال صوت من أصوات المعارضة العمالية ... أنكم عصاة من المجرمين سفاهي الدماء .. هكذا قال صوت آخر .. مجرم .. منافق .. كاذب .. أغرب عنا .. استقل .. داعية حرب .. اخرج من هنا .. هكذا كانت تدوى أصوات المعارضة في البرلمان البريطاني ، ولكنها ، كما قلنا ، الديمقراطية التي أعطت حكومة إيدن أغلبية محسّنين صوتاً الحق في القمادي في حماقة وجنونه .. ثم بعد أن يلحق الخراب والدمار بالمدن المصرية ، والأضرار الاقتصادية والسياسية ببلاده ، يسارع إيدن إلى الإختفاء عن الأنظار ، ويسافر خارج بريطانيا .. ليستريح من إنهار عصي .. هكذا وصلت هيئة السياسة الخارجية البريطانية .

في الأمم المتحدة :

يرى د . خفاجة ما يلي :

بلغ إهتمام الأمم المتحدة بقضية العدوان الغادر على مصر درجة لم تحدث من قبل في تاريخ هذه المنظمة الدولية . ولم تكن جلسات مجلس الأمن أو الجمعية العامة مجالا للدعاية المنبرية والخطب المطولة كما كان يحدث في كثير من المواقف ، بل كان جل هم الوقود متجها إلى التكتاف للوصول إلى حل عملي سريع لوقف العدوان وردع المعتدين . ولم يحدث في تاريخ الأمم المتحدة أن فازت قرارات بشأن قضية خطيرة كهذه مثلما فازت به القرارات التي استتكرت العدوان وطالبت المعتدين بالانسحاب السريع . بل ليس من المبالغة القول بأن قرارات دول الأمم المتحدة تعتبر أخطر قرارات إتخذتها في تاريخها لأنها تمثل عملاً جماعياً ضد قول معتدية أوقفت عند حدها وطولبت بالتراجع ، فامتثلت لأمر الغالبية من دول ، العالم ، وهكذا أنقذ العالم من شر حرب ضروس أراد ، المتآمرين الثلاثة أن يجروا العالم إليها ، ولقد قيل الكثير من الأسانيد والحجج القانونية في الأمم المتحدة تأييداً لموقف مصر السليم ، كما أقيمت الكلمات الحماسية من مندوبي الدول المختلفة مثنية على موقف مصر المشرف في دفاعها عن نفسها ، ومستنكرة بشاعة الغدر العدوانى المثلث ، وكانت بعض الجلسات تستمر حتى ساعات الفجر ، ومندوبو

الدول مثابرون مصممون على إتخاذ قرارات حاسمة بينما مندوبو بريطانيا وفرنسا وإسرائيل واستراليا يطلبون التسوية والتأجيل فى الوقت التى كانت طائرات المعتدين وقواتهم تنزل أبشع ألون الإعتداء على المدنيين الآمنين .

وكان أن أثبتت الأمم المتحدة وجودها على الرغم من مناورات إنجلترا وفرنسا واستماتتهما فى التأثير على الدول الصغيرة حتى لا تنضم إلى زمرة المستكبرين الحانقين على الفدر المثلث والمسؤولين عنه . وفيما يلى عرض سريع للأحداث التى جرت فى الأمم المتحدة نسرده على قدر ما يسمح به هذا المقال القصير :

٣٠ أكتوبر سنة ١٩٥٦ م :

تقدمت الولايات المتحدة بمشروعها الذى يقضى بإمتناع أى دولة عن إستخدام القوة أو التهديد فى منطقة الشرق الأوسط (وكان هذا موجهاً إلى إنجلترا وفرنسا) وبأن تنسحب إسرائيل على الفور من الأراضى المصرية إلى ما وراء خط الهدنة . ولكن إنجلترا وفرنسا عارضتا هذا القرار ، وأيدتا بذلك العدوان الإسرائيلى توطئة للسير فى مؤامرتهم .

٣١ أكتوبر سنة ١٩٥٦ م :

بعد أن عارضت الدولتان المعتديتان مشروع القرار الأمريكى تقرر دعوة الجمعية العامة على الفور للنظر فى أمر العدوان المثلث (وذلك بناء على السابقة التى أخذ بها من قبل . وهى الإتحاد فى سبيل السلم) . وهنا أيضاً تحدث كل من فرنسا وإنجلترا العالم بأسره وعارضتا عقد دورة طارئة للجمعية العامة .. وفى اللحظة التى كان مشروع القرار اليوغوسلافى يقدم فى مجلس الأمن لعقد الدورة الطارئة للجمعية العامة كانت إذاعة صوت بريطانيا تشدق وتفاخر بأن الهجوم الجوى قد بدأ على مصر

أول نوفمبر حتى صباح ٢ نوفمبر سنة ١٩٥٦ م :

بحثت الجمعية العامة مشروع القرار الأمريكى الذى يقضى مرة أخرى بسحب القوات المعتدية إلى ما وراء خط الهدنة وبوصى بأن يمتنع أعضاء الأمم المتحدة عن القيام بأعمال حربية فى منطقة العدوان ، وأن تبقى الجمعية العامة فى جلسة طارئة حتى الإمتثال لهذا القرار ، ومرة أخرى تحدثت الدول الثلاث الأمم المتحدة !! ففاز القرار بأغلبية ٦٤ صوتاً بينما عارضته بريطانيا وفرنسا وإسرائيل وأستراليا ونيوزيلندة . وفى اليوم الثانى من نوفمبر ،

حيث ثبت أن بريطانيا وفرنسا تستخدمان أسلحة حلف الأطلسي في العدوان على مصر ، أرسلت الولايات المتحدة مذكرة إلى الحكومتين المتحدين تعرض على هذا المسلك وتذكرهما أن الأسلحة التي حصلنا عليها عن طريق إتفاقية المساعدة الدفاعية المتبادلة يجب ألا تستخدم في أغراض عدوانية . ولكن هذا لم يمنع بريطانيا وفرنسا من الإستمرار في العدوان وإستخدام تلك الأسلحة في الغارات الجوية على المدنيين الآمنين في مصر .

٣ نوفمبر سنة ١٩٥٦م :

استمر العدوان الثلاثي على مصر ، وتقدمت كندا بمشروع قرار لإنشاء قوة طوارئ دولية تابعة للأمم المتحدة فوافقت عليه ٥٧ دولة ، وامتنعت الدول المتحدة التي إستمرت في عدوانها على مصر . وفي نفس اليوم قدمت الدول الأفريقية الآسيوية التسع عشرة مشروع قرار يقضي بأن يتولى السكرتير العام للأمم المتحدة تنفيذ وقف إطلاق النار ووقف تحرك القوات الحربية والأسلحة إلى المنطقة ، وأن يقدم تقريراً في ظرف إثنتى عشرة ساعة عن مدى الإمتثال لهذا القرار ، وقد وافقت ٥٩ دولة على هذا القرار ، ورغم ذلك إستمر العدوان الثلاثي على مصر .

٤ نوفمبر سنة ١٩٥٦م :

وافقت الأمم المتحدة بأغلبية ٥٧ صوتاً وامتناع ١٩ دولة على مشروع قرار قدمته كندا وكولومبيا والنرويج يقضي بتكوين قوة طوارئ دولية تقوم بتنفيذ قرار الجمعية العامة الصادر في ٢ نوفمبر .

٥ نوفمبر سنة ١٩٥٦م :

استمر العدوان على مصر ، واستبسل الشعب المصري في الدفاع ، وتحمل الكثير من التضحية في سبيل إعلاء كلمة الأمم المتحدة ، ودافع الشعب ضد العدوان الغادر على بور سعيد ، ولم تستطع قوى الشر أن تنال من مصر ولا من كرامتها وبساله شعبها .



عبد الناصر في الأهر الشريف يوم بدأ العدوان الثلاثي على مصر وسقائل سقائل . سقائل ولن سلم

٦ نوفمبر سنة ١٩٥٦ م :

إزاء إخفاق السياسة العدوانية المثلثة وإزاء غضب الرأي العام العالمى ، وأمام إستبسال الشعب المصرى فى الدفاع عن كيانه رخصت الدول المعتدية وقبلت إيقاف إطلاق النار ابتداء من الساعة الثانية بتوقيت القاهرة من صباح السابع من نوفمبر .
إنتهت رواية د . محمد صقر خفاجة .

ثالثاً : نتائج الحرب :

أياً ما كان التقييم الذى سبق شأن حرب السويس فإننا نسجل هنا عدداً من النتائج الهامة لهذه الحرب .

١ - إن مصر قد أحسنت إستغلال ظروف المواجهة بين الكتلة الشرقية والكتلة الغربية والصراع بين فرنسا وبريطانيا وأمريكا فى تأكيد دور مصر القيادى وفى العمل على تحقيق إنسحاب للقوات المعتدية حيث خرج عبد الناصر من حرب ١٩٥٦م وهو أكثر قوة من حيث الزعامة السياسية للعالم العربى .

٢ - أن أحد النتائج المترتبة مباشرة على الموقف السوفيتى من العدوان هو توثيق العلاقات المصرية - السوفيتية وبداية توطيد النفوذ السوفيتى فى المنطقة ، كما أن أحد النتائج المباشرة هو نخلافة الولايات المتحدة لكل من بريطانيا وفرنسا فى الشرق الأوسط وطرح إنزهاور لمبدأ الفراغ ومعارضة مصر له وتأكيدا على ضرورة الإستناد إلى دفاع عربى عن المنطقة ضد إسرائيل العدو الرئيسى وليس السوفيت .

كل تلك المتغيرات قد قادت إلى خلق بنور التصادم المصرى - الأمريكى والذى إكتمل بالإرتباط الإسرائيلى - الأمريكى بعد الحرب .

٣ - قد ظهرت مؤشرات عديدة لدور المنطقة العربية فى مساندة الصمود المصرى حيث قطعت سوريا أنابيب البترول التى تحمل بترول العراق إلى المتوسط ، كما أعلنت السعودية قطع علاقاتها الدبلوماسية مع كل من بريطانيا وفرنسا وحرمت بيع بترولها لكل منهما كما رفضت ليبيا السماح للقوات البريطانية المراقبة على إقليمها أن تتحرك ضد مصر ، لكن لم تتحرك أية قوات عسكرية للدفاع عن مصر حسب ميثاق الضمان الجماعى كما أنه

لم تتحرك جيوش الحلف العربى المكون من سوريا والأردن والسعودية ومصر والذي تم التصديق على معاهداته قبل العدوان مباشرة .

كما لزمّت جامعة الدول العربية الصمت طوال فترة العدوان .

٤ - أن حرب ١٩٥٦ قد أكدت عدة مبادئ للأمن المصرى :

- أن سيناء لا تصلح لأى معركة دفاعية .

- أن الأخطار التى تواجهها مصر دائماً تأتى من الشمال والشرق نظراً للطبيعة المفتوحة للسواحل المصرية .

- ضرورة الإستناد للمنطقة العربية فى تدعيم الأمن المصرى .

- ضرورة التماسك الداخلى والتعاون الموثق بين القيادات السياسية والعسكرية .

- حسن إستغلال الإطار الدولى وتدعيم العلاقات المصرية - السوفيتية .

٥ - إن مصر قد إستطاعت تحقيق إنسحاب منظم للقوات المصرية من سيناء وبالتالى حافظت على قوة وتماسك الجيش والقوات المصرية وتبرز خطورة تلك النتيجة لو قارناها بالإنسحاب العشوائى لعام ١٩٦٧م والذي الحق خسائر فادحة فى الجيش المصرى حيث لم يكن فى مصر بعد ١٩٦٧م سوى قوات مهلهلة وقيادات مذعورة^(١) كما سنرى فى الفصول القادمة .

إن حرب السويس كانت بحق نهاية لعصر وبداية لعصر جديد ليس داخل مصر فحسب بل وفى العالم المحيط بها .

رابعاً : تقييم المفكرين المصريين لحرب السويس :

سوف نأخذ هنا مجرد نماذج لما كتبه علماء وأساتذة تاريخ فى تقييم الحدث ، وبخاصة أولئك الذين عاشوه وكتبوا عنه ومنمحوور آرائهم فى الآتى :

(١) وجهة نظر طه حسين فى حرب السويس :

كان لطه حسين آراء ودراسات هامة فى كافة نواحي الحياة والفكر خلال المرحلة

(١) انظر لواء د . محمود خليل - مصدر سابق - ص ٣٩٣ .

السابقة على ثورة ١٩٥٢م ولكنه بعد الثورة تضاعفت المساحة التي أسهم فيها طه حسين على صعيد الفكر والسياسة ، وعلى الرغم من تضاعفها إلا أنه كان مساهماً في الأزمات بالرأى والرؤية الثاقبة وكانت حرب السويس ١٩٥٦م واحدة من تلك الأزمات التي أدلى فيها طه حسين بالرأى ، ففي كتاب صادر عن هذه الحرب وجدنا هذه الرؤية التي نورد أهم أجزائها :

يقول طه حسين :

الاستقلال لا يستقيم للشعوب ولا يثبت فيها بالكلام مهما يكن بليغاً رائعاً ، وإنما يستقيم ويستقر ويثبت بالقوة التي تؤيده وتسندة وتحوطه وتلذذ عنه وعن الوطن كل من يطمح إلى العبث به أو الإعتداء عليه ، ومن أجل ذلك حدث الثورة في تنظيم الجيش وتقويته والتمست له السلام الذي هو قوام القوة وملاك البأس ، وقد التمست هذا السلاح في الغرب فلم تجد عنده إستجابة لها وإنما وجدت عنده البخل عليها والإشفاق منها والمكر بها والكيد لها والحذر من أن تصبح مصر دولة قوية يكبرها الصديق ويرهبها العدو . فالتمست الثورة ما تحتاج إليه من السلاح حيث استطاعت أن تجده ، وظفرت منه بما أرادت ، وهناك ثارت ثائرة الغرب ، والغرب الأوروبي خاصة ، فأصبح المكر بها والكيد لها ظاهرين لا يستخفى بهما الإنجليز والفرنسيون ، وإنما يجاهرون بهما في غير تحفظ ولا احتياط ، وأمتت مصر قناة السويس غير متجاوزة حقها ولا مخالفة عن القوانين الدولية ولا ظالمة للشركة القديمة التي كانت تستغل القناة ، وهناك صرح الشر ، وهناك إنتهزت الفرص واخترعت إختراعاً ، وأقبل الإنجليز والفرنسيون مجلبين بالقوة والبأس مجاهرين بالبغي والعدوان مخالفين عن أصول الحق والعدل والقانون محتدين على مصر الوادعة الآمنة التي لا تبغى لنفسها ولا لغيرها إلا الحياة الكريمة الرضية في ظل العدل والحق والقانون والأخاء الإنساني العام .

وكان هذا العدوان تمحيصاً للشعب المصرى من جهة . وإمتحاناً للإنسانية المتحضرة من جهة أخرى . فأما الشعب المصرى فقد تكشف عن حقيقته الخالدة وأظهر أنه يعرف النهوض بعبء الحق حين يجد الجد ، ويعرف الجهاد في سبيل الحق حين يدعى إلى هذا الجهاد ، ويتعرض إستقلاله للخطر . وعرف أن كرامة الدنيا والآخرة لا سبيل إليها إلا بالجهاد والصبر والثبات ، وأثبت أنه يؤمن بدينه حق الإيمان ويستجيب لقول الله عز وجل ﴿ أم حسبهم أن تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين ﴾ .

وأما الإنسانية المتحضرة فقد أثبتت شعوبها منفردة ومجموعة في هيئة الأمم المتحدة أن هذه المثل العليا التي تقوم عليها الحضارة من الحق والعدل والإنصاف ليست كلاماً يقال وإنما هي حقائق واقعة لا تتردد الأمم في النود عنها مهما يكن المعتدون عليها .

ونظر الإنجليز والفرنسيون فإذا مصر تلقاهم بشيائها الخالد العظيم وبأيام الأمم المتحضرة كلها . وستثبت الأيام المقبلة أن مصر الثائرة ستقهر هذا الخطب كما قهرت خطوباً غيره من قبل ، وستنتصر على هذا العدوان كما إنتصرت على أمثاله من قبل ، وأن الإنجليز والفرنسيين سيتدون عنها مدحورين خائبين ، وسيقنعون من الغنية بهذا الحزى العظيم الذى سيعودون به إلى بلادهم ، وسيلقون به شعوب الأرض وقد ألقى على وجوههم أغشية من الحجل المذل الذى لا يليق بشعب كريم .

* تلك هى رؤية طه حسين فى العدوان الثلاثى ، أو حرب السويس ١٩٥٦م ، وهى هامة وموحية فى الوقت نفسه .

(٧) رؤية د . محمد أنيس :

يرى د . أنيس بإعتباره مؤرخاً له ثقله وقدره أن عام ١٩٥٦م بدأ ومصر قد حددت بشكل نهائى قاطع واضح سياستها فى الممترك الدولى : تدعيم السياسة الإستقلالية عن الغرب ومحاربة الإستعمار فى كل مكان بصفة عامة وفى المجال العربى بصفة خاصة . ثم خطت مصر خطوة أخرى فى سبيل تدعيم سياستها الإستقلالية فى مؤتمر بربونى فهذه المؤتمر لم يكن أكثر من محاولة لنقل الكثير من مبادئ مؤتمر باندونج من آسيا إلى أوروبا . وكان من الطبعى أن يسلط الغرب كل قوته على مصر بعد هذا المؤتمر وبعد أن وضع للعالم مدى الخطر الذى يتهدد الإستعمار الغربى من جراء السياسة الإستقلالية التى تنتهجها مصر .

ويرى أيضا فى الخطاب الذى ألقاه عبد الناصر فى ٢٦ يولية توضيح كاف لمدى الضغط الغربى الذى كان واقعاً علينا حينئذ . قال : « يريدون (الدول الغربية) منا أن ننفذ السياسة التى تملئ ، ولكن مصر أبت وأرادت إلا أن تكون لها شخصيتها المستقلة . فمنع عنا السلاح وسلحت إسرائيل وأصبحت خطراً يهدد ، وقالت بريطانيا نحن مستعدون لتسليحكم ولكن على شرط أن يسكت عبد الناصر فى باندونج ودعونا ننفذ. خطتنا فى

الأحلاف ، أصبح التسليح إذا أداة لتقييدنا وتقييد حريتنا ولكننا لسنا على استعداد لدفع الثمن من شخصيتنا ومبادئنا وبهذا لم نستطع الحصول على أى شيء من السلاح لا بالثمن ولا مجاناً .

استطعنا بعد ذلك أن نحصل على السلاح من روسيا .. فحصلت ضجة ، ما سببها ؟ قالوا أن لديهم خطة وهى حفظ التوازن بين الدول العربية وإسرائيل ، طيارة للدول العربية كلها وأخرى لإسرائيل لحفظ التوازن . من الذى أقامكم أوصيباء علينا لحفظ التوازن ؟ نحن لا نقبل وصاية أحد ، ولكنه الإحتكار للسلاح الذى كانوا يتحكمون به فينا فلما استطعنا تحطيم هذا الإحتكار إنهارت كل خططهم . لم يستطع الإستعمار التحكم عن طريق منع الأسلحة .

وأرسلت أمريكا مستر ألن منلوبا لها ليحمل رسالة من الحكومة الأمريكية .. قالت الأنباء أنه يحمل تهديدا لمصر وإتصل بى أحد الرسميين الأمريكيين لمقابلتى .. ونصحنى بأن أقبل الرسالة بأعصاب هادئة ، فقلت كيف أقبلها وفيها جرح للكرة المصرية ، فقلت لن يترتب عليها أى أثر عملى فهى مجرد رسالة ، فقلت أنى لست رئيس وزارة محترف ولكنى رئيس وزارة عن طريق ثورة ولن أتردد ، مندوبيكم إذا حضر وتكلم كلمة سأطرده . هذا كلام رسمى سأعلن للشعب أنكم أردتم إهانة عزته وكرامته وسنقاتل جميعاً لآخر قطرة من دمانا وأنى سأقاتل فى سبيل مصر لآخر قطرة من دمي فهددوا بقطع المعونة فقلت سأعلن قطعها ونحن لن نتلقى دورساً فى السياسة .

حدث هذا الضغط وتلك التهديدات فى أكتوبر ١٩٥٥ - والقول للدكتور أنيس - ثم خطت الدول الغربية بعد ذلك خطوة أخرى للضغط على مصر تمثلت فى موقفها من مشروع السد العالى . ذلك أن كلا من إنجلترا والولايات المتحدة والبنك الدولى (وتسيطر عليه أمريكا) كانت قد وافقت على منح مصر مساعدات وقروضا تغطى العملات الأجنبية اللازمة لتمويل المشروع ثم عادت نتيجة لموقف مصر الدولى المستقل وعدائها للإستعمار وحربها لحلف بغداد ، فسحبت العروض التى قدمتها وعلقتها - نفاقا وكذبا - بحل المشاكل المتصلة بمياه النيل ليقعوا بين مصر من ناحية والسودان والحبشة وأوغندة من ناحية أخرى ، كما عمدوا إلى التشكيك فى سلامة الإقتصاد المصرى . وقابلت الحكومة المصرية سلوك الدول الغربية بتأميم شركة قناة السويس . ومع أن تأميم شركة قناة السويس

جاء من ناحية الترتيب الزمني ردا على موقف الدول الغربية من مشروع السد العالي فمن المعتقد أنه كان في أجندة السياسة المصرية منذ وقت غير قصير . ورغم أن هذا التأميم كان حلا لمشكلة تمويل السد العالي وضرورة يحتمها التحرر الإقتصادي وتصفية الإحتكارية الأوروبية في مصر إلا أنه كان من ناحية أخرى بمثابة الجولة الرابعة في النضال بين مصر من ناحية والإستعمار الغربي من ناحية أخرى والإمتحان الثاني لسياستنا المستقلة .

ويرى د . أنيس من موقف إنجلترا وفرنسا إزاء مشكلة قناة السويس إنبعثت رائحة البارود . فرغم أن تأميم هذه الشركة من صميم أعمال السيادة المصرية إلا أن خطة إنجلترا وفرنسا كانت تهدف إلى أن تخلق منه أزمة سياسية مفتعلة ففاجأت الأوليان العالم بالتهديد باستخدام القوة والتعبئة على نطاق واسع وتحرك قواتهما المسلحة وإتخاذ خطوات إقتصادية معادية ضد مصر ثم تدبير خطة تهدف إلى إيقاف الملاحة في القنال بتحريض المرشدين الأجانب وغيرهم من الموظفين في شركة القنال على الإستقالة بالجملة دون إخطار كاف للسلطات المصرية حتى إذا ما تعطلت الملاحة عمدت الدولتان إلى التدخل المسلح بحجة فتح القناة وحماية المصالح البريطانية والفرنسية المعطلة . أخفقت المؤامرة البريطانية الفرنسية وإستمرت الملاحة على حالتها الطبيعية في القنال . ولكن أزمة القنال كانت من المشاكل التاريخية النادرة التي كشفت عن عمق التناقض داخل معسكر الدول الغربية الثلاث ، بين الولايات المتحدة من ناحية وإنجلترا وفرنسا من ناحية أخرى وهو تناقض في أهدع حدوده خلاف حول الشكل أو الطريقة لا الجوهر لأن الولايات المتحدة تتحمل مسئولية متساوية فيما تطورت إليه أزمة الشرق الأوسط - وهو خلاف في مدلوله رغبة الولايات المتحدة في أن تحتل مكان الدولتين الإستعمارييتين في الشرق الأوسط تماما كما فعلت في الهند الصينية . فالولايات المتحدة أبان أزمة القناة ورغم إشتراكها مع إنجلترا وفرنسا في كل الخطوات التي إتخذت ضد مصر كتجميد رؤوس الأموال المصرية في البلاد الغربية الثلاث ومحاولة تدويل إدارة القناة والضغط في مجلس الأمن ، كانت تعارض في استخدام القوة ضد مصر ، وهذه المعارضة وهذا التناقض بصفة عامة بين الولايات المتحدة من ناحية وإنجلترا وفرنسا من ناحية أخرى وهو الذي دفع هاتين الدولتين إلى الإنفراد بالعمل المسلح ضد مصر وتدبير المؤامرة الثلاثية بالإشتراك مع إسرائيل . والحق أن موقف الولايات المتحدة غير المشجع من هذه المؤامرة كان من العوامل العامة في إخفاقها .

وبعد - فمن الواضح أن المؤامرة الثلاثية لم تكن تهدف فقط إلى تدويل القناة بالقوة ولا إلى تحطيم قوة مصر العسكرية بل كانت موجهة إلى إتهام مصر السياسي الذي سارت فيه منذ مؤتمر بالهونج ذلك الاتجاه القائم على إستقلالها الدبلوماسي في المجال الدولي ومحاربة الإستعمار في قوى الشعوب في العالم وبالذات في الشرق العربي . هذه هي الحقيقة الأساسية التي يجب أن نبدأ بها عند كل تقدير للموقف اليوم فلن كانت إنجلترا وفرنسا قد أخفقتا إخفاقاً نزيهاً في إجبار مصر على تغير موقفها السياسي الدول المستقل بالقوة وإذا كانت الولايات المتحدة بموقفها السلبى من حلفائها قد ساعدت على إخفاق خطة هاتين الدولتين فليس معنى هذا إطلاقاً أن الولايات المتحدة لن تتخذ من جانبها كل ما وسعها بالطرق الدبلوماسية وأنواع الإغراء والضغط لإجبار مصر على أن تغير موقفها الإستقلالى المتحرر . فالتقدير السليم للخلاف بين الولايات المتحدة وإنجلترا وفرنسا أنه خلاف حول الشكل أو الطريقة لا الجوهر أو المضمون ، وهذه بالضبط هي معركتنا في المرحلة القادمة معركة المحافظة على إتجاهنا السياسي المتحرر ضد ضغط الدبلوماسية الغربية .

ومن وجهة نظر د . أنيس أنه من التقدير السليم أيضاً أن نقول أن السياسة الإستقلالية التي سارت عليها مصر هي بعينها التي أنقذتها من المؤامرة العسكرية الثلاثية بل أنقذت العالم كله من حرب عالمية ثالثة . ففى حصر القوى المتحالفة معنا إبان هذه المعركة يجب أن لا ننسى أبداً دور القومية العربية والشعوب الآسيوية الأفريقية والدول الإسلامية الكبرى والرأى العام العالمى .

فالأوقع أن الضمير الإنسانى لم يهتز كما إهتز لمصر في أزمتها الأخيرة ، ولم يكن الرأى العالمى إيجابياً في نصرة الحق كما كان في قضيتنا والمعسكر الشرقى لم يكن حاسماً في ردع إنجلترا وفرنسا كما كان في أزمة الشرق الأوسط والولايات المتحدة لم تقف موقفاً يهدد التحالف الغربى بالإنبهار كما فعلت في موقفها من الأزمة المصرية ولم يهدد الكومنولث البريطانى بمخطر التفكك كما هدد اليوم .. كل هذا بسبب إتجاهنا السياسى المستقل وهو إتجاه ينبع من المصالح الحقيقية للشعب المصرى . فنحن نعادى الأحلاف الإستعمارية عامة لأنها موجهة ضد إستقلالنا وضد حرية الشعوب قبل أن تكون ضد الدول الشرقية . ونحن نعادى حلف بغداد بالذات لأنه يجبر شعوب الشرق الأوسط ومنها شعب مصر إلى عجلة الإستعمار بكل ما فيه من تخريب لمصالح هذه الشعوب الإقتصادية وإعتداء على سيادتها . ونحن نرحب بالسلام العالمى ، على أساس إندحار الإستعمار ، لأن السلام العالمى يمنع الشعوب بما في ذلك شعب

مصر فرصة للبناء الداخلى .

وأخيراً يؤكد د . أنيس فى رؤيته التقييمية لحرب ١٩٥٦م أن اتجاه مصر السياسى المستقل منبعث تماماً من صميم مصالحنا الذاتية وإن كان يتربط أشد الإرتباط بمصالح الشعوب عامة والشعوب العربية خاصة .

لقد أخفقت المؤامرة الثلاثية على مصر ، لا جدال فى هذا . وبقيت معركة الضغط السياسى علينا للحيلولة بيننا وبين السير قدما فى إتجاهنا السياسى المستقل .

(٣) رؤية الإسلاميين الأصوليين :

لكى تكتمل الصورة التقييمية لحرب السويس ، كان لابد من تقصى رؤية الإسلاميين الأصوليين ، وبخاصة العلماء والباحثين الجادين منهم ، ونحن نورد هنا - مع تسجيل اختلافنا فى العديد من النقاط معهم - رأى أسامة حميد ، أحد أبرز الباحثين الإسلاميين المنتمين لتنظيم الجهاد الإسلامى فى مصر ، والذي يرى أن مهمة عبد الناصر خلال الفترة من ١٩٥٤م - ١٩٥٧م أى شاملة حرب السويس كانت هى تصفية القضايا الوطنية . ولنتناول بإيجاز رؤيته ودون تحريف .

بداية يقول أسامة حميد فى بحثه فى تاريخ مصر فى الحقبة العلمانية - مصدر سابق ص ٧٨ - لكى يمكن أن نحكم حكما صحيحاً على موقف العسكريين من القضايا الوطنية يجب أن ننظر إلى :

١ - تركيبتهم الفكرية والنفسية ومفهومهم للإنتماء وأثر ذلك على موقفهم من القضايا الوطنية .

٢ - تناقضات القوى العظمى فى ذلك الوقت ومدى تعويل العسكريين عليها .

بالنسبة للنقطة الأولى :

يمكننا أن نقسم العسكريين إجمالاً إلى :

* إسلاميون (سياسيون وليسوا أصوليين) : كمال الدين حسين - حسين الشافعى (رغم جرائمه فى حق الإخوان) - وهؤلاء كان عداؤهم للغرب واليهود من منطلق عقائدى - فمثلاً بمجرد أن نشبت حرب فلسطين - سارع كمال الدين حسين بالتطوع أما عبد الناصر

فقد أجل موضوع التطوع حتى يدرس الأمر على مستوى الدولة كلها حسبما يذكر حمروش .

* يساريون ، وهؤلاء - على قلتهم - لم يعادوا الصهيونية من الأصل - وبالطبع لم يكونوا معادين لأمريكا - بل أن الذى حذف كلمة « الأمريكى » من عبارة الإستعمار الأنجلو أمريكى فى منشورات الضباط الأحرار لم يكن سوى خالد محيى الدين (حسبما شهد لحمروش) .

* وطنيون (ومنهم كثير من المتطرفين فى وطنيتهم) مثل عبد الناصر - صلاح سالم وجمال سالم - بغدادى - السادات وعموما كان هذا الجناح يشكل أغلبية الضباط الأحرار - وهؤلاء لم يكونوا يحملون أية عقيدة - ويمثل أفكارهم أصدق تمثيل ما أورده عبد الناصر فى « فلسفة الثورة » حيث أوضح أن فهمه لقضية فلسطين مر بمرحلتين : ١ - كان يشترك فى الإضرابات إحتجاجاً على وعد بلفور - ولكن كان ذلك مجرد « صدى للعاطفة » .

١ - ثم بدأ « الفهم يتضح عندما بدأ يدرس وهو طالب بكلية أركان الحرب حملة فلسطين ومشاكل البحر المتوسط بالتفصيل » أ « ولما بدأت أزمة فلسطين كنت مقتنعاً فى أعماق بأن القتال فى فلسطين ليس قتالاً فى أرض غريبة (وكأن هذه البديهية محل شك) وهو ليس إنسياق وراء عاطفة وإنما هو واجب يحتمله الدفاع عن النفس .
(فإن هذا الفهم بمركات فلاح مصرى بسيط مثلاً) .

ويحرص عبد الناصر على التأكيد فى فلسفة الثورة « وليس صحيحاً أن ثورة ٢٣ يوليو قامت بسبب النتائج التى أسفرت عنها حرب فلسطين وهو لا يحس بالإنتاء لفلسطين كان رصاصنا يتجه إلى العدو الراضى أماناً فى خنادقه - ولكن قلوبنا كانت نحوم حول وطننا البعيد الذى تركناه للذئاب .

- كنا نحارب فى فلسطين ولكن أحلامنا كلها كانت فى مصر - بل أن عبد الناصر قد وصل به الأمر إلى أنه أعلن صراحة رفضه لحرب فلسطين (مذكراته بمجلة المصور أواخر ١٩٥٢م التى تساءل فيها لحساب من تدور تلك الحرب) - ومن المثير للسخرية أن عبد الناصر أورد فى فلسفة الثورة قصة لقاءه بضابط إسرائيل وطلبه الإستفادة بخبرات اليهود فى معاربة

وإذا كان هذا هو موقف معظم العسكريين من إسرائيل - والقول لأسامة حميد - فلن نستغرب بعد ذلك من موقفهم من أمريكا - يقول السادات (البحث عن الذات) كانت صورة أمريكا في أذهاننا مقترنة بمناصرة حركات التحرر ويقول هيكل (في كتابه عبد الناصر والعالم) كانت الولايات المتحدة تحيط بها كل معاني النجاح والفتنة - براءة متسامية على الفشل الذريع الذى منى به الإستعماريون القدامى وكان الناس متجاوبين مع فكرة قيام الأمريكيين بدور رئيسى فى الشرق الأوسط ومستعدين لقبولها^(١) .

بل إن المرء ليشك فى أن العسكريين كانوا يعادون بريطانيا بحق - فقد كان تمثال أحمد ماهر قائماً أمام مجلس قيادة الثورة فى الجزيرة ولم يستر هذا مشاعرهم وما زال التمثال قائماً إلى اليوم .

نخلص من ذلك إلى أن العسكريين :

- لم يكن لهم إلتناء أوسع من الإلتناء لمصر (حيث تم تقنين هذا الإلتناء فى دستور ١٩٥٣ م) .
- لم يحملوا عقيدة معادية للأعداء التاريخيين والحضاريين للأمة .

ويرى إسامة حميد أيضاً :

ولذلك - فعندما سعوا لتحقيق العدالة الإجتماعية - لم يكن تعنيهم تصفية القضايا الوطنية التي لم يجرؤ حزب الوفد نفسه على المخاطرة بتصفيها محافظة على ما قد يكون قد تبقى له من رصيد - وقد كان شعور العسكريين بعدم الإلتناء للعرب أو للإسلام مما سهل فى تصفية القضايا الوطنية .

(١) قارن ذلك بسلسلة المقالات التى كتبها سيد قطب بمجلة الرسالة ١٩٥١ بعنوان « أمريكا التى رأيت » وفيها وصف أمريكا بأنها « لا تساوى شيئاً فى ميزان القيم الإنسانية » (والقول للإسلاميين الراديكاليين) .

ولكن الأمور لم تسر كما خططوا لها - فيقول عبد الناصر : فوجئنا بغارة إسرائيلية على مدينة غزة^(١) . (١٩٥٥م) وتوالت الغارات اليهودية على غزة وسيناء بعد ذلك (خاصة غارة مايو ١٩٥٥م) - والغارة على خان يونس في أغسطس ١٩٥٥م واحتلال اليهود للعوجة في سبتمبر وغارتهم على الكونتلا في أكتوبر وعلى الصبحة في نوفمبر ١٩٥٥م) - وقد أدى ذلك إلى إحماس التأيد من خلال إنتهاء أوسع - وكان الإنتهاء العربى الذى قننه دستور ١٩٥٦م .

وبسبب تركيبتهم النفسية المستهتره (التى تبدو بوضوح فى وثائق تلك الفترة) - إضافة إلى عدم معادتهم للغرب - بسبب ذلك لم يتصور العسكريون أن يعادوا الغرب - وحسب مذكرات البغدادى (ج ١ ص ٣٤٥) فقد إنقسم أعضاء مجلس القيادة آزاء العنوان الثلاثى إلى :

- صلاح سالم : إقترح التسليم للسفارة البريطانية^(٢) .
- على صبرى^(٣) (مدير مكتب عبد الناصر) أقترح قبول الإنذار الإنجليزى والتسليم للسفارة البريطانية .

- عبد الحكيم عامر (قائد الجيش) أقترح طلب وقف إطلاق النار تفاديا لتدمير البلاد وقتل المدنيين ولأن الشعب سيكره النظام والقائمين عليه .

- عبد الناصر : قرر الإنتحار وطلب من زكريا محيى الدين إحضار سيانور بوتاسيوم يكفى

(١) فى خطاب أول مايو الشهير (١٩٧٠) قال عبد الناصر : « بعد قيام الثورة كنا قد جمدنا اعتمادات القوات المسلحة وكان معنا بعد قيام الثورة أن نبني بلدنا وأن نحولها إلى دولة متقدمة فى الصناعة وفى الزراعة - كنا نريد أن نكرس كل شيء من أجل البناء - ولكن فجأة فى سنة ١٩٥٥ فوجئنا بغارة إسرائيلية على مدينة غزة » . لقد قتل فى غارة وحدها ٣٩ شخصاً وجرح العشرات .

(٢) راجع أيضاً شهادة مماثلة لمديلا مكتب عبد الناصر (الجيار) فى روز اليوسف عددى ١٢ يناير ، ١٥ مارس ١٩٧٦ .

(٣) راجع شهادة الجيار فى نفس العددين السابقين من روز اليوسف : لم يكن على صبرى من الضباط الأحرار لكنهم احتاجوه ليلة الانقلاب ليتصل بالسفارة الأمريكية وبعد ذلك عينه عبد الناصر مديراً لمكتبه ثم صار وزير شئون رئاسة الجمهورية ثم صار رئيساً للوزارة !!

لإنتحار كل مجلس القيادة .

- بعض الضباط أرادوا الإستمرار في القتال لأن دواعي الشرق تستدعي منا الإستمرار في القتال .

كل هذا بينا الشعب « يستهتر بالغارات الجوية وكانت معنوياته مرتفعة » حسب بغدادى .
وياله من موقف مثير للسخرية عندما كانت أولى مهام بغدادى بعد خروج قوات العدوان من بور سعيد أن يسحب السلاح الذى استولت عليه الجماهير لتحارب - بل الأكثر إثارة للسخرية أن واحد من جماهير بور سعيد قال له « خلى السلاح معانا يا بيه يمكن يجوا الإنجليز تانى نبقى ندافع بيه عنكم » !!

وفي موضع آخر من بحثه :

كانت الصراعات بين القوى العظمى في ذلك الوقت مرتبطة بما أسفرت عنه الحرب العالمية الثانية ، أى صعود أمريكا وروسيا وأقول نجم فرنسا وبريطانيا وكانت الأخيرتان ما زالتا متشبثتين بنفوذهما في الشرق الأوسط وكانت أمريكا تريد طردهما نهائياً - وقد راهن العسكريون دائماً على الدور الأمريكى باعتبار أمريكا هى الجواد الرابع ولذلك كانت سلوكياتهم لا تتعارض في أى جزئية مع أهداف أمريكا حسبما سيتضح بإذن الله - ولما كانت الناس مفعمة بالكراهية لقوى الإستعمار القديمة فقد إستغل العسكريون تلك الفرصة لتصعيد الحملة الإعلامية ضد بريطانيا وفرنسا .

لقد سعت أمريكا إلى تحقيق (الإستقرار) للنظام الجديد في مصر .

وفي هذا الإطار ووفقاً لرؤية أسامة حميد :

١ - ضغطت على بريطانيا في موضوع الجلاء (لدرجة أن مفاوضات الجلاء لم تستغرق إلا أسبوعين) .

وهذا دليل على أن نقاط الخلاف قد سويت قبل الجلسات وكان ذلك بوساطة أمريكا كما يقول حمروش (ج ٢ ص ٣٤) .

٢ - في اليوم التالى لعدوان إسرائيل - أى في ٣٠ أكتوبر ١٩٥٦م - قدمت أمريكا إلى مجلس الأمن مشروع قرار يدين إسرائيل ويدعو إلى إنسحابها ! ودعا كميل شمعون (أكبر

عميل أمريكي في المنطقة) في ١٠/٣١ إلى مؤتمر قمة عربى لإنقاذ عبد الناصر وعقد المؤتمر في بيروت في ١١/١٣ .

٣ - في هذا الإطار أيضا يمكننا أن نفهم مدى قيمة المخاطرة في عمل مثل تأميم القناة ودعم ثورة الجزائر^(١) .

وبسبب الرهان على أمريكا - لم يكن العسكريون يتصورون معنى الحياء - وعندما طرح الهضبي الفكرة إستكرها العسكريون واستغربوا^(٢) - وفي خطب عبد الناصر عن صفقة الأسلحة التشيكية أورد الشيء الكثير عن إلحاحاته على أمريكا وإخطاره للسفير الأمريكى بأن روسيا مستعدة لمصر بالسلاح - حتى ألجئوه أخيراً إلى روسيا .

إن أهداف أمريكا في مصر (منذ ١٩٥٠ م) كانت قد تحدت في :

- تصفية القضية الفلسطينية .
- فصل السودان عن مصر .
- إخراج الإنجليز من القناة .
- مقاومة الشيوعية (طالما أن هناك من يستطيع تأدية دورها دون أن يكون شيوعياً) .
- وبصرف بالنظر عن وجود تواطؤ بين العسكريين وأمريكا أم كان مجرد توافق - فإن الأهداف الأمريكية الأربعة هذه قد تم تنفيذها في زمن قياسي جداً (١٩٥٤ م - ١٩٥٧ م) وذلك وفقاً للرؤية الأصوليين الإسلاميين الذين يمثلهم أسامة حميد .

(١) لا يعنى ذلك التقليل من قيمة هذا العمل - وفي الحقيقة - فإن عبد الناصر بما ارتكبه من جبال من الجرائم كانت له حستان : دعم ثورة الجزائر - التأمينات .

(٢) راجع تفاصيل ذلك في : عبد العظيم رمضان : عبد الناصر وأزمة مارس - مدبولي - ١٩٧٥ .

ملحق الفصل الخامس (حرب السويس ١٩٥٦م فى مدركات عبد الناصر)

سنة ١٩٥٦م دخلنا معارك أيضا من أجل البناء ، من أجل التصنيع ، من أجل التنمية ، التنمية معناها ، رفع مستوى المعيشة لكل فرد من أبناء هذه الأمة وعلى هذا الأساس واجهنا مناورات . إيدن قال فى مذكراته ولو أنهم وعدونا بأنهم سيمولون السد العالى ولكنه لم يكن ينوى بأى حال من الأحوال أن يشترك فى التمويل ، أممنا قناة السويس .. أدينا الحق المفتصب لأصحابه .

(العيد العاشر للثورة ٢٣ يوليو ١٩٦٣م)

قدم لنا مشروع السد العالى فى ١٩٥٢م ووضعناه موضع الدراسة وقابلنا عقبة التمويل وتبين أن المشروع صالح وينتهى بعد عشرة سنوات . وإتصلنا بالبنك الدولى وطلبنا منه ، ونحن المشتركين فيه ، المساهمة فى التمويل . وقال إن فيه عقبات فهناك الإنجليز وإسرائيل فعندما تنهون خلافكم معهما نستطيع تمويل المشروع ، وليس عندكم نظام برلمانى فطلب منكم عمل إستفتاء على هذا المشروع .

بعد مفاوضات من أجل السد العالى سحبوا تمويل السد العالى وردينا عليهم بعد ٣ أيام من سحب تمويل السد العالى أو أربعة .

(خطاب ١٠/٣/١٩٦٥م)

ثم بعد هذا حينما أجمعنا على بناء السد العالى لم نتردد فى تأميم قناة السويس لنسترد أموالنا ونبنى السد العالى .. والسد العالى الذى يزيد الأرض الزراعية فى بلدنا بمقدار الثلث .. السد العالى الذى أراد له الإستعمار ألا يظهر إلى الوجود .. أنه اليوم حقيقة واقعة .
(عيد الثورة الثالث عشر ٢٦ يوليو ١٩٦٥م)

معركة السد العالى كانت معركة كل واحد فيكم بل كل واحد عربى من أبناء الأمة العربية كان يعتبر معركة السد العالى معركة العزة .. معركة الكرامة لما سحب تمويل السد العالى أعتقدوا أن سحب التمويل أن السد العالى لن يبنى . إن إحنا حانركم على رجلينا ونستجدى ونشحت علشان يبنوا السد العالى ، إحنا شعب عمره ما ركع على رجلية ولا استجدى ولا شحت .

السد العالي علشان بيني خضنا معارك .. تأميم قناة .. التهديد .. الحصار الإقتصادي ،
تجميد أموالنا .. العدوان الثلاثي .. الحرب النفسية ... المؤامرات ..
(مؤتمر الاتحاد الاشتراكي ١٩٦٥/٣/٨ م)

* معركة تأميم قناة السويس :

أنا لن نكرر الماضي .. منقضى على الماضي بأن نستعيد حقوقنا من قناة السويس ، هذه
الأموال أموالنا .. وهذه القناة ملك لمصر لأنها شركة مساهمة مصرية . ولهذا فقد وقعت
اليوم ووافقت الحكومة على القانون الآتي :

باسم الأمة .. رئيس الجمهورية .. مادة واحد : تؤمم الشركة العالمية لقناة السويس
البحرية شركة مساهمة مصرية ..

(خطاب الأسكندرية ١٩٥٦/٧/٢٦ م)

لقد قوبل تأميم القناة بثورة عارمة وحرب أعصاب وتهديد ووعد وكان الهدف هو
أنتم لم يكن الهدف هو جمال عبد الناصر .. لأن عبد الناصر وحده لا يمثل شعبنا ..
ولكن الهدف هو شعب مصر الذى سار فى طريق الحرية سار فى هذا الطريق بيني وينادى
بالحرية .

* هزيمة العدوان الثلاثي :

السلح الأخير وكلنا نعرفه ، هو إسرائيل عميلة الإستعمار ، حينما أراد أن يهاجم مصر
إعتمد أولاً على إسرائيل عميلته ، وحينما أقام الإستعمار لإسرائيل بين البلاد العربية وبين
العرب كان يريد أن يجعل من إسرائيل رأس جسر له لتحقيق أهدافه بالقضاء على القومية
العربية ، وبالتفرقة بين العرب وبتفكيك وحدة العرب وتخطيطهم .. اتبع الإستعمار كل هذه
الوسائل وكان لابد لأستمرار المعركة مع الإستعمار وكما قلت لكم إننا حاربنا الإستعمار
أولاً لكي نخرجه من بلادنا ، واستمرت الحرب خارج بلادنا حتى لا يتمكن الاستعمار
من أن يعود إلينا تحت أى إسم من الأسماء كمناطق النفوذ والسيطرة المقنعة . أو أعوان
الإستعمار . أو أى أسلوب من الأساليب .

(المؤتمر العاوى ١٩٥٧/١٢/٥ م)

حينما أممنا قناة السويس ، كنت أعلم أن تأميم القناة يدخلنا فى حرب مع بريطانيا وفرنسا ، ولكن كان علينا أن نستخلص حقنا المقتصب وكنا نعتقد أننا قد نتعرض للعدوان ورغم هذا كنت على ثقة من أن هذا الشعب سيقاىل فى سبيل الحرية والكرامة وفى سبيل المبادئ التى آمن بها .. والشعب لم يتوان ولم يتأخر .. حينما واجهنا الإنذار البريطانى والفرنسى بأنهم يطلبوا تسليم بور سعيد والإسماعيلية والسويس فى ١٢ ساعة فمستندخلوا فى الحرب إالى كانت بقالها ٢٤ ساعة ما بيننا وبين إسرائيل .. رفضنا هذا الإنذار .. بعد كده بدأ العدوان علينا فى اليوم التالى ، وكنا نواجه معركة مع إسرائيل ، وفى نفس الوقت فى إنتظار عدوان .. أما فى بور سعيد أو فى الأسكندرية أو عن طريق ليبيا لأن القوات البريطانية موجودة فى ليبيا ولم نشعر أبداً بأننا قد نخسر هذه المعركة أمام دولتين من الدول الكبرى وهى فرنسا وبريطانيا ومعهما إسرائيل .

(خطاب فى ١٠/٣/١٩٦٥م)

* إنتصارات الشعب .. من معركة ١٩٥٦م :

لما هزمنا العدوان الثلاثى بعد ما أممنا القناة ، زادت آمالنا ، وزادت أماننا وإتسعت ، وقلنا إن إحنا حددنا الملكية وقضينا على الإقطاع وإن إحنا تخلصنا من الملكية المتآمرة مع الإستعمار وتخلصنا من الرجعية . وكان لابد أن نسترد كل المصالح الإقتصادية الأجنبية .

(مؤتمر الإتحاد الإشتراكى مارس ١٩٦٥م)

فى أول سنة ١٩٥٧م وجدنا أو بالأحرى أممنا المصالح الأجنبية كلها الإقتصادية .. ابتدئنا بالإنجليزية والفرنسية وكانت تمثل الجزء الأكبر ، ثم بعد هذا البلجيكية ده قبل قرارات يوليو سنة ١٩٦١م . رغم هذا ورغم الحصار الإقتصادى ورغم الحصار إالى عمل علينا مافدرناس نجيب قمح .. مافدرناش نجيب أدوية .. إستطعنا إن أحنا نعيش ونطلع من المعركة منتصرين .

من المعركة وفى بور سعيد ، ومن قلب النار .. خرجت قرارات التمسير الإقتصادى لأصحاب البلد الحقيقية .. قوى الشعب العاملة ، التى خرجوا يدافعوا عن الثورة ، التى خرجوا يدافعوا عن البلد بأرواحهم ..

ومن المعركة فى بور سعيد ، ومن قلب النار ، خرجت الخطة الشاملة لمضاعفة الدخول القومى فى عشر سنوات تحقيقا للكفاية والعدل ..

ومن المعركة فى بور سعيد سنة ١٩٥٦م ، ومن قلب النار ، خرجت قوانين يوليو الاشتراكية التى أعلنت فى سنة ١٩٦١م ...

ومن المعركة فى بور سعيد ، ومن قلب النار ، استلهم الميثاق واهم فصول الميثاق وإحكام الميثاق ليكون منهجاً للعمل الثورى الكامل فى سعيه لأهدافه الشاملة ، ومن أجل الشعب العامل ومن أجل قوى الشعب العاملة ...

من المعركة فى بور سعيد ، ومن قلب النار .. لاحت مقدمات معارك المستقبل .
(عيد النصر فى ٢٣ ديسمبر ١٩٦٢م)

كانت الهزيمة التى لاقاها الأعداء ، واللى لاقاها العدوان ، لم تكن بأى حال من الأحوال ، نهاية المعارك ، ولكنها كانت تدل على أن هناك مقدمات لمعارك المستقبل تعيش فيها .

(عيد النصر فى ٢٣ ديسمبر ١٩٦٢)

كان العدوان قد اندحرت قواته العسكرية عن مصر ، يجرب بكل طاقاته ، محاولة تحقيق أهدافه عن طريق غير طريق القوة العسكرية .. كانت الحرب الاقتصادية على مصر تحاول أن تحقق بالتجويع ما فشلت فى تحقيقه بضرب القنابل .. وكانت الحرب النفسية مع حرب التجويع تتجه إلينا تحاول أن تزرع الشك على أراضينا المؤمنة .. وتنشر رياح السموم فى أجوائها الطاهرة .

(إنفتاح مجلس الأمة ٢٠/٧/١٩٦٠م)

الفصل السادس
عبد الناصر وأعلام الوحدة العربية



عبد الناصر : وأحلام الوحدة العربية

إذا جاء الحديث ، اليوم ، أو غداً ، عن الوحدة العربية فى أى مجلس فكرى أو ثقافى أو سياسى ، جاء بالضرورة ، الحديث عن (عبد الناصر) وذلك لأنه .إرتبط منذ العام ١٩٥٣م (عام كتابة عبد الناصر لفلسفة الثورة وبدء إدراكه للدائرة العربية فى الإنتماء) ، فى أذهان العامة والخاصة (بإنشاء جزء منهم بالطبع) بمسألة الوحدة العربية والتي ظلت هاجساً دائماً يحرك خيالة السياسى ، وسياساته وقراراته ومواقفه .

* من هنا ، وفى إيجاز شديد سوف نفرد هذا الفصل للحديث عن أحلام الوحدة العربية (إنها أحلام لأنها لم تتحقق على أرض الواقع طيلة العهد الناصرى إلا فى الوحدة مع سوريا والتي سرعان ما أجهضت) . وعن عبد الناصر وأحلام الوحدة العربية نمحور الحديث فى العناصر التالية :

أولاً : قراءات عبد الناصر قبل ١٩٥٢م وأثرها على وعيه القومى .

ثانياً : تطور الفكرة العربية فى مصر خلال العهد الناصرى (الواقع) .

ثالثاً : مدركات عبد الناصر لمسألة الوحدة (الحلم) .

رابعاً : رؤية الإسلاميين الأصوليين لمسألة الوحدة عند عبد الناصر .

وبتفصيل ما سبق يستبين الآتى :

أولاً : قراءات عبد الناصر قبل ١٩٥٢م وأثرها فى وعيه القومى :

إن المعلومات الوحيدة المتوفرة حول قراءات ، عبد الناصر قبل ١٩٥٢ هى المعلومات التى جمعها الكاتب السويسرى - الفرنسى ج . فوشيه وهى تحتوى على الكتب التى قرأها عبد الناصر عندما كان تلميذاً فى ثانوية النهضة فى القاهرة عامى ١٩٣٥م و ١٩٣٦م ، وعلى الكتب التى إستعارها من مكتبة الكلية العسكرية حين كان يدرس فيها عامى ١٩٣٧م و ١٩٣٨م ، وفيما بعد عندما إختير ليعلم فيها من ١٩٤٣م إلى ١٩٥٢م ، والجدير بالذكر هو أن هذه الجردة لقراءات عبد الناصر التى قام بها فوشيه لا تعطى أية معلومات عن قراءات عبد الناصر بين ١٩٣٨م و ١٩٤٣م وهى الفترة التى أمضى خلالها خدمة عسكرية لمدة ٣ سنوات فى السودان . كما أنها لا تلتفت إلى قراءاته خارج المدرسة والكلية العسكرية والتي تشمل الكتب والمجلات والجرائد العربية التى حصل عليها من خارج مكتبتى



في حلب . حين خرجت كلها تستقبل الرئيس .. ودوت هتافات و سمع العالم كله ، ولم يستطع البطل
التهيد أن يرى كل الجموع المتراصة ، فأخذ الوضع ليلقي نظرة شاملة على الميدان الذي غص بالحماهير
الفقيرة

المدرسة الثانوية والكلية الحربية . ولقد إهتدى الكثيرون من الكتاب والباحثين بقائمة فوشيه لقراءات عبد الناصر وعلقوا عليها . ولن نعود إليها نحن في بحثنا إلا للتساؤل عما إذا كانت تلك القراءات في هذه الفترة تلقى ضوءاً إضافياً على نوعية إهتمام عبد الناصر بمصر والمنطقة العربية ؟ .

والسؤال لمارلين قصر والتي تجيب : يؤكد عبد الناصر بنفسه أثر تلك القراءات في وعيه القومي فيقول : « ثم بدأ نوع من الفهم يخالغ تفكيرى حول هذا الموضوع (الوعى العربى) لما أصبحت طالبا فى الكلية الحربية أدرس تاريخ حملات فلسطين بصفة خاصة وأدرس بصفة عامة تاريخ المنطقة وظروفها التى جعلت منها فى القرن الأخير فريسة سهلة (...) ثم بدأ الفهم يتضح وتكشف الأعمدة التى تتركز عليها حقائقه لما بدأت أدرس وأنا طالب فى كلية أركان الحرب حملة فلسطين ومشاكل البحر المتوسط بالتفصيل .

نقدم فيما يلى تصنيفاً لقراءات عبد الناصر المعروفة فى مدرسة النهضة وفى الكلية الحربية وهى :

١ - دراسات دينية :

وقرأ فيها لكل من مصطفى كامل وأحمد أمين ، والأفغانى ومحمد عبده وعلى الغاياتى .

٢ - دراسات تاريخية :

يقرأ فيها لعبد الرحمن الراغى : تاريخ الثورة المصرية ٣ أجزاء .

٣ - دراسات إستراتيجية :

المنشورات البريطانية حول الإستراتيجية العسكرية فضلا عن ١٦ مؤلفاً أجنبياً أوردتهم فوشيه فى بحثه .

٤ - دراسات سياسية :

وقرأ فيها كتاب المعجزة اليابانية ٣ أجزاء - مجلة تايمز والكواكبي : طبائع الإستبداد - أم القرى - ولشكيب أرسلان مقالاته حول الشرق نشرت فى الأخبار واللواء .

٥ - دراسات عن السير والشخصيات التاريخية :

يقرأ فيها عبد الناصر عن حياة روسوفولتير وبوناپرت (٤ أجز -) وبسمارك وفوش ، وغاريلى - غوردن - مارلبورو - تشرشل - هندنبرغ - وسيرة حياة مصطفى كامل ،

هذا فضلاً عن سير أخرى مكتوبة باللغة الإنجليزية .

٦ - دراسات أدبية :

وفيها قرأ لتوفيق الحكيم : عودة الروح وأهل الكهف ، وقرأ شعر أحمد شوقي وحافظ إبراهيم فضلاً عن دراسات أدبية أخرى لكتاب وأدباء إنجليز .

إن جزئية هذه القائمة ، كونها لا تحصى إلا قراءات عبد الناصر المسجلة في مكتبتي المدرسة الثانوية والكلية الحربية ، لا تسمح لنا إلا بإبداء بعض الملاحظات الأولية حول التأثيرات الفكرية الناتجة عن قراءاته :

أولاً : لا شك أنه يمكن الإعتبار أن عبد الناصر كون لنفسه ، من خلال قراءاته ، ركيزة ثقافية وعلمية متينة في الفترة الممتدة بين ١٩٣٦م و ١٩٤٦م ، ذلك أن هذه القائمة على جزئيتها ، تحصى حوالى ٧٥ كتاباً ذى قيمة علمية أطلع عليها ، مما يدحض بشكل قاطع مزاعم بعض المستشرقين أمثال فاتيكويتيس الذين صوروه كقائد « عديم الثقافة » .

تتوزع قراءات عبد الناصر المعروفة في تلك الفترة بشكل متساوٍ بين مواضيع متعلقة بمصر ومواضيع متعلقة بالعالم الخارجى .

أما عن الشخصيات التاريخية التي أثارت إهتمام عبد الناصر فالملاحظ كما سبق وأشرنا أن قائمة . فوشيه بقراءات عبد الناصر المعروفة قبل ١٩٥٢م ، تشير إلى أن عبد الناصر إهتم كثيراً بمعرفة سير حياة الشخصيات التاريخية الكبيرة ، ولا سيما تلك الشخصيات التي كان لها دور كبير فى بناء وحدة ومجد أممهم ، أمثال بسمارك وفاريب الذى ، ومصطفى كمال أتاتورك الذين كافحوا : أولهم من أجل الوحدة الألمانية ، وثانيهم من أجل الوحدة الإيطالية والثالث من أجل تكوين الأمة التركية الحديثة . وعلى المستوى المصرى الداخلى أهتم عبد الناصر بمعرفة سيرة حياة الشخصيات التاريخية الكبيرة ، ولا سيما تلك الشخصيات التي كان لها دور كبير فى بناء وحدة ومجد أممهم ، أمثال بسمارك وفاريب الذى ، ومصطفى كمال أتاتورك الذين كافحوا وعلى المستوى المصرى الداخلى اهتم عبد الناصر بمعرفة سيرة حياة مصطفى كامل الذى ناضل من أجل استقلال مصر ووحدتها الوطنية .

وأطلع عبد الناصر فى الميدان العسكرى والإستراتيجى على فكر كبار المنظرين فى



عبد الناصر مع مجلس قيادة الثورة الليبي ومعمّر القذافي

الإستراتيجية العسكرية أمثال كلاوز فيتس وليدل هارت وفوللر ولندسل ، وعلى تجربة كبار قادة الفن العسكري الحديث أمثال بونابرت أو بسمارك وفوش وهند نبورغ وتشرشل وفوردن وغيرهم .

عندما سأل سولز برغر مندوب « النيويورك تايمز » عبد الناصر في ١٩٦٩م ، إذا كان هناك شخصية معاصرة تأثر بها ، أجابه : « أعتقد أن أكثرهم تأثيراً على ، كان الفريق عزيز المصرى ، لقد أعجبت به عندما كنت ضابطاً صغيراً ، فلقد كافح فى سبيل الإستقلال وأصر عليه ، ولقد إلتقيت به مرات عديدة قبل الثورة وبعدها إستمرت لقاءاتنا تتكرر حتى وفاته .

والجدير بالذكر أن عزيز المصرى عمل فى الكلية الحربية فى عامى ١٩٣٧م و ١٩٣٨م ، فى الوقت الذى كان عبد الناصر يتلقى دروسه هناك ، ومن المعلوم أيضاً عن المصرى أنه أسهم فى إنشاء التنظيمات السرية التى جمعت الضباط العرب فى الجيش التركى : « الجمعية القحطانية » و « العهد » ، كما أنه أسهم بعد الحرب العالمية الثانية بإنشاء أولى التنظيمات التى إهتمت بالقضية العربية فى مصر مثل « الجمعية الثورية العربية » و « الرابطة الشرقية » (١٩٢١م) .

وحول تكون الوعي القومى العربى لدى عبد الناصر قبل ١٩٥٢م تقدم مارلين نصر بالإستخلاصات التالية :

أولاً : هناك تطابق أو توافق بين نشوء تيار (عربى أو عروبي) داخل الحركة الوطنية المصرية ، وتكون الوعي العربى لدى عبد الناصر وكلا الظاهرتين تبلورتا فى الثلاثينات .

ثانياً : لم يتكون الوعي العربى لدى عبد الناصر عبر تنظيم ميانى محدد . فعلى الرغم من كونه قد إلتحق بضعة شهور فى جمعية « مصر الفتاة » وناضل مع الشباب الوفدى ، فإنه لم يتأثر بهذه التنظيمات الخاصة بقدر ما تأثر بمجملى حركة التحرر الوطنية والقومية فى مصر والبلدان العربية المجاورة .

ثالثاً : تابع عبد الناصر ، عندما دخل المؤسسة العسكرية ، مشاركته فى الحركة الوطنية من أجل الإستقلال بتعميق معرفته بآلية السيطرة الإستعمارية على مصر والمشرق العربى عبر زعمائه فى الكلية الحربية ، وعبر مشاركته كمناضل وضابط فى الجيش المصرى



عد الناصر وعرفات الملك حسين يوقعون اتفاقية القاهرة لإيقاف مدح أيلول الأسود عام ١٩٧٠

فى حرب فلسطين إلى جانب الجيوش العربية الأخرى .

إذا لم يكن للبعد العربى لوعى عبد الناصر القومى فى درجة الصفر عشية ثورة يوليو/

تموز ١٩٥٢م . إنما كان هذا الوعى كامناً وفى حالة « اللا منطوق » ولم يعلن عنه عبد الناصر عبر الكلام والكتابة إلا إنطلاقاً من ١٩٥٣م فى « فلسفة الثورة » ثم فى خطبة حيث بدأ يبلوره ويفصله وذلك كما سيظهر فى الأجزاء التالية .

ثانياً : تطور (الفكرة العربية) فى مصر خلال العهد الناصرى (الواقع) :

فى بحثه المتميز للسلام وأزمة الهوية فى مصر - القاهرة ١٩٨٥م يرى أستاذنا الراحل

د . فاروق يوسف أنه باستمرار إختلاط المصريين بالعرب وتفاعلهم معهم قوى الإتجاه العربى وضعف كل من الإتجاه الإقليمى المصرى والعالمى والإسلامى . وبدأ كثيرون من الأقباط والمسلمين يؤيدون التيار العربى الجديد ، الذى يجمع بين الصفة الدينية الإسلامية والصفة العلمانية القومية . ومن الذين أيدوا التيار العربى بحماس من الأقباط مكرم عبيد . ويظهر ذلك من قوله « نحن عربى ويجب أن نذكر دائماً أننا عرب وقد وحدت بيننا الآلام والآمال ووثقت روابطنا الكوارث والأشجان وسهرتنا المظالم وخطوب الزمان كما تراجع كثيرون من أنصار التيار المصرى من المسلمين عن موقفهم السابق ومن تراجعوا عن فكرهم السابق بخصوص فكرة القومية العربية ولو بدرجات مختلفة الدكتور محمد حسين هيكل . والدكتور محمد عبد الله عنان ولو أنهما كانا يعتقدان أن الوحدة العربية بعيدة المنال فى الوقت الحالى . كما بدأت قيادات الأحزاب السياسية فى التحول إلى الفكرة العربية بما فى ذلك قيادات حزب الأحرار الدستوريين إمتداد حزب الأمة المعروف بدفاعه عن القومية المصرية . وكانوا يلجأون إلى العالم العربى للتشهير بالوفد . أما حزب مصر الفتاة فقد تضمن برنامجها الفكرة العربية .

وقد وصلت قوة الإتجاه العربى فى مصر إلى الدرجة التى جعلت أى إشارة مضادة له قد تؤدى إلى أزمة فكرية كما حدث فى بداية الثلاثينات عندما كتب طه حسين مقالاً فى جريدة كوكب الشرق الوفدية ذكر فيها خضوع المصريين فى الماضى « لضروب من البغى وألوان من العدوان جاءتهم من الفرس واليونان وجاءتهم من العرب والفرنسيين ، وكان لذكر كلمة « العرب » ما أثار الكثيرون داخل مصر وخارجها ضده . وقد إنبرى

للرد عليه كتاب كثيرون ومصريون وعرب منهم عبد الرحمن عزام ومحمد على علوبة وأحمد حسن الزيات وعبد القادر حمزة وعلى الجندي ... الخ ، وقد عقدت عصية العمل القومي عدة إجتماعات أصدرت على أثرها بيانات ساخطة ضد طه حسين بل وقد سار أعضاؤها في موكب إلى ساحة الشهداء يحملون كتب طه حسين حيث أحرقوها هناك ودعوا إلى مقاطعة مؤلفاته ، وما كان منه إلا أن تراجع في مقالاته اللاحقة وغير إتجاهه .

لقد كان إنشاء جامعة الدول العربية وإختيار القاهرة مقراً لها وإختيار أحد المصريين أميناً عاماً للجامعة إنما هو تمهيد للهوية العربية لمصر بموافقة حكومتها بالإضافة إلى شعور أغلبية شعبها بعروبة البلاد كما كان ذلك إعتراحاً من البلاد العربية بالدور القيادي الطبيعي لمصر للعالم العربى . إلا أن هزيمة سنة ١٩٤٨م في حرب فلسطين كان لها أثار سلبية على الإتجاه العربى في مصر نتيجة لما قاساه الجيش المصرى في الحرب دون أن تقم الجيوش العربية الأخرى بمساعدته برغم إستطاعتها القيام بذلك وخصوصاً الجيش الأردنى والعراق اللذان وقفوا كمتفرجان في الحرب الدائرة بين الجيش المصرى والعصابات الإسرائيلية بل لقد قام الجيش الأردنى ببعض التصرفات التى ساعدت القوات الإسرائيلية وأضرت بالجيش المصرى في أثناء عملية القتال . ومن ذلك إنسحاب الجيش الأردنى من اللد والرملة . كما ظهر تواطؤ الملك عبد الله مع الإسرائيليين على حساب الجيش المصرى والقضية العربية . وعندما ظهر كل هذا واضحاً بدأت حملة في بعض الصحف المصرية تنادى بالإبتعاد عن العرب والتكر للعروبة . وقد عبر عن ذلك أيضاً بعض أعضاء البرلمان عند مناقشتهم للموضوع وما ترتب عليه من مآسى .

لكن قيام ثورة ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢م قضت على هذه الردة - وقد نظر عبد الناصر إلى الحكومات العربية التى كانت قائمة في ذلك التاريخ على أنها مثل قطع الشطرنج تحرك بواسطة القوى الخارجية ولا إرادة لها وأن هذه الظروف العربية هى التى أدت إلى الهزيمة . ومنذ بداية الثورة وطوال عهد عبد الناصر شكلت الهوية العربية قيمة أساسية في صنع السياسة الخارجية المصرية . وإنغمست مصر بالكامل في المشاكل العربية من مساعدة لثوار تونس والجزائر والمغرب في الغرب إلى عقد ميثاق الدفاع المشترك مع اليمن والسعودية والأردن وسوريا في الشرق . ولقد نص الدستور الجديد الذى صدر سنة ١٩٥٦م بعد الثورة على هذه الهوية للبلاد عندما نص على أن مصر دولة عربية . كما وقف الشعب العربى بكامله من المحيط إلى الخليج بجانب مصر أثناء الإعتداء الثلاثى عليها .

وقد وصلت الفكرة العربية قمة إنطلاقتها بقيام الوحدة بين مصر وسوريا سنة ١٩٥٨م وتكوينهما للجمهورية العربية المتحدة التي دخلت في إتحاد كنفدرالى مع المملكة اليمنية في نفس العام لتكوين ما سمي بإتحاد الدول العربية . وقد زاد عدد المصريين العاملين في البلاد العربية وعدد الطلاب العرب الدارسين في مصر وأصبح الاتجاه العام في المنطقة العربية هو عمل توحيد ثقافي وإقتصادى بين البلاد العربية . وقد عادت مصر لتصبح مركز الثقل في العالم العربى بل والإسلامى ولتنبؤ صورة مشابهة لصورتها أيام الحروب الصليبية وخصوصا في عصر صلاح الدين الأيوبي ، حتى حاكمها جمال عبد الناصر فقد أصبح يماثل في صورته السياسية صورة صلاح الدين . وقد قدم دكـمـجـيان جدولا بيانياً للعلاقة بين الهوية المصرية والهوية العربية منذ سنة ١٩٥٢م ، ومنه يتضح أنه ابتداء من قيام ثورة ١٩٥٢م أصبحت الغلبة للتيار العربى وأن ذلك قد برز بشكل واضح بعد فبراير سنة ١٩٥٥ وأنه بحلول سنة ١٩٥٩ كان التيار المصرى قد إندثر تماما بينما التيار العربى قد تصاعد بشكل كاسح .

ويرى د . فاروق يوسف أن هناك بعض المشكلات والمشاكل في العلاقات العربية المصرية التي عادة ما تلقى بظلالها على مشكلة الهوية في مصر . فموضوع هوية مصر وإن كان قد حسم في بداية عهد الرئيس عبد الناصر لصالح الهوية العربية ، فإن هناك هويتين أخرتين في مرحلة كمون ويمكن تنشيطهما كلما سمحت الظروف وهما الهوية المصرية والهوية الإسلامية . ولذلك فإن أى مشكلات في العلاقات المصرية العربية أو أية تطورات داخلية في مصر يكون لها إرتباط بذلك قد يكون لها أثر على مشكلة الهوية في مصر . وسوف نتتبع بعض هذه المشكلات والتي أهمها : أولاً : إنفصال سوريا سنة ١٩٦١م ، وثانياً : هزيمة ، يونيو سنة ١٩٦٧م ، وثالثاً : السلام مع إسرائيل . وبتفصيل الجزئين الأولين نلاحظ ما على :

١ - إنفصال سوريا سنة ١٩٦١م :

يرى البعض في هذا الصدد أن إنفصال سوريا عن مصر في سنة ١٩٦١م وخروجها من الجمهورية العربية المتحدة كان أول الأزمات السياسية المضرة العربية منذ قيام ثورة سنة ١٩٥٢م التي كانت لها إنعكساتها على هوية مصر العربية . فلم يقف الأمر عند حد إنفصال سوريا بل أعقب ذلك هجوم عنيف على النظام المصرى من الدول العربية الأخرى وخصوصاً من سوريا والأردن والمملكة العربية السعودية والمملكة المتوكلية اليمنية والعراق وخصوصاً أثناء إنعقاد مجلس جامعة الدول العربية في شتورا بعد الإنفصال مباشرة . مما

اضطر الرئيس عبد الناصر إلى إتخاذ قرارين خطيرين لهما أثر على هوية مصر العربية القرار الأول هو إلغاء الإتحاد الكنفدرالى الذى كان قائماً بين المملكة المتوكلية اليمنية وإعلان ضرورة دراسة موضوع الوحدة العربية . والثانى إعلان إنسحاب مصر من الجامعة العربية وإن كان القرار الأخير لم ينفذ بشكل نهائى .

ولقد ترك كل هذا فى نفوس المصريين مرارة وكانت له إنعكاساته السالبة على الإتجاه العربى فى مصر . ولكن بسبب وجود عبد الناصر على قمة النظام المصرى وهو الرجل الذى حسم الأمر لصالح الإتجاه العربى منذ بداية الثورة والذى كان يؤمن إيماناً مطلقاً بعروبة مصر ، فإنه لم يسمح لأى شخص داخل مصر أن يحاول إستغلال الخلاف المصرى العربى لصالح تقوية الإتجاه الشعبى المصرى . كما فسر عبد الناصر إنفصال سوريا عن الجمهورية العربية المتحدة (نتيجة للحركة الإنتقالية فى سوريا التى قام بها الجيش هناك) على أنه صراع سياسى وصراع بين الطبقات الإجتماعية فى العالم العربى وبين الدول التقدمية والرجعية وإن الإستعمار والرجعية إنقضا على دولة الوحدة من أجل مصالحها وأن الشعب السورى نفسه برىء من تهمة الإنفصال^(١) .

وقد أكد تفسير عبد الناصر هذا لإنفصال سوريا عدم إستقرار الأوضاع السياسية بها بعد الإنفصال . وزاد من هذا التأكيد قيام الثورة فى المملكة المتوكلية اليمنية وإنصارها وإتجاهها إلى مصر طالبة العون والحماية حيث أمدتها مصر بكل المساعدات اللازمة وأرسلت جيشها للدفاع عنها^(٢) ثم كان لإشتعال الثورة فى عدن والمحميات (جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية) بتأييد من مصر أثره أيضاً على إثبات حيوية الإتجاه العربى فى مصر . وقد أعقب ذلك إنهيار أنظمة الحكم المعارضة للنظام المصرى بقيادة جمال عبد الناصر فى كل من العراق وسوريا وما ترتب على ذلك من قيام الأنظمة الجديدة بالإتصال

(١) بيان الرئيس جمال عبد الناصر الذى أذيع على الأمة العربية مساء ٥ أكتوبر سنة ١٩٦١ وكذلك خطاب الرئيس جمال عبد الناصر فى ٦ أكتوبر سنة ١٩٦١ ، هيئة الاستعلامات المصرية ، ص ٥٦٦ ، ٥٦٧ ، ٥٦٨ ، وكذلك فؤاد مطر ، بصراحة عن عبد الناصر ، حوار مع هيكى ، بيروت : دار القضايا العربية ، ١٩٧٥ ، ص ١٤٩ - ١٥٠ .

(٢) عثمان سعيد الخليسى ، العلاقات المصرية السعودية ١٩٥٦ - ١٩٧٣ رسالة دكتوراة مقلمة لكلية الاقتصاد والعلوم السياسية - جامعة القاهرة ١٩٧٩ ، ص ٢٧١ .

بعد الناصر لعمل وحدة ثلاثية مصرية سورية عراقية . وقد جرى لذلك الغرض ثلاث جولات لمحادثات الوحدة بين الدول الثلاث سنة ١٩٦٣ م . وتم الإتفاق على بعض المبادئ بخصوص الوحدة الجديدة وغيرت أعلام الدول الثلاث لتصبح مشتقة من علم الثورة المصرية . وبالرغم من فشل هذه المحاولة لإقامة الوحدة بين الأقطار الثلاث فإن ذلك لم يضر بالإتجاه العربي فى مصر لأن قادة مصر حملوا حزب البعث العربى الإشتراكى فى سوريا والعراق مشغولية الفشل وبرثوا الشعبين السورى والعراقى من ذلك . وبالرغم من عدم قيام الإتحاد بين الأقطار الثلاث فقد ظل رمز قائماً فى شكل العلم الموحد الألوان الذى هو أساساً يرمز للثورة المصرية العربية . وكان لإشتعال مشكلة فلسطين مرة ثانية فى بداية الستينات وعمل إسرائيل على تحويل مجرى نهر الأردن أثره فى التقريب بين مصر والعرب رغم الخلافات الشديدة التى كانت قائمة بين مصر وبعض الدول العربية بسبب هجوم عبد الناصر على الدول المحافظة وتأييده للأنظمة والتنظيمات الثورية فى العالم العربى ولوقوفه إلى جانب الثورة اليمنية . وقد نص فى دستور مصر الصادر ١٩٦٤ م أيضاً على أن مصر جزء من الأمة العربية .

٢ - هزيمة سنة ١٩٦٧ م :

يرى د . فاروق يوسف بشأنها ما يلى :

كان لهزيمة سنة ١٩٦٧ م أثراً ملبياً على الإتجاه العربى فى مصر لعدة أسباب منها الخسائر الجسيمة التى لحقت بالجيش المصرى وبسبب الأثر السبىء الذى تركته الهزيمة فى نفسية المصريين تجاه الأمة العربية بسبب ما عاناه الشعب المصرى نتيجة لذلك . ولقد حاولت البلاد العربية أن تشارك فى تخفيف قسوة نتائج الهزيمة . إلا أن المشاركة لم تكن بالقدر المناسب الذى يجعل المصريين يحسون فعلاً بأن العرب أمة واحدة وأن لهم ، مصلحة واحدة ومصير واحد . وزاد الطين بلة المعاملة السيئة التى عومل بها المصريون العاملون فى البلاد العربية الذين زاد عددهم بسبب قسوة الهزيمة وقلة مصادر الرزق فى مصر بعد سنة ١٩٦٧ م وتهجم بعض العرب حتى من الفلسطينيين على الجيش والشعب المصرى . وبالرغم من ذلك لم يجرؤ أحد فى مصر على مهاجمة القومية العربية أو الإتجاه العربى وذلك بسبب وجود الرئيس جمال عبد الناصر على قمة انظام السياسى فى مصر . وتأكيداً للإتجاه العربى فقد إقترح فى بيان ٣٠ مارس سنة ١٩٦٨ م على أن ينص الدستور على تحقيق وتأكيد الإلتناء المصرى للأمة العربية تاريخياً ونضالياً ومصرياً وحدة عضوية

فوق أى فرد .

إلا أنه نتيجة لضغط الظروف وقسوة المشاكل الاقتصادية وعدم حصول مصر على المساعدة المناسبة من الأصدقاء العرب اتجه الرئيس جمال عبد الناصر تكتيكياً وليس إستراتيجياً إلى قبول الحل السلمى للمشكلة مع إسرائيل أو على الأقل إلى تجميد المشكلة مع إسرائيل أو على الأقل إلى تجميد المشكلة مؤقتاً حتى تلتقط مصر أنفاسها التى كانت قد تقطعت . وقد ظهر ذلك واضحاً فى قبول الرئيس جمال عبد الناصر لمبادرة روجرز وقد ترتب على ذلك حملة ضد مصر وخصوصاً من جانب النظام السورى ومنظمة التحرير الفلسطينية وبالطبع ترك ذلك مرارة فى نفوس المصريين . مما أدى إلى نمو الإحساس بالمصرية والتى عبرت عنها وسائل الإعلام المصرية بطرق مباشرة وغير مباشرة . كما اضطّر الرئيس عبد الناصر أن يعترف بذلك فى أحاديثه^(١) إلا أن قيام الثورة فى السودان ثم فى ليبيا سنة ١٩٦٩م وإتجاههما إلى مصر طلباً للوحدة حد من الهوة التى كانت قد خلقت بين مصر والعالم العربى ، ذلك على صعيد الواقع المعاش بالأمه وحقايقه المرة التى تدفعنا إلى التأكيد على أن الوحدة العربية بمعناها الشامل والحقيقى لم تتحقق أبداً فى العهد الناصرى .

ثالثاً : مدركات عبد الناصر لمسألة الوحدة (الحلم) :

أنا سوف نورد هنا الرؤية التى وضعها عبد الناصر فى الفصل التاسع من « الميثاق الوطنى » والمعنون بـ « الوحدة العربية » ، والميثاق كما هو معروف يعد الإطار النظرى والفلسفى الحاكم لمدركات عبد الناصر فماذا لديه ليقوله عن الوحدة العربية .

(١) يظهر ذلك واضحاً فى الحديث الذى أدلى به الرئيس جمال عبد الناصر إلى الصحفي الأمريكى جيمس روستون رئيس تحرير صحيفة نيويورك تايمز فى ١٣/٢/١٩٧٠ ، ونشرته صحيفة الأهرام بتاريخ ١٥/٢/١٩٧٠ أجاب عن سؤال عما إذا كان هناك ازدياد فى الشعور بالوطنية قائلاً : « قبل سنة ١٩٦٧ كان الشعور الأكثر ظهوراً هو الشعور بالقومية العربية وبعد سنة ١٩٦٧ ظهر أيضاً بالشعور بالوطنية المصرية إلى جانب الشعور بالقومية العربية ولكنه أُرِدِفَ قِالاً : (وأطنك تعرف أنهم عرضوا علينا صيفاً تنص على الانسحاب من سيناء وحدها ولم يوافق أحد على ذلك . وهذا هو الشعور بالقومية للعربية والحقيقة أنه ليس هناك تناقض بين الشعور بالوطنية المصرية والقومية العربية) » .

يقول الميثاق :

(أن مسئولية الجمهورية العربية المتحدة فى صنع التقدم وفى تدعيمه وحمايته تمتد لتشمل الأمة العربية كلها .

إن الأمة العربية لم تعد فى حاجة، إلى أن تثبت حقيقة الوحدة بين شعوبها .

لقد تجاوزت الوحدة هذه المرحلة وأصبحت حقيقة الوجود العربى ذاته .

يكفى أن الأمة العربية تملك وحدة اللغة التى تصنع وحدة الفكر والعقل .

ويكفى أن الأمة العربية تملك وحدة التاريخ التى تصنع وحدة الضمير والوجدان .

ويكفى أن الأمة العربية تملك وحدة الأمل التى تصنع وحدة المستقبل والمصير .

إن الذين يحاولون طعن فكرة الوحدة العربية من أساسها مستدلين بقيام خلافات بين الحكومات العربية ينظرون إلى الأمور نظرة سطحية .

إن مجرد وجود هذه الخلافات هو فى حد ذاته دليل على قيام الوحدة .

إن هذه الخلافات تنبع من الصراع الاجتماعى فى الواقع العربى . واللقاء بين القوى المتقدمة الشعبية فى كل مكان من العالم العربى والتجمع الذى تقوم به العناصر الرجعية والإنتهازية فى العالم العربى هو الدليل على وحدة التيارات الاجتماعية التى تهب على الأمة العربية وتحرك خطواتها وتنسقها عبر الحدود المصطنعة .

* ويرى الميثاق :

إن إلقاء القوى التقدمية الشعبية على الأمل الواحد فى كل مكان من الأرض العربية وتجمع القوى الرجعية على المصالح المتحدة فى كل مكان من الأرض العربية هو فى حد ذاته دليل على الوحدة أكثر مما هو دليل على التفرقة .

إن مفهوم الوحدة العربية تجاوز النطاق الذى كان يفرض إلقاء حكام الأمة العربية ليكون من لقائهم صورة للتضامن بين الحكومات .

إن مرحلة الثورة الاجتماعية تقدمت بهذا المفهوم السطحي للوحدة العربية ودفعت به خطوة إلى مرحلة أصبحت فيها وحدة الهدف هى صورة الوحدة .

إن وحدة الهدف حقيقة قائمة عند القواعد الشعبية فى الأمة العربية كلها .
وإختلاف الأهداف عند الفئات الحاكمة هو صورة من صور التطور الحتمى الثورى
وإختلاف مراحله بين الشعوب العربية .

لكن وحدة الهدف عند القواعد هى التى ستتكفل بسد الفجوات الناشئة من إختلاف
مراحل التطور .

إن وحدة الأمة العربية قد وصلت فى صلابتها إلى حد أنها أصبحت تتحمل مرحلة الثورة
الاجتماعية .

ولا يمكن أن تدل أساليب الإنقلاب العسكرى . ولا أساليب الإنتهازية الفردية . ولا
أساليب الرجعية المتحكمة ، على شىء إلا على دلالتها بأن النظام القديم فى العالم العربى
يعانى جنون اليأس وأنه يفقد أعصابه تدريجياً وهو يسمع من بعيد فى قصوره المعزولة
وقع أقدام الجماهير الزاحفة إلى أهدافها .

إن وحدة الهدف لا بد أن تكون شعار الوحدة العربية فى تقدمها من مرحلة الثورة
السياسية إلى الثورة الاجتماعية .

ولابد أن ينبذ الشعار الذى جرت تحته مرحلة سابقة من النضال الوطنى هى مرحلة
الثورة السياسية ضد الإستعمار .

إن الإستعمار الآن غير مكانه ولم يعد قادراً على مواجهة الشعوب مباشرة وكان مخبؤه
الطبيعى بحكم الظروف داخل قصور الرجعية .

إن الإستعمار نفسه دون أن يدرى ساهم فى تقريب يوم الثورة الاجتماعية وذلك حين
توارى بمطامعه وراء العناصر المستغلة يوجهها ويحركها .

وليس من شك أن الثورات الأصلية تستفيد من حركات خصومها فى مواجهتها
وتكتسب منها قوة دافعة .

* ويرى الميثاق :

الإستعمار كشف نفسه وكذلك فعلت الرجعية بتهالكها على التعاون معه وأصبح محتماً
على الشعوب ضربهما معا ، وهزيمتهما معا ، تأكيداً لإنتصار الثورة السياسية فى بقية أجزاء

الوطن العربي وتدعيماً لحق الإنسان العربي في حياة إجتماعية أفضل لم يعد قادراً على صنعها
بغير الطريق الثورى .

والعمل العربي في هذه المرحلة يحتاج إلى كل خبرة الأمة العربية مع تاريخها الطويل
المجيد ، ويحتاج إلى حكمتها العميقة ، بقدر حاجته إلى ثورتها وإرادتها على التغيير
الحاسم .

إن الوحدة لا يمكن بل ولا ينبغي أن تكون فرضاً فإن الأهداف العظيمة للأمم يجب
أن تتكافأ أساليبها شرفاً مع غاياتها .

ومن ثم فإن القسر بأى وسيلة من الوسائل عمل مضاد للوحدة .

* وينهّب العيثاق إلى :

أنه ليس عملاً غير أخلاقى فحسب وإنما هو خطر على الوحدة الوطنية داخل كل شعب
من الشعوب العربية ومن ثم بالتالى فهى خطر على وحدة الأمة العربية فى تطورها الشامل .
وليست الوحدة العربية صورةً دستورية واحدة لا مناص من تطبيقها لكن الوحدة العربية
طريق طويل قد تعدد عليه الأشكال والمراحل وصولاً إلى الهدف الأخير .

إن أى حكومة وطنية فى العالم العربى . تمثل إرادة شعبها ونضاله فى إطار من الإستقلال
الوطنى هى خطوة نحو الوحدة من حيث أنها ترفع كل سبب للتناقض بينها وبين الآمال
النهائية فى الوحدة .

إن أى وحدة جزئية فى العالم العربى ، تمثل إرادة شعبين أو أكثر من شعوب الأمة
العربية هى خطوة نحو الوحدة من حيث أنها ترفع كل سبب للتناقض بينها وبين الآمال
النهائية فى الوحدة .

إن أى وحدة جزئية فى العالم العربى ، تمثل إرادة شعبين أو أكثر من شعوب الأمة
العربية هى خطوة وحدوية متقدمة ، تقرب من يوم الوحدة الشاملة ، وتمهد له ، وتمد
جذورها فى أعماق الأرض العربية .

إن مثل هذه الظروف تمهد الطريق للدعوة إلى الوحدة الشاملة .

وإذا كانت الجمهورية العربية المتحدة ترى فى رسالتها العمل من أجل الوحدة الشاملة ، فإن الوصول إلى هذا الهدف ليساعد عليه وضوح الوسائل التى لابد من تحديدها تحديداً قاطعاً وملزماً فى هذه المرحلة من النضال العربى .

إن الدعوة السليمة هى المقدمة .

والتطبيق العلمى لكل ما تتضمنه الدعوة من مفاهيم تقدمية للوحدة هى الخطوة الثانية للوصول إلى نتيجة محققة .

إن إستعجال مراحل التطور نحو الوحدة يترك من خلفه - كما أثبتت التجارب - فجوات إقتصادية وإجتماعية تستغلها العناصر المعادية للوحدة كى تطعن من الخلف .

إن تطور العمل الوجدوى نحو هدفه النهائى الشامل يجب أن تصحبه بكل وسيلة جهود عملية لملء الفجوات الإقتصادية والإجتماعية الناجمة من إختلاف مراحل التطور بين شعوب الأمة العربية هذا الإختلاف الذى فرضته قوى العزلة الرجعية والإستعمارية .

إن جهوداً عظيمة وواعية يجب أن تتجه أيضاً إلى فتح الطريق أمام التيارات الفكرية الجديدة حتى تستطيع أن تحدث أثرها فى محاولات التمزيق وتغلب على بقايا التشتت الفكرى الذى أحدثه ضغط ظروف القرن التاسع عشر والنصف الأول من القرن العشرين وما تركتها دسائسها ومناوراتها من رواسب تحجب الرؤية الصافية فى بعض الظروف .

ومن وجهة نظر الميثاق :

أن الجمهورية العربية المتحدة وهى تؤمن بأنها جزء من الأمة العربية لابد لها أن تنقل دعوتها والمبادئ التى تتضمنها لتكون تحت تصرف كل مواطن عربى ولا ينبغى الوقوف لحظة أمام الحججة البالية القديمة التى قد تعتبر ذلك تدخلاً منها فى شئون غيرها .

وفى هذا المجال فإن الجمهورية العربية المتحدة لابد لها أن تحرص على أن لا تصبح طرفاً فى المنازعات الحزبية المحلية فى أى بلد عربى ، إن ذلك أمر يضع دعوة الوحدة ومبادئها فى أقل من مكانها الصحيح .

وإذا كانت الجمهورية العربية المتحدة تشعر أن واجبها المؤكد يحرم عليها مساندة كل حركة شعبية وطنية فإن هذه المسألة يجب أن تظل فى إطار المبادئ الأساسية ، تاركة مناورات

الصراع ذاته للعناصر المحلية تجمع له الطاقات الوطنية وتدفعه إلى أهدافه وفق التطور المحلى وإمكانياته .

يرى الميثاق أن الجمهورية العربية المتحدة مطالبة بأن تفتح مجال التعاون بين جميع الحركات الوطنية التقدمية في العالم العربى .

أنها مطالبة بأن تتفاعل معها فكرياً من أجل التجربة المشتركة .

لكنها في نفس الوقت لا تستطيع أن تفرض عليها صيغة محددة لصنع التقدم .

إن قيام إتحاد للحركات الشعبية الوطنية التقدمية في العالم العربى أمر سوف يفرض نفسه على المراحل القادمة من النضال .

إن ذلك لا يؤثر - ولا ينبغي له أن يؤثر - على قيام جامعة الدول العربية ، وإذا كانت الجامعة العربية غير قادرة على أن تحمل الشرط العربى إلى غايته العظيمة البعيدة فإنها تقدر على السير به خطوات .

إن الشعوب تريد أملها كاملاً .

والجامعة العربية - بحكم كونها جامعة للحكومات - لا تقدر أن تصل إلى أبعد من الممكن .

إن الممكن خطوة في طريق المطلوب الشامل .

إن تحقيق الجزء مساهمة في تقريب يوم الكل .

لهذا فإن الجامعة العربية تستحق كل التأيد على أن لا يكون هناك تحت أى ظرف من الظروف وهم تحميلها أكثر من طاقتها العملية التى تحددها ظروف قيامها وطبيعته .

ويختم عبد الناصر رؤيته في الميثاق قائلاً :

إن الجامعة العربية قادرة على تنسيق ألوان ضرورية من النشاط العربى في المرحلة الحاضرة ، لكنها في نفس الوقت تحت أى ستار وفي مواجهة أى إدعاء لا يجب أن تتخذ وسيلة لتجميد الحاضر كله وضرب المستقبل به .

وحول هذه الرؤية لمسألة الوجدان حول غيرها من مدركات عبد الناصر المتناثرة في مخطبه

وأحاديثه يمكننا أن نرصد تأكيداً على كلمتين أو مفهومين بحاجة إلى تحليل ورصد .
الأول هو مفهوم (الوطن) ، أما الثاني فهو مفهوم (الأمة) ، وبشأنهما نسجل الآتي :

١ - الوطن :

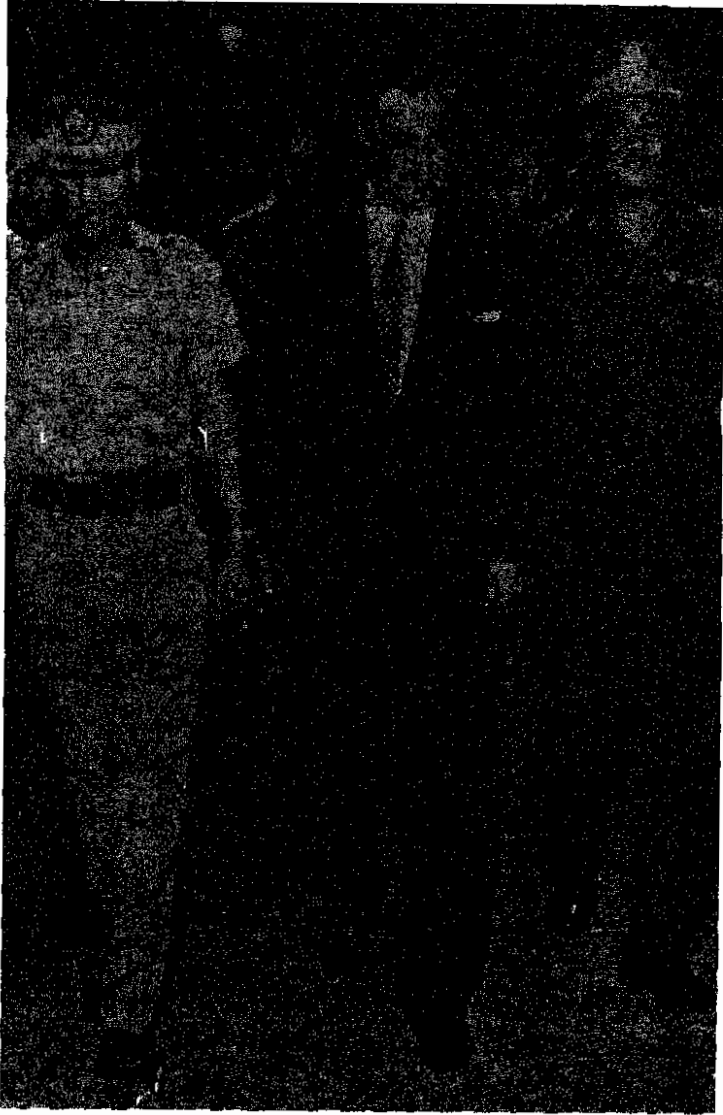
يذهب د . سعيد بن سعيد في دراسة^(١) له إلى أن اللفظ لا يجد دلالة الكاملة ، التي نعرفها له في الحياة المعاصرة ، إلا في الفكر السياسي الحديث ، يكشف اللفظ عن وعي الإنتماء إلى جماعة بشرية تشكل وحدة مستقلة بذاتها حيث لا يكون الاجتماع قائماً ، بالضرورة لا على أساس الإنتماء إلى ديانة واحدة ، ولا بسبب التحدث بلغة واحدة ، ولا حتى بفعل الإنتماء إلى حضارة واحدة . مصدر هذا الوعي هو الشعور بوجود تراب وطني محدد ، وحدود معلومة ، وحضور كامل ودائم للسيادة داخل تلك الحدود وفوق ذلك التراب .. وهو أكثر من ذلك الشعور برابطة « المواطنة » أي الشعور بأن نوعاً من الرابطة القوية تشد أفراد الشعب الواحد والمنتتمين إلى الوطن الواحد ، تشدهم إلى بعضهم البعض . لقد أبدع كل من جون لوك وروسو إبداعاً كبيراً في الحديث عن المواطن والمواطنة . فيما كان ، يؤسسان ، فعلياً : إحدى الأسس الثابتة التي ينهض عليها الفكر السياسي الحديث ، وسيعرف هذا المصطلح بروزه الكامل ابتداء من الثورة الفرنسية ، كما سنجد أن التأكيد عليه ، أكثر من غيره من المصطلحات الأخرى القريبة منه ، سيزيد في كل مراحل الكفاح من أجل التحرر الوطني ، أي في كل فترات الأزمة التي تخلق الشعور بتعرض « الهوية » إلى خطر الإبادة .

تسرب مفهوم الوطن إلى الكتابة العربية المعاصرة محملاً بكل الشحنات الوجدانية التي نقلها إليه عصر القوميات في أوروبا . سيرد المفهوم عند المفكرين العرب في القرن الماضي ، وحتى مطلع القرن العشرين ، يرد في معرض ترويجهم للتقاني للتراث الفكري الجديد الذي أنفتحوا عليه ، ولعلنا نجد في كتابات الطهطاوي وخير الدين التونسي ، وأديب إسحق على وجه الخصوص ، أفضل مثال على ذلك . ثم إننا نجد مفهوم الوطن يتداول عند المفكرين اللاحقين عليهم على نحو يزيد أن ، يلور شعوراً قوياً جازفاً بالإنتماء

(١) سعيد بن سعيد : الخطاب القومي والمصطلح السياسي ، الناصرة نموذجاً - مجلة الوحدة - عدد ١٦ عام ١٩٨٦ ص ٤٧ وما بعدها .

إلى الوطن الواحد المهدد في كيانه الذاتي ، المهدد كدولة معلومة الحدود واضحة الهوية . هذا ما نجده ، على سبيل المثال لا الحصر ، في خطب وكتابات كل من مصطفى كامل وعبد الله النديم ، في مطلع القرن العشرين ، في مصر . وما نجده في المغرب ، قرابة الأربعين سنة بعد ذلك ، عند كل من علال الفاسي ومحمد بن الحسن الوزاني ، لا يجب أن ننسى أن المفكر القومي العربي هو أولاً صاحب دعوة إلى التحرر الوطني من الإستعمار ، بمعنى أنه يناضل من أجل إستقلال بلد ضمن حدود معلومة ، وبلغة القانون ، صاحب دعوة إلى التحرر الوطني من الإستعمار ، بمعنى أنه يناضل من أجل إستقلال بلد ضمن حدود معلومة ، وبلغة القانون ، فهو يناضل من أجل « دولة » تسعى لإسترجاع بعض أو كل من سيادتها المنتهكة . ولكنه هذا المفكر ، في الوقت ذاته صاحب قضية ترى في تلك الدولة واقع تجزئة مرفوضة ، ما دامت تلك الدولة لا تشكل سوى جزء من الدولة العربية الواحدة ، أى منهما هو « الوطن » إذن ؟ هل هو الدولة الواجب تحريرها ضمن حدود معلومة ، في شروط السيادة على نحو ما يحددها الفقه الحقوق المعاصر ، أم أنه مجموع الأوطان الجميلة الممتدة من الخليج إلى المحيط على نحو ما يقول الزهراوى ؟

في كتاب « فلسفة الثورة » يتردد لفظ الوطن كثيراً من المرات ولكنه يأتي دائماً للتعبير عن مصر . يرجع جمال عبد الناصر بداية بقطة الوعي عنده إلى وجوده في فلسطين محارباً في صفوف الجيوش العربية سنة ١٩٤٨م فقد كنا نحارب في فلسطين ، ولكن أحلامنا كلها في مصر . كان رصاصنا يتجه إلى العدو الرابض أمامنا في خنادقه ولكن قلوبنا كانت تحوم حول وطننا البعيد الذى تركناه للذئاب ترعاه ، العمل التحررى من أجل « أرض عربية » هو الذى يفجر الوعي الوطنى ويذكبه كما يليق بموقف قومى حقيقى . ولكن متى أمعنا النظر قليلاً فإننا سنجد الحديث عن الوعي الوطنى يجعل حديثاً بوجود أرض معلومة الحدود وبوجود كيان متميز عن غيره من الكيانات السياسية الأخرى ومستقل عنها . فأتساءل الحصار الذى تعرض له الجيش المصرى في فلسطين ، في منطقة « الفالوجة » ، كان الضباط يرددون فيما بينهم إن وطننا هو الآخر حاصرته المشاكل والأعداء . وعبد الناصر يصور الأمر في صورة مماثلة وجدانية بين حصار « الفالوجة » وبين مصر ، الوطن المحاصر : « هذا هو وطننا هناك » ، إنه « فالوجة » أخرى على نطاق كبير ، وفي معرض تقويمه لثورة ٢٣ يوليو وللعمل الذى قام به الجيش يتساءل : « لقد آمنت بالجنديّة طول عمرى ، والجنديّة تجعل للجيش



عبد الناصر مع معمر القذافي وجعفر النميري

واجباً واحداً هو أن يموت على حدود وطنه ، فلماذا وجد جيشنا نفسه مضطراً للعمل في عاصمة الوطن ، لا على حدوده ؟ .

الواقع أن كافة الشروط التي يجعلها الفكر السياسي الحديث ضرورية لإستقامة الحديث عن الوطن تجتمع في المواقف التي تعبر عنها الأقوال السالفة . الوطن له حدود معلومة ، وبالتالي فإن له أرضاً وترباً وطنياً ، والوطن له عاصمة معلومة ، وبالتالي فإن له سلطة وإدارة وصورة ما للوجود السياسي حتى وإن كانت جميعها موضع إنتقاد جزئى أو كلى . ثم أن لهذا الوطن جنداً وشعاراً وتحيلات دبلوماسية وما شابه هذا من رموز السيادة ، إن له إسماءً دقيقاً يدل عليه هو مصر « وطننا هناك » ... صحيح أن « فلسفة الثورة » تحدثت عن دوائر ثلاث تنتمى إليها مصر هذه (العرب ، أفريقيا ، العالم الإسلامى) وصحيح أن مصر قد لا يكون سوى جزء من الدائرة الأولى (العرب) ، وعبد الناصر يلج على هذه النقطة كما هو معروف ، ولكن ما هو بين هو أن وعى الذات يتحدد كوعى بوجود « هوية مميزة » ، وبالتالي فهو وعى بوجود الوطن ككيان مفرد ، مستقل بذاته ، كمعنى يتوافق توافقاً كاملاً مع الفكر السياسى الحديث ومع الفهم الحقوقى المعاصر .

في كتاب « الميثاق » يستطيع القارئ أن يلمس تقدماً كبيراً على « درب العمل القومى » ، وربما برز للمرة الأولى ، مع هذا النص ، هذا التمييز في الحديث عن الوطن بين « الوطن الصغير » و « الوطن الكبير » ، وربما ظهر مصطلح « الوطن العربى » في الكتابة القومية الرسمية للمرة الأولى ، وإن أعظم تقدير لنضال الشعب العربى في مصر ولتجربته الرائدة هو الدور الذى إستطاع أن يؤثر فيه في حياة أمتة العربية وخارج حدود وطنه الصغير ، إلى آفاق وطنه الكبير . ولا يعدم القارئ مواطن عديدة يلج فيها الميثاق على إبراز مصر كجزء أو قسم من الوطن العربى الواحد ، وعلى إبراز الوجه القومى العربى كل هذا من باب القول المكرر المعاد ، ولا يكاد القارئ يعثر لجمال عبد الناصر على خطبة واحدة من خطبه الشهيرة تخلو من الوقوف المطول عن هذه المسألة . ولكن القراءة التى تريد الوقوف عند دلالة الألفاظ ، والتى تجعل هدفها رصد أنماط تداول المصطلح السياسى الحديث في الخطاب الناصر نستطيع أن ننظر إلى الأمر من زاوية أخرى وأن نتبين معطيات جديدة ومختلفة بعض الشيء .

تلاحظ باحثة لبنانية في دراسة حديثة لها حول « التصورى القومى في فكر جمال عبد

الناصر « بأن ما يدل عليه مفهوم الوطن العربى عند جمال عبد الناصر هو فى الواقع (مكان)
وبحال جغرافى يمتد من المحيط إلى الخليج . وتضيف الباحثة المذكورة بأن أرض خاصة به
وهو إنطلاقاً من هذا الواقع ليس هدفاً لـ « السيادة » أو « التملك » .

تنطلق هذه الملاحظة من تصور محدد لمعنى الوطن ، هو المعنى الذى أشرنا إليه فى بداية
هذا القسم ، تصور يتطلب وجود الأرض أو التراب الوطنى من جهة أولى ، وإثبات كل
الشروط اللازمة للتمتع بالحق فى السيادة من جهة ثانية ، وبالتالى فهى تنطلق من أرضية الفكر
الحقوقى المعاصر وتنفس فى مناخ الفكر السياسى الحديث .

إن ما يكسب ملاحظة باحثتنا وجاعتها هو أن ، الحديث عن الوطن ، فى حياتنا المعاصرة ،
وسواء تعلق الأمر بالمجتمعات الغربية التى نشأ فيها هذا المفهوم أو اكتسب دلالة التى له
اليوم ، أو تعلق بالمجتمعات التى إنتهى بها الأمر إلى إقباس تلك الدلالة أو تبنيها (كما هو
الشأن فى الوطن العربى) - فى كل هذه الأحوال لا يجد المفهوم مبرراته وأسباب وجود
الكاملة إلا فى دائرة النطلق المذكور . والحال أن للخطاب القومى العربى مسلمات ، وهو
يحمل مضامين ، لا تجعله فقط غير ملتزم بمعطيات المفهوم السياسى (الوطن) ، بل هو يدينها
ويرفضها بإسم أصالة ما . لذلك فإن هذا الخطاب يضيق ذرعاً بمفهوم الوطن ، وهو يستحيل
عنده إلى لفظ أو « وحدة جامدة » كما تقول مارلين نصر . لذلك فهو إما أن يحتفى كلية
أو يكاد (ليس له وجود يذكر فى كتابة ميشيل عفلق وفى كتابه « فى سبيل البعث »
تحديداً) ، وأما أن يغدو هامشياً يطفو على السطح حيث لا تربطه بالحقل الدلالى لخطابه
الخاص رابطة قوية . وهذا ما نلمسه بالضبط فى كتابة جمال عبد الناصر .

٢ - الأمة :

وبشأن هذا المصطلح خلافاً لما يصادفه مصطلح الوطن من حصار وضيق ، داخل دائرة
التداول القومى ، فإن مصطلح الأمة يلقى ، على العكس من ذلك ، كل إمكانيات التحرك
الحر الذى لا تقيده أى عوائق أو حواجز من داخله . والتعليل البارز لهذه الواقعة هو أن
القومية نظرية فى الأمة أولاً وأخيراً . الأمة هى العصب المحرك فى الفكرة القومية ، ولذلك
كان كل دعاة القومية قد أسهبوا فى الحديث عن « الأمة » ومعناها ، ودلالاتها وكاد إبداعهم
يكون مقتصرراً على التفكير فى الأمة ، ولعل ما يكسب الناصرية صورة مميزة فعلاً ، فى
دائرة الخطاب القومى ، هو بالضبط إنتباهها الذكى إلى وجود هذه الفوارق بين معنيين

كل من « الوطن » و « الأمة » .

وإذا ما رجعنا مرة أخرى إلى « التصور القومي » القومي العربي في فكر جمال عبد الناصر فإننا نجد أن السيدة مارلين نصر ، التي توسلت في دراستها بمنهجية تحليل الخطاب السياسي ، تسجل بأن « دستور ١٦ يناير ١٩٥٦م ينص على أن الشعب المصري جزء من الأمة العربية » ، في حين لم يشر الدستور اللاحق عليه إلى أن مصر هي أمة . ثم أن مارلين نصر تلاحظ ، مباشرة أنه من حينه لم تعد تذكر في خطاب عبد الناصر إلا « الأمة العربية » ، ووصفت مصر بـ « الوطن » وتلاحظ ، في مكان آخر ، وبمنظرة ثاقبة أن جمال عبد الناصر « لا يصف الأفراد الذين يكونون الأمة العربية بأنهم مواطنون ، فهذا الاسم مقصور برأيه على أبناء الدولة الواحدة . فإنه بقدر ما يحيل لفظ الوطن إلى منظومة مرجعية دقيقة ، هي الفقه الدستوري الحديث ، فإن لفظ الأمة ، في التداول القومي العربي ، يهرب من تلك المنظومة ويتجه أكثر فأكثر نحو خصوصية مفترضة تعلوا على التأطير القانوني .

الأمة في الخطاب القومي العربي كائن حي يتمتع بكل شروط الحياة ومقوماتها . « إنما الأمة تجربة رحمانية » ، كما يقول زكي الأرسوزي ، بمعنى أنها إمتداد لحياة الرحم . إن لها حاجات ومتطلبات تتبدل وتغير بحسب مراحل الحياة للأمة وتطورها كما يذهب إلى ذلك ميشيل عفلق : « لكل أمة في مرحلة معينة من مراحل حياتها محرك أساسي يهز أعماقها ويفجر فيها ينابيع النشاط والحيوية والحماسة ويفتح له قلبها ، وهو بمثابة نقطة يتركز فيها إنتباه الأمة ، وتكون مقصحة عن أعماق حاجاتها في مرحلة ما » . ولأنها حية فهي أيضا بمثابة الشخص ولذلك فإن جمال عبد الناصر يتحدث في المؤتمر الشعبي في القاهرة ، بعد مرور أربع وعشرين ساعة على قيام حركة الإنفصال في دمشق ، يتحدث عن « دقات قلب » الأمة العربية وعن « نبضها » و « جراحها » ، ويقول بأن ما حدث وقع على مسمع منها وأنه يهز مشاعرها .

الأمة في الخطاب القومي العربي ، عموما ، إرادة وفكر قبل أي شيء آخر ، إنها ، حسب عفلق ليست مجموعا عدديا بل فكرة تتجسد في هذا المجموع كله أو بعضه . ولذلك فليس لهذه الفكرة صلة بالزيادة أو النقص في عدد الأفراد ، إذ ليس المجموع العددي مقدسا في حد ذاته بإعتباره عددا بل بإعتباره مجسدا لفكرة الأمة أو قابلا لأن ،



بن يلا .. وبورقية .. وعبد الناصر : دول المغرب حاضرة في ذهب عبد الناصر

يجسدها في المستقبل ، كل فرد من أفراد الأمة يجعل مكانه هذه الفكرة في نفسه وكيانه « لأن الفكرة موجودة في حالة البذور في كل فرد من أفراد الأمة كما يقول ميشيل عفلق . وحيث أن الأمة كذلك فهي ، في نظر المفكر القومي ، تملك كل مقومات الوحدة ومبرراتها ، وهذا ما نجد التأكيد عليه بشكل قوى عند جمال عبد الناصر . يفرد « الميثاق » بابا للحديث عن الوحدة العربية وصلة مصر بالوطن العربي ، ولكن ما يهمنا أن نشير إليه هو كيفية الحديث عن الأمة . ترجع الأدبيات القومية إلى إحدى النظريات الثلاثة التي يعتمد عليها الذين نظروا للقومية في أوروبا في القرن الماضي ، النظريات التي تنسب ، في المعتاد ، إلى شعب من الشعوب بإعتبار أن ذلك الشعب يؤكد أكثر من غيره ، على عامل من عوامل الوحدة ، وهكذا يتحدث عن المدرسة الألمانية ، والإيطالية ، والفرنسية ، وبالنسبة لعبد الناصر فإن الأمة العربية تجمع بين العوامل الثلاث في وحدة عضوية : « يكفي أن الأمة تملك وحدة اللغة التي تصنع وحدة الفكر والعقل . ويكفي أن الأمة العربية تملك وحدة التاريخ التي تصنع وحدة الضمير والوجدان . ويكفي أن الأمة تملك وحدة الأمر التي تصنع المستقبل والمصير » .

الأصل في القوميات الأوروبية ، عند المثقف القومي العربي ، أن الأمة ، العماد الشرعي للقومية ، مشروع مستقبلي يتعين إنجازه تبعا لخطة وبرنامج دقيقين فهي إذن أمة قيد التكوين ، أما بالنسبة للأمة العربية ، فإنها كانت في الأساس واحدة تامة الشروط ، وأن الدعوة إلى الوحدة هي طلب شرعي بالرجوع إلى التاريخ الطويل والمحافل قبل ظهور الإستعمار الحديث ، وقبل أن تنكب الأمة بما أفرزه الإستعمار من إفرازات تهدد الأمة في كيانها . هذه الإفرازات تشكل ، فيما بينها «تحالفًا معاديا لآمال الأمة العربية» ، على نحو ما يعبر جمال عبد الناصر عن ذلك : « التحالف الثلاثي : الإستعمار ، والرجعية على يمينه ، وإسرائيل على يساره » .

الأمة مفهوم محوري في الخطاب القومي العربي في مقابل لفظ « الوطن » ، الذي يظل على كل حال « وحدة جامدة » ، أو تعبيراً خاليا من الدلالة السياسية المعاصرة لأنه ، كما حاولنا أن نبين ذلك ، خطاب يحمل في ذاته موانع وعوائق تحول دون التحقق الكامل لمفهوم الوطن في دلالته السياسية الحديثة ، كما أننا أشرنا إلى إنتباه عبد الناصر إلى هذه النقطة الدقيقة بالذات ، وإعتبرنا هذا الأمر خطوة متقدمة في إستيعاب الفكر السياسي

الحديث عن طرف المفكر القومي ، فى إستيعابه فى جانب منه على الأقل . ولكن المثقف القومى محكوم بالمسلّمات التى يأخذ بها والتى تؤسّس ، فى إجتماعها وتفاعلها فيما بينها ، الخصائص الموجهة للخطاب القومى . ولذلك نجد أن هذا المثقف ، الذى يعلن عداؤه فى أحيان عديدة للفكر الغربى ويعتبر أنه ليست به حاجة إليه ، تجده لا يرفض المبادئ الكبرى التى تقوم عليها نظريات القومية (وحدة اللغة ، وحدة التاريخ ووحدة الهدف أو المصير) ولكنه يسعى إلى تلوينها بـ « الخصوصية العربية » . هو من أجل ذلك يرجع إلى السجل الأول يقرأ فيه ، يرجع إلى التراث العربى - الإسلامى : يقر مفهوما نشأ فى الغرب ، فى القرن التاسع عشر ، بسجل ثقافى وحضارى يرجع إلى العصور الوسطى الإسلامية . هو إذن يفصل المفهوم من المناخ الذى يتنفس فيه مناخه الطيعى ، ويسعى إلى قصره على العيش فى مناخ مغاير وتربة مخالفة . وإذن فإن المصطلح السياسى الحديث يعرض ، من الوجهة النظرية ، إلى عملية تشويه يفقد بناؤه بملسها تماسكه النظرى ومن ثم دلالاته ومعناه الفعلين^(١) .

تلك هى حدود المدرك أو الحلم الناصرى بشأن الوحدة العربية وهو حلم مع الأسف لم يتحقق حتى هذه اللحظة .

هذا وإيجاز المدركات الناصرية تجاه مسألة الوحدة يمكننا الرصد العلمى لمراحلها على أنها ست مراحل فقط على النحو التالى :

- وحدة الصف العربى فيما بين ١٩٥٢م - ١٩٥٧م .
- الوحدة الدستورية المصرية - السورية ١٩٥٨م - ١٩٦١م .
- وحدة النضال السورى ١٩٦١م - ١٩٦٣م .
- وحدة العمل العربى من أجل فلسطين ١٩٦٣م - ١٩٦٦م .
- وحدة القوى الثورية : فبراير ١٩٦٦م - يونيو ١٩٧٦م .
- وحدة العمل العربى : يونيو ١٩٦٧م - سبتمبر ١٩٧٠م .
- وهى مراحل على أهميتها إلا أن الواقع كان يناقضها تماما .

(١) د . سعيد بن سعيد - مصدر سابق .

رابعاً : رؤية الإسلاميين الأصوليين لمسألة الوحدة عند عبد الناصر .

دائماً كان للإسلاميين الأصوليين ، موقفاً معارضاً لسياسات وسلوكيات وأفكار النظام الناصري ، وهو موقف رغم عدم علميته في بعض تقييماته ، إلا أن الإتيان به يعد هاماً في سياق الحديث عن كافة ملامح التجربة الناصرية ، وقضية الوحدة : واقعاً وأحلاماً ، من أبرز هذه الملامح ترى كيف يراها الأصوليين .

سوف نورد هنا، رؤية فكرية هامة لأحد باحثي ومفكرى هذا التيار ، والذي سبق الإشارة تفصيلاً إلى رؤيته في أجزاء مختلفة من هذه الموسوعة ، أنه الأستاذ (أسامة حميد) ، أحد قادة جماعة الجهاد الإسلامي في مصر ، وهذه هي رؤيته نوردها دون تدخل كبير . يقول أسامة حميد :

لم تكن تصفية القضايا الوطنية تقتضى فقط تصفية الإسلاميين - بل كانت تقتضى أيضاً القيام بحملة تضليل ضخمة لإيهام الشعب بأن النظام يحقق إنتصارات - وتضمن ذلك رفع النظام لعقيرته ضد الإستعمار والإمبريالية والصهيونية والرجعية .. الخ والمزايدة على قضية فلسطين والوحدة العربية (علماً بأن الوحدة العربية لم ترد بكلمة واحدة في برنامج هيئة التحرير وكان عبد الناصر يستخدم تعبير الأمة المصرية حتى سنة ١٩٥٦م)^(١) .

(١) راجع : محمد عبد العاطى صباحى : تطور مفهوم الوحدة العربية في الصحافة اليومية المصرية

(٥٢ - ١٩٦١) ماجستير في الصحافة من جامعة القاهرة ١٩٨٦ .

أيضاً نبيه بيومى عبد الله : تطور فكرة القومية العربية في مصر - رسالة من معهد البحوث والدراسات العربية نشرت في الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٥ .



في دمشق - في جميع مدن سورية - كان لقاء القلوب بين الشعب وبطله - بين أبناء سورية وحمال

وبسبب ظروف سوريا سنة ١٩٥٧م^(١) فقد التمس البحث السوري مخرجاً من أزمته بالوحدة مع مصر (بدأ ذلك في الحقيقة منذ ١٩٥٦م حيث استغل البحث الصعود الجماهيري في دفع الوزارة الإثلافة إلى تبني الوحدة رسمياً) . وفي ١٩٥٧م عندما أشتدت أزمة سوريا - دعا البرلمان السوري برلمان مصر إلى الوحدة فلم يعرهم برلمان مصر أى إهتمام - وبسبب مبادرة اليمين السوري وضغطه للوحدة مع نوري السعيد فقد هددهم ضباط الجيش السوري وخبروهم بين « المرة أو القاهرة » فقبلوا الوحدة مع مصر للأفلات من الضغط الجماهيري وزشما يخلون خططهم .

جاء قادة الجيش السوري - كما يقول أسامة حميد في أحد مواضع رؤيته - وطلبوا من عبد الناصر الوحدة فرفض بشدة . وقال لهم أنه « يريد بناء مصر لتكون قاعدة قوية لنضال باقى الشعوب العربية » وبعد ضغوط شديدة وافق عبد الناصر على الوحدة بشرط أن يسبقها تمهيد على مدى خمس سنوات كما طلب منهم تحقيق إتحاد لا وحدة .

(١) إن ظروف سوريا في ذلك الوقت حناج إلى مجلدات لشرحها لكن يمكن تلخيصها في (وفقاً لرؤية أسامة حميد) :

« الظروف الدولية : كان هناك صراع تقوده أمريكا ضد كل من بريطانيا (التى تتبعها العراق) والى تسعى لتنفيذ مشروع افلال الخصيب الذى يتضمن السيطرة على سوريا) وروسيا (التى عقدت صفقة أسلحة ضخمة وقرض روسى كبير جهود وزير الدفاع السورى خالد العظم المتعاطف مع الشيوعيين) وفي ١٩٥٧م أحبطت مؤامرة عراقية واسعة النطاق لقلب الحكم السورى وبعدها بشهور أحبطت مؤامرة أخرى لقلب النظام وانفجر الموقف عندما طردت سوريا ثلاثة دبلوماسيين أمريكيين بتهمة التخطيط لإسقاط النظام السورى .

« الظروف الداخلية : كان برلمان سوريا (١٩٥٤) مكوناً من قوى كثيرة جداً ومتشعبة وخشيت أمريكا من معاملى حزب الشعب الذى ضغط لجر سوريا إلى وحدة مع العراق ، كما خشيت من الشيوعيين الذين أرادوا تعزيز العلاقات مع روسيا ، فتوافقت أمريكا مع حزب البعث (لم يحقق إلا ١٥.٦ ٪ من مقاعد البرلمان) الذى أراد الخروج من عزلته وكذلك أراد استغلال نفوذه الكبيرة فى الجيش . ونظراً لأن فكرة الانقلاب العسكرى لم تكن واردة أمام البعث (بعد أن أساء عبد الناصر لفكرة الانقلابات العسكرية بما ارتكبه من قمع) وبسبب حيوية القوى السياسية السورية وفديتها على تنفيذ انقلابات مضادة) نظراً لذلك طرح البعث موضوع الوحدة .

إن وحدة حقيقية ، تؤدى إلى إستشارة كل القوى الكبرى أما الإتحاد فهو يعطى عبد الناصر مجدداً شخصياً^(١) مع تفريغ الوحدة من مضمونها - وفى الحقيقة لقد اعترف أمام العسكريين السوريين بأن الدول ستقاوم الوحدة^(٢) وهو ما أوضحه بعد ذلك محمود رياض (سفير مصر فى دمشق) .

كانت سياستنا فى أن نتجنب الوحدة وعرفنا أنها ستثير كل القوى ضدنا وكان وكيلا المخابرات (شعراوى جمعة وأمين هويدى) قد قدما تقريراً ، لعبد الناصر نصحا فيه « بتأجيل الوحدة » .

ولكن يبدو أن عبد الناصر إطمأن من عدم معارضة أمريكا للوحدة حال إتمامها - بدليل أنه عاد وقبل الوحدة - وفى الحقيقة لقد إعتبرت أمريكا الوحدة - فى إطار معين - أفضل وسيلة لتجاوز الأزمة السورية بعد أن فقدت كل البدائل الأخرى - يدل على ذلك أن أمريكا هى القوة الوحيدة التى لم تعارض الوحدة - بل أن دعمها لعبد الناصر ومساعدتها المالية قد ازدادت طوال فترة الوحدة . إن ما غمض من موقف أمريكا^(٣) قد يتضح إذا علمنا موقف روسيا من الوحدة (حيث ظروف الحرب الباردة تجعل أمريكا وروسيا على طرفى النقيض) - لقد أعلن خروشوف عداؤه للوحدة العربية وكان صدامه الشهير مع عبد الناصر سنة ١٩٥٩م ، وفى اللحظات الحاسمة وقت الانفصال كان جروميكو يحرض الانفصاليين ويعدهم بالدعم من إذاعة مومكو .

وبعد إطمئنانه من جهة أمريكا - كان أمام عبد الناصر مشكلة أخرى هى خوفه من

(١) من مظاهر تجسيد عبد الناصر للقوة أنه نقل تمثالا لرمسيس إلى أهم مادين القاهرة وحتى أهم شوارع القاهرة شارع رمسيس وسمى أول سيارة مصرية باسمه رمسيس وهو ما يناقض مع أفكار القومية العربية الحساسة لمثل تلك التهرات .

(٢) حمروش : عبد الناصر والعرب ط بيروت ص ٤٨ .

(٣) فى رسالة ماجستير ضخمة حاول محمد عبد المولى الزعبي دون جدوى أن يثبت أن أمريكا كانت تعارض الوحدة لكنه لم يجيد دليلاً على ذلك سوى رسم ساخر (كاريكاتير) فى النيويورك تايمز . راجع : محمد الزعبي - الجمهورية العربية المتحدة : تجربة فى الوحدة العربية (١٩٥٨ - ١٩٦١) ماجستير فى السياسة من جامعة القاهرة ١٩٦٨ .

الجيش السوري المسيسي - وكان عبد الناصر قد فرغ لتوه من تسريح ألف ضابط مصري من الجيش بمن فيهم كل الضباط الأحرار - لأنهم صاروا - مسيسين - ولذلك اشترط عبد الناصر على السوريين حل كل تنظيماتهم الحزبية فوافقوا ظاهراً .

وكعادتهم - والقولة لأسامة حميد - فى خيانة القضايا الوطنية فقد عارض الشيوعيين الوحدة وهرب زعيم الحزب الشيوعى السوري إلى الخارج (وكان هذا أحد أسباب إعتقالات الشيوعيين سنة ١٩٥٩ م) أما الإسلاميون فى سوريا فقد رحبوا بالوحدة وإن أدانوا عبد الناصر وقال مرشد الإخوان فى سوريا (عصام العطار) كلمته الشهيرة « أنا مع الوحدة وضد عبد الناصر » .

أما البعث السورى فقد بدأ خطة للسيطرة على العالم العربى بإستخدام إمكانيات مصر المادية - وكان ، البند الأول من الخطة يقتضى وتبعث الإتحاد القومى وتبعث الوزارات التنفيذية التى استلمها وزراء بعثيون وتبعث التعليم (هذه المصطلحات إستخدمها البعث فى نشراته السرية التى وزعت على أعضائه) ولكن عبد الناصر كان أشد دهاء وتأمراً من أشد الأحزاب السورية دهاء وتأمراً - وفى الحقيقة - لقد كان جهاز المخابرات الجبار (الذى تولاه عبد الحميد السراج رجل عبد الناصر فى سوريا) وهو الجهاز الوحيد الذى لم يخترقه البعث فى دولة الوحدة .

قوبل طلب البعث بتحويل دولة الوحدة إلى دولة عقائدية برفض حازم من عبد الناصر - ثم تلقى البعث لطمة أخرى عندما لم يحقق سوى ٢,٥٪ فى إنتخابات الإتحاد القومى .

وإنفجر الخلاف علناً عندما إقتراح البعث « تشكيل مجلس نضال سرى منا ومنكم »^(١) وهو ما قاله عبد الناصر بعد ذلك فى إحدى خطبه طلب البعث ثلاثة سوريين وثلاثة مصريين يشكلون لجنة تقرر كل الأمور « حوراني - ميشيل عفلق - البيطار ، عامر ، بغدادى ، زكريا يحيى الدين) ولما رفض عبد الناصر تلك الأساليب إنسحب البعث من الحكومة وبدأ بإطلاق إتهامات ضد عبد الناصر لم تطلقها عليه الدول المسماة بالرجعية .

كانت مخايرات عبد الناصر - بالتنسيق مع البعث - قد صفت الإخوان والشيوعيين خاصة

(١) هيكل : ما الذى جرى فى سوريا ص ٩١ - ٩٢ .



عبد الناصر في دمشق مع شكري القزويني في اليوم التالي لإعلان الوحدة بين مصر وسوريا وإقامة الجمهورية العربية المتحدة

في الجيش السوري - وإرتكب السراج - والقول لأسامة حميد - فظائع تقشعر لها الأبدان (مثل قتل الشيوعي اللبناني فرج الله الحللو وإذابة جثته في حمض الكبريت) - والآن جاء الدور على البعث - وبمجرد إتهام عبد الناصر للبعث بأنه « يحاول فرض نفسه على الأمة العربية وحده » فقد بدأت حملة رهيبة ضدهم من الإعتقالات والتعذيب .

عند هذا الحد كانت أمريكا قد إستنفذت أغراضها من الوحدة (حيث زال الخطران العراق والروسي) وكان البعث قد فشل في الضحك على عبد الناصر كما بدأت الرأسمالية السورية تتحرك بعد صدور قوانين يوليو (١٩٦١ م) الاشتراكية .

وفي أكتوبر ١٩٦١م حدث الانفصال بالكيفية المعروفة - ووقع على وثيقة الانفصال أشد المؤيدين للقومية العربية والوحدة العربية وعلى رأسهم أهم قيادي البعث (حوراني - البيطار) وبرروا الانفصال بأن عبد الناصر إستهدف تشويه فكرة القومية العربية والوحدة العربية وخنق الحياة السياسية الديمقراطية ووأد الحريات العامة وكأنه كانت هناك حريات عامة في مصر عندما طلبوا الوحدة معها سنة ١٩٥٨ م) - أما عبد الناصر فقد إعتبر الانفصال نقطة بدء لحماية الاشتراكية وحماية القومية العربية .

كان عبد الناصر - وفقاً لرؤية أسامة حميد - وكذلك كان كل حكام العرب الآخرين - في النظريات الغربية للأمن القومي (بمعنى أمن كل وحدة سياسية على انفراد) ، وبالتالي فإن الجغرافيا السياسية - وليس غيرها - ستكون المفسر الأول للصراعات العربية . طبقاً للجغرافيا السياسية للمنطقة لا يمكن أن تجتمع مصر والعراق في كيان واحد - وقد تمحورت السياسة العربية دائماً حول تنافسهما - ورغم وجود ثلاثة أنظمة توصف بالتقدمية في كل من مصر وسوريا والعراق سنة ١٩٦٣م ورغم دخولهما في مشروع مشترك للوحدة فإن حقائق الجغرافيا تغلبت في النهاية .

وفي ذلك يقوّن أمين هويدي^(١) كانت أول مرة في التاريخ تتلاقى فيها القاهرة وبغداد - وكان هذا يشتر بتطور كبير في المنطقة لولا الظروف التي حالت دون ذلك .

(١) في شهادته لأحمد حمروش ج٢ ص ٩١ كان أمين عويدي ممن عارضوا وحدة مصر وسوريا ثم صار سفير مصر في العراق .

إن هذا يطرح سؤالاً خطيراً : ما هو تبرير تقسيم عبد الناصر للعالم العربي إلى دول تقدمية وأخرى رجعية - خاصة وأن عبد الناصر في ذروة المد الثوري كان مصراً على تحسين علاقته بأمريكا (رسالته الشهيرة إلى كيندي سنة ١٩٦١ م) وخاصة وقد سارعت إحدى الدول الرجعية (اليمين) بالانضمام إلى دولة الوحدة بين مصر وسوريا (١٩٥٨) - وهذا يقودنا إلى تساؤل آخر : وهل إنقلاب ١٩٦٢ م في اليمن كان فعلاً حركة ثورية ؟

يقول أحد الناصريين^(١) أثناء الدعم المصري للثورة اليمنية خيل إلينا أننا أمام صراع بين الجمهوريين والملكيين بينما كان الصراع في جوهره بين الشوافع والزيود (وفقاً لرؤية أسامة حميد) .

لقد أنفق عبد الناصر ٤ مليارات جنيه على الصراع بين الشوافع والزيود في اليمن - وعندما وقعت النكبة (١٩٦٧ م) كان ٥٠,٠٠٠ جندي مصري في اليمن بينما لم يكن يدافع عن القاهرة سوى ٤٠٠ جندي .

إن الفقرات السابقة قد تكون (تحقيقاً بوليسياً) عن قضية الوحدة العربية - لكنها في حد ذاتها ليست كافية لإيضاح موقف عبد الناصر من الوحدة - إن هذا الموقف قد يتضح إذا بحثنا عما قدمه عبد الناصر من خطوات تمهيدية قد تساعد فيما بعد على الوحدة .

ويختم أسامة حميد رؤيته الهامة والتي تعبر عن فكر تيار عريض من الحركة الإسلامية بقوله :

لا شك أن نوعين من الخطوات يمكن أن يخدمها قضية الوحدة :

- تبنى قضية فلسطين وإسقاط جميع الأنظمة في المنطقة من خلال ذلك .

- تخطيط الاقتصاد والمرافق بما يخدم هدف الوحدة في النهاية .

وبالنسبة للنقطة الأولى فقد خطب عبد الناصر في غزة عام ١٩٦٢ قائلاً : « أنا ماعنديش خطة لتحرير فلسطين - واللى بيقول لكم عنده خطة لتحرير فلسطين يبقى بيضحك عليكم^(١) » - وقد تحولت هذه العبارة إلى مقدمة لبرنامج يومي في إذاعة الأردن .

(١) عادل حسين : نحو فكر عربي جديد - المستقبل العربي ١٩٨٥ ص ٢٣٩ .

(١) تم ترفيف هذا النص في جريدة الأهرام (١٩٦٢/٧/٢٧) فقد حذفت الجملة الأولى وحرفت الجملة الثانية إلى « أن الذى يقول أنه وضع خططا لحل قضية فلسطين إنما يمدعكم » .

وبالنسبة للنقطة الثانية - فإن الدراسات التفصيلية تنفى وجود إتجاه لدى النظام لتوحيد المنطقة يوما - بل لم يكلف النظام الناصري نفسه إنشاء طريق برى يربط بين مصر والسودان) .

* وبعد تلك كانت رؤية الإسلاميين لمسألة الوحدة عند عبد الناصر ، وهى رغم حديثها وعدم علميتها فى بعض المواضع إلا أن لها وجاهتها ، وتطلب منا الإنصات الجيد وإحترام صاحبها الذى تميز فى كل ما قدمه بالإلمام الوافى والعمق الفكرى ، إن هذا « الاحترام » قد يمثل بداية واعية لبناء وحدة عربية إسلامية جادة يقع على الإسلاميين أمثال (أسامة حميد) وعلى الناصريين القادرين على تقبل النقد بنائها .



معمّر القذافي وأعضاء مجلس الثورة الليبي

ملحق رقم (١) الفصل السادس

[الوحدة العربية فى إدراك عبد الناصر]

(الشعب المصرى فى عمله فى الداخل ، لم يعزل نفسه عن حقيقة وجوده .. وإنما تفاعل الشعب المصرى ، مع أمته العربية ، محطماً كل العوائق ، وكل الحواجز متخصياً لها).
(عيد الثورة الثالث عشر ١٩٦٥/٧/٢٢ م)

وإننا جزء لا يتجزأ من أمة عربية واحدة ، تاريخها واحد ، ونضالها واحد ، ومصيرها واحد .

(مجلس الأمة ١٩٦٥/١/٢٠ م)

إن الوحدة العربية ليست حركة عنصرية .. وإنما هى حركة أمة واحدة .. عاشت نفس التايخ .. وتعيش نفس النضال .. وتتجه لنفس المصير .

(حديث صحفى ١٩٦٤/٧/٥)

عروبة مصر ليست مسألة سياسية ولا مسألة تكتيكية .. وإنما قدر ووجود ، وحياة أمة واحدة .

صف واحد .. نضال واحد .. مصير واحد .

(عيد الثورة الثالث عشر ١٩٦٥/٧/٢٢ م)

إذا تكلمنا عن القومية العربية والوحدة العربية .. فإننا نتكلم عن دعوة لها جذور عميقة .. رويناهما بالدماء .. ورويناها بالأرواح .. وعمل الأجداد فى سبيل تقديسها .. وببذل أرواحهم .. وتضحية أنفسهم .

(خطاب باللاذقية أكتوبر ١٩٦٠م)

إن قصة كفاح الشعب العربى ، وخطوات الكفاح واحدة ، لسبب واحد بسيط .. سبب كل فرد فى الأمة العربية يعرفه ويعلمه .. هو تشابه الظروف الكامل .. وتوافق هذه الظروف وترابطها .

وإذا قارنا مقارنة تاريخية ، بين كفاح الشعب العربى ، فى كل مكان ، وفى كل بلد من بلاد الوطن العربى .. فى العراق .. وفى سوريا .. وفى لبنان .. وفى مصر .. فإننا نرى الترابط بين المشاعر والترابط فى الحوادث .

فى كل وقت ثارت فيه بغداد ، كانت القاهرة تتور ، لأن المشاعر كانت تجمع بين البلدين .

فى كل وقت ثارت فيه دمشق .. ثارت فيه بيروت لأن الحوادث كانت تجمع بين البلدين .

كانت الحوادث فى العالم العربى مرتبطة متصلة .. العالم العربى كله يشعر بمشاعر واحدة فى وقت واحد ، لأن قضية العالم العربى هى قضية واحدة .. وقصة الكفاح فى العالم العربى قصة واحدة .. وإذا كان هناك تفاوت فى الزمن .. فإن هناك إتفاق فى الأهداف .. وإتفاق فى الآمال .

(عيد الثورة ٢٢/٧/١٩٥٨م)

إننا حين نتكلم عن القومية العربية ، فقد علمنا التاريخ ، أن الحفاظ على قوميتنا العربية فى الماضى ، كان السبب فى الحفاظ على حريتنا ، وعلى إستقلالنا .. وأننا حينما هبنا لندافع عن وطننا جميعاً وحينما لم نتمدح بالطائفية التى أرادت الحبلات الصليبية أن تشها بيننا ، واتحدنا جميعاً .

(خطاب باللاذقية أكتوبر ١٩٦٠م)

عندما كان العرب وحدة متماسكة ، استطاعوا رد المعتدين على أعقابهم ، كما حدث أيام الحروب الصليبية .. ولكن بعد أن فرق المستعمرون بين العرب أصبحوا عرضة للهزيمة، وفريسة للسيطرة الأجنبية .. وكانت هذه الحقيقة ماثلة أمام عيني طوال فترة المناقشة التي كانت تدور حول وسائل الدفاع عن مصر .

ولأول وهلة ، إتضح لنا أن مصر مثلها في ذلك مثل كل جزء من أجزاء الوطن العربي لا يمكن أن تضمن سلامتها إلا مجتمعة مع كل شقياتها في « العروبة » في وحدة متماسكة قوية .

إن موقع مصر الجغرافي والإستراتيجي الهام ؛ كان دائماً هو نقطة الضعف بالنسبة لها .. وأنه سبب هذا الموقع الممتاز ، تسابقت الدول إلى إحتلالها .. لذلك كان هدفنا أن نجعل من هذا الضعف قوة .

وقمنا بعد ذلك بدراسة ثروات العرب وخاصة البترول .. وعرفنا أن هذا البترول يمكن إستخدامه لصالح العرب .. وهذا هو نفس الذي حدث للقتال .. وهكذا إتخذت القومية العربية طابعها ، كضرورة إستراتيجية .. وذلك لضمان سلامة الوطن العربي ... وكمذهب سياسي ..

(حديث مع الصحفي الإنجليزى ديزمونت ١٩٥٧/٤/١ م)

إن سقوط أى بلد عربى إنما يكون دائماً هو البداية لسقوط باقى البلاد العربية وفى أعقاب الحرب العالمية الأولى وقبل الحرب العالمية الأولى .. حينما تعرضت البلاد العربية للمحاولات الأجنبية للسيطرة والإحتلال .. وبدأ هذا الإحتلال ببلد عربى .. سرى هذا الإحتلال وهذه السيطرة سريان السرطان .. بين أرجاء الأمة العربية .

إن مصيرنا واحد ، وإن كفاحنا من أجل الحرية والإستقلال فى أى بلد عربى ، إنما يؤثر علينا فى جميع أنحاء العالم العربى .

(خطاب فى ١٩٥٩/٤/٢١ م)

إن الوحدة العربية موجودة فعلاً بين أبناء الشعب العربى .. إن الخلافات قائمة بين النظم والحكومات .. ولكن إذا حدث شئ فى الجزائر ، تجد له رد فعل فى جميع أنحاء الدول العربية .. وإذا وقع شئ فى سوريا ، يكون له رد فعل فى جميع أنحاء البلاد العربية .

(حديث إلى تلفزيون كولومبيا ١٩٦٥/٧/٩ م)

إذن الوحدة .. هذه الوحدة من ناحية المصلحة .. هي قائمة .

وهذه الوحدة من ناحية المصير المشترك هي قائمة ..

ومن ناحية الماضي المشترك أيضا هي قائمة ..

وحدة المصير .. وحدة الوجود .. وحدتنا كنول عربية .

كنا على ثقة أن أمننا إचना حتى من ناحية مصلحتنا مرتبط بأمن الدول العربية الأخرى ..
وسلامتنا مرتبطة بسلامة الدول العربية الأخرى .

(خطاب في ١٩٦٢/١٢/٢٣ م)

لقد كان الكفاح من أجل الوحدة ، هو نفسه الكفاح من أجل الحياة ، ولقد كان التلازم
بين القوة والوحدة أبرز معالم تاريخ أمتنا .

وما من مرة توافرت القوة .. إلا كانت الوحدة نتيجة طبيعية لها .

(مجلس الأمة ١٩٥٨/٢/٥ م)

إن تيار التاريخ يسير إلى الأمام .. وإن الدول الكبرى التي حاولت أن توقف هذا التيار
لم تستطع أن تغلب على التيار الطبيعي للتاريخ .. بالنسبة لشعب آمن بأن القومية العربية
والتضامن العربي سبيل الأمان والسبيل الوحيد للحماية ، والسبيل الوحيد لرفع مستواه ،
والسبيل الوحيد لتطويره اجتماعياً وإقتصادياً وسياسياً .

(خطاب بدء تنفيذ السد العالي ١٩٥٩/١١/٢٦ م)

إن القومية العربية التي إنطلقت لا يمثلها واحد ، ولا يمثلها حفنة من الناس .. لا يمثلها
جمال عبد الناصر ولا يمثلها أى شخص آخر .. ولكنها أتم .. كل فرد منكم .. يمثل
هذا الشعب الذى قاتل .. يمثل هذا الشعب الذى صمم على الحرية ، وصمم على أن
يتنصر .

إن شعلة القومية العربية ستبقى أبد الدهر عالية مرتفعة ، أنها لا تنحصر فى شخص واحد
هو جمال عبد الناصر ولا تنحصر فى أفراد آخرين .. هم من يعملون مع جمال عبد الناصر ..
ولكنها تمثل الشعب العربى ..

القومية العربية هي أتم هنا فى دمشق .. وأخوة لكم فى بغداد .. وأخوة لكم فى القاهرة ..

وأخوة لكم في عمان .. وأخوة لكم في بيروت ..

القومية العربية أخوة لكم في السودان .. وأخوة لكم في اليمن .. وأخوة لكم في ليبيا
هذه هي القومية العربية التي لن تستطيع أية قوة في العالم أن تحطمها أو تقضى عليها ..
ليست القومية العربية من وحى رجل واحد ، أو من وحى فرد واحد .. ولكنها من
وحكمكم أنتم ومن وحى آباءكم .. ومن وحى أولئك الذين استشهدوا في سبيل هذه الأيام
التي نعيشها ، لنرى فيها الأمة العربية وهي تتحرر .

(خطاب بدمشق ١٨/٧/١٩٥٨م)

ينبغي الفصل بين الوحدة العربية كتيار تاريخي قديم ومستمر ، وبين أى فرد يتحمل في
لحظة من اللحظات مسئولية العمل من أجلها .. أن دعوة الوحدة العربية بدأت من قبل جمال
عبد الناصر .. وستبقى بعد جمال عبد الناصر .

(حديث صحفى في ٥/٧/١٩٦٤م)

إن الوحدة ثورة .. ثورة على ما كنا نعيش فيه .. ثورة على كل الأساليب التي مرت
بنا في الماضي .. وثورة تستهدف إقامة المجتمع الذى تريده ..

الوحدة في طبيعتها ، ليست إدماج إقليمين ، أو إدماج دولتين عريتين فحسب ، ولكن
الوحدة كما لمستها وأنا أقابل هذه الشعب في القرى والمدن .. هي تطور قومى إجتماعى
إقتصادى سياسى .

وحينا كان الشعب ينادى بالوحدة .. وحينا فرض الشعب الوحدة . إنما كان يثور ليحقق
لنفسه الثورة السياسية القومية العربية .. وفي نفس الوقت ليحقق أيضا الثورة الإجتماعية التي
عمل من أجل تحقيقها وكافح في سبيلها طوال السنين الماضية .. فإن الشعب حينما كافح
الإستعمار وتخلص منه .. فإن الإستقلال في حد ذاته لم يكن غاية .. ولكنه كان الوسيلة
لتحرير إرادته ليكون الشعب قادراً على أن يطور نفسه .. وعلى أن يضع الثورة السياسية
والثورة الإجتماعية موضع التنفيذ .

(خطاب بحلب ١٨ فبراير ١٩٦٠م)

إن الثورة العربية الشاملة .. ما تزال هي القوى الأصلية القادرة ، على تحقيق آمال العربية
كلها ، لكننى أود أن أقول بوضوح .. إن الثورة العربية الشاملة ، لا يمكن أن تكون مجموعة

من المغامرات أو الانقلابات ، وإنما هى الحركة التاريخية لجماهير الأمة العربية للقفز عبر التخلف .. إلى التقدم السياسى والإجتماعى والثقافى ، مستندة على القيم الحضارية للأمة العربية ، محققة بالنضال الثورى أهدافها .

(مجلس الأمة ٢٥ نوفمبر ١٩٦٥ م)

إن الوحدة ليست نداء يردد أصدااء الماضى .. وإنما الوحدة العروة أصلاً وأساساً هى نداء بالتجمع وإنطلاق إلى بناء المستقبل .. وتوفير رخائه .

(مجلس الأمة ٢٠ يناير ١٩٦٥ م)

إن أمل الوحدة بين شعوب الأمة العربية ، لا يمكن أن يتحقق إلا إذا سبقته ، وتأكدت قبله ، آمال أخرى تفتح له الطريق وتمكن له .. وتخلق أنسب الظروف الملائمة له .

(عيد الوحدة ٢٢ فبراير ١٩٦٧ م)

إن مطلب الحرية السياسية ، لا بد له أن يسبق ويتأكد فى كل وطن عربى ... قبل أن يصبح أمل الوحدة العربية أمراً مطروحاً .. أن مطلب الحرية السياسية معناه لأى شعب ، أنه يستطيع أن يعلن رأيه ، ويبدى مشيئته .

(عيد الوحدة ٢٢ فبراير ١٩٦٧ م)

كذلك فإن مطلب الحرية الإجتماعية .. لا بد له أن يسبق ويتأكد ، فى كل وطن عربى ، قبل أن يصبح أمل الوحدة العربية قابلاً للتحقيق .. أن مطلب الحرية الإجتماعية معناه لأى شعب أنه يستطيع أن يقرر لنفسه .. وأن يسود على مصيره .

(عيد الوحدة ٢٢ فبراير ١٩٦٧ م)

هناك ترابط كبير بين الاشتراكية والوحدة .. ولذلك فإننا نقول باستمرار ، أننا لن نتحد أبداً مع أى بلد عربى إلا حين يطبق الاشتراكية .. ويعلن ماذا يعنى بالاشتراكية .. وبذلك لا تتعرض الوحدة للخطر .. لأن تطبيق الاشتراكية ، وإعلان محتواها ، يمنع الإنتهازية التى

تعلن أنها اشتراكية ، ثم تحالف مع الرجعية ، فى تسديد الطعنات للوحدة .. إن هذا يقضى على العناصر التى وجدت بطبيعتها لتحارب الوحدة ..

إن الوحدة معناها الاشتراكية .. فلا بد للرأسماليين أن ينقضوا على الوحدة أولاً حتى

لا يقعون تحت بطش الاشتراكية ، كما يتصورون أن الاشتراكية تبطش بهم .. وهذا ما حدث فى تجربة الوحدة الأولى . ولذلك سميت الرجعية بالانفصالية ، لأن الانفصال حماية للرجعية من الاشتراكية وربما كان انقضاضهم على الوحدة ليس كرهاً فى الوحدة .. ولكنه كره فى الاشتراكية .

إن انتصار الحرية السياسية ، والحرية الاجتماعية ، فى أوطان الشعوب العربية ، معناه هزيمة الإستعمار وهزيمة الرجعية المتحالفة مع الإستعمار .. وهما معا أكبر العوائق أمام الوحدة .

الإستعمار يريدنا أمة عربية مزقة ليسهل عليه مواجهة شعوبها .. كما أن الرجعية وراء الحدود المصنوعة ، قد استطاعت أن بتنى لنفسها امتيازات طبقية شرهة ، من هنا نقول أن أمل الوحدة حين يتحقق ، يصبح تنويجا لكل الآمال العربية الأخرى ، وهو فى نفس الوقت ضمان لها .. وهو الإطار السليم لتطور الأمة العربية ، ونموها المتكامل وفرصتها الحقيقية لبلوغ مستوى التقدم المنشود .. فى عصر تتسابق فيه الأمم إلى التقدم بسرعة مذهشة .. بعد أن استطاعت ثورة العلوم أن تطلع لخدمة التقدم الإنسانى أدوات ووسائل ، لم تخطر من قبل على البال ..

(عيد الوحدة ٢٢ فبراير ١٩٦٧)

إن الحرية السياسية والاجتماعية مقدمات ضرورية للوحدة .. وليس معنى هذا أنه يتعين علينا الانتظار حتى يتحقق ذلك كله تماما فى كل أرض عربية .. لكى نبدأ الحديث أو العمل من أجل الوحدة .. أهداف النضال متداخلة .. أهداف النضال تعطى لبعضها ، وتأخذ من بعضها ، وتميز إحداها الأخرى ، وتميز بها .

(عيد الوحدة ٢٢ فبراير ١٩٦٧)

ملحق رقم (٢) الفصل السادس

أولاً : الدستور المؤقت للجمهورية العربية المتحدة
ثانياً : ميثاق الدول العربية المتحد بين مصر واليمن

أولاً : الدستور المؤقت للجمهورية العربية المتحدة ١٩٥٨/٣/٥ م
الباب الأول

- م ١ - الدول العربية المتحدة جمهورية ديمقراطية ذات سيادة ، وشعبها جزء من الأمة العربية .
- م ٢ - الجنسية في الدولة المتحدة يحددها القانون . ويتمتع بجنسية الدولة العربية المتحدة كل من يحمل الجنسية السورية أو المصرية ، أو يستحق أية منهما بموجب القوانين والأحكام السارية في سوريا ومصر عند العمل بهذا الدستور .

الباب الثاني

- م ٣ - التضامن الإجتماعى أساس للمجتمع .
- م ٤ - ينظم الاقتصاد القومى وفقاً لخطط مرسومة ، تراعى فيها مبادئ العدالة الإجتماعية وتهدف إلى تنمية الإنتاج ورفع مستوى المعيشة .
- م ٥ - الملكية الخاصة مصونة ، وينظم القانون أداء وظيقتها الإجتماعية ، ولا تنزع الملكية إلا للمنفعة العامة ومقابل تعويض عادل وفقاً للقانون .
- م ٦ - العدالة الإجتماعية أساس الضرائب والتكاليف العامة .

الباب الثالث

- م ٧ - المواطنون لدى القانون سواء وهم متساوون فى الحقوق والواجبات العامة ، لا تمييز بينهم فى ذلك بسبب الجنس أو الأصل أو اللغة أو الدين أو العقيدة .
- م ٨ - لا جريمة ولا عقوبة إلا بناء على قانون ولا عقاب إلا على الأفعال اللاحقة لصدور القانون الذى ينص عليها .
- م ٩ - تسليم اللاجئين السياسيين محظور .

- م ١٠ - الحريات العامة مكفولة في حدود القانون .
م ١١ - الدفاع عن الوطن واجب مقدس وأداء الخدمة العسكرية شرف للمواطنين والتجنيد إجبارى وفقاً للقانون .

الباب الرابع نظام الحكم الفصل الأول رئيس الدولة

- م ١٢ - رئيس الدولة هو رئيس الجمهورية ، وينأثر اختصاصاته على الوجه المبين في هذا الدستور .

الفصل الثانى السلطة التشريعية

- م ١٣ - يتولى السلطة التشريعية مجلس يسمى مجلس الأمة ، يحدد عدد أعضائه ويتم اختيارهم بقرار من رئيس الجمهورية ، ويشترط أن يكون نصفهم على الأقل من بين أعضاء مجلس النواب السورى ومجلس الأمة المصرى .
م ١٤ - يتولى مجلس الأمة مراقبة أعمال السلطة التنفيذية على الوجه المبين فى الدستور .
م ١٥ - يجب أن لا يقل من عضو مجلس الأمة عن ٣٠ سنة ميلادية .
م ١٦ - مقر مجلس الأمة مدينة القاهرة ، ويجوز دعوته للإنعقاد فى جهة أخرى بناء على طلب رئيس الجمهورية .
م ١٧ - يدعو رئيس الجمهورية مجلس الأمة للإنعقاد ، ويفض دورته .
م ١٨ - لا يجوز أن يجتمع مجلس الأمة دون دعوة فى غير دور الإنعقاد ، وإلا كان إجتماعه باطلاً ، وبطلت بحكم القانون القرارات التى تصدر منه .
م ١٩ - يقسم عضو مجلس الأمة أمام المجلس ، فى جلسة علنية ، قبل أن يتولى عمله ، اليمين الآتية :

أقسم بالله العظيم أن أحافظ مخلصاً على ج . م . ع ونظامها وأن أرفع مصالح الشعب وسلامة الوطن ، وأن أحترم الدستور والقانون .

- م ٢٠ - ينتخب مجلس الأمة في أول اجتماع عادي له رئيساً ووكيلين .
- م ٢١ - جلسات مجلس الأمة علنية ، ويجوز إنعقاده في جلسة سرية بناء على طلب رئيس الجمهورية أو ٢٠ من أعضائه - ثم يقرر المجلس ما إذا كانت المناقشة في الموضوع المطروح أمامه تجري في جلسة علنية أو سرية .
- م ٢٢ - لا يصدر قانون إلا إذا أقره مجلس الأمة . ولا يجوز تقرير مشروع قانون إلا بعد أخذ الرأي فيه ، مادة مادة .
- م ٢٣ - يصنع مجلس الأمة لائحته الداخلية لتنظيم كيفية أدائه لعمله .
- م ٢٤ - لكل عضو من أعضاء مجلس الأمة أن يوجه إلى الوزراء أسئلة أو إستجابات وتجرى المناقشة في الإستجابات بعد سبعة أيام على الأقل من يوم تقديمه وذلك في غير حالة الإستعجال وموافقة الوزير .
- م ٢٥ - يجوز لعشرين من أعضاء مجلس الأمة أن يطلبوا طرح موضوع علم للمناقشة لإستيضاح سياسة الحكومة في شأنه ، وتبادل الرأي فيه .
- م ٢٦ - لمجلس الأمة إبداء رغبات أو إقتراحات للحكومة في المسائل العامة .
- م ٢٧ - إنشاء الضرائب العامة أو تعديلها أو إلغاؤها لا يكون إلا بقانون ، ولا يعفى أحد من أدائها في غير الأحوال المبينة في القانون ، ولا يجوز تكليف أحد أو أداء غير ذلك من الضرائب أو الرسوم إلا في حدود القانون .
- م ٢٨ - ينظم القانون القواعد الأساسية لجباية الأموال العامة وإجراءات صرفها !
- م ٢٩ - لا يجوز للحكومة عقد قرض أو الإرتباط بمشروع يترتب عليه إنفاق مبالغ من خزانة الدولة في سنة أو سنوات مقبلة إلا بموافقة مجلس الأمة .
- م ٣٠ - لا يجوز منح إحتكار إلا بقانون وإلى زمن محدود .
- م ٣١ - يعين القانون طريقة إعداد الميزانية وعرضها على مجلس الأمة ، كما يحدد السنة المالية .
- م ٣٢ - يجب عرض مشروع الميزانية العامة للدولة على مجلس الأمة قبل إنتهاء السنة المالية بثلاثة أشهر على الأقل . لبحثه وإعتماده وتقر الميزانية بابا بابا ولا يجوز لمجلس الأمة إجراء أى تعديل في المشروع إلا بموافقة الحكومة .

- م ٣٣ - يجب موافقة مجلس الأمة على نقل أى مبلغ من باب إلى آخر من أبواب الميزانية ، وكذلك على كل مصروف غير وارد بها ، أو زائد على تقديراتها .
- م ٣٤ - الميزانية المستقلة والملحقة تجرى عليها الأحكام الخاصة بالميزانية العامة .
- م ٣٥ - ينظم القانون الأحكام الخاصة بميزانيات الهيئات العامة الأخرى .
- م ٣٦ - لا يجوز فى أثناء دورة إنعقاد مجلس الأمة وفى غير حالة التلبس بالجريمة أن تتخذ ضد أى عضو من أعضائه أية إجراءات جنائية إلا بإذن المجلس ، وفى حالة إتخاذ أى إجراءات فى غيبة المجلس يجب إخطاره بها .
- م ٣٧ - لا يجوز إسقاط عضوية أحد من أعضاء مجلس الأمة إلا بقرار من المجلس بأغلبية ثلثى أعضائه ، وبناء على إقتراح ٢٠ من الأعضاء ، وذلك إذا فقد الثقة والإعتبار .
- م ٣٨ - لرئيس الجمهورية حق حل مجلس الأمة ، فإذا حل المجلس وجب تشكيل المجلس الجديد ودعوته للإنعقاد خلال ستين يوماً من تاريخ الحل .
- م ٣٩ - إذا قرر مجلس الأمة عدم الثقة بأحد الوزراء وجب عليه اعتزال الوزارة ، ولا يجوز طلب عدم الثقة بالوزير إلا بعد إستجواب موجه إليه ، ويكون الطلب بناء على إقتراح عشرين عضواً من أعضاء المجلس . ولا يجوز للمجلس أن يصدر قراره فى الطلب قبل ثلاثة أيام على الأقل من تقديمه ويكون سحب الثقة من الوزير بأغلبية أعضاء المجلس .
- م ٤٠ - لا يجوز الجمع بين عضوية مجلس الأمة وتولى الوظائف العامة . ويحدد القانون أحوال عدم الجمع الأخرى .
- م ٤١ - لا يجوز لأى عضو من أعضاء مجلس الأمة أن يعين فى مجلس إدارة شركة فى أثناء مدة عضويته إلا فى الأحوال التى يحددها القانون .
- م ٤٢ - لا يجوز لأى عضو من أعضاء مجلس الأمة فى أثناء مدة عضويته أن يشتري أو يستأجر من أموال الدولة ، أو يؤجرها أو يبيعها شيئاً من أمواله أو أن يقايضها عليه .
- م ٤٣ - يتقاضى أعضاء مجلس الأمة مكافأة يحددها القانون .

الفصل الثالث السلطة التنفيذية

- م ٤٤ - يتولى رئيس الجمهورية السلطة التنفيذية ، ويمارسها على الوجه المبين فى الدستور .
- م ٤٥ - لا يجوز لرئيس الجمهورية فى أثناء مدة رئاسته أن يزاول مهنة حرة ، عملاً تجارياً أو مالياً أو صناعياً ، أو يشتري أو يستأجر شيئاً من أموال الدولة ، أو أن يؤجرها أو يبيعها شيئاً من أمواله أو أن يقايضها عليه .
- م ٤٦ - لرئيس الجمهورية أن يعين نائباً لرئيس الجمهورية أو أكثر ، ويعفيهم من مناصبهم .
- م ٤٧ - يعين رئيس الجمهورية الوزراء ويعفيهم من مناصبهم ، ويجوز تعيين وزراء دولة ونواب للوزراء . ويتولى كل وزير الإشراف على شئون وزارته ، ويقوم بتنفيذ السياسة العامة التى يضعها رئيس الجمهورية .
- م ٤٨ - لا يجوز لنائب رئيس الجمهورية ، أو للوزير فى أثناء مدة تولية منصبه ، أن يزاول مهنة حرة ، أو عملاً تجارياً أو مالياً أو صناعياً ، أو أن يشتري أو يستأجر شيئاً من أموال الدولة ، أو أن يؤجرها أو يبيعها شيئاً من أمواله ، أو أن يقايضها عليه .
- م ٤٩ - لرئيس الجمهورية ، وللمجلس الأمة ، حق إحالة الوزير إلى المحاكمة عما يقع منه من جرائم فى تأديته أعمال وظيفته ، ويكون قرار مجلس الأمة باتهام الوزير بناء على إقتراح مقدم من خمس (٥/١) أعضائه على الأقل ، ولا يصدر قرار الإتهام إلا بأغلبية أعضاء المجلس .
- م ٥٠ - لرئيس الجمهورية حق إقتراح القوانين والإعتراض عليها وإصدارها .
- م ٥١ - إذا إعترض رئيس الجمهورية على مشروع قانون رده إلى مجلس الأمة فى مدى ثلاثين يوماً من تاريخ إبلاغ المجلس إياه ، فإذا لم يرد مشروع القانون فى هذا الميعاد إعتبر قانوناً وأصدر .
- م ٥٢ - إذا رد مشروع القانون فى الميعاد المقدم إلى المجلس وأقره ثانية بموافقة ثلثى أعضائه إعتبر قانوناً وأصدر .
- م ٥٣ - لرئيس الجمهورية أن يصدر أى تشريع أو قرار ، مما يتدخل أصلاً فى إختصاص

- مجلس الأمة إذا دعت الضرورة إلى إتخاذه في غياب المجلس على أن يعرض عليه فور إنعقاده فإذا عترض المجلس على ما أصدره رئيس الجمهورية بأغلبية ثلثي أعضائه سقط ما له من أثر من تاريخ الإعتراض .
- م ٥٤ - يصدر رئيس الجمهورية القرارات اللازمة لترتيب المصالح العامة ، ويشرف على إدارتها .
- م ٥٥ - رئيس الجمهورية هو القائد الأعلى للقوات المسلحة .
- م ٥٦ - رئيس الجمهورية يبرم المعاهدات ، ويبلغها مجلس الأمة ، وتكون لها قوة القانون بعد إبرامها والتصديق عليها ونشرها وفقاً للأوضاع المقررة ، على أن معاهدات الصلح والتحالف والتجارة والملاحة وجميع المعاهدات التي يترتب عليها تعديل في أراضي الدولة أو التي تتعلق بحقوق السيادة ، أو التي تحمل خزانة الدولة شيئاً من النفقات الواردة في الميزانية ، لا تكون نافذة إلا إذا وافق عليها مجلس الأمة .
- م ٥٧ - لرئيس الجمهورية حق إعلان حالة الطوارئ .
- م ٥٨ - تتكون ج . م . ع من إقليمين هما : مصر وسوريا ويشكل لكل منهما مجلس تنفيذي يعين بقرار من رئيس الجمهورية ، ويخصص بدراسة وفحص الموضوعات التي تتعلق بتنفيذ السياسة العامة للإقليم .

الفصل الرابع القضاء

- م ٥٩ - القضاة مستقلون لا سلطان عليهم في قضائهم لغير القانون ، ولا يجوز لأية سلطة التدخل في القضايا أو شئون العدالة .
- م ٦٠ - القضاة غير قابلين للعزل ، وذلك على الوجه المبين في القانون .
- م ٦١ - يرتب القانون جهات القضاء وتعيين إختصاصاتها .
- م ٦٢ - جلسات المحاكم علنية ، إلا إذا قررت المحكمة جعلها سرية مراعاة للنظام العام أو الآداب .
- م ٦٣ - تصدر الأحكام وتنفذ باسم الأمة .

الباب الرابع أحكام عامة

- م ٦٤ - مدينة القاهرة عاصمة ج . م . ع .
- م ٦٥ - يبين القانون العام الوطنى والأحكام الخاصة به ، كما يبين القانون شعار الدولة والأحكام الخاصة به..
- م ٦٦ - لا تسرى أحكام القانون إلا على ما يقع من تاريخ العمل بها ، ولا يترتب عليها أثر فيما وقع قبلها ، ومع ذلك يجوز فى غير المواد الجنائية النص فى القانون على خلاف ذلك بموافقة أغلبية أعضاء مجلس الأمة .
- م ٦٧ - تنشر القوانين فى الجريدة الرسمية خلال أسبوعين من إصدارها ويعمل بها بعد عشرة أيام من تاريخ نشرها ، ويجوز مد هذا الميعاد أو تقصيره بنص خاص فى القانون .

الباب الخامس أحكام إنتقالية وختامية

- م ٦٨ - كل ما قرره التشريعات المعمول بها فى كل من إقليمى مصر وسوريا عند العمل بهذا الدستور ، تبقى سارية المفعول فى النطاق الإقليمى المقرر بها عند إصدارها . ويجوز إلغاء هذه التشريعات أو تعديلها وفقا للنظام المقرر لهذا الدستور .
- م ٦٩ - لا يترتب على العمل بهذا الدستور الإخلال بأحكام المعاهدات والإتفاقيات الدولية المبرمة بين كل من سوريا ومصر وبين الدول الأجنبية ، وتظل هذه المعاهدات والإتفاقيات سارية المفعول ، فى النطاق الإقليمى المقرر لها عند إبرامها ، وفقا لقواعد القانون الدولى .
- م ٧٠ - إلى أن يتم تنفيذ الخطوات النهائية لوضع ميزانية واحدة تصدر إلى جانب ميزانية الدولة ميزانية خاصة يعمل بها فى كل من النظام الإقليمى الحالى لكل من سوريا ومصر ..
- م ٧١ - يستمر ترتيب المصالح العامة ، والنظم الإدارية القائمة عند العمل بهذا الدستور

معمولا بها فى كل من سوريا ومصر إلى أن يعاد تنظيمها وتوحيدها بقرارات من رئيس الجمهورية .

- م ٧٢ - يكون المواطنون. إتحادا قوميا للعمل على تحقيق الأهداف القومية ولحث الجهود لبناء الأمة بناء سليما من النواحي السياسية والاجتماعية والإقتصادية ، وتبين طريقة تكوين هذا الإتحاد بقرار من رئيس الجمهورية .
- م ٧٣ - يعمل بهذا الدستور المؤقت إلى حين إعلان موافقة الشعب على الدستور النهائى للجمهورية العربية المتحدة .

ثانياً : ميثاق الدولة العربية المتحدة بين الجمهورية العربية المتحدة والمملكة المتوكلية اليمنية (١٩٥٨/٣/٨ م)

الباب الأول الإتحاد

- ١ - ينشأ إتحاد يسمى « الدول العربية المتحدة » يتكون من ج . م . ع والمملكة المتوكلية اليمنية والدول العربية التى تقبل الانضمام إلى هذا الإتحاد .
- ٢ - تحتفظ كل دولة بشخصيتها الدولية وبنظام الحكم الخاص بها .
- ٣ - مواطنو الإتحاد متساوون فى الحقوق والواجبات العامة .
- ٤ - لكل مواطن فى الإتحاد حق العمل وتولى الوظائف العامة فى البلاد المتحدة دون تفرقة وفى حدود القوانين .
- ٥ - حرية التنقل فى الإتحاد مكفولة فى حدود القانون .
- ٦ - تتبع الدول الأعضاء السياسة الخارجية الموحدة التى يضعها الإتحاد .
- ٧ - يتولى التمثيل السياسى والقنصرى فى الخارج هيئة واحدة فى الأحوال التى يقدر فيها الإتحاد ذلك .
- ٨ - يكون للإتحاد قوات مسلحة موحدة .
- ٩ - تنظم الشؤون الإقتصادية للإتحاد وفقاً لخطط مرسومة تهدف إلى تنمية الإنتاج وإستغلال موارد الثروة الطبيعية وتنسيق النشاط الإقتصادى .

- ١٠ - ينظم القانون شئون النقد فى الإتحاد .
١١ - ينشأ بين البلاد المتحدة إتحاد جمركى وذلك بالشروط والأوضاع التى يحددها القانون .
١٢ - ينظم القانون مراحل ووسائل تنسيق التعليم والثقافة فى الإتحاد .

الباب الثانى السلطات

- ١٣ - يشرف على شئون الإتحاد مجلس يسمى المجلس الأعلى يشكل من رؤساء الدول الأعضاء .
١٤ - يعاون المجلس الأعلى فى مباشرة سلطاته مجلس يسمى مجلس الإتحاد .
١٥ - يشكل مجلس الإتحاد من عدد متساو من ممثلى الدول الأعضاء ويبين القانون عدد أعضاء المجلس ومدة عضويتهم والأحكام الخاصة بهم .
١٦ - تكون رئاسة مجلس الإتحاد سنوياً بالتناوب بين الدول الأعضاء وترشح الدول التى تمت نوبتها من يتولى الرئاسة على أن يكون للرئيس نائب أو نواب من الدولة أو الدول الأعضاء فى الإتحاد .
١٧ - يختص المجلس الأعلى برسم السياسة العليا للإتحاد فى المسائل السياسية ، والدفاعية والاقتصادية والثقافية وإصدار القوانين اللازمة فى هذا الشأن وهو المرجع الأعلى فى تحديد الاختصاصات ، وتصدر قرارات المجلس بالإجماع .
١٨ - يصدر المجلس الأعلى القوانين الإتحادية التى يختص بإصدارها وفقاً لأحكام هذا الميثاق ، وذلك بعد موافقة السلطات المختصة فى كل دولة .
١٩ - يعين المجلس الأعلى القائد العام للقوات المسلحة للإتحاد .
٢٠ - تصدر الميزانية العامة للإتحاد بقرار من المجلس الأعلى ويعين القانون مواردها والمحصة التى تؤديها كل دولة من الدول .
٢١ - مجلس الإتحاد هو الهيئة الدائمة للإتحاد ويتولى النظر فى الشؤون السياسية ويضع البرنامج السنوى المتضمن النظم والتدابير المؤدية إلى تحقيق الوحدة .
٢٢ - تعرض قرارات مجلس الإتحاد وبرنامج السنوى الذى يضعه على المجلس الأعلى للإتحاد للتصديق عليها ويبت المجلس الأعلى فى القرارات التى أصدرها

- مجلس الإتحاد وإعترضت إحدى الدولتين أو الدول .
- ٢٣ - تتبع مجلس الإتحاد الهيئات الآتية .
- أ - مجلس الدفاع .
- ب - المجلس الإقتصادي .
- ج - المجلس الثقافي .
- وتعرض قرارات هذه الهيئات على مجلس الإتحاد للتصديق عليها .
- ٢٤ - يبين القانون طريقة تشكيل الهيئات التابعة لمجلس الإتحاد وإختصاصاتها .

الباب الثالث أحكام عامة وانتقالية

- ٢٥ - يصدر بتعيين المقر الدائم لإتحاد الدول العربية وحدوده قرار من المجلس الأعلى ويعقد مجلس الإتحاد والهيئات التابعة له جلساته في المدينة التي يحددها بصفة دورية .
- ٢٦ - يبين القانون القواعد التي تسرى على إقليم المقر الدائم للإتحاد .
- ٢٧ - تكون للقوانين الإتحادية قوة إلزامية في البلاد المتحدة ويعمل بها بعد ١٥ يوماً من تاريخ نشرها في الجريدة الرسمية للإتحاد ما لم ينص القانون على غير ذلك .
- ٢٨ - يعين رئيس كل دولة وزيراً لدى الدول العربية المتحدة ويختص بالإشراف على تنفيذ قرارات الإتحاد في الإقليم الذي يتبعه .
- ٢٩ - يعين رئيس كل دولة وزيراً نائباً عنه لدى رئيس أو رؤساء الدول الأخرى ويكون له صفة الوزراء المحليين .
- ٣٠ - يلغى التمثيل السياسي بين الدول أعضاء الإتحاد .
- ٣١ - تسرى القواعد الجمركية المعمول بها في الدول أعضاء الإتحاد إلى أن ينظم الإتحاد الجمركي بينها وفي خلال ذلك يجوز أن يضع القانون نظاماً جمركياً خاصاً للعمل بين الدول الأعضاء .
- ٣٢ - يعمل بهذا الميثاق من تاريخ الموافقة عليه وذلك إلى حين وضع النظام الدائم للإتحاد .

دمشق في ١٦ شعبان ١٣٧٧هـ الموافق (٨ مارس «آذار» سنة ١٩٥٨ م)

الفصل السابع
عبد الناصر وإنجازات الداخل



عبد الناصر ... وإنجازات الداخل

بلا شك ، كان للحقبة الناصرية إنجازاتها الإيجابية على صعيد الداخل مثلما كان لها إنجازاتها على صعيد الصراع الخارجى والعلاقات الدولية ، وكان نجوار هذه الإيجابيات ، سلبيات عديدة ، وكان النظر إلى تلك الإيجابيات والسلبيات ، مختلفاً بين المدارس الفكرية المختلفة ، وأن النقد الحاد بالطبع من قبل الإسلاميين - خاصة الراديكاليين - منهم (كما سنرى) .

* وفى هذا الفصل الذى نعقده لإنجازات عبد الناصر بوجهيها (السلبى والإيجابى) ، سوف نكتشف ، ونسعى لإكتشاف حقيقة ما حدث بالفعل فى الداخل المصرى . وفى سبيلنا لهذا الإكتشاف سنتعرض بالتحليل للمحاور التالية :

أولاً : المدركات للناصرية لقضايا الداخل (التنمية والإشتركية) .

ثانياً : الإنجازات الناصرية فى الواقع : رؤى متعاطفة .

ثالثاً : الإنجازات الناصرية فى الواقع : رؤى إسلامية .

رابعاً : الإنجازات الناصرية فى الواقع : رؤى موضوعية .

وبتفصيل ما سبق يستبين الآتى :

أولاً : المدركات الناصرية لقضايا الداخل : التنمية والإشتركية :

يمكننا أن نبلور مدركات عبد الناصر ، ونحددها تجاه مسائل التنمية والتطبيق الإشتراكي بالنظر الهادى فيما أورده الميثاق الوطنى المعبر عن إيديولوجية النظام الناصرى ، فى فصله

الثامن والمعنون بـ (مع التطبيق الاشتراكي ومشاكله) وفيه يرى عبد الناصر أن العمل الإنساني الخلاق هو الوسيلة الوحيدة أمام المجتمع ولكي يحقق أهدافه ، ويرى أن العمل شرف . والعمل حق . والعمل واجب . والعمل حياة . وإن العمل الإنساني هو المفتاح الوحيد للتقدم .

وإن طبيعة العصر لم تعد تقبل وسيلة للأمل غير العمل الإنساني .

لقد استطاعت مجتمعات أخرى في قرون سابقة أن تحقق إنطلاقها بتوفير الإستثمارات للتنمية الوطنية عن طريق نهب أموال المستعمرات وإستغلال ثروات الشعوب وتسخيرها للعمل العبودي من أجل غيرها .

ويرى الميثاق أنه في مجتمعات أخرى تحقق الإنطلاق تحت ظروف سخرت فيها الطبقة العاملة بطريقة تنافى مع الإنسانية لصالح الإحتكارات الرأسمالية الوطنية أو الأجنبية .

كذلك تحقق في تجارب أخرى تحت ضغط بالغ القسوة على الأجيال الحية سلبها كل ثمار عملها من أجل الغد الموعود الذي لم يتسطع أن تراه أو وصلت إليه وهي تحمل على قلبها ألقالاً من الكبت النفسي وتؤرق خيالاتها أشباحاً من الإرهاب والطفان .

إن طبيعة العصر لا تحتمل ذلك كله الآن .

إن البشرية تنبث إلى شرور الإستعمار ونذرت نفسها للقضاء عليه .

والطبقة العاملة لا يمكن أن تساق بالسخرة إلى تحقيق أهداف الإنتاج . والطاقات المبدعة للشعوب تستطيع أن تصنع الغد دون أن تساق إليه بخمات الدم الجماعية .

إن التقدم العلمي يجعل الوصول إلى الإنطلاق بغير هذه الوسائل البالية كلها أمراً ممكناً وقابلاً للتحقيق .

كذلك فإن طبيعة العصر ومثله العليا تجعل إستعمال مثل هذه الوسائل القديمة أمراً مستحيل الحدوث .

إن العمل الوطني المنظم ، القائم على التخطيط العلمي هو طريق الغد .

ويذهب الميثاق إلى أن العمل الوطني على أساس الخطة لابد أن يكون محمداً أمام أجهزة

الإنتاج على جميع مستوياتها بل أن مسؤوليته كل فرد في هذا العمل يجب أن تكون واضحة أمامه حتى يستطيع أن يعرف في أى وقت من الأوقات مكانه في العمل الوطنى .

إن ذلك يقتضى أن تتحرق الخطة الشاملة فى أهدافها الإقتصادية والاجتماعية إلى برامج تفصيلية تكون فى متناول يد أجهزة الإنتاج . إن ذلك يقتضى ربط الإنتاج كما ونوعا بحدود زمنية تلزم بها القوى المنتجة على أن تتم العملية كلها فى إطار الإستثمارات المخصصة .

إن الكم والنوع فى عملية الإنتاج لا يمكن فصلهما عن حساب الزمن وحساب التكلفة . وإلا أفلت التوازن الحيوى لعملية الإنتاج وتعرضت الأخطار . والأمر كذلك أيضا فى برامج الخدمات .

إن وعى كل مواطن بمسؤوليته المحددة فى الخطة الشاملة . كذلك إدراكه المحدد لحقوقه المؤكدة من نجاحها هو فضلا عن كونه توزيعاً للمسؤولية على نطاق الأمة كلها بما يعزز احتمالات الوصول إلى الأهداف . هو فى الوقت ذاته عملية إنتقالية ثورية بمعنى العمل الوطنى من العموميات الشائعة المبهمة والغامضة إلى وضوح ذهنى وعمل يربط الإنسان الفرد فى نضاله اليومى بحركة المجتمع كلها ويشده فى إتجاه التاريخ كما أنه يوجه به حركة التاريخ فى نفس اللحظة .

ومن وجهة نظر الميثاق أن فلسفة العمل الوطنى يجب أن تصل إلى جميع العاملين فى الوطن فى كافة المجالات . بل ويجب أن تصل إليهم بالطريقة الأكثر ملاءمة بالنسبة لكل منهم . إن ذلك يكفل دائماً أن يكون الفكر على إتصال بالتجربة وأن يكون الرأى النظرى على إتصال بالتطبيق التجريبى .

إن الوضوح الفكرى أكبر مما يساعد على نجاح التجربة ، كما أن التجربة بدورها تزيد فى وضوح الفكر وتمنحه قوة وخصوبة تؤثر فى الواقع وتتأثر به . ويكتسب العمل الوطنى من هذا التبادل الخلاق إمكانيات أكبر لتحقيق النجاح .

وإنه لمن الزم الأمور هناك تشجيع الكلمة المكتوبة لتكون صلة بين الجميع يسهل حفظها للمستقبل . كما أنها تستكمل خلقه هامة فى الصلة بين الفكرة والتجربة .

وفى موضع آخر من الميثاق يرى أنه من الأمور اللازمة تشجيع كل المسؤولين عن العمل

الوطني أن يكتبوا أفكارهم لتكون أمام المسؤولين عن التنفيذ كذلك. من الضروري تشجيع كل القائمين بالتنفيذ أن يكتبوا ملاحظاتهم لتكون أمام المسؤولين عن التوجيه أن ذلك أمراً لا يمكن أن يترك للصدفة أو الإرتجال . وإنما ينبغي تنظيمه .

إن تنظيمه سوف يوفر للعمل الوطني ذخيرة هائلة بغير حدود لآفاق الفكر ممتزجة بدقائق التنفيذ العملي ، إن هذه الذخيرة سوف تساهم في رفع رصيد الكفاية الوطنية وتعميم نطاق الاستفادة بها .

إن فترات التغيير الكبرى بطبيعتها حافلة بالأخطار التي هي جزء من طبيعة المرحلة . على أن التأمين الأكبر ضد هذه الأخطار كلها هو ممارسة الحرية وخصوصاً بواسطة المجالس الشعبية المنتخبة .

أن العمل الوطني كله . وعلى جميع مستوياته لا يمكن أن يصل سليماً إلى أهدافه إلا بطريق الديمقراطية .

وعن وسيلة الديمقراطية يقول الميثاق :

وسيلة الديمقراطية أن تتوفر الحرية في مراكز الإنتاج جميعها لكي يتمكن جميع العاملين فيها من أن يعطوا كل جهدهم الفنى والوطنى من أجل كمال العمل على أن يتم ذلك بالطبع تحت إحكام تسلسل المسئولية .

كذلك فإن وسيلة الديمقراطية أن تتحقق سلطة المجلس الشعبية على جميع مراكز الإنتاج وفوق كل أجهزة الإدارة المركزية أو المحلية .

إن ذلك يضمن للشعب باستمرار أن يكون سلطة تحديد أهداف الإنتاج ، وأن يكون في الوقت ذاته سلطة الرقابة على تنفيذها .

إن ممارسة النقد والنقد الذاتي يمنح العمل الوطنى دائماً فرصة تصحيح أوضاعه وملاءمتها دائماً مع الأهداف الكبيرة للعمل .

إن أى محاولة لإخفاء الحقيقة أو تجاهلها يدفع ثمنها في النهاية نضالاً، الشعب وجهده للوصول إلى التقدم .

وإذا سمحت القيادات الشعبية بأن يحدث ذلك فإنها لا تكون مقصرة في حق الشعب

الذى صدرها للقيادة فقط وإنما هى فى نفس الوقت تكون قد عزلت نفسها عن جماهيرها وفقدت إتصالها بها . وسلمت بعدم قدرته على حل مشاكلها وبالتالي يصبح ولا مفر أمامها من أن تتنحى أو يسقطها الشعب ويسحب منها ما أسلمه إليها من مسئولية القيادة ..

إن حرية النقد البناء والنقد الذاتى الشجاع ضمانات ضرورية لسلامة البناء الوطنى ، لكن ضرورتها أوجب فى فترات التغيير المتلاحق خلال العمل الثورى .

إن ممارسة الحرية على هذا النحو ليست لازمة فقط لحماية العمل الوطنى ولكنها لازمة لتوسيع قاعدته وتوفير الضمان للذين يتصدون له ، فممارسة الحرية على هذا النحو سوف تكون الطريق الفعال لتجديد عناصر كثيرة قد تتردد قبل المشاركة فى العمل الوطنى والحرية هى الوسيلة الوحيدة للقضاء على سلبيتها وتحييدها إختيارياً لأهداف النضال .

ويرى الميثاق أن ممارسة الحرية بعد العملية الثورية الهائلة لإعادة توزيع الثروة الوطنية فى يوليو سنة ١٩٦١م لا تشكل خطراً على أمن النضال الوطنى ، بل أنها صمام الأمان له فإنها تخلق القوة الشعبية القادرة على الانتفاض على كل محاولة للتآمر والقيام بالتفاف لسلب الشعب ثمار نضاله .

كذلك فإن ممارسة الحرية تخلق القيادات المتجددة للعمل الثورة وتوسع هذه القيادات وتدفعها دائماً إلى الأمام وتخلق قيادة من التفكير الجماعى القادر على صد نزعات التحكم الفردى . من ثم فهى توفر للعمل الوطنى ضمانات بعيدة المدى .

إن حرية القيادات يجب أن تستمد حقها من حرية القواعد الشعبية ولا تستطيع القيادات أن تمارس عملها بالإكراه والتعصب .

إن القيادة الحقيقية هى الإحساس بمطالب الشعب والتعبير عنها وإيجاد الوسائل لتحقيقها وتجميع قوى الشعب وراء الجهود المحققة لها .

ولابد فى الدستور الجديد من تنظيم عملية رجوع القيادات الشعبية إلى قواعدها وتأكيد مسئوليتها أمام المنايع الأصلية لقوتها . ولابد لنا أن نذكر دائماً أن القواعد الشعبية مفعمة بالثورية الطبيعية وأن ثورية التواعد وإلحاحها الدائم من أجل التقدم سوف يكون قوة دافعة لثورة القيادة .

إن تحريك طاقات الشعب إلى العمل لا يجب أن يتم عن طريق إغراق الجماهير في الأمل .
أن التغير الكبير بطبيعته يصاحبه تطلع بعيد المدى إلى الأهداف المرجوة من النضال . لكنه
من إلزام الواجبات في تلك الفترة أن تتضح أمام الشعب بجلاء صعوبة الوصول إلى الأهداف
المرجوة . ان مجرد التغيير الثورى في أوضاع المجتمع القديم لا يحقق أحلام الجماهير ولكن
الجهود المتواصلة هى وحدها القادرة على الوصول إلى الأحلام .

وليس من حق أحد في هذه المرحلة أن يخدع الجماهير بالنى . وإنما تقتضى الأمانة الثورية
أن تكون لدى الجماهير صورة كاملة لمسئولياتها بلوغاً لآمالها .

إن ذلك أمر ينبغى وضعه موضع الإعتبار طول الوقت . وينبغى أن يصاحبه تقدير
للتطلعات الكبرى للجماهير . وتقدير في الوقت ذاته للروح المعنوية لدى المسئولين عن قيادة
العمل تحقيقاً لهذه التطلعات .

ويرى الميثاق أن المراهقة الفكرية خطر ينبغى التصدى له والقضاء عيه . أن الذين يجمدون
الكفاح الوطنى بتفسيرات أو قوالب تحد قدرته على الإنطلاق أو تشيع فيه روح التردد إنما
يقللون من قوة المجتمع بقدر ضعفهم وعدم قدرتهم على التفكير الخلاق المنبعث من الواقع
الوطنى .

إن التقدم الوطنى لا تحققه كلمات محفوظة عالية الرنين .

إن تحرير الطاقات الخلاقة لأى شعب من الشعوب يرتبط بالتاريخ ويرتبط بالطبيعة ويرتبط
بالتطورات السائدة والمؤثرة في العالم الذى يعيش فيه .

ليس هناك شعب يستطيع أن يبدأ تقدمه من فراغ وإلا كان يتقدم إلى الفراغ ذاته .
إن الخطر في المراهقة الفكرية في هذه المرحلة إنما تتخلق نوعاً من الإرهاب المعنوى يعرقل
التجربة والخطأ .

وفي موضع آخر من الميثاق يرى أن القيادات الجديدة المتصدية لتحريك التطوير الوطنى
قوة هائلة لا بد من حمايتها لتؤدى رسالتها الوطنية بالنجاح المطلوب . إن الثورة التى يملكها
هذا الوطن صانع الحضارة من الخبراء والفنيين في جميع المجالات قيمة هائلة لا بد من الحرص
عليها وتنميتها وحمايتها .

وفي بعض الأحيان فإن هذه القيادات في حاجة إلى حمايتها من نفسها .

إن هذه القيادات قد تقع في خطأ أن المشاكل الكبرى للتطوير الوطنى تحمل خلال التعقيدات المكتبية والإدارية . إن هذه التعقيدات تضع أعباء جديدة على العمل الوطنى دون أن تساعد .

إنها قادرة لو تركت لخطأ وهما أن تصبح طبقة عازلة تحول دون تدفق العمل الثورى وتحمّد وصول نتائجه عن الجماهير التى تحتاج إليه . إن أجهزة العمل الإدارى ترتكب غلطة العمر إذا ما تصورت أن أجهزتها الكبيرة غاية في حد ذاتها . إن هذه الأجهزة ليست إلا وسائل لتنظيم الخدمة العامة وضمان وصولها على نحو سليم إلى الجماهير .

وبنفس المقدار فإن التنازع على السلطات يؤدى إلى شلل القيادات العاملة في التطوير الوطنى إذ تصبح كل منها عقبة أمام جهود أخرى . تجمد عملها وتلفى آثاره . كذلك فإن تكديس سلطات كبيرة في أيدي قليلة يؤدى دون جدال إلى إنتقال السلطة الحقيقية إلى غير المسؤولين عنها بالفعل أمام الشعب .

لقد كان هذا الإعتبار هو المصدر الحقيقى للقانون الثورى الذى صدر بأن يكون هناك عمل واحد للرجل الواحد إن ذلك لم يكن إجراء عدل فقط ولكنه كان محاولة للوصول إلى أن يكون الفرد المناسب في العمل المناسب لخبرته وقدرته .

والقيادات الجديدة لابد لها أن تعى دورها الإجتماعى ، وإن أخطر ما يمكن أن تتعرض له في هذه المرحلة هو أن تنحرف متصورة أنها تمثل طبقة جديدة حلت محل الطبقة القديمة وانتقلت إليها إمتيازاتها .

وفي موضع آخر من الميثاق يرى أن قيادة المشروعات الكبرى في عملية التطوير في حاجة أيضا إلى أن تؤمن بأن الإشراف حتى وإن لم تتبعه إستفادة شخصية هو نوع من الإنحراف فإنه إهدار لثروة الشعب التى هى وقود معركة التطوير .

والإشراف يشمل التضخم في مصاريف الإنتاج التى لا مبرر لها كما أنه يشمل في الوقت ذاته عدم تقدير المسؤولية في دراسة المشروعات الجديدة . ويمتد إلى الإهمال في التنفيذ بدون اليقظة الواجبة لسلامة العمل .

إن تلك كلها من سمات مرحلة التغييرات الكبرى ومن أخطارها ولكن السيطرة عليها والحد من تأثيرها ممكن بممارسة الحرية .

إن العمل الثورى لابد له أن يكون عملاً علمياً .

إن الثورة ليست عملية هدم إنقاض الماضى ولكن الثورة هى عملية بناء المستقبل .

وإذا تخلت الثورة عن العلم فمعنى ذلك أنها مجرد إنفجار عصبى تنفس به الآمه عن كبثها الطويل . ولكنها لا تغير من واقعها شيئاً .

إن العلم هو السلاح الحقيقى للإرادة الثورية ومن هنا الدور العظيم الذى لابد للجامعات ولما ركز العلم على مستوياتها المختلفة أن تقوم به .

من وجهة نظر عبد الناصر فى ميثاقه أن الشعب هو قائد الثورة والعلم هو السلاح الذى يحقق النصر الثورى .

والعلم وحده والذى يجعل التجربة والخطأ فى العمل الوطنى تقدماً مأمون العواقب . وبدون العلم فإن التجربة والخطأ تصبحان نزعات إعتباطية قد تصيب مرة ولكنها تخطيء عشرات المرات .

إن مسئولية الجامعات ومعاهد البحث العلمى فى صنع المستقبل لا تقل عن مسئولية السلطات الشعبية المختلفة .

إن السلطات الشعبية بدون العلم قد تستطيع أن تثير حماسة الجماهير لكنها بالعلم وحده تقدر على العمل تحقيقاً لمطالب الجماهير .

ومن هذا التصور فإن الجامعات ليست أبراجاً عاجية ولكنها طلائع متقدمة تستكشف للشعب طريق الحياة .

ويقول الميثاق فى موضع آخر أن قدرتنا على التمكن من فروع العلم المختلفة هى الطريق الوحيد أماناً لتعويض التخلف . بل أن النضال الوطنى إذ ما اعتمد على العلم المتقدم يستطيع أن يمنح نفسه فرصة أعظم للإنطلاق تجعل التخلف السابق ميزة أمام ما سوف يحققه التقدم الجديد .

إن الأمم التي أرغمت على التخلف . إذا ما استطاعت أن تبدأ الآن معتمدة على العلم المتقدم تضمن لنفسها نقطة بداية تفوق النقطة التي بدأ منها الذين سبقوها إلى المستقبل . ومن ثم تمنح نفسها قوة إندفاع أشد في اللحاق بهم والسبق عليهم .

إن المشاكل الاقتصادية والاجتماعية الكبرى التي يتصدى شعبنا اليوم لمواجهتها لابد لها من حلول علمية .

على أن مراكز البحث العلمي الآن مطالبة في هذه المرحلة من النضال ان تطور نفسها بحيث يكون العلم للمجتمع .

إن العلم للعلم في حد ذاته مسئولية لا تستطيع طاقتنا الوطنية في هذه المرحلة أن تتحمل أعباءها .

لذلك فإن العلم للمجتمع يجب أن يكون شعار الثورة الثقافية في هذه المرحلة على أن بلوغ النضال الوطني لأهدافه سوف يسمح لنا في مرحلة متقدمة من تطورنا بأن نساهم إيجابياً مع العالم في العلم للعلم .

وليس العلم للمجتمع عقبة تفرض على العلماء أن يلتزموا بمشاكل الخبر المباشرة وحدها ، إن ذلك يصبح تفسيراً ضيقاً لرغيف الخبر الذي نريده . إننا لا نستطيع أن نتعاصر لحظة عن الدخول منذ الآن في عصر الذرة .

ويرى الميثاق أننا تخلفنا من قبل عن عصر البخار وعن عصر الكهرباء . ولقد كلفنا هذا التخلف مع أن ظروف القهر الإستعماري الرجعي هي التي فرضته علينا كثيراً . وما زال يكلفنا الكثير . لكننا مطالبون الآن وعصر الذرة يشرق فجره على الدنيا أن نبدأ الفجر مع الذين بدأوه .

إن الطاقة الذرية من أجل الحرب ليست هدفنا ولكن الطاقة الذرية في خدمة الرخاء قادرة على أن تصنع المعجزات في معركة التطوير الوطني .

على أنه يتعين علينا أن نذكر دائماً أن الطاقات الروحية التي تستمدّها الشعوب من مثلها العليا النابعة من أديانها السماوية أو من تراثها الحضاري قادرة على صنع المعجزات .

إن الطاقات الروحية للشعوب تستطيع أن تمنح آمالها الكبرى أعظم القوى الدافعة . كما

أنها تسلحها بدروع من الصبر والشجاعة تواجه بهما جميع الإحتالات وتقهّر بهما مختلف المصاعب والعقبات .

ويختتم عبد الناصر مدركاته في (.الميثاق الوطني) لأسس التقدم وروحانيته بقوله :
وإذا كانت الأسس المادية لتنظيم التقدم ضرورية ولازمة فإن الحوافز الروحية والمعنوية هي وحدها القادرة على منح هذا التقدم أنبل المثل والعليا وأشرف الغايات والمقاصد .
تلك هي مدركات عبد الناصر وبتفصيل لما يقصده بالتنمية وبالتطبيق الإشتراكي ومشاكله في مصر .. ترى هل صادف الواقع تحقيقاً فعلياً لهذه المدركات أم أنه شهد قبرها ووأدها ؟
ذلك ما ستفصله المحاور التالية .

ثانيا : الإنجازات الناصرية في الواقع « رؤى متعاطفة » :

هناك رؤى لعدد من المباحثين ، والتيارات الفكرية والسياسية يمكن أن تصنف في خانة التعاطف مع التجربة الناصرية على صعيد الإنجازات الداخلية التنموية ومن هذه الرؤى نأخذ بعضا منها كنموذج :

(١) التنمية المستقلة :

يرصد أصحاب هذه الرؤى أن قرارات ثورة يوليو توالى في شتى المجالات منذ بدئها عام ١٩٥٢م^(١) قانون الإصلاح الزراعى ينزع سلاح الأرض من أيدي الإقطاعيين ويعيد توزيع الأرض على صغار الفلاحين .. تمصير للشركات الأجنبية - إنشاء المجلس الدائم للتنمية الإنتاج القومى .. إنشاء المؤسسة الاقتصادية نواة القطاع العام .. وبدأ تنفيذ برنامج شامل للتصنيع عام ١٩٥٨ م . وما أن بدأت سنوات الستينات حتى أنهى عبد الناصر الجدل الدائر حول إختيار طريق التنمية الاقتصادية ، بإختيار طريق التنمية المستقلة وذلك بعد سنوات من التجارب المتتالية سواء مع رأس المال الأجنبى فى بداية الثورة ، أو مع رأس المال المحلى بعد عدوان السويس ، فقد عدلت حكومة الثورة القانون لترفع نسبة مساهمة

(١) كنموذج لهذه الرؤى انظر الملف الذى نشرته مجلة الموقف لعمري عدد يونيو ١٩٨٣ عن ثورة يوليو وكانت أبرز دراساته في مجالات التمية (دراسة عبد القادر شهاب) ودراسة (عبد الفتاح الجبالى) ودراسة (على فهمي) وسوف نستند في فرعية التنمية المستقلة على هذه الدراسات .

رأس المال الأجنبي فى المشروعات إلى ٥١٪ ورغم ذلك لم يزد ما دخل مصر من إستثمارات أجنبية خلال عامى ٥٣ - ١٩٦١ م عن ٨,٧ مليون جنيه فقط .

وأغدقت حكومة الثورة على الرأسمالين إمتيازات لم يحلموا بها - وفقاً لإصحاب نفس الرؤية المتعاطفة - مثل خفض الرسوم الجمركية على إستيراد الآلات الزراعية ومستلزمات الإنتاج الصناعى ، وإعفاءات ضريبية وتسهيلات إئتمانية وضمان حد أدنى من الإنتاج وتقديم الأراضي مجاناً أو بتسهيلات وعمل مجلس الإنتاج القومى مستشاراً فنياً للرأسمالين ، يدرس لهم المشروعات ويقدمها صالحة للتنفيذ ومع ذلك عزفت الرأسمالية عن المشاركة فى المشروعات الجديدة . وظلت تركز اهتماماً على الإستثمار فى الصناعات الخفيفة والمباني السكنية ، وكانت النتيجة هبوطاً فى الإنتاج الصناعى بمعدل ٤٪ عام ١٩٥٤ م ، بينما كان قد وصل إلى ٦٪ عامى ١٩٤٩ . ومن هناك ان على الثورة أن تبحث عن سبيل آخر للتنمية لا يعتمد على رأس المال الأجنبي ولا على رأس المال المحلى الخاص ، بعد أن غفلها الرأسماليون الأجانب والمصريون ، وبعد أن تعرضت جهودها للتنمية والمضايقات والمتاعب منهم ، مثل رفض البنك الأهلى تمويل تجارة القطن والمضاربة على سعر الجنية المصرى فى الخارج وتهريب الأموال للخارج أيضاً .

وكان هذا الطريق هو طريق التنمية المستقلة ، ويقوم على ثلاث دعائم : قطاع عام كبير يضطلع بأعباء عملية التنمية . ولذلك تمت حركة التأميمات عامى ١٩٦١ م ، ١٩٦٤ م ، التى وضعت فى يد الدولة دخلاً كبيراً ومستمراً لتمويل التنمية .. وخطة للتنمية متوسطة وطويلة المدى ، ولذلك وضعت ونفذت أول خطة للتنمية الإقتصادية فى مصر (٦٠ - ١٩٦٥ م) ودور كبير ومستول للدورة فى الحياة الإقتصادية ولذلك إتسع إشراف الدولة على عديد من الأنشطة الإقتصادية ، بدءاً بسياسات الإستثمار والإنتاج والإدخار ، ومروراً بعمليات النقد الأجنبي وإنتهاهاً بالتجارة الخارجية ... وأخيراً قيود على التراكم الرأسمالى الفردى فى البلاد من خلال قوانين الإستثمار والتجارة والضرائب .

ويضاف إلى كل هذه المقومات .. الإهتمام بعد إتاحة الفرصة لأى سيطرة أجنبية على البلاد ، بتحجيم هذا الوجود ، وعدم السماح بقيام أى علاقات إقتصادية مباشرة بين رأس المال المحلى الخاص وبين رأس المال الأجنبي ، من خلال عمليات التخصيص للمصالح الأجنبية فى مصر وحظر أعمال الوكالة لرأس المال الأجنبي على المصريين فى القطاع الخاص ، وإحتكار



داخل أحد أنفاق السد العالي في أسوان



السد الحلي

القطاع العام والدولة لعمليات التجارة الخارجية والتعامل النقدي مع الخارج .

أما عن نتائج التجربة وفقاً لدراسة عبد القادر شبيب (مصدر سابق) فيمكن إنجازها في أنها أصابت الخطة الخمسية الأولى لتنمية قدرات كبيراً من النجاح . وبلغ مجموع الإستثمار خلالها نحو ١٥٠٠ مليون جنية وارتفعت نسبة الإستثمارات إلى الناتج المحلي من ٥٪ قبل الثورة في أحسن الأحوال إلى ١٨٪ خلال سنوات الخطة . وإن كانت قد عادت إلى ٥٪ عام ١٩٧٤م ، وهو العام الذي شهد بداية التحول عن تجربة التنمية المستقلة في مصر ، والأخذ بما سمي بسياسة الإنفتاح الإقتصادي والتي تعتمد على رأس المال الأجنبي وترتبط بحركة الرأسمالية العالمية .

وحظيت الزراعة بنصيب هام من الإستثمارات خلال سنوات الخطة الخمسية (٦٠/١٩٦٥م) . وكان السد العالي أهم عناصر الإستثمار الزراعي . وحقق - كما يقول الدكتور الجريلى في كتابه - أغلب الأهداف المتوخاة منه وزاد إستصلاح الأراضي إلى حوالى ٨٣٠ ألف فدان وتم تحويل نصف مليون فدان إلى الرى الدائم ، وبالإضافة إلى زيادة الطاقة الكهربائية المتاحة . حيث يمد السد العالي حالياً البلاد بنصف طاقتها ، الكهربائية .

ومنذ قيام الثورة وحتى موت عبد الناصر تم إستصلاح ٨٩١ ألف فدان - كما تقول الدراسة التى قدمها الدكتور محمود منصور عبد الفتاح فى المؤتمر العلمى السنوى السادس للإقتصاديين المصريين عام ١٩٨١م . أما خلال سنوات السبعينات - وبعد هجرة تجربة التنمية المستقلة - فقد تم إستصلاح ٢١ ألف فدان فقط .

ونجحت الثورة فى تنمية شبكة الكهرباء بالتعاون مع فرنسا ومصانع الأدوية بالتعاون مع سويسرا وألمانيا وأمريكا والسوفيت ، وجميع الألومنيوم بالتعاون مع السوفيت ، ومصانع النسيج بالتعاون مع الهند وألمانيا وكانت الشركات الأمريكية تعمل فى مجالات البترول .

وساهم السوفيت من بين كل هؤلاء - كما شهد بذلك الدكتور عزيز صدق - بدور كبير فى إقامة هذه القاعدة الصناعية ، وذلك بتقديم العون والخبرة والقروض لبناء ترسانات السفن وأحواض بنائها ومصانع للزيوت والحديد والصلب والأسمنت والألومنيوم . وكانت أهم مساهمة لهم فى بناء محطات القوى الكهربائية .

ونجحت الثورة أيضاً فى بناء الآلاف من الوحدات السكنية لأصحاب الدخول المحدودة

والتوسعة ومئات من المدارس لأبنائهم .

ورققاً لأصحاب هذه الرؤى فإن نتيجة لذلك كله استطاعت ثورة يوليو في عشر سنوات وتحت قيادة عبد الناصر أن تقوم بتنمية أربعة أضعاف ما استطاعت تحقيقه مصر في الأربعين سنة السابقة على قيامها .

ونجحت بالتالى في زيادة متوسط الدخل الحقيقى للفرد في مصر بنسبة ٣,٦ خلال سنوات الخطة الخمسية الأولى (١٩٦٥ / ٦٠ م) بينما كانت النسبة ٢٪ فقط خلال السنوات فيما بين (٥٢ - ١٩٦٠ م) ، وتمثل ذلك في زيادة إستهلاك الفرد خلال سنوات الخطة بنسبة ٢٪ .

ونجحت الدولة أيضاً في ترتيب الفوارق بين الطبقات الفقيرة وأصحاب الدخول المحدودة . وإرتفع نصيب العمل من ٤٠٪ من الدخل القومى إلى ٤٧٪ في نهاية الخطة الخمسية الأولى ثم إلى ٤٩,٥٪ في بداية عام ١٩٧١م ورغم المزيمة العسكرية . ولكنه لم يلبث أن بدأ في الهبوط منذ عام ١٩٧٢ م . وبدأ الإتجاه الصعودى لأصحاب الملكية في عصر الإنفتاح . وطبقاً لآخر التقديرات يستأثر الآن الملاك بنسبة ٧٠٪ من الدخل القومى ، أى أكثر من النسبة التى كانوا يحصلون عليها قبل الثورة . وهو ما يعنى أن الفروق الطبقية ، التى كانت أحد أسباب قيام ثورة يوليو ، أصبحت اليوم أكثر إتساعاً مما كان قبل عام ١٩٥٢ م . ورغم ذلك نجد من لا يحجل ويتحدث عن وجود عدالة إجتماعية أو تحسن في مستوى معيشة الفقراء بشكل عادل .

أما عن مؤشرات توزيع الدخل في مصر على عهد عبد الناصر مقارنة بعهد السادات مثلاً فإن أول هذه المؤشرات هو النصيب النسبى للأجور في الناتج المحلى الإجمالى . فإذا تتبعنا هذا المؤشر نجد أنه مر بمرحلتين الأولى من عام ١٩٥٠م حتى ١٩٧١م حيث إرتفع هذا المعدل من نحو ٣٨٪ عام ١٩٥٠م إلى نحو ٤٤٪ عام ١٩٦٠ / ٥٩م واستمر في الإرتفاع حتى عام ١٩٦٨ / ٦٧م ، حيث بلغ حوالى ٥٠٪ . وقد ظل هذا المعدل ثابتاً خلال الفترة من ١٩٦٧م حتى ٧١ / ٧٢ ويعود ذلك إلى أن هذه الفترة قد شهدت تكثيف الجهود الرامية إلى إعادة توزيع الدخل مثل الإصلاح الزراعى وتخفيض إيجارات المباني السكنية والتأمينات والتحصير وما صاحبها من مزايا للعمال وكذلك تعديل قوانين الضرائب بما يزيد من درجة

تصاعدها وعدلت قوانين الإيجارات لصالح المستأجرين عدة مرات كما حدث توسع هائل في الخدمات الصحية والتعليمية ونظم التأمين .. الخ .

في حين أخذ هذا المعدل في الهبوط خلال فترة السبعينات إلى أن وصل إلى ٤٤,٨٪ عام ١٩٧٤م ثم هبطت هذه النسبة إلى ٣٠,٤٪ عام ١٩٧٩م . ولا يرجع هذا الانخفاض الكبير في هذه النسبة إلى الزيادة الكبيرة في العوائد البترولية وقناة السويس كما قد يظن البعض . لأن هذا الخلل في توزيع الدخل قد انعكس أيضا على قطاعات الإقتصاد القومى .

فقد إرتفعت عوائد التملك في الزراعة من ٧١,٧٪ إلى ٧٨,٣٪ بين عامى ١٩٦٩م و١٩٧٩م وإرتفعت عوائد التملك في قطاع التشييد من ٤٢,١٪ إلى ٦١,٨٪ ، وأيضاً في قطاع التوزيع تضاعفت هذه النسبة من ٤٣,٦٪ لمن الدخل إلى ٧٥,٤٪ خلال نفس الفترة .. وبالطبع فقد سارت الأجور في اتجاه عكسى حيث قلت أهميتها النسبية بنفس القدر حتى أنه بحساب معدل التزايد في كل من الاثنين خلال العشر سنوات نجد أن الأجور قد إزدادت إلى ٢٧٨٪ مما كانت عليه بينما عوائد التملك زادت إلى ٦١٤٪ عما كانت عليه .

ولكن يجب ألا يفهم من ذلك أن كل من يحصل على أجر إنما يقع في شرائح الدخل المنخفضة نسبياً فهناك الأجور المرتفعة التى يقع أصحابها في شرائح الدخل المرتفعة وأيضاً لا يقل كل من لا يكون دخله في شكل أجر بالضرورة في شرائح الدخل العليا في المجتمع لأن هناك من يعمل في قطاع العمل غير المنظم (مثل الباعة الجائلين) وهؤلاء تكون دخولهم منخفضة رغم أن هذه الدخل لا تأخذ شكل الأجور .

ولا شك أن العامل الأساسى في تقوية هذه الإتجاهات هو سياسة الإنفتاح وذلك نتيجة طبيعية ، لقوانين النمو الرأسمالى من جهة ولخصائص الرأسمالية المحلية وميلها إلى الأنشطة التجارية والطبقية من جهة أخرى ، وخاصة إذا أخذنا في الحسبان أن هذه السياسة تتيح الفرصة أمام من يملكون عناصر الإنتاج - رأس المال ، الأرض - إستغلالها في مشروعات خاصة وتحقيق أرباح كبيرة من وراءها لما تستمتع به من مزايا وخاصة الإعفاءات الضريبية والتي لا تفرق بين أنواع النشاطات المختلفة في المجتمع . وبالإضافة إلى ذلك التفاوت الموجود بين مراتب العاملين في القطاع الخاص وبين القطاع العام - وتشير الإحصائيات في هذا الصدد إلى أن مراتب العاملين في القطاع الحكومى والعاملين بالبنوك المشتركة تتفاوت فيما بينها فتتراوح نسبة إرتفاع المراتب في أدنى درجات التعمين بنسبة ٦٠ ، ٣٠٠٪ وفى حالة

المؤهلات العليا تفاوتت هذه النسبة بين ٩٧٪ ، ٤٥٢٪ وتتضاعف هذه النسب في الإدارة العليا لتصل إلى أكثر من ١٨ ضعفاً لما يتقاضاه شاغله الوظائف العليا في الحكومة .

ومن المؤشرات الأخرى ما أشار إليه تقرير البنك الدولي في عام ٨٠ من إرتفاع نصيب أعلى خمسة في المائة من السكان في مصر من ١٧٪ من الدخل القومي في أواخر الستينات إلى ٢٢٪ في أواخر السبعينات بينما إنخفض نصيب أفقر ٢٠٪ من السكان من ٧٪ من الدخل إلى ٥٪ خلال نفس الفترة .

وهو ما يدل على مدى الخلل الذي حدث في توزيع الدخل في المجتمع المصري ككل خلال فترة السبعينات عنه في الفترة السابقة عليه .

ووفقا للدراسة عبد الفتاح الجبالى فلقد شهد الريف المصري تغيرات هامة في صدد توزيع الدخل فيما بين الستينيات والسبعينيات ، فمن المعروف أن قانون الإصلاح الزراعي قد ساعد - بعض الشيء - في تقليل التفاوت بين الدخل في الريف ، ذلك أنه بين سنتي ١٩٥٢م - ١٩٦٥م زاد عدد الملاك لأقل من خمسة أفدنة (وهم ٩٠٪ من الملاك) من ٢,٦ مليون إلى ٣ ملايين تمثل حيازتهم ٥٧٪ من المساحة المزروعة بعد أن كانت ٥٣٪ فقط . هذا بينما ظل عدد المالكين لأكثر من ٥٠ فدانا على حاله حوالي ١٠,٠٠٠ مالك تناقصت حيازتهم من ٢ مليون فدان إلى نحو ثمانمائة ألف وانخفضت حيازتهم من ٣٤٪ إلى ١٢,٦٪ إلا أنه بدءا من عام ٧٤ شهد الريف المصري تغيراً في غير صالح صغار المزارعين - فيشير الجهاز المركزي للتعبئة العامة والإحصاء - إلى أن المساحة المملوكة لصغار الملاك (أقل من خمسة أفدنة) قد انخفضت بشكل حاد بحوالي ٩٩٢ ألف فدان عن عام ١٩٦٥م ، وهو ما أدى إلى فقد صغار المزارعين لحوالي ١٣٪ من نصيبهم النسبي من أجمالي المساحة الزراعية خلال تسع سنوات فقط وانخفضت نسبة ما يملكونه من ٥٧,١٪ عام ١٩٧٥م إلى ٤٩,٨٪ عام ١٩٧٤م ، هذا بالرغم من أن وزنهم العددي قد بقى على ما هو عليه ، وفي الوقت نفسه استطاعت طبقة كبار الملاك التي كان حجم ملكيتها قد تقلص نتيجة لقوانين الإصلاح الزراعي - كما سبق الإشارة - أن تستعيد جزءاً هاماً من ملكيتها السابقة وترفع نصيبها النسبي من ١٢,٦٪ من إجمالى الأراضي الزراعية إلى ١٦,٣ عام ١٩٧٤م .

أما عن سياسات التشريع في العهد الناصري ف يرى على فهمي أنه يكفى أن نستعرض هنا هذه السلسلة المجددة من الإنجازات التشريعية الخالدة ، منذ إصدار أول قانون للإصلاح

لزراعى فى سبتمبر / أيلول ١٩٥٢م ، برغم الإعتراضات المتعلقة بالموضوع أو بالتوقيت ، وكيف أسهم هذا القانون وتعديلاته فى إحداث تغييرات أساسية وتاريخية فى هياكل القوى المسيطرة فى المجتمع المصرى بعامة والريف المصرى بخاصة ، مما كان له إتمكاساته الكبرى على التدرج الإجتماعى والتغير الإجتماعى وبناء القوة والسلطة فى المجتمع ، وتغيير حقيقى فى الصورة الإجتماعية وهياكل العلاقات الإجتماعية الإقتصادية ، على الرغم من أن القانون لم يعبر عاكساً لكل الطموحات الشعبية فى هذا المجال ، كما أن ثمة التغيرات قد حدثت فى إدارة تنفيذه .

كما يمكن القول بأن الإقدام التشريعى على إلغاء الوقف الأهلى وإلغاء القضاء الشرعى ، على الرغم من تمكن وتجذر هذين النظامين فى المجتمع المصرى وفى الثقافة المصرية بإرتباطهما - على نحو ما - ببعض المفاهيم ذات الطابع الدينى ، كان مثل هذا التدخل التشريعى رعاية لمصالح هامة وضرورية .

ولعل سلسلة قوانين الاشتراكية من حيث التأمين ومشاركة العمال فى الإدارة والأرباح وتقنين بعض الخدمات الأساسية المقدمة لهم ، وما واکب ذلك من ضرورة التمثيل النسبى - فى حدود النصف بالأقل - للعمال والفلاحين فى المجالس النيابية ، لعل هذا أن يكون تنويعاً لثورة تشريعية حقيقية لحماية مصالح جماهير الكادحين ، برغم الكثير من المناورات فى التنفيذ لمسح مثل هذه المكاسب الشعبية ، وهى مناورات لم تكن القيادة الثورية طرفاً فيها بيقين ، وإنما كان مهندسوها بعض فئات الملتفين من الإنتهازيين ومن لف لفهم .

كما يمكن الإشارة - وفقاً لما ذكره على فهى فى دارسته - إلى التعديلات المتلاحقة فى قواعد تنظيم العلاقة بين ملاك العقارات المبنية والمستأجرين ، والتي كانت تهدف - فى حق وفى عدل - إلى أن يكون التوازن فى صالح الفئات الضعيفة من المستأجرين الذين ينتمون فى الغالب إلى الفئات محدودة الدخل ، وجدير بالذكر - هنا - إلى أن المشرع المصرى - آنهذ - لم يكن ينظر بعين التشجيع إلى الإسكان الفاخر الذى إستشرى فيما بعد عبد الناصر على حسب الإسكان الشعبى والإقتصادى .

ومن هنا يمكن للراصد التقرير - فى موضوعية تامة - أن الإتجاهات التشريعية الرئيسية فى الفترة الناصرية كلها ، كانت من حيث مضمون المصالح التى تحميها ، هى فى خدمة



ومضى على الطريق يوزع أراضي الاقطاع على الفلاحين المعدمين . فلاح من ادكو يتسلم وثيقة الأرض

القضايا الأساسية لقطاعات كثيرة من جماهير الشعب العاملة والمطحونة تاريخياً وآتياً ، إلا أن ما يمكن أن يؤخذ عليها أنها حاولت إقامة التوازن الذى ثبت - فيما بعد - أنه توازن وهمى ، ذلك أن الطبقات المستغلة (بكسر الفين) ما فتئت إن عادت إلى الظهور بعد فوات الفترة الناصرية على نحو أكثر إستغلالاً ، وهكذا تعلمنا التجربة التاريخية ، أن القاعدة التشريعية الثورية يجدر أن تكون بالغة الدقة والحسم معاً ، بحيث تلجأ إلى حماية مصالح الجماهير المستغلة (بفتح الفين) وفى نفس الوقت تعتمد على الإجهاد التام والحامس على أى إمكانيات لدى الفئات المستغلة (بكسر الفين) آتياً ومستقبلياً وإلى الأبد .

ومع ذلك يؤكد على فهمى على حقيقة هامة وهى أن ذلك لا يمنع من التقرير أيضاً بأن مستوى الأداء والتنفيذ لم يكن - فى الكثير من الأحيان - على مستوى المصالح المسماة بالقاعدة التشريعية ، ولعل هذا أن يرتبط بعدم وجود أو عدم كفاية الإطارات الكفوءة والمبينة ووجود مناخ عام يسمح بتكريس الامعية والانتهازية ، وهى أمور كلها جديدة بأن تناقش فى ضوء ضرورة تكامل وتناغم مراعاة القضية الإجتماعية وقضية الحرية فى آن واحد .

٢ - الملكية الزراعية :

فى دراسة هامة يرى د . عبد الفتاح عبد النبى أن قوانين الإصلاح الزراعى سعت إلى إعادة تنظيم الملكية الزراعية فى مصر حيث قضت بتحديد حد أقصى للملكية ، وإعادة توزيع ما زاد على ذلك على صغار الفلاحين وتحريم ملكية الأرض الزراعية على الأجانب وإلغاء الوقف الأهلى ، والحد من تجزئة الأرض لأقل من خمسة أفدنة وبالنسبة للحد الأقصى الذى يفرض على ملكية الأرض الزراعية حدد قانون الإصلاح الزراعى الأول الملكية بماثلى فدان ، وأوجب الإستيلاء على ما يزيد على ذلك خلال خمس سنوات من صدور القانون^(١) .

وعلى الرغم من الحماس السياسى البالغ الذى صاحب صدور هذا القانون ، إلا أنه فى الواقع لم يكن حاسماً أو محكماً بل درجة كافية ، فقد شابه العديد من الثغرات ، ووجه

(١) عبد الفتاح عبد النبى : قضايا الريف المصرى بعد ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ - مجلة البقطة العربية عدد مايو ١٩٨٦ .

بمشاكل جملة خلال تطبيقه ، مما أتاح الفرصة واسعة أمام بعد الملاك الخاضعين له من التهرب بطريقة أو أخرى من أحكامه الأمر الذى قلل فى النهاية من حجم الأرض الزائدة المقرر الإستيلاء عليها .

فمن ناحية ، سمح القانون لكبار الملاك بالتصرف فى أراضيهم الزائدة بالبيع قطعاً صغيرة ، فسارع كبار الملاك إلى بيع أراضيهم حتى لا تخضع للإستيلاء ، وأتاح القانون لهم فرصة واسعة لإجراء بيع صورى مع استمرار حيازة الأرض . ومن ناحية أخرى إستفاد كبار الملاك من النص الخاص بإخراج أى مساحات مباعة من الإستيلاء إذا أثبت التحقيق أنها صدرت فعلاً قبل ٢٣ يوليو ١٩٥٢م أو قبل يناير عام ١٩٤٤م . إذا كان البيع لزوجة المالك أو أولاده وحفدته ، حيث تمكن الملاك أن يصطنعوا الكثير من العقود المزيفة التى مكنتهم من إستبعاد مساحات من أراضيهم من الإستيلاء .

كما سار تنفيذ القانون نفسه بخطى وئيدة نتيجة لكثرة العقبات والمشاكل التى واجهت تطبيقه ، فقد حدث أن إنشغلت قيادة الثورة بعد ذلك فى مواجهة القضية الوطنية ، وتركت اللجنة العليا للإصلاح الزراعى التى شكلت لتنفيذ القانون لتواجه بسلسلة طويلة من العقبات والتحديات من جانب كبار الملاك أو قلة الإمكانات المادية والكفاءات البشرية المطلوبة ، فضلاً عن جهاز إدارى تحكمه بيروقراطية عتيقة لم يطرأ عليها أى تغير .

وللمعالجة ظاهرة إنتشار البيوع الصورية التى لجأ إليها كبار الملاك صدر القانون رقم ٢٤ لسنة ١٩٥٨م ، ليحدد الحد الأقصى لملكية الأسرة الزوج والزوجة والأولاد القصر بمقدار ٣٠٠ فدان ، غير أنه حصر حكمه فى المستقبل فقط ، دون محاولة المساس بالملكيات الموجودة وما يوج بها من زيادات .

ودعماً لسياسة توسيع قاعدة الملكية الزراعية ، وإعادة توزيعها على أساس عادل وسلم ، ولتقريب الفوارق بين أبناء المجتمع الواحد التى أعلن عنها النظام فى تلك الفترة . صدر القرار بقانون رقم ١٢٧ لسنة ١٩٦١م ليعدل الحد الأقصى للملكية ليصبح مائة فدان للفرد ، والحيازة الزراعية بخمسين فداناً للأسرة وكان أهم ما اشتمله هذا القانون أيضاً من تعديلات ، أنه ألغى الإستثناء الخاص بالأراضى الجور ، ومنع بيع أى مساحة للأولاد أو لصغار الزراع ، وأعطى القانون الهيئة العامة للإصلاح الزراعى الحق فى الإستيلاء من تاريخ

العمل بهذا القانون على الأرض الزائدة .

وفي عام ١٩٦٢م ، نوه الرئيس عبد الناصر فى الميثاق الوطنى إلى أن التية متجهة فى المستقبل إلى وضع حد أعلى لملكية الأسرة - الأب والأم والأولاد القصر - بما لا يتجاوز مائة فدان حتى لا تتجمع ملكيات فى نطاق الحد الأعلى تسمح بنوع من الإقطاع ودعا الأسر التى ينطبق عليها القانون خلال الثمانى سنوات القادمة بالتصرف ببيع الأراضى الزائدة عن هذا الحد إلى الجمعيات التعاونية للإصلاح الزراعى أو الغير .

وتدأركاً لما أغفله القانون رقم ١٢٨ لسنة ١٩٦١م من وضع حد أعلى لملكية الأسرة وتحقيقاً لما نوه إليه الميثاق ، صدر القانون رقم ٥٠ لسنة ١٩٦٩م ليصبح الحد الأعلى لما يجوز أن يملكه الفرد خمسين فداناً وبعد أقصى للأسرة مائة فدان . وتستولى الدولة على ما لدى ملاك الأراضى الزراعية وغيرها على ما يزيد على هذا الحد الأعلى .

وجدير بالذكر أن الأرض المستولى عليها وفقاً لهذا القانون لم تبلغ فى جملتها التقدير المتوقع لها . وذلك لسبب بسيط هو أن الملاك أخذوا تحذير الميثاق مأخذ الجد وسعوا إلى التصرف فى المقادير الزائدة على أطيانهم بأساليب مختلفة إكتشفت بعضها لجنة تصفية الإقطاع التى شكلت عام ١٩٦٦م لبحث تصرفات كبار الملاك . حيث بلغت جملة الأراضى التى فرضت اللجنة الحراسة عليها قرابة ٢٠٠ ألف فدان هى بعض الأراضى المنهوبة من قوانين الإصلاح الزراعى .

وتطبيقاً لهذه القوانين جميعاً ، آلت إلى الدولة ملكية ٩١٨,٦٥٠ ألف فدان حتى عام ١٩٦٨م ، وزع منها ٧٥٥ ألف فدان إنتفعت بها ٣١٧,٤ ألف أسرة وتحولت بقية الأرض أما إلى بساتين تشرف عليها شركات اقتصادية أو حكومية أو أراض خصصت للمباني والتوسع السكنى والمنافع العامة أو أراضى بور ضعيفة الإنتاج .

ويدور هنا تساؤل حول مدى إسهام هذه القوانين والإجراءات فى معالجة مشكلة تركيز الملكية الزراعية القائمة قبل الثورة . بعبارة أخرى ما هى التغيرات التى أحدثتها هذه القوانين على أوضاع الملكية الزراعية وإنتاجاتها فى الريف المصرى ؟

إذا إعتمدنا على المقارنة بين هيكل ملكية الأرض ، الزراعية قبل قانون ١٩٥٢م ، وبين الهيكل المقابل عام ١٩٦٥م ، سنلاحظ أنه بعد تنفيذ قانونى الإصلاح الزراعى حدث تغير

جذرى وهام لصالح أصحاب الملكيات الصغيرة .

(٥ أفدنة فأقل) . ولكن نلاحظ أيضاً أن ملكية الأرض خارج نطاق الإصلاح الزراعى . إنتهت إلى إنجاء نحو ثمرركز الملكية فى نطاق القفة من ٥ - أقل من ٥٠ فدان حيث يسير التطور فى إنجاء التركيز إلى أعلى والنشئت إلى أسفل وساعد على ذلك سياسة الإصلاح الزراعى التى أتاحت الفرصة كاملة للفتات الإجتماعية الوسطة لشراء أراضى كبار الملاك الزائدة وإجراء التصرفات المختلفة ، وتوفيق الأوضاع بينها . كما دعم من هذا الإنجاء المناخ السياسى والإجتماعى الذى ساد المجتمع خصوصاً بعد هزيمة ١٩٦٧م ، حيث أصبح سوق الأرض أكثر إنفتاحاً بعد أن خفت عوامل الضغط على حركته ، وتشير البيانات المستخلصة من دراسة عينات واسعة نسبياً حول توزيع ملكية الأرض الزراعية فى عام ١٩٧٣م إلى تغير كبير فى هيكل الملكية إذا قورنت هذه النتائج مع آخر إحصاء رسمى لهيكل الملكية عام ١٩٦٥م كما فى الجدول التالى :

توزيع ملكية الأرض الزراعية فى عام ١٩٧٣م بالمقارنة بعام ١٩٦٥م^(١)

الملكىة بالفدان		النسبة المئوية من المسلاك		النسبة المئوية من المساحات	
أقل من ٥ أفدنة	١٩٦٥	١٩٧٣	١٩٦٥	١٩٧٣	
٥ - أقل من ١٠	٩٤,٥	٨٥,٦	٥٧,١	٢٦,١	
١٠ فأكثر	٢,٤	٧,٨	٩,٥	١١,٢	
	٣,١	٦,٦	٣٣,٤	٦٢,٧	

ويوضح الجدول مدى التغير الذى طرأ على حيازة ملكية الأراضى الزراعية وخصوصاً بعد حرب ١٩٦٧م حيث تنجعه الأراضى الزراعية نحو مزيد من التركيز فى الفتات الأعلى . كما تشير الإحصائيات التى جرت عام ١٩٧٧م إلى أن عدد الملاك الكبار الذين يمتلك كل

(١) عبد الفتاح عبد النبى - معسر سابق - ص ٩٩ .

منهم خمسين فداناً فأكثر تصل نسبتهم إلى ٠,٣٧٠٪ من إجمالى عدد الملاك . ومساحة ما يمتلكونه ١٤,٥٪ من إجمالى الأراضى الزراعية . وعدد الملاك الذين يمتلك كل منهم عشرين فداناً فأكثر بما فيهم الذين يمتلكون خمسين فداناً فأكثر يبلغ عددهم واحداً فى المائة فقط من إجمالى عدد الملاك وما يمتلكونه يساوى ٢٦٪ من إجمالى الأرض الزراعية .

هذا ويرى د . عبد الفتاح عبد النبى أن تولى عملية إستصلاح الأراضى قبل ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢م ثلاث جهات رئيسية هى الشركات المساهمة والأفراد ومصلحة الأملاك الأميرية وكان يتم التصرف فى هذه الأرض عن طريق بيعها للأفراد أو الشركات الخاصة من مزادات علنية لمن لديه القوة المالية على شرائها .

وقد إتجهت الدولة بعد قيام الثورة إلى التوسع فى سياسة إستصلاح الأرض الجديدة ، كحل جذرى للمشاكل الناشئة عن الإحتلال فى التوازن بين السكان والأرض .. وتولت وحدها عملية الإستصلاح عن طريق تكوين مؤسسات مستقلة ومتخصصة فى عمليات الإستصلاح فأنشأت مؤسسة إستصلاح الأراضى ، ومؤسسة تنمية وإستغلال الأراضى ومؤسسة تعمير الصحارى ثم الهيئة العامة لتعمير الأراضى .

وفى إطار هذه المؤسسات وضعت الدولة خططاً طموحة إستطاعت من خلالها تحقيق أعلى معدل للإستصلاح وصل عام ١٩٦٥م إلى ١٥٠ ألف فدان ، وظل معدل استصلاح الأراضى فى تزايد مستمر إلى عام ١٩٦٧م حينما بدأ معدل الإستصلاح فى الإنخفاض بسبب توجه معظم نشاط شركات الإستصلاح لخدمة المجهود الحرى ، وتشير البيانات المتاحة أن جملة الأرض المستصلحة فى الفترة من ١٩٥٢م - وحتى عام ١٩٨٠م وصلت إلى ما يقرب من مليون فدان شهدت فترة الستينات وحدها ٨٨٪ من الإجمالى الكلى للأرض المستصلحة طوال هذه الفترة .

هذا وكانت القضية الأساسية الثانية التى عاجلتها قوانين الإصلاح الزراعى وسعت الدولة إلى مواجهتها تتصل بإعادة تنظيم العلاقة غير المتكافئة التى كانت قائمة قبل الثورة بين مستأجرى الأرض الزراعية وملاكها ، حيث كان يوجد ما يزيد عن ٧٠٠ ألف مستأجر يقومون بزراعة ما يقرب من ٦٠٪ من رقعة الأراضى الزراعية يتعرضون لمغالاة شديدة من بجانب كبار الملاك والوسطاء فى تحديد القيمة الإيجارية للأرض الزراعية ، وما يمثل ذلك من

ظلم وإرهاق بصغار الزراعى وتردى أحوالهم المعيشية ، لذلك صدر القانون رقم ١٧٨ لسنة ١٩٥٢م ، متضمناً أحكاماً تسعى لترتيب العلاقة بين المالك والمستأجر ثم صدر بعد ذلك القانون رقم ١٤٨ لسنة ١٩٦٢م ، ورقم ١ لسنة ١٩٦٣م ، بغية ضبط هذه العلاقة وضمان تنفيذ أحكام قانون الإصلاح الزراعى .

بيد أن الظروف الموضوعية ، والممارسة العملية كشفت عن وجود صعوبات ومشاكل عديدة عاقت تطبيق هذه القوانين على الوجه الأكمل فمن ناحية كان هناك الضغط السكاني المستمر على الأرض الزراعية ، ووجود فائض من القوى البشرية لم تتح لها فرص عمل بديلة أو جديدة ، في الوقت الذى إتجهت في المساحة الإجمالية للأرض ، الخاضعة للإيجار إلى الانخفاض من ٥٩٪ عام ١٩٥٠م إلى ٥١٪ عام ١٩٦١م ، نتيجة لإتجاه الملاك نحو زراعة أراضيهم على الذمة باستخدام العمل المأجور ، والآلات ، الحديثة لتحقيق الربح ، وتمويض ما فقدوه من ريع بعد تحديد الملكية وحماية أنفسهم في المستقبل إزاء ما قد تستحدثه قوانين الإصلاح الزراعى من حماية للمستأجر وصعوبة طرده أو إخراجه من الأرض .

يضاف إلى ذلك ظروف التحول في التركيب المحصولي والأخذ بنظام التجميع الزراعى التى أشرنا إليها من قبل ، وقد أفضت هذه الظروف وغيرها إلى زيادة الطلب على إستئجار الأراضى ، وإتسع بالتالى مجال السوق السوداء في إيجارات الأراضى حيث تراوح السعر السوق لها ما بين ٤ - ٥ أمثال الإيجار القانونى لها وفي هذا المناخ تعددت حالات التحايل على قانون الإيجار منها على سبيل المثال لا الحصر ، الإيجار الموسمى لزراعة واحدة ، أو أخذ كمبيالات ومستندات ومدبونة موقعة على بياض ، وإرغام المستأجرين على توقيع عقود إيجار من صورة واحدة تحفظ لدى المالك ، والإمتناع عن تسليمهم مخالفات إلى غير ذلك من أساليب التحايل التى تفتن فيها الملاك وكشفت عن بعضها لجنة تصفية الإقطاع عام ١٩٦٦م^(١) .

وعلى ضوء ذلك ، كان من الضرورى إعادة النظر في هذه القوانين ، وتعديلها بما يؤدى إلى إحكام ضبط العلاقة الإيجارية وإستقرارها . فمصدر القانون رقم ٥٢ سنة ١٩٦٦م ، متضمناً أحكاماً جديدة مهمة غيرت مسار هذا الحلل .

(١) المصور : عبد الفتاح عبد النبى مصدر سابق ص ٩٢ .

تلك كانت أبرز إنجازات الثورة الداخلية وفقاً لرؤى متعاطفة معها .

ماذا عن تلك المختلفة معها ؟

ثالثاً : الإنجازات الناصرية : رؤى إسلامية :

كانت الرؤى الإسلامية (والراديكالية منها على وجه الخصوص) موعلة في نقد عبد الناصر الناصر وتجربته في التنمية ، ولقد اجتهد أصحابها في البحث عن المعلومات التي تؤكد وجهة نظرهم واجتهدوا في توظيف هذه المعلومات بما يخدم رؤيتهم المعادية لعبد الناصر ، وسوف نورد هنا دون تدخل كبير ملخصاً لهذه الرؤية التي نعتقد أنها هامة .

بداية ووفقاً لهذه الرؤية يمكن أن معالجة هذه القضايا من زاويتين : التنمية - التوزيع^(١) .

وتدل الملاحظات وفقاً لأصحاب هذه الرؤى على أن العسكريين :

١ - لم يكن معظمهم يمتلك فلسفة اقتصادية لتحقيق العدالة التوزيعية - فضلاً عن أن يكون لديهم برامج مفصلة - وفي هذا الصدد يقول خالد محيي الدين لم يكن في برنامج الضباط الأحرار شيء عن الإصلاح الزراعي^(٢) بل ولم تكن فكرة الإصلاح الزراعي محل موافقة جماعية من ضباط القيادة^(٣) .

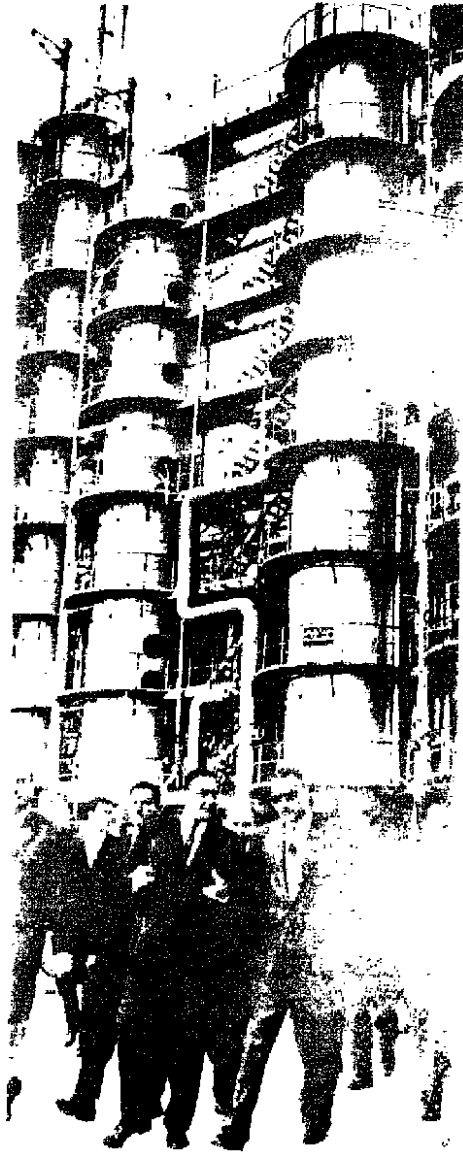
٢ - وإن كان العسكريون قد هدفوا إلى تنمية البلاد (بالمعنى الضيق للتنمية أى زيادة معدل النمو) واعتقدوا أن تصنيع البلاد هو الوسيلة الوحيدة وفي هذا الإطار بما يلي :
(أ) تجريد أصحاب القوة السياسية في البلاد من مصدر قوتهم (الإقطاع) وفي هذا الصدد صدر القانون الأول للإصلاح الزراعي^(٤) .

(١) هذه الرؤية مأخوذة من بحث أسامة حميد عن مصر في الحقبة العلمانية - مصدر سابق .

(٢) شهادته لعبد العظيم رمضان : عبد الناصر وأزمة مارس ١٩٥٠ .

(٣) حمروش : البحث عن الاشتراكية ص ٣٩

(٤) اتفقت جميع الدراسات على أن هذا القانون لم يهدف إلى تحقيق العدل وفي الحقيقة لقد ذهبت أراضي الإقطاعيين الكبار إلى إقطاعيين صغار وليس إلى الفقراء (والقول لأسامة حميد في دراسته السابقة) .



في معمل تكرير البترول في السويس

(ب) لم تصدر ثروات الإقطاعيين وإنما أريد توجيهها للتصنيع - وفى هذا الإطار عدلت التشريعات الإقتصادية الخاصة باستثمار رأس المال وإنتهجت سياسة إفتح إقتصادى وصدر سبب من القوانين منها القانون ١٢٠ لسنة ١٩٥٢م الذى يعطى رأس المال الأجنبى. الحق فى الإسهام بنسبة ٥١٪ فى المشروعات^(١) وقانون ١٥٦ لسنة ١٩٥٣م الذى يتضمن كل ما يخطر على البال من تشجيع وإغراء الرأسمالية على المساهمة فى التنمية^(٢) وقوانين للإعفاء من العقوبة على جرائم التهريب (القانون ١٨١ لسنة ١٩٥٣م) والسماح بتقاضى عمولات على التعامل مع الحكومة ذاتها (القانون ١٣٨ لسنة ١٩٥٣م) .

ولكن بسبب الإضطراب السياسى الذى يعقب أى ثورة فقد خشى الرأسماليون - واتجهوا بدلاً من ذلك إلى الإستثمار العقارى والمالى .

وكرر فعل ذلك إتحده النظام منذ ١٩٥٦م وجهة جديدة :

- تبنى الاشتراكية الديمقراطية التعاونية (منقولة عن دكتاتور البرتغال سالازار) .
- إنشاء القطاع العام .
- وبدأت عملية تمصير - ولكن ببطء - وشملت تمصير البنوك وشركات التأمين (١٩٥٧م) .

* قلنا - والقول للإسلاميين - أن القضية الإجتماعية لم تكن تستأثر على الإهتمام الأول وفور قيام الإنقلاب كانت هوية القائمين عليه وقد وضحت من خلال عدة وقائع منها :

- ١ - فى ١٢ ، ١٣ أغسطس ١٩٥٢م تظاهر عشرة آلاف عامل فى كفر الدوار مطالبين بحقوقهم ومعلنين تأييدهم للثورة - فتشكلت لهم محكمة عسكرية ميدانية أصدرت أحكاماً بالإعدام على عامل وخفير من البسطاء (خميس ١٨ سنة وبقرى ١٩,٥

(١) لم يكن مسموحاً بذلك فى الفترة الليبرالية .

(٢) صلاح زكى أحمد : القاموس الناصرى : المستقبل العربى ١٩٨٥ ص ١٨٠ - ١٨١ .

سنة^(١) . صدرت أحكام بالسجن على آخرين (منهم فتى عمره ١٨ سنة أما الأطفال الذين كان عمرهم ١٠ ، ١١ سنة فقد قدموا أيضاً للمحاكمة ولكن شاعت إنسانية المحكمة وعدلتها أن تحكم ببراءتهم رغم ثبوت جريمة سرقة بعض أثواب القماش عليهم حسبما جاء في الحثيات .

٢ - فى نفس الوقت قام فتى إقطاعى بلطجى (عدلى لموم)^(٢) وعصابته بإقتحام مركز للشرطة وإطلاق النار فى تحد لقانون الإصلاح الزراعى فحاكمته نفس المحكمة العسكرية السابقة وأصدرت عليه حكماً بالسجن (وأفرج عنه صحياً بعد ذاك) .

٣ - فى فبراير ١٩٥٣م قامت أسرة الفتى الإقطاعية بمجزرة فى قرية كمشير أسفرت عن إعدام ١٤ فلاحاً (منهم إمرأتان) ولم يمسهن سوء .

وقد استمر موقف العسكريين من الفقراء على ما هو عليه حتى مطلع الستينيات - فيذكر حمروش (ج ٣ طبعة بيروت ص ٧٦) أنه بعد وحدة مصر وسوريا قام بعض المصريين الفقراء ببيع منتجات مصرية على أرصفة دمشق - فقام الأغنياء السوريون بإبلاغ عبد الحكيم عامر الذى قرر ترحيلهم إلى مصر على الفور ووضعوا فى السجن حتى تم ترحيلهم على طائرات حربية .

(١) يقول أسامة حميد : من الثبرات شهود الإنبات فى القضية كانوا من تنظيم حدتو الشيوعى الذى طالما تبجح بالدفاع عن حقوق العمال - وفيما بعد حاول أحد طه (عضو مجلس الشعب الحالى وعضو اللجنة المركزية لحدتو وقتها وعضو المكتب السياسى وعضو السكرتارية المركزية ومستول عن النقابات) حاول تبرير ذلك بقوله : « كان لدينا وعد من بعض أعضاء مجلس قيادة الثورة بعدم إعدامهم فلما أعدموا أضعف هذا من موقفنا » عبد الناصر وأزمة مارس ص ٣٠٢ « وقد وصف هذا بيان شيوعى العمال المطالبين بحقوقهم » يجب أن يؤخذ هؤلاء المجرمون بكل شدة » .

انظر مثلاً على تزييف حمروش لهذا الموقف وتبرره من تحديد موقف حدتو (ص ٢٨٨) .

(٢) أسرة لموم أصلاً من قبيلة لبيبة كانت تغير على اللخا وكان جد عدلى أحد هؤلاء البلطجية (تصالحت) مع الحكومة وأعطته ألف فدان .

ويتجلى نفس موقف العسكريين فى مواجهتهم لكل النقابات^(١) .

لم يكن العسكريون يؤمنون بصراع الطبقات والقول لأصحاب الرؤية الإسلامية ، وفى ذلك يقول عبد الناصر (١٩٥٤/٧/٢٣ م) « إن حكومة الثورة هى حكومة كل طبقات الأمة حكومة العمال والفلاحين والمسؤولين والطلبة ورجال الأعمال الفقراء والضعفاء والأغنياء والأقوياء - إنها حكومة تنظر إلى مصر على إنها أسرة واحدة ! » .

ولذلك سعى العسكريون لتشكيل تنظيم سياسى يضم كل الطبقات فكان الاتحاد القومى (١٩٥٧ م) ، (منقول بدوره عن دكتاتور البرتغال سالازار) ولكن فى الحقيقة بقى الإقطاع مسيطرأ على هذا التنظيم^(٢) .

ونظراً للقدرة الفائقة للرأسمالية على تكيف نفسها مع أية أوضاع مستجدة - فقد تفاقم خطرها فى عهد عبد الناصر الذى قال (أنا كان عندى ١٠ - ١٢ مليوناً أصبحوا حوالى ٣٠٠ - ٤٠٠)^(٣) (١٩٦١ م) . ولذلك أعاد عبد الناصر تقييم الموقف الذى كان يهدد بإعادة سيطرة الرأسماليين على الحكم - وطوال عام ١٩٦١ م كان عبد الناصر يهدد لضرب الرأسماليين الجدد :

« لقد وقعنا ضحية وهم خطير وهو تصور إمكانية المصالحة مع الرجعيين على أسس وطنية » .

« على أى شئ كانت تدل تجربتنا - هل استطعنا أن نقيم عدالة إجتماعية - هل استطعنا

(١) راجع : مصطفى كامل السيد : المجتمع والسياسة فى مصر (١٩٥٢ - ١٩٨١) المستقبل العربى ١٩٨٢ - وقد لخص الكاتب علاقة نظام يوليو بالنقابات بأنها مرت بعدة مراحل :

٥٢ - ١٩٥٤ المواجهة مع النقابات .

٥٤ - ١٩٥٨ وقف الانتخابات فى عدد من النقابات .

٦١ - ١٩٦٥ البحث عن الأسلوب الأمثل لتوافق النقابات مع السياسة الجماعية الحاكمة .

٦٦ - ١٩٦٧ استطاع التنظيم الطليعى الدخول إلى قيادة النقابات .

(٢) راجع شهادة فريد عبد الكريم بجريدة الأمل عدد ١٩/٣/١٩٨٦ .

(٣) حمروش ج ٥ ص ٨٤ .

أن نقضى على الإستغلال السياسى والإستغلال الإقتصادى والإستغلال الإجتماعى - أبداً لم نستطع .

- قلنا نقضى على الإقطاع - هل قضينا على الإقطاع - الأسرة التى بقى لها ٢٠٠ فدان و ٥٠ فدان لكل ولد من أولادهم كتلوا هذه الأرض وأنا أعرف مناطق فيها ٣٠٠ فدان ملكية لعائلة واحدة ولا زالوا يعتبرون أنفسهم أسياد البلد كما كانوا قبل الثورة ولا زالوا ينظرون إلى الفلاحين كعميد - هل نقبل هذا فى عهد الثورة .

- الأساس الذى بنى عليه الإتحاد القومى لم يكن بالأساس السلمى شئ ضد العقل وضد الطبيعة - وإحنا كنا طيبين جداً وعازمين نلم الإقطاعى الى أخذنا منه ألف فدان مع الفلاح الى وزعنا عليه خمسة أفدنة - وكنا نعتبر أنه حينسى ويقول إن إحنا نمشى فى المجتمع الجديد .
(حمروش ج ٥ ص ٨٧) .

وكان عبد الناصر بذلك يمهد لمرحلة جديدة فى حقبة يوليو وفقاً لرؤية الإسلاميين .

وبسبب فشل الوحدة مع سوريا - وفقاً لرؤية الإسلاميين - ظهرت الحاجة إلى :

١ - تصفية الرأسمالية التى إستفحلت فى عهد عبد الناصر - وكانت السبب المباشر فى إحباط تجربة الوحدة .

٢ - ضرورة وجود عقيدة للدولة ووضع حد لمبدأ التجربة والخطأ - خاصة وقد إنقسمت حركة القومية العربية الآن إلى جناحين : ناصرى وبعثى وكان الجناح الأخير يمتلك نظريات متكاملة وكان ينتقد الناصرية فى إفتقادها إلى عقيدة .

وعن الإشتراك فى عهد عبد الناصر يرى الإسلاميين كان إحساس عبد الناصر بتفاهم وإستفحال الرأسمالية هو أحد أسباب إتخاذه لسلسلة القرارات التى سميت قوانين يوليو الإشتراكية (١٩٦١ م) وبعد شهر واحد من صدورهما كان الرأسماليون السوريون قد أحبطوا

الوحدة (وليثبت من جديد المبدأ القائل بأن القومية كانت طوال التاريخ حركة في خدمة المترفين)^(١) - وبعد أن تم الانفصال إزداد هامش المناورة أمام عبد الناصر لتحقيق المزيد من الإصلاحات الداخلية فقام عام ١٩٦٣م بتأميم ٢٩٣ شركة كما صدرت قوانين أخرى للإصلاح الزراعى .

هناك إنطباع ولدته الدعاية الناصرية مفاده أن خسارة ٦١ / ٦٧ شهدت تحقيق العدالة الإجتماعية الحقيقية - وقد تولد هذا الإنطباع لدى بعض الناس من إستعراض الكم الضخم من القرارات والإجراءات التى إتخذت ولكيلا نأخذ القارىء في دوامة هذه القرارات سنلخص حصيلتها في عدة حقائق :

١ - لم يستفد الفقراء الحقيقيون من العهد الناصرى في قليل أو كثير (راجع الأشكال البيانية رقم ١ ، ٢) - وعندما مات عبد الناصر كان في مصر ٣ ملايين معدم^(٢) .

وفي الحقيقة فإن جميع ما وزع من أرض بمقتضى قوانين الإصلاح الزراعى بين عام ١٩٥٣م ، ١٩٧٠م لم يزد على ٨٠٠ ألف فدان (أى ١٣٪ من مساحة الأراضى الزراعية بمصر) وزعت بمعدل عدة قراريط لكل أسرة ولم يستولى قانون الإصلاح الزراعى الأخير (١٩٦٩م) إلا على ٣٥,٠٠٠ فدان (أى مساحة قرية مصرية كبيرة) .

وقد أثبتت هذه الحقائق بالتفصيل كل من محمود عبد الفضيل^(٣) وإبراهيم العيسوى^(٤) وأحمد حمد الله السمان^(٥) وعادل الجيار^(٦)

(١) بالنسبة لأوروبا - فقد كانت قبل عصر القوميات مقسمة إلى إقطاعيات صغيرة وكانت تنقل المال بينها صعبا - فعمل الرأسماليون على توحيدها لتوسيع الأسواق أمامهم - وهكذا توافقوا مع دعوة بعض المفكرين للقومية (أسامة حيد) .

(٢) حمروش - البحث عن الاشتراكية . ط . الموقف العربى ص ٢٤٦ .

(٣) في كتابه الهام : التحولات الاقتصادية والاجتماعية في الريف المصرى ١٩٧٠/٥٢ - الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٨ .

(٤) في دراسته : تطور توزيع الدخل وأحوال الفقراء في مصر - مجلة مصر المعاصرة عدد أبريل ١٩٨٠ .

(٥) توزيع الدخل القومى في مصر (١٩٨٠/٥٢) دكتوراه في الاقتصاد من جامعة القاهرة ١٩٨٥ .

(٦) سياسات توزيع الدخل في مصر - مركز الدراسات بالأهرام (العدد ٥٥) .

ولقد فشلت جميع البرامج - وفقاً للرؤية الإسلامية - للقضاء على نفوذ مقاولي الأنفار الذين كانوا يشغلون عمال التراحيل في ظروف بالغة البؤس - وفي السد العالي (الذى بلغت مكعبات الردم فيه ١٧ ضعف حجم الهرم الأكبر) .

وقد دفعت آلاف من العمال في مواقع العمل في ظروف بالغة السخرة لا تعرف الرحمة .

يقول عادل الجيار (م . س . ذ . ص ٢٩) ، بعد إستعراض مفصل للإحصائيات : « إن النتيجة التى ، يمكن التوصل إليها هى أن عمال الزراعة وخاصة عمال التراحيل - أفقر فقراء الريف - هم أقل الفئات التى إستفادت من قوانين الإصلاح الزراعى ومن السياسات الإقتصادية فى الريف المصرى وأن أوضاعهم التى لم يطرأ عليها تغيير ما خلال الخمسينات وحققت طفرة تحسن فى أوائل الستينات وفى السبعينات » .

٢ - أما صغار الملاك فلم يتغير وضعهم كثيراً - فحسب محمود عبد الفضيل : فى ١٩٥٢م كان ٩٤,٣٪ من الملاك يملكون ٢,١ مليون فدان . وفى ١٩٦٥م كان ٩٤,٥٪ من الملاك يملكون ٢,٧ مليون فدان . أى أن هذه الفئة لم يزد نصيبها إلا بمقدار عشر الأراضى الزراعية فى مصر .

٣ - إن النظام الناصرى نظام طبقى :

أ - فهو يكرس الفوارق بين الريف والحضر^(١) وهى نفس أساليب الإستعمار فى إيجاد طبقة مستفيدة من أوضاع التبعية - ويلاحظ أن التفاوت بين الريف والحضر كان أشد ما يكون فى ذروة الإشتراكية (١٩٦٥م) .

ب - وحتى داخل الحضر كان هناك تفاوت توزيعى ضخيم - بل إن مستوى هذا التفاوت قد إزداد فى ذروة ، الإشتراكية .

ففى ١٩٥٨م / ١٩٥٩م كان أفقر ١٠٪ من الأسر الحضرية تحصل على ٢,٢٪ من دخل الحضر ومن المثير أنه فى ظل الإشتراكية (١٩٦٥م / ٦٤) إنخفضت هذه النسبة إلى ٢,١٪ .

(١) أظهرت نتائج تعدد ١٩٧٦ أن ٥,٥٪ فقط من مساكن الريف متصلة بمصدر لمياه الشرب النقية وأن ٥٨,٢٪ من المساكن تحصل على مياهها من مصادر خارجية وأن ٣٦,٣٪ من المساكن لا تتوفر لها مياه نقية من الأصل - أيضاً أظهر التعداد أن ٨١,٤٪ من الأسر الريفية لا تتوفر لها مصادر الكهرباء (السمان ص ٢٤٨ ، ٢٥٠) .

وبمنا كانت أغنى ٥٪ من الأسر في الحضر تحصل على ٢٠,٨٪ من الدخل سنة ١٩٥٩ / ٥٨ م. فإن نصيبها قد إزداد إلى ٢٢,٨٪ في سنة ١٩٦٥ / ٦٤ م. (أحمد السمان م. س. ذ - ص ١٦٢ - ١٦٣).

وهكذا توصل السمان (ص ١٦٣) إلى أن السياسات التي أدت إلى إستئصال أغلب الرأسمالين المصريين قد تسببت هي نفسها وغيرها من السياسات في وجود مجموعة أخرى من ذوى الدخل المرتفعة بحيث أن حجم المجموعة الجديدة يعادل تقريباً حجم الطبقة التي كانت موجودة في الخمسينات وهي نفس النتيجة التي توصل إليها أحد المعجبين بالناصرية^(١).

قبل ١٩٦٦م سيطرت الطبقة الوسطى سياسياً ثم عقائدياً وبعد ١٩٦٦م سيطرت إقتصادياً - لكنها كانت هيمنة قصيرة الأجل فسرعان ما تحولت شرائحها العليا إلى بورجوازية من نوع جديد وبدأ التباعد بينها وبين عبد الناصر وهذه الفترة إذن تتميز بشدة التناقض بين عنقوان النظام وظهور إرهابات مرضه .

ويتجلى اتجاه عبد الناصر للطبقة المترفة في قضية كمشيش^(٢) (١٩٦٦م).

٤ - أجمعت كل الدراسات على أن الإنجازات البسيطة التي تحققت عادت وإنتكست منذ ١٩٦٥م بسبب إستنفاد الآثار التوزيعية لقوانين الإصلاح الزراعى وترتب على ذلك وعلى الفوارق الموجودة أصلاً بين الريف والحضر إن أصبح الريف طارداً للسكان ولإزادات نسبة

(١) انظر عرضاً لرسالة فايز بكناش : الناصرية أيديولوجية سياسية - دكتوراه من السوربون (١٩٧٧) ، في مجلة السياسة الدولية عدد أبريل ١٩٨٤ ص ١٦٦ - ١٦٩ .

(٢) يقول أسامة حميد : في ١٩٦٦/٥/٤ قتل عضو الاتحاد الاشتراكي بكمشيش (صلاح حسين) على يد أحد أفراد عائلة الفقى الإقطاعية - كان صلاح حسين عضواً في الإخوان واعتقل سنة ١٩٥٤ بهذه التهمة - ولكنه أيد الثورة على أمل تحقيق العدالة حيث كانت التناقضات في كمشيش صارخة (مجزرة ١٩٥٣ - السابق ذكرها) وعندما زار عبد الناصر المنوفية وجد شعارات « ثورة كمشيش تحيى الثورة الأم » فاستكر ذلك أمام السادات (وهو منوف) فاعتبر السادات ذلك ضوعاً أخضر للتصفية الجسدية لصلاح حسين - وبعد عملية إخراج مسرحى حكمت المحكمة ببراءة القاتل وأن القضية ليست سياسية وإنما قضية ثأر .

سكان الحضر من ٣٤٪ من عدد السكان سنة ١٩٥٢م إلى ٤٢٪ سنة ١٩٧٠م دون أن تتوفر للمهاجرين فرص عمل حقيقية أو يوضع تخطيط لإستيعابهم^(١) - مما دعا وزير الداخلية زكريا محيى الدين إلى إخراجهم من القاهرة بالقوة .

هـ - لقد بدأنا هذا الفصل بإفترض أن عبد الناصر قد أراد تجسيد القضاء "رطنية لكى يتفرغ لتحقيق العدالة وفى الحقيقة - إن المتابعة التفصيلية لقضية التوزيع فى تلك الفترة ستظهر حقائق مذهلة - وستهاوى بالتالى مقولتنا الأولى - ولكن يبقى أن نفسر لماذا لم تحقق العدالة رغم الشواهد الكثيرة التى تدل على أن عبد الناصر كان يريد فعلا تحقيقها مثلا (إصراره على أن تحتفى مهنة الخدم من مصر) .

إن السيطرة الاقتصادية لفئة من الناس تعنى سيطرتها السياسية - ولو حدث أن الجماهير سيطرت فعلا على مقدراتها الاقتصادية فستحول الدولة إلى نظام حكم جماهيرى حقيقى - وهذا سيهدد مكانة عبد الناصر كوثن - وطالما أن الفقراء الحقيقيين غير قادرين على تنظيم أنفسهم بسبب تدنى مستواهم التعليمى فلم يكن عبد الناصر بحاجة إلى تأييدهم - وهكذا إكتفى برشوة أهل المدن وتوسيع جهاز بيروقراطى ضخم (أجمعت كل الدراسات على أنه كان يمكن الإستغناء عن أكثر من نصفه) - لكى يتحول هذا الجهاز إلى أداة تأييد للحكم (كانت معظم المعونات الأمريكية الغذائية فى الستينات تذهب للموظفين فى هذا الجهاز) .

إن فشل النظام الناصرى فى حل المشكلة الاقتصادية لم يقتصر فقط على التوزيع - بل تعدى ذلك إلى فشل فى التنمية - فبسبب تسلط مجموعة من الإنتهازيين (أهل الثقة) على القطاع العام فقد بدأ الفساد يذب فى أوصاله من أول يوم - وقد فشلت محاولات تحقيق الإكتفاء الذاتى فى محصول إستراتيجى كالقمح - لقد فشلت الإشتراكية حتى فى تأمين رغيف الخبز - ففى ١٩٦٥م قال عبد الناصر : « إنا منذ ١٩٥٩م حتى الان أخذنا المليون دولار ، مساعدات من أمريكا بل أن كل رغيفين فى البلد منهما رغيف مأخوذ كمساعدة من

(١) راجع : بيل إبراهيم أحمد : مدى معالجة سياسات التنمية الاقتصادى لمشكلة البطالة فى مصر فى فترة الستينيات - دكتوراه فى الاقتصاد من جامعة القاهرة ١٩٨٢ وقد خلص الباحث إلى (ص ٢٢٦) : « لم يكن القضاء على مشكلة البطالة هدفاً من الأهداف الائتمانية المراد تحقيقها بجديّة فى يوم من الأيام » .

أمريكا (حمروش - البحث عن الاشتراكية ص ١٤٣) .

ويذهب الإسلاميون إلى أن التحول الاشتراكي كان يقتضى تشكيل تنظيم سياسى جديد بدلاً من تنظيم الإتحاد القومى الذى حل - وهكذا أنشئ الإتحاد الاشتراكي العربى الذى فتح الباب لعضويته فى أول يناير ١٩٦٣م فدخله خمسة ملايين فى ٢٠ يوماً ولكن صدر قرار بإستبعاد الإخوان والشيوعيين فلم يبق فيه سوى ، الإنتهازيين - وفى ذلك يقول جمال سليم^(١) : « كان أفراد الإتحاد الاشتراكي كالموظفين فى وزارة ما تنتمى إلى سلطة هلامية شائعة بين عدد من الأفراد لكل منهم رأيه وفكره وكان هذا هو المقتل الوحيد لثورة ٢٣ يوليو - على حد تعبيره - فالسلطة لا يمكن أن تشعل ثورة ولا تستطيع أن تبنى حزباً - وذلك أن السلطة عندما تتحدث لتقتنع لا تستعمل سلاح للإقناع إنما سلاح الإرهاب - ومن هنا كان الإتحاد الاشتراكي يضم الخائفين والموظفين والإنتهازيين والمنافقين ولا يمكن أن تقوم ثورة بهذه التشكيلة العجيبة .

وفى دراسة على ١٣١ وزيراً الذين تولوا فى عهد عبد الناصر كان وزيران فقط يشغلان مناصب بالتنظيم السياسى مما يدل على فشل التنظيم فى إخراج زعامات^(٢) ويرى الإسلاميون أنه وحيثما كان دفع الاشتراكات للإتحاد الاشتراكي إختيارياً فلم يسدد اشتراكات العضوية سوى ٢ - ٣٪ من عدد الأعضاء .

لذلك وصف عبد الناصر تنظيم الإتحاد الاشتراكي سنة ١٩٦٤م بأنه حتى الآن تنظيم على الورق وهذا لأننا حتى الآن لم ننظم العناصر الاشتراكية وكان هذا أحد أسباب إنشاء التنظيم الطليعى .

تلك بتفصيل وأمانة رؤية الإسلاميين عن إنجازات عبد الناصر وهى رؤية يعيها عدم رؤية أى إيجابية على صعيد الداخل المصرى ويعيها توظيف المعلومة فى سياق مختلف عما وردت

(١) التنظيمات السرية لثورة ٢٣ يوليو فى عهد جمال عبد الناصر - مدبولى ١٩٨٢ - ص ٨ - كان جمال سليم متفرغاً سياسياً بالإتحاد الاشتراكي ومدبراً لتحرير صحيفة الحزب وشارك فى التنظيمات السرية والطنية على حد تعبيره . .

(٢) عاطف العراقى - الزعامة السياسية فى مصر - دار المعارف ١٩٨٠ ص ١٦٢ .

فيه ، ويعيبها إجتزاء بعض المعلومات من سياقها الحقيقى ، وعدم إيراد النص كاملاً ، مما يشوه الفكرة المستفادة من المعلومة وغيرها من العيوب والتي تؤكد أنها أكثر الحقائق الرقمية التالية .

رابعاً : الإنجازات الناصرية فى الواقع : رؤية موضوعية :

بعيداً عن التعاطف ، أو العداوة ، وهو ما نحبهه وما نقيم عليه هذه الدراسة الموسعة للحقبة الناصرية فإننا سوف نورد هنا حقائق وأرقام نتركها تتحدث عن نفسها ، وهى حقائق رصدتها أجهزة علمية محايدة^(١) ، وسوف نقصر الحقائق على فرعية واحدة من فروع الإنجازات الناصرية ، وهى مجال الإسكان والتشييد بإعتباره من أخطر وأهم جوانب التنمية ... فماذا تقول الأرقام والحقائق .

الفترة من ١٩٥٢م - ١٩٦١م :

عوامل مؤثرة على هذه الفترة :

١ - الظروف العسكرية :

ما كادت الحرب العالمية الثانية تخف آثارها وتبدأ عودة الأمور لطبيعتها حتى واجهت مصر عام ١٩٤٨م المشكلة الفلسطينية وما ترتب على ذلك من أعباء سياسية واقتصادية حولت إنتباه الدولة عن التركيز على مشكلة الإسكان فيما قبل قيام الثورة عام ١٩٥٢م .

٢ - تشريعات الإسكان :

فى عام ١٩٤١م صدرت أوامر عسكرية (١٥١ لسنة ٤١) بتجميد الإيجارات وقد

(١) مصدرنا فى هذه الجزئية ما يلى :

— وزارة الإسكان والمرافق : تقرير الإصلاح التنظيمى والاقتصادى لقطاع التشييد - أغسطس ١٩٦٨ .

— المسح الاجتماعى الشامل للمجتمع المصرى (١٩٥٢ - ١٩٨٠) المركز القومى للبحوث الاجتماعية - مجلد السكان .

— الجهاز المركزى للتعبئة والإحصاء الملاحق السكانية والإسكانية لجمهورية مصر العربية .

— مهندس : حسين السرجانى : مشكلة الإسكان بالجمهورية العربية المتحدة : أسبابها وحجمها - الإسكندرية ١٩٩٢ .

استقرت هذه الأوامر بالقانون رقم ١٢١ لسنة ١٩٤٧م كما صدر القانون رقم ١٩٩ لسنة ١٩٥٢م بتخفيض إيجارات المساكن التي أنشئت في ١/١/١٩٤٤م حتى ١٨/٩/١٩٥٢م بنسبة ١٥٪ من قيمتها الإيجارية .

وفي نهاية الخمسينات صدر القانون رقم ٥٥ لسنة ١٩٥٨م بتخفيض إيجارات المساكن التي أنشئت في ١٨/٥/١٩٥٢م حتى ١٢/٦/١٩٥٨م بنسبة ٢٠٪ . ولا شك أن بعضاً من التشريعات لم يكفل توازناً بين صالح المالك وصالح المستأجر .

٣ - سياسة الدولة :

من الأهداف السياسية للثورة ١٩٥٢م توفير العدالة الاجتماعية والعناية بمحدودي الدخل وفي هذا السبيل :

أ - صدر قانون الإصلاح الزراعي في سبتمبر ١٩٥٢م بتقييد الملكية - وقد ساعد ذلك بطريق غير مباشر على تحول الاستثمار على تملك الأرض الزراعية إلى مجال النشاط العقاري .

ب - أسست الحكومة شركة التعمير والمساكن الشعبية عام ١٩٥٤م ومن أغراضها إقامة الوحدات السكنية لمحدودي الدخل .

ج - التحول الإقتصادي والإتجاه إلى المشروعات الإنتاجية والصناعية وخاصة بعد عام ١٩٥٦م .

نشاط الحكومة والقطاع الخاص في هذه الفترة :

١ - نشاط الحكومة :

أشرنا إلى أن الحكومة سنة ١٩٥٤م أسست شركة التعمير والمساكن الشعبية وقد قامت الشركة في هذه الفترة بتنفيذ العديد من المشروعات نورد منها في مجال الإسكان لمحدودي الدخل ما يأتي :

عدد ٢٠٧٨ مسكن بأمانة .

عدد ١٤٠٦ مسكن بحلمية الزيتون .

عدد ٥٨٩ مسكن بحلوان .

كما قامت الحكومة عام ١٩٥٦م بعد الإعتداء الثلاثي على مصر بإعادة تعمير المناطق التي تأثرت بالمعدوان على بور سعيد وإزالة الأحياء المتهالكة - وقد تم خلال ما يقرب من ستة أشهر تخطيط هذه المناطق وإنشئ بها ٤٥٤٩ مسكناً ولا ننسى هنا ما قامت به شركات المقاولات من جهد كبير في إنجاز هذه المساكن إلى جانب كفاءة الإدارة في توفير الإحتياجات من الموارد والمهمات وتشغيل العمالة .

٢ - نشاط القطاع الخاص :

أما بالنسبة لنشاط القطاع الخاص فلم يكن في مجال الإسكان الشعبي ولكن كان إهتمامه الأكبر بالإسكان المتوسط والفاخر - إلا أن رغبة الملاك في البناء كانت في تذبذب بين الإقبال والإحجام نتيجة لما صدر من قوانين لتخفيض الإيجارات وللرغبة من صدور قانون للمباني يماثل قانون الإصلاح الزراعي - ولكن يمكننا أن نذكر بصفة عامة أن القيمة الإيجارية للمسكن خضعت في الفترة من سنة ١٩٥٢م حتى ١٩٦١/١١/٥م للعرض والطلب وتقديرات المالك مع الأخذ في الإعتبار التخفيضات التي قررتها الدولة في التشريعات .

لذا فرغم عدم الإستقرار ودون تخطيط لنشاط الإسكان في هذه المرحلة فقد كان الإنتاج الكلي للوحدات السكنية عالياً نسبياً إذ يقدر بحوالى خمسين ألف وحدة سكنية سنوياً في الأعوام من ١٩٥٢م حتى ١٩٦٠م .

حجم الإسكان بالنسبة للإحتياجات :

تشير البيانات المتاحة إلى أن هذه الفترة تميزت بعدم وجود مشكلة إسكان في مصر إذ يستفاد من تقارير الجهاز المركزي للتعبئة العامة والإحصاء ما يلي :

- ١ - عدد سكان جمهورية مصر العربية عام ١٩٥٢م .. ٢١,٥ مليون نسمة .
- ٢ - إجمالى عدد الوحدات السكنية عام ١٩٥٢م .. ٤,٥ مليون وحدة .
- ٣ - عدد سكان جمهورية مصر العربية عام ١٩٦١م .. ٢٦,٦ مليون نسمة .
- ٤ - إجمال عدد الوحدات السكنية عام ١٩٦١م .. ٥,٥ مليون وحدة .

وهذا يوضح أن متوسط عدد شاغلي الوحدة السكنية هو (٥) تقريباً ويكاد يكون هذا المعدل ثابتاً خلال هذه الفترة .

شركات المقاولات تكوينها - إدارتها - طاقتها التنفيذية :

كانت شركات المقاولات بصفة عامة خلال هذه الفترة منشآت خاصة يمتلكها ويديرها أصحابها وكانت تتخذ شكل المشروعات الفردية أو شركات الأشخاص ، وقليل منها إتخذ شكل شركات الأموال - وقيام الثورة عام ١٩٥٢م بدأ الأجانب من أصحاب هذه الشركات أو من العاملين بها تصفية نشاطهم في مصر - وإعتمد نشاط المقاولات على العديد من الشركات المصرية أو المختلطة ومن أبرزها :

شركة مصر لأعمال الأسمنت المسلح / شركة إيجيكو : شركة رولان / الشركة المساهمة المصرية (العبد) / شركة حسن علام / شركة مختار إبراهيم / الشركة الهندسية للصناعات والمقاولات العمومية (عثمان أحمد عثمان) / شركة المشروعات الهندسية والصناعية .

وكانت إدارة العمل بهذه الشركات تعتمد على المدير الفردى حتى بالنسبة لشركات الأموال التي كان يملك معظم أسهمها مجموعة من الأفراد القلائل .

وبتأميم قناة السويس عام ١٩٥٦م غادر مصر الكثيرون من الأجانب ممن كانوا يعملون بهذه الشركات مما فتح المجال لزيادة نشاط المقاولين المصريين مع زيادة حجم الأعمال التي أتاحتها مشروعات الثورة في مجال التشييد كمشروعات الإسكان والمباني العامة والصرف الصحى والمياه والرصف والرى إلى جانب مشروعات الصناعة في مجال الغزل والنسيج ومواد البناء والصناعات المعدنية والغذائية الخ .

ويمكن تقدير طاقة أجهزة المقاولات في مصر في نهاية هذه الفترة بحوالى مائة مليون جنيه سنوياً هذا بالإضافة إلى نشاط قطاع المقاولات المصرى بالبلاد العربية .

وكان رأس مال أى من شركات المقاولات الكبرى حينئذ حوالى مبلغ مائة ألف جنيه أما الطاقة التنفيذية للشركات الكبرى فكانت في حدود أعمال قيمتها مليون جنيه سنوياً في المتوسط .

ونظراً لأنه لم تكن لهذه الشركات هياكل تنظيمية وكوادر فنية تسمح لتطوير نظم الإدارة فقد كان ذلك سبباً في الحد من تطور حجم أعمالها .

أما إسناد الأعمال لشركات المقاولات في تلك الفترة فكان غالباً من خلال المناقصات العامة أو المحدودة ولهذا كان عامل المنافسة حافزاً لإنضباط الأداء ورفع الكفاءة الإنتاجية وجودة الإنتاج حتى يمكن كسب ثقة العملاء من خلال التنافس على أفضل الأداء .

وقد بدأت بعض شركات المقاولات تدعيم كيائها بإنشاء ورش للأعمال التكميلية مثل : نجارة الباب والشباك والبلاط والرخام والمشغولات المعدنية .

وساعد على حسن أداء الشركات في هذه الفترة وإنضباط مواعيدها توفر عناصر الإنتاج من مواد وعمالة ومعدات وخدمات .

ومنذ عام ١٩٦٠م أخذت الدولة بنظام التخطيط للتنمية .

وبدا واضحاً أن استثمارات التشييد تصل إلى حوالى نصف الاستثمارات الإجمالية مما دعا إلى التفكير في كسر إحتكار مجموعة المقاولين بعد أن تزايد حجم الأعمال في مجال التشييد وهكذا تناولت قوانين يوليو الاشتراكية عام ١٩٦١م بعض شركات المقاولات بالتأميم كما سيأتى ذكره فيما بعد .

مقاولو الباطن والعمالة الحرفية والأجور :

تعتمد شركات المقاولات في المشروعات المسندة إليها على مقاولين يتعاملون معها من الباطن لتنفيذ أعمال الحفر والخرسانة والمباني والتجارة والبياض .. الخ كل في حدود إختصاصه وغالباً ما توفر الشركة لمقاول الباطن المواد والمهمات ووسائل الإقامة في المناطق النائية وعلى مقاول الباطن تجهيز العمالة اللازمة لتنفيذ الأعمال تحت إدارته وإشراف الشركة .

ويصعب أثناء الخمسينات الوصول إلى حصر لشركات المقاولات أو مقاولي الباطن إلا أنه حسب إحصائيات السكان عام ١٩٤٧م يبلغ عدد العمال الحرفيين في مجال التشييد ١١٣,٣٦١ ألف عامل (عن كتاب العوامل المؤثرة في نمو السكان د . أحمد أمين مختار) .

وكان للحرفة والمهارات الفردية شأنها في تلك الفترة كما كان توفر العمالة معتمداً على التوريث والتلمذة الحرفية في ظل كادر حرفي يحتوى المعلم والأستطى والمساعد والصبي .

لذا لم يكن من المستغرب أن يكون من بين أصحاب شركات المقاولات من برز من الحرفيين بكفاءته وشخصيته وخلقه .

كذلك إختصت بعض المدن والمناطق بتوفير نوعيات من العمالة :

فعمال بناء الطوب من زفتى وميت غمر والشوبك بالجيزة .

وعمال بناء الأحجار من درنكة بأسبوط وطره .

وعمال الخرسانة من قرى أسبوط وسوهاج وقنا .

وعمال البياض المتميز من الأسكندرية والقاهرة .

أما الأعمال التكميلية الخاصة بالتجارة والمشغولات المعدنية والبلاط والقيشاني فأغلب عمالها من سكان الحضر .

وبالنسبة لأجور الحرفيين فى تلك الفترة فإنه لتوفير العمالة وتوازنها مع العرض والطلب لم يطرأ على الأجور زيادة تذكر وكان حكمها حكم تكاليف المعيشة التى كانت مستقرة إلى حد مقبول .

جدول رقم (١)

مقارنة بين متوسط الأجور اليومية بالجنية
للعمال العاديين والحرفيين فى مجال التشييد

عام ١٩٦١م	عام ٢٠٠٢م	المهنة
-٢٥٠	-١٥٠	عامل عادى
-٥٠٠	-٣٠٠	عامل قروان
-٨٠٠	-٥٠٠	نجار مسلح
-٧٠٠	-٤٠٠	حداد مسلح
-٧٥٠	-٤٥٠	بناء/ مبيض/ مبلط
-٨٠٠	-٥٠٠	سباك
-٦٠٠	-٤٠٠	كهربائسى

مواد البناء :

توفرت مواد البناء أثناء هذه الفترة وكانت أسعار المستورد منها والمحلى متناسبة مع مستوى المعيشة وعلى سبيل المثال كان الإنتاج المحلى من الأسمنت زائداً عن حاجة التشييد وبدأ تصدير الأسمنت عام ١٩٥٢م. بكمية قدره ٤٠٠٠ طن واستمر التصدير فى الزيادة حتى بلغ ٦٥٠ ألف طن عام ١٩٦٠م / ١٩٦١م وبلغ ٥٤٨ ألف طن عام ١٩٦١م / ١٩٦٢م أى ما يزيد عن ٢٥٪ من الإنتاج المحلى الذى بلغ ٢٠,٠٩٣ مليون طن عام ١٩٦١م / ١٩٦٢م وبين الجدول التالى بيانا بكميات الإنتاج والتصدير والإستهلاك المحلى للأسمنت (بالألف طن) كذا بيان الأسعار بالجنية .

جدول رقم (٢)

كميات الإنتاج والتصدير والإستهلاك المحلى للأسمنت

الإنتاج السنة	المحلى	المصدرة	المحلى	الإستهلاك	الاسعار للطن	بالجنية
١٩٥٢	٨٣٨	٤	٨٣٤			
١٩٥٣	٩٦٨	١٤٣	٨٢٥	أسمنت عادى		٤,٦٤٠
١٩٥٤	١١١٧	١٥٤	٩٦٣	أسمنت سريع		٥,٦٤٠
١٩٥٥	١٢٤٩	٥٥	١١٩٤	سى ووتر		٦,١٩٠
١٩٥٦	١٢٢١	١٣	١٢٠٨	لوهيت		٥,١٤٠
١٩٥٧	١٣٣٩	٢٢٨	١١١١			
١٩٥٨	١٥٢٤	٢١٩	١٢٦٣	الأسعار تسليم مصانع القاهرة داخل		
١٩٥٩	١٧٥٤	٤٩١	١٢٦٣	أكياس ورق ٣ طيات يضاف		
٦١/٦٠	٢٠٦٩	٦٥٠	١٤١٩	٥٦٠- للطن لجميع الأنواع		
٦٢/٦١	٢٠٩٣	٥٤٨	١٥٤٥	للتسليم فى مصنع المكس حتى		
				١/١/١٩٧٩م ومن عام ١٩٤٦م		
				أضيف رسم الإنتاج بواقع ٧٧٠,		
				مليم للطن وتزايد حتى بلغ ١,٥٠٠		
				فى عام ١٩٥٨م .		

ونشير فيما يلى إلى بعض أسعار مواد البناء عام ١٩٥٢ م :

مليم جنيه	
٤٤,٠٠٠	للطن حديد تسليح (أساسى) .
٣,٢٥٠	للألف طوب أحمر .
-٧٠٠	للمتر المكعب زلط .
-٣٠٠	للمتر المكعب رمل .
-٩٠٠	للمتر المكعب جير .
١,٣٠	للطن مصيص .
٢٥,٠٠٠	للمتر المكعب خشب سويد .

أساليب التشييد :

لا شك أنه إذا توافرت العمالة المدربة التى تتسم بالمهارة الحرفية لتنفيذ المشروعات الهندسية وخاصة مشروعات الإسكان - فلا بد أن يتحقق حسن الأداء فى حدود تكلفة مناسبة وقد كان هذا هو الحال فى تلك الفترة (٥٢ / ٦١ م) فلم تختلف أساليب التشييد كثيراً عما كان متبعاً من قبل .

فأعمال الحفر تتم يدوياً بإستخدام الأدوات ، البسيطة التقليدية والعمال متوفرون لدرجة تكاد تضيق بهم بعض مواقع العمل .

أما الخرسانة فكان هناك إهتمام بإختيار مكوناتها من رمل وزلط ورقابة تدرجاً بهزها فى الموقع - وكان وكيل الخرسانة وخلطها يتم يدوياً مع إستخدام طبالى الخلط - أو إستخدام الخلاطات إذا كان هناك نص على ذلك فى العقود .

وكان قطع وتجهيز حديد التسليح يتم يدوياً - أما الشدات والفرم اللازمة لصب الخرسانة فتجهز من الأخشاب .

وكان إستخدام السقايل الخشبية هو وسيلة الإنتقال الرأسى والأفقى للعمال والمواد ، فلم تكن الأوناش والمصاعد قد إتجه التفكير لاستخدامها بعد .

وبصفة عامة كان إستخدام الأخشاب هو الأسلوب السائد للشدات والسقائل لرخص أسعاره بالمقارنة للحديد رغم نسبة إستهلاك الأخشاب العالية ورغم الوقت والجهد الضائع فى إستخدامه .

إلا أنه كانت هناك قلة من الشركات المتخصصة فى أعمال الخرسانة. والأجزاء الخرسانية سابقة الصب تؤدي أعمالها بأسلوب متطور فى تجهيز الحديد وعمل الشدات والفرم وخلط الخرسانة وصبها مع إستخدام معدات متطورة ومع دقة الإلتزام بالمواصفات .

وبالنسبة للمباني كان إستخدام الطوب الأحمر هو السائد إلى جانب إستخدام الطوب الرملى والأحجار حسب ظروف الموقع - إلا أن البناء بالحجر بدأ يتناقص لتحول العمالة عنه ولزيادة تكلفته ولتوفر الطوب الأحمر (فيما عدا المناطق الصحراوية والقرية من المحاجر) لما يتراكم سنوياً بعد فيضان النيل من طمى على الجسور والجزر النيلية وكذا ما يتخلف عن أعمال التطهيرات .

وللتصميم أثره على أسلوب التنفيذ - فقبل هذه الفترة تم بناء عدد من عمارات الإسكان يكاد لا يزيد تصميم إرتفاعها عن عشرة طوابق حتى لا تتجاوز مصاريف الصيانة وتشغيل المصاعد والإنارة وطلعات المياه الحد الإقتصادى المعقول وأثناء هذه الفترة نشطت الرغبة فى إستغلال مواقع الأرض الممتازة والتي بدأت أسعارها فى الإرتفاع وكذا الرغبة فى زيادة إستثمار رأس المال مما دعا إلى الإرتفاع بالمباني السكنية وكان هذا حافزاً لبعض الشركات لتدعيم إمكانياتها ببعض المعدات المتطورة ، إلا أنه كان لتوفر العمالة الحرفية حيثذ ما أمكن معه الإستمرار فى إستخدام الأساليب التقليدية فى غالبية المشروعات بما يحقق تنفيذ الأعمال بأسعار مقبولة دون إستخدام الميكنة .

أما أعمال التشطيبات للبياض والرخام والأرضيات وكذا الأعمال التكميلية الخاصة بالتجارة والأعمال الصحية والكهربائية فقد كان المجتمع ما زال متحفظاً بالنسبة للمواد المنتهضة البديلة والمصنعة - متمسكاً بإستخدام المواد التقليدية المتوفرة محلياً أو المستوردة وبالتبعية كان أسلوب التنفيذ تقليدياً وساعد على ذلك وفرة العمالة ومن سمات هذه الفكرة ما تميزت به من كفاية إنتاجية عالية إذ تم أثناء تلك الفترة الكثير من المشروعات بمستوى عال من الجودة فى مجال الإسكان والتشييد بصفة عامة مما يجعل هذه الفترة تعبر عن مرحلة متميزة فى التشييد .

تكاليف الإسكان :

ارتفعت تكاليف المتر المسطح من الإسكان خلال هذه الفترة تدريجياً وبمعدل مقبول يكاد يكون ثابتاً تتراوح نسبته بين ٢٪ ، ٣٪ سنوياً .

وكان متوسط تكلفة المتر المسطح من الإسكان الإقتصادى كالتالى :

عام ١٩٥٢م	٨,٠٠٠ جنيه
عام ١٩٦١م	١٠,٠٠٠ جنيه

كما كان متوسط تكلفة المتر المسطح من الإسكان المتوسط كالتالى :

عام ١٩٥٢م	١٢,٠٠٠ جنيه
عام ١٩٦١م	١٦,٠٠٠ جنيه

لذا كان عبء إيجار المسكن مناسباً بالنسبة لمتوسط دخل الأسرة .

الفترة ١٩٦٢ - ١٩٧٢م :

عوامل مؤثرة على نشاط الإسكان والتشييد :

١ - الظروف العسكرية :

تحملت موارد الدولة كثيراً من الأعباء المادية نتيجة للمجهود الحربى فى حرب اليمن وحرب يونيو ١٩٦٧م وما بعدها وذلك فى إقامة المنشآت والاعداد للنواحي العسكرية بما لم تتيح للدولة الإمكانيات الكافية لمشروعات الخدمات بصفة عامة .

٢ - التشريعات فى مجال الإسكان :

- صدور القانون رقم ١٦٧ لعام ١٩٦١م بتخفيض الإيجارات ٢٠٪ ابتداء من إيجار شهر ديسمبر ١٩٦١م .

- صدور القانون رقم ١٦٩ لعام ١٩٦١م بإلغاء الضرائب العقارية لشاغلي الوحدات السكنية (حوالى ٣,٧٪ من القيمة الإيجارية) .

- صدور القانون رقم ٤٦ لسنة ١٩٦٢م بتحديد القيمة الإيجارية للمسكن من تاريخ صدور القانون على أساس عائد سنوى قدره ٥٪ من قيمة الأرض ، ٨٪ من قيمة

المباني - وبذا أصبحت القيمة الإيجارية لا تخضع للعرض والطلب .

- صدور القانون رقم ٧ لعام ١٩٦٥م بتخفيض إيجارات المساكن التي انشئت من عام ٤٤ حتى ١٩٦١/١١/٥م بمقدار ٢٠٪ - أما المساكن التي انشئت من ١٩٦١/١١/٥م حتى ١٩٦٥/٢/٢٢م فتخفض بمقدار ٣٥٪

وقد يكون المبرر لإصدار هذه القوانين محاولة من الدولة لإيجاد التوازن فيما بين مستويات الأجور والمرتبات السائدة وبين القيمة الإيجارية للمساكن لا سيما وقد بدأت ظاهرة مغالاة غالبية الملاك في تقدير القيمة الإيجارية - ومن الواضح أن هذا التوازن قد أجرى بحكم القانون على حساب المالك .

وكان صدور هذه القوانين على مراحل وبأثر رجعي عاملاً من عوامل الهبوط التدريجي في نشاط الإسكان - إلا أن هذا النشاط لم يتوقف فقد إتجه البعض إلى الإستثمار في مجال الإسكان بعد صدور قوانين الإصلاح الزراعي وقرارات التأميم .

سياسة الدولة :

إتجهت سياسة الدولة في هذه المرحلة إلى الإقتصاد الموجه من خلال سيطرة الدولة على الإمكانيات المتاحة وأدوات الإنتاج لتحقيق خطة إقتصادية طموحة وفي سبيل ذلك أصدرت القوانين الإشتراكية بتأميم الشركات - ووضعت للتصنيع خطة طموحة إلى جانب مشروعات التنمية في مجال الري وإستصلاح الأراضي فلم يتبع من خلال هذه السياسة الإمكانيات المادية بالقدر الكافي لمشروعات الخدمات وفيما يلي بعض عوامل كان لها تأثير على نشاط الإسكان .

أ - إعطاء الأهمية والأسبقية لتنفيذ مشروعات التصنيع ومتروك السد العالي ومشروعات إستصلاح الأراضي والري .

وقد إستنفدت هذه المشروعات الجانب الأكبر من مواد البناء المحلية والمستوردة من أسمنت وحديد تسليح وأخشاب مما كان له دائرة في الحد من نشاط الإسكان .

ب - نتيجة لخطة الدولة الطموحة زادت حجم خطة التشييد عن قدرات قطاع المقاولات المتاحة للتنفيذ - مما أدى إلى إرتفاع ملموس في أسعار الموارد والمعدات وتكاليف النقل والأجور .

جـ - كان من معوقات الخطة عدم إحكام التنسيق بين قطاع التشييد وقطاعات الصناعة والتجارة. والنقل إلى جانب عدم إتاحة القدر الكافى من النقد الأجنبى .

فأماكنيات قطاع الصناعة لم تكن قادرة على توفير مواد البناء بالكميات والمواصفات والمعدلات الزمنية المناسبة .

وإمكانيات قطاع التجارة مثلاً فى شركات القطاع العام للتجارة تتركز فى إستيراد مواد البناء والأخشاب والمعدات ووسائل النقل وقد دعت ظروف العجز فى النقد الأجنبى فى كثير من الأحيان إلى توجيه الإستيراد نحو دول معينة (الكتلة الشرقية) للحصول على المواد ... والمعدات اللازمة للتشييد مع التجاوز بعض الشيء عن درجة صلاحيتها .

ويعتبر النقل عنصراً أساسياً فى مكونات نشاط التشييد بالنسبة للإمداد بالمواد والمعدات فى الوقت المناسب دون تعطل للعمال بالموقع ورغم وسائل النقل المتاحة لدى شركات المقاولات التى كانت تحقق حوالى ٢٥٪ من إحتياجاتها من النقل فإن التنسيق بينها وبين قطاع النقل كان حيوياً وكان للإختناقات فى النقل أثرها فى مضاعفة تكلفة عنصر النقل أثناء تلك الفترة .

وزعم الأثر السلبي لبعض العوامل السابق ذكرها على نشاط الإسكان فإنه من خلال النظام الإقتصادى الموجه من الدولة وفى ظل تحديد فرص العمل والأجور والمرتبات ورقابة الأسعار كان التوازن ما زال محتملاً بين الدخل وأعباء المعيشة شاملة الإسكان .

تأميم شركات المقاولات والقوانين الاشتراكية :

١ - الهدف من التأميم :

لقطاع التشييد أهميته الخاصة بالنسبة للإقتصاد القومى - إذ يعتبر الركيزة الأساسية لتنفيذ مشروعات الخطة حيث تبلغ نسبة إستثماراته حوالى ٤٧٪ من إستثمارات الخطة .

وفى ما قبل صدور القوانين الاشتراكية عام ٦١ بتأميم الشركات كان لشركات المقاولات فى ظل القطاع الخاص حرية الإختيار فى التقدم لتنفيذ ما يروق لها من المشروعات والإحجام عن التقدم للبعض الآخر حسب نوعية المشروعات ومواقعها وما تنتظره الشركة من عائد إلى جانب مظهر فى بعض صور الإستغلال لمضاعفة الربح ... ونتيجة لذلك

نعتبر تنفيذ بعض مشروعات الدولة حسبما كان مقدراً لها بالخطة .

ونظراً لأن الدولة كانت مقبلة فى الستينات على مشروعات عديدة وضخمة للتنمية فى شتى المجالات الصناعية والزراعية والإجتماعية فقد إتجه التفكير إلى تجميع أجهزة الإنتاج وتوجيهها لتحقيق خطة الدولة وذلك بتكوين حاجز قوى من شركات المقاولات تحت سيطرة الدولة مع التنسيق بين هذه الشركات ومعاونتها وتوجيهها لتحمل مسئولية تنفيذ مشروعات الخطة فى مواعيدها وفى إطار التكاليف المقررة دون مغالاة .

٢ - القوانين والقرارات التى صدرت فى شأن قطاع التشييد :

نورد فيما يلى موجزاً لما صدر من قوانين أو قرارات فى هذا الشأن (عن تقرير الإصلاح التنظيمى والإقتصادى لقطاع التشييد والبناء - وزارة الإسكان - أغسطس ١٩٦٨) .

أ - صدرت القوانين الإشتراكية ١١٧ ، ١١٨ ، ١١٩ لسنة ١٩٦١م بتأميم ١٧ شركة من شركات المقاولات كانت طاقتها التنفيذية حيثئذ حوالى ١٥ مليون جنيه .

ب - صدر قرار رئيس الجمهورية رقم ٢٠٣ لسنة ١٩٦١م والذى بمقتضاه تحدد الحد الأقصى لأعمال المقاولات التى تستند للقطاع الخاص بمبلغ ٣٠ ألف جنيه لكل شركة سنوياً - ولم يكن هذا التحديد بالإضافة إلى طاقة الشركات المؤسسة ليسمح بإنجاز خطة التنمية الأمر الذى اقتضى صدور القانون رقم ١٥٦ لسنة ١٩٦١م بالسماح لشركات القطاع الخاص بطلب الانضمام للقطاع العام بنسبة ٥٠٪ (خمسون فى المائة) .

ج - فى أكتوبر ١٩٦١م صدر قرار رئيس الجمهورية رقم ١٥٢٥ بإنشاء المؤسسة المصرية العامة للمقاولات والإنشاءات والتى بدأ إشرافها على ١٦ شركة من شركات المقاولات تشارك المؤسسة فى رأسمالها بنسبة ٥٠٪ وتمتلك البعض الآخر بالكامل ثم توالى قبول الشركات فى القطاع العام بنسبة ٥٠٪ حتى أصبحت الشركات التابعة للمؤسسة ٧٢ شركة .

فى نوفمبر عام ١٩٦٢م صدر قرار السيد / رئيس الجمهورية رقم ٣٢٢١ بإلغاء المؤسسة المصرية العامة للمقاولات والإنشاءات وإنشاء ثلاث مؤسسات عامة هى :
- المؤسسة المصرية العامة لمقاولات الأعمال المدنية وتضم ٢٤ شركة .

- المؤسسة المصرية العامة لمقاولات الإسكان والمباني العامة وتضم ٣٦ شركة .
- المؤسسة المصرية العامة لمقاولات المرافق وتضم ١٢ شركة .

د - في ٨ مارس سنة ١٩٦٤م صدر القانون رقم ٥٢ لسنة ١٩٦٤م بتأميم شركات المقاولات والقطاعات الخاصة بأصحاب هذه الشركات تأميماً كاملاً وبأثر رجعي اعتباراً من ١٩٦١/٧/٢٠م وتشمل ذلك ١١٩ شركة ومنشأة .

هـ - في ٩ مارس سنة ١٩٦٤م صدر القرار الوزاري رقم ٣٢٢ لسنة ١٩٦٤م المنفذ للقانون رقم (٥٢) لسنة ١٩٦٤م متضمناً إجماع بعض الشركات. وكذا نقل تبعية بعض الشركات بين المؤسسات النوعية الثلاث وأصبح عددها بعد الإدماج ٣٥ شركة .

و - في ٦ فبراير ١٩٦٥م صدر القرار الجمهوري ٢٥٩ لسنة ١٩٦٥م متضمناً تعديل الهيكل التنظيمي لبعض الشركات التي سبق أن تقرر إدماجها بالقرار الوزاري رقم ٣٢٢ لسنة ١٩٦٤م وبذلك أصبح عددها ٤١ شركة .

ز - في ٢٤ مارس ١٩٦٤م صدر القانون ٣٩ لسنة ١٩٦٤م في شأن تنظيم نشاط المقاولات خارج الجمهورية ووفقاً لأحكام القانون نقل إلى إشراف وزير الإسكان والمرافق الشركتان الآتيتان :

الشركة الهندسية للصناعات والمقاولات العمومية « عثمان أحمد عثمان وشركاه » من المؤسسة المصرية العامة لمقاولات الأعمال المدنية .

شركة النصر العامة للمقاولات « حسن علام وشركاه » من المؤسسة المصرية العامة لمقاولات الإسكان والمباني العامة .

كما صدر قرار السيد / وزير الإسكان والمرافق بنقل الإشراف إلى المؤسسة المصرية العامة وذلك بالنسبة للشركتين الآتيتين :

شركة القاهرة العامة للمقاولات ،

الشركة العربية العامة للمقاولات .

فى نوفمبر ١٩٦٥م صدر قرار رئيس الجمهورية رقم ٤٤١٦ و رقم ٤٤٢١ متضمناً إدماج المؤسسة المصرية العامة لمقاولات الإسكان والمباني العامة فى المؤسسة المصرية العامة لأعمال التشييد والبناء . كما أضيفت أعمال التصميمات إلى إختصاصات المؤسسة المصرية العامة للأعمال المدنية وتعديل تسميتها إلى المؤسسة المصرية العامة لأعمال التشييد والبناء - كما أضيفت أعمال التصميمات إلى إختصاصات المؤسسة الجديدة مع تحويل المؤسسة المصرية العامة للأبنية العامة إلى شركة مساهمة عربية (المكتب العربى للتصميمات والاستشارات الهندسية) ونقل تبعية هذه الشركة إلى المؤسسة الجديدة وكذلك تعديل تسمية المؤسسة المصرية العامة لمقاولات المرافق إلى المؤسسة المصرية لأعمال المرافق وأصبحت وظيفتها إلى جانب أعمال المقاولات تخطيط ومتابعة تنفيذ أعمال المياه والمجارى بالجمهورية .

فى مارس سنة ١٩٦٧م صدر قرار رئيس الجمهورية رقم ٩٠٨ لسنة ١٩٦٧م متضمناً إنشاء مؤسسة عامة تسمى « المؤسسة المصرية العامة لمقاولات المباني » تضم ١٩ شركة من شركات المؤسسة المصرية العامة لأعمال التشييد والبناء مع تعديل تسمية المؤسسة الأخيرة بعد فصل هذه الشركات عنها إلى المؤسسة المصرية العامة لمقاولات الإنشاءات المدنية وتضم ١٨ شركة من ضمنها شركات المقاولات التى كانت تابعة لمؤسسة أعمال المرافق .

كما تضمن القرار الجمهورى صالف الذكر فصل شركة المكتب العربى للتصميمات والاستشارات الهندسية عن إشراف المؤسسة وضحقها إلى إشراف وزير الإسكان والمرافق وفقاً لأحكام القانون ١٣٩ لسنة ١٩٦٤م .

والخلاصة أنه خلال الفترة صدر العديد من القوانين والقرارات بتأميم الشركات ودمج بعضها أو نقل تبعتها فيما بين المؤسسات أو لإشراف وزير الاسسكان وقد بلغ عددها أربعة عشر فيما بين ١٩٦١م ، ١٩٦٧م كما تغير تنظيم وتسمية مؤسسات المقاولات النوعية ونقل تبعية الشركات إليها خمس مرات أثناء تلك الفترة .

وبهذه المناسبة تولى وزارة الإسكان فى الفترة ما بين عام ٦٢ ، ١٩٧٢م عشرة وزراء ولعل الصورة السابقة تعطى مؤشراً لحالة الإستقرار الإدارى والنفسى للعاملين بقطاع المقاولات فى هذه الفترة .

٣ - أوامر التكليف :

وإلى جانب ما صد من القوانين والقرارات التنظيمية التى أشير إليها فإنه نتيجة مغالاة بعض الشركات فى الأسعار - أو لإتخاذ مواقف سلبية جبال التقدم للمناقصات رأت الدولة حفاظاً على تنفيذ مشروعات الخطة فى مواعيدها وحسب تقديراتها إصدار القانون رقم ١٤٧ لسنة ١٩٦٢ م ، بتحويل وزير الإسكان والمرافق سلطة تكليف بعض الشركات بتنفيذ المشروعات - ووضع هذا القانون قواعد خاصة للمحاسبة بمقتضاها .

إنجازات التشييد فى هذه المرحلة :

مع سيطرة الدولة على أجهزة التشييد - أخذت فى تدعيم الهيكل الإقتصادى للدولة مع التركيز على مشروعات خططها القومية .

جدول رقم (٣)

ملخص الإستثمارات للخطة الخمسية الأولى ١٩٦٥ / ٦٠ والخطة الخمسية الثانية ١٩٧٠ / ٦٥ وما يخص التشييد في كل منهما (بالمليون جنيه)

الجهة	قيمة الاستثمارات في الخطة الخمسية		قيمة الاستثمارات في الخطة الخمسية الثانية ١٩٧٠ / ٦٥		إجمالي الاستثمارات من ١٩٧٠ / ٦٥	
	جولة ما يخص التشييد	جولة الاستثمار	جولة ما يخص التشييد	جولة الاستثمار	جولة ما يخص التشييد	جولة الاستثمار
الزراعة	١١٨,٤	٤٨,٧	١٠٤,١	٣٦,٨	٢٢٢,٥	٨٥,٥
الرى والصرف	١٣٨,٢	٩٧,٤	١٤٨,٤	١١٩,٦	٢٨٦,٦	٢١٧,٠
السد العالي	٩٨,٦	٦٩,٣	٥٦,٧	٤٣,٤	١٥٥,٣	١١٢,٧
الصناعة	٤٠٣,٩	١٠٨,٨	٤٤٩,٧	١٣٢,٦	٨٥٣,٦	٢٤١,٤
الكهرباء	١١٢,٦	٢٨,٤	٢٤٩,٠	٥٩,٠	٣٦١,٦	٨٧,٤
النقل والمواصلات	٢٧٠,٨	٨٦,١	(	٢٩٢,٤	٨١,٦	٥٩٦,٥
قناة السويس	٣٣,٣	١٩,٦	(	١٠٣,٤	١٤٠,٤	٣١٤,٩
المباني السكنية	١٦١,٥	١٤٣,٦	١٥٣,٤	١٤٠,٤	٣١٤,٩	٢٨٤,٠
المرافق العامة	٥٠,٥	٣٦,٨	٤٤,٨	٢٤,٤	٩٥,٣	٦١,٢
الخدمات	١١٧,٨	(	٧٩,٩	٤٧,٨	(	(
المال والتجارة	١٠,٢	٧٨,٠	٩,٨	٥,٣	(	٢٣٦,٢
جهاز المقاولات	٨,٠	(	١٠,٥	٠,٨	(	(
القاهرة الكبرى	(	(	(	(	(	(
المجموع بخلاف القوات المسلحة	١٥٢٣,٨	٧١٦,٧	١٥٩٨,٧	٦٩٠,٩٨	١٢٢٢,٥	١٤٠٧,٦٨

ومن متابعة الاستثمارات المخصصة للتشييد خلال ١٩٧١/٧٠ يلاحظ أنها انخفضت بشكل ملموس حيث تم توجيه استثمارات كبيرة خلال العام للأعمال العسكرية (عن كتاب الكفاية الإنتاجية في قطاع المقاولات د. خالد فودة) .

جدول رقم (٤)

قيمة ما تم تنفيذه فعلاً من استثمارات فى إنشاء الوحدات السكنية خلال الخطة
٦٥/٦٠ ، ٧٠/٦٥ (بالمليون جنيه)

نوع الإسكان	٦٥/٦٠	٧٠/٦٥
اقتصادى : وريفى	٦٩,٣	١٢٧,٢
متوسط	٥٠,٠	٧٤,٥
فوق المتوسط	١٥,٧	١٥,٠

ويلاحظ أن استثمارات الإسكان المنفذة خلال ٦٥/٦٠ بلغت ١٨,٨ ٪ من إجمالى التشييد كما يلاحظ أن استثمار الإسكان المنفذة خلال ٧٠/٦٥ بلغت ٣١,٤ ٪ من إجمالى التشييد .

قطاع التشييد وشركات المقاولات : تكوينها/إدارتها وطاقاتها التنفيذية .

١ - قطاع التشييد :

قطاع التشييد هو قطاع ذو إنتاج سلمى مباشر كما هو الحال فى قطاع الصناعة وقطاع الزراعة وفى إطار خطة الدولة يحدد لكل قطاع هدف واضح للإنتاج يصل إليه بترج مقدرة تحدد الخطة .

كما نحسب القيمة المضافة لكل قطاع فى سنوات الخطة بالمقارنة لهذه القيمة فى سنة الأساس .

وبالرجوع للخطة الخمسية الأولى (٦٠/٥٩ إلى ٦٥/٦٤) يتبين أن قطاع التشييد هو القطاع الوحيد الذى خطط له إلا يزيد إنتاجه فى السنة الخامسة إلا بمقدار (٦ ٪) عن سنة الأساس بينما خطط لقطاعى الزراعة والصناعة أن يزيد إنتاجها بنسبة (٢٨ ٪ ، ٦٦ ٪) على التوالى كما هو موضح فى القسم الأول فى الجدول التالى :

جدول رقم (٥)
إجمالي الإنتاج القطاعي للزراعة والصناعة والقيمة المضافة
(بالمليون جنيه)

القطاع	(١) إجمالي الإنتاج			(٢) القيمة المضافة		
	٦٥/٦٤	٦٥/٥٩	نسبة الزيادة	٦٥/٦٤	٦٥/٥٩	نسبة الزيادة
الزراعة	٥٧٤	٧٣٦	%٢٨	٤٠٠	٥١٢	%٢٩
الصناعة والكهرباء	١٠٩٤	١٨١٤	%٦٦	٢٧٣	٥٤٠	%٩٨
التشييد والبناء	١١٥	١٢٢	%٦	٥٢	٥١	%١,٩
قطاعات تدعيم الهيكل الاقتصادي	٣٥٨	٤٣٨	%٢٢	٣٦١	٣١٦	%٢١
قطاع التجارة	١٦٣	٢٠٨	%٢٨	١٢٧	١٦٢	%٢٨
قطاع الخدمات	٢٢١	٢٨٣	%٢٨	١٦٩	٢١٤	%٢٧
الإجمالي العام	٢٥٢٥	٣٦٠١	%٤٣	١٢٨٢	١٧٩٥	%٤٠

كما يتبين أيضاً في القسم الثاني في الجدول الخاص القيمة المضافة انخفاض مساهمة قطاع التشييد في مجموع الدخل في السنة الخامسة (٥١ مليون) إلى سنة الأساس (٥٢ مليون) أي بنسبة ٢٪ في الوقت الذي تزيد فيه قيمة مساهمة قطاع الصناعة والزراعة بنسبة (٩٨٪) (٣٩٪) على التوالي .

ومن الغريب أن يراعى زيادة عدد المشتغلين خلال سنوات الخطة في كل قطاع عدا قطاع التشييد فقط خطط لعدد المشتغلين أن ينخفض من ١٧٠ ألف في سنة الأساس ١٩٦٠ إلى ١٥٩ ألف في السنة الخامسة ١٩٦٥ كما يتضح من الجدول التالي :

جدول رقم (٦)
جدول عدد المشتغلين خلال سنوات الخطة

القطاع		جملة المشتغلين بالألف	
		٦٠/٥٩	٦٥/٦٤
الزراعة		٣٢٤٥	٣٨٠٠
الصناعة		٦٣٢	٨٤٧
التشييد		١٧٠	١٥٩
قطاعات تدعيم الهيكل الاقتصادى			
التجارة		٦٣٣	٧٣٠
قطاع الخدمات		٧٩٣	٩١٤
الإجمالى		٥٩٧٥	٧٠٠١

(من تقرير الإصلاح التنظيمى والاقتصادى سنة ١٩٦٨)

ورغما من العبء الملقى على عاتق التشييد لتنفيذ أعمال تمثل ٤٧٪ من استثمارات الخطة (بخلاف المجهود الحربى) ورغما عن أن التخطيط بطبيعته يستهدف أن يحقق للاقتصاد القومى نمواً متوازناً وتوافقاً بين معدلات النمو فى جميع الأنشطة بحيث لا يسبق أحدهما الآخر فبشكل أعباء تقصر عنها إمكانيات باقى الأنشطة - أو يتخلف عنها فيعوق تقدمها - فمن الواضح أن قطاع التشييد لم يحظ من التخطيط بنفس العناية التى حظيت بها القطاعات الأخرى وكان لذلك أثره على إمكانيات الشركات وطاقاتها التنفيذية .

٢ - تكوين شركات المقاولات وإدارتها :

سبق الإشارة إلى أن إدارة العمل بغالبية شركات المقاولات كانت تعتمد فى الفترة السابقة على المدير الفرد الذى يرجع إليه فى كل أمور الشركة بحكم ملكيته وولايته على رأس المال - وله أسلوبه فى إدارة الشركة وكان لبعض الشركات هياكل تنظيمية ولوائح فى إطار هذا الأسلوب .

وكان فى صدور القوانين الاشتراكية وملكية الدولة لهذه الشركات ما يدعو لتطوير تكوينها وإحكام الإشراف عليها كأداة هامة من أدوات الإنتاج تعتمد عليها الدولة فى إنجاز مشروعات الخطة - واقتضى ذلك العمل فى بناء الهيكل التنظيمى المناسب للشركات ومراعاة أن يحكم سير العمل بها نظم ولوائح مالية وإدارية مع الاستفادة بالعنصر البشرى الموروث عن القطاع الخاص إلى جانب توفير الكثير من الفنيين والماليين والإداريين من ذوى الخبرة بالجهاز الحكومى أو النشاط الخاص استكمالاً لأجهزة الإدارة العليا بهذه الشركات - وصدور أوامر التكليف لخريجي الجامعات والمعاهد من المهندسين للعمل بها .

وقد تعرضت الشركات كوحدة اقتصادية فى أوائل هذه المرحلة إلى التحول المفاجئ فى التنظيم وفى الإدارة وفى زيادة طاقتها فلن نخضع للنمو الطيعى إلى جانب ما تعرضت له بعض الشركات من عدم توفير الثقة والانسجام بين أفراد القطاع الخاص السابق ومن استجد عليهم فى ظل القطاع العام وكذا من ترجيح أهمية العنصر الفنى عن العنصر المالى .

وفى سبيل رفع الكفاية الإنتاجية وتنسيق جهود العاملين بها سارعت مؤسسات المقاولات المشرقة عليها إلى الاستعانة ببعض الخبراء المتخصصين فى الإدارة والتنظيم لبناء الهيكل التنظيمى المناسب للشركات وتوصيف الوظائف وتحديد اختصاصات أفراد الإدارة العليا - كما روعى ما أمكن أن يرأس الجهاز الإدارى ، للشركة أو يشترك فيه صاحب الشركة قبل التأميم .

وعلى العموم يمكن القول أن هذه الفترة كانت بداية للتنظيم الإدارى والمالى لشركات المقاولات تحت إشراف المؤسسات النوعية .

٣ - طاقة شركات المقاولات :

سبق أن ذكرنا أن طاقة قطاع التشييد قبل التأميم كانت حوالى ١٠٠ ليون جنيه سنوياً - بما فى ذلك طاقة الشركات التى أمتت وتبعت لوزارة الإسكان وكانت لا تتعدى ٢٥ مليون جنيه سنوياً - وفى الفترة بعد التأميم كان اهتمام شركات مقاولات القطاع العام (التابعة للإسكان والتابعة لجهات أخرى) موجهاً نحو مضاعفة قدرتها كى تتمكن من تنفيذ حجم الأعمال الضخمة الذى فوجئ به القطاع العام فى بداية الخطة الأولى وقد نجح إلى حد

بعيد حتى بلغت قدرته التنفيذية عام ٦٤/٦٣ حوالى ١٤٩ مليون جنيه من إجمالى الإنتاج الكلى لقطاع التشييد فى ذلك العام وقدره ٢٠١,٥ مليون جنيه .

وجدير بالذكر أن نشير إلى أن أجهزة التنفيذ التى يشملها قطاع التشييد تتكون من أجهزة تابعة للقطاع العام ويشمل :

- أ - أجهزة تابعة لوزارة الإسكان والمرافق .
- ب - أجهزة تابعة لجهات أخرى (الإصلاح الزراعى - وزارة النقل - وزارة الرى - هيئة قناة السويس - هيئة السكة الحديد - القوات المسلحة) .

ويمكن بصفة تقديرية اعتبار أجهزة وزارة الإسكان تمثل نحو ٥٠٪ من إجمالى طاقة التشييد واعتبار طاقة أجهزة القطاع الخاص نحو ٢٥٪ من إجمالى طاقة التشييد^(٥) .

ونورد فيما يلى حجم أعمال التشييد التى قامت بتنفيذها شركات القطاع العام التابعة لوزارة الإسكان .

(٥) مذكرة بشأن تطوير قطاع التشييد للمرضى على اللجنة التنفيذية للائتماء الاشتراكى - وزارة الإسكان والمرافق - القاهرة ٦٦/٦/٨ ص (١٠) (عن كتاب الكفاية الإنتاجية فى قطاع المقاولات د . خالد فوده)

جدول رقم (٧)

حجم أعمال التشييد التي قامت بتنفيذها شركات ومقاولات القطاع العام

السنة	إجمالي قيمة ما تم تنفيذه (مليون جنيه)
٦٢ / ٦١	٢٩,٦٦
٦٣ / ٦٢	٥٤,٥٠
٦٤ / ٦٣	٨٣,٦٨
٦٥ / ٦٤	٨٤,٢٥
٦٦ / ٦٥	١٠٠,٢٣
٦٧ / ٦٦	٩٢,٤٣
٦٨ / ٦٧	٨٠,١٧
٦٩ / ٦٨	٧٤,٢١
٧٠ / ٦٩	١٠١,٠٧
٧١ / ٧٠	١٢١,٢٧

عن الجدول رقم (٩) من تقرير الإصلاح التنظيمي والاقتصادي لقطاع التشييد والبناء
وزارة الإسكان ، وعن تقارير وزارة التعمير بالنسبة لعام ٦٧ / ٦٨ وما بعدها .

وقد كانت أهميته الكبرى في هذه الفترة لمشروعات الإسكان تمشياً مع الاحتياجات
الفعلية . وفيما يلي بيان الوحدات السكنية التي تم إنجازها في تلك الفترة (حسب ما
جاء بدراسة الفريق المشترك لوزارة الإسكان ووزارة التخطيط والهيئة الأمريكية للتنمية
الدولية) . (يونيو سنة ١٩٧٦ م) .

جدول رقم (٨)

الوحدات السكنية التي تم إنجازها في الفترة من ٦١ - ١٩٧١

النسبة	ما نفذ لحساب المحافظة والقطاع العام	ما نفذ لحساب القطاع الخاص	المجموع
٦٢ / ٦١	١٦٧٦٨	٢٥٦٧٥	٤٢٤٤٣
٦٣ / ٦٢	٣١٢٨٨	٢٢٥٩٠	٤٣٨٧٨
٦٤ / ٦٣	١١٨٨٠	١٠٨٦٤	٢٢٧٤٤
٦٥ / ٦٤	٩٠٢٠	٨٨٩٣	١٧٩١٣
٦٦ / ٦٥	٢٠٥٠٩	١٣٠٠٠	٣٣٥٠٩
٦٧ / ٦٦	٩٨٤٤	١٥٧٣٨	٢٥٥٨٢
٦٨ / ٦٧	١٠٩٦٧	٢٩٥٠٥	٤٠٤٧٢
٦٩ / ٦٨	٥٢٩٩	٢٨٧١٠	٢٨٠٠٩
٧٠ / ٦٩	٥٤٩١	٢٨٧١٧	٣٨٢٠٨
٧١ / ٧٠	٥٢٥٠	٢٢٥٢٠	٢٧٧٧٠

مقاولو القطاع الخاص والباطن والعمال - الهجرة - الأجور :

يصعب الحصول على معلومات وافية عن مقاولي القطاع الخاص والباطن وعمال التشييد في هذه الفترة نظراً لعدم توفر البيان أو لتضاربها .

وحسب ما جاء بدراسة الفريق المشترك بوزارة الإسكان ووزارة التخطيط مع هيئة التنمية الدولية يقدر عدد العاملين بقطاع التشييد سنة ٦٩ / ٧٠ بنحو (٣٨٧٩٠٠) - في حين يقدر عدد الحرفيين في التشييد بنحو (١٥٧٦٥٢) حسبما جاء بتقرير منظمة العمل الدولية سنة ٧١ ، كما تحدد بإطار الخطة العامة للتنمية الاقتصادية والاجتماعية للسنوات الخمس يوليو سنة ١٩٦٠ - يوليو ١٩٦٥ أن عدد المشتغلين بقطاع التشييد سنة ٥٩ / ٦٠ يقدر بنحو (١٧٠) ألف ، وفي سنة ٦٤ / ٦٥ يقدر بنحو (١٥٩) ألف حسب احتياج الخطة (كما جاء بتقرير الإصلاح التنظيمي والاقتصادي لقطاع التشييد والبناء وزارة الإسكان جدول رقم ٢) كما يتبين أيضاً في الجدول صفحة ٢١ الخاص بإجمالي إنتاج القطاعات

أن إجمالي التشييد والبناء قدر بقيمة (١١٥) مليون جنيه سنة ٥٩ / ٦٠ بقيمة (١٢٢) مليون جنيه سنة ٦٤ / ٦٥ أى بزيادة ٦٪ ونظراً لأن الأسعار زادت فى سنة ٦٤ / ٦٥ ، عنها فى سنة ٥٩ بحوالى ٥٠٪ فإن إجمالي قيمة التشييد بالخطة سنة ٦٤ / ٦٥ بنسبة الأسعار سنة ٥٩ / ٦٠ تقلر بحوالى (٨١,٥) مليون جنيه - وذلك بفبر انخفاض عدد المشتغلين بقطاع التشييد فى تنفيذ خطة ٦٤ / ٦٥ عنها فى سنة ٥٩ / ٦٠ ومعنى وجود فائض فى العمالة .

والى جانب انكماش حجم العمل بعد سنة ٦٧ فيما عدا (المجهود العربى) كان معدل الزيادة فى أجور عمال التشييد طفيفاً أثناء هذه الفترة بالمقارنة لارتفاع مستوى المعيشة مما دعا لهجرة الكثير منهم إلى البلاد العربية وراء العمل والأجر الأعلى .

كما اتجهت أيضاً شركات مقاولات القطاع العام تغطية لطاقتها العاطلة إلى العمل خارج الجمهورية بالدول العربية (السعودية - الكويت - ليبيا - العراق - الجزائر) والدول الإفريقية (مالى - النيجر - ساحل العاج) ..

ونورد فيما يلى بيان بالأجور اليومية (بالقروش) للعمالة الحرفية أثناء تلك الفترة .

جدول رقم (٨)
بيان بالأجور اليومية للعالة الحرفية

المهنة	سنة ٦٢	الأجر بالقرش سنة ٦٥	سنة ٧٠	سنة ٧٣
عامل عادى	٢٥	٣٥	٥٠	٦٠
عامل قروان	٤٠	٤٥	٥٥	٨٠
نجار مسلح	١٠٠	١٤٠	١٥٥	٢٠٠
حداد مسلح	٧٥	١٠٠	١١٥	١٥٠
بناء/مبيض/مبلط	٨٠	١١٥	١٣٥	١٧٥
سبك	١٠٠	١٤٠	١٥٥	٢٠٠
كهربائسى	—	٩٥	١١٠	١٥٠

وكان من أسباب زيادة الأجور أثناء تلك المرحلة صدور قوانين التأمينات الاجتماعية وتحديد ساعات عمل وحد أدنى للأجور - وزيادة تكاليف المعيشة وتنفيذ عدد من المشروعات الحيوية فى وقت واحد فى بداية تلك المرحلة (السد لعالى - تهجير النوبة - المجمعات الصناعية) بدء عزوف راغبى العمل عن التشييد بحثاً عن مجال عمل أقل مشقة وأيسر دخلاً - إلى جانب هجرة الكثير من العمال للخارج .

ويبين الجدول التالى معدلات زيادة الأجور فى كل سنة منسوبة للسنة التى تسبقها والزيادة التراكمية بالنسبة لسنة ١٩٦١ (من بحث زيادة الأسعار خلال الفترة من يوليو ٦١ حتى مارس ٧٤ - تحت إشراف الدكتور مهندس محمد على المصرى - وزارة الإسكان والتعمير) .

جدول رقم (٩)
معدلات زيادة الأجور فى كل سنة ١٩٧١ / ٦١

السنة	٦١	٦٢	٦٤	٦٥	٦٦	٦٧	٦٨	٦٩	٧٠
معدلات زيادة الأجر سنوياً	-	٣٠	٢٥	١٥	٦	٤	٢	٦	٧
الزيادة التراكمية لمسئ الأساس ١٩٦١	١٠٠	١٣٠	١٦٠	١٨٦	١٩٧	٢٠٩	٢١٧	٢٢٦	٢٤٠

مواد البناء المحلية والمستوردة وأسعارها :

لم يستجد على مواد البناء الأساسية تغيير يذكر سوى التطور المحدود فى استخدام بعض المواد المصنعة البديلة للوفر فى التكلفة - كالمخشب الحبيبي وبلاطات الأسفلت للأرضيات - واستخدام المواسير وبعض الأدوات من البلاستيك فى أعمال الكهرباء والأدوات والصحي .

وكانت مواد البناء المحلية (الأسمنت - الرمل - الزلط - الجبس) متوفرة أما الطوب الأحمر فقد بدأت أسعاره فى الارتفاع نتيجة لهبوط حجم إنتاجه بعد إنجاز مشورع السد العالى وحجز طمي النيل خلف السد وتوقف تراكمه على الجسور والجزر النيلية .

جدول رقم (١٠)
الموقف بالنسبة للإنتاج المحلي للأسمنت ١٩٧٢ - ١٩٧٢
(الكميات بالآلاف)

الأسعار بالطن بالجنيه المصرى						الإنتاج	الكميات	الاستهلاك	السنة
مطلوب	عسائى	مربع	دوتى	لوحيات					
٢٠٩٦	٥,١٤٠	٦,١٤٠	٦,٦٩٠	٥,٦٤٠	٦٨,٠٠	٢٢٧٣	٣٢٧	—	٦٣/٦٢
٢٤٨٥٠	١٠	١٣٧	٢٦٠٧	٦٤/٦٣					
٢٦٨٣	٤٨٣	٢١٠	٢٤١٠	٦٥ ٦٤	١٨,٠٠	٢٥٧٤	٣٥٢	١٥٥	
٢٣٧٧	٥٩	٢٨٨	٢٦٩٠	٦٦ ٦٥					
٢٤٣١	—	٦١٤	٢٩٠٤	٦٧ ٦٦					
٢٢٩٠	—	٨٨٥	٣٤٤٨	٦٨ ٦٧	١٨,٠٠	٣٤٤٨	٦٢٩	—	
٢٥٦٣	—	٩١٨	٣٨١٦	٦٩ ٦٨	١٨,٠٠	٣٨١٦	٦٢٩	—	
٢٧٨٤	—	٩١٨	٣٨١٦	٧٠ ٦٩	١٨,٠٠	٣٨١٦	٦٢٩	—	
٢٨٨٣	—	٩١٨	٣٨١٦	٧١ ٧٠	١٩,٠٠	٣٨١٦	٦٢٩	—	
٤٥٨١	—	١١٧٦	٥٧٥٧	٧٢/٧١					

(١٨ شهر)

الأسعار الموضحة للطن في أكياس ٣ طيات تسليم مصانع القاهرة يضاف مبلغ ٥٦٠ مليم للطن الواحد لجميع الأنواع تسليم المكس الاسكندرية ، يضاف للأسعار نولون النقل والذي يحسب طبقاً لوسيلة النقل وموقع التسليم يضاف رسم إنتاج بواقع ١,٤٠٠ جنيه وأربعمئة مليم للطن اعتباراً من فبراير ١٩٧٢ وأضف رسم خزانة بواقع ١,٠٠٠ جنيه واحد للطن .

جدول رقم (١١)
بيان عن الإنتاج المحلي والاستيراد من حديد التسليح

السنة	الإنتاج المحلي بالطن	المستورد بالطن	الإجمالي بالطن
٦٦ / ٦٥	١٧٧٣٢٤	—	١٧٧٣٢٤
٦٧ / ٦٦	١٧٢٢٦٣	٦١٧٧٩	٢٣٤٠٤٢
٦٨ / ٦٧	١٩٢٠٤١	٤٢٣٤٥	٢٣٤٣٨٦
٦٩ / ٦٨	٢٢٩١٤٠	٣٥٩٥٢	٢٦٥٠٩٢
٧٠ / ٦٩	٢٢٢٧٦٩	٣٤١٢٧	٢٥٦٨٩٦
٧١ / ٧٠	١٨٩١٩٦	١٠٣٧٨٢	٢٩٢٩٧٨
٧٢ / ٧١	٢٠٥٠٨٣	٩٠١١٢	٢٩٩٩٥

كما يوضح في الجدول الثاني تطور أسعار مواد البناء (شاملة النقل) خلال هذه الفترة .

جدول رقم (١٣)

تطور أسعار مواد البناء (شامل النقل) بالجنيه المصري

	١٩٧٢	١٩٧١	١٩٧٠	١٩٦٩	١٩٦٨	١٩٦٧	١٩٦٦	١٩٦٥	١٩٦٤	١٩٦٣	١٩٦٢	مواد البناء
٨٥	٨٠	٦٨	٦٥	٦٥	٦٢	٦٢	٦٠	٦٤	٦٠	٥٨	٥٨	حديد تسليح ٣٧ بالطن
٨٠٠	٧٠٠	٧٠٠	٧٠٠	٦٠٠	٦٠٠	٦٠٠	٦٠٠	٥١٠	٥١٠	٥١٠	٥١٠	أحمت عادي للفق (أساسي)
٩٠٠	٨,٥٠٠	٧,٥٠٠	٦٠٠	٧٥	٧٥	٧٥	٩,٠٠	٧٠٠	٧٠٠	٦٧	٣٦	طوب آخر بالالف
٩٠٠	١,٨٠٠	١,٥٠٠	١,٥٠	١,٢٠	١,٠	١,٥	١,٥	١,٢	١,٠٠	٨٠	٨٠	زلزله ٣
١,١٠٠	٩٥٠	٨٥٠	٨٥٠	٧٥	٦٥	٦٥	٦٠	٥٧٠	٤٥	٣٧	٣٧	رمل ٣٢
٤,٨٠٠	٤,٥٠٠	٤,٦٥٠	٤,٦٥٠	٤,٦٥٠	٤,٦٥	٤,٦٥	٤,٣٥	٤,٨٠	٣٠	٢٤٠	٢٤٠	حجر ٣
٩,٠٠٠	٩,٠٠٠	٧,٥٠٠	٦,٥٠٠	٦,٥٠٠	٥,٣٠	٥,٣٠	٥,٣٠	٥,٠	٤,٨٠	٤٣٠	٤٣٠	حصى بالطن
١٠,٠٠٠	١٠,٠٠٠	٧,٠٠٠	٧,٥٠٠	٧,٥٠٠	٦,٢٥	٦,٢٥	٦,٢٥	٦,٠٠	٥,٨٠	٥٦٠	٥٦٠	بالطن
	٦,٠٠٠	٦,٠٠٠	٩,٠٠٠	٩,٠٠٠	٨,٠٠٠	٨,٠٠٠	٦,٠٠٠	٥,٠٠٠	٣٧,٠	٣٦,٠	٣٦,٠	خشب سوري ٣
												١٠٠٠٠

١٠٠٠٠٠

وقد حرصت الدولة على تثبيت أسعار مواد البناء خاصة المستورد منها وعدم زيادتها لنفس النسب التي زادت بها الأسعار في مناطق إنتاجها وذلك بحملها فوق الأسعار - وفيما يلي بيان بمعدل زيادة الأسعار في مواد البناء بالنسبة لسنة الأساس ١٩٦١ (عن بحث زيادة الأسعار تحت إشراف الدكتور مهديس محمد علي المصري - وزارة الإسكان والتعمير) .

السنة	٦١	٦٢	٦٣	٦٤	٦٥	٦٦	٦٧	٦٨	٦٩	٧٠	٧١	٧٢
الزيادة المئوية	١٠٠	١٠٢,٤	١١١,٣	١٣١,٥	١٢٥	١٣٧,٣	١٥١	١٥٤	١٥٧	١٦٢,٧	١٦٢,٧	١٧٨
لأسعار مواد البناء												

وقد اعترض خطة توفير المواد الكثيرة من الاختناقات بالنسبة للحديد والأسمت والخشب كمواد أساسية حاكمة في التشييد إذ كان كثيراً ما لا يتوفر المطلوب من إحداها بالقدر الكافي مما كان له أثره على خطة التنفيذ .

ثامناً : أساليب التشييد :

كان من الضروري في تلك المرحلة تطوير وسائل التشييد من العمل اليدوى إلى الميكنة بما يساير التطور الجارى في مجال الصناعة - وكذا لدعم إمكانات التشييد في مواجهة الدولة - وقد تمت في هذه الفترة دراسات عديدة لاستخدام الميكنة في تطوير أساليب التنفيذ بشركات مقاولات القطاع العام - ومن هذه الدراسات : تصنيع قطاع التشييد - رفع الكفاية الإنتاجية لشركات المقاولات - الإصلاح التنظيمى والاقتصادى - دراسة مشتركة مع الخبراء الروس لتطوير وتصنيع طرق الإنشاء - زيادة ودراسة لمصانع المبانى الجاهزة ببعض الدول الأوربية غير أنه بسبب ما تتطلبه الميكنة من استثمارات ضخمة إلى جانب ما عانته البلاد في خلال حرب ١٩٦٧ لم يكن في الإمكان اتخاذ خطوات إيجابية لميكنة أساليب التشييد وكان استخدام العمالة الحرفية في التنفيذ هو الأسلوب المناسب لظروف الدولة الاقتصادية وإمكانيات التمويل المحلى والخارجى طالما أن هذه العمالة فيها الفائض ولديها القدرة بوسائلها التقليدية على تحقيق الخطة المطلوبة . ولم تتمكن شركات المقاولات بصفة عامة من تطوير أساليبها ولم تسمح إمكانياتها إلا باستعاضة المستهلك من معداتها والحصول على بعض معدات أغلبها من دول الكتلة الشرقية - وذلك لعدم توفر النقد الأجنبى الحر .

تكاليف الإسكان وعبء المسكن ودخل الأسرة :

ارتفعت تكلفة مبانى الإسكان هذه الفترة تدريجياً وباعتبار سنة ١٩٦١ سنة الأساس زادت التكلفة حوالى (١٠ ٪) سنة ١٩٦٢ وحوالى (١٠٠ ٪) حتى سنة ١٩٧٢ واتجه الأمر لضغط هذه التكلفة ما أمكن على حساب الوفر في مسطح المسكن وخفض مستوى مواصفات الأعمال والمواد المستخدمة .

- وتبلغ تكلفة المتر المسطح للإسكان الاقتصادى عام ١٩٦٢ ١٢ جنيه .
- وتبلغ تكلفة المتر المسطح للإسكان الاقتصادى عام ١٩٧٢ ١٦ جنيه .
- وتبلغ تكلفة المتر المسطح للإسكان المتوسط عام ١٩٦٢ ١٦ جنيه .

وتبلغ تكلفة المتر المسطح للإسكان المتوسط عام ١٩٧٢ ٢٢ جنيه .

وهذا يتيح قيمة إيجارية للمسكن الاقتصادى حوالى ٦ جنيهات شهريا للوحدة ٥٠م^٢

كما يتيح قيمة إيجارية للمسكن المتوسط حوالى ١٢ جنيهاً للوحدة ٧٠م^٢ وبالمقارنة لمستوى الدخل كانت قيمة الإيجار فى الحدود المحتملة ولكن عدم توازن العرض مع الطلب كان له أثره على القيمة الإيجارية للمسكن كملعة يتزايد عليها الطلب .

* تلك هى الإنجازات .. وفى مجال محدد (كنموذج قطاع الإسكان والتشييد) ، وبلغت رقمية مصمتة وهو ما يقدم فى أغلبه (وليست كله بالطبع) صورة عن إنجازات إيجابية محددة ، على غير ما يذهب أعداء عبد الناصر . وتجربته وبخاصة من الإسلاميين والشيوعيين هذا مع تأكيدنا على أهمية رؤيتهم وأهمية الإنصات إليها والتفاعل الإيجابى معها حرصاً على مستقبل لن تقوم له قائمة إلا بتحالف بين كافة الاتجاهات والتيارات الوطنية .

ملحق (١)

الإشتراكية فى إدراك عبد الناصر

إن الأوضاع القديمة كلها ، تركت للشعب المصرى تخلفاً مروعاً ، إن النهب والإستغلال عبر قرون ، نزح الجزء الكبير من الثروة المصرية وناتج العمل المصرى ، بل إننى أكاد أقول ، إنها إستهدفت أن تنزح جزءاً من العزيمة المصرية ، حتى تقلل من إحتتمالات الثورة ، وتؤمن بالسيطرة ، مجال النهب والإستغلال إلى الأبد :

(العيد الثانى عشر للثورة ٢٢ يوليو ١٩٦٤ م)

إن إرادة التغيير الثورى ، التى تصدت للسيطرة ، تصدت أيضاً لآثارها ، وللآثار التى أحدثها النهب والإستغلال .. تصدت للتخلف .. إرادة التغيير التى أسقطت أسباب التخلف .. كانت هى نفسها التى فرضت خطة التقدم .

(العيد الثانى عشرة للثورة ٢٢ يوليو ١٩٦٤ م)

وكان النجاح العظيم يوم ٢٣ يوليو وخلوده .. كان هذا النجاح كبدية للثورة ومدخل لها .. إن الجيش أدرك مكانه ، وهو أنه جزء من هذا الشعب ، وبالتالي أظهر إرادته كجزء من الإرادة الشعبية ، ولم يكن الأمر بعد ذلك فى حاجة الى عناء كبير ، فإن القلة الرجعية الحاكمة وجدت نفسها تواجه الزحف الشعبى الباسل من غير سلاح فى يدها .

(مؤتمر الإتحاد القومى ١٩٦٠/٧/٩ م)

كان علينا أن نتحرر من الماضى .. كان علينا أن نتخلص من برائن الماضى . كان علينا أن نقوم بعملية كاملة لتطور حياتنا .

كانت هذه العملية هى عملية الإنشقاق من الماضى والتحرر من الأغلال الغير المنظورة والأغلال المادية .. الثمانين ألف عسكرى إنجليزى الذين كانوا فى مصر .. السيطرة والإقطاع والإحتكار والرأسمالية المستغلة . والأغلال الغير منظورة التى هى التأثير الفكرى والإرهاب الفكرى .

عملية الإنشقاق من الماضى ، كانت هى طبيعة هذه المرحلة .. كان مطلوب إستخلاص الآمال الوطنية . كل الآمال الوطنية من كل الضياع التى تدور فيه فى حلقة مفرغة .. إستخلاص الآراء الوطنية من كل أنواع الضغط والقصر .. ثم إستخلاص الثروة الوطنية

من الإحتكار والإستغلال .. ثم البحث عن نقطة البداية السليمة التى نستطيع أن ننتقل منها لأهدافنا الكبرى .

كل هذا كان مطلوب أن يتحقق ، مع معارك لا تنتهى مع كل أعداء الثورة الوطنية والثورة الإجتماعية التى كنا نمر بها من جانب كل اللى مش عايزين للتغير الحتمى أن يأخذ مجاله .. كنا عايزين نحقق هذه الأهداف .

ونحن فى وسط هذه المعركة .. الإستعمار كان لنا معه معارك .. المصالح الدولية ، التى كانت تعتبرنا داخل مناطق النفوذ ، كان لنا معها معارك ..
(خطاب فى ١٩٦٢/٩/٢٤ م)

إن شعوبنا لا تصنع بالإستقلال علما ونشيداً. وصوتاً فى عداد الأصوات فى الأمم المتحدة فحسب ، ولكنها تريد ، إلى جانب ذلك ، أن يكون للإستقلال مضموناً إجتماعياً ، يصور كرامة البشر ، كما يصور الإستقلال كرامة أرضهم .. كل واحد واجه هذا التحدى حين كان يظن أن أصعب الأوقات قد فاتت بالخلاص من الأجنبى .. وكل منا بغير جدال وقف أمام هذا التحدى يسأل نفسه ، والآن ماذا أفعل ؟

(مؤتمر القمة الأفريقى فى ١٧/٧*١٩٦٤ م)

لقد كان إحراز النصر فى هذه المعركة ، هو الضمان الوحيد لتثبيت كل إنتصارات معركة الحرية السياسية وتدعيمها .. وكان لابد أن ينطلق الزحف نحو معركة الحرية الإجتماعية بجناحين من الكفاية والعدل ..

كانت الكفاية تعنى زيادة الإنتاج فى جميع المجالات .. زيادة رقعة الأرض الزراعية .. زيادة غلة كل فدان فى الأرض الزراعية .

كانت تعنى زيادة المصانع بالتوسع فيها طبقاً لخطة مطابقة لإحتياجنا وتدعيم الكفاية الإنتاجية لكل ما كان لدينا منها ولكل ما نبنيه عندنا من جديد .

كانت تعنى توجيه المال الداخلى وتحويله إلى طاقة خالقة وتحريكه بكل سرعة لتوسيع قاعدة الثروة الوطنية .

كانت تعنى التوسع الكبير فى وسائل المواصلات ، فى القوى الحركة فى الخدمات

التي تمكن القوى البشرية للوطن من أن تعطى للإنتاج دون ما عقبات أو موانع كل ما تملكه من قدرة على الفكر وعلى العمل ولقد كان ما تم إنجازه في هذا المجال ضخماً وكبيراً .
لقد أنشئت الأجهزة العاملة بكل الوسائل ووضعنا تحت تصرفاتها من الإمكانيات ما يمكنها من فتح الطريق أمام العمل الجدى فى جميع القطاعات .

(خطاب فى ١٦/١٠/١٩٦١)

ولا يمكن أن يخلق المجتمع الجديد ، بالشعارات وحدها بل بالعمل .. العمل هو الذى يخلق المجتمع الجديد .. العمل على إنهاء سيطرة رأس المال على الحكم .. والعمل على إنهاء الإقطاع .. والعمل على زيادة الإنتاج .. والعمل على عدالة التوزيع ..

سيطرة رأس المال على الحكم ، معناه ديكتاتورية رأس المال ، وبقاء البناء الاجتماعى والإقتصادى لخدمة مصالح فئة قليلة وطبقة محدودة .. لخدمة الطبقة الرأسمالية .

وإذا سيطرت الطبقة الرأسمالية على البناء الاجتماعى والإقتصادى ، فإن معناه السيطرة على الحكم بطريق مباشر أو غير مباشر .. ومعنى هذا ديكتاتورية الإقطاع وديكتاتورية رأس المال التى تحاول أن تخضع المجتمع كله للإستغلال والسيطرة ..

إننا رأينا قبل الثورة كيف أن الوزراء كانوا يشتغلوا عند الرأسمالية .. إزاي الوزراء يقبضوا ، إزاي الوزير كان فى الحكم ، وكان يأخذ ماهية من فلان أو فلان .. أمثلة بهذا الشكل كانت معروفة وإنقلت فى محكمة الثورة ..

إذن ديكتاتورية رأس المال تحكم ، سواء كانت هى فى الحكم ، أو تحكم بواسطة أعوانها أو عملائها وهى تبقى خارج الحكم ، ولكنها تدبر الحكم لمنفعتها ولمصلحتها من أجل إستغلال الشعب ، ومن أجل تحقيق أكبر قدر ممكن من الأرباح .

(عيد الثورة التاسع ٢٢/٧/١٩٦١م)

تحالف الإقطاع ورأس المال قد سقط ، وإسترد الشعب أرضه ليزرعها .. يسنده تنظيم تعاونى . رأس المال يعطى لهم كسلفيات بدون فوائد . إسترد الشعب المصانع من تحالف الإقطاع مع رأس المال ، للشعب .. للعمال .. يشتركون فى إدارتها ، ويشتركون فى أرباحها ، ويصبح العمال أسياد للآلات لا عبيد لها .. ولا وقوداً لهذه الآلات وفى حمايتهم كل إمكانيات التأمين الاجتماعى ضد الأمراض وضد الإصابة .. وضد البطالة وضد المرض

و ضد الشيخوخة ..

إسترد الشعب أمواله المنهوبة . وجهها للتنمية الشاملة ، علشان يزرع أرض جديدة ليقم مصانع جديدة ، لبنى مراكز للخدمة الإجتماعية والصحية والثقافية جديدة . لرفع الحياة على أرض الوطن ، ولزيادة فرص العمل أمام أجيال تأتى إلى الحياة ، وتطالب بالحق فيها ، من أجل مجتمع يقوم على دعائم الكفاية والعدل .. ولقد كان منطقياً بهذا ضرورياً أن يخرج السلطة من تحالف الأقطاع ورأس المال .

(العيد الثانى عشر للثورة ٢٢ يوليو ١٩٦٤م)

لقد كان القضاء على الإستغلال مقدمة طبيعية لعدالة التوزيع .. ولقد وجهت إلى الإستغلال ضربات متلاحقة ، بدأت بالإصلاح الزراعى ، إلى تأميم قناة السويس ، إلى التخصيص ، إلى تأميم البنوك وشركات التأمين وتجارة القطن ، إلى قرارات يوليو المجيدة وقرارات أغسطس ١٩٦٣م وقرارات مارس ١٩٦٤م التى أنهت مشكلة التعويضات على التأميم ، وقامت بعملية تصفية للإمتيازات القديمة لم يكن منها مفر .

ولم يكن توجيه الضربات إلى الإستغلال موقفاً سلبياً ، ولكن تحويل رأس المال الضخم أداة الإستغلال الرئيسية إلى الإنتاج العام والخدمة العامة ، كان من أبرز نقط الإرتكاز للعمل الوطنى الإيجابى .

إن تحويل المقادير الضخمة من رأس المال ، إلى ملكية الشعب العامل ، وإلى خدمته ، ساعدت إلى حد كبير ، على تعزيز العمل من أجل الكفاية ، وخدمت الفرص المتكافئة للمواطنين سواء بالطريق المباشر ، أو بالطريق غير المباشر .

إن الأرض التى وزعها الإصلاح الزراعى من أملاك أى إقطاعى قديم ، حولت فلاحاً معصداً وأسرتة ، إلى مالك له حق الحياة .. ورأس المال الضخم ، الذى تحرر من الإحتكار ، شارك فى إقامة مصانع ، أتاحت عشرات الألوف من فرص العمل ، للذين كانوا يبحثون عن العمل ، وفوق ذلك فلقد فتحت أمام الألوف من الشباب المتعلم الذى كانت الحواجز تقف حائلاً أمامه أبواباً إلى مراكز القيادة فى وحدات الإنتاج الضخمة .

(مجلس الأمة فى ٢٥/٣/١٩٦٤م)

هكذا سقط الملك .. وسقط الحكم الملكى بعد أيام من إعلان الجيش لموقفه .

وهكذا سقط الإقطاع ، وسقطت سيطرة رأس المال على الحكم ، وفقدت الأحزاب القائمة مقومات وجودها ، وهكذا أصبح الطريق مفتوحاً لتصحيح الأوضاع .. ولقد كان مستحيلاً أن تبقى الفرصة حكراً بالوراثة لقلة من المواطنين .. وكان مستحيلاً أن يبقى الجهل والمرض والضعف حكراً بالوراثة لكثرة من المواطنين .

(مؤتمر الاتحاد القومى ١٩٦٠/٧/٩ م)

إن أخطر ما نواجهه اليوم ، وما سوف نواجهه ، هو أن شعبنا تخلف إيجاباً عن تقدمه ، بفعل ظروف مختلفة ، بعضها يرجع إلى عوامل داخلية ، وبعضها الآخر يرجع إلى عوامل فرضت عليه من الخارج فرضاً .

إننا لا نملك أن نتخلف إطلاقاً عن العالم الجديد ، ولقد بذلنا الكثير من التضحيات ودفعنا الكثير من الآلام .. إننا نتخلفنا عن تطورين سابقين هما البخار والكهرباء ..

ولكن ذلك كله لا يقاس بما يمكن أن نتعرض له إذا فاتنا الفجر الجديد .. إن الذين يتخلون عن الفجر الجديد سوف يغامرون بحقهم في الوجود .

هذه هى صورة المشكلة التى تواجهنا ، وأحب أن أضيف إليها .. أن هناك نتائج سياسية كبرى سوف تترتب عليها ذلك أن الفوارق بين الدول التى تسير التطور الكبير القادم .. والدول التى تعجز عن مسايرته سوف تكون أكبر بكثير من الفارق بين دول الإستعمار والشعوب التى رضخت لطغيانه .

كانت حركة النضال اليومى للجماهير ، تؤكد لى فى كل لحظة ، أن هذا الجيل هو الذى اختار قدره بالثورة .. وهو الذى رسم لنفسه الطريق ، وحدد الهدف .

كانت الآمال طموحة ، وكان طموحها هو نفسه مسافة الرحلة إليها هو نفسه سبب التعرض الطويل للأخطار ..

ولكن هذا الجيل ، عقد عزمه منذ صنع الثورة ، على أنه لابد من اللحاق بالأحلام الضائعة ، ولابد من الوصول إلى مستوى التقدم المقبول عالمياً وإنسانياً .

(مجلس الأمة فى ١٦/٣/١٩٦٥ م)

إن إرادة التغيير .. هى إرادة هذا الشعب ، رفع مستوى المعيشة ، مضاعفة الإنتاج ، زيادة

الدخل القومي - هو سبيلنا لأن نعيش حياة سعيدة .. وعلى أن نوفر لأبنائنا حياة أسعد من بعدنا .

(خطاب في ١٩٦٣/١/٩)

أنه بات محتملاً أن نسرع خطانا على طريق التنمية بأكثر من هذا القدر . ولقد طلبت إلى الأجهزة المسؤولة عن التنمية أن تدرس إمكانية مضاعفة الدخل القومي في أقل من عشر سنوات ولا بد لنا أن نسير وأن نبني .. وما من جدال أن الإطار الإشتراكي للمجتمع الآتي يساعدنا على دفع عجلة الإنتاج بسرعة أكبر مما قدرنا ونحن نضع الخططة .

(خطاب في ١٩٦١/١٠/١٦)

علينا واجب كبير من أجل بناء هذه الأمة ، ومن أجل أن ننجز في ٣٠ سنة ، ما أنجزته أوروبا في ٣٠٠ سنة .. إذا كنا عازمين تعيش عيشة سعيدة .

(خطاب في ١٩٦٢/٧/٢٤ م)

لازم تؤمن ونصمم على أن تتغلب على هذا التحدي ، التي هو البيت الطين ، التي ورثناه من عهد الإقطاع بيت الفلاح ، المسافة بينه وبين المعمل التي لازم نقطع هذه المسافة في أسرع وقت علشان نقدر نقول إن إحنا فعلاً بنينا بلدنا وطورنا بلدنا ..

(عيد النصر السادس ١٩٦٣/١٢/٢٣)

وكان الإتجاه الذي إنتهى إليه الشعب في الميثاق ، هو أن الحل الوحيد لمواجهة المستقبل ، وصنع التقدم المحقق فيه ، هو بذل الجهود المضاعفة ، من أجل التنمية مع الاحتفاظ للإنسان المعاصر ، بكل حقوقه في الحياة .

إن شعبنا خرج من هذه الدراسة الشاملة لموقفه ، ولمشاكله ، ولخططه المقبلة ، بما يمكن تلخيصه في جملة واحدة .. «إن تحدي الحياة يفرض عليه أن يقوم بما يشبه المعجزة .. من أجل التنمية باعتبارها الصيغة المحققة للتقدم في جميع نواحيه» .

ولقد كان الرأي الذي إنتهى إليه إجماع شعبنا ، هو أن هذه المعجزة مع صعوبتها ليست مستحيلة بل هي ممكنة ، بالإرادة الإنسانية ، وبالعقل الإنساني ، وبالعقل الإنساني .

(مؤتمر التنمية الاقتصادية ١٩٦٢/٧/٩ م)

نبدأ من تحلف طويل ، أحده القهر والنهب الإستعماري ، وضاعفت مسافته عزلة عن

يجرى الحضارة فرضت علينا .

نبدأ ومن حولنا عقبات متشابكة ، تقتضينا الجهد الطويل لكي نعبر على نقطة البداية الصالحة للمواجهة ، وعلى مركز الإنطلاق الموالم .

نبدأ ومن وراءنا دفع متزايد من آمال شعوبنا التي أضناها الحرمان ، وتريد أن تعوض الماضي ، وتهرع لاحقة بالمستقبل .

نبدأ في جو مشحون بالمعتقدات الاجتماعية المختلفة ، كل منها تعرض علينا إجابة لا إجابة غيرها على التحدى الذى نواجهه .

نبدأ والمسافة بيننا وبين من سبقونا إلى التقدم تزداد إتساعاً بحكم الثورة العلمية وإحتلالها .

نبدأ والكثيرون منا يواجهون ظروفاً وقيوداً لا يستطيعون إخضاعها لآمالهم بين يوم وليلة .. مواردهم لم تخلص لهم بعد ، أو هى شحيحة لا تقى بالمنتظر ، والخبرة نادرة ، والتكنولوجيا الحديثة محتكرة أو هى غالية .

ما الذى تصنعه ؟ وأين الطريق الصحيح ؟

(مؤتمر القمة الأفريقى ١٧/٧/١٩٦٤م)

كان عمتماً أن نفتتح الطريق أمام العدل . ولقد كان ذلك يقتضى أن نسير في طريقين :

أولاً : تعبئة الإقتصاد القومى ، حتى تتسع أفاقه ، إلى حد يسمح لكل مواطن بأن يملك نصيباً منه .

ثانياً : محاولة تقليل حدة الفوارق بين الناس ، إحقاقاً لمبدأ العدل الاجتماعى ، وتمكيناً للإستقرار داخل الوطن .

(مجلس الأمة فى ٤/١١/١٩٦٠م)

سنة ٥٢ حصل إليه ١ إلىه الأموال اللى استثمرت من أجل التصنيع قبل الثورة سنة ٥١ كان اللى إستمر من أجل التصنيع مليون جنية و ١٠٠ ألف كمان أو ١٢٠ ألف كل الفلوس اللى صرفت على الصناعة من القطاع الخاص .

إحنا تركنا رأس المال يعقد الإتفاقات فى الخارج .. رأس المال بتوفر له العملة الصعبة .. بتوفر له جميع التسهيلات علشان يعمل ، وهو كل اللى عمله كان بيأخذ أرباح

المصانع ، إيه المخاطرة اللى فى مقابلها رأس المال كان بياخد كل هذه الفوائد ، مفيش مخاطرة ، بأى حال من الأحوال ، مشروعات طبعا تحولت إلى أرباح شخصية ، كلنا نعرف أن المشروعات الصناعية حققت أرباح كثيرة فى السنين الأخيرة ، نظراً لمنع إستيراد جميع البضائع الإستهلاكية وإحنا بنستورد فى الإستهلاك ١٠٪ ولكن ١٠٪ تبان لأن إحنا الإستيراد بتاعنا بيزيد ، ولكن الباقي الـ ٩٠٪ بنستورد المواد الخام أو السلع .
(خطاب فى ١١/٢٥/١٩٦١ م)

مشروع كهربية خزان أسوان ، من سنة ٢٥ كانوا بيتكلموا فيه فى خطب العرش ، طيب ليه ما تنفذش مشروع كهربية خزان أسوان ؟ لأن مشروع كهربية خزان أسوان لما بتنفذ حييقى فيه مصانع والمصانع بتزيد فيها العمال ، وبعدين يقولوا بعد كده لما العمال بيزيدوا فى المصانع حيحصل إيه ؟ . حيطالبوا بحقوقهم . ويعملوا تكتلات ، ييقى خطر عليهم ، وتبقى عمليات هدامة بالنسبة لحكم الطبقة المستغلة .

(خطاب فى ١/٩/١٩٦٣ م)

بعدين لما أعلننا تأميم الشركات البريطانية أو الفرنسية ، مش تأميم تأميم ، أعلننا تمصير .. على طول إتلموا على بعض وتقدموا .. وكل واحد فيهم عايز يخطط شركتين ثلاثة من الشركات الممصرة سواء اللى أصلها فرنسية أم أصلها إنجليزية . وأنا فى هذا اليوم قلت إن جميع الشركات بتروح للقطاع العام ، لن نستطيع بأى حال إن أحنا نخلى الرأسماليين يزيلوا من تحكمهم ، بأنهم يأخذوا أيضا ، ممتلكات فرنسا وممتلكات إنجلترا .

كانت الفرصة طبعا لينا فى هذا الوقت إن إحنا نقيم القطاع العام ، ونبدأ قطاع عام فعلاً ، على أساس واسع ، ونبدأ فى تطبيق الاشتراكية بمفهومها الحقيقى اللى بيدأ بخلق قطاع عام فى الصناعة وفى التجارة .

(اللجنة التحضيرية ١١/٢٥/١٩٦١ م)

بعد كده بدأ الإنحراف ، إنحراف إزاي ؟ بقى فيه قطاع عام ، بقى فيه قطاع خاص ، القطاع الخاص عايز يكسب ، الصناعة اللى كانت بـ ٢ مليون جنيه ، بقت ٨٨ مليون جنيه .

المباني التي كانت في ٥٢ بنينها بـ ٥ مليون جنيه ، تيجى في سنة ١٩٦٠م الحكومة بتنزّل بـ ١٦٠ مليون جنيه ، للعمليات التي في المشروعات الحكومية التي لا أول لها ولا آخر .

الرأسمالية المستغلة تنفذ وتريد أن تربح ، موش الربح الحلال التي مفروض يكسبوه ، ولكن الربح الحرام .

بعض الناس رفضوا آلات جيه من الخارج ، دفعين فيها عملة صعبة .. في التوريد بيرشوا .. في التصدير بيرشوا .. وفي الإستيراد بيرشوا لأنه حاجيحق أرباح وعايير يحقق أرباح .

(خطاب في ١١/٢٥/١٩٦١م)

في سنة ١٩٦٠م أنا كنت أشعر إن إحنا يمكن الدفع الثوري غير قائم . الثورة بدأت تنعثر ، الرأسمالية المستغلة بدأت تنفذ ، وبدأت تنهرب ، وبدأت تتسلل للصف .. والأزمة كانت واضحة أمامي ، وكانت باينة ، كان الخطر إيه ؟ الرأسمالية المستغلة والرجعية توشك أن تجند الثورة الوطنية أو تلم الثورة الوطنية لحسابها الخاص .

(خطاب في ١١/٢٥/١٩٦١م)

لقد قمنا برحلة طويلة ، لكن كان من المهم أن تعود إلى قياس الطريق الذي قطعناه ، لكي نتأهب لمسئولية الطريق الذي ما زال يمتد أمامنا .. لكي يكون لنا ما حققناه ، دافعاً إلى ما ينبغي أن نحققه .. لكي ندرك بتقدير المسئولية لا يشوبه الغرور أو الإستعلاء ، إن أكتافنا تستطيع أن تتحمل عبء عصرنا وأمانيه ..

ولقد كانت تلك .. مرحلة التحول العظيم .. بكل أنفائها الضخمة وآمالها المجنحة .. بكل أخطارها المروعة وإحتمالاتها المفعمة بالرجاء .

كانت فوق وجداننا أثقال قرون تضغط عليه وتشده ، وكنا نستطيع أن ننكص عن قبول تحدى العصر ، نكتفى بعد ٢٣ يوليو بتغيير في شكل الحكم لا يصل إلى المضمون ، هروباً من فداحة المهمة التي تنتظر كل من يتصدى للتغيير الجذرى لأوضاع المجتمع .

وكان يمكن أن تشدنا الواجهات الشكلية للديمقراطية ، ولقد كدنا أن نقرب من هذا المنزل سنة ١٩٥٤م ، ناسين أن القوة السياسية في أى مجتمع ، هي تعبير خارجي عن مواقع

القوة الاقتصادية ، ومهما أنشأنا من الواجهات ، ومهما أطلقنا عليها من الأسماء البراقة والصفات ، فلسوف يبقى دائماً ، أن كل شيء خارجي ليس إلا غطاء للحقيقة الداخلية ورداء ، وإذا كانت القوة الاقتصادية ، كما كان حالها سنة ١٩٥٤م ، في يد القلة ، فمعنى ذلك إن القوة السياسية كانت باقية في يد القلة ، بصرف النظر عن بلاغة الشعارات وورنيها في الأسماع .

وكان يمكن أن تقودنا ظروف الواقع ، إلى قبول أحكامها ، تظل الأمور تدور في الحلقة المفرغة ، تضيع بدايتها ونهايتها .. كان يمكن أن نقبل في هذه الفترة ما كان يبدو حقيقة واقعة ، وهى أن طاقاتنا الحالية ، لا تستطيع أن تصل إلى مستوى آمالنا ومن ثم فلا بد من التواضع بالآمال إلى قرب الطاقة الحالية .. ولقد كان من هنا التخوف من خطة لتنمية الدخل القومي ، تستهدف مضاعفته ، مرة على الأقل ، كل عشر سنوات .. ولقد كان التجاوز عن الأمل والقبول بظروف الواقع ، إستسلاماً له ، وبأساً من الثورة ، وتسليماً بعجزها عن التغيير الثورى .

كذلك كان يمكن أن يضلنا في هذه الظروف ، مظهر الرخاء عن ، جوهر الرخاء ، إن الرخاء للقلة على حساب الكثرة في المجتمع ، صدام في داخله ، لا يمكن تجنبه ولا ضمان سلامته ، فضلاً عن عدم أخلاقياته ومنافاته لكل مبدأ إنسانى ، بل كل حق إنسانى . ولقد أدركنا بوضوح ، أن التنمية لابد أن تقترن بالتوزيع ، كذلك أدركنا ، أن سلامة الاقتصاد الوطنى ، لا تقاس بسعر القطع بالنسبة لعملتنا في أسواق المضاربة الدولية .

إن السلامة الحقيقية للإقتصاد ، تقاس بقدرته على الإنتاج ، وليس بهمنا أن يظل النقد المصرى محتفظاً بشكل قيمته ، متحرراً عن أعباء التنمية ، متسكعاً في أسواق المضاربة الدولية عاطلاً مستهتراً ، لكنه براق المظهر يتحرك في جو من الترف .. لم يكن ذلك ما نريده للنقد المصرى وما كان أسهل أن نوفر له ذلك الشكل الخارجى ، ونوفره عن العمل ، ونتركه للتسكع الطليق ، لكننا نطلب من كل قيمة في وطننا ، كما نطلب من كل إنسان فرد ، أن يتحمل طاقته أداءً للواجب .. ونهوضاً بأمانه .

(مجلس الأمة ٢٥/٣/١٩٦٤م)

نتحدث عن رؤوس الأموال الأجنبية .. فنحن لم نشجع هذه الأموال التى أرادت أن

تستغل ، وفضلنا عليها القروض ، لأن رأس المال الأجنبي الذى يصل إلى الجمهورية العربية المتحدة ، إلى مصر ، يستخدم فى الإستثمار بالنسبة للصناعات الخفيفة والمتوسطة ، سيحقق كل عام أرباح ، وستصير المطالبة بتحويل هذه الأرباح إلى الخارج .

ومعنى ذلك أننا سندفع كل سنة فائدة محدودة لرأس المال تحول بالعملة الصعبة إلى الخارج ، ولهذا فنحن فى مرحلة تفضل فيها أن نأخذ القروض ، ونسددها على سبع سنوات أو عشرين سنة أو ١٢ سنة أو أكثر ، ولهذا عندما نأخذ رأس المال الأجنبي ننتهى منه بعد عشر سنوات أو أكثر .

وهناك إستثناء واحد لهذه القاعدة .. بالنسبة للصناعات التى تحتاج إلى إستمرار البحث العلمى وأساس راسخ للبحث العلمى كالأدوية مثلاً أو المبيدات الحشرية ، وهذا طبق فى السنوات الماضية فى رؤوس أموال أجنبية إستثمرت بالنسبة لشركات الأدوية .. ولكن إشتراطنا أن يكون نصف رأس المال أجنبى ، ونصف رأس المال وطنى .

والمثل الآخر ، هو بالنسبة للبتروى ، ونحن لدينا مناطق واسعة ولم نبحت فيها عن البترول أبداً ، وهذا خارج عن قدرتنا ، ولدينا اليوم شركات ١٠٠٪ رأس مال وطنى عندها ٦١ منطقة تبحث فيها عن البترول ولدينا شركات أخرى ٥٠٪ رأس مال وطنى ، وقدرتنا لا يمكن أن تحقق إمكان البحث عن البترول فى جميع أنحاء البلاد .. ولهذا فى الأيام الأخيرة ، أعطينا لرأس المال الأجنبى الحق فى الإستثمار على أن يكون شريكاً لرأس المال الوطنى ، أى رأس المال من القطاع العام .. وبهذا تكون الشركات مختلطة ٥٠٪ رأس مال أجنبى و ٥٠٪ رأس مال وطنى .

وعلى كل حال ، بالنسبة لرأس المال الأجنبى ، الذى يريد الإستثمار فى مصر ، ليس هناك قاعدة مطلقة ، ونحن نبحت كل طلب على حدة ، والطلب الذى نجد أنه يفيد التطور ، ويدخل ضمن الخطة ، ممكن أن نوافق عليه .

(المؤتمر الصحفى الدولى الثالث ١٠/١/١٩٦٣م)

إن المصالح الرأسمالية المتحركة فى الوطن ، أدركت منذ اليوم الأول ، أنها لا تستطيع أن تفرض سيطرتها على الحكم الذى وضعته الجماهير الثورية ، فى قيادة التغيير الذى بدأ مع ٢٣ يوليو ١٩٥٢م لكن الرأسمالية المتحركة ، تصورت أنها تستطيع تعزيز مواقعها الفعلية ،

وزيادة تركيز إحتكارها للثروة ، من إحساسها برغبة الثورة في توسيع قاعدة الإنتاج .

ولم تدرك هذه المصالح أن أية ثورة تستحق هذه الصفة المجيدة .. يتعين عليها أن تسأل نفسها دائماً زيادة الإنتاج لمن ؟ .. ولقد بدأت الإرادة الشعبية الثورية تجيب على هذا السؤال عملياً بالإلتجاء إلى إقامة وحدات إنتاج قوية يملكها الشعب ، نواة لقطاع عام ما لبث أن عزز نفسه بالسيطرة الكاملة على المال ممثلاً في البنوك وشركات التأمين والتجارة الخارجية التى جرى تأميمها ونقلها إلى الملكية العامة ، ثم إتباعها بقرارات يوليو الاشتراكية سنة ١٩٦١م التى ضمنت الملكية العامة للجزء الأكبر من وسائل الإنتاج خصوصاً فى المجال الصناعى ثم رسمت الحدود الواضحة للملكية العامة بحيث تشمل الهياكل الرئيسية للإنتاج كالسكك الحديدية والطرق والموانىء والمطارات وطاقات القوى المحركة ووسائل النقل البرى والبحرى والجوى .. وبعد ذلك الصناعات الثقيلة والمتوسطة والتعدينية وصناعات البناء .. الجزء المؤثر من الصناعات الإستهلاكية بما لا يسمح بالإستغلال .

ولارتبط لذلك تحقيق إشراف الشعب الكامل على التجارة الخارجية وكسر أى إحتكار فى التجارة الداخلية مع فتح مجالها واسعاً فسيحاً للنشاط الخاص .

وبذلك فإن الإقطاع التقليدى ، الذى أراد أن يهرب إلى المظهر المصرى للإستغلال الرأسمالى ، قد نهاوى من جميع أركانه وتداعى ، خصوصاً بعد أن فقد سند المصالح الخارجية شريكه فى نهب ثروة الشعب وجهده .

(إفتتاح مجلس الأمة ٢٥/٣/١٩٦٤م)

جربنا وسائل الإصلاح التقليدية .. جربنا التخصير قبل التأمين . ومصرنا وكالات ، ولكن وجدنا أن فيه أموال أيضاً تتحول للخارج ، وفيه إستغلال وكان هدفنا الأساسى أن نقضى على الإستغلال ، فكان لابد لنا من أن نتجه إلى التأمين ، وأن نضع الأسس التى تمكننا من إقامة عدالة إجتماعية . إقامة مجتمع متحرر من الإستغلال السياسى والإقتصادى والإجتماعى . (العهد العاشر للثورة ٢٢/٧/١٩٦٢م)

ولقد كان هذا يحتم وجود خطة شاملة ، يجرى التطوير الإقتصادى والإجتماعى وفقها ، وعلى أساسها ، ولكن وضع خطة شاملة كان يتطلب أن تستبين الصورة كلها ، وتدرس دراسة مفصلة ، وفى الوقت نفسه بدء العمل دون تأخير .

(مؤتمر الاتحاد القومى ١٩٦٠/٧/٩ م)

وليس التخطيط هو وضع كشف للأمان والأحلام .. ومثل هذا التخطيط ضياع من الأوهام لا يصل إلى غير الفشل .. وأما التخطيط الناجح .. التخطيط العلمى فهو بمثابة التصميم الأصلى لبناء على إتساع رقعة وطن بأكمله ، البناء الإقتصادى والإجتماعى والثقافى .. يقوم على حساب دقيق لإحتياجات المستقبل ، وعلى حساب دقيق لتعبئة الموارد ، وعلى حساب دقيق لتحقيق المراحل بعد مرحلة .. كما يركز كل طابق على ما تحته وتقوم الطوابق كلها على أساس متين .
(العيد العاشر للعلم ١٩٦٤/١٢/١٤ م)

الخطة الإنتاجية لا يمكن بأى حال من الأحوال أن تقوم بها الدولة فقط ، ولكن يجب أن تكون على جميع المستويات ، فى جميع أنحاء الجمهورية ، وأنه حينما تقوم الدولة بخطة عاجلة للإنتاج فإن على كل مؤسسة ومصنع وشركة ، أن تقوم بدورها بعمل خطة تناسب محيطها وعملها . وبهذا تكون هناك خطط صغيرة متكاملة إلى جانب الخطة العامة الكبرى التى تقوم بها الدولة وتعمل على تنفيذها ، وتدعو الشعب إلى أن يتكاتف . وإلى أن يضعها موضع التحقيق .
(خطاب بلحوان ١٩٥٩/٧/١٤ م)

لم تكن مبادرة الجيش فى ٢٣ يولو ١٩٥٢ إلى التدخل ، إلا تعبيراً عن هذا الغليان ، ولقد كان تدخل الجيش يوم ٢٣ يوليو ، بمثابة فتح الباب أمام العمل الثورى . ولقد كان تصورى الشخصى كواحد من الذين إشتراكوا فى أحداث ٢٣ يوليو ، أن الشعب متحفز إلى ثورة ، وأن العقبة الوحيدة ، هى أن القلة الحاكمة ، سواء فى ذلك الإستعمار أو القصر أو الأحزاب أو الرجعية ، تهرب جموع الشعب لسيطرتها على الجيش وسلطتها فى إصدار الأمر إليه بقمع كل ثورة يختلج بها الكيان الشعبى .

وكانت خطة ٢٣ يوليو ببساطة ، تنجبه فى عملها إلى مجرد أن يعلن الجيش موقفه بوضوح فى الصراع الذى يمزق الوطن ..
(مؤتمر الاتحاد القومى ١٩٦٠/٧/٩ م)

كان عندنا إستعمار بريطانى .. كان عندنا ٨٠ ألف عسكري إنجليزى .
كنا واقعين تحت سيطرة الملكية الرجعية .. كان الإقطاع يتحكم ورأس المال المستغل ، كان يسيطر ويحكم .. الإحتكار كان يسيطر .
كل هذه أوضاع قبل ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ م .
(خطاب فى ١٩٦٢/٩/٢٤ م)

ملحق (٢)

التشريعات المتصلة بنشاط الإسكان في الفترة من عام ١٩٥٢م إلى عام ١٩٨٠م

أولاً : في مجال التعمير والتخطيط والتقسيم :

- ١ - القانون رقم ٥٢ لسنة ١٩٤٠م في شأن تقسيم الأراضي المعدة للبناء (معدل بالقانون رقم ٢ لسنة ١٩٥١م) .
- ٢ - القانون رقم ٢٨ لسنة ١٩٤٩م باجازه تحديد مناطق صناعية في المدن ومجاورتها .
- ٣ - المواد من ١٠ - ١٥ من القانون رقم ٢٠٦ لسنة ١٩٥١م في شأن المساكن الشعبية .
- ٤ - القانون رقم ٧١٢ لسنة ١٩٥٤م في شأن حظر إقامة مباني أو منشآت في الأماكن المجاورة للمصانع الحربية .
- ٥ - القانون رقم ٢٧ لسنة ١٩٥٦م في شأن نزع ملكية الأحياء لإعادة تخطيطها وتعميرها .
- ٦ - القانون رقم ١ والقانون رقم ٢ لسنة ١٩٧٣م في شأن المنشآت والمناطق السياحية .
- ٧ - القانون رقم ٦٢ لسنة ١٩٧٤م في شأن بعض الأحكام الخاصة بالتعمير .
- ٨ - القانون رقم ٥٩ لسنة ١٩٧٩م في شأن إنشاء المجتمعات العمرانية الجديدة .

ثانياً : في مجال الهدم والبناء :

- ١ - القانون رقم ٦٣ لسنة ١٩٤٨م في شأن تنظيم المباني .

- ٢ - القانون رقم ٣٤٤ لسنة ١٩٥٦م فى شأن تنظيم وتوجيه أعمال البناء والهدم .
- ٣ - القانون رقم ٦٠٥ لسنة ١٩٥٤م فى شأن المنشآت الآيلة للسقوط .
- ٤ - القانون رقم ١٥٦ لسنة ١٩٥٤م فى شأن تنظيم المباني (الذى ألغى القانون رقم ٩٣ لسنة ١٩٤٨م .
- ٥ - القانون رقم ١٧٨ لسنة ١٩٦١م فى شأن تنظيم هدم المباني .
- ٦ - القانون رقم ٤٥ لسنة ١٩٦٢م فى شأن تنظيم المباني (الذى ألغى القانون رقم ٦٥٦ لسنة ١٩٥٤م .
- ٧ - القانون رقم ٦ لسنة ١٩٦٤م فى بشأن أسس تصميم وبشروط تنفيذ الأعمال الإنشائية وأعمال البناء .
- ٨ - القانون رقم ٥٥ لسنة ١٩٦٤م بشأن تنظيم وتوجيه أعمال البناء .
- ٩ - القانون رقم ١ لسنة ١٩٦٦م فى شأن ترميم وصيانة وتعليق المباني .
- ١٠ - القانون رقم ٢٥٩ لسنة ١٩٥٦م المعدل بالقانون رقم ٣٢ لسنة ١٩٥٨م بإعفاء المباني المخالفة .
- ١١ - القانون رقم ٢٩ لسنة ١٩٦٦م بإعفاء المباني المخالفة التى أقيمت بعد العمل بالقانون رقم ٢٥٩ لسنة ١٩٥٦م .
- ١٢ - الباب الثانى من القانون رقم ٥٢ لسنة ١٩٦٩م فى شأن إيجار الأماكن وتنظيم العلاقة بين المؤجرين والمستأجرين (الذى حل محل القانون رقم ٦٠٥ لسنة ١٩٥٤م) .

١٣ - القانون رقم ١٠٦ لسنة ١٩٧٦م فى شأن تنظيم وتوجيه أعمال البناء (الذى أُلغى كلا من القانون رقم ٤٥ لسنة ١٩٦٢م ، والقانون رقم ٥٥ لسنة ١٩٦٤م) .

١٤ - الباب الثانى من القانون رقم ٤٩ لسنة ١٩٧٧م فى شأن تأجير وبيع الأماكن وتنظيم العلاقة بين المؤجرين والمستأجرين فى شأن هدم المباني غير السكنية لإعادة بنائها وفى المنشآت الآيلة للسقوط والترميم والصيانة (الذى حل محل القانون رقم ٥٢ لسنة ١٩٦٩م) .

١٥ - مجموعة القوانين المقيدة للبناء ومن أهمها قانون الزراعة الصادر عام ١٩٦٣م المعدل بالقانون رقم ٥٩ لسنة ١٩٧٣م ورقم ٥٩ لسنة ١٩٧٨م وكذا قانون الآثار رقم ٢١٥ لسنة ١٩٥١م والتشريعات الخاصة بالمناطق الشاطئية والمطارات وقانون الطرق العامة رقم ٨٤ لسنة ١٩٦٨م الذى يفرض قيوداً على الأراضى الواقعة على جانبي الطرق العامة .

١٦ - القانون رقم ١٣٥ لسنة ١٩٨١م فى شأن المباني العامة .

ثالثاً : فى مجال الإسكان :

١ - القانون رقم ٢٠٦ لسنة ١٩٥١م الخاص بالمساكن الشعبية (المعدل بالقانون رقم ٢١٣ لسنة ١٩٥٤م ، والقانون رقم ٣٠ لسنة ١٩٦٠م) .

٢ - القانون رقم ١٢٩ لسنة ١٩٥١م بشأن قطع المياه الرئيسية عن الأماكن المؤجرة .

٣ - القانون رقم ٣١٧ لسنة ١٩٥٦م بأحكام قانون الجمعيات التعاونية .

٤ - القانون رقم ٨٠ لسنة ١٩٥٧م بشأن الإشراف على المساكن الشعبية .

- ٥ - القانون رقم ٢٣٠ لسنة ١٩٥٩م فى شأن إقراض الجمعيات التعاونية لبناء المساكن .
- ٦ - القانون رقم ١٠٩ لسنة ١٩٧٥م فى شأن التعاون الإستهلاكى الذى يسرى على الجمعيات التعاونية لبناء المساكن (الغى بالقانون رقم ١٤ لسنة ١٩٨١م بإصدار قانون التعاون الإسكانى) .
- ٧ - القانون رقم ٦٨ لسنة ١٩٧٠م فى شأن الحراس الخصوصيين .
- ٨ - القانون رقم ١٠٧ لسنة ١٩٧٦م فى شأن صندوق تمويل مشروعات الإسكان الإقتصادى .
- ٩ - القانون رقم ١٤ لسنة ١٩٨١م بإصدار قانون التعاون الإسكانى .

رابعاً : فى مجال تشريعات إيجار الأماكن :

- ١ - القانون رقم ١٢١ لسنة ١٩٤٧م فى شأن إيجار الأماكن وتنظيم العلاقة بين المؤجرين والمستأجرين وقد وردت عليه التعديلات التالية حسب ترتيب صدورها .
- ٢ - القانون رقم ٧١ لسنة ١٩٤٩م بإضافة فقرة إلى المادة الثانية فقرة (هـ) بوضع حد لإستعمال حق المالك فى هدم الأماكن المؤجرة بقصد إستعمالها لنور التعليم الحرة أو الحكومية .
- ٣ - القانون رقم ٧٨ لسنة ١٩٤٩م بشأن العقوبة الجنائية التى توقع على المؤجر لمخالفة بعض أحكام القانون ١٢١ لسنة ١٩٤٧م .
- ٤ - المرسوم بقانون رقم ١٩٩ لسنة ١٩٥٢م بشأن تخفيض أجور الأماكن التى أنشئت منذ أول يناير سنة ١٩٤٤م بنسبة ١٥٪ .
- ٥ - القانون رقم ٦٥٧ لسنة ١٩٥٣م فى شأن الأجازة لناظر الوقف فى طلب الإخلاء إذا تنازل المستأجر عن الإيجار أو أجر المكان كله أو بعضه من الباطن .
- ٦ - القانون رقم ٥٦٤ لسنة ١٩٥٥م بشأن عدم مريان أحكام القانون رقم ١٢١ لسنة ١٩٤٧م على المساكن الملحقة بالمرافق والمنشآت الحكومية المخصصة لسكنى موظفى هذه المرافق وعمالها .

- ٧ - القانون رقم ٣٥٣ لسنة ١٩٥٦م بشأن وجوب موافقة اللجنة المشار إليها في القانون رقم ٣٤٤ لسنة ١٩٥٦م لإمكان إخلاء المكان بسبب هدمه وإعادة بنائه .
- ٨ - القانون رقم ٥٥ لسنة ١٩٥٨م بشأن تخفيض أجور الأماكن المنشأة منذ ١٨ سبتمبر سنة ١٩٥٢م بنسبة ٢٠٪ ابتداء من الأجرة المستحقة عن شهر يوليو سنة ١٩٥٨م .
- ٩ - القانون رقم ١٩٦٨ لسنة ١٩٦١م بشأن تخفيض أجور الأماكن التي أنشئت بعد العمل بالقانون رقم ٥٥ لسنة ١٩٥٨م بنسبة ٢٠٪ وذلك ابتداء من الأجرة المستحقة عن الشهر التالي لتاريخ العمل بهذا القانون .
- ١٠ - القانون رقم ١٦٩ لسنة ١٩٦١م بشأن الإعفاء من الضريبة العقارية لبعض العقارات وتخفيض أجور هذه العقارات بمقدار هذا الإعفاء .
- ١١ - القانون رقم ١٢ لسنة ١٩٦٢م بتجريم خلو الرجل .
- ١٢ - القانون رقم ١٥٧ لسنة ١٩٦٢م بتعديل نطاق سريان القانون رقم ٢١ لسنة ١٩٤٧م .
- ١٣ - القانون رقم ٧ لسنة ١٩٦٥م في شأن تخفيض إيجار بعض الأماكن .
- ١٤ - القانون رقم ٢٤ لسنة ١٩٦٥م الذي ألغى حق المؤجر في طلب الإخلاء لحالة الضرورة أو الهدم لقصد إعادة البناء .
- ١٥ - القانون رقم ٣٦ لسنة ١٩٦٦م بتعديل الفقرة الأولى من المادة الثانية من القانون رقم ١٢١ لسنة ١٩٤٧م المتعلقة بتقييد الإخلاء بسبب التأخر في سداد الأجرة .
- ١٦ - القانون رقم ٤٦ لسنة ١٩٦٢م بتحديد إيجار الأماكن (المعدل بالقانون رقم ١٣٣ لسنة ١٩٦٣م) .
- ١٧ - القانون رقم ٥٢ لسنة ١٩٦٩م في شأن إيجار الأماكن وتنظيم العلاقة بين المؤجرين والمستأجرين .
- ١٨ - أمر نائب الحاكم العسكري رقم ٤ لسنة ١٩٧٦م في شأن بعض التدابير الخاصة بتأجير الأماكن وتمليك العقارات المبنية والأرض الفضاء واستهلاك المياه وخلو الرجل .

١٩ - أمر نائب الحاكم العسكري العام رقم ٥ لسنة ١٩٧٦م بتعديل بعض أحكام أمر نائب الحاكم العسكري العام رقم ٤ لسنة ١٩٧٦م .

٢٠ - القانون رقم ٤٩ لسنة ١٩٧٧م فى شأن تأجير وبيع الأماكن وتنظيم العلاقة بين المؤجر والمستأجر .

٢١ - القانون رقم ١٣٦ لسنة ١٩٨١م فى شأن بعض الأحكام الخاصة بتأجير وبيع الأماكن وتنظيم العلاقة بين المؤجر والمستأجر .

خامساً : فى مجال المرافق :

١ - القانون رقم ٣٥ لسنة ١٩٤٦م بشأن صرف المياه للمحال العمومية والصناعية فى المجارى العمومية .

٢ - القانون رقم ٩٦ لسنة ١٩٥٠م الخاص بصرف مياه المباني والمواد المتخلقة فى المجارى العامة .

٣ - القانون رقم ١٩٦ لسنة ١٩٥٣م فى شأن صرف مياه المحال العمومية والتجارية والصناعية فى مجارى المياه .

٤ - القانون رقم ٩٣ لسنة ١٩٦٢م فى شأن صرف المتخلفات السائلة (إلغاء القوانين رقم ٣٥ لسنة ١٩٤٦م ورقم ٩٦ لسنة ١٩٥٠م ورقم ١٩٦ لسنة ١٩٥٣م المشار إليها) .

٥ - القانون رقم ٦٣ لسنة ١٩٧٤م فى شأن منشآت قطاع الكهرباء .

٦ - القانون رقم ٢٧ لسنة ١٩٧٨ بتنظيم الموارد العامة اللازمة للشرب والإستعمال آدمى .

سادساً : فى مجال الصحة العامة وتحسين البيئة :

١ - القانون رقم ٧٣ لسنة ١٩٤٣م بشأن الباعة المتجولين .

٢ - القانون رقم ٧٦ لسنة ١٩٤٦م والقانون رقم ١٧٧ لسنة ١٩٦٠م فى شأن التخلص من البرك والمستنقعات ومنع إحداث الحفر .

- ٣ - القانون رقم ١٥١ لسنة ١٩٤٧م بتسوير الأراضى القضاء والمحافظة على نظافتها .
- ٤ - القانون رقم ١٥٩ لسنة ١٩٥٣م فى شأن نظافة الميادين والطرق والشوارع وما إليها وتنظيم عملية جميع ونقل القمامة .
- ٥ - القانون رقم ٣٣ لسنة ١٩٥٧ فى شأن الباعة المتجولين (الغى القانون رقم ٧٣ لسنة ١٩٤٣م المشار إليه) .
- ٦ - القانون رقم ٣٨ لسنة ١٩٦٧م فى شأن النظافة العامة (وقد الغى القانون رقم ١٥١ لسنة ١٩٤٧م ورقم ١٥٩ لسنة ١٩٥٣م المشار إليهما) .
- ٧ - القانون رقم ٥٧ لسنة ١٩٧٨م فى شأن التخلص من البرك والمستنقعات ومنع إحداث الحفر .

سابعاً : فى مجال التراخيص للمحال بمختلف أنواعها :

- ١ - قرار وزير الداخلية فى ١٢ يوليو سنة ١٩٦١م ، بلامحة التيارات .
- ٢ - القانون رقم ١٣ لسنة ١٩٠٤م الخاص بالمحلات الخطرة والمقلقة للراحة والضارة بالصحة .
- ٣ - القانون رقم ٤٥٣ لسنة ١٩٥٤م فى شأن المحال الصناعية والتجارية وغيرها من المحال المقلقة للراحة والمضرة بالصحة والخطرة (الغى القانون رقم ١٣ لسنة ١٩٠٤م) .
- ٤ - القانون رقم ٣٧١ لسنة ١٩٥٦م فى شأن المحال العامة (الغى القانون رقم ٢٨ لسنة ١٩٤١م) .
- ٥ - القانون رقم ٣٧٢ لسنة ١٩٥٦م فى شأن الملاهى . (الغى قرار وزير الداخلية الصادر لسنة ١٩١١م فى شأن التيارات) .
- ٦ - قرار رئيس الجمهورية رقم ٩٩١ لسنة ١٩٦٧م فى شأن بعض الأحكام الخاصة بالأمن الصناعى والتراخيص بإقامة المحال الصناعية والتجارية والمحال العامة والملاهى .

ثامناً : فى مجال أملاك الدولة الخاصة :

- ١ - الذكريتو الصادر عام ١٩٠٢م بلامحة شروط وقيود بيع أملاك الميرى الحرة .
- ٢ - القانون رقم ١٢٧ لسنة ١٩٥٦م فى شأن الأموال المستردة .
- ٣ - القانون رقم ٧١ لسنة ١٩٦٢م فى شأن التركات الشاغرة .
- ٤ - القانون رقم ١٠٠ لسنة ١٩٦٤م بتنظيم تأجير العقارات المملوكة للدولة ملكية خاصة والصرف فيها المعدل بالقانون رقم ٣٦ لسنة ١٩٦٧م .
- ٥ - القانون رقم ١٤٣ لسنة ١٩٨١م فى شأن الأراضى الصحراوية (الذى ألقى أحكام القانون رقم ١٠٠ لسنة ١٩٦٤م فيما يتعلق بالأراضى الصحراوية .

تاسعاً : فى مجال تملك غير المصريين للأراضى والعقارات المبنية :

- ١ - القانون رقم ١٥ لسنة ١٩٦٣م بنحظر تملك الأجانب للأراضى الزراعية وما فى حكمها .
- ٢ - القانون رقم ٨١ لسنة ١٩٧٦م بتنظيم تملك غير المصريين للعقارات المبنية والأراضى الفضاء .

عاشراً : فى مجال نزع الملكية :

- ١ - القانون رقم ٥٧٧ لسنة ١٩٥٤م بشأن نزع ملكية العقارات للمنفعة العامة أو التحسين (معدل) .
- ٢ - القانون رقم ٢٢٢ لسنة ١٩٥٥م بشأن فرض مقابل تحسين على العقارات التى يطرأ عليها تحسين بسبب أعمال المنفعة العامة .

حادى عشر : فى مجال إستعمال الطرق والميادين العامة :

- ١ - المرسوم الصادر فى ٢٠ يوليو سنة ١٩٣٨م بلامحة الإعلانات .
- ٢ - القانون رقم ٧٢ لسنة ١٩٤٨م بإستعمال الطرق العامة وأشغالها .
- ٣ - القانون رقم ٦٦ لسنة ١٩٥٦م فى شأن تنظيم الإعلانات . (الذى المرسوم الصادر

سنة ١٩٣٨م بلامحة الإعلانات) .

٤ - القانون رقم ١٤٠م لسنة ١٩٥٦م فى شأن أشغال الطرق (الغى القانون رقم ٧٢ لسنة ١٩٤٨م) .

ثانى عشر : فى مجال المقاولات :

١ - القانون رقم ١٤٧ لسنة ١٩٦٢م فى شأن تنفيذ أعمال خطة التنمية الإقتصادية .

٢ - القانون رقم ١٣٩ لسنة ١٩٦٤م فى شأن بعض الأحكام الخاصة بشركات المقاولات .

٣ - قرار رئيس الجمهورية رقم ١٢٠٣ لسنة ١٩٦١م بقصر أعمال المقاولات للحكومة والمؤسسات والشركات شبه الحكومية على الشركات التى تساهم فيها الحكومة والمؤسسات بنسبة لا تقل عن ٥٠٪ من رأسمالها (الحد المسموح به للقطاع الخاص مائة ألف جنيه سنوياً) .

٤ - قرار رئيس الجمهورية رقم ٨٧٥ لسنة ١٩٦٥م بجواز إدخال الجمعيات التعاونية للإنشاء والتعمير بالمحافظات ضمن الجهات المنصوص عليها فى قرار رئيس الجمهورية رقم ١٢٠٣ لسنة ١٩٦١م .

٥ - قرار رئيس الجمهورية رقم ١٨٦٨ لسنة ١٩٧٤م بقصر أعمال المقاولات على الهيئات والمؤسسات العامة ووحدات القطاع .. (رفع حد القطاع الخاص إلى خمسمائة ألف جنيه سنوياً) .

٦ - قرار رئيس الجمهورية رقم ٩٧ لسنة ١٩٧٨م بإلغاء القرار رقم ١٨٦٨ لسنة ١٩٧٤م (الغى الحد الذى كان وارداً بالنسبة للقطاع الخاص .

٧ - القانون رقم ٧١ لسنة ٧٧ بفرض بعض الرسوم على مقاولى القطاع الخاص

الفصل الثامن
عبد الناصر والغرب



عبد الناصر والغرب

تؤكد حقائق العهد الناصري ، أن ثمة كراهية متبادلة بين عبد الناصر والغرب ، وأن هذه الكراهية ، لم يشفع لها ذلك التقارب ، بل والغزل السياسي الملحوظ عند أهل الحكم من المحيطين بعبد الناصر بعد حرب السويس ١٩٥٦ م ، فالغرب لم يكن يأمن جانب عبد الناصر ، والأخير كان حذراً في تعامله مع المنظومة الغربية بشقيها (الإشتراكي) و (الرأسمالي) ولكن أبعاد وملامح هذه العلاقة ، نعقد الفصل الحالي لها ، وذلك عبر المحاور التالية .

أولاً : المدركات الناصرية للسياسة الخارجية مع الغرب . .

ثانياً : رؤية عميل أمريكي لشخصية عبد الناصر .

ثالثاً : عبد الناصر والأحلاف الغربية في المنطقة .

رابعاً : رؤية الأصوليين والإسلاميين للبيئة الدولية وموقف عبد الناصر منها .

خامساً : قضايا التجسس لصالح الغرب : قضية مصطفى أمين (نموذجاً) .

وبتفصيل ما سبقي يتبين الآتي :-

أولاً : المدركات الناصرية للسياسة الخارجية مع الغرب :

كانت المدركات الخاصة بالموقف من الغرب (وبخاصة الولايات المتحدة الأمريكية) غير واضحة أو محددة بشكل كاف لدى عبد الناصر قبل حرب السويس ١٩٥٦ م تحديداً واستمرت كذلك حتى أعلن (الميثاق الوطني) الذي يعد النظرية السياسية الناصرية الوحيدة التي تخلقت عن (جمال عبد الناصر) ، وذلك على إعتبار أن (فلسفة الثورة) و (بيان ٣٠ مارس) لا يرقيا إلى مستوى النظرية مع أهميتها بالطبع .

لذا ، فإننا سوف نتناول هذه المدركات النظرية تجاه الغرب من خلال ما قدمه الميثاق في مجال السياسة الخارجية ولكن لنحدد نقطة هامة مثاراً لجدل دائم بين السياسيين والمثقفين في مصر والعالم العربي . وهي علاقة (الضباط الأحرار) وخاصة عبد الناصر بالولايات المتحدة قبل الثورة إنما يمكن أن نؤكد مطمئنين الآتي :



في حفل استقبال بالهند في اكتوبر عام ١٩٦٦ وقد فوجيء بتأثر بالغ للسيدة أنديرا غاندى لم تستطع
أن تكتمه فراحت تداريه يديها

١ - أن جمال عبد الناصر وجد في إتصالات الضباط الأحرار في المخابرات برجال المخابرات الأمريكية ، ما يؤهله لمعرفة حقيقة الكثير مما تريده الحكومة الأمريكية ، وما تستطيع أن تقدمه في المقابل .

٢ - أنه خشي تدخل القوات البريطانية لإجهاض حركة الجيش ، فوجد أن ما يطلبه من الولايات المتحدة هو أن تمنع هذا التدخل ، ومن ثم قبل الإتصال بها دون أن ينصور أنه يمكن أن يدفع الثمن .

٣ - أنه أحس بأهمية ونفوذ (كرميت روزفلت) أحد عملاء المخابرات الأمريكية في المنطقة آنذاك بإعتباره مستشاراً للرئيس الأمريكى ، ومن ثم أحس أن الإتصال به لن يضر إذا لم يفد .. وأغلب الظن أن لم يعرف في ذلك الوقت حقيقة إرتباطه بالمخابرات المركزية .

٤ - واضح أن تعيمات جمال عبد الناصر إلى ضباطه الذين قاموا بالإتصالات نفذت بدقة إلى حد أن كرميت روزفلت لم يعرف - حتى بعد نجاح الثورة من الرئيس المدبر لها ؟

٥ - إن كرميت روزفلت الذى فشل في تغيير نظام الحكم ، بإنقلاب سلمى يقوم به الملك ، وبعض رجاله ، وجد أن قوة شابه في الجيش على وشك أن تتحرك حركة بدنية عتيقة ، سواء دعمها أو تجاهلها ، فسعى إليها حتى إذا ما أصبحت في السلطة ، وجد الأبواب أمامه مفتوحة ووفقاً لقول الكاتب الصحفى الساخر عادل حموده (إن هذه عادة الأمريكان ولن يشتروها يزرع غيرهم الشجرة في صمت ، ويقطفون ثم الثمار في صخب .

(عادل حموده : عبد الناصر والحروب الخفية مع المخابرات الأمريكية الدار العربية القاهرة - ١٩٨٩ ص ١٢٤) .

تملك هي الحقيقة باختصار دون دخول في أوهام (جلال كشل) وروايات هيكل وأحمد حمروش وصلاح الشاهد وغيرهم والآن ماذا عن المدركات الناصرية تجاه الغرب كما أوردها الميثاق : بداية يقول الميثاق ، (إن السياسة الخارجية لشعب الجمهورية العربية المتحدة ، هي انعكاس أمين وصادق لعمله الوطنى . .

إن أى سياسة خارجية لأى وطن من الأوطان لا تكون إنعكاساً أميناً وصادقاً لعمله

الوطنى ، تصبح إدعاءً يكشف نفسه بنفسه ويصبح نفاقاً وإتجاراً بالشعارات .

وان تلك هى المهزلة التى تقع فيها الحكومات الرجعية حين تحاول التضليل أن تستعير سياسة خارجية براقة لا تكون صدق للواقع الوطنى وتعبيراً عنه أن الشعوب الواعية تفضح هذه الحكومات وتقتص منها حساب الضلال الذى حاولت أن تزيفه عليها .

والسياسة الخارجية لشعب الجمهورية العربية المتحدة ، إنعكاس أمين وصادق لعمله الوطنى تمتد فى ثلاثة خطوط حضرت مجراها عميقاً ومستقيماً بنضال شعب باسل صعد لكل أنواع الضغط وإنتصر عليها .

وفى مواضع أخرى يرى الميثاق أن الخطوط الثلاثة العميقة فى السياسة الخارجية للجمهورية العربية تعبیر عن كل مبادئها الوطنية هى . الحرب ضد الإستعمار والسيطرة بكل الطاقات والوسائل ، وكشفه فى أقنعتة ، ومعاربته فى كل أفكاره ،

«والعمل من أجل السلام» لأن جو السلام وإحتمالاته هى الفرصة الوحيدة الصالحة لرعاية التقدم الوطنى .

ثم التعاون الدولى من أجل الرخاء فإن الرخاء المشترك لجميع الشعوب لم يعد قابلاً للتجزئة كما أنه أصبح فى حاجة إلى التعاون الجماعى لتوفيره .

إن شعب الجمهورية العربية المتحدة فى حربه ضد الإستعمار ضرب مثلاً حياً ما زال أسطورة فى تاريخ نضال الشعوب .

إن شعبنا كشف الإستعمار العثمانى وقاومه برغم التحايل عليه بأستار الخلافة الإسلامية .

ثم قاوم شعبنا الغزو الفرنسى حتى ارغم المغامر الذى دوخ أوروبا كلها على أن يرحل بالليل عبر البحر الأبيض إلى فرنسا .

ثم صعد لمؤتمرات الاستعمار العالمى واحتكاره الدولية التى إستعملته أسرة محمد على .

وتدافعت موجاته الثورية واحدة إثر الأخرى حتى جرفت أمامها بعد سنوات طويلة من التضحيات النبيلة كل الحواجز التى أقامها الإستعمار على أرضه لحماية وجوده ، لقد واجه شعبنا ثلاث إمبراطوريات هى الإمبراطورية العثمانية والفرنسية والبريطانية وقاوم غزوها وإنتصر عليها .

إن شعبنا دفع خلال عشرات السنين بل مئاتها غالباً لانتصاره على الإستعمار ، لكنه في النهاية حصل على النصر الذي برز أمام التاريخ كل التضحيات وشرف مقاديرها .

ويرى الميثاق في موضع آخر أنه بعد النصر الثوري العظيم صباح ٢٣ يوليو ، وفي طريق الشعب إلى التقدم الثوري ، داست الجموع المنتصرة بأقدامها بقايا العهد الملكي الدخيل ، ودكت حصون الإقطاع ، وإجشت جلور الرجعية .

لقد كانت تلك كلها هي الركائز التي ثبت الإستعمار عليها وجوده فوق أرضنا وبإنقضاها شعبنا عليها وتدميرها فإن الوجود الإستعماري فقد حلقات إتصاله بأرض الوطن الطاهرة ومن ثم كانت الخطوة الباقية هي لإرغام قواته على الرحيل وراء البحر بعد أن طوت أعلامها وابتلعت كبرياتها .

إن شعبنا بعد عشرات السنين من الاستعمار فاز بإرغام القوى العدوانية على الجلاء مرتين في عام واحد وهو عام ١٩٥٦م الفاصل في نضالنا الوطني .

إن الإستعمار الذي جلا عن أرضنا طبقاً لاتفاق تم تنفيذه في يونيو سنة ١٩٥٦م ما لبث إن عاد في أكتوبر من نفس العام متصوراً أنه قادر على إخضاع لإرادة شعبنا وإذلاله وإجباره على الركوع خضوعاً لإرادة المستعمرين وفي موضع آخر يؤكد الميثاق على أن شعبنا الذي عقيد العزم على حماية إستقلاله ، ورفض كل الحيل الإستعمارية التي حاولت أن تجره إلى مناطق النفوذ وقاد مقاومة هائلة في الشرق الأوسط كله ضد حلف بغداد حتى أسقط ، لم يتردد في مواجهة العدوان المسلح الثلاثي الذي أقدمت عليه إئتتان من دول العالم الكبرى زحفت عليه من القاعدة الإستعمارية التي خلقتها المؤامرات الرامية إلى إرهاب الأمة العربية وتغزيقها وهي إسرائيل .

إن الإستعمار في معركة السويس كشف نفسه وكشف قواعده وكشف أعوانه

إن الإستعمار انقض على شعب مصر بالسلاح لأن الشعب المصري حاول أن يحقق إستقلاله ويبنى تقدمه من أحد موارده الوطنية الذي طال إستغلال الإستعمار له وإحتكاره لكل عائد وقيمه .

إن الشعب المصري بإسترداد قناة السويس ضرب الإستعمار إحتكاراته في الصميم .

وأثبت صلاحته بتحملة العبء لثببات إصراره - إلى حد قبول المعركة المسلحة في وجه قوى زاحطة جمرارة .

إن الشعب المصري بشيأته الرائع وبقتاله المرير ضد الغزو استطاع أن يبرز الضمير العالمي ويحركه بصورة لم يسبق لها مثيل في التطور الدولي .

ولقد كان التحول الرائع في المعركة نقطة فاصلة في حركات التحرير إن الشعب المناضل الذي كان يواجه الطغاة الكبار وحده . لم يمد وحيداً . وإنما انقلب الموقف رأساً على عقب نتيجة للمقاومة الوطنية الباسلة .

إن الذين تجمعوا ضد شعبنا ليعزلوه وجعلوا أنفسهم في عزلة عن الدنيا كلها ، بينما وقفت شعوب العالم كلها مع شعبنا تشد أزره وتلوح له بأيديها تحية وتضامناً معه .

إن الهزيمة المريرة التي منى بها الإستعمار في حرب السويس ، أنهت عصر المغامرات الإستعمارية المسلحة .

إن نهاية هذا العهد البغيض بالنسبة لكل شعوب العالم تحققت بفضل نضال شعبنا .

إن الإستعمار الذي ما زال متمسكاً بأهدافه غير أسلوبه .

إن شعبنا كان بالمحصاة لكل محاولات التنكر والتخفى وواصل مطاردته لها وتجميع قوى الشعوب ضدها .

إن إصرار شعبنا على محاربة الأحلاف العسكرية التي تريد أن تجر الشعوب رغم إرادتها إلى ذلك الإستعمار كان صوتاً عالياً بالحق وإرتفع في جميع المجالات منها ومحذراً ويقول عبد الناصر وميثاق في موضع آخر إن إصرار شعبنا على تصفية العدوان الإسرائيلي على جزء من الوطن الفلسطيني ، وهو تصمي على تصفية جيب من أخطر جيوب المقاومة الإستعمارية ضد نضال شعوب ، وليس تعقب سياستنا للتسلسل الإسرائيلي في أفريقيا غير محاولة لحصر انتشار سرطان إستعماري مدمر .

إن إصرار شعبنا على مقاومة التمييز العنصري هو إدراك سليم للمغزى الحقيقي لسياسة التمييز العنصري ، إن الإستعمار في واقع أمره هو سيطرة تتعرض لها الشعوب من الأجنبي ، بمقصد تمكنه من إستغلال ثرواته وجهده . وليس التمييز العنصري إلا لونا من ألوان إستغلال

ثروات الشعوب وجهدها ، فإن التمييز بين الناس على أساس اللون هو تمهيد للتفرقة بين قيمة جهودهم ، إن الرق كان الصورة الأولى من صور الإستعمار والذين ما زالوا يباشرون أساليبه يرتكبون جريمة لا يقتصر أثرها على ضحاياهم وإنما يلحقون الأذى بالضمير الإنسانى كله وبما أحرزه من إنتصارات .

وفى موقع آخر يؤكد الميثاق على (أن شعبنا لم يدخر جهداً فى سعيه نحو السلام . إن السعى نحو السلام قاد خطى شعبنا إلى مراكز دولية أصبحت لها الآن من قوة الإشعاع ما يضىء الطريق نحو السلام .

إن شعبنا الذى ساهم بكل إخلاص فى أعمال مؤتمر باندونج وإنجاحه والذى شارك فى أعمال الأمم المتحدة وحاول عن طريق هذه الأداة الدولية العظيمة دفع الخطر عن السلام أثبت الشجاعة فى الإيمان بالسلام .

لقد تكلم من باندونج مع غيره من دول آسيا وأفريقيا ، نفس اللغة التى تكلم بها أمام كبار الأقوياء فى الأمم المتحدة .

إن شعبنا فى دعوته إلى السلام وفى عمله لتوطيد إحتلاته إشتراك مع الجميع ، وواجه الجميع بقوة التعبير الحر .

إن شعبنا الذى شارك فى الجهود الإنسانية العظيمة المكرسة لتحريم التجارب الذرية ، وشارك إيجابياً فى العمل من أجل نزع السلاح إنما كان يصدر عن إيمان مطلق بالسلام .. لأنه يؤمن إيماناً مطلقاً بالحياة .

إن شعبنا يعرف قيمة الحياة لأنه يحاول بناءها على أرضه .

إن صدق دعوته للسلام ينبع من السلاح إليه .

إن السلام هو الضمان الأكيد لقدرته على الإستمرار فى معركته المقدسة . من أجل التطوير .

إن العمل من أجل السلام هو الذى سلح شعبنا بشعاع عدم الإنحياز والحياد الإيجابى .

إن إرتفاع هذا الشعار البرم على شعارات كثيرة من العالم هو تحية عظيمة لإخلاص شعبنا فى خدمة السلام ، إن الدعوة الأولى لأول مؤتمر للدول عدم الإنحياز هذه الدعوة التى صدرت

من القاهرة ولقيت إستجابته رائعة لدى الكثير من الشعوب ، كانت في نفس الوقت تقديراً إنسانياً للمنهج الذي سلكناه في خدمة السلام بعد إيماننا به وإخلاصنا له .

بل إن الذين يحاولون اليوم إستغلال شعار عدم الإنحياز والحياد الإيجابي ليستروا به أمام شعوبهم إنحيازهم إلى معسكرات الحرب والإستعمار إنما يقدمون إطرأ غير مباشر لشعبه الذي كان رائداً في رفع هذا الشعار عن إيمان وفي النضال من أجله عن حاجة حقيقة إليه نابعه من صميم كفاحه لإحراز التقدم وفي موقع آخر يؤكد عبد الناصر في الميثاق على أن التعاون الدولي من أجل الرخاء المشترك لشعوب العالم هو إمتداد طبيعي للحرب ضد الإستعمار .. ضد الإستغلال .

وهو إستطراد منطقي للعمل من أجل السلام لتوفير الجو الأمثل للتطوير .

إن التعاون الدولي من أجل الرخاء يصل بالسياسة الخارجية للجمهورية العربية إلى الهدف النهائي الذي تسعى إليها سياستها الخارجية إنعكاساً لنضالها الوطني .

إن شعبنا يمد يده لجميع الشعوب والأمم العاملة من أجل السلام العالمي والرخاء الإنساني . إن المعارك الدولية التي خاضها شعبنا إنما كانت معارك دفاعية خاضها قتالاً عن حقوقه المشروعة وحقوق الأمة العربية التي يشعر بإنتمائه الحيوي إليها إنتهاء الجزء إلى الكل .

ولقد رفع شعبنا حتى في أحلك ظروف المعارك القاسية التي أرغم على خوضها شعاره الخالد (السلام لا الإستسلام) إيمانه واضحاً إلى أنه يقبل التعاون الدولي ولكنه يقاوم السيطرة ..

إن شعبنا يؤمن أن الرخاء لا يتجزأ وإن التعاون الدولي من أجل الرخاء هو أقوى ضمانات السلام العالمي .

ومن وجهة نظر عبد الناصر في الميثاق أيضاً أن السلام لا يمكن أن يستقر في عالم تتفاوت فيه مستويات الشعوب تفاوتاً مخيفاً ، إن السلام لا يمكن أن يستقر على حافة الهوة السحيقة التي تفصل بين الأمم المتقدمة والأمم التي فرض عليها التخلف .

إن الصدام المحقق بين التخلف والتقدم هو الخطر الثاني الذي يهدد السلام العالمي بعد الخطر الأول الذي يكمن في نشوب حرب ذرية مفاجئة .



في مكتبه يستقبل الشيخ محمد برهان الدين صاحب سلطان البهرة الإسلامية ناخذ

إن التعاون الدولى من أجل الرخاء هو الأمل الوحيد فى تطور سلمى يقارب ما بين مستويات الأمم ويزرع المحبة بينها بدلا عن سموم الكراهية .

إن التعاون الدولى من أجل الرخاء من جانب الدول المتقدمة هو التفكير الإنسانى الذى يشترك فيه المسئولون وغير المسئولين عن العصر الإستعمارى .

إن التعاون الدولى يمتد على جبهة عريضة نحاول الجمهورية العربية أن تتحرك عليها .

إنه يشمل فتح الأسرار العلمية للجميع فإن إحتكار العلم يهدد البشرية بنوع جديد من السيطرة الإستعمارية ومن رأى عبد الناصر فى الميثاق أن التعاون وكذلك هو يشمل التبشير بفكرة توجيه الدعوة إلى توجيه الذرة للسلام حتى تستطيع أن تخدم قضية التطوير وتقضى على جوانب التخلف المظلم .

كذلك هو يشمل التبشير بفكرة توجيه المبالغ الطائلة التى توجه إلى صنع الأسلحة النووية لتخدم الحياة بدلا من أن ترصد لها وتربص بها .

كذلك هو يشمل الدعوة إلى مواجهة التكتلات الاقتصادية الدولتي بحيث لا تستخدم بواسطة الأقوياء لتحطيم محاولات غيرهم من أجل التقدم .

إن شعبنا يمد نواياه المعززة بالأعمال لتحقيق التعاون الدولى عبر كل المحيطات وإلى كل الأقطار .

ويرى عبد الناصر فى ميثاقه : إذا كان شعبنا يؤمن بوحدة عربية فهو يؤمن بجامعة أفريقية ويؤمن بتضامن أسىوى أفريقى ويؤمن بتجمع من أجل السلام بضم جهود الذين ترتبط مصالحهم به ويؤمن برباط روحى وثيق يشده إلى العالم الإسلامى . ويؤمن بإنتمائه إلى الأمم المتحدة وبولائه لميثاقها الذى إستخلصته آلام الشعوب فى حربين عالميتين تخللتها فترة من الهدنة المسلحة وأخيرا يخلص الميثاق إلى (إن الإيمان بهذا كله لا يتعارض مع بعضه ولا يتصادم انما هى حلقة مسلسلة واحدة) .

ويرى أن شعبنا شعب عربى ومصيره يرتبط بوحدة مصر الأمة العربية إن شعبنا يعيش على الباب الشمالى الشرقى لأفريقيا المناضلة وهو لا يستطيع أن يعيش فى عزلة عن تطورها السياسى والإجتماعى والإقتصادى .

إن شعبنا ينتمى إلى القارتين اللتين تدور فيهما الآن أعظم معارك التحرير الوطنى وهو أبرز سمات القرن العشرين .

إن شعبنا يعتقد فى السلام كمبدأ ويعتقد فيه كضرورة حيوية ومن ثم لا يتوانى عن العمل من أجله مع جميع الذين يشاركونه نفس الاعتقاد .

إن شعبنا يعتقد فى رسالة الأديان وهو يعيش فى المنطقة التى هبطت عليها رسالات السماء .

إن شعبنا يعيش ويناضل من أجل المبادئ الإنسانية السامية التى كتبها الشعوب بدمائها فى ميثاق الأمم المتحدة ، وأن فقرات كثيرة فى هذا الميثاق قد كتبت بدماء شعبنا ودماء غيره من الشعوب .

ويؤكد عبد الناصر أخيراً على حقيقة مدركة وهامة وهى : أن شعبنا قد عقد العزم على أن يعيد صنع الحرية على أرضه بالحرية والحق ، وبالكفاية والعدل وبالهدوء والسلام .

وإن شعبنا يملك من إيمانه بالله وإيمانه بنفسه ، ما يمكنه من فرض إرادته على الحياة ليصوغها من جديد وفق أمانيه .

تلك هى أبرز ملامح رؤى ومدرجات عبد الناصر تجاه السياسة الخارجية . والغرب بوجه عام . ترى كيف نظر الغرب إلى عبد الناصر ؟ وهل كانت نظرتهم له مشابهة لنظرتهم لهم ؟ ذلك ما تجيب عليه الجزئية التالية .

ثانياً : رؤية عميل أمريكى لشخصية جمال عبد الناصر :-

والعميل هو (مايلز كوبلاند) ورؤيته مستمرة من الفصل الرابع فى كتابه الشهير لعبة الأمم والفصل معنون (بحليفنا المستقل ناصر فى الحكم) وسوف نورد هنا مقتطفات من رأى هذا العميل مع التحفظ عليها وهو التحفظ الذى سنورده تفصيلاً بعد نهاية كلامه بهمنا أن نؤكد على أن كوبلاند كان هو المساعد الإقليمى المسئول للمخابرات الأمريكية فى الشرق الأوسط مستر كيرميت وروزفلت الذراع الأيمن لألن والسن . يقول كوبلاند فى كتابه « ولم تعلم الحكومة الأمريكية بوقع انقلاب . يوليو إلا من الصحف الصادرة صباح ٢٣ يوليو (تموز) ١٩٥٢ م ، ولكن سبق هذا سيل من المعلومات التى تتدفق من

خلال تقارير وكالة المخابرات المركزية ، مُشيراً إلى أن أحداثاً ستقع في مصر بدون تحديد زمانها أو تحركاتها ، وأيدت الصحافة المصرية الانقلاب الأبيض بكلمتها ، ووقف الشعب مع رجال الثورة بدون أى أسف على الإحاطة بالملك الخليف وظهر اللواء محمد نجيب ودعياً أنيساً بقلوبه الجذاب كأنه (الأمر الناهى وإن لم يكن كذلك حقيقة كما ظهر مساعدوه من الضباط الشبان يقامتهم النحيلة وأجسامهم الرياضية على أنهم آمال الشعب وأحلامه في بناء كيان الدولة المصرية الحديثة . ولم تردد الإذاعات المصرية أياً من البلاغات المثيرة أو البيانات العنيفة التي كانت تدين الانقلابات العسكرية في سوريا وإنما إكتفت بتعريف الشعب على عزمها على تطهير الحكومة من الفساد وإقامة حكم قادر فعال ، وإصلاح الأحزاب السياسية وغير ذلك ولكن البلاغات كلها لم تنطرق البتة إلى مشكلة فلسطين أو إلى ذكر لإسرائيل ولا على الأقل بكلمة واحدة . وفقاً لرؤية كوبلاند .

وأما السفارة الأمريكية وفقاً لرؤية كوبلاند فلم تقف على تفاصيل الانقلاب إلا من فم على صبرى أحد ضباط عبد الناصر الذي أصبح فيما بعد من أشد خصوم الأمريكيين . وقد وقع الانقلاب في الساعة الثالثة ليلاً وفي ساعة متأخرة من صباح ذلك اليوم أرسل عبد الناصر السيد على صبرى للإجتماع رسمياً بالسفير كافرى وتقديم تقرير شامل له عن وقائع وأحداث ليلة الانقلاب إلى جانب تأكيد الحكومة الجديدة عن عزمها على إقامة علاقات وطيدة مع الولايات المتحدة ، وتلا ذلك تأكيد على آخر من اللواء محمد نجيب - وكان يعتبر آنذاك أب الانقلاب - أن قضية فلسطين لا تعنيه فى شيء . ولكنه سرعان ما قام بزيارة السفير كافرى بعد ساعات طالباً سحب ذلك التصريح وإستبداله بآخر (أقل) تقبلاً للرأى العام فى الولايات المتحدة ، ولكنه أكثر إنسجاماً مع المبادئ والأسس التي إتفقنا وعبد الناصر على إنها ضرورية وهامة لكسب الرأى العام المصرى . وقبول تأييده للعهد الجديد .

أما المسئولون فقد غمرتهم موجة من السرور نتيجة هذا الانقلاب وأدركوا جميعاً أن أصبح في حوزتهم على المسرح العالمى لاعب جديد من الطراز الذى بذلوا قصارى جهدهم للعثور غلهم ، وكان كل ما سيضعونه معا من السخط سيحظى بنسبة عالية من التعاون المثير وإحتيالية ضئيلة من الخلاف والشجار .

كانت التقارير والتفسيرات الأولية تشير إلى أن اللواء محمد نجيب كان رأس الثورة وعلى



في القاهرة، جولة في الإسكندرية

عبد الناصر وجوهشوف في الإسكندرية

هذا الأساس بنت الحكومة البريطانية والأمريكية علاقاتها مع العهد الجديد . ولكن سرعان ما ذاب الثلج وانتزع عبد الناصر زمام الأمور منه ولم يمض بعد أكثر من عدة شهور على الانقلاب والغريب أن كيرميت روزفلت قد إقنع عندما تأكد له عبد الناصر أنه ليس هو رأس الثورة مع أن وليم ليكلاند المسئول السياسى فى السفارة الأمريكية فى القاهرة وبعض موظفيها قد أكدوا أن اللواء نجيب لم يكن أكثر من ستار إتحذه عبد الناصر لنفسه حتى موعده ظهوره على المسرح شخصياً وزادت العلاقات قوة بين ليكلاند والضباط الأحرار عن طريق حسين هيكل الذى كان صلة الوصل بينهم ، وقد أصبح هيكل فيما بعد من أقرب المقربين لعبد الناصر فى حين لم يكن آنذا أكثر من محرر فى صحيفة سياسية يملكها مصطفى أمين أحد أصدقاء عبد الناصر . وقد هيا هيكل الجو للعديد من المقابلات بين ليكلاند ورجل السفارة الأمريكية وقادة الضباط الأحرار بما فهم عبد الناصر نفسه ، واعتاد ليكلاند أن يستقبلهم فى شقته المطلة على النيل بترحاب وإكرام زائدين .

وكانت نتيجة هذه اللقاءات أن بدأت سفارتنا فى القاهرة ترسخ علاقاتها مع عبد الناصر نفسه كرجل الدولة الحقيقى والأمر الناهى بلا منازع فى حين بقى الشعب يصفق للواء محمد نجيب ويتف له فى الشوارع والساحات . ولكن السفير كافرى لم يقطع علاقاته الرسمية باللواء نجيب وقام بزيارات تقليدية متقطعة له ناقلاً بعض الرسائل الرسمية من حكومته فى واشنطن التى لم تنطو على أكثر من مجاملات وتقاليد دبلوماسية . فى حين كانت العلاقات الحقيقية للحكومة الأمريكية مع الثورة المصرية تتم عبر الصلات الوطيدة التى نشأت بين عبد الناصر وليكلاند بفضل جهود هيكل نفسه الذى أضفى ذا دور رئيسى فيها بعد نجاحه فى الباس وجهات نظر كل من عبد الناصر والسفارة الأمريكية حلة بهية قبل نقلها إلى الطرف الآخر .

هذا وقد أمسك كيرميت روزفلت وأعضاء اللجنة الخاصة عن الإتصال المباشر بعبد الناصر بعد الانقلاب ، وقنعوا بمراقبة تطورات الأحداث فى مصر بدون الإنغماس فيها . فقد تطورت الأمور بهدوء تام حسب الخطة المرسومة لها وكان الكف عن الإتصال المباشر بعبد الناصر ضرورى لإستبعاد أى شبهة لتوطئنا مع النظام الجديد وكانت رغبة جميع المهتمين بشئون الشرق الأوسط ترك الحرية كاملة للحكومة الانقلاب لمعالجة مشاكل البلاد وحلها بطريقتها الخاصة ولم نعلم على أى مبرر للكشف عن القوى الحقيقة وراء الانقلاب وإظهار اللواء نجيب على أنه ليس أكثر من ستار ما يلبث أن يزاح ولكن لم يكتب لهذا الوضع على أن يعمر

طويلاً فما لبث أن تبدل في عام ١٩٥٣م بعد مجيء الرئيس إيزنهاور إلى البيت الأبيض وإبداء رغبته في العودة إلى ممارسة دورنا مباشرة فيما نزمع تخطيطه وإنجازه مع نظام حكم عبد الناصر وكان الدافع الأول لهذا هو إتقان دراستنا للدور هذا اللاعب الجديد في مسرحياتنا والتأكد من تحركاته وفق توقعاتنا وكان الدافع الثاني ضمان حصولنا بتحركاته هذه على إستراتيجية نصر عند نشوب أول نزاع مع أعدائنا وأما ثالث الدوافع فكان الاستفادة من هذا التقارب والتفاهم لتحقيق تعاون أوسع وأعمق بيننا قدر الإمكان ومع أننا أدركنا أن مساعداتنا لعبد الناصر سوف تزي من قوة مركزه في مسرحياتنا الدولية ولكننا لم نستبعد تحول دوره فيها إلى خصم لنا ومنازع وكل ما يبقى لنا وقتئذ هو الأمل فقط في أن نفلح في موازنه خطر خصومته لنا بزيادة طاقتنا وتوطيد عزائمتنا على أن يكون سلوكنا هذا يخدم أهداف ومصالح كلا الطرفين معاً .

وبينما كان وزير الخارجية جون فوستر داليس يعزم حقايبه عشية جولة له في الشرق الأوسط في أيار (مايو) ١٩٥٣م أبلغ كيرميت روزفلت عن رغبته في الوقوف على نيات ومطالب رجال الثورة في مصر بعدما استتب لهم الحكم ودانت لهم قطوفا . وانتهى الرأي إلى قيام روزفلت بإنتقاء رجل عسكري من طراز ضباط الانقلاب وانتدابه لتلك المهمة وكان إختيار روزفلت موقفا عندما إنتزع من زوايا النسيان المستر ستيفن مد حيث كان يمضي وقته في الصين الشيوعية بمهمات كإنتقاذ العلماء الألمان المعتقلين هناك والتوسط مع قادة العشائر الكردية على الحدود السوفيتية لأغراض تجسس على الأمور الحربية ومهمات أخرى كالآتي عهدت إليه سنة ١٩٤٩م في سوريا (إنقلاب حسنى الزعيم) وسمها وقتئذ (بالعهد الحزين) فروزفلت قليل الخبرة بشئون الضباط في الجيوش العربية الناشئة ، في حين أن تاريخ إنسان ملئ بالمغامرات (ستيفن ميد) سيكون له إنطباع حسن في نفوس الضباط الأحرار وبالفعل قام (ستيفن ميد) بجمع شتات حديث تلك اللقاءات وما فيها من أفكاره مبعثرة وبدونها وإرسالها لواشنطن بشكل مذكرة قيمة للإستعانة بها كدراسة عملية لانقلابات آتية ، وكان منها ما يلي :

١ - إن قوى أى جيش (دون إستثناء) جيش الدول غير العربية التى لها أهداف غير عسكرية) تعتمد على توفر رجال إداريين من طراز رفيع على رأس قيادته ، مدركين كل الإدراك حقيقة دورهم في إصدار الأوامر وتنفيذها وحقيقة دورهم كونهم جزءاً لا يتجزأ من قيادته وتركيبه العام ويعود سبب إنتصار عبد الناصر إلى أدراكه هذه الحقيقة وسيطرة

رجالہ الإداریین الأكفاء على وحدات الجيش وقطعاته . وسواء أكان عبد الناصر وأصحابه الأوائل ثواراً بحق أو لا ، فإن بقية أتباعه من الضباط ليسوا كذلك ، وكان أتباع عبد الناصر للأساليب العسكرية في التحضير للإنتقلاب وفي إنجازه ، ضماناً لفوزه ، لسهولة المأمونة في إصدار الأوامر وتنفيذها .

٢ - وينبغي أن يكون زعيم الإنتقلاب من نفس الطبقة الإجتماعية المؤيدة له ، أو أن يكون قادراً على التظاهر بهذا حتى يتحقق من التقارب والإنسجام بينه وبين أتباعه ليشاركوه إنتصاراته ويشاطروه مشاعره . وهذا كما حدث فعلاً : فالإنتقلاب الجامع من الضباط الأحرار وعبد الناصر ، وعبد الناصر - برأيهم - لم يكن أكثر من منسق لعلاقاتهم ومنظم لتحركاتهم . وخيم نفس الشعور على علاقات الفئة الأولى من الضباط الأحرار مع الفئة الثانية وكذلك بين الأخيرة والفئة التي تلتوها ، وهكذا دواليك . وكانت هذه طريقة فنية مكنت عبد الناصر من ضبط أمور الدولة وكسب تأييد ذلك الجزء المهم سياسياً من جماهير الشعب المصري (والذي لا يتجاوز ١٠٪) وبذلك أحدث الطرق في إدارة أضخم المؤسسات الصناعية ومراقبة الأوضاع فيها .

٣ - وسيستبدل العديد من أفراد الإدارة في النظام القديم بغيرهم بغية إقامة نظام إدارة العهد الجديد على أساس من الإنضباط والنظام الدقيق وليس على أساس الولاء للأشخاص ، ويتوقع أن يتم ذلك حال إستكمال قادة الإنتقلاب سيطرتهم على أركان الدولة ، ولم يكن ولا أنصار ضباط عبد الناصر له مباشرة ، وإنما كان ذلك من خلال ولائهم لأحد أولئك الضباط الأحرار فكانوا يعرفون (برجال زكريا) أو (رجال البغدادى) وكان على عبد الناصر أن يتخلص من هذه الظاهرة الخطيرة دون إقصاء أعوانه الرئيسيين الذين كان لبعضهم دور رئيسي في نجاح إنقلابه ولكنهم أضحووا عالة عليه بعدئذ (وهذه ظاهرة مشتركة بين جميع قادة الثورات) واضطره ذلك إلى تعيينهم في مناصب شكلية . وقام بأسناد المناصب الرئيسية إلى ضباطه الموهوبين حتى يشغل عليهم كامل أوقاتهم . في حين قام بنقل من يدين لهم بالولاء الشخصي إلى مراكز أخرى . وأدرك ستيفن ميد أن هذه الظاهرة التخطيطية التي بدأت من عبد الناصر يجب إعتبارها مبدأ أساسياً يحتذى به لتثبيت دعائم حكم قادة الإنتقلابات العسكرية عامة (وهذا ما أخفق حمسى الزعيم في سوريا في تنفيذه بناء على إقتراح ستيفن ميد نفسه) .

٤ - وكان اعتقاد عبد الناصر أن الاعتماد على الجيش ، حتى يقف النظام الجديد على قدميه أمر لا بد منه في كافة أرجاء البلاد ، كما أن استرضاء كافة الأحزاب والهيئات لإظهار تأييدهم للثورة وأعرابهم عن أنها أمل الجماهير لتحقيق الإصلاح والإزدهار أمر لا يقل أهمية عن السابق . وفي حال منح هؤلاء الأفراد أى قسط من الحريات فلن يكون هذا سوى هدف لتشكيل واجهه منهم للرأى العام مهمتها تهدئة هياج الجماهير ، وتبرير كافة تصرفات الحكومة وقراراتها (وعلى أساس إقتصار مهمتهم) وعلى هذه التشكيلات رفض عبد الناصر إقتراح قبولهم أعضاء مؤسسين في مجلس الثورة) . وإتفقت آراء جميع ضباط الثورة من رؤساء ومرءوسين على أن من مهام عبد الناصر تحويل الجيش إلى مؤسسة ذات نظام دقيق وانضباط رفيع (كالتي كانوا يحملون بها قبل إلحاقهم به) . كما اتفقوا على الوقوف ضد أصحاب الفكر والاضطرابات العامة وإباحة المحرمات وتفرنج المجتمع والتحلل الجنسى وغيرها من مفسد حكم الملك فاروق التي تهدد نظامهم المدلل . أما قيام المظاهرات فقد خشى منه بعض إتباع عبد الناصر واعتبروه ظاهرة خطيرة لتحريك المشاعر وتبيجها وبالتالي فتح الطريق أمام الهيئات السرية للإستيلاء على الحكم في البلاد ومع أن عبد الناصر وقف ضد هذه الفكرة في البداية لكنه حقيقة لم يشذ عن هذا المنحى من التفكير إطلاقاً .

وفي موضع آخر من كتاب يؤكد كوبلاند أنه وفيما يخصنا نحن الأمريكيين فكل ما نطمح إليه لا يتعدى العثور على لاعب ملائم وما هو يشاركنا الجلوس إلى طاولة (لعبة الأمم) ويؤدي دوره بكل إنسجام وهدوء فعلى صعيد السياسة الداخلية لم نكن لتدخل في قرارات عبد الناصر وتصرفاته إطلاقاً ، ولم تكن تعيننا شيئاً طالما أنها لا تضع مخططات سياسته الخارجية موضعاً يتعارض مع سياستنا الخارجية ، ويعرض مصالحنا للخطر ، وليس لنا أن نوجه أى إنتقاد لعبد الناصر بخصوص طريقة توطيده لدعائم سلطته الداخلية ، وإتباعه أساليب بونايرتيه فقد كانت وجهة نظره حيال أصدقاءه الأمريكيين ترتكز دائماً على قوله المشهور : إذا كنتم تعافون وسائل للوصول إلى أهدافي فلا تملكوا في إقتراح وسائل أفضل - إننى - على الأقل أصغى إلى ما ستقولون .. ولم نفكر بإمتحان إخلاصه هذا سوى أنه لم يخطر ببالنا طرق أفضل ، ووسائل أنجح ليسلكها بدل وسائله ويستخدمها لتحصيل ما يخططه لنفسه .

وفي موضع آخر من كتابه وفي الفصل الخامس المعنون بـ (الطراز الناصرى للحكم



مع ولى برائت



مع كريشنا مورتى

ووسائل القمع) يقول كوبلاند كم طرح على ذلك السؤال عبر الستين والأيام ، ولم يتغير جوابى عليه أو يتبدل : (لنفترض جدلاً أن القدر أحاط عبد الناصر بظروف ما ، وأوصدت جميع الأبواب إلا اثنين : أما بقاؤه في السلطة ودمار البلاد أو خروجه منها ونجاة البلاد فأيهما يختار ، ولم يكن جوابى دائماً سوى : ليس لنا خيار في الجواب ففى تخيلنا لواقع أى زعيم من فئة عبد الناصر يعشق السلطة حياً في التسلط ، يتبين لنا أنه سيفعل كل ما فى وسعه للبقاء فيها ولو أدى ذلك إلى إنبهار البلاد إقتصادياً ، أو دخولها حرباً خاسرة متقطعة مع عدوتها (إسرائيل) وإذا كان الحاكم بونابرتى الطراز فإن مبررات استأثاره بالسلطة ستبقى قوية على أمد الدهر ، ولن يتزحزح قيد أنملة عن إعتقاده بأن أسوأ الكوارث والنكبات لن تفلح فى طلى صفحة ذلك التفويض الذى منحه إياه للشعب فى يوم من الأيام ولن يجرأ إنسان على تجريدته من السلطة والإطاحة به . وهذا ما حصل تماماً أثناء الحرب العربية الإسرائيلية فى عام ١٩٦٧ : فلقد كانت أسوأ كارثة عرفتها مصر فى تاريخها الطويل ، كما كانت أعظم فرصة لأعداء عبد الناصر لينقضوا فيها عليه ويطيحوا به ولكنها مرت وإنقضت وخرج منها عبد الناصر أقوى مما كان عليه فى أى يوم مضى .

وفى فصل آخر معنون بالناصرية والإرهاب يحكى كوبلاند بعض الأمور والمعلومات التى قد تكون هامة فى فهم رؤية عميل امريكى للناصرية ولعبد الناصر يقول كوبلاند أمضيت المربع الأخير من عام ١٩٥٦ م ، وأوائل عام ١٩٥٧ م ، منهمكا فى شرح أفكار ناصر أمام مجموعات عديدة من الرسميين الأمريكيين ، باسقاطهم متابعيه ومشاكله ، ومعلقاً عليها بنفس الطريقة التى كان هو نفسه يود أن تعرض شئونيه بها أمامنا . وكنت أنفق الساعات الطوال فى مكتب الوزير دالس ، أو فى مكتب وكيله هيربرت هوفر ، بغية ضم جهودنا معا فى محاولة لتحديد معالم أبعاد الردود التى كنا نتوقع أن تصدر عن ناصر ، رداً على بعض الإجراءات التى كانت الحكومة الأمريكية تنوى إتخاذها . ولم أكن أواجه أية صعوبة فى شرح سلوك ناصر عساه يكسب بعض عطفنا وينال شيئاً من تأييدنا . إلا أننى لم أنجح فى تبسيط سائر نواحي سلوكه وأخفقت فى شرح إحداها . كما أخفقت فى عدم إثارة حفيظة زملائى ورؤسائى كلما حاولت ذلك ثانية . ولقد أخبرت مرة أن أحد كبار الرسميين فى وزارة الخارجية قد التفت إلى جاره بعدما غادرت أحد تلك الإجتماعات الهامة التى كان يدعونى إليها الوزير دالس إلى تمثيل دور ناصر فى لعبة الأمم وقال له (إننى لا ألتقى بذلك الإنسان أى لى - فإنه يتكلم بالجلح وإهتمام أكثر من ناصر نفسه) وفى مناسبة أخرى التفت إلى

آلن دالس (مدير وكالة المخابرات المركزية) وقال لى إذا حاول بكباشيك أن نعشرنا فى الزاوية فلن نتأخر فى شطره نصفين) ولا أظن أن إنساناً على وجه البسيطة يفوق آلن دالس فى فهم وتطبيق أحد مبادئ التحليل السياسى القائل (ضع نفسك فى مكان الآخرين) ومع ذلك فلن يتمكن آلن نفسه من معالجة أى من مشاكل ناصر دون أن يثور وبغضب ، وذلك لأنها حقاً مصدر غيظ وإزعاج .

وفى موضع آخر يقول كوبلاند كان إقتران الناصرية بالإرهاب وتلازمها به مصدر تعب لنا وقلق أقصى مضاجعنا ، دون أن نجد سيلاً لفهمه أو تحليلاً لدافعه فالأمريكيون ينفرون من الإرهاب ويكرهون سماع أخباره متناسين أن تحركات الغرب ضد المتمردين من زعماء آسيا وأفريقيا لا تعرف غمره غاية وسيلاً ولكن ما العمل ؟ فناصر نفسه يمتدح العنف وأساليبه ويدعو لها جهراً فى داخل بلاد ناصر وأراضيه ، يسود القانون ويعم النظام ، وفى خارجها لا تجد لهذا داعياً ولا سبباً ، فإذااعة القاهرة تحض علناً على إشعال الفتن وأحداث الإضطرابات المدنية فى البلاد - كل البلاد - التى يسوسها زعماء معارضون له أو يحكمها رجال يأبون أن يكونوا مطية له ولا تجد إذاعة القاهرة أحياناً أى حرج فى توجيه الدعوات علناً لإغتيال الحكماء والرؤساء . وكانت نتيجة كل هذا وذاك إشمئزاز رجال السياسة الأمريكيين من هذه الإستفزازات ، وقلق الدبلوماسيين ورجال المخابرات من هذه الحماقات ، وأعمال الطيش والجنون .

إلا أنه لا يستبعد وجود تفكير ذكى خلف ارتكاب ناصر لأعمال العنف والإرهاب . فهو يحاول أن يظهر على أنه زعيم ولكن مضطراً لمقاومة المنشقين عنه ولاستخدام العنف للبطش بالخارجين عليه والرافضين دخوله كتلته كزعيم . فإتحادات العمال لا تملك أن تصبح قوة فعالة دون أن تتضمن (وحدة الصف) ويلتزم قاداتها (بوحدة الهدف) والمتمردون فى مثل هذه الظروف - مهما قل عددهم وضعفت قوتهم - يفسدون جهود الغالبية ، ويحبطون قوتها ضعفاً ووحدة إقترافاً . وهكذا يتصرف ناصر . فبالعنف وحده يعامل الخارجين عليه كما يعامل زعماء إتحادات العمال (فى الولايات المتحدة ، ولا أظن ذلك) المتمردين عليهم ، بل أن ناصرأ أشد بطشاً منهم وأكثر تنكيلاً . وما مرد الفارق فى الشيع الشبه إلا إلى تلك الفوارق بين المجتمعات .

ومن الصعب التسليم بأن الإرهابيين يجيدون فى العنف أكثر مما يجيده شعب وديع ألجأته

ظروفه الى تنبيه كسبيل للنجاة . وفي الوقت الذي لا يلعب الإرهابيون أى دور رئيسى حتى فى أسوأ المظاهرات التي تحدث فى أمريكا فإنهم يفوزون بنصّة الأسد منها فى البلاد « عن ناصر » وقد أطلق المشرفون على النشاط السياسى الناصرى لقب المتعممين على هذا النوع من الإرهابيين .

وفي قاموس السياسة العنصرية وفقا لكوبلاند فإن كلمة المتعصب ترمز إلى ذلك الإنسان الذى أنكر ذاته فى سبيل المبدأ الذى اعتنقه ، وكرس حياته للوصول إلى الهدف الذى يرتضاه ، مهما كانت المشاق وبلغت المصاعب وبالتعريف فإن المتعصب هو الخاسر دوما ولكنه دائما دون تعصب أو تزمت ويدفع ناصر باستمرار أمثال هؤلاء « المتعصبين » إلى خوض غمار المعارك تلو المعارك ، مهما كانت الخسائر جسيمة وخرجت عن حدها المألوف ، حتى يخبط مساعى المشفقين عنه ويقنع الخارجين عليه بالإنضباط للكتلة وبعبارة أوضح فلعبة المتعصب شبيهة جدا بلعبة التشككن أو الفرخة فلمان حال المتعصب يقول « إنتى أعلم علم اليقين أننى لن أذوق طعم النصر ، بل قد أموت ، إلا أننى لن أكون وحيدا ، فستكون معى حتما إن لم تكن قبلى .

ولاعب مثل ناصر والقول لا يزال لكوبلاند ولا يملك من الموارد إلا أقلها لن يتلکأ فى إستغلال أولئك « المتعصبين » لقد أثبت التاريخ ، مرارا وتكرارا ، أنه بهذه الطريقة دون سواها تتمكن الأقلية من فرض إرادتها على الأكثرية - مهما بلغ تعدادها وقويت حجتها .

ذلك وباختصار ومتقطعات كوبلاند وهذا العميل حسب وصف الذين شاهدوه عن قرب فإنه كان يد ومثل لاعبى كرة البيسبول الأمريكية ، العنيفة ، التى يبطن فيها اللاعبون فأنلاتهم السمكة بأكتاف صناعية تحميهم عند التصادم .. فهو طويل القامة ، عريض الصدر ، قوى الكتفين .. ضيق العينين .. لا يوحى أبداً بالصور التقليدية ، الغامضة ، والشهرة للجواسيس والعلماء فى الأفلام والروايات .

وخلال فترة وجوده فى الشرق الأوسط ، أثبت أنه يجيد التحدث باللغة العربية بلهجتها المختلفة ، وسهل له ذلك كثيراً .. فهو فى مصر يتكلم مثل المصريين ... وفى سوريا يتكلم مثل السوريين .. وفى لبنان يتكلم مثل اللبنانيين ... وهكذا ... كان يتعامل مثل ابن البلد فى دولة عربية ينزل إليها ... وفتحت أمامه الأبواب والنوافذ .. وكان نادراً ما يتعامل بخذر .

في سنة ١٩٦٩م نشر كتاب لعبة الأمم وقبل أن تبدأ العاصفة التي أثارها الكتاب ، طلب تأشيرة دخوله لمصر .. ولم يصدق نفسه وهو يحصل عليها .. ولم يصدق نفسه وهو يخرج بسهولة من مطار القاهرة ولا بد أنه أحس بالزهو والسعادة بينه وبين نفسه .. فيها هو جمال

عبد الناصر الذي بدأ ضده حملة من الدعاية السوداء في علبة الأمم لا يجرؤ على منعه من دخول مصر .. ولا بد أنه أحس أن سنارته غمزت بصيد ثمين ، وأن فرصته لكسب الأموال إضافية قد حانت .

نزل كوبلاند في فندق الهيلتون .. وذات ليلة هو عائد إلى الفندق فوجيء بشاب قوى ، يعترض طريقه ، ويصر - في إستفزاز واضح - أن يبيع له حلياً من البلاستيك الرخيص الذي يشتريه السياح .. وبدأ واضحاً أن هناك هدفاً آخر للشاب القوى غير البيع .. إلا أن تدخل بعض المارة أفسد التنفيذ .

في اليوم التالي ... في ميدان العتبة ، نفذ الهدف ، وعاد كوبلاند من جولة لم تتم في الميدان القديم إلى الفندق ، وقد إمتلأ وجهه بالجروح وجسده بالكدمات .. وكان أن فهم الرسالة وحمل حقايبه وسافر على أول طائرة تغادر القاهرة ، التي لم يعد إليها حتى وفاة جمال عبد الناصر .

يقول محمد حسنين هيكل : إن كوبلاند (شأنه شأن غيره من موظفي الوكالة لا يستطيع أن يكتب أو ينشر بغير إذن ، ومعنى ذلك أن ما كتبه نشره كان محل موافقة ومن وكالة المخابرات المركزية التي كان يهمها تلطيخ صفحة الثورة المصرية والإساءة لقائدها جمال عبد الناصر) وهذا صحيح .

فرغم حرية نشر بعض الوثائق والمذكرات في الولايات المتحدة ، فإن وكالة المخابرات المركزية تخضع كل مؤلفات موظفيها للرقابة الصارمة ، ولا تسمح بنشر المؤلفات التي لا ترضى عنها ، كما فعلت في كتاب فيكتور مارشني الذي صودر ومنع من التداول بأمر المحكمة في ١٨ إبريل (نيسان) ١٩٧٢م .. وذلك تحت بند (عدم الإضرار بمصالح الولايات المتحدة ، وعدم إفشاء أسرار الوكالة التي يمكن أن تهدد الأمن القومي) .. وإستندت المحكمة في منع الكتاب إلى أن العقد بين الوكالة ورجالها يتضمن تعهداً بعد إفشاء أية معلومات يحصلون عليها خلال عملهم إلا بإذن مسبق . ويؤكد كثير من الكتاب أن كتاب كوبلاند

من هذه العينة .

ولا نشك أيضاً في أن الكتاب تضمن وقائع حقيقية ، حدثت فعلاً .. لكن صياغتها ، كانت صياغة ميلودرامية زاعفة ، أوحى بإستنتاجات ، وخلصت إلى نتائج جارية الصواب .. تماماً .. بل وكان هدفها المصلحة وفقاً لقول هيكل أن في ملفات الحكومة المصرية في رئاسة الجمهورية ، ومجلس الوزراء ، وإدارة المخابرات العامة ، مجموعة وثائق تكفى لإدانة ما يلزم كوبلاند ولست أعرف لماذا لا تنشر كلها أو ينشر بعضها في مواجبه ما يكتبه وينشره مايلز كوبلاند ؟

في هذه الملفات خطاباً بإمضاء كوبلاند يطلب أموالاً من الحكومة المصرية ليشي، لحسابها إدارة مخابرات مقرها لندن أو جنيف يقوم على خدمتها وتأشيرات على هذه الخطابات برفض العرض لأننا لا نستطيع أن نعهد لعميل المخابرات الأمريكية بإنشاء مخابرات مصرية . وبينها خطابات بتوقيع مايلز كوبلاند يبدى فيها إستعداده لحذف وتغيير كل ما لا ترضى عنه مصر في كتابه (لعبة الأمم) - وتأشيرات عليها بعدم الرد عليه ، لأن مجرد الرد عليه يعطيه قيمة ليست له .

وبينها خطابات بتوقيع مايلز كوبلاند يشكو فيها من أجل جميع المسؤولين لا يقابلونه ، ولا يردون عليه ، بينما هو يريد أن يخدم ، ولا يطلب من مصر إلا ما يستطيع أن يعيش به ويحافظ على مستواه - وتأشيرات على هذه الخطابات بمنع دخوله إلى مصر ، وبعدم حاجتها إلى خدمته ، وبأنها ليست مسئولة لا عن معيشتة ولا عن مستوى معيشتة ، وأنه مغامر على إستعداد أن يبيع نفسه ، ومصر ليست مستعدة لأن تشتري .

ويؤكد هيكل ذلك بالفعل ففي القضية التي رفعها مصطفى أمين بعد الإفراج عنه ضد مدير المخابرات العامة الأسبق صلاح نصر .. قال هيكل أمام المحكمة التي نظرت القضية . إن كوبلاند كان موظفاً في المخابرات المركزية الأمريكية ، ثم طرد منها ، وحاول إستغلال صلاته بالعالم العربى ليفتح مكتب إستشارات في بيروت ، وفي هذه الفترة كتب إلى جمال عبد الناصر أكثر من ثلاثين خطاباً وتقريراً فحاول فيها إقناعه بإستعمال خدماته وخبراته ويطلب في مقابل ذلك مكافأة .. ولم يرد جمال عبد الناصر على واحد منها هذا هو ملف كامل بالخطابات مصطفى أمين يعترف بأن مايلز كوبلاند كان يسعى للدخول

في أعمال تجارية مع مصر .. فقد قال في خطابه الشهير إلى جمال عبد الناصر بعد إتهامه بالتجسس لحساب المخابرات المركزية :

وتعرفت في هذه الفترة أيضا بمستر مايلز كوبلاند ضابط المخابرات الأمريكي . وكان يعمل في سفارتهم بالقاهرة ، وعرفني به نائب مدير مكتب الإستعلامات الأمريكي بالقاهرة في ذلك الوقت ، وكانت علاقاتي به جيدة ، وكان يحضر إلى مكنتي ، وأحيانا إلى بيتي .. واستمرت علاقتي مع مايلز كل فترة وجوده بالقاهرة ، وبعد أن إنتقل إلى بيروت وعمل مديرا لإحدى الشركات الأمريكية هناك ولا زلت ألتقابل مع مايلز كوبلاند كما تعلمون سيادتكم في كل مرة يحضر فيها إلى القاهرة أو أتوجه فيها إلى بيروت ، وإن كانت مقابلات بيروت لم تزد عن مرتين . وكان يطلب خدمات وهي أن أتوسط لدى سيادتكم في مسائل تجارية ولم أتحديث إلى سيادتكم بخصوصها ، وهي بشأن شراء مصر لماكينات حسابات للحكومة المصرية على حساب المعونة الأمريكية . وفي بعض الأحيان يكتب إلى طالبا تحديد موعد لمقابلة سيادتكم .

من هنا شابت المصلحة والابتزاز الرخيص رؤية مستر مايلز كوبلاند ومن هنا قلنا إننا يمكن التحفظ على ما ورد بها رغم صحة بعضه ولا شك .

ثالثا : عبد الناصر والأحلاف الغربية في المنطقة :

كان عبد الناصر وفقا لمناصريه ومؤيديه معارضا لهذه الأحلاف وهي أحلاف أكتوت هذه المنطقة بنارها إذ لم تعلن منطقة في العالم من إستغلال الإستعمار لأجيال طويلة مثلما عانت الشعوب العربية على مر التاريخ ولقد أدى إحتكار القوى الأجنبية بالجمحف للثروات الطبيعية لهذه البلاد كذا إستثمار رأس المال المستغل بها إلى وقف التنمية الإقتصادية ، وإلى عرقلة نمو القوى الإنتاجية فيها ، مما أدى إلى إزدياد فقر الغالبية من الشعب أما الدول العربية التي نالت إستقلالها بعد الحرب العالمية الثانية ، فقد وقعت تحت وطأة نوع آخر من الإستعمار .. إستعمار إقتصادي عانت بسببه من الإحتكارات الأجنبية .. ولذا لم يكن غريبا أن نرى الدول العربية التي تملك مصادر بترولية ضخمة تعتمد على الدول الرأسمالية الكبرى ، التي تحكم في حقول بترولها ومصادر ثرواتها الطبيعية وكان لابد لهذه القوى الإستعمارية أن تعقد إتفاقات ومعاهدات مع بعض الدول العربية لتبرر إحتلال قواتها الأجنبية



أعلى الصورة : عبد الناصر ونهر وأونو في مؤتمر باندونج ١٩٥٥

أسفل : عبد الناصر مع ميكوتوري رئيس غينيا

لأراضيها على أنه بخروج الولايات المتحدة من الحرب العالمية الثانية كدولة عظمى إزدادت إحتكارتها بالمنطقة العربية إذ إرتفعت إستثمارتها في بعض الدول العربية عشرة أضعاف عما كانت عليه من قبل ، فقد إستطاعت الولايات المتحدة أن تطرد الإنجليز والفرنسيين المنافسين لها من الأسواق العربية ، وإستتات الإحتكارات الأمريكية للسيطرة على إقتصاديات البلاد العربية وإخضاعها لنظامها وقد إستطاعت الولايات المتحدة في ظل ما أطلقت عليه المساعدات الفنية والاقتصادية التي جاءت بها النقطة الرابعة في برنامج ترومان ، أن تفرض إتفاقات جائرة على كل من المملكة العربية السعودية والعراق والأردن وغيرها .

وبموجب هذه الإتفاقات حاولت الإحتكارات الأمريكية أن تضمن مركزاً ممتازاً لرأس مالها في الدول العربية وأن تجذب هذه الدول إليها في تحالفات سياسية وعسكرية . ولقد إتخذت منافسات الإحتكارات الأجنبية في البلاد العربية على مصادر المواد وعلى الأسواق والميادين إستثمار رأس المال طابعاً مريئاً . فحتى قيام الحرب العالمية الثانية ، كانت الإحتكارات الإنجليزية تسيطر على ٨٠,٩ في المائة من بترول الشرق الأوسط بينما كانت الإحتكارات الأمريكية لا تسيطر على أكثر من ١٢,٨ في المائة .

ولكن الموقف تغير بعد الحرب ففي عام ١٩٥٢م وصلت أسهم الولايات المتحدة في بترول الشرق الأوسط إلى ما يقرب من ٦٦٪ إقتطعت من نصيب ما كان يملكه الإنجليز .. وعلى الرغم من التناقضات التي كانت قائمة بين القوى الإستعمارية ، فقد إتفقت هذه القوى على التعاون معاً ، خوفاً من نمو تحركات التحرر الوطنية في هذه المنطقة . ومن ثم إستعانت هذه القوى في ربط دول المنطقة في كتلات وتحالفات ومعاهدات ومواثيق ، بأمل أن تستطيع أن تسحق أى حركات تحررية ، وأن تستخدم أراضيها ومصادرها البشرية لخدمة أغراضها الخاصة . وهذا ما يوضح تماماً المشروعات العديدة التي قدمها الغرب لتحقيق تكتلات سياسية - عسكرية في المنطقة على أن محاولات جذب هذه القوى الإستعمارية لدول المنطقة العربية إليها تعكس حالة التوتر التي كانت تسود بعض المحتكرين لتدعيم مراكزهم في هذه البلاد على حساب الآخرين .. وهكذا نرى إنجلترا تبذل جهوداً جبارة مثمرة لإنشاء مشروع (سوريا الكبرى) الذي كان من المفروض أن يضم سوريا ولبنان والأردن وفلسطين المحتلال (الحبيب) الذي يضم الدول سالفة الذكر مع العراق .. وكذلك حاولت بريطانيا أن تستخدم جامعة الدول العربية لتحقيق أغراضها

وتحىء الولايات المتحدة لتستخدم قوتها في تدمير هذه المشروعات البريطانية بمحاولة إنشاء
تكتل من الدول العربية ، يخدم أغراضها الخاصة بحجة الدفاع عن الشرق الأوسط .

وهكذا ظهرت على مسرح السياسة الدولية محاولة أمريكية لتنظيم ما أطلق عليه قيادة الشرق
الأوسط ثم ظهر حلف بغداد ولقد خاضت مصر بعد قيام ثورة ٢٣ يولييه عديداً من المعارك
السياسية ، بعضها منها أثار الإنتقادات والمشكلات أمام أسلوب عمل الثورة المصرية ، والبعض
الآخر كثيراً إلى إمكانات العمل للثورة المصرية خارجياً وداخلياً ومن بين هذه المعارك
السياسية ذات المزدود الإيجابي على تطور أسلوب عمل الثورة المصرية هذه المواجهة المتعارف
على تسميتها بمعركة الأحلاف الغربية ، التي حاولت القوى الإستعمارية سواء التقليدية أو
الصاعدة فيما بعد الحرب الثانية - فرضها على المنطقة العربية خدمة لأهدافها الإستراتيجية
ولمصلحتها الاقتصادية المتنامية .

وتبدأ قصة هذه المواجهة مع بروز الطابع التحلى على توجيهات ثورة يولييه داخلياً
وخارجياً ، بمعنى إندفاعها إلى نقض ثوب البعية الرغمة عليه من الإستعمار البريطانى ، مما
حد القوى الرأسمالية الغربية التي بذل محاولات عديدة لإعادة ربط مصر برابطة ما مع المعسكر
الرأسمالى الغربى تحت واجهات ومبررات عديدة ويحدثنا مايلاز كوبلاند في كتابه لعبة الأمم -
عن أن الإرادة الأمريكية والرئيس الأمريكى إيزنهاور كان يرى بصفة شخصية أن السياسة
الخارجية لبلاده لكي ترعى المصالح الأمريكية لابد أن تكون معززة بوسائل عسكرية لمواجهة
الطموح الشيوعى ، وأن الدفاع المنطقى ضدهم هو الدفاع العسكرى الذى يبدأ أولاً عن
طريق منظمة حلف شمال الأطلسى (ناتو) وتشارك فيه الدول الأوربية ، ومن ثم بإحلاف
شبيهة به في بقية أجزاء العالم (الدكتور سعد الدين إبراهيم) محرراً) ومشروع القومى لثورة
يوليو والتمركز العربى للتعدد والنسبة - ٨٤٤ ١٩٨٤ ص ١٧٠ وما بعدها .

وأما منظمة الدفاع عن الشرق الأوسط (ميدو) فكانت في رأى الرئيس الأمريكى
إيزنهاور هى أولى تلك الأحلاف الواجب تنفيذها بعد حلف الأطلسى .

وفي مارس ١٩٥٣م ، إجتمع أنتونى إيدن البريطانى وجون فروستر دالاس وزير الخارجية
الأمريكية والرئيس داويت إيزنهاور ليستبحثوا في أمور الدفاع عن الشرق الأوسط بصورة
متكاملة . وفي الوقت الذى كان يعنى ذاك الإجتماع بالنسبة للرئيس إيزنهاور ضرورة إخراج
حلف (ميدو) إلى حيز الوجود فقط كان لا يعنى بالنسبة لا يدن سوى الاحتفاظ بالقواعد

العسكرية بالشرق الأوسط ولا سيما قاعدة قناة السويس تحسباً لنشوب أى نوع من النزاع العسكرى ، من الحرب المحلية التى ربما تعمق إستخدام قاعدة قناة السويس إلى حرب عالمية ثالثة ، أو حرب بين فقراء آخرين مثل الحرب بين العرب وإسرائيل ، إلى حرب بين بريطانيا وحلفائها وبين الروس الصاعدون دولياً آنذاك . وأياً كان الخلاف بين وجهتى نظر الرئيس الأمريكى ووزيره دالاس ، وبين الوزير البريطانى فعند كان الأمر فى النهاية يعنى لدى الطرفين إيجاد رابطة محددة لجو مصر والمنطقة العربية لخدمة الأهداف الغربية عموماً فى صراعهم مع السوفيت ولم يكن الصراع مع السوفيت يمثل لدى القيادة المصرية فى ذلك الوقت أولوية من أية وجه بل كان الصراع مع الصهيونية هو الذى يحتل الأولوية المطلقة لدى الرئيس عبد الناصر فى ذلك الوقت ومن ثم لم تكن المبررات التى قدمها الأمريكيون والإنجليز ذات بال

فى إقناع الرئيس عبد الناصر لتغيير قناعاته السياسية فى هذا الصدد الأمر الذى أدى إلى وضع فكرة (الميدو) على الرف نهائياً كما يقول كوبلاند بعد محادثات دالاس وعبد الناصر فى مايو ١٩٥٣م إذا كانت هذه الخطوة التى أقدم عليها الأمريكيون - أى التخلي عن فكرة هذه المنظومة الدفاعية - قد جاءت بعد مشاورات مصرية - أمريكية فقد أثبتت الأحداث فيما بعد أن تخلى الأمريكيين عن هذه المنظومة الدفاعية المقترحة - كما تخلياً مؤقتاً إلى حيث تتاح ظروف أكثر ملائمة لإخراج هذه الفكرة إلى حيز الوجود وقد جاءت هذه الظروف المناسبة بالنسبة للغرب والأمريكيين أثناء وفى أعقاب توقيع إتفاقية الجلاء البريطانى عن مصر فى أكتوبر ١٩٥٤م .

فى هذه الاتفاقية أوضحت أن هناك إتفاقاً مصرية على عدم الإرتباط بميراث الإستعمار التقليدى أو أيأ من صورة وأشكاله الجديدة وذلك بدأت المحاولات الأمريكية لإقناع القيادة المصرية فى الدخول والإرتباط مع الغرب برابطة ما لمواجهة التغلغل الشيوعى فى المنطقة . ويشير أحمد حمروش إلى هذه المحاولات التى توقفت مع قرار الحكومة الأمريكية بمنح مصر معونة تقدر بـ ٤٠ مليون دولار كمساعدة ، وذلك فى شهر نوفمبر ١٩٥٤م - أى بعد أقل من شهر واحد من توقيع الإتفاقية وقد تركزت مثل هذه المحاولات الأمريكية فى إيفاد ضابطين من وزارة الدفاع الأمريكية بحجة التعرف على ما تحتاجه مصر من أسلحة للأمن الداخلى - إلا أن هذين الضابطين فشلا فى إقناع القيادة المصرية بالمبررات الأمريكية لربط مصر مع الغرب تحت أية واجهة عسكرية .

رؤية الحواريين الناصرين

أما عن رؤية الحواريين الناصرين فتمثلهم هنا بصلاح نصر في كتابه الهام (الحرب النفسية) فإن لهم رؤية خاصة بشأن المواجهة وأساليب الإستعمار والرجعية (خاصة الأحراف) وكيف استطاع عبد الناصر التغلب عليها ؟

يقول صلاح نصر :

في الثالث والعشرين من يوليو عام ١٩٥٢م انبثقت الثورة المصرية بعد ما يقرب من قرن من الزمان عاشتها في ظل الاستعمار وأعوانه رجعية وعملاء - مفجرة الطاقات الكامنة للشعب المصري . وبعد عامين على الأقل من قيام الثورة كانت المسألة الوطنية هي التي تمثل التحدي الأول . ولقد حاول الاستعمار البريطاني ممارسة أساليبه القديمة في المزاوغة والتسويق ولكن ما لبث أن شعر بالمواجهة الحقيقية لأول مرة . وأطلق الرئيس عبد الناصر عبارته المشهورة (على الاستعمار أن يحمل عصاه على كاهله ويرحل .. وبعد توقيع إتفاقية الجلاء في ١٩ من أكتوبر عام ١٩٥٤م كان هناك ثمة شعور دولي هام بأن الصراع الطويل الذي دام ما يقرب من ٨٠ عاماً بين الشعب المصري والاستعمار البريطاني قد آن له أن ينتهي . وحاولت الدعاية البريطانية أواخر عام ١٩٥٤م وأوائل عام ١٩٥٥م بأساليبها الماكرة التمهيد لما تسميه بالعلاقات الجديدة في الشرق الأوسط .

ولكن الموقف في الشرق الأوسط تغير في نهاية العام نفسه وتغير بذلك أساليب الدعاية الموجهة إلى شعوب المنطقة لقد أصبح هم إسرائيل منذ قيام الثورة المصرية أن ننبه إلى الخطر الذي يهدد كيانها وأمنها من جانب قيادة هذه الثورة وتزايدت مخاوفها بعد جلاء القوات البريطانية عن منطقة السويس ، وكانت هذه القوات تشكل حزام الأمن للدولة العميلة .

ويرى صلاح نصر أن تحرشات إسرائيل بالثورة المصرية بالإعتداءات المتكررة على الأراضي المصرية ، وكان الهدف الأساسي من هذه التحرشات إشعار العالم الغربي بصفة خاصة أنه لا بد من ضمان دولي جديد لكيان إسرائيل ، وفي نفس الوقت حاولت هذه الدولة التقليل من هيبة الثورة المصرية أمام الرأي العام العربي لقد كانت قيادة الثورة على وعي كامل بالأهداف الحقيقية البارزة وراء تحرشات إسرائيل وعدوانها المتكرر وكان لا بد من

مواجهة اللعبة الإسرائيلية بالحزم والتصميم ولما كانت إسرائيل وما زالت ترسانه للسلاح الغربى فى منطقة الشرق الأوسط ، فقد حاولت مصر الحصول على السلام اللازم لأمنها القومى من الغرب ، ولكن كل جهودها باءت بعدم التوفيق ورفض الغرب تقديم أى مساعدات .

فالعرب كما هو معروف لا يقدم السلاح للدول العربية إلا فى أضيق الحدود وبمساومات سياسية .

وكان لابد من الحصول على السلاح ، أن أحد المبادئ الستة الكبيرة لثورة ٢٣ من يوليو هو إقامة جيش وطنى قوى ، وبداهة لا يوجد جيش وطنى قوى بدون سلاح حديث . وكانت إسرائيل قد تمكنت من الحصول على الكثير من الأسلحة من بعض الدول الشرقية منذ عام ١٩٤٨م وما بعدها . لقد كانت ولا تزال - تسعى إلى الحصول على أى سلاح من أى مورد بصرف النظر عن حقيقته أو عقيدته.

وعقد مؤتمر باندونج الأول فى ٢٩/٣/١٩٥٥م وخرجت الثورة المصرية من نطاقها المحلى الغربى إلى آفاق رحبة لقد كانت روح باندونج تجسداً حياً للواقع النضالى لشعوب آسيا وأفريقيا التى تكافح من أجل : الإستقلال الوطنى ، والحرية السياسية ، والعدالة الإجتماعية ولقد قامت مصر بدور قيادى بارز فى الاعداد لمؤتمر باندونج حتى إعلان قراراته الشهيرة ، كما كان المؤتمر أرضاً صالحة للتعارف الوثيق بين الرئيس عبد الناصر ومعظم القادة المناضلين فى أفريقيا وآسيا .

وبعد عودة الرئيس عبد الناصر إلى القاهرة فى إبريل عام ١٩٥٥م كواحد من أبرز أبطال باندونج بات مؤكداً أن الغرب أصبح لديه الآن ما يزيد من مخاوفه إذا ما تمكن الجيش المصرى من الحصول على أسلحة حديثة ويأتى عام ١٩٥٥م مشحوناً بالعمل الثورى المصرى على نطاق الأمة العربية .

فى هذا العام بالذات - أكدت المعالم الواضحة لثورة ٢٣ يوليو بعد أن أعلنت القيادة السياسية فى القاهرة معاصرتها لحلف بغداد ، وفى هذا العام بالذات تأكدت المعالم النضالية للثورة المصرية عندما أخذت على عاتقها الوقوف بحزم ضد إتجاهات الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا فى ربط الدول العربية بالأحلاف العسكرية .

وفى هذا العام بالذات أيضا تمكنت الثورة المصرية من خوض تجربته رائدة كان لها أثرها الدولى البعيد عندما عقدت القيادة السياسية المصرية - ولأول مرة - صفقة الأسلحة التشكيلية .

كذلك فإنه فى هذا العام بالذات تكشف تماما النوايا العدوانية للإستعمار الغربى ضد ثورة ٢٣ يوليو وبدأت سلسلة الضغوط ... النفسية ، والإقتصادية والعسكرية ضد مصر ... هذه «السلسلة» الطويلة التى بدأت منذ عقد صفقة السلاح التشيكى ولما تنته حتى الآن . لقد كان تسليح الجيش المصرى فى حد ذاته - وبصرف النظر عن مصدر السلاح - وهو الذى أرق الغرب الإستعمارى - طويلاً .

إن بناء القاعدة المادية لقوة الثورة المصرية تمثلها فى جيشها الوطنى كان هو الخطر الذى حاول الإستعمار تأخيرها بكل الوسائل والأساليب . وعندما تمكنت مصر من كسر مبدأ احتكار السلاح كان ذلك سابقه خطيرة فى عرف الدبلوماسية الغربية وسياساتها العسكرية وبدأت حرب الدعاية بكل وسائلها وكل أساليب توجه ضد الثورة المصرية من كل عواصم الغرب وإسرائيل ، وكل العواصم العربية التى تدين بوجودها وإستمرار بقاها للإستعمار نفسه .

ولقد قيل يوماً أن مصر قد اشترت سلاحاً ملحداً ، وبدأ الإستعمار يكشف فجأة مدى تعاطفه مع الإسلام وهو الذى أستدل شعوبه زماناً طويلاً . وارتفعت شعارات الفرعونية ، الأطماع المصرية وأحلام ناصر وظهر تباكى إسرائيل على انهيار مبدأ توازن القوى فى الشرق الأوسط الذى لم يعد فى صالح أمن إسرائيل وقوتها العسكرية ، وقال حكام العرب الضالمون مع الإستعمار : إن الشيوعيين تمكنوا من إيجاد موضع لقدم فى الشرق الأوسط .

وبعد عام واحد من حصول الجيش المصرى على أسلحة حديثة لم يكن أمام الغرب الإستعمارى من سبيل يرتاده ضد الثورة المصرية بعد إستنفاد كل ضغوطه العائلية والنفسية إلا إستخدام الحرب المسلحة ضد مصر ولقد كانت ملحمة بناء السد العالى هى الفرصة المواتية التى إستخدمتها بريطانيا - بريطانيا وفرنسا وإسرائيل . وقصة تمويل السد من جانب الولايات المتحدة والبنك الدولى وبريطانيا معروفة ، ويتذكرها العالم أجمع كدليل واضح على فساد الدبلوماسية الغربية وضيق نظرتها وعصيتها تجاه حركات التحرر الوطنى ليس فى الشرق

الأوسط فقط ولكن في العالم أجمع .

كما رفض الغرب تقديم السلاح للجيش المصرى لبناء جيش وطنى قوى يحمى مكاسب الشعب المصرى - رفض أيضا وبعبارة المساهمة في تمويل مشروع السد العالى لبناء القاعدة الاقتصادية التى تمكن الشعب المصرى من الوصول إلى الحد الأدنى للمستوى اللائق لحياة الإنسان في النصف الثانى من القرن العشرين ، وكان الرد المصرى الثورى هو تأمين قناة السويس ليكون عائدها في خدمة تمويل السد العالى .

لقد كان التهديد للعدوان على السويس في حد ذاته من جانب بريطانيا وفرنسا وتهيئة الرأي العام العالمى لقبوله ، واستخدام أحدث أساليب الدعاية والإثارة ، وتسخير كل أجهزة الدعاية والإعلام والصحافة والأذاعات على أوسع نطاق ممكن ضد مصر كان كل هذا مادة تصلح كأساس لدراسات عديدة مستقلة تبحث في هذه الأساليب ، ومناهجها ، وطرق تخطيطها ومدى ما أحرزته من نجاح أو فشل .

كذلك فإن بسالة الشعب المصرى ومقره ومقدرة جيشه على صد العدوان المسلم وإدانة الرأي العام العالمى للعدوان قد جعلت حرب السويس ذات دلالة تاريخية بالغة الأثر . ولم تعد أساليب القهر والعدوان المسلح ، والتواطؤ تجدى في صد حركات التحرر العالمية او إنحرافها عن أهدافها الحقيقية .

لقد أذان ضمير العالم هذا العنوان ، وكان الانتصار المصرى عليه تجربة رائدة وضعها النضال المصرى في خدمة الشعوب التى تكافح من أجل إستقلالها الوطنى في : أفريقيا آسيا ، أمريكا اللاتينية وليس صدفة أن كلمة المد التحريرى في العالم كله سجلته سنوات ما بعد حرب السويس - وعبثا حاول الإستعمار التقليل من أهمية الخيبة التى أصابته في حرب السويس ، وكان لابد من تغيير مخططاته . إذا كانت الحرب المسلحة لم تقدم حلاً حاسماً فلا بأس من العودة إلى الأساليب التقليدية . وبدأت الحرب الاقتصادية لتجويد الشعب المصرى . وبدأت عمليات التشكيك على أوسع نطاق في سلامة الإقتصاد المصرى وفي قدرته على الوفاء بالتزاماته الداخلية والدولية .

وبدأت عملية عزل ثورة مصر في داخل حدودها بعيداً عن التيار التحررى الثورى الذى أشعل شرارته المتوهجة حرب السويس لتشمل كل المنطقة العربية .

وعاد الخوف الغربى التقليدى من التوغل الشيوعى فى الشرق الأوسط واصطنع الغرب مشروع إيزنهاور كبديل ماذى لخوف غير منظور فى منطقة أصبح ثابتاً ومؤكداً أن أهلها هم الذين يصنعون مستقبلها وفق إرادتها الحرة .

وكما أن حلف بغداد لم يعد أكثر من مجرد إسم فى التاريخ ، فكذلك كان مشروع إيزنهاور . وفى هذه الفترة تزايد الضغط على الشعب السورى كنوع مباشر من الضغط على الشعب المصرى ، وكان الرد العربى الحاسم ، هو قيام الجمهورية العربية المتحدة بأقليتها المصرى والسورى فى ٢٢ من فبراير وتزايد ريح إنشغال ريح الدعاية الغربية ضد الدولة ومرة أخرى تزايدة أحاديث عن إمبراطورية ناصر التى تتحكم فى ٩٠٪ من بتول الشرق الأوسط وبدأت حرب التخريب فى داخل دولة واحدة ومحاصرتها من خارجها وأقيم الإقحام الملكى الهاشمى المصطنع فى مواجهتها ولكن قامت ثورة ١٤ من يوليو فى العراق لنهزم إتحاد التيجان ولترفع إسم بغداد من فوق واجهة الحلف الذى صنع الإستعمار ورفع شعاراته نورى السعيد .. وظهر واضحاً أن المد الثورى العربى يسير فى طريق قدره .

وبصدور قرارات يولية الاشتراكية فى عام ١٩٦١ م ، وإستيعاب الثورة الوطنية لأبعادها الإجتماعية لم يعد أمام الإستعمار الغربى الممثل الشرعى للرأسمالية فى قمتها الإحتكارية إلا طريق التآمر .

وكان الانفصال فى ٢٦ من سبتمبر سنة ١٩٦١م الذى إحتفل به الإستعمار والرجعية العربية رسمياً فى شتورة فى أغسطس ١٩٦٢ م .

ولكن المد الإستعمارى الرجعى لم ينته قبل أن تثبت الثورة العربية أصالتها وعراقتها وإمتداد جذورها فى التربة العربية .

فلقد أفاق العالم على ثورة شعب اليمن ضد الطغيان الألمانى الرجعى المتخلف فى ٢٦ من سبتمبر عام ١٩٦٢ م .

وقبل أن يتمكن الإستعمار من محاصرة ثورة اليمن فى طريق التخلص منها نهائياً كانت ثورة ٢٣ يوليو المصرية عند إلتزامها واقفة إلى جانب شعب اليمن وثورته .

كذلك قضى شعب العراق على إنحرافات عبد الكريم قاسم وشعبيته فى فبراير عام ١٩٦٣م

وبرز المضمون الإجتماعى لثورة ٢٣ يوليو عندما إختارت طريق التحول الإشتراكى بإعلان الميثاق الوطنى فى ٢١ من مايو ١٩٦٢م وإقراره من جانب اللجنة التحضيرية للمؤتمر الوطنى للقوى الشعبية فى ٢٠ يونيو من نفس العام . وقال الإستعمارىين : إن الميثاق قابل للتصديق إلى كل الدول العربية ، وإن اشتراكية مصر هى إشتراكية عدوانية قابلة للإنتشار .

وإذا كان الإستعمار والرجعية فى المنطقة العربية قد جربا كل أساليب الحرب الخفية والعننية إبتداء من حملات : التشكيك ، والتسويق وعقد الأحلاف العسكرية ، وبناء كيانات إتحادية هزيلة إلى الحرب المسلحة فى السويس ، والحرب المأجورة ضد ثورة اليمن فإنهما لجأ إلى وسيلة جديدة هى الحلف الإسلامى التى يتزعمه الملك فيصل فى الدولة العربية الإسلامية ويعاينه يوزيقية فى تونس ، وشاه إيران ، ويمرّك خيوطه صانعو السياسة فى واشنطن ولندن . غير أن مصير الحلف الإسلامى حدده الشعب العربى منذ عام ١٩٥٧م عندما حاول الملك سعود بتكليف خاص من الرئيس السابق إيزنهاور أن يدعو له فى المنطقة العربية وإلى هنا تنتهى نقطة الحوار بين ماذا عن الرؤية العلمية للمساعدة (والقول لصالح نصر) .

خلف بغداد كان دالاس وزير خارجية الولايات المتحدة قد ورث مشروع اتشيسون الخاص بقيادة الدفاع عن الشرق الأوسط الذى كانت مهمته تنظيم إقليم الشرق الأوسط ضد الهجوم السوفيتى ... كان المشروع يتركز حول مصر لأسباب جغرافية ، ولوجود القاعدة البريطانية الضخمة على الجانب الغربى من قناة السويس والتى تم إنشاؤها على مدى سنوات طويلة ، وتكلفت أكثر من أربعة ملايين جنيه إسترليني ، وكانت تعد أعظم قاعدة عسكرية فى العالم ومع ذلك لم يستطع الأمريكيون إقامة قيادة الدفاع عن الشرق الأوسط حول هذه القاعدة العملاقة ، لأن المصريين لم يقبلوا ذلك بل على العكس كانوا يطالبون دائماً بجلاء البريطانيين عن القاعدة نهائياً وكذلك عن منطقة القناة حيث عسكرت القوات البريطانية عشرات السنين . (والقول لصالح نصر) .

وأولاً فى تنفيذ مشروع قيادة الدفاع عن الشرق الأوسط ضغط جفرسون كافرى سفير الولايات المتحدة فى القاهرة على بريطانيا فى فبراير سنة ١٩٥٣م لتسوية الخلاف الذى كان قائماً بينها وبين مصر حول مسألة السودان ، كما ضغط عليها فى أكتوبر سنة ١٩٥٤م للجلاء عن السويس كانت المسألة المصرية تشغل بال العالم الغربى بعد قيام ثورة ٢٣ يوليو ، فدعت واشنطن الإنجليز إلى مفاوضة الثورة مباشرة وذهب إيدن إلى واشنطن ليتفق مع إيزنهاور على

سياسة مشتركة تجاه مصر ، وكان غرضه من هذه الزيارة الضغط على مصر ، بأن يوضح لها أن هناك جبهة غربية مشتركة في سياستها نحو مصر ولكن رسالة إيزنهاور التي أرسلها إلى الحكومة المصرية في شهر مارس سنة ١٩٥٣ م ، بينت إستعداد الولايات المتحدة للعمل على تحقيق مطالب مصر الأساسية بشرط ألا يضع المصريون عراقيل أمام مشروعات الغرب الخاصة بالدفاع المشترك عن الشرق الأوسط .

ولقد أدركت القاهرة مقدماً أن هناك تبايناً في وجهات النظر بين الولايات المتحدة وبريطانيا تجاه حل المشكلة المصرية وكانت المفاوضات بين مصر ولندن قد توقفت في ٦ من مايو نتيجة لإصرار بريطانيا على الإحتفاظ بقواتها في منطقة قناة السويس ، وإصرار مصر على إجلاء هذه القوات من أراضيها . (والقول لصالح نصر) .

وكان لابد أن تتدخل الولايات المتحدة وتقوم بدور الوسيط ففي النصف الأول من مايو سنة ١٩٥٣ م ، حضر دالاس إلى القاهرة ومعه مشروع ضخم للدفاع عن الشرق الأوسط يمثل في أهميته للمنطقة ما يمثل حلف شمال الأطلسي للدفاع عن الغرب .

ولكن القاهرة إستقبلت مشروع دالاس بفتور ، كما لو كانت تعرف مضمونه قبل أن يخادر دالاس واشنطن وفسرت القاهرة المشروع بأنه خطة إستراتيجية تهدف إلى الإحتفاظ بسيطرة الأنجلو ساكسون العنصرية على الشرق الأوسط محافظة على مصالحهم البترولية في المنطقة وفشلت مهمة دالاس ، وطويت جميع مشروعات الغرب في مصر إلى حين وبعد مضي ثلاثة أيام من توقيع الجلاء بين مصر وبريطانيا في ٢١ من يوليو سنة ١٩٥٤ م بدأت مفاوضات أخرى بين الولايات المتحدة ومصر . كان الأمريكيون يظنون أنه طالما حصل الرئيس عبد الناصر على مبدأ سحب قوات البريطانية من بلاده فهم يستطيعون إقناعه للإشتراك في حلف عسكري يواجه الإتحاد السوفيتي ولقبول إرسال بعثة عسكرية أمريكية إلى مصر وهو ما لم يحدث وفقاً لصالح نصر .

وبعد وجه النظر هذه يثور سؤال : لماذا واجه عبد الناصر سياسة الأحلاف الغربية ؟ .. ثم ما هي المبررات التي لجأ إليها الرئيس .. عبد الناصر في فضح ومواجهة هذه السياسة الغربية وأدت إلى إنتصاره في هذه المعركة السياسية التي امتدت ما يقرب من عشرة أعوام إن هذا التساؤل يفترض بدوره التأمل في أقوال وخصب وتصريحات الرئيس عبد الناصر للتعرف على هذه المبررات . وبصفة عامة فقط تراوحت هذه المبررات بين نوعين . الأول

منهما ، مبررات عامة تعلقت بسياسة الأحلاف والكتل الدولية ككل ، الثاني مبررات خاصة أوضحها الرئيس عبد الناصر في معرض تفسيره وتبرره مواجهة كل مشروع على حدة وبين هذه المبررات مجمعة يمكن إيجازها كالآتي :

١ - إن سياسة الأحلاف تتعارض مع معنى الإستقلال الوطني وتعنى سيطرة الدول الكبرى على الدول الصغرى وقد أوضح ذلك الرئيس عبد الناصر بقوله - (رفضنا الدعوة إلى الأحلاف لأن أى تحالف مع الدول الكبرى يعنى السيطرة ، وطلبنا من الدول العربية التضامن تحت لواء الدفاع المشترك لأن هذه الأحلاف هي أحلاف الذئب والحمل ولا بد أن يأكل الذئب الحمل قمصر تعترف بحق الدفاع الجماعى النابع من ذات الأقليم دون إشراك الدول الكبرى ، وهذا لأن الدول الكبرى إذا اشتركت في أى ميثاق فإنها تكون صاحبة الأمر الأول فيه ، أما بقية الدول فلن تكون إلا منفذة لسياسة تمل عليها من هذه الدول وبذلك تضيع شخصية الأول الصغرى في شخصية الدول الكبرى وهو ما يمنع من التعاون السليم بين مع الدول الكبرى في مثل هذه المنظمات أو الأحلاف .

٢ - إن هذه الأحلاف تجسّد لمناطق النفوذ التى لا ترتضيها مصر لنفسها أو لغيرها من الدول العربية فإننى - والقول لعبد الناصر (لا أقوم المصالح البريطانية أو الأجنبية وإنما أحارب السيطرة وما يسمونه منطقة النفوذ فلن تقبل أن تكون منطقة نفوذ لأحد إننا نوجه كل إهتمامنا إلى البلاد العربية ونعارض إنضمام أية دولة عربية إلى أية منظمة دفاعية لا تنبثق من داخل الدول العربية وفي موضع آخر يؤكد الرئيس عبد الناصر أن سياستنا هي الوحدة ضد الأحلاف وضد السيطرة الأجنبية وضد مناطق النفوذ .. حرية كاملة لا يملأ فراغ في بلادنا إلا أبناء وطننا .

٣ - إن عقد معاهدات دفاع بين الدول الصغرى والدول الكبرى لاتخاذ مصالح الدول الصغرى بل يتعارض معها كلية فنحن إذا تحدثنا عن الدفاع والمعدات تفرق بين عقد معاهدة دفاع مع دول كبرى وبين إثبات هذا الدفاع من المنطقة نفسها ذلك لأنه إذا انبثق الدفاع من المنطقة نفسها فهو يخدم عندئذ مصالح جميع دول المنطقة دون فرض أى سيطرة من الخارج .

٤ - إن هذه المعاهدات وتلك الأحلاف هي نوع من أنواع العدوان الذى يؤدي بدوره

إلى الإحتلال والسيطرة الأجنبية وذلك على عكس بعض الآراء التى تقول إننا كدول عربية وكدول صغرى لن نستطيع مطلقاً أن نعيش فى أمان ولن نستطيع أن نتخلص من السيطرة الأجنبية لأننا لابد أن تقع تحت سيطرة أجنبية أخرى ولابد لنا من دولة كبرى تعتمد عليها لكي ثمننا كان الذين يعقلون الأحلاف والمعاهدات يشرون بهذه الفكرة وقالوا: المتناسون أن هذا الحلف وهذه المعاهدة ليست إلا نوعاً من أنواع العدوان لأن المعاهدة أو الحلف الذى ينتج عنه إحتلال وسيطرة أجنبية لا يمكن بأى حال من الأحوال التى يحمى الوطن .

رابعاً : رؤية الأصوليين الإسلاميين للبيئة الدولية وعلاقة عبد الناصر بالأحلاف الغربية :

إننا هنا فنقوم - مثلما فعلنا فى الفصول السابقة بإيراد وجهة نظر الحركة الإسلامية الراديكالية فى كل ما يتصل بعبد الناصر - إيماناً منا بأهمية ذلك وديمقراطية ذلك أيضاً ترى ماذا تقول هذه الرؤية ؟

لا خلاف الباحثين حول صحة الفرض القائلة بأن التحويلات الاجتماعية فيما يسعى بالعالم الثالث تتأثر بالظروف والتوازنات الدولية - إنما فقط فى مقدار هذا التأثير .

إن قراءة الصفحات القادمة للإسلاميين الراديكيين ستوصلنا إلى إستنتاج مؤداة تحولات السياسة الدولية قد توافقت تماماً مع ما إفترضه الدراسات الإمبريالية بشأن التحولات الاجتماعية الداخلية بعد الثروات وحتى تحولها إلى نظام سياسى .

١ - إن دور أمريكا العالمى بعد ١٩٤٥م لم يكن عائقاً أمام إنقلاب ١٩٥٢م (بشرط أن يكون هذا الإنقلاب فى إطار محدد) .

يقول أسامة حميد عندما وضعت الحرب العالمية أوزارها (١٩٤٥م) كانت الإنجازات الإشتراكية قد أسفرت عن نفسها فى أماكن كثيرة فى العالم خاصة فى بلاد آسيا الفقيرة - وفى نفس الوقت أنهى الروس عزلتهم التى فرضوها على أنفسهم بعد الثورة الشيوعية - وتوافق هذا أيضاً مع تضعيف البنيان الإقتصادى للدولتين الإستعماريتين فرنسا وبريطانيا اللتين تعرضتا للتخريب على يد الألمان .

فى هذا الجو دارت الحرب الأهلية بين الشيوعيين والوطنيين فى الصين (حتى إنتصر

الشيوعيين سنة ١٩٤٩م) كما بدأت المجازر فى دول اوروبا الشرقية ضد معارضى الإنجاهاات الشيوعية التى تسلطت على الحكم وانتعشت الحركة الشيوعية أيضا فى كوريا والهند الصينية .

وبالنسبة للشرق الأوسط - كانت الحرب الأهلية اليونانية (١٩٤٧م) حاسية فى آثارها على المنطقة - فمن أجل اليونان صدر مبدأ ترومان - الشيوعيين فى البداية وتهديدهم لآثينا نفسها وعدم قدرة بريطانيا على حماية مصالح الغرب فى وقت بدأت نذر الحرب الباردة بين أمريكا وروسيا كل ذلك اضطر بريطانيا إلى إتخاذ خطواتها المشهورة باسم التناول الإستراتيجى - حيث طلبت من أمريكا أن تتولى مصالح الغرب .

لقد كانت مصالح أمريكا (متواضعة) حتى ذلك التاريخ والقول لأنسامة حميد وإقتصرت على النفوذ الثقافى (جماعات فى القاهرة وإسطنبول) وذهب النفط السعودى ولذلك كانت خبرة أمريكا بالشرق الأوسط محدودة (بخلاف بريطانيا) ذات التراث الإستعمارى العقيد وبدأت العمليات الإستطلاعية لرجال المخابرات الأمريكية فى المنطقة توصلوا بعدها إلى أن المصالح الغربية تواجه مأزقاً ليس من السهولة حله :

فمن جهة - كان سقوط النظام البرالى فى مصر بالذات مساءل وقت ولم يكن ممكناً إحداث توقيعات فيه (وكانت أمريكا أيضا تريد التخلص منه لأنه - وهذا هو الأهم - لن يستطيع إستمرار فى الهدنة مع اليهود من فرط ضعفه) .

ومن جهة أخرى كان الإخوان يشكلون تهديداً للمصالح الغربية وكان سفير دالاس أحد السفراء الثلاثة الذين إجتمعوا فى فايد (١٩٤٨م) وطلبوا من حكومة النقراشى حل جماعة الإخوان .

كما أنه لم يكن متصوراً أن تسمح أمريكا بقيام نظام إشتراكى فى جو الحرب الباردة السائد وقتها (لأن هذا النظام سينحاز لروسيا - ولم يكن من مخرج سوى إيجاد نظام يحاول حل قضيتى العدالة والتحرر الوطنى (فى الحدود التى لا تضر بمصالح الغرب) وهكذا يمكن تصفية الثورة الحقيقية - وأما مصير هذا النظام نفسه - فسيحدد طبقاً للأحداث .

ولم تكن هناك من فئة منظمة قادرة على أحداث التغير المطلوب والتهادن مع اليهود

سوى الجيش - فقد كانت جميع الأحزاب والتنظيمات الأخرى إما مرفوضة جماهيرياً (الأحزاب الليبرالية) أو مرفوضة أمريكياً (الإخوان - الحزب الاشتراكي) وبدأت أمريكا فى تنفيذ فكرتها الجديدة لحفظ المصالح الغربية فى عالم سريع التطور فكانت إتصالاتها التى طمأنت فيها بعض الضباط الوطنيين المتحمسين والطاعين فى نفس الوقت بانها لن تعترض على أفكارهم فى إسقاط النظام والإصلاح الداخلى وهكذا بدأت سلسلة الانقلابات فى المنطقة بدأت بانقلاب حسنى الزعيم (١٩٤٩ م) فى سوريا - وفى نفس الوقت كانت أمريكا تركز جهودها على مصر وبعد أن تأكدت من خطر المراهنة على هاروف - وبسبب تنبؤات وزارة الخارجية الأمريكية بإمكانية أن يقود الإخوان ثورة شعبية بعد معارك القناة وحريق القاهرة - فقد جاء كيم روزفلت إلى مصر فى مطلع ١٩٥٢ م وساهم فى إشغال ثورة يوليو .

٢ - البيئة الدولية (١٩٥٥ م - ١٩٦٥ م) جعلت حركات التحرر الوطنى ممكنة

يقول الإسلاميون الراديكاليون هنا ما يلى :

بينما كان الصراع يعلو بشأن حلف بغداد - كانت الأحلاف قد فقدت قيمتها فعلا إختراع الصواريخ البعيدة المدى .

ذلك الأهمية النسبية للنفط العربى بسبب إتمام أوروبا لمرحلة إعادة التعمير كما وثقت أوروبا باستمرار تدفق النفط وتلاشى خطر سيطرة الروس عليها .

لم يكن رأس مال الأمريكى بحاجة إلى فتح العالم الثالث أمامه - لأن أمريكا بعد أن شجعت إنشاء السوق الأوربية المشتركة (١٩٥٨ م) وجدت أمامها فجأة مجالات واسعة جداً للإستثمار فى أوروبا .

إذن كانت المخطط أن أمريكا لم تعتبر أن هناك خطورة عاجلة على المصالح الغربية فى الشرق الأوسط بل والعالم الثالث كله - وهكذا شهدت هذه الفترة نهرو - بن بيل - سوكارنو - نكروما، ولم يكن عبد الناصر بدعاً من هؤلاء .

ولكن أمريكا كانت تخشى على المدى البعيد أن يتغير النظام الاجتماعى بما يهدد أى مستقلى للتدخل الاقتصادى الغربى - وهكذا فقد اعتبروا عبد الناصر منذ ١٩٦٣ م قد خرج من إطاره بتوسيع من دور القطاع العام وتوسيعه للجيش وبدئه برنامجاً ذرياً وبرنامجاً لصناعة الصواريخ .

لقد أخذت مصر من أمريكا في ذروة (المد الثوري) ٥٠٠ مليون دولار (بأسعار ذلك الوقت طبعاً) في الفترة (٥٨ - ١٩٦٦ م) على الأمل إلا يخرج عبد الناصر عن إطاره .

ومنذ ١٩٦٥ م بدأت بوادر الإنفراج بين الشرق والغرب وتساقط سوكارنو (١٩٦٥ م) وتكروما (١٩٦٦ م) وأيقن عبد الناصر أن دوره آت عما قريب .

٣ - الصراع الإنجليزي الأمريكي مكن عبد الناصر من الظهور كبطل عندما تنازل الإنجليز لأمريكا عن دورهم في الشرق الأوسط (١٩٤٧ م) لم يكونوا يقصدون أن تستولى أمريكا على كل شيء - إنما كانوا يريدون تدخل أمريكا بما يضمن وقف أى توسع شيوعي محتمل - ولكن أمريكا كانت تهدف إلى طرد الإنجليز نهائياً (وقد ظهر الصراع بينهما واضحاً في إنقلابات سوريا المتكررة فكان إنقلاب الحناوى إنجليزياً رداً على إنقلاب حسنى الزعيم الذى إعتبر إنقلاباً أمريكياً) .

وفي ١٩٥٦ م كانت أوروبا الغربية قد أعيد بناؤها داخلياً وأراد الإنجليز والفرنسيون تحدى مركز أمريكا (مثلما تحدث الصين روسيا في نفس الوقت) ولكن انهزمت القوتان الاستعماريان القديمتان أمام إصرار أمريكا على انسحابها من الشرق الأوسط وأصبح عبد الناصر بطلاً رغم أن الهزيمة العسكرية كانت كفيفة بمحاكمات وإفلاق في أى نظام يحترم نفسه - ورغم أن أعضاء مجلس قيادة الثورة فكروا في الإنتحار وهى رواية أصبحت متواترة .

إن السبب الجوهرى في هزيمة بريطانيا ليس هو قيام أمريكا بما أسماه إيدن (خنق الإقتصاد الإنجليزى) ولكن السبب هو بلوغ كل من بريطانيا وفرنسا من الشيخوخة كإمبراطوريات - ومن ثم فإن تحديهما لحركة التاريخ كان لابد أن ينتهى بالهزيمة .

٤ - إن التوجيه العقائدى القومى والإشتراكى كان يخدم مصالح الغرب لقد أثبتت خبرة حرب فلسطين (١٩٤٨ م) إن خطة عزل الشعب عن الإسلام ليست كافية لإيجاد الروح فيه - وهكذا طورت القوى الشيطانية أفكاراً جديدة تتضمن ضرورة تغيير عقيدة الشعب وتخريبه نهائياً - ولكن هذه الخطة رغم وجاهتها من الناحية النظرية فإنها مستحيلة التطبيق عملياً لأن محاولة تحدى الإسلام - فضلاً عن أنها مستغل لا محالة - فإنها تتطلب مقداراً هائلاً من ممارسة القهر البوليسى والكبت الفكرى وهو إن كان كفيلاً بتخريب الإنسان ومن ثم هزيمة ١٩٦٧ م إلا أنه لا يضمن إزالة الإسلام .

لقد إعتترف بعض الناصريين بهذه الحقيقة مؤخراً - ولكنهم إعترفوا على إستحياء إن إنساناً فقد ما زودته به الثروات الدينية الروحية في الماضي ولم تعوضه الثروة الإجتماعية الحديثة ما فقد - بلغت ثورتنا بالتوجه إلى ناحية واحدة من نواحي الإنسان وأهملت غيرها إهمالاً كلياً فلم تدعم ثورة الإقتصاد بثورة الفكر والثقافة وكان مقدراً للثورة العربية لو خاطبت روح الفرد مخاطبة عميقة أصيلة أن تنفحه قدرة على الفداء جديدة تضاف إلى ما يلهمه به تراثه .

٥ - الجغرافيا السياسية لمصر تضمنى على النظام الحاكم وزناً كبيراً من المعروف تاريخياً أن جميع التجارب العلمانية قد بدأت في مصر ثم صدرت إلى المنطقة وكانت الأفكار القومية والإشتراكية شيئاً خفيفاً بالنسبة إلى الأنظمة المفلسة المحيطة بمصر واعتقدت هذه الأنظمة أن النظام المصرى قادر على إختراقها - ولما كانت هذه الأنظمة مرتبطة بالغرب فقد ولد عداء لعبد الناصر انطباعاً زائفاً بأن عبد الناصر عاد للغرب ان إستقرار وزيادة شرعية أى نظام حاكم في المنطقة لابد بالضرورة من أن يمر عبر العداء للغرب

٦ - الإنفراج في العلاقات الدولية جعل نظام يوليو يعرف إمكانياته الحقيقية إذا أراد التصدى للغرب : يؤكد الإسلاميون الراديكاليين هنا ما يلي :

قلنا أن عبد الناصر أحسن منذ ١٩٦٥م أن الدور سياتى عليه ولقد أورد في تصريحاته وخطبه كلاماً بهذا المعنى - وبالفعل لم يتأخر دوره وكانت حرب ١٩٦٧م - وإذا تأكد لعبد الناصر أن أساليبه السابقة في إستغلال التناقضات الدولية لإظهار نفسه بمظهر البطل الخارق للعادة - لم تعد ممكنة الآن - فقد قبل بقرار ٢٤٢ الذى نص على (انسحاب إسرائيل من أرض احتلتها) و(إحترام السيادة والحدود الإقليمية والاستقلال السياسى لكل دول المنطقة وحققها في أن تعيش بسلام في نطاق حدود آمنة ومعترف بها محمية من التهديد وعاد أيضاً وقبل مبادرة روجرز التى نصت على (الإقرار من جانب الأطراف ^(١) بسيادة وسلامة الأراضي والاستغلال السياسى - وعندما جاء السادات إستكمل مسيرة سلفه في التفاوض - ولكن إزاء تعنت إسرائيل والإصرار الشعبى المصرى على الحرب فقد اضطر السادات لخوض

(١) الأطراف هى مصر وإسرائيل والأردن .

حرب ١٩٧٣م التي أعلن فيما بعد رسمياً أن هدفها كان العبور واتخاذ أوضاع دفاعية مسافة ١٠ - ١٢ كم^(١) شرق القناة يتم خلالها تحريك الموقف الدولى .

٧ - التوافق بين تصاعد عائدات النفط العربى والتحولات الإجتماعية الجديدة فى مصر :

يؤكد الإسلاميون الراديكيون ممثلين هنا فى رواية أسامة حميد أن القادة الفكرة لحركة الجهاد الإسلامى فى مصر ما يلى أنه كان على نظام يوليو أن بنفس الشيء من الكبت الذى فرضه عبد الناصر فكان بيان ٣٠ مارس ١٩٦٨م الذى دعا إلى المجتمع المفتوح أو اعترف بفقدان النظام - للسيطرة العقائدية ولكن البيان لم ينفذ بحجة أنه (لا صوت يعلو فوق صوت المعركة) ولذلك عندما جاء السادات وسط ظروف بائسة فقد سعى لإقامة شرعية خاصة به بأن هدم النموذج الناصرى القمعى مما أدى إلى رد فعل جماهيرى جارف تبنى فى تأييد السادات فى خطواته لتصفية خصومة (مايو ١٩٧١م) وشيئاً فشيئاً ثم التخلّى عن كل الضوابط القديمة وأصبح ممكناً أن يعمل النفط عمله جنباً إلى جنب مع التخطيط الأمريكى لتخريب المجتمع المصرى^(٢)

تلك هى رؤية الإسلاميين الرادكيين لعبد الناصر وعلاقته بالغرب و نجاحه الولايات المتحدة الأمريكية وهى رؤية رغم حدثها وعدم علميتها فى بعض جوانبها ، إلا أن لها وجاهتها - مثل كل الرؤى السابقة التى قدمها أسامة بشأن القضايا الكبرى لثورة يوليو وهى لذلك تستحق منه التأمل ودقة النظر .

خامساً : قضايا التجسس لصالح الغرب : قضية مصطفى أمين نموذجاً :

* لأن العلاقة كانت حذرة وقلقة بين عبد الناصر والغرب رغم ما يذهب إليه الأصوليون الإسلاميون ، من (عمالة عبد الناصر للغرب) ، نقول وعلى خلاف ذلك ، كانت العلاقة قلقة ، ومملوءة بالشكوك تجاه نوايا وأهداف عبد الناصر ، ولأنها كذلك - أى العلاقة

(١) من المعروف أن هذه المسافة هى أقل مسافة ممكنة لإقامة رؤوس جسور - وقد كشف النقاب بعد ذلك أن الانهيار السريع لم يقابله تقدم على الجانب المصرى بسبب عدم وجود خطط للتقدم أصلاً - وقد أعرب ديان فى مذكراته عن دهشته من عدم استغلال المصريين للفرصة .

(٢) يقول أسامة حميد : كان لابد من ذلك قبل الدخول فى معركة ٧٣ لأن الإنسان الذى يعيش فى كبت لم يكن ليتنصر أبداً .

مع الغرب - لذا كان التجسس وقضاياه المتنوعة التي حاول من خلالها الغرب إختراق مصر وكانت العديد من القضايا والعلاء الذين كشفهم جهاز المخابرات العامة (بقيادة صلاح نصر) وذلك قبل إنحرافاته الأخلاقية والسياسية المعروفة والتي أودت بصلاح نصر إلى السجن فيما بعد .. ورغم ذلك كان هذا الجهاز (وربما لا يزال) يمنع الإختراق الغربى لمصر (ويحاول هو أن يخترق الغرب لصالح مصر) .

* وكانت قضية (مصطفى أمين) واحدة من تلك القضايا التي كشفها جهاز المخابرات العامة .. وفى هذا المحور سوف نقدم لمحة من هذا الجهاز ، وعن قضية مصطفى أمين كنموذج لقضايا التجسس مع الغرب التي كشفها جهاز المخابرات العامة .

مدخل إلى نشأة جهاز المخابرات العامة :

بداية يقول السياق التاريخى والسياسى الذى ولد فيه (جهاز المخابرات العامة) فى مصر إبان عهد عبد الناصر والذى كان يقع على عاتقه ضبط كافة قضايا التجسس لصالح الغرب ومنها قضية مصطفى أمين ، يقول السياق أنه فى النصف الأول من الستينات كانت مصر قد أمدت شركة (قناة السويس) - من أعوام أربعة مضت ١٩٤٦م - وبدأت عملية الوحدة مع سوريا (١٩٥٨م) ، وقامت بتمصير وتأميم الشركات والبنوك الأجنبية فى مصر ، وبدأت الخطة الخمسية الأولى ، والتي زادت فى نهايتها (١٩٦٥م) معدلات التنمية ولأول مرة فى مصر ، وفقاً لما يؤكد الناصريون المتحمسون عن زيادة السكان ، وتدل الإحصاءات الرسمية على أنه بين سنة ١٩٥٤م/١٩٥٥م و ١٩٦٤م/١٩٦٥م زاد الإنتاج المحلى من بليون جنيه إلى ١,٩ بليون ومخصصات الإستثمار السنوية من ١٧٠ مليون جنيه إلى ٣٦٤ مليون جنيه ، وفى نفس الفترة زاد مجموع الإستهلاك الخاص من ٧٥٣ مليوناً إلى ١٣٣٠ مليون جنيه ، والإستهلاك العام من ١٤٠ مليوناً إلى ٤٣٠ مليون جنيه ، أى بنسبة ١,٧٪ سنوياً للإستهلاك الخاص و ٨,٨٪ سنوياً للإستهلاك العام لكل سنة .

وأدى هذا التوسع الكبير إلى زيادة العمالة من ٦ ملايين فى عام ١٩٥٩/١٩٦٠م إلى ٧,٣ مليون فى عام ١٩٦٤م/١٩٦٥م بزيادة ٢٢٪ أى بزيادة قدرها ١٣٠٠٠,٠٠٠ ألف عن الرقم المستهدف فى الخطة .

كان أحد أهداف الخطة الأولى مضاعفة إنتاج قطاع الصناعة والتعدين والكهرباء ليرفع نصيبه في الناتج المحلي الإجمالي إلى ٣٠٪ وتحققت فعلاً زيادة الإنتاج بنسبة ٩٪ سنوياً ، أى ضعف ما تحقّق في الفترة (١٩٤٥م - ١٩٥٢م) لتصبح نسبته إلى الناتج المحلي ٢٣٪ أى دون الزيادة المخططة ، واستهدفت الخطة أيضاً زيادة الإنتاج الزراعي ٢٦٪ إلا أن المحقق فعلاً لم يتجاوز ١٨٪ وزاد إنتاج الطعام خلال فترة الخطة الأولى بنسبة تفوق زيادة السكان .

وعلى المستوى السياسي كان دستور ١٩٦٣م قد صدر وأجريت الانتخابات لمجلس الأمة وكان أول مجلس أمة بعد الميثاق ، نصفه من العمال والفلاحين وعقد أول إجتماعاته يوم ٢٥ مارس ١٩٦٤م . وفي هذا الإجتماع قام عبد الناصر بتوصيف المرحلة سياسياً وأسمائها بمرحلة « التحول العظيم » فقام بوضع مبادئ الثورة الستة أمام أعضاء المجلس وقدم عنها تقريراً شاملاً ، ماذا نفذ منها وماذا تأخر تنفيذه ، ولماذا ؟ ثم قام عبد الناصر بتحديد ثلاثة أعداء للثورة هم : الإستعمار وإسرائيل والصهيونية العالمية والرجعية العربية ، ثم حدد أهدافاً ثلاثة للمرحلة الجديدة هي : التنمية المتواصلة لمضاعفة الدخل ، وتأكيد القيم الثورية وتحقيق الوحدة العربية .

واستكمالاً لتوصيف هذه المرحلة حدد عبد الناصر المشاكل التي تواجه مضر وتحتاج إلى مواجهة وهي مشكلة الزراعة ، وتطور الصناعة الثقيلة ، مشكلة ثلاثة ملايين من العمال الزراعيين العاطلين ، ومشكلة الإدارة الحكومية ومشكلة ضبط الأسعار ومشكلة تنظيم الأسرة ، ثم التعود على النقد والتقد الذاتي الشجاع .

أعوام الستينات ، إذن كما أسماها عبد الناصر كان أعوام التحول نحو البناء الشامل في الداخل ، وكان الوطن العربي يطفئ بالإنقسامات والثورات التي كان على قمعتها ثورة اليمن وثورة الجزائر ، ويشهد مواجهة إستعمارية جديدة مع قوى التحرر الوطني بالعالم الثالث يومئذ ، حيث أمكن تنحية السيدة باندرانيكة وحزبها عن الحكم في سيلان وإنشغلت الهند عن جهود التنمية في حرب شاملة مع باكستان ، وبدأت الغارات على فيتنام الشمالية في أغسطس عام ١٩٦٤م ثم الغزو الأمريكي البلجيكي للكونغو في أكتوبر ١٩٦٤م ، وكانت حركة التحرر الأفريقية يومئذ تواجه إستكمال تصفية الإستعمار وواجهت تنزانيا مؤامرة لقلب نظام الحكم كرد فعل لموقف نيريري من ثورة الكونغو واستطاعت أن تغلب

عليها بل وتتخذ قرارات تأميم واسعة .

كانت مصر في تلك الأيام تبدو وكأنها بعملاق يصحو بعد طول سبات - وفقاً لما يؤكده الناصريون المتحمسون - وكان التغيير يتم بسرعة وفي كل اتجاه وفي كل مكان أيضاً . وكان أمراً طبيعياً أن يؤثر هذا التغيير الذى شمل كل أنحاء الدولة ، في جهاز المخابرات العامة المصرية الوليدة^(١) .

وإذا كان هذا الجهاز قد ولد في الأيام الأولى للثورة ، فإننا لا نستطيع أن نجزم بأن الفكرة فكرة إنشاء جهاز المخابرات العامة - كانت واضحة في الأذهان وضوحاً كافياً ومن هنا يصبح أمراً طبيعياً أن تتغير القيادات العليا فيه مرة بعد مرة .. وكان طبيعياً أيضاً ، أن يكون البحث عن أسلوب لإدارة هذا الجهاز ، وتبين إحتياجاته في نفس الوقت ، هو الهدف الأساسى لكل قيادة .. ولذلك فإننا نستطيع أن نعتبر قرار تعيين الصاغ - رائد - صلاح نصر ، وهو واحد من أهم الضباط الأحرار قبل الثورة وبعبء ، كئيب لرئيس الجهاز قبل العدوان الثلاثى مباشرة ، ثم رئيساً له بعد ذلك .. كان إيذاناً ببداية مرحلة جديدة وحاسمة في حياة هذا الجهاز .

ولترك صلاح نصر بنفسه يحكى كيف عين نائباً لرئيس المخابرات ثم رئيساً لها :

(في صباح الثالث والعشرين من أكتوبر ١٩٥٦ م ، استدعاني عبد الناصر لمقابلته في قصر الطاهرة بمنطقة سراى القبة بالقاهرة ، حيث كان يقيم وأسرته مؤقتاً ، ريثما تتم بعض الإصلاحات والإنشاءات في منزله بمنشية البكرى وكنت أعمل في ذلك الوقت مديراً لمكتب القائد العام للقوات المسلحة) . ويواصل صلاح نصر روايته قائلاً :

كان عبد الناصر ينظر إلى الأشياء بنظرة تفاؤل أو تشاؤم .. فمثلاً كان يتفاعل بالإقامة في منزله بمنشية البكرى الذى شعله مع بداية الثورة ، وكان فيما مضى سكناً خاصاً متواضعاً لناظر المدرسة الثانوية العسكرية التى الغيت بعد الثورة ، وقد أدخل عبد الناصر عليه فيما بعد بعض الإنشاءات والتوسعات كى يفى بإحتياجات منصب رئيس الجمهورية .. وكان عبد الناصر يكره سكنى القصور ويتشاعم منها ويذكر أن فاروق عزل من قصر رأس التين ،

(١) ورد تحليل أدنى لنشأة جهاز المخابرات العامة في مصر في أكثر من عمل أدنى لعل أهمها قدمه صالح مرسى في روايته (رأفت الهجان) ط٢ ، ١٩٨٨ ، دار نشر أبولو - القاهرة .

كما كان يتفاعل بمبنى قيادة القوات المسلحة في كوبرى القبة الذى بزغت منه الثورة ، فلما إنتقلت القيادة العامة للقوات المسلحة إلى مبنى القيادة المشتركة في المأظرة ، تشاءم من هذا النقل . وعبر عن ذلك بقوله : « أنا متشائم من يوم إن نقلت القيادة إلى مبنى القيادة المشتركة » .

كنت أظن في بادئ الأمر أن عبد الناصر قد دعانى لمناقشتى في أمور القوات المسلحة ، وحالة الأمن بها حيث كنت مسئولاً عن أمن القوات المسلحة .

وقد بدأ حديثه بسؤالى عن شتى الأمور التى تتعلق بهذا الموضوع ، ثم تدرج حديثه إلى ما يتعرض إليه البلاد من تآمر في الداخل والخارج وقد أسهب في الحديث لما يقرب من الساعة .. وفجأة وبلا مقدمات قال لى :

« أنا عاوزك تروح المخابرات العامة »

كان هذا العرض مفاجأة لى ، ولم أكن تواقا لقبوله ..

قلت له : أروح أعمل إيه ؟

قال : تشتغل نائب مدير ..

كنت في ذاك الوقت ضابطاً في القوات المسلحة برتبة البكباشى وأبلغ من العمر ستة وثلاثين عاماً ، وكان منصب نائب مدير المخابرات ، بدرجة نائب وزير .. وكان الكثير من المسئولين يترقون إلى هذا المنصب ، ومع ذلك فقد عزفت عنه ، واعتذرت لعبد الناصر عن عدم قبوله .

لم أكن أدري حقيقة رسالة المخابرات ، ولم تكن لى دراسة بعلم المخابرات ، ولا أعرف من أمورها شيئاً سوى بعض المعلومات عن المخابرات الإستراتيجية تلقيتها أثناء دراستى بكلية أركان حرب .. وكانت الفكرة السائدة في مصر أن المخابرات تعنى التجسس على الناس .. كانت إسمها غير مستحب لدى الناس .. لقد تسلطت هذه الفكرة على عقول كثير من المصريين حتى عقول أولئك الذين يعملون في مناصب كبرى بالحكومة .. الوزراء أنفسهم كانوا لا يعرفون ما هى المخابرات .

وكنت أحد المسئولين الذين تسلطت عليهم هذه الفكرة في ذاك الوقت ففرت منها .. ولكننى بعد أن عملت بها ، أدركت مهام المخابرات ، وأحببت العمل بها ، وتبين لى أن رسالتها من أشرف الرسائل ، بالرغم مما تعرضت له في محنتها من تشهير العملاء والخونة .

كان على صبرى فى ذاك الوقت يعمل مديراً لمكتب عبد الناصر ، وقد عينه عبد الناصر فى منصب مدير المخابرات ليستفيد بدرجة الوزير المخصصة لمنصب مدير المخابرات وكان زكريا محبى الدين مشرفاً على المخابرات والمحرك الفعلى لها ، لانشغال على صبرى فى إدارة أعمال مكتب عبد الناصر .

وكان على أن أبرر سبب رفضى لعرض عبد الناصر فقلت له :

أولاً أنا شغوف بعملى كضابط بالقوات المسلحة ، وأريد أن أكمل المشوار فى هذا الطريق ، وثانياً لأننى لا أستطيع العمل فى جهاز يتنافس على إدارته رئاستان : مدير المخابرات والمشراف العام ، وأخيراً لأننى لم أنسجم فى العمل مع رئاسة المخابرات القائمة لإختلاف الطباع ، والانسجام فى العمل من أهم عوامل نجاح أى عمل .

ولكن عبد الناصر سد أمامى سبل التملص من هذا العرض .

قال لى : « إننى سأعين على صبرى وزيراً للدولة بعد عدة شهور ، وستولى أنت رئاسة الجهاز أما زكريا فقد يتفرغ لوزارة الداخلية ، وستصبح أنت رئيس الجهاز المسئول أمام رئيس الجمهورية شخصياً » .

ومع ذلك لم يبد على وجهى الإرتياح ... وهنا قال لى عبد الناصر فى إصرار :

أعتبر هذا تكليف من الثورة لأجد رجال الثورة . وأسقط فى يدى .. ويبدو أن عبد الناصر كان قد أعد قرار تعيينى .. فنهض من مقعده بجوارى وتوجه إلى مكتبه وأحضر قرار التعيين من فوقه وقال لى : « سأوقع القرار » .. وفعلأ قام بتوقيع القرار .

وبذلك تركت عملى بالقوات المسلحة وتوجهت فى اليوم التالى وقد إرتديت ملابسى المدنية إلى مبنى المخابرات العامة الذى كان مشيداً خلف مبنى مجلس الوزراء القائم أمام مجلس الشعب .

والواقع أن عيد الناصر بر بوعده ، ففى ١٢ من مايو سنة ١٩٥٧م أصدر قرار بتعيينى رئيساً للمخابرات .. وبدأت مرحلة جديدة فى حياتى السياسية^(١) .

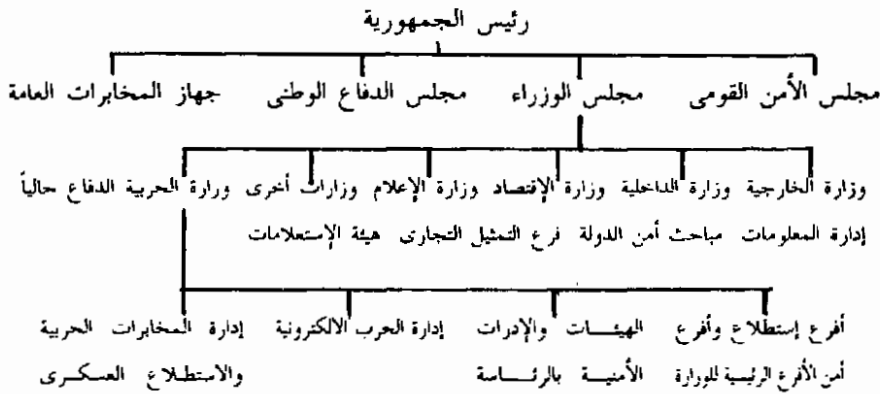
(١) المصدر : مذكرات صلاح نصر (الأصول) الجزء الأول ، مطبوعات مؤسسة الاتحاد للصحافة والنشر ، مايو ١٩٨٦ ص ٢٧٢ ، ٢٧٣ .

* تلك كانت البداية ...

وهي بداية إستمرت فصولها حتى هزيمة يونيو ١٩٦٧م ، وبعدها اعتقل صلاح نصر ، وتم التحقيق معه خلال الشهور الأولى من عام ١٩٦٨م ، ثم حكم عليه بالسجن .. لانحرافات عامة ، إلا أن هذا لا ينفي قيامهم بالكشف عن العديد من قضايا التجسس الهامة التي حاول الغرب بها إختراق مصر والتي منها قضية تجسس مصطفى أمين .. فماذا عنها ؟

شكل (١)

(مجتمع المخابرات فى عهد عبد الناصر)



قضية مصطفى أمين نموذجاً :

نقدم هذه الوقائع محددة بشأن القضية رقم ١٠ لسنة ١٩٦٥م أمن الدولة عليا والمتهم فيها الكاتب الصحفى المعروف مصطفى أمين بالتجسس لصالح المخابرات الأمريكية .
إننا سوف نورد هنا حقيقتين لا ثالث لهما وسنخرج منهما بنتيجة واحدة : الحقيقة الأولى هي أقوال مصطفى أمين فى التحقيقات عام ١٩٦٥م - والحقيقة الثانية هي مذكرة المدعى العام الإشتراكى عام ١٩٧٤م المقدمة لرئيس الجمهورية بالعفو عن مصطفى أمين لبطلان الإجراءات والإعتراقات .

أما النتيجة التى سيسوقها الآن وبعد الإستماع إلى هاتين الحقيقتين فهى أن مصطفى

أمين قد أجرى بالفعل هذه الاتصالات وقام بالفعل بهذا التجسس .

ولكن كان هذا جميعه بضوء أخضر من عبد الناصر وبمعرفة الشخصية إلا أن مصطفى أمين بالغ في مسألة التجسس والاتصال وحاول أن يدير العملية كلها لصالحه وأدى هذا التحرك عبد الناصر وأجهزته لقص أجنحة مصطفى أمين قبل أن يطير بها وبهم تلك هي النتيجة ... والآن إلى الحقائق ...

الحقيقة الأولى : أقوال مصطفى أمين في التحقيقات

كان مصطفى أميني يتوقع حدوث انقلاب شيوعي في مصر .. ومن أجل ذلك فإنه في حديثه المسجل من مندوب المخابرات الأمريكية قد إتخذ عدداً من الإحتياطات .. أن يبلغ على أمين أن يكتب في عاموده ما يشعر بالتفاؤل .. وأن يهرب أمواله للخارج ويناقش مع المخابرات الأمريكية المكان الذي يمكن أن يعيش فيه بحيث يستطيعون حمايته ، ولا تنقطع صلته بهم ، بل يظل يؤدي لهم خدماته وفي جلساته مع (بروس) أعطاه أيضا مزيدا من المعلومات العسكرية والاقتصادية والسياسية عن مصر ، والهند والجزائر وأفريقيا ، والصين ، ويوغوسلافيا ، وفيتنام .. وكلها معلومات ادعى أنه عرفها من الرئيس .

ويؤكد الناصريون بين المتشددون وكل ما ورد في هذه المعلومات على لسان الرئيس كاذب - كالأحاديث السابقة - فلم يتصل به الرئيس ولم يعطه أية معلومات (عبد الله إمام - قضية تجسس مصطفى أمين - دار الموقف العربي) .

وفي هذا الجزء من تسجيلات يتعجب بروس مما يكتبه مصطفى كامل فيقول أنه يكتبه في عشر دقائق ، وأنه سيتترك مصر ، ولكن لن يترك التعاون مع المخابرات الأمريكية . وقد بدأ اللقاء بأن أعطى مصطفى أمين (لبروس الدويل رجل المخابرات والمستشار السياسي للسفارة الأمريكية واحداً من أهم الأسرار العسكرية وفقا لما سجل في التحقيقات .

فتح المحضر يوم السبت ٢١/٨/١٩٦٥م الساعة الواحدة مساء بإدارة المخابرات العامة بالهيئة العامة السابقة ، حيث وصلنا إدارة المخابرات قبل افتتاح هذا المحضر لمواصلة

التحقيق ، وقدم لنا السيد ممدوح محمد تفويضا لبقية شرائط التسجيل التى ندب للإستماع إليها وقد تبين من ذلك التفريغ ما يأتى :

الشريط السادس : وهو خاص بحديث جرى يوم الأربعاء ١٩٦٥/٦/٣ م بين الشخص المصرى - مصطفى أمين - الذى رمز إليه بحرف A والأمريكى (بروس أوديل) الذى رمز إليه بحرف E على ٢٩ صفحة ، وقد جاء فى بدء المقابلة على لسان سؤال عن المعلومات بشأن ما تم فى تحويل المبالغ (لعل) وقد ذكر أنه سبق أن تسلم عشرة وستسلم خمسة ، ثم ذكر أنه حدث فى إتصال تليفونى به يوم ٢٨ الساعة ١١ صباحاً وأخبره المتحدث أن إنفجاراً قد وقع فى مؤخرة المدمرة المصرية القاهرة ، وأضاف أن الإنفجار كان من داخل السفينة وقتل فيه كثير من الضباط والجنود وأن ٤٥ منهم جرحوا وحالتهم سيئة ، وأنه ألقى بالذخائر التى لم تنفجر فى البحر ، وذكر أن محدثه أبلغه أن هذه المدمرة من أحسن مدمرات الأسطول المصرى .

وقد ساءل أثناء الحديث عن مكان وجود تلك السفينة ، وما إذا كانت بالأسكندرية من عدمه ، فرد بالإيجاب مقررأ أنها سحبت إلى الإسكندرية ، وقد ورد على لسان أنه لو كان هذا الإنفجار قد حصل فى الإسكندرية لوصلت إليه المعلومات من مصادرها .. واستطرد E فى الحديث إلى أن اتهام المسئولين كان ينحصر فى الخسائر المادية بصرف النظر عن الخسائر فى الأرواح ، وأقر أنه تحدث تليفونيا مرة أخرى يوم ٢٩ وذكر أن نائب رئيس الجمهورية السيد حسن إبراهيم على علاقة بسيدة متزوجة تدعى .. وقد طلقها من زوجها هذا الأسبوع واتصل بها وأخبرها أنه يريد الزواج منها ، وكان على الأخير أن يسأل نفسه عن أثر هذه الزيجة لو تمت وما إذا كان سيستطيع نائب رئيس الجمهورية أن يظهر بزوجه فى المجتمعات .

ثم تحدث E بعد ذلك عن تغيير سياسة الولايات المتحدة الأمريكية تجاه البلاد وذكر A أن الرئيس أخبره أنه من أغسطس الماضى حين غادر جون باردو سفير الولايات المتحدة الأمريكية ، فقد شعر عند مقابلته للسفير ، ومقابلته الأخيرة للسيد على صبرى أن المعونة الأمريكية لمصر ستقطع وإن العلاقات السياسية فى عهد كيندى كانت طيبة مع الولايات المتحدة بعكس العهد الحالى الذى تغيرت فيه العلاقة تغيراً كبيراً ، وقد استعملوا سياسة القوة

التي لم يقابلها أن تصد من جانب الإتحاد السوفيتي الذي بدا متخوفاً وستكون نحن الضحايا لهذا الموقف ثم ذكر أنه لم يحدث اتصال تليفوني يوم الأحد ٢٠ ، وقد حادثه يوم ٢١ تليفونيا ، وذكر أنه قابل السيد محبوب ، وقد تلقى تقريراً قبل هذه المقابلة من السيد محمود رياض يتضمن أن السيد محبوب قد أعرب له إستيائه تغلغل العناصر الشيوعية في الصحافة المصرية ، وتخوفه من أن تؤثر الآراء المنشورة في الصحف المصرية على الشعب السوداني ، وذكر الرئيس أنه ما بلغ السيد محبوب بأنه قلق كذلك من تغلغل الشيوعية في الصحافة المصرية ، وإنه يعتقد أن المخطط الشيوعي هو الإستيلاء على الثورة السودانية ثم الثورة المصرية .

وشكا مما نشر بمجريدة أخبار اليوم بالعدد الذي صادرتة حكومة السودان وقد مرت بشئنا احتجاجاً لسمر المصرى بالسودان ... كما ذكر الرئيس أن السيد محبوب أبلغه بأن عدداً من الكونغوليين قد وصل إلى السودان ، وتحدث عن الفضائح التي يرتكبها بعض زعماء الكونغو الشوريين ، وذكر أن عدد الكونغوليين الذين وصلوا السودان يتراوح بين ٢٠٠ أو ٥٠٠ بأسلحتهم التي لم تستخدم .

وفي نهاية الحديث مع محبوب ذكر الرئيس أنه يرغب في التخلي تدريجياً عن مساعدة الكونغو ، وطلب محبوب أن يقوم بوضع خطة التخلي هذه على أن يتعهد السودان بتنفيذها ، وسيدعى مجلس الوزراء السوداني للإجتماع لبحث هذا الموضوع وطلب أن يكون الاتصال الرئيسى في هذا الشأن ، واقترح الأخير أن يزور مصر وفد من حزب الأمة فوعده محبوب بذلك كما وعد بأن رئيس هذا الحزب هو الذى سيحضر إلى مصر ، وقد سأل عن سر الختم خليفة فذكر محبوب أنه سوف يعين سفيراً وسينحى عن رئاسة الوزراء ، وأنه متخوف من الشيوعيين .

وذكر المصرى كذلك أنه حصل حديث تليفوني في اليوم السابق مع الرئيس الذى أبلغه أنه تم إكتشاف خلايا سرية في وحدات المشاة بالجيش المصرى وأنه لا يعرف ميول هذه الخلايا بعد وقد سأل الأمريكى عما إذا كان المصرى تقابل مع صديقه الكولونيل فأجابه بالنفى ثم سأل عن مدى صحة الشائعة الخاصة بسفره . أى سفره إلى نيويورك إن الجميع يظنون ذلك وقد سئل فذكر أنه ذاهب إلى اليمن فتحدث عن أنه طلب منه أن يستفسر له عن مدى صحة هذه الشائعة واستطرد قائلاً إن الرئيس لو علم عن طريق حكومة الولايات

المتحدة ، الصحفيين ، والمسؤولين ، والمثقفين مستاءون من الإتجاه الشيوعي ، الظاهر في الصحف المصرية والاتجاه العدائي ضد الولايات المتحدة الأمريكية فسيكون ذلك مجدياً وإنتهى في حديثه هذا بطلب نقل أكثر أو أقل من ذلك .

تلا ذلك الحديث فترة تناول الغداء تحدث بعدها A في أنه مسافر إلى آثينا وأنه سيعود خلال الأسبوع التالي ، وسيتصل به فور عودته ، وطلب منه ألا يذكر سوى اسمه الأول ، عند محادثته تليفونيا دون لقب ونبه أن يكون الإتصال منزله إذا إقتضى الأمر ذلك ، وأفاد بأنه سوف يحاط علماً بالمحادثة .

ثم سأل عن وسيلة الإتصال بعلي ، وكيف يمكن تدبيرها خارج لندن إنه قد بحث الأمر مع علي ، وأنه يكفي أن يتقدم إليه بدعوة وتذكره ويبلغه بأنه قادم من طرف مصطفى ، وإقترح الاتصال التليفوني بعلي ولكن رفض فكرة الاتصال التليفوني وتحدث بعد ذلك بشأن الطلب الأخير توصيل أوراق هامة جداً في حوزته للخارج واقترح أن يقوم سعيد فريجه بهذه المهمة غير أنه رفض هذا الإقتراح واتفق على بحث هذا الموضوع في مقابلة ثانية ، وقد استفسر على الظروف المحيطة بوفاة كل من الدكتور الشحات وطه الحمر ، وأحمد مندور وما إذا كان الأول انتحر وكان الأخير انتحر من ثلاثة أيام سابقة فأفاد بهذه المعلومات غير صحيحة وأن وفاتهم طبيعية فذكر أن هذه المعلومات وصلت عن طريق تقارير مقدمة إليهم وسأل عما إذا كان لدى معلومات بشأن مقابلة الرئيس للوفد اليمنى يوم ٣٠ ومقابلته للأمير عبد العزيز فأجاب بالنفي وذكر أثناء الحديث ان سبق أن فائدة منذ عودة أشهر بأن اللجنة أوصت بعدم إقامة مصانع على الأراضي الزراعية واستفسر عما إذا كان يذكر ذلك فأجابه بالإيجاب وأفاد بأن هذا الموضوع قديم وتحدث فيه منذ ٦ أشهر سابقة .

ثم سأل على المعلومات بشأن وجود السيد المشير عامر بالمستشفى فذكر أنه قد إجريت لسيادته عملية الزائدة الدودية . وأضاف أنه يعلم أن علاقته كانت سيئة بالرئيس وقد تعاركا ثم أحس السيد المشير بألم في بطنه فصحبته إلى المستشفى وأضاف بأن لا يوجد من هو مبرر من الحال ثم تحدث على الوحدة العربية والشيوعية والإشتراكية وعلاقة الجمهورية العربية المتحدة بالإتحاد السوفيتي واتجاهات الرئيس بالنسبة لهذه المواضيع .

وطلب أثناء الحديث أن يكون لديه معلومات مبكرة عن تصرفات سيقوم بها الجانب الأمريكي لتوصيلها للرئيس قبل حدوثها فيستفنع بأنه على بينة ببواطن الأمور ثم سأل

الأمريكيّ عما إذا كان الرئيس قد غلق على الأحداث على الهدنة بين الأردن وإسرائيل فذكر بأن سعيد بإنقاذ السيد الشقري وعلق على ذلك الفلسطينيين يرون أن الشقري أكثر قرباً للشيوعية ... ؟ انتهى التقرير بعد ذلك بمكالمة تليفونية بينهما .

واضح أن مشكلة مصطفى أمين الشخصية هي الشيوعيون وهي المشكلة التي كان يركز عليها في أحاديثه مع « بروس » وكانت هذه الأحاديث في منزله قبل القبض عليه ، وهو ينقل معلومات مختلفة ، وأسراراً عسكرية وينسبها إلى الرئيس ، ومما يلفت النظر أن بروس حذره من الاتصال به في منزله إلا للضرورة القصوى ، ويذكر فقط إسمه الأول ، ولا يذكر الأسم كاملاً .. ثم تواصل النيابة تفريغها للأشرطة .

الشريط السابع : وهو خاص بحديث جرى يوم الأربعاء ١٦/٦/١٩٦٥م بين الشخص المصري المرموز له بحرف (أى) والأمريكي المرموز له بحرف (إيه) وقد أفرغ على ٦٥ صفحة ، وقد بدأ بحديث من الأول جاء فيه « أن على » إتصل به تليفونيا في اليوم السابق وأخبره أن المال لم يصل إليه .. فذكر (إيه) أنه كان ينبغي أن يصل المبلغ يوم ٣ أو ٤ على الأكثر وذكر (أى) أن « على » قد إنتقل إلى فندق « ماى فير » بلندن وينوى أن يقيم فيه فترة من الوقت كما ذكر أنه أى (أى) ينوى السفر إلى الإسكندرية بضعة أيام حتى يوم السبت أو الأحد التالي وبعد ذلك ذكر (إيه) عبارة لنبداً يوم الأربعاء .

ثم إنتقل إلى الحديث عن « أرشى روزفلت » ذكر أنه صديقهم وأنه تقابل مع (أى) وعلى منذ سنة ١٩٤٤م فيما عرفت منه ، وأفاد أن هذا الشخص هو رجلهم في لندن ، وتحديثاً بعد ذلك حول معرفة « على » به ، وانتهى الحديث بصده إلى أن يكتب (أى) خطاباً « لعل » ليتقدم إليه ، أرشى به قيم التعارف بينهما ، وأثناء الحديث حول هذا الموضوع تحدث (أى) حديثاً تليفونياً فيه على سيده ، ثم أخبر (إيه) أن التسليم قد تم وأنه أبلغ تليفونياً أن برقية وصلت تفيد بأن الصحيفة وصلته .

وقد حرر (أى) فيما يبدو خطاباً باللغة العربية « لعل » يقدم فيه (أرشى) إلى ثم ترجمه فيما بعد هو ثابت في التسجيل شفاهة إلى (إيه) وقد جاء فيه أن حامل ذلك الخطاب سوف يقوم بدور رجل الاتصال ، وفي إمكان المرسل إليه أن يعتمد عليه كما اعتاد الإعتماد على ابن عمه في كل ما يريد .

واستطرد المرسل إلى أن مسألة خروج الصحفيين من الصحافة لا تزال كما هي ، ولم يطرأ بشأنها أى جديد ، ويحتمل إلا يجد فيها شيئاً قبل أواخر شهر سبتمبر ١٩٩٢م عندما يقوم (آر أى عبد الناصر) بتغيير بناء الاتحاد القومى ، وأن الرئيس سوف يذهب إلى الجزائر فى نهاية الشهر ثم إلى يوغوسلافيا ، وأن السيد السعدنى أخبر المرسل بأن المرسل إليها أصبح حلاء هاماً جداً فى لندن ، وطلب منه أن يكتب فى العمود المخصص له ما يشعر بالتناؤل كما طلب منه أن يكتب عن مصر إذ لوحظ أن كثيراً ما يكتب عن إنجلترا مما يفيد أنه يعتقد أن الحالة سيئة فى مصر ، وأنهى خطابه بأن سكرتيرته قد اتصلت به وأبلغته بأنها تسلمت برقية تفيد أن الجريدة قد وصلته .

ثم ذكر (إيه) الأمريكى أنه قد قرأ المقالات الثلاثة الأخيرة التى كتبها (أى) المصرى وإنه مندهش لهذه الكتابة ، وأنه يتصور أنها تقتله ، وتأخذ منه وقتاً كثيراً ، فأفاد (أى) المصرى أنه لم يستغرق أكثر من عشر دقائق فى كتابتها ، ثم جاء على لسان (إيه) أنه ذهب إلى بيروت لزيادة أرملة صديق له هناك ، وبدأ (أى) بعد ذلك بأن ذكر أن (آر) الرئيس حادثه يوم ١٥ الساعة ٨ صباحاً ، وأخبره أنه متعب من مقابلة كل هؤلاء الزعماء ، ومحاولة إيجاد حلول للمشكلات القائمة بشأن النزاع بين باكستان والهند والنزاع بين الصين والاتحاد السوفيتى ، والنزاع بين ماليزيا وأندونيسيا وخاصة أن هناك معارك بين الأفريقيين وأنه يرى أنه إذا تم الاجتماع الأفرو آسيوى دون أن يسبقه تصفية هذه المشكلات ، فمعنى ذلك أنه سيفشل كما يرى أن قوته تستند على التضامن.

وأضاف أن (آر) الرئيس ذكر كذلك أنه تلقى رسالة من الرئيس « تيتو » يقول فيها أن موقف الولايات المتحدة من الإتحاد السوفيتى سئى بسبب النزاع مع الصين الشعبية ، واقترح « تيتو » أن يحاول (آر) الرئيس إعطاء الإتحاد السوفيتى التأييد المعنوى بشأن فيتنام وجنـد الهند والجزائر وبعض الدول الأفريقية فى هذا الاتجاه ، وسوف يكون لذلك أثر طيب على زعماء الإتحاد السوفيتى محاولاً إقناع هؤلاء الزعماء بمنح الجمهورية العربية المتحدة مساعدات ضخمة نظير قيامها بهذا الدور الذى سوف يعضد موقف الإتحاد السوفيتى من الصين الشعبية .

واستطرد (أى) المصرى قائلاً : أنه ذكر لـ (آر) الرئيس أن « تيتو » يحاول الحصول على فائدة لنفسه ، ويحاول أن يبيع الجمهورية العربية المتحدة للإتحاد السوفيتى ، ذلك أنه

سوف يقول إن الفضل يعود إليه .

وقد أجاب (آر) الرئيس على ذلك بأن دوره هو تدعيم قوة القاهرة ، بمعنى أنه لا يريد إعطاء القوة إلا لثبوت ، ولا لآخر وقد تخلل الحديث بعد ذلك فترة تناول الطعام ، وتحدث (أى) المصرى قائلاً إنه حصل إتصال تليفونى آخر يوم الأحد ١٣ الساعة ٩ صباحاً ، وقد أخبره (آر) الرئيس بأنه جرت اتصالات مع الولايات المتحدة ، وأن هذا الموضوع يتسم بالسرية وأن نتائج هذه الإتصالات هامة إلا أنه لا يود أن يعلق عليها آمالاً كبيرة ويفكر فى إفاد (هيكل) لى واشنطن . وقد يكون ذلك بناء على إقتراح السفير الأمريكى المعجب به . وسوف تحصل الجمهورية العربية المتحدة على ٣٩ مليون دولار كمساعدة وقد صحح أثناء هذا الحديث الرقم إلى ٣٧ .

حشد آخر من الأكاذيب فى كل الإتجاهات على لسان الرئيس ... فبركة متقنة لأحداث ، ومتاعب وأخبار يقول بعد ذلك فى التحقيق أنها لم تقع إطلاقاً وأنها من نسيج خياله .. يستمر مصطفى أمين فى أكاذيبه وفقاً للتحقيقات أنه ذكر أن (آر) الرئيس لا يريد الاعتماد على المساعدة الأمريكية حتى لا تشعر الولايات المتحدة أننا فى حاجة ماسة لها ، لأنها إذا شعرت بهذا فسوف تكسرن ، وقد أخبر هيكل السفير الأمريكى بأن الجمهورية العربية على إستعداد لإعطاء امتياز القطن للولايات المتحدة ، وقد قام (إيه) بشرح الإجراءات التى تتم بين كل من مجلس النواب ، ومجلس الشيوخ والكونجرس وأخيراً موافقة الرئيس الأمريكى بشأن حصة المعونة الأمريكية الخارجية .

وطلب (إيه) أن يوضح لـ (آر) أن ما سوف يدور فى مؤتمر الجزائر سيؤثر على العلاقات بين مصر والولايات المتحدة وأن (آر) الرئيس يخطئ فى فهم طبيعة الرئيس الأمريكى ، وهو من رجال تكساس الذين يتصفون بالعناد ، وذكر أثناء الحديث أن (آر) الرئيس متخوف من استخدام الولايات المتحدة لسياسة القوة فى فيتنام وسان دومنجو ، فرد (إيه) على ذلك بأن هذا يقتضى من (آر) الكف عن مهاجمة الولايات المتحدة .. وذكر أن مصر لم تكف عن هذه المهاجمة سواء منحت المعونة أم لا ..

وانتقل (أى) بعد ذلك للحديث عن إتصال مع (آر) يوم الجمعة ١١ حيث حادثه من برج العرب ، وقد كان السيد المشير هناك لقضاء فترة نقاهة ، ذكر (آر) الرئيس . أنه يواجه مشكلتين ، الأولى فشل الإتحاد القومى والثانية تتعلق برئاسة الوزارة ، وذكر أنه

يفكر في أن يتولى السيد زكريا محيى الدين رئاسة الوزارة ، وقد تحدث (آر) فيما ذكر (أى) أنه تحدث مع خالد محيى الدين بشأن الشيوعيين في الصحافة فقال خالد محيى الدين إلى (آر) الرئيس أن مصطفى أمين يبالغ بطلب تعيينه سفير في إحدى الدول الأفريقية ، وأنه سيسافر إلى لندن لإجراء عملية لإبنته وسأل (آر) الرئيس بعد ذلك عن السيد البغدادي ، فأخبره بأنه يريد أن يكون ملكاً ، وذكر أنه رئيس منتخب وأن البغدادي قد وجه الدعوى إلى ٦٦ من كبار الضباط ، وأنه لو كان يود لما ذهب منهم أربعة ، وأن هؤلاء الضباط كانوا يرحلون في طريقهم إلى السيد البغدادي قائلين أنه سوف يكون مصيرهم مصير المماليك .

وورد على لسان (أى) بعد ذلك أن (آر) الرئيس لم يتصل به من يوم الثلاثاء الموافق ٦ حتى يوم ١١ فقد كان يقضى هذه الفترة إجازة في برج العرب . واستطرد إلى المساعدات التي تقدمها مصر للجزائر بمناسبة انعقاد المؤتمر الأفريقى ، وأنها أرسلت جميع الإحتياجات ، من سيارات ، وطهارة ، ومرجحين ومفروشات .

وقد سأل إيه عما إذا كان (آر) يتحدث عن اليمن ، فأجاب (ابي) أنه لم يذكر سوى أن النعمان يريد تقديم إستقالته ، لأنه طلب مساعدة مالية كبيرة ، وقد أخبره (آر) أن المال غير متوافر ، على فرض توافره فلا يمكن أن تمنح مثل هذه المساعدات لوزارة تضم ثمانية بعشرين . وذلك ورد على لسان (آر) في الحديث الذى جرى معه يوم ١١ .

واستطرد قائلاً أنه قد تذكر حديثاً جرى بشأن إتصالات هيكل مع الولايات المتحدة يوم ١٣ وأن (آر) أخبره بأن الخلافات مع الولايات المتحدة تدور حول إسرائيل والكونغو واليمن ، وأنه بالنسبة لإسرائيل فقد استخدم نفوذه ، ليرجع أمين الحافظ عن فكرته في حرب شاملة ضد إسرائيل ، وتحدث في مؤتمر فلسطين وقال إننا غير مستعدين لدخول الحرب مع إسرائيل ، وبالنسبة للكونغو فقد أوقفت الجمهورية العربية مساعداتها للثوار ، وبالنسبة لليمن فنحن مستعدون للإسحاب ، ولكن الملك فيصل يريد نوعاً من الخضوع غير المشروط ، وتساءل عما تريده الولايات المتحدة بعد ذلك كله ، فقد نسى أيضاً فيما ذكر ما جرى من حديث بينه وبين (آر) الرئيس يوم الثلاثاء بشأن أزمة ورق الصحف ، لقد أخبره (آر) الرئيس أنه طلب من السيد خالد محيى الدين أن يقابل سفير الإتحاد السوفيتى ، ويخبره بحاجة البلاد الماسة لورق الصحف وأخبره أن مصطفى أمين إستطاع في يوم ما أن يحصل

على ما قيمته مليون دولار من ورق الصحف من الولايات المتحدة ، وأضاف أن الدكتور حاتم إتصل به صباحاً وأخبر بأن محمد جلال عيسى قد نشر مقالا ضد الشيوعية في مجلة الرسالة ، فأصدر الدكتور حاتم أمراً بعدم نشر مقالات له وعلق (أى) على ذلك بأنه مفيد وأن المقال يهاجم د . لويس عوض المحرر بجريدة الأهرام ، ويبدو أنه هو الذى شكك من هذا المقال .

وقد سأل (إيه) عما إذا كان (أى) يعتقد أن نتيجة سياسة الولايات المتحدة الأمريكية ، هي أن الاتحاد السوفيتى سيعطى معونة إضافية . فأجاب (أى) بأن الاتحاد السوفيتى لا يملك ما يعطيه ، وسأل (إيه) عن سبب تغيير سفير الاتحاد السوفيتى فى مصر ، فأجاب (أى) بأن ذلك لم يكن مفاجأة لأن ذلك السفير معروف بصداقه « لخروشوف » وأن (آر) ذكر أنه مرتاح جداً لتقرير هذا السفير . وأنه يرى أن هذا لتغيير فى مصلحة الجمهورية العربية بسبب تمتع السفير الجديد بثقة الزعماء الجدد وأن الاتصالات سيتم بسرعة فى عهد السفير الجديد .

تلك هي أبرز وأهم أقوال مصطفى أمين فى التحقيقات معه وتلك هي الحقيقة الأولى فى قضيته المثيرة .. ماذا عن الحقيقة الثانية .

الحقيقة الثانية : مذكرة بطلب العفو عن السيد / مصطفى أمين يوسف المحكوم عليه فى القضية رقم ١٠ لسنة ١٩٦٥م أمن الدولة

أصدرت محكمة أمن الدولة العليا المشكلة برئاسة الفريق أول محمد فؤاد الدجوى فى ١٠ فبراير ١٩٦٦م حكمها فى القضية رقم ١٠ لسنة ١٩٦٥م الذى قضى بمعاقبة السيد / مصطفى أمين يوسف بالأشغال الشاقة المؤبدة .

وكانت نيابة أمن الدولة العليا قد وجهت إليه أربع تهم أولها أنه تخاير مع أشخاص يعملون لمصلحة دولة أجنبية بقصد الأضرار بالمركز الحربى والسياسى والدبلوماسى والإقتصادى للدولة . والثانية أنه سلم لشخص يعمل لمصلحة دولة أجنبية معلومات خاصة بالدفاع ، عن البلاد ومعلومات حرية وسياسية ودبلوماسية وإقتصادية والثالثة أنه قام بعمليات مقاصدة بتحويل نقد أجنبى للخارج ودفع ٢٠ آلاف جنيه بالنقد المصرى لأجنبى ليقبض

مقابلها بالخارج . والرابعة أنه اشترك بطريق الإنفاق ولمصلحة مع أجنبي غير مقيم بالجمهورية العربية المتحدة فى التعامل بالنقد الأجنبى .

وانتهت المحكمة فى حكمها إلى إعادة المتهم الثلاثة الأولى والثالثة والرابعة ، وبراءة من التهمة الثانية . وقضت بمعاقبته بالأشغال الشاقة المؤبدة .

واستندت المحكمة فى حكمها بالإدانة - بصفة أساسية - على ثمان تسجيلات صوتية ، مسجلة على أحد عشر شريطا ، تتضمن بعض أحاديث . جرت بينه وبين أحد الملتحقين بالسفارة الأمريكية .

كما استندت على إقرار مكتوب بخط يده حرر فى ستين صفحة وبعض إقرارات فى التحقيق .

وعندما مثل السيد / مصطفى أمين يوسف أمام المدعى العام الإشتراكي عند بحث حالته ضمن حالات الحراسة المحالة إلى المدعى العام الإشتراكي عند بحث حالته ضمن حالات الحراسة المحالة إلى المدعى العام طبقا للقانون رقم ٥٣ لسنة ١٩٧٢ ، تطرق البحث إلى أسباب فرض الحراسة عليه ، وعند مواجهته بالحكم الصادر ضده بالأشغال الشاقة المؤبدة دفع السيد / مصطفى أمين يوسف ببطلان الإجراءات ، وبطلان الإقرارات المنسوبة إليه لصدورها تحت تأثير إكراه بدنى ومعنوى .

وكان طبيعياً أن يتصدى المدعى العام الإشتراكي لبحث ما أثاره السيد / مصطفى أمين يوسف ، فتبين له من الإطلاع على ملف القضية أن التسجيلات الصوتية التى إستند عليها الحكم فى الإدانة قد قدمتها هيئة الأمن القومى - بإدارة المخابرات العامة - فى ظل مراكز القوى القديمة ، ولم تراعى فى شأنها ما يحتميه قانون الإجراءات الجنائية من ضرورة إستئذان القاضى الجزئى قبل إجراءها الأمر المؤدى إلى بطلان الدليل المستمد منها . هذا فضلا عن أنها - فيما احتوته من أحاديث - ليست كافية لتقويم الإدانة مستندة عليها فسياق الحديث قد جاء فى معظمها غير مترابطة ولا متكاملة وتضمن الكثير منها فراغات فى الأشرطة خلعت من تسجيل أية أحاديث الأمر الذى يدعو إلى عدم إطمئنان إلى سلامتها ، وإلى الإعتقاد بأن يدهامان تكون قد عبث بهما لتحكموا دليلاً فى صالح المتهم .

وأما إقرار المتهم فقد قامت أدلة قاطعة تشير إلى أنه قد تم تحت تأثير إكراه بدنى

ومعنى لا طاقة للبشر باحتالة ، الأمر الذى يهدر الدليل المستمد من هذا الاعتراف فقد استقر الفقه ، وجرت أحكام المحكمة وذهبت محكمة النقض فى أحكامها إلى أنه عند حدوث الإكراه والتعذيب يتعين إطراح الأقاويل التى جاءت على ألسنة الشهود والمستعوجين الذين خضعوا لهذا التعذيب بأى وجه وأنه لا يصح التعميل على تلك الأقاويل ولو كانت صادقة مطابقة للواقع متى كانت وليدة تعذيب أو إكراه أيا كان قدره من الضالة (نقض ١٣ أكتوبر ١٩٦٩م مجموعة أحكام النقض - السنة العشرون - ص ١٠٥٦ رقم ٢٠٨) .

إزاء ذلك فإن الحكم الصادر من محكمة أمن الدولة العليا برئاسة الفريق أول محمد فوزى الدجوى فى ١٠ فبراير ١٩٦٦م بمحاكمة السيد مصطفى أمين يوسف بالأشغال الشاقة المؤبدة يكون قد بنى على باطل وتعم تصحيح الأوضاع الناتجة عنه .

وحيث أن المادة ١٢٧٩ من الدستور قد جعلت المدعى العام الإشتراكى مسؤولاً عن إتخاذ الإجراءات الترتكفل تأمين حقوق الشعب وسلامة المجتمع ، ونظامه السياسى ، والحفاظ على المكاسب الإشتراكية والتزام السلوك الإشتراكى .

وحيث أن محكمة أمن الدولة العليا التى أصدرت الحكم سالف البيان قد شكلت طبقاً للمادة الثانية من القانون رقم ١١٩ لسنة ١٩٦٤م .

وحيث أن هذه المادة قد نصت على أنه ، لا يجوز الطعن بأى وجه من الوجوه فى الأحكام الصاغرة من هذه المحكمة ولا تكون هذه الأحكام نهائياً إلا بعد التصديق عليها من رئيس الجمهورية .

وحيث أن هذا الحكم قد تم التصديق عليه فى ١٦ أغسطس ١٩٦٦م وأصبح بالنالى نهائياً . فإن الطريق الوحيد لإنصاف المحكوم عليه هو إستصدار قرار جمهورى بالعفو عنه طبقاً للمادة من الدستور . لذلك فإن المدعى العام الإشتراكى يعرض الأمر على السيد / رئيس الجمهورية ليتفضل بالموافقة على مشروع القرار المرفق بالعفو عن العقوبة المحكوم بها على السيد / مصطفى أمين يوسف وكافة الآثار والعقوبات التكميلية والتبعية المترتبة على هذا الحكم .

القاهرة فى ١١ إبريل ١٩٧٤م

المدعى العام الإشتراكى
دكتور مصطفى أبو زيد فهمى

الفتنة :

نخرج من هاتين الحقيقتين بنتيجة أساسية سبق الإشارة إليها ، وهى أن مصطفى أمين كان يتجسس بأمر من عبد الناصر وكان يؤدى دوره بضوء أخضر من أجهزة المخابرات العامة .. إلا أنه كان قد بدأ يخرج من الخط العام ، فتم ضربه وبموافقة عبد الناصر ، وهنا يثير البعض أقوالاً معناها أن محمد حسنين هيكل ، كان وراء عملية الإيقاع باستاذة مصطفى أمين ، وأنه هو الذى أوحى لعبد الناصر بذلك ولقد حاول هيكل أن يبدأ نفسه عام ١٩٨٦م فأصدر كتاباً ضخماً أسماه (بين الصحافة والسياسة) خصصه لقضية مصطفى أمين ، ولكن القضية لا زالت تداعياتها ترى وهى تداعيات تؤكد مجتمعه أن الموقف من الغرب كان لدى عبد الناصر يشوبه الحذر والشك المتبادل رغم الإعجاب ومحاوله التبعية التى حاول الغرب أن يربط بها عبد الناصر منذ فجر يوم ٢٣ / يوليو / ١٩٥٢م بل وقبلها أثناء تشكيل تنظيم الضباط الأحرار ، ونشاطاته قبل الثورة .

إن علاقة عبد الناصر بالغرب ، شابهها العديد من علامات الإستفهام . جنباً إلى جنب مع علامات التعجب والتى حولها البعض منا - بفعل الإحباط المعاصر إلى علامات من الإعجاب ، والإنهار الشديد بمواقف عبد الناصر تجاه الغرب .

وهى علامات (الإعجاب) لم يكتشف بعد فى لغتنا العربية شكلاً للحير عنها . وذلك لأنها منطوقة أكثر منها مكتوبة ، وهى منطوقة أكثر فى زمن الردة والتراجع ، وليس هناك أبداع من زماننا هذا نموذجاً لتلك الردة وذلك التراجع .

تسليم رئيس جمهورية مصر العربية

رقم ٧٢٦ لسنة ١٩٧٨

بالعفو عن السيد / مصطفى أمين رئيس

الجمهورية رقم ١٠ لسنة ١٩٦٠

من - رئاسة -

رئيس الجمهورية

بعد اطلاع على الدستور

في ١٩٧٨ لسنة ١٩٧٨ - أقرت القوانين المتعلقة بالترشيح والانتخاب

في ١٩٧٨ لسنة ١٩٧٨ - أقرت القوانين المتعلقة بالترشيح والانتخاب

في ١٩٧٨ لسنة ١٩٧٨ - أقرت القوانين المتعلقة بالترشيح والانتخاب

في ١٩٧٨ لسنة ١٩٧٨ - أقرت القوانين المتعلقة بالترشيح والانتخاب

الترشيح

بعد اطلاع على الدستور

في ١٩٧٨ لسنة ١٩٧٨ - أقرت القوانين المتعلقة بالترشيح والانتخاب

في ١٩٧٨ لسنة ١٩٧٨ - أقرت القوانين المتعلقة بالترشيح والانتخاب

في ١٩٧٨ لسنة ١٩٧٨ - أقرت القوانين المتعلقة بالترشيح والانتخاب

بعد اطلاع على الدستور

(انظر الملاحق)

مادة ٧٢

أمين عام مجلس الوزراء

(بعد علاج الله بن طاهر)

قرار السادات بالعفو عن مصطفى أمين

النيابة العامة

مكتب النائب العام

الموضوع :

إرجاء الرد ذكر هذا الرقم
٦/٤

السيد رئيس مكتب التحقيقات والأمن بدولة الثورة

نحية طبية / وعدد

الحاذا لكتابتنا رقم ١٥٩ لسنة ١٩٦٨ ج ٢ بشأن

تحقيق الإبلاغ التقدم من المسجون / مصطفى أمين المحكوم

عليه في القضية رقم ١٠ لسنة ١٩٦٥ أمن دولة عليا وودأ

على كتلكم رقم ١٥٧ سوى المؤرخ في ١٦ من أبريل ١٩٦٨

نفيد انه بعد مراجعة الحكم على ضوء ما قرره المحكم

عليه في ذلك التحقيق الاخير اننا انه لا وجه لاعادة النشر

في هذا الحكم ونرسل الى سيادتكم صورة الحكم

الانتهاء من مسجده .

وتفضلوا بقبول عظيم الاحترام .

القاهرة في ١٧ / ٤ / ١٩٦٨ .

من . اماعيل

النائب العام

محمود

مستند
١٩٦٨/٤/١٧
١٩٦٨/٤/١٧
١٩٦٨/٤/١٧

١٩٦٨/٤/١٧
١٩٦٨/٤/١٧
١٩٦٨/٤/١٧

النائب العام في عهد عبد الناصر يرفض الإفراج عن مصطفى أمين

بسم الله الرحمن الرحيم

الخبير
د. قيس
الخبير في الطب الشرعي

شهادة

تشهد المخبرات العامة بأن التحقيق في القضايا التي تم أو يتم نهجها بواسطة المخبرات العامة يجري في سرية تامة وهناك فصل تام بين جميع التهمين أو الشهود ولا يسمح إطلاقاً بأن يشاهد مشهم أو شاهد في قضية مسا مشهم آخر أو شاهد في قضية أخرى يتم تحقيقها .

وإن جميع من شملهم التحقيق في قضية مصطلح أذا لم يتم اتصالهم أو شأحتهم السيد / مصطفى أمين أو من شملهم التحقيق في قضية افتاء ترايد هم من جهاز المخبرات العامة .

أعطيت هذه الشهادة بناءً على طلب السيد / صلاح نصر لتدعيمها لدى مكتب المحامي العام بخصوص التحقيق الذي يجري فيما يدعيه السيد / مصطفى أمين وعن التهمين في قضايا سابقة يوتوع تعذيب عليهم .

وكيل
المخبرات العامة

تحريراً في ١٩٧٥/١/٥

المخبرات العامة وقضية مصطفى أمين

الفصل التاسع
عبد الناصر والأخوة الأعداء
الصراع مع الشيوعيين والإخوان
١٩٦٥



عبد الناصر والأخوة الأعداء الصراع مع الشيوعيين والإخوان (١٩٦٥ م)

كانت العلاقة بين عبد الناصر والشيوعيين ، وعبد الناصر والإخوان ينطبق عليها بحق مقولة (صراع الأخوة الأعداء) ، فلم تعرف هذه العلاقة الإستقرار الدائم ، إذ شابهها دائماً الصدام ، والصراع ، وفي هذا الجزء من الموسوعة ، سوف نركز الحديث على (ملامح) هذه العلاقة خلال الستينات ، خاصة بالنسبة للإخوان ، أما الشيوعيين فإن الصدام بينهم وبين الثورة تزايدت حدته عام ١٩٥٨ م . ولإيضاح هذه الملامح لعلاقة الأخوة الأعداء سوف نمحور الحديث حول العناصر التالية :

أولاً . جوهر الخلاف الناصري / الشيوعي (الديمقراطية والقومية العربية) .

ثانياً : إغتيال شهدى عطية كنموذج لعلاقة عبد الناصر بالشيوعيين .

ثالثاً : الصدام الثانى بين عبد الناصر والإخوان المسلمين عام ١٩٦٥ م .

وبتفصيل هذه العناصر يتسبين الآتى :

أولاً : جوهر الخلاف الناصري / الشيوعي (الديمقراطية والقومية العربية) .

سوف نورد هنا رواية الشيوعيين أنفسهم لجوهر خلافهم مع عبد الناصر ، وسوف نورد هنا ملخص رؤية مؤرخ الحركة الشيوعية فى مصر (أو هكذا يقول عن نفسه رغم إختلاف الشيوعيين فى ذلك) . إنه الدكتور رفعت السعيد ، فماذا يقول ؟^(١) .

يؤكد د . رفعت أن جوهر الخلاف مع عبد الناصر حول قضيتين هما الديمقراطية ... والقومية العربية وبالنسبة لقضية الديمقراطية يقول بهذا الصدد .

إذا كان علينا أن نبدأ بالبحث عن نقاط الالتقاء بين الشيوعيين والحكم وبين أنفسهم فلقد طالعنا الإجابات المشتركة التى قلمها ممثلو المنظمات الشيوعية المصرية الثلاث التى كونت الحزب الشيوعي المصرى ... لمراسل جريدة الأونيتا (ممثل الحزب الشيوعي الإيطالى) .

(١) د. رفعت السعيد : تاريخ الحركة الشيوعية المصرية : الوحدة والانقسام - الج ١ - ١٩٥٧ -
١٩٦٥ القاهرة - شركة الأمل للطباعة ١٩٨٦ م .

يتميز الوضع الراهن بالإنجازات الفائقة التي أحرزتها الحركة الوطنية ، وللمرة الأولى في تاريخ مصر الحديث نجد حكومة وطنية تدافع عن مصالح الوطن ، ويدعمها تحالف عريض يشمل الطبقة العاملة والبرجوازية الصغيرة ، والبرجوازية الوطنية ، وعلى رأس هذه الجبهة حكومة عبد الناصر^(١) .

وطالعا كذلك البيان المشترك الصادر عن المنظمات الثلاث في فبراير ١٩٥٧ م .

يحاول المستعمرون وعملاؤهم أن يذرفوا دموع التماسيح على ما يدعونه من إهدار الحريات في مصر متجاهلين أن الشعب المصرى والوطنيين المصريين لم يتمتعوا في يوم من الأيام بالحرية مثلما يتمتعون بها اليوم ، وأن هذه الحرية المتاحة للوطنيين تتسع فرصها يوما بعد يوم ، وأن الذين ضاقت حريتهم هم المستعمرون وعملاؤهم من المأجورين وغلاة الرجعيين^(٢) .

وفي نفس البيان يقول د . رفعت السعيد إن مصر لتتطلع كذلك إلى المسارعة بتكوين الإتحاد القومى كنظيم لقوى الجبهة الوطنية المتحدة ضد الإستعمار .

ويمتد الموقف ليحاول أن يتصور أن ساعة التصادم قد تباعدت ولعلها قد تلاشت . ويصل الأمر بالنشرة الداخلية للحزب الشيوعى المصرى الصادر في ٢٢ مارس ١٩٥٨ م والتي تقدم نتائج إجتماعات اللجنة المركزية الموحدة في إجتماعها الأول (٨ يناير ١٩٥٨ م) .

يصل بها الأمر إلى القول « من المستبعد أن تقوم الحكومة بحملة ضد الشيوعيين » . وإذا كان من الضروري - ولو من حيث الشكل - لفت أنظار الرفاق إلى ضرورة الحذر ، فإن اللوم .. كان يجب أن يوجه - كما حدث دوما - إلى ناحية أخرى غير ، زيادة السياسية للحكم . واعتاد الشيوعيون جميعا عملية الفصل - الغريبة - بين الحكم وبين أجهزة الحكم ..

فكل خير يأتي .. هو من الحكم . وكل خطأ يأتي فإن مصدره بالضرورة هو بعض أجهزة الحكم التى تصور عادة وكأنها خارجة عن توجهات الحكم ومتآمرة ضده .

ولنواصل قراءتنا للنشرة الداخلية فهى بعد أن استبعدت قيام الحكومة بحملة ضد الشيوعيين عادت لتؤكد ، ولكن يجب على الرفاق ألا يتخلوا عن واجبهم نحو حماية الحزب لأن أجهزة الدولة وخصوصا المباحث العامة، وأجهزة الإستعمار تبذل نشاطا فائقا في التحرى عن كل ماله علاقة بنشاط الحزب وتنظيماته^(٣) .

(١) الأونيتا - ١٤/٥/١٩٥٧ .

(٢) مشور معنود « بيان إلى الشعب » فبراير ١٩٥٧ .

ويواصل د . رفعت قوله :
ولا بأس .. وإستكمالا للصورة من أن نواصل معا تقليب بعض النشرات الصادرة عن
الحزب فور توحده والتي عبرت عن التوجه العام للإتفاق بين الرفاق .

إتحاد الشعب الجريدة المركزية للحزب تقول .. تحت عنوان : « على صبرى مقتنع بضرورة
الجهة مع الشيوعيين » ... فى حديث له مع مجلة آخر ساعة قال السيد على صبرى وزير
الدولة لشئون رئاسة الجمهورية والمرشح لرئاسة المجلس التنفيذى لإقليم مصر .. بينما كانت
الحرب الأهلية بين الكومنتاج والشيوعيين تقطع أوصال الصين ، دقت اليابان أبواب الصين
ويومئذ تنبه ماوتسى تونج إلى هذه الحقيقة التاريخية الهامة فأصدر بيانه المشهور الذى يدعو
فيه إلى تعاون كل شيوعى مع الكومنتاج لمواجهة العدوان اليابانى ، ويومها إنتصرت الصين
على محتل دخیل .. ونحن نوافقه تماما وحرفيا على ما قاله ونسأله :

لماذا لا يفرج عن الشيوعيين المصريين المسجونين ولماذا يمنعون من دخول الإتحاد القومى ..
لقد أثبت الشيوعيين المصريون أنهم قادرون على الإستفادة من تجارب التاريخ ، وبقي أن يثبت
قادة حكومتنا الوطنية أنهم قادرون على الإستفادة منها كما عبر عن ذلك السيد على
صبرى^(١) .

ونتوقف لنلاحظ (والملاحظة هنا من وضع د . رفعت السعيد) .

- إن ثمة نعمة أكثر حدة فى الإنتقاد .
- إن النقد يوشك أن يوجه إلى قادة حكومتنا الوطنية وليس إلى جهاز ما من أجهزة
الحكم .

هذا التطور أتى بعد الوحدة مباشرة ولعل أسبابه متعددة .

- إن فترة العدوان الثلاثى قد انتهت وبدأت مرحلة جديدة . لعلها انعكست عبر مسارين
مقاطعين أو متقاطعين فالشيوعيون وجدوا أن المعركة الوطنية التى خاضتها القوى الوطنية
الموحدة قد آن لها أن تحقق ثمارا ، وأن النظام يرغب ليس فقط فى أن يستحوذ على كامل
هذه الثمار ، وإنما أن يستخدمها هى بذاتها كأداة لحصار شركائه فى المعركة .

والنظام الذى صعد نجمه محليا وعربيا ودوليا بعد معركة صد العدوان الثلاثى الذى

(١) إتحاد الشعب - جريدة الحزب الشيوعى المصرى - العدد الثانى - ١٩٥٨/٢/٢٧ - ستره بنجم ضعف
الفلوسكاب مطبوعة بالمطبعة على شكل كراس من عشر صفحات (نسخة أصلية) ويلاحظ تطور
أدوات الطباعة يرقى عملية الإخراج والتوصيب .

استمتع فيها بتأييد جارف محلياً وعربياً وعالمياً . والذي حقق الوحدة مع سوريا وسط ضجيج إعلامي وجماهيري صاخب . هذا النظام بدأ يستشعر بأنه ليس بحاجة إلى مثل هذا التحالف مع الشيوعيين .. بل لعله بدأ يستشعر عبء هذا التحالف دولياً (مع أمريكا) وعربياً (مع البعث والقوميين) ومحلياً (مع قوى اليمين) .

- إن وحدة الشيوعيين في حزب واحد قد أثارت مخاوف الكثيرين في النظام من خطر ترك الحبل لهم أكثر مما يجب .

- إن الشيوعيين بدأوا يستشعرون بعض الضغوط في مجالات العمل الجماهيري .. وبعض الخلاف في عملية الوحدة مع سوريا وبدأت مسألة الديمقراطية تكتسب في أذهانهم وحركتهم إلحاحاً خاصاً ..

ويواصل د . رفعت السعيد تجميع الملاحظات فيقول :

مقال بعنوان « متى يتعلم بعض المسئولين احترام مشاعر الجماهير ؟ » أرسلت وزارة التربية والتعليم إلى مدرسيها ومدرساتها ونظاراتها خطابات على السركى تطالبهم فيها بحضور الإحتفالات بنتائج الإستفتاء ، وتهدد بأن أسماء المتغيبين سترسل إلى وزارة الداخلية ، علاوة على خصم يومين من مرتباتهم ، ولا يمكن أن تتصور إساءة إلى الإحتفالات الشعبية أكثر من هذا العمل الذي ارتكبته عناصر بلغت حدّاً لا يطاق من التخلف والإستخفاف بمشاعر الشعب والجهل بنفسية الجماهير ، ولا شك أن هذا الإجراء وأشباهه - مثل ما أذيع من أن وزارة الداخلية ستسجل محاضر للمتغيبين - لا شك أن هذا كان له أسوأ الأثر في نفوس المواطنين وأن هذه الإجراءات هي المسئولة عن تخلف عدد كبير بالفعل عن الذهاب إلى صناديق الإستفتاء أين هذه الإجراءات السمجة المتخلفة من جور الحرية الرحيب الذي جرى فيه الإستفتاء في الإقليم السوري^(١) .

وفي ذات الصدد نقرأ « الشيوعيين ليسوا خطراً على الأمن العام » ... أفرجت وزارة الداخلية عن المسجونين الذين قضوا نصف المدة بمناسبة قيام الجمهورية العربية المتحدة وانتخاب عبد الناصر رئيساً لها ولكنها حرمت المسجونين الشيوعيين من هذا الحق بحجة إنهم خطر على الأمن العام .. وقد أثار هذا التصرف إستياء الجماهير الوطنية ، ولم تستسغ الإفراج عن القتلة واللصوص وحرمان الشيوعيين الشرفاء من هذا الحق .. إن الذين يهددون الأمن

(١) المصدر السابق .

العام في مصر الوطنية هم الرجعيون والخونة وعملاء الإستعمار ... والشيوعيون كانوا دوماً يزالون ، وسيظلون دائماً في مقدمة صفوف الوطنيين ، والرامي المشرعة في أوجه المستعمرين والسند الأكبر للحكم الوطني .

وفي مواجهة القرار الجمهوري الصادر بشأن قصر حق الترشيح لعضوية مجالس إدارات النقابات بكافة أنواعها على الأعضاء العاملين بالإتحاد القومي ، أصدر المكتب السياسي في إبريل ١٩٥٨ م بياناً يندد بهذا القرار وقد ضمن هذا البيان في شكل عدد خاص من جريدة إتحاد الشعب .. وجاء فيه .. « إن هذا القرار عدوان على الديمقراطية وطعنة لحرية التنظيم النقابي ويتعارض مع الإتفاقية الدولية الخاصة بالحرية النقابية التي وقعت الحكومة ، كما إن هذا القرار يمثل ضربة للحركة النقابية ذلك أنه قد جاء في وقت تشهد فيه الحركة النقابية بوادر يقظة شاملة .

وأكد البيان أن هذا القرار يحرم النقابات من العدد الوفير من النقابيين المخلصين وأنه مقصود به إبعاد الشيوعيين والعناصر التقدمية عموماً ، وبذلك ستقع النقابات في قبضة العناصر الرجعية والمتخلفة والفاسدة والمرتشية ، كما أن القرار ضار بالوحدة الوطنية إذ أنه يعني حرمان جميع الطبقات من حرية التنظيم النقابي السليم .. بل أنه ضار بقضية الوحدة العربية خاصة وأنه جاء في أعقاب إجراءات تعسفية اتخذت ضد الأحزاب الوطنية في سوريا ..

وأكد البيان أيضاً أن هذا القرار ضار بمستوى معيشة الطبقات والفئات الشعبية وأنه جاء في وقت يتدهور فيه مستوى معيشة الطبقات الشعبية وترتفع فيه أرباح المؤسسات الرأسمالية .. ثم وجه البيان الدعوة إلى جميع المواطنين للإتحاد والمطالبة بإلغاء هذا القرار .

وهكذا تقترب زمنياً وفكرياً من منطقة الخلاف ليس فقط بين الشيوعيين والحكم .. وإنما بين الشيوعيين أنفسهم وهي منطقة الديمقراطية .

إنها الرغبة المستمرة والإصرار على جر الحزب من جديد إلى سياسة يسارية مخربة مصفية للحزب .

ويرتكب الرفاق الأربعة الخطأ الأكبر إذ ينقلون إلى الخارج مدار داخل إجتماعات المكتب السياسي فينقلون تصريحات أو تعليقات قيلت داخل الإجتماعات المغلقة ، ليستخدمونها في صراع سياسي مفتوح ويبدو حجم الخطأ إذا ما لاحظنا إنه إقترن بذكر الأسماء الحركية (وكانت معلومة للجميع) وإذا ما كانت التصريحات متعلقة بالحكم .

الرفيق خالد قال في المكتب السياسي إن المعسكر الإشتراكي كان قلقاً على أوضاع مصر ،

وأن الاتحاد لم يسارع إلى الإتفاق على القرض بل أنه «شخلع» عبد الحكيم عامر وقال له لماذا تريد هذا القرض ..

ثم .. وبالطبع توقع الرفيق خالد كثيراً من الحريات بتوصية من الاتحاد السوفيتي وهو مالا تقوله إلا أخبار اليوم ... إن تقديم قضية شيوعية قديمة كانت مركونة ، الى المحاكم اعتبرت في نظرهم بدءاً لحملة جديدة عاتية ، وسفر عبد الناصر إلى موسكو كان للضغط على الإستعمار الأمريكي .. إن كل هذا لا يبدو في مطبوعات الحزب سافراً، ولكنه يقال في اجتماعات المكتب السياسي .

ثم يتحدث الرفاق الأربعة عن رؤيتهم لأسلوب المعارضة فيقولون : « وإذا كنا نعارض القرار الجمهوري رقم ٨ (القرار الخاص بقصر الترشيح لعضوية مجالس إدارة النقابات على الأعضاء العاملين بالاتحاد القومي) إلا أننا لا نصل بمعارضتنا له إلى ما يهدم تحالفنا مع الحكم الوطني أو ما يلغى من واجباتنا الإيجابية إزاء إنتصاراتنا وإزاء أعمالنا الجيدة .. إننا لا نستقبل جمال عند عودته الظافرة من بلاد تقود المعسكر الاشتراكي لنقذف في وجهه بمنشورات تطلب بإلغاء القرار الجمهوري رقم ٨ ..

ثم .. ان المظهر الأساسي للسيارية في حزبنا هو العودة وفي كل مناسبة إلى التشكيك في وطنية الحكم في مصر ، وتغليب التناقض الثانوي على التناقض الأساسي والعودة بذلك وفي التطبيق إلى سياسة معادية للحكم الوطني . وهكذا تواصل الانتهازية دورها التاريخي في ضرب الحركة الوطنية وضرب الجبهة .

ثم يحدد الرفاق الأربعة موقفهم من الاتحاد القومي قائلين .. إن قمة أشكال الانعزال اليساري الآن هي الموقف من الاتحاد القومي . فقد ، إنتهى التحليل القلق المتناقض الذي أصدره المكتب السياسي بأغلبية خالد وعباس ورفاقهما .. إلى أنه حزب البرجوازية .. وانتهوا إلى مقاطعة الاتحاد القومي .. ثم بعد ذلك يقولون إنهم سيتحالفون معه عندما يتكون حزباً للبرجوازية .

ثم .. إن الاتحاد القومي هو أوسع أشكال التحالف في التطبيق . في تاريخ هذه الثورة ، وهو تحالف في المجال الوطني والسياسي والاجتماعي والثقافي ، والمناداة بمقاطعته ، وعدم دعوة الجماهير إلى الانضمام إليه ، هي امتداد لسياسة محاربة الحكم الوطني وامتداد لسياسة الإنعزال التي أجادها قادة الانتهازية اليسارية . ولقد أثبتت التجربة الخصبة لكفاح كوادل الحزب ، ان الاتحاد القومي انفتحت أبوابه بل واتسعت المراكز القيادية فيه لبعض الشيوعيين ، بل وثبت ان الذين يحاربون الاتحاد القومي ويعملون على وأده هم الإقطاعيون وأعوان الإستعمار الذين يحرضون على إستبعاد الشيوعيين منه . إن الاتحاد القومي مفتوح للعمال والفلاحين والمثقفين

سائر الفئات الوطنية باعتبارهم مواطنين ، وباعتباره شكلاً جديداً من أشكال التحالف بين القوى الوطنية .

ونوقف عند عبارة « باعتبارهم مواطنين » ونسأل عما إذا كانت تعنى الرضا بالانضمام كأفراد .. أى كمواطنين دون التثبيت بفكرة الدخول كحزب أو حتى ككتيار أو كممثلين لتيار ؟

بمجرد سؤال .

واستكمالاً لوجهة النظر المتعلقة بالخلاف حول الديمقراطية تقدم فقرات من تقرير معنون « موقفنا من الإتحاد القومى » .. أصدره رفاق حدثو بالإسكندرية بعد وقوع الانقسام وعندما بدأوا فى إصدار نشرات مستقلة :

الشيء الملاحظ فى مدينة الإسكندرية ان الرفاق لا يهتمون بتنظيمات الإتحاد القومى وغير متحمسين للاشتراك فيه ... ثم يمضى التقرير السياسى للحزب الشيوعى المضرى ودعاه إلى حل الحزب والانضمام كأفراد إلى الإتحاد القومى .

والثانى : إن هذا التقرير يمثل كما قال الرفاق الأربعة الأغلبية التى صنعها تحالف رفاق الراية ، ع . ف فى المكتب السياسى للحزب .

ولنطالع رأى هؤلاء الرفاق :

كنا نتوقع أن تجيء تصريحات السيد أنور السادات السكرتير العام للإتحاد القومى للصحف لتبدد كثيراً من التساؤل لدى الأغلبية الساحقة من جماهير الشعب والمثقفين حول الإتحاد القومى ما هو ، وما هى أهدافه ، وما تكوينه ، وما علاقته بالأحزاب السياسية حالياً ومستقبلاً ، غير أن تصريحات السيد أنور السادات لم تضيف فى هذا الشأن شيئاً .. فهو حتى الآن حريص على التأكيد بأن الإتحاد القومى ليس حزبا ، ولا نظاما للحزب الواحد ، ولا جبهة وطنية ، ولا هيئة تحرير أخرى ، ولا جهازاً حكومياً . ولا بد بعد هذه التأكيدات أن يتساءل الوطنيون بالحاح : وإذن فماذا يمكن أن يكون هذا الإتحاد القومى ؟ .

ثم يشير التقرير إلى الهجوم المستقر على الشيوعيين الذى شنه السادات مهاجماً ذوى الأفكار المعنية ويرد على هذا الهجوم قائلاً : «إن القضية الأساسية التى تخفى وراء تلك الحملة هى قضية الفشل فى تكوين الإتحاد القومى ، قضية إنقضااض الجماهير الشعبية عن دخول الاتحاد القومى ، ولا يملك السيد أنور السادات إلا أن يعترف ضمناً بهذا الفشل الواقع ، ومع ذلك فهو لا يريد أن يعترف بالسبب الحقيقى لفشل الاتحاد القومى ألا وهو فرض

الإتحاد القومى على الشعب ، مع حرمان الشعب من تكوين أحزابه ، إن السيد السادات لا يريد أن يواجه قضية الشعب الأساسية التى يثيرها الإتحاد القومى وهى قضية الديمقراطية ، غير أنه يكتفى بالتلميح إلى أن الشيوعيين هم وراء فشل الإتحاد القومى بسبب نظرتهم الجامدة عن الديمقراطية التى لا تتحقق عندهم على حد قوله إلا بوجود أحزاب .»

إن السيد السادات يرفض وجود الجبهة الوطنية كما يرفض وجود الأحزاب وهى الأساس الذى يمكن أن يقوم عليه اتحاد قومى راسخ البنيان ، ولما لم تكن هناك أحزاب إلى جانب الاتحاد القومى سوى الحزب الشيوعى فليس لنظرية السيد أنور السادات سوى معنى بديهى وهو رفض دخول الشيوعيين فى الإتحاد القومى .

ثم يمضى التقرير .. وهكذا يحسن أن نؤكد جميعا حقيقة تعدد الطبقات فى مصر ، وحقيقة قيام الصراع الطبقي فيما بينها ، وليس الصراع الطبقي من إختراع الشيوعيين وإنما هو حقيقة موضوعية فى المجتمعات ما بقى فيها تعدد الطبقات .. إن إلغاء الصراع الطبقي لا يكون إلا بإلغاء الطبقات ذاتها .. ولن يحدث ذلك إلا عن طريق الاشتراكية وهذا بالضبط ما يكافح الشيوعيين من أجله^(١)

لقد اتخذت الطبقات فى مصر أحزاباً لها فى الماضى . كما ظهر الحزب الشيوعى الذى يمثل أحدث الطبقات الإجتماعية وهى الطبقة العاملة وجمهرة الكادحين فالطبقة العاملة المنظمة فى المصانع طبقة لها مصالحها المتميزة ، ولقد ناضلت منذ نهاية القرن الماضى فأجسنت النضال من أجل مصالحها الخاصة ومصالح الوطن كله ، وهى اليوم طبقة واعية حسنة التنظيم لا ينكر أحد وجودها ولا يجهل أحد نضالها . ولقد وجد الحزب للطبقة العاملة على الرغم من جميع العقبات .. وفى ظروف بلادنا التى يجب أن تتحد لمواجهة العدو الواحد لا يمكن أن يكون وجود الحزب الشيوعى وتجاهه فى تمثيل طبقته ونضاله لتوحيد صفوفها مصدراً لاستياء أحد من الوطنيين .

ثم .. فالواقع الذى لا شك فيه إن الإتحاد القومى لا يتنافى مع الحزبية بل إنه يقوم أساساً على فكرة الحزبية وهو نفسه حزب من الأحزاب . إن الإتحاد القومى حين يرفض أن يكون جبهة وطنية . وحين يرفض أن يمثل أكثر من إتجاه واحد ، فإنه يمثل عندئذ

(١) حول الإتحاد القومى - رد على السيد أنور السادات - كتيب مطبوع بالمطبعة من عشرين صفحة من القطع الصغير موقع المكتب السياسى للحزب الشيوعى المصرى مؤرخ ١٩ سبتمبر ١٩٥٨ - (نسخة أصلية) ص ٥ .

إتجاهاً واحداً هو إتجاه الرأسمالية الوطنية ... وهكذا وباسم الوحدة الوطنية ، وباسم الدعوة لنبد الحزبية ، تسارع طبقة واحدة هي طبقة الرأسماليين الوطنيين بتكوين حزبها ، وحظير تكوين الأحزاب الأخرى ، وفرض حزبها الواحد على الطبقات الوطنية جميعها .

وأيضاً لقد أصبح الإتحاد القومي بتكوينه الحالي وبواقفه؛ الراهنة خطراً على الوحدة الوطنية . فالإتحاد القومي بتكوينه غير الديمقراطي ، وبرفضه أن يكون جبهة وطنية ، وبإصراره على أن يكون حزباً فوق كل الأحزاب ، بل حزباً فوق الجبهة الوطنية ، وبسيطرته المفروضة على التنظيمات الجماهيرية النقابية والسياسية ، وبتعاونه الوثيق مع المباحث العامة ورجال الإدارة قد تحول بذلك إلى سلاح ضد الجماهير الشعبية يحاربها في حريتها وفي أرزاقها ، ولا يمكن بالتالي أن يكون ساحة الوطنية التي تضم الوطنيين جميعاً^(١) .

وهنا ممكن الخلاف حول قضية (الديمقراطية) كما يراها الشيوعيين . ترى ماذا يرون بشأن الوحدة العربية والقومية العربية .

في بداية الأمر تحدث الشيوعيين المصريون عن القومية العربية كمرحلة من مراحل النضال ضد الإمبريالية ، كصرخة في المعركة ضد العدو المشترك .. ولكن بعد أن توحد الشيوعيون المصريون في حزب واحد ، تحولوا إلى القول بفكرة القومية العربية . وأصدر الحزب دراسة تحدد موقفه من القومية العربية موقعة بإسم خالد وعباس وقد جرى توزيعها على نطاق واسع .

ويشير إلى هذه الدراسة أيضاً بل ويورد نصوصاً كاملة منها الحكم ودوره في كتاب كرس أساساً لترويج سياسة العداء للشيوعية ويقول دروزه ففي عام ١٩٥٨م قدم الحزب الشيوعي المصري لأعضائه دراسة عن القومية أصدرها في كراس بعنوان « مفهوم القومية العربية بقلم الرفيق خالد وعباس »^(١) .

وقبل أن نستعرض ما جاء في هذا التقرير الهام نود أن نقرر أن كلا من المؤرخ المعروف عجوانى والحكم دروزه قد أخطأ في نسبة هذا التقرير إلى الرفيقين خالد وعباس .. ذلك

(١) المصدر السابق ص ١٧ .

(١) الحكم د. روزة . الشيوعية المحلية ومعركة الحرب القومية - الطبعة الثالثة - ١٩٦٣ - مكتبة منيمه - بيروت ص ١٧٢ .

إن كاتبى التقرير كانا « فريد » (محمود أمين العالم) وميد (د. عبد العظيم أنيس)^(١).

ماذا يقول التقرير الذى قال د. فؤاد مرسى أنه كتب بطلب من المكتب السياسى للحزب والذى ينقله د. رفعت السعيد فى كتابه ..

إن نشأة النظام الرأسمالى تعنى بالضرورة القضاء على التجزئة والنظم الإقطاعية فى أشكال الحكم والإنتاج والحياة الإجتماعية ، وتدعم كل المقومات للوحدة القومية وتطورها ، ولهذا يؤرخ لظهور القومية بظهور النظام الرأسمالى .. ولم تنشأ القومية العربية عن هذا القانون الموضوعى للتاريخ وإن اختلفت عن سائر القوميات الأوروبية فى مدلول نشأتها وذلك للملايسات الخاصة التى صاحبت هذه النشأة .

ولم تتخذ الحركة الوطنية العربية طابعاً دينياً متعصباً بل ساهم فيها - وما زال يساهم المسلمون والمسيحيون على السواء ، فكان المثقفون المسيحيون فى بيروت والشام خاصة من أوائل الداعين إلى الوحدة العربية والعاملين على إحياء التراث الثقافى العربى .

ثم يحدد التقرير مقومات القومية العربية فيقول :

١ - القومية العربية هى حصيلة تاريخ مشترك لجماعة من الناس عاشوا وتآلفوا وناضلوا معاً مئات السنين .

٢ - القومية العربية لها لغتها الواحدة التى تحمل تراثها وخلاصة خبرتها التاريخية .

٣ - القومية العربية تشترك فى رقعة واحدة من الأرض مهما اختلفت وتعددت مظاهرها الجغرافية .

٤ - القومية العربية لا تشترك فى حياة إقتصادية واحدة ولكن هذه المشكلة ليست عائقاً أمام وجود القومية العربية .. لأنه من الواضح أن هذه الحقيقة مرتبطة تماماً بأن دولا إستعمارية مختلفة لا تزال تسيطر على مقدرات إمكانات وثروات أجزاء من الوطن العربى .. ولقد كانت السوق العربية المشتركة موجودة فى الماضى قبل الإحتلال الغربى بشكل أو بآخر . وعمل الإستعمار على تحطيم هذه السوق بوعى ، والقضاء على تكامل الإنتاج فى الوطن العربى ،

(١) بمناقشة للدكتور رفعت السعيد مع د. فؤاد مرسى وأبو سيف يوسف ومحمود العالم أكدوا أن الكاتبين كانا فريد وسيد . ونضيف أنه يعرض النصوص المنقولة عن الحكم د. روزة منسوبة لهذا التقرير على د. فؤاد مرسى بأن النصوص تتفق مع ما تعيه الذاكرة عن هذه الوثيقة .

ومع ذلك فأسس التكامل في الإنتاج لا تزال قائمة ، وإن كانت متاثرة تقوم بينها الحدود المفتعلة .

هـ - التكوين النفسى المشترك أو (الطابع القومى) للأمة العربية .

ويعضى التقرير محذراً العديد من الرفاق الذين لم يكونوا قد قبلوا بعد هذه الفكرة قائلاً :
« مهما كانت الفوارق السطحية التى تبدو لنا هنا فى مصر مقنعة للبعض منا بأنها فى نهاية الأمر مختلفون نفسياً عن بقية العرب ، إلا أن هذه النظرة ليست إلا بقايا الانعزالية فى مصر إزاء القومية العربية » .

ثم يتحول التحذير إلى تأكيد أن القومية العربية على هذا الأساس الذى أوضحناه ليست شعاراً سياسياً تكتيكياً ولا هى عصبية دينية . إن القومية العربية ليست تطلع طبقة إجتماعية صاعدة نحو أسواق جديدة بهدف تكوين إمبراطورية جديدة تخدم أغراضها التوسعية . إن القومية العربية ظاهرة تكون أمة واحدة لها كافة المقومات الأساسية للأمة الواحدة ، وتناضل كل فئاتها الوطنية الشعبية لتجميع شتاتها المبعثرة وتكامل إقتصادها الممزق وتطويرة ، وخلق سوقها المشتركة واستعادة ثرواتها وأراضيها التى سلبها الإستعمار ، والقضاء على كل القوى الرجعية والاستعمارية المعرقة لثموها ، ورفع مستوى معيشة أبنائها وتطوير حياتها وتنمية ثقافتها ..

وأخيراً .. إن القومية العربية فى جوهرها حركة شعبية نضالية معادية للإستعمار ، فالإستعمار هو الذى أقام الحدود والحواجز فى وجه هذه القومية ..

ولهذا كانت معركة التوحيد معركة فى جوهرها معادية للإستعمار ، وهى بالضرورة حركة تقدمية من الناحية الإجتماعية ، ففى نضالها ضد الإستعمار تناضل كذلك ضد عملائه وحلفائه من الإقطاعيين والإحتكارين وهى تحرر ثروات أرضها وطاقات شعبها من الإستغلال .. والإستعباد .. وهى بهذا تتيح لأبنائها إرتفاعاً فى مستوى المعيشة كما توفر لهم حريات ديمقراطية متعاضمة .

ولكن الأمور تطورت فى عكس هذا الإتجاه المؤيد للوحدة العربية .

ففى يناير ١٩٥٨م .. والحزب الشيوعى يوشك أن يتحد .. كانت الجمهورية العربية المتحدة توشك أن تولد .. ويعتبر الحزب هاتين الوحدتين رمزاً لصعود الحركة القومية والحركة المعادية للإستعمار .

وفي خضم هذه الدوامة .. تأتى ثورة العراق كما يراها الشيوعيين وتفتح أبواب الإنطلاق غير محدودة أمام الحزب الشيوعي العراق ، وتبدو العراق نموذجاً عربياً مختلفاً ، فقد شهدت الأسابيع الأولى من ثورة العراق إنطلاقاً مدهشاً للديمقراطية .. بما شجع الفكرة القائلة بأن العراق الجديد هو الطريق الديمقراطي والتحررى للقومية العربية ، وأنه البديل عن الطريق الديكتاتورى الذى يمثله عبد الناصر .

ويقول عجوانى : « لقد إتجه الشيوعيون المصريون والسوريون بأنظارهم تجاه الثورة العراقية .. الأمر الذى أقلق عبد الناصر كثيراً .. »

وأصبح الأمر بالغ التعقيد وفقاً لما يقوله د . رفعت السعيد .

صحيح إن ثورة العراق كانت ضربة عنيفة للإستعمار والرجعية .

ولكن النموذج المصرى الناصرى الذى أسرع بتأييدها بدأ يتحسس آثارها الجانبية ، وأخذ منها ما هو سلبى بالنسبة له . فهناك نموذجاً ديمقراطى منطلق بغير حدود . هذا النموذج يلفت أنظار القوى الوطنية والتقدمية العربية والعالمية بعيداً عن النموذج الناصرى الذى ظل ولفترة طويلة وحيداً ، ومستمتعاً وحده بكل إعجاب ، وكل تأييد .

وبدأ الإحساس بالمنافسة .. أو إن شئنا استخدام ألفاظ قد لا تليق ببحث أكاديمى لكنها مغيرة تماماً .. بدأ الإحساس بالغيرة . فالبطل الذى استمتع وحده بدور النجم .. واللاعب الوحيد على المسرح بدأ يشعر بأن الأنظار تنصرف عنه إلى بطل جديد لعله صعد بصورة أكثر درامية وأكثر جاذبية ومصطحجاً معه جالة من الصخب الديمقراطى أثارت الإهتمام ولهفت الأنظار .

ولعل البطل قد أحس أن التأييد التقدمى العربى والدولى قد أصبح موزعاً وليس منصباً عليه وحده والقول لمؤرخ الحركة الشيوعية المصرية .

ولعله أحس بهواجس عديدة ..

لكن الأمر بالنسبة للشيوعيين أكثر من معقد ، فإن النظام لم يعد يطالبهم بالتأييد الكامل وبلا نقد ، وإنما بتأييده وحده دون الآخرين .

وفي ذات الوقت كانت بعض مشكلات الوحدة المصرية - السورية قد بدأت فى البروز ويتطلب الأمر بياناً مطولاً يصدره المكتب السياسى للحزب الشيوعى المصرى ... يتحدث فيه عن الدعوة المتعجلة للوحدة مع العراق .. أو بالدقة لفرض الوحدة على العراق ربما بهدف احتواء هذا المد الديمقراطى فيقول بيانه الذى صدر وقتها

« .. ونحن من أشد أنصار هذه الوحدة ، نطالب بها ، ونعتبرها خطوة ضرورية لتدعيم الثورة في العراق ، والتعجيل بالوحدة العربية الشاملة . ولا شك أن ، الاستعماريين سيقفون في سبيل تلك الوحدة بكل وسيلة لديهم . وهامهم يتآمرون عليها حتى تحقق ، تارة بمحاولة تفكيك الوحدة المصرية السورية ، وتارة بمحاولة الإيقاع بين البرجوازية العراقية والبرجوازية المصرية .. » .

ولكن .. في ظل قومية كالقومية العربية ممتدة في بلاد مترامية الأرجاء ، وتسودها ظروف إقليمية واقتصادية وسياسية واجتماعية متفاوتة ، يصبح من الضروري أن نضع في الاعتبار دائماً حقيقتين أساسيتين هما الخصائص الإقليمية والفروق الاقتصادية .

وكانت عبارة «الخصائص الإقليمية» تثير حساسية مفرطة لدى الحكم المصري الذي كان مصمماً على تطبيق نموذج الخاضع على كل أرض تتحد معه ..

بلى إن البيان يقول : « إن أية وحدة تفرض بغير مراعاة للحقائق التاريخية والموضوعية ليست وحدة ناجحة » .

وأيضاً أنه من الضروري .. أن نضع في الاعتبار الخصائص الإقليمية للبلاد المتحدة حتى لا تلغى شخصيتها أو نضعفها .

وتفرقت السبل بين الشيوعيين والحكم كما يقول د . رفعت السعيد وكان الموقف السابق للشيوعيين من القومية هو نقطة الخلاف الثانية الأمر الذي صعد الصدام وأودى بالشيوعيين إلى السجون وبل القتل .

ثانياً : (اغتيال) شهدى عطية) كنموذج علاقة عبد الناصر بالشيوعيين :

ولتأكيد الخلاف السابق بين عبد الناصر والشيوعيين نأخذ نموذجاً مثالياً يحلل ويقيس أبعاد وحجم هذا الخلاف ، إنه نموذج (مقتل شهدى عطية شافعى) فماذا عنه ؟

شهدى عطية الشافعى أحد زعماء الحركة الشيوعية المصرية ، بآفاقها الاشتراكية منذ الأربعينات ، فبعد عودته أثناء الحرب العالمية الثانية من إنجلترا ، وبعد أن حصل على درجة الماجستير فى الأدب الإنجليزى شارك فى تأسيس دار الأبحاث العلمية ، وهى الدار التى قدمت لمصر عدداً كبيراً من المثقفين والعلماء الوطنيين .

وفى عام ١٩٤٥م صاغ شهدى ومعه زملاء له آخرون برنامجاً للحركة الوطنية ، صدر فى كتيب بعنوان : « أهدافنا الوطنية » . وفى هذه الفترة قام شهدى بترجمات للعديد من

كتب الفكر الاشتراكي العلمي ، منها الاشتراكية العلمية والخيالية - لانجلز - وقام بدور بارز في نشر الفكر الاشتراكي والمساهمة في قيادة الشباب الثوري للمساهمة في الحركة الوطنية الجماهيرية التي أخذت في التصاعد عقب الحرب العالمية الثانية ضد الاحتلال البريطاني ، فقاد مجموعة من الشباب الاشتراكي ، كان لها دور بارز في تأسيس اللجنة التحضيرية للجنة الوطنية للطلبة في صيف عام ١٩٤٥ م .

وكان من بين هذه المجموعة جمال غالى ، وسعد زهران ، وجمال شلبى ، وعبد المنعم الغزالى ، ومحمد الجندى ، وقاطمة زكى ، ولطفة الزيات .. ثم كان له دوره القيادى فى التحضير لقيام اللجنة الوطنية للطلبة والعمال ، والتي قادت يوم ٢١ فبراير عام ١٩٤٦ م أحد أهم أيام النضال الوطنى ضد الاحتلال البريطانى .

وعندما شن « إسماعيل صدقى باشا » صاحب مشروع صدقى - يفرن حملته الصليبية ضد الحركة الوطنية ، كان شهدى ممن صدر الأمر بإعتقاله ، ولكنه تمكن من الإختفاء لمدة ثلاثة شهور .

وعندما عاد إلى الحياة العلنية ، قاد العمل من أجل إنشاء جريدة جماهيرية للإشتراكية ، تكن منبراً للعمال والفلاحين ، فصدرت جريدة الجماهير عام ١٩٤٧ م. والتي كان يرأس تحريرها محمود النبوى ، وكان المسئول الفعلى عنها هو شهدى . وعرفت الجماهير حينئذ مقالات شهدى العنيفة ضد الإستعمار وعملائه .

واعتقل شهدى فى آخر عام ١٩٤٨ م وقدم إلى المحاكمة ، فصدر الحكم ضده بالأشغال الشاقة سبع سنوات ، وعندما طالبه والده بأن يقدم إلتماسا إلى الملك ، رفض وخرج من السجن فى عام ١٩٥٥ م ، وكانت ثورة ٢٣ يوليو تخوض معركة عنيفة ضد الأحلاف العسكرية وضد حلف بغداد ، فصدر له كتابه ، « أمريكا والشرق الأوسط » . وتبين شهدى ، خط التطور الرئيسى لثورة ٢٣ يوليو بإعتبارها وطنية معادية للإستعمار وركز فى نضاله على :

الأولى : ضرورة وحدة كل القوى الوطنية والتقدمية .

والثانية : وحدة كل فصائل الاشتراكية العلمية ، حيث كان الإنقسام يمزق صفوف الماركسيين .

وفى عام ١٩٥٦ م ، وبعد تأميم قناة السويس ، شارك شهدى فى الكتابة فى جريدة المساء بمقالات وأبحاث ودراسات ، وخلال العنوان الثلاثى ، إنخرط فى المقاومة

الشعبية . وفى هذه الفترة افتتح مكتب مصر للترجمة والنشر ، ونشر كتابه « تاريخ الحركة الوطنية » ، ونشر روايته « حارة أم الحسينى » على حلقات فى جريدة المساء .

وفى عام ١٩٥٨م - وبعد شهر من قيام الوحدة المصرية - السورية ، وقيام الثورة العراقية ، وسقوط حلف بغداد - تمكنت القوى الإستعمارية والرجعية من أن تحدث الفرقة فى الصف الوطنى الديمقراطى وابتداء من عام ١٩٥٩م شهدت المنطقة صراعاً داخلياً عنيفاً داخل صفوف القوى الوطنية ، وشتت أعنف حملة ضد الشيوعيين المصريين ، وكانوا قد انقسموا فى يوليو عام ١٩٥٨م ، بعد إتحادهم فى فبراير عام ١٩٥٨م .

ودخل شهدى السجن مع المئات من المثقفين والعمال والفلاحين فى أول يناير عام ١٩٥٩م . ويؤكد الشيوعيين أن شهدى لم يفقد الرؤية الموضوعية لواقع الحركة الوطنية المصرية والعربية ، وإن ثورة ٢٣ يوليو بقيادة الرئيس جمال عبد الناصر ، ثورة وطنية معادية للإستعمار ، تتطور نحو آفاق الثورة الوطنية الديمقراطية ، وخاصة بعد تمصيرها للإقتصاد المصرى ، أثر المواجهة مع الإمبريالية العالمية عقب تأميم قناة السويس ، وإقامة الوحدة المصرية - السورية . وفى اللحظة التى تسلم فيها شهدى وزملائه قرار الإتهام ، والذى بمقتضاه يقدمون إلى محكمة أمن الدولة العليا ، لم يفقد - بإعتباره المتهم الأول - الرؤية الموضوعية ، وضرورة الإستمرار فى المطالبة بإعادة الوحدة إلى الصف الوطنى والعربى ، فكتب من داخل السجن رسالة وجهها إلى الرئيس جمال عبد الناصر ، أكد فيها شهدى أن حملة العداء للشيوعية لم تكن إلا من تدبير القوى الإستعمارية والرجعية ، لإضعاف جبهة التحرر الوطنى العربى^(١) .

وعندما مثل أمام محكمة أمن الدولة العليا فى الأسكندرية ، القى شهدى كلمة إفتتاحية فى جلسة الثلاثاء ٨ مارس عام ١٩٦٠م ، جاء فيها :

واجب كل وطنى أن يؤيد هذا الحكم ، هذا واجب كل وطنى مخلص ، والتأييد الصادر لا عن مطمع ولا عن خوف . ولم أطلب أبداً ثمناً لهذا التأيد وقمت بالواجب من كل أعماق كمواطن مخلص شريف ، ولا عن رهبة ولا عن خوف ، وسبق إعتقالى والحكم على بالأشغال الشاقة ، وجاء لى والذى وقال ممكن السعى إلى تخفيف الحكم ، فقلت له السجن أحب إلى من أعمال الجبناء ، فبتأيدى للحكم الصادر من قلب خالص وسأستمر فى تأييده

(١) شهادة عبد المنعم الغزالى : فى كتاب تطور الحركة الوطنية المصرية - دار شهدى - القاهرة -

حتى ولو قدر الحكم على ، وكل نظام فيه عيوب ونواصص ، والكمال من صفة الله وحده .

وقال في نفس الكلمة :

« هل أحاكم لجرد إعتناق المبادئ الشيوعية كوصف الإدعاء ، وحتى لو ثبت للمحاكمة بأن أؤيد النظام وأنى لا أسعى لقلبه .. هل أحاكم اليوم لجرد هذا المبدأ ؟ ... مستحيل لأن مفيش دولة تحاكم من أجل المبدأ ، والرئيس جمال عبد الناصر قال لا يمكن أن تكون محاكمة لجرد اعتناق مبدأ » .

وقال للمحاكمة : والنيابة مثلاً كانت تسألنى : صحيح إنت بتأيد الحكومة اليوم إنما بكره حتعمل إيه ؟ .. وحكاية بكرة شاغلة الأذهان ، وقالوا إن كل الثورات الشيوعية قامت على القوة .. أقول : لم تقم ثورة ضد حكم وطنى ، وكل ثورة قامت ضد حكم رجعى خائن ، وعمر الثورة ما كانت ضد حكم وطنى .. وقال : « المهم ألا يلجأ الحزب الشيوعى إلى القوة فى طلب حكم وطنى . والخلاف لا يمكن أن يخرج من الوحدة الوطنية » .. ثم قال : « إن المسئول عن هذه الأزمة هو الإستعمار والصهيونية .. والخلافات البسيطة إستغلها الإستعمار والقوى الرجعية لتكيد للجمهورية العربية المتحدة لإشارة الشكوك والمهاجمات ، والجمهورية العربية ستتصر برغم الشكوك وسيصفو الجو ضد الإستعمار والصهيونية والعدو الداخلى والسحب القائمة لابد أن تنقشع ، وتشرق الشمس من جديد ، ورغم هذا فلقد عذبوا حتى قتلوا وعذبوا وانتهت محاكمة شهدى وزملاؤه ، ومن قبل كانت قد إنتهت محاكمة قضية أخرى ، كان على رأسها د . فؤاد مرسى وزملاؤه ، وقد رحلوا إلى أوردى إيمان أبو زعبل ، حيث كان يلقي مئات من الشيوعيين دون محاكمة ، تعذيباً متواصل منذ أكثر من سبعة شهور .

وليلة الخامس عشر من يونيو عام ١٩٦٠م ، نقل شهدى وزملاؤه إلى أوردى إيمان أبو زعبل ، وأعد لهم إستقبال خاص بدأ مع فجر يوم ١٥ يونيو عام ١٩٦٠م ، تحت إشراف اللواء إسماعيل همت والعقيد الحلوانى والعقيد عشوب ، والرائد صلاح طه والرائد حسن منير والضباط عبد اللطيف رشدى ، ويونس مرعى ، ومرجان إسحاق وعبد الفتاح هندى ، وكال رشاد والصول أحمد مطاوع ، كما أشرف على التعذيب الطبيين د . أحمد كمال أبو العلا ود . البير فهمى ، وعدد كبير من قوة الأوردى وحراسه .

وكانت كل أدوات التعذيب معدة .. العصي والكراييج الحبال وقناة مملوغة بالمياه لإغراق المعتقلين فيها و « عروسة » الجلد وبدأت عملية ضرب مركزة ومخططة .. ومن بين صفوف المعتقلين أخذ شهدى وحده ليركز الضرب عليه .. وخلال عملية من عمليات الجلد قتل

شهدى داخل الأوردي وقبل موته أرسل برسالة خاصة إلى عبد الناصر سنورها فيما بعد . وعندما سقط شهدى كان شهيد الجميع .. فقد إفتدى بحياته كل زملائه الذين عاشو شهوراً طويلة خلف جدران هذا السجن الرهيب ، يتلقون ألواناً عديدة من التعذيب .

وفي يوليو ١٩٦٠م ، كتبت زوجة الشهيد رسالة إلى رئيس محكمة أمن الدولة العليا التى حوكم أمامها شهدى وزملاؤه ، تطلب منه التحقيق مع المسؤولين عن جريمة قتل زوجها .

وبعد الحادث جاء الرائد حسن منير ومعه زوجته وإبنته إلى زوجة شهدى - وقال لها الموت مكتوب على كل إنسان ، والأستاذ شهدى مات كما يموت كل الناس وإنه معرض للإيذاء بسبب التحقيق فى هذه القضية وإن الداخلية تريد أن تدفع لأبنة شهدى أربعة آلاف جنيه ولها ألفان من الجنيئات . فقالت له زوجة شهدى ، إن دم زوجى لا يمكن أن تأقى أنت أو غيرك لتدفع ثمنه . إنه ضحى من أجل الوطن والشعب ، وأن الجرم الذى إقرنتموه يجب أن تعاقبوا عليه .

وفي فبراير عام ١٩٦٨م ، أقامت زوجة الشهيد ، وبصفتها وصية على إبنتها حنان ، دعوى تطلب فيها التحقيق عما لحقها وإبنتها من ضرر ، وتولى إقامة الدعوى والدفاع أمام القضاء المحامى أحمد الخواجه ، ونقيب المحامين حينذاك .

وطلب الدفاع - ضم تحقيقات النيابة منذ أول جلسة نظرت فيها القضية بتاريخ ١٩٦٨/٢/٢٩م ، وإستمر تأجيل نظر القضية حتى قدمت صورة خطية غير كاملة لتحقيقات النيابة بملزمة ١٩٧٤/١/١٠م ، إزاء إصرار المحكمة على ضرورة ضم التحقيقات التى أجرتها النيابة العامة ، وقد إتضح للمحكمة بعد ضم التحقيقات من كتاب مدير منطقة أوى زعبل إلى مدير مصلحة السجون رقم ٢٥٠ سرى « أن الصورة المقدمة كانت لدى مصلحة السجون من ١٩٦٠/١٠/١٢م ، ومع ذلك لم تقدمها إلا بعد ست سنوات من رفع الدعوى ، محاولة منها فى إخفاء معالم تلك الجريمة .

ولا شك أن توفر ظروف جديدة للقضاء ساعدت على ظهور تحقيقات النيابة ، والتى كشفت عن الجريمة البشعة .

وفي ٢٨ فبراير عام ١٩٧٤م ، أصدرت المحكمة حكمها التمهيدى ، والذى فيه حددت جلسة التحقيق فى ١٦/٥/١٩٧٤م ، وفى جلسة ٦ يونيو ١٩٧٤م ، استمعت المحكمة إلى شهود حضروا الواقعة وعذبوا مع الشهيد وهم : عبد المنعم الغزالى الجبيل وعبد العزيز محمود الصباغ ، وعادل محمود حسين ، ود . سعد الدين أحمد بهجت .

وفى ٢٨ نوفمبر ، وبعد أن استمعت المحكمة إلى مرافعة الدفاع عن زوجة الشهيد وابنتها حنان ، ومرافعة الخصوم ، أصدرت حكمها الذى جاء فيه :

« وحيث أنه فيما يتعلق بموضوع الدعوى ، فقد ثبت فى يقين المحكمة أن رجال الشرطة ، وحرس ليمان أبو زعبل تابعى المدعى عليه الثانى بصفته ، قد تجردوا من القيم الإنسانية والأخلاقية حسبا ذكر شهود المدعية ، الذين تطمئن إلى أقوالهم المحكمة ، نظراً لمركزهم الثقافى ، مما لا يتطرق معه الشك فى صدق أقوالهم ، واعتدوا بالضرب المبرح على مورث المدعية عن نفسها وبصفتها ، واتخذوا معه صنوف العذاب التى لا يقرها شرع أو قانون ، ولا يحكمها دين أو خلق ، وتجردوا من آدميتهم فى الإنتقام من هذا المخلوق الضعيف الذى ساقه القدر إلى قلوب غلاظ تجردت من معانى الخلق وقيم الإنسانية وإنقلبوا وحوشاً آدمية إنتهزت فرصة وقوع فريستها الضعيفة بين أيديهم مجرداً من الحول والقوة ، وإرتكبوا معه من صنوف العذاب وألوان التعذيب ما تقشعر منه النفس ويشيب من هوله البدن ، حتى سقط ذلك المخلوق الضعيف صريع هذا الظلم والقسوة بين هذه الأيدي الآتمة ، لا لذنوب جناه إلا جريمة رأى لم يفصل فى إرتكابه لها بعد .

وكان فى هذا الحكم ما يكفى .

أما بخصوص رسالة شهادى إلى عبد الناصر فقد جاء فيما ما يلى :

مذكرة من شهادى عطية

إلى الرئيس جمال عبد الناصر

من داخل السجن

السيد الرئيس جمال عبد الناصر

إنى أشعر با سيادة الرئيس بقوة القاهرة تدفعنى دفعاً إلى الكتابة إليكم ، مهما تعرضت فى سبيل ذلك للمخاطر - نعم .. أنى أعرف أنى مقدم لمحكمة أمن الدولة كالمتهم الأول فى قضية شيوعية (ولو أن جلستها لم تحدد بعد) .. ونعم إنى أدرك أن الفصل فى أمرى إنما يجب أن يترك لهذه المحكمة . ولكنى أشعر أن قضية الوطن أكبر من كل شيء ، وأن محاكمتى ليست مجرد محاكمة لفرد بتهمة يعاقب عليها قانون العقوبات .. إنما هى أخطر من ذلك بكثير .. إنها قضية مبدأ وقضية جزء من أبناء هذا الوطن ، هم من أخلص المؤيدين لزعامتكم الوطنية ولسياستكم التحررية ، وللأسس الاجتماعية والاقتصادية التى شيدتموها بموجب هذه السياسة ، ومع هذا فهم يوضعون اليوم موضع المحاكمة والإتهام ! وياله من إتهام ! إتهام بقلب

نظام حكم وطنى هم من أشد الناس حرصاً عليه ، ومن أكثر الناس استعداداً لبذل دمهم دفاعاً عنه .

والواقع ، إن القضية ليست قضية الشيوعية ، ولا المبادئ الشيوعية ولا حتى التنظيمات الشيوعية ، فقد كانت هذه موجودة كلها .. أو مفروض وجودها على الأقل فى السنوات الثلاث ما بين ١٩٥٦ - ١٩٥٩ م ، وهى مع هذا لم تكن تتعرض لمثل هذا الهجوم على نطاق واسع ، ولمثل هذه المحكمات . وقد قرأت قرار الانهزام بإمعان فلم أجد إشارة واحدة ، ولو من بعيد ، تدل على إنه نعى إلى علم المباحث أن تغيراً مفاجئاً قد تم فى خط الشيوعيين المصريين ، كأن قرروا مثلاً التحول من التأييد إلى الوجود ، أودعوا بشكل مباشر أو غير مباشر ، خفى أو ظاهرى إلى قلب نظام الحكم القائم ! مجرد الدعوة إلى مظاهرة أو لأى تحرك من التحركات ، أو حتى مجرد إثارة الخواطر .

وقد كان هذا تعبيراً ولا شك عن خلاف فى أوجه النظر بالنسبة للقضايا التى تشغل بال القومية العربية ، قضية الوحدة السياسية وما يتصل بها .

وكان طبعاً أن يحدث هذا الخلاف ، فأجزاء الوطن العربى مختلفة فى درجة تطورها الاقتصادى والسياسى والإجتماعى والفكرى . ومن ثم لم يكن شاذاً قط أن تتعدد أوجه النظر وأن ينشأ الخلاف ، كما ينشأ بين أفراد الأسرة الواحدة ، ولكن الأمر الذى كان شاذاً حقاً هو أن يتحول هذا الخلاف إلى خصومة وعداء بين حكومتين عربيتين حديثتين مستقلتين وأن تنقسم القوى العربية الوطنية إنقساماً مشعباً بالعداوة والخصومة وروح الانتقام .

وما كان هذا ليحدث قط لو أن قوى رجعية لم تنتهز فرصة الخلافات ، لتضرم فيها النار ولتضخم فيها ولتهول من أمرها ، حتى يتحقق الانقسام فى الصف العربى والصف الوطنى - وقد كان الإستعمار وإتباع الإستعمار وذبوله فى بلاد العرب على رأس هذه القوى الرجعية . فإن من كان يتبع وكالات الأنباء الغربية والصحف الغربية الإستعمارية ، والصحف التركية والإسرائيلية وغيرها ، كان يهول الكذب والتهويل والتحريف .. الشيوعيون قد أصبحوا هم حكام العراق . الشيوعيون العراقيون والسوريون وقد أجمعوا على فصل سوريا عن مصر وضمها للعراق .. المفاضلة بين نظامى الحكم فى العراق والجمهورية العربية المتحدة ، أيهما أكثر ديمقراطية والمفاضلة الرجلين جمال وقام أيهما أكثر معقولة بالنسبة للإستعمار .

دعايات مسمومة كانت تنصب بها على شئ واحد هو توسيع هوة الخلاف بين الجمهوريتين ، تعطيل كل مسعى لحل مشاكلهما سلمياً ، تعطيل كل خطوة لتحقيق التضامن والإتحاد بينهما ، لأن الإستعمار والصهيونية كانا يدركان جيداً - إن تمام التضامن والإتحاد

بين الجمهوريتين إنما هو إنذار والتصفية النهائية الكاملة للنفوذ الإستعماري في الوطن العربي وإنما هو إيدان بالقضاء التام على كل إتباع الإستعمار وأفكاره في الشرق العربي .

ولكن الإستعمار والصهيونية وإذناهما ، لم يكن ليكتفو بالتفرقة والإنقسام بين الجمهوريتين ، إنما أرادوا أن يشعلوها ضراماً في الشرق العربي كله ، بأن تنقسم الصفوف الوطنية بين شيوعيين وقوميين ، يتطاحنون معا - ويضرب بعضهم بعضا ، حتى تتاح الثغرة للإستعمار والصهيونية فيضربا ضربتهما ، وحتى يشتد ساعد إتباع الإستعمار في داخل الشرق العربي وتزداد سطوتهم تحت ستار مكافحة الشيوعية ، وحتى لو إرتفعت أصوات هؤلاء الأذئاب تزعم أن الخطر الإستعماري قد زال أو أوشك أن يزول وإن القضية الرئيسية هي لمن تكون السلطة ، ثم وعلى أي غرار يكون شكل الحكومة أتكون ديموقراطية شيوعية أم ديموقراطية وطنية ، لا شرقية ولا غربية !

وقد كان الإستعمار وعملاء الإستعمار على إلمام كامل بالحقائق كانوا يعرفون جيداً أن الشيوعيين العراقيين لم يكونوا بالقوي التي يستطيعون بها الإستيلاء على الحكم حتى لو فرض وأرادوا ذلك ، وكانوا يعرفون جيداً إن الشيوعيين في الإقليم المصري من أشد أنصار الحكم الوطني إخلاصاً ، وأكثرهم دعوة للشعب الإلتفاف حول زعامة عبد الناصر ، لا للجمهورية وحدها ، وإنما للشرق العربي بأسره . وكانوا يعرفون أن الشيوعيين حملة لواء الجبهة الوطنية المتحدة التي تضم العمال والفلاحين والمثقفين والرأسماليين الوطنيين وصغار الملاك من أجل دفع الوطن إلى الإمام ، ومن أجل معركة البناء وهذا الأمر كان يغيظهم أشد الغيظ ، ويؤلمهم أشد الإيلام ، وعلى هذا كان الإستعمار وعملاؤه يدركون أن الشيوعيين المصريين أبعد مايكونوا عن التفكير حتى مجرد التفكير - في قلب نظام الحكم أو الإستيلاء على السلطة .

ولكن الإستعمار وعملاؤه كانوا يريدون بإشعال نار الخلافات بإثارة البغضاء والتشكك ، أن تتسع الحملة على الشيوعية ، فتخرج من نطاق العرب إلى الشيوعية في كل مكان ، فتعزل الجمهورية العربية المتحدة عن المعسكر الإشتراكي وعن عونه الأدنى والمادى والسياسي والإقتصادي . فلا يبقى لها إلا أحد أمرين - إما أن يشتد بأس هؤلاء الأتباع فيقوضون الحكم الوطني ، حين يتم إنزاله داخلياً ودولياً .

تلك كانت خطة الإستعمار وعملائه ولئن لم تكن هذه هي القوة الرجعية الوحيدة .. كان هناك الإقطاع على النطاق العربي ، وبقايا الإقطاع في النطاق الداخلي كان هناك بقايا الباشوات الذين أنزلت بهم الضربات تلو الضربات . وكانت هناك الأرستقراطية الجديدة التي ارتفع دخلها من ٧٠ إلى ٧٠٠ جنيه في الشهر الواحد والتي أخذتم تهددون - في خطابكم

الرائع بالمؤتمر التعاوني في نوفمبر ١٩٥٨ م - إن لم يرتدع أفرادها ويفكروا في مصلحة الوطن !

هذه القوى الرجعية كلها كان من مصلحتها يسيادة الرئيس أن تشعل نار الخلافات ، وإن تنفخ في الحزازات لتحولها لهيباً . نعم . فقد كانت هذه القوى الرجعية تدرك أن سياسة الجمهوريتين العربيتين المتحررتين ، لم تكن موجهة ضد الإستعمار فحسب ، إنما هي أيضاً موجهة ضد الإقطاع ، وضد الإحتكار وضد سيطرة رأس المال على الحكم ، وأن إتحاد هاتين الجمهوريتين إيدان بتحقيق هذه السياسة كاملة ، أى إيدان بضرب الإقطاع سند الإستعمار على النطاق العربى . وإنداد بتصفية بقايا الإقطاع في الجمهوريتين ، وناقوس الخطر بالنسبة للإحتكار وبكل إتجاه إحتكارى ، مما يهدد مصالحهم ونفوذهم في الصميم ، ومن ثم وزعوا أنفسهم على النطاق العربى ، ما بين متظاهر بتفضيل قاسم ، ومتظاهر بإيثار جبال ! والكل يعمل على إشعال نار الخلاف ، وإضافة الجديد من الوقود .

كل يوفر صدر هذه القوى الوطنية على تلك ، ويعمل على الإمعان في تقسيم الصفوف ، وكان إن اصطلمحت هذه القوى الرجعية كلها ، أن توجه ضربتها الرئيسية للشيوعية والشيوعيين وخاصة في الإقليم الجنوبي ، أولاً حتى تتخلص من قوة من أشد القوى حرصاً على تنفيذ سياسة عبد الناصر التحررية نصاً وروحاً - وهى السياسية التى تعادى مصالحهم - وثانياً حتى تحول أنظار الحكم الوطنى والزعيم عبد الناصر من الضربات التى كان يكيلها لها أو التى كان يعترم كليها لها ، من حد للأرباح ، وتخفيض لتكاليف المعيشة ، ومزيد من إخضاع القطاع الخاص للقطاع العام ، وتطهير الشركات والقطاع الحكومى من الجشعين والمبذرين والمرتشين ، ومن المضى في التوسع في تطبيق الإصلاح الزراعى ، وثالثاً حتى يتاح لها في غمرة التوسع في تطبيق الإصلاح الزراعى .

وثالثاً : حتى يتاح لها في غمرة الحملة ضد الشيوعية أن تقوى نفوذها الإقتصادى والسياسى ، وأن تضعف وتغرب التشريعات والتدبيرات التى اتخذت ضدها في السنين الأخيرة ، وأن يشتد بأسها حتى تستطيع يوماً أن تقول لا لأى تشريعات جديدة موجهة ضدها ، أو أن تحيلها حبراً على ورق بمجرد صدورهما ، بل أن يبلغ بها إشتداد البأس إلى درجة أما أن تسيطر تماماً على الحكم الوطنى أو تهدمه من أساسه لتكون لها السيطرة من جديد ، حتى ولو على حساب استقلال هذه الأمة ، وكرامتها وحريتها ، حتى ولو أسلمت البلاد للسيطرة الإستعمارية والصهيونية .

هكذا كانت خطة الرجعية على النطاق العربى وفي النطاق الداخلى ، وقد تلاقت هذه

الخطّة تماماً مع خطّة الإستعمار والصهيونية .

يا سيادة الرئيس :

إني عندما أتوجه إلى سيادتكم بهذا الخطاب ، فإنما أناخاطبكم من الأعماق وبكل إخلاص وأمانة . ها هي ٩ شهور قد مضت على بدء هذه الحملة ضد الشيوعية . فلنر حصيلتها على النطاق العربي . هل أزالّت الجفوة بين الجمهورية العربية المتحدة والعراق ؟ هل قضت على أوجه الخلاف بينهما ؟ هل مهدت السبيل لتحقيق الوحدة أو الإتحاد بينهما ؟ هل مهدت السبيل لتحقيق الوحدة أو الإتحاد أو حتى التضامن بينهما ؟ والتضامن والإتحاد بين هاتين الجمهوريتين المتحررتين المستقلتين بالذات ، هو اليوم فعلاً عماد التضامن العربي بأسره ، وركنه الركين وحصنه الحصين ؟

ثم ، ألا ترى النظام الملكي في الأردن هو الذي توطدت أركانه ، والنظام الملكي في السعودية - الذي سبق أن تأمر على حياتكم الغالية - هو الذي ثبتت أوصاله وأن أبا رقية لا زال ماضياً في غيه ؟

ثم لنر حصيلة هذه الحملة في نطاق الجمهورية العربية المتحدة ! ألم يفز رجال حزب الشعب في انتخابات الإتحاد القومي في الإقليم الشمالي ، وكلنا نعلم من هو حزب الشعب . ألم يكن أقوى عميل في سوريا الحلف بغداد ولنوري السعيد وللوحدة مع العراق الملكية ؟ . ألم تفز هنا فلولا الأحرار . المنحلة ومن رجال العائلات الإقطاعية في إنتخابات الإتحاد القومي في الإقليم الجنوبي ، وكلنا يعلم أنهم في جوهرهم معادون للحكم الوطني لأنه قد حرمهم من كثير في نفوذهم السياسي والاقتصادي .

ثم .. ألا نجد المعارضة تشنّد لقراركم الرائع الذي صدر بتحديد أرباح الشركات أوائل عام ١٩٥٩م ، وقانون التأمين الإجتماعي .. بل ألا نرى التخريب من كل مكان بالنسبة لقراراتكم الموقفة الأخيرة بتخفيض تكاليف المعيشة ؟

ولنسأل يا سيادة الرئيس حتى بالنسبة لحقل صحافة من أكثر الجرائد اليوم توزيعاً ؟ أليست أخبار اليوم التي تجتذب اليوم كثيراً من الصحفيين ، والتي كانت أيام الملك أشد الصحف ملكية ، وأيام مشروع صدق - ييفن أشد الناس مناداة بتوقيعه ، وأيام المعركة المسلحة في القتال أواخر ١٩٥١م أشد الصحف تشكيكاً في فائدة المعركة ، ألا ترى يا سيادة الرئيس موقفها المانع الباهت من أمريكا وتصريحاتها الأخيرة بالنسبة لمشروع الجزائر ، وبالنسبة للملاحاة في القتال .

يا سيادة الرئيس :

ثم ماذا كان موقفنا نحن رغم إعتقالنا ، رغم كل ما لاقيناه من عنف وإرهاق ؟ ألم تكن هذه محنة ما أفساها محنة ؟ ومع هذا لم ترحزنا قيد أنملة عن الثقة بوطنيتك ، وعن الثقة فيك كزعيم هذا الشعب حولك وحول حكمك الوطني ، تحالف كافة الطبقات الوطنية من أجل تنفيذ برنامجك البنائي تكاتف هذه القوى كلها في داخل الإتحاد القومي وتحويله فعلا إلى تنظيم فعال للشعب كله .

تأكيد وحدة مصر وسوريا التي هي الحصن الحصين للعرب كافة ، وإدانة كل حركة انفصالية أو أضعاف لهذه الوحدة بأي شكل من الأشكال وحل مشاكلها على أسس من شأنها تعديم الوحدة لا إضعافها .

إزالة الشقاق والجفوة بين الجمهوريتين ، وتناسي الأحقاد في سرعة وحسم ، وتمهيد الجو للتضامن بين الشقيقتين ، كخطوة لتحقيق الاتحاد بينهما مما يمهد بدوره للوحدة الشاملة العربية ، ونحن ننتظر من الدولة الأكبر وهي الجمهورية العربية المتحدة ، ومن الزعيم الأكبر وهو جمال عبد الناصر ، أن يكونا هما الأرحب صدرا وهما الساعيان لإزالة هذه الجفوة ، فالشقيقة الكبرى هي التي ينتظر منها الصبر والحكمة وإزالة مخاوف الشقيقة الصغرى ، وليس في هذا ما يغضب من كرامتنا ولا عزتنا ، وإنما في هذا ما يؤكد زعامتكم وقيادة الجمهورية العربية المتحدة باعتبارها الأقوى ما لا وجيشا وموارد وفيرة .

تأكيد العلاقات الودية مع المعسكر الاشتراكي ، فكما أنه ثبت أنه الصديق في المحنة الماضية ، فقد استمر في صداقته في هذه المحنة القاسية ، فلم يتأخر عن الوقوف بصلابة ضد مؤامرات الإستعمار والصهيونية ، بتجميع الصف العربي كله ، والصف الوطني جميعه ، وإعداد ما نستطيع من قوة اقتصادية وقوة عسكرية لمواجهة أى عدوان أو ضغط .

هذه هي سياستنا ، وهذا هو تطبيق مبادئنا وهي تنطبق تماما مع سياستكم الوطنية التحررية ، لأننا لسنا اليوم ولا في السنين العشر القادمة بصدد تطبيق الاشتراكية ، وإنما نحن اليوم بصدد إستكمال ما بدأته ثورة ٢٣ يوليو ، تحرير الوطن العربي من الإستعمار ، وتحرير اقتصادنا من مخلفات الإستعمار وإرساء قواعد الديمقراطية في إطار التحالف الوطني لكافة القوات الوطنية .

يا سيادة الرئيس :

ألم يخن الوقت والإستعمار يتلمز مرة أخرى لنا ولقتالنا بنجعة كفالة حرية المرور للسفن

الصهيونية والإستعمار ماضٍ في غيه بالنسبة لشقيقتنا الجزائر ، والإستعمار ماضٍ في إستخدام ضغطه الإقتصادي أن يلتزم الصف الوطني والصف العربي في سرعة وحسم وأن تزال الجفوة بين العراق والجمهورية العربية المتحدة في قوة وشجاعة ، وإنكم تستطيعون هذا ، بل أنتم وحدكم تستطيعون هذا ، بوقف محاکمتنا ، ووقف هذه الحملة بالإفراج عنا ، حتى نسمع كافة القوى الديمقراطية وجميع القوى التقدمية (حتى غير الشيوعية) بشروق الشمس وتبدد السحب القائمة التي حجبت نورها طوال هذه الشهور التسع .

وهل لي يا سيادة الرئيس أن أطمع في أن تبعث بمندوب نظمئن إليه من قبلكم أستطيع أن أفضى إليه بمحتون قلبي . يا للشكر الذي لا أستطيع أن أسطره هنا في خطاب لا أدرى في أي يد قد يقع .
وتفضلوا سيادتكم بقبول أخلص تحياتي وأصدق تمنياتي .

سبتمبر ١٩٥٩ م .

شهدى عطية شافعي^(١)

* ورغم هذه الرسالة العاطفية للغاية .. قتل جنود عبد الناصر (شهدى) ، تماماً مثلما قتل عبد الناصر (الشيوعية) في مصر رغم محاولات التأميم والتحصير ... فالفعل واحد وإن اختلف أسلوب التنفيذ .

ثالثاً : الصدام الثانى بين الإخوان المسلمين وعبد الناصر عام ١٩٦٥م :

تميزت الفترة التى واكبت الصدام الأول بين الإخوان المسلمين ومجلس قيادة الثورة ، بأنها كانت فترة عدم استقرار سياسى وصراع مع القوى السياسية القديمة من جهة وصراع فى داخل المجلس من جهة ثانية ، وتميزت العلاقة بين الإخوان والثورة وقتئذ بالتطور من التعاون وقت قيام الثورة وقبلها ، فالصراع المكثوم منذ ٢٣ يوليو حتى ١٤ يناير ١٩٥٤م .. فالصراع العلنى الذى أخذ شكلاً عنيفاً فى محاولة اغتيال عبد الناصر ، فاعتقالات وإعدام لقيادات الإخوان^(٢) .

(١) نص هذه الشهادة فى كتاب شهدى عطية فى كتاب : الحركة الوطنية المصرية - مصدر سابق .

(٢) كانت المحصلة الأخيرة لصدام ١٩٥٤ كالتالى : ٦ أفراد نالوا حكم الإعدام ، ٨ نالوا حكماً بالأشغال الشاقة المؤبدة ومنهم حسن المصطفى ، ٨٦٧ أحكاماً مختلفة بالسجن من محاکم الشعب ، ٢٤٥ أحكاماً بالسجن من المحاكم العسكرية .

بالنظام السياسى حيث استطاع النظام أن يواجهه مع الإخوان للمرة الثانية ، وكان من نتائج هذه المواجهة إعدام البعض من قيادات الإخوان وسجن الباقين ، وتطرفهم داخل السجون

ومنذ أكتوبر ١٩٥٤م حتى ٧ أغسطس ١٩٦٥م والعلاقة بين الإخوان المسلمين والنظام السياسى الناصرى مقطوعة ، بسبب الغياب الفعلى لجماعة الإخوان المسلمين داخل السجون ، ولكن التاريخ ينبئنا بأن هذا الغياب لم يكن مانعاً بأى حال من التحرك بالشكل السرى ، ومن خلال عملية تخطيط واسعة النطاق بقيادات جديدة ، كانت وقت الصدام الأول لا تزال حديثة السن والخبرة ، وكان عام ١٩٦٥م هو العام الفاصل فى علاقة الإخوان ليخرجوا منها مع بداية السبعينات وقد تحولت نظرتهم وفلسفتهم للمجتمع المحيط بهم . وليبدأوا سلسلة من المواجهات العنيفة مع النظام السياسى الجديد الذى حاول إحتواءهم وتوظيفهم فى مواجهة القوى الأخرى ، كانت نتيجتها النهائية اغتيال الرئيس أنور السادات يوم ٦ أكتوبر ١٩٨١م من خلال أحد التنظيمات الدينية السرية .

من هنا فإن الباحث يرى أنه بينما كان الإطار العام الذى توالتت فيه أحداث الصدام الأول حرياً به أن يؤدى إلى وصول الإخوان إلى مقاعد السلطة لو قدر لهم أن يتخلصوا من القيادات الجديدة وخاصة عبد الناصر ، فإن أحداث الصدام الثانى حدثت بين قوتين غير متكافئتين ، وأن محاولة ضرب النظام السياسى الناصرى ، لم تكن تجدى وخاصة أن عمليات التنمية قد سبغت سياسياً واجتماعياً البساط من تحت الأقدام المعارضة له . وفى هذا المبحث يدرس الباحث أربع جزئيات هى :

١ - الإطار العام للصدام الثانى : فى النصف الثانى من عام ١٩٦٥م كانت الخطة الخمسية الأولى قد أوشكت على الإنتهاء ، وزادت معدلات التنمية خلالها ، ولأول مرة فى مصر ، عن زيادة السكان ، وتدل الإحصاءات الرسمية على أنه من بين سنة ١٩٥٤م - ١٩٥٥م و ١٩٦٤م - ١٩٦٥م زاد الإنتاج المحلى من بليون جنيه إلى ١,٩ بليون ، ومخصصات الإستثمار السنوية من ١٧٠ مليون جنيه إلى ٣٦٤ مليون جنيه ، وفى نفس الفترة زاد مجموع الإستهلاك الخاص من ٧٥٣ مليوناً إلى ١٣٣٠ مليون جنيه ، والإستهلاك العام من ١٤٠ مليوناً إلى ٤٣٠ مليون جنيه ، أى بنسبة ١,٧٪ سنوياً للإستهلاك الخاص و ٨,٨٪ سنوياً للإستهلاك العام لكل سنة ، وأدى هذا التوسع الكبير إلى زيادة العمالة من ٦ ملايين فى عام ١٩٥٩م / ١٩٦٠م إلى ٧,٣ مليون فى عام ١٩٦٤م / ١٩٦٥م بزيادة ٢٢٪ أى بزيادة قدرها ١٣٠٠٠,٠٠٠ ألف عن الرقم المستهدف فى الخطة .

وكان أحد أهداف الخطة الأولى مضاعفة إنتاج قطاع الصناعة والتعدين والكهرباء ليرفع نصيبه في الناتج المحلى الإجمالى إلى ٣٠٪ وتحققت فعلا زيادة الإنتاج بنسبة ٩٪ سنويا ، أى ضعف ما تحقق في الفترة (١٩٤٥م - ١٩٥٢م) لتصبح نسبته إلى الناتج المحلى ٢٣٪ أى بدون الزيادة المخططة ، واستهدفت الخطة أيضا زيادة الإنتاج الزراعى ٢٦٪ إلا أن المحقق فعلاً لم يتجاوز ١٨٪ وزاد إنتاج الطعام خلال فترة الخطة الأولى بنسبة تفوق زيادة السكان .

وعلى المستوى السياسى كان دستور ١٩٦٣م قد صدر واجريت الانتخابات لمجلس الأمة وكان أول مجلس أمة بعد الميثاق ، نصفه من العمال والفلاحين وعقد أول اجتماعاته يوم ٢٥ مارس ١٩٦٤م . وفى هذا الاجتماع قام عبد الناصر بتوصيف المرحلة سياسيا وأسمائها بمرحلة التحول العظيم .^(١) فقام بوضع مبادئ الثورة الستة أمام أعضاء المجلس وقدم عنها تقريراً شاملاً ، ماذا نفذ منها ، وماذا تأخر تنفيذه ، ولماذا ؟ ثم قام عبد الناصر بتحديد ثلاثة أعداء للثورة هم الإستعمار وإسرائيل والصهيونية العالمية والرجعية العربية ، ثم حدد أهدافاً ثلاثة للمرحلة الجديدة هى : التنمية المتواصلة لمضاعفة الدخل ، وتأكيد القيم الثورية ، وتحقيق الوحدة العربية^(٢) .

وإستكمالاً لتوصيف هذه المرحلة حدد عبد الناصر المشكلات التى تواجه مصر وتحتاج إلى مواجهة وهى : مشكلة الزراعة ، وتطور الصناعة الثقيلة ، ومشكلة ثلاثة ملايين من العمال الزراعيين ، ومشكلة الإدارة الحكومية ومشكلة ضبط الأسعار ، ومشكلة تنظيم الأسرة ، ثم التعود على النقد الذاتى الشجاع^(٣) .

عام ١٩٦٥م ، إذن ، كما أسماه عبد الناصر بحق كان عام التحول نحو البناء الشامل فى الداخل ، وكان الوطن العربى يطفئ بالإقتسامات والثورات التى كانت على قمعتها ثورة اليمن وثورة الجزائر ، وشهد مواجهة إستعمارية جديدة مع قوى التحرر الوطنى فى العالم الثالث يومئذ ، حيث أمكن تنحية السيدة باندرانيكة وحزبها عن الحكم فى سيلان وانشغلت الهند عن جهود التنمية فى حرب شاملة فى باكستان ، وبدأت الغارات على فيتنام الشمالية ، فى أغسطس عام ١٩٦٤م ثم الغزو الأمريكى البلجيكى للكونغو فى أكتوبر ١٩٦٤م ، وكانت حركة التحرر الأفريقية يومئذ تواجه إستكمال تصفية الإستعمار وواجهت تنزانيا مؤامرة

(١) خطاب الرئيس جمال عبد الناصر بتاريخ ٢٦ مارس ١٩٦٤ .

(٢) المصدر السابق .

(٣) المصدر السابق .

لقلب نظام الحكم كرد فعل لموقف نيريرى من ثورة الكونغو واستطاعت أن تغلب عليها وتتخذ قرارات تأميم واسعة .

وفى وثائق الرئيس الأمريكى إيزنهاور ما يؤكد الموقف المعادى لعبد الناصر حيث كان يرى أنهم قد وصلوا إلى قناة مفادها أن مصر تحت حكم عبد الناصر لن تقوم بأى بادرة على الإطلاق للتقارب مع إسرائيل أو الغرب عموماً . فى هذا السياق حدث الصدام الثانى بين النظام السياسى والإخوان ، ويرى أحمد حمروش كيف أنه قام بعض أعضاء طليعة الإشتراكيين بكشف تنظيم سيد قطب فقام عبد الناصر بإبلاغ هذه المعلومات إلى وزارة الداخلية ، ولكن وزارة الداخلية وبعض الجهات الحكومية أخفقت فى كشف هذا التنظيم ، وأن عبد الناصر إزاء إصرار أعضاء تنظيم طليعة الإشتراكيين على وجود تنظيم لم يجد بدا من الإستعانة بالمباحث الجنائية العسكرية التى أمكنها أن تضع يدها على تنظيمات وخلايا عديدة^(١) .

٢ - وجهة نظر الإخوان المسلمين فى صدام ١٩٦٥م :

ويشير الإخوان فى هذا الصدد أمرين ، أولهما إنشاء التنظيم وتطوير نشاطه ، وثانيهما : حدوث التعذيب داخل السجون ، أما فيما يتعلق بإنشاء التنظيم فإن مجمل تراث الإخوان بشأنها يشير إلى عدة حقائق حول حقيقة إنشاء تنظيم سرى للإخوان بزعامة سيد قطب ، وتطور نشاطه السياسى والدينى إلى حد الصدام مع النظام السياسى القائم وذلك على النحو التالى :

أ - **بدايات التنظيم** : بدأ التنظيم عام ١٩٥٧م بعلم المرشد العام وقتئذ حسن الهضبي بهدف إجتماعى هو معونة أسر المعتقلين والمسجونين ، ثم تحول فيما بعد إلى نواة للتنظيم .

وكان كتاب (معالم فى الطريق) الذى ألفه سيد قطب هو المنهج الفكرى للتنظيم حيث رأى أنه حين تكون الحاكمة العليا فى مجتمع لله وحده ، متمثلة فى سيادة الشريعة الإلهية ، تكون هذه هى الصورة الوحيدة التى يتحرر فيها البشر تحراً كاملاً وحقيقياً من العبودية للبشر وتكون هذه هى الحضارة الإنسانية ، وحيث أن المجتمع الذى يتجمع فيه الناس على أمر يتعلق بإرادتهم الحرة واختيارهم الذاتى هو « المجتمع المتحضر » ، أما

(١) بشكل موسع انظر أحمد حمروش : مجتمع عبد الناصر الجزء الثانى . مصدر سابق .

المجتمع الذى يتجمع فيه الناس على أمر خارج عن إرادتهم الإنسانية ، فهو المجتمع المتخلف ، بالمصطلح الإسلامى هو المجتمع الجاهلى » وحيث المعركة - وفقاً لهذا المنهج - بين المسلمين وخصومهم ليست معركة سياسية ولا معركة اقتصادية ولا معركة عنصرية ، ولو كانت شيئاً من هذا لسهل وقفها ، وسهل حل أشكالها ولكنها فى صميمها معركة عقيدة ، أما كفر أو إيمان وإما جاهلية أو إسلام .

ويرى أيضاً أن هدف الإسلام لم يكن فى يوم من الأيام هو تحقيق القومية العربية حيث : وان هدف الإسلام لم يكن تحقيق القومية العربية ، ولا العدالة الإجتماعية ولا سيادة الأخلاق ، ولو كان الأمر كذلك لحققة الله على طرفه عين ، ولكن الهدف هو إقامة مجتمع الإسلام الذى تطبق فيه أحكام القرآن تطبيقاً حرفياً ، وأول هذه الأحكام أن يكون الحكم نفسه لله ، وليس لأى بشر أو جماعة من البشر وأن أى حاكم إنسان بل أى ، مسئول بإنسان ، وإنما ينازع الله سلطته ، بل أن الشعب نفسه لا يملك حكم نفسه لأن الله هو الذى خلق الشعوب وهو الذى يحكمها بنفسه .

وبعودة إلى البدايات العملية للتنظيم نجده قد بدأ وفقاً لإعترافات أعضائه فى جمع الأسلحة وتوظيف طاقات الشباب فى صنع المتفجرات ووضع خطط لاغتيال عبد الناصر وعدد من المسؤولين والفنانين ، وكان تدريب الخلايا يتم على ثلاث مراحل : مرحلة الإعداد الروحى ، ثم الإعداد الجسدى بالمصارعة والمشى ، ثم التكليف بأعمال التنفيذ ، وكان للتنظيم أجهزته المختلفة فكان هناك جهاز لجمع المعلومات وآخر للإستطلاع وثالث لجلب المراسلات والأموال من الخارج ورابع لشراء السلاح وتخزينه بالقاهرة وخلية كيمياوية لصنع المواد الحارقة وأخرى من المهندسين لمعاينة الأماكن التى ستسف وإمكانية ذلك .

ووضع التنظيم خططا لنسف عدد من الكبارى وكذلك المصانع ومحطات الكهرباء ومطار القاهرة ومبنى التليفونات وبعض مراكز المرافق ، وقد أعدت مخاريط تم ضبطها لهذه المواقع كلها ، وحرقت عدد من دور السينما والمسارح لإحداث دعر ، يتقدم بعده التنظيم إلى الحكم بغير معارضة وذلك حتى يقوم مجتمع الإسلام . ووضعت أكثر من خطة لاغتيال عبد الناصر وفقاً للرواية الرسمية واعترافات الأعضاء واحدة منها أثناء موكبته الرسمى فى القاهرة ، أو فى الأسكندرية ، وكان هناك من يراقب سمر الموكب فى أماكنه المختلفة ووضعت خطة أخرى لنسف القطار الذى يستقله الرئيس فى طريق إلى الإسكندرية للإحتفال بعيد الثورة وثالثه لاغتياله فى شارع الخليفة المأمون وهو فى طريقه إلى بيته بمنشية البكرى .

وتؤكد الوقائع السابقة ما يقوله (سيد قطب) فى الوثيقة الهامة التى كانت آخر ما كتبه

قبل إعدامه^(١) وجاءت أقواله التى نوردنا هنا بنصها على النحو التالى :

يقول سيد قطب :

خرجت من السجن ، وفى تصورى صورة خاصة محددة لما يجب أن تكون عليه أية حركة إسلامية فى الظروف العالمية والمحلية الحاضرة وصورة لخطوات المنهج التى يجب أن تسير عليه . وقد ذكرت ذلك من قبل ولكنى ألخصه هنا قبل البدء فى التفصيلات :

١ - المجتمعات البشرية بجمليتها قد بعدت عن فهم وإدراك معنى الإسلام ذاته ، ولم تبعد فقط عن الأخلاق الإسلامية ، والنظام الإسلامى ، والشرعية الإسلامية . وإذن فأية حركة إسلامية يجب أن تبدأ من إعادة تفهيم الناس معنى الإسلام ومدلول العقيدة وهو أن تكون العبودية لله وحده . سواء فى الاعتقاد بألوهيته وحده ، أو تقدير الشعائر التعبدية له وحده ، أو الخضوع والتحاكم إلى نظامه وشريعته وحدها .

٢ - الذين يستجيبون لهذا الفهم يؤخذ فى تربيتهم على الأخلاق الإسلامية وفى توعيتهم بدراسة الحركة الإسلامية وتاريخها وخط سير الإسلام فى التعامل مع كل المعسكرات والمجتمعات البشرية ، والعقبات التى كانت فى طريقه والتى لا تزال تتزايد بشدة ، وبخاصة فى المعسكرات الصهيونية والصليبية الاستعمارية .

٣ - لا يجوز البدء بأى تنظيم إلى بعد وصول الأفراد إلى درجة عالية من فهم العقيدة ومن الأخذ بالخلق الإسلامى فى السلوك والتعامل ومن الوعى الذى تقدم ذكره .

٤ - ليست المطالبة بإقامة النظام الإسلامى وتحكيم الشريعة الإسلامية هو نقطة البدء . ولكن نقطة البدء هى نقل المجتمعات ذاتها - حكاماً ومحكومين - عن الطريق السالف إلى المفاهيم الإسلامية الصحيحة - وتكوين قاعدة إن لم تشمل المجتمع كله فعلى الأقل تشمل عناصر وقطاعات تملك التوجيه والتأثير فى إتجاه المجتمع كله إلى الرغبة والعمل على إقامة النظام الإسلامى وتحكيم الشريعة الإسلامية .

٥ - وبالتالى لا يكون الوصول إلى إقامة النظام الإسلامى وتحكيم الشريعة الإسلامية عن طريق انقلاب فى الحكم يجرى من أعلى ، ولكن عن طريق تغير فى تصورات المجتمع كله - أو مجموعات كافية لتوجيه المجتمع كله - وفى قيمة وأخلاقه والتزامه بالإسلام يجعل تحكيم نظامه وشريعته فريضة لأبد منها فى حسمهم !

(١) سيد قطب : لماذا أعدمونى : كتاب الشرق الأوسط - الشركة السعودية للأبحاث والتسويق -

٦ - في الوقت ذاته تجب حماية هذه الحركة ، وهى سائرة في خطواتها هذه بحيث إذا اعتدى عليها وعلى أصحابها يرد الاعتداء . وما دامت هى لا تريد أن تعتدى ، ولا أن تستندم القوة في فرض النظام الذى تؤمن بضرورة قيامه - على الأساس المتقدم وبعد التمهيدات المذكورة - والذى لا يتحقق إسلام الناس إلا بقيامه حسب ما يقرر الله سبحانه . ما دامت لا تريد أن تعتدى ولا أن تفرض نظام الله بالقوة من أعلى فيجب أن تترك تؤدى واجبها وألا يعتدى عليها وعلى أهلها . فإذا وقع الاعتداء كان الرد عليه من جانبها .

هذه كانت الصورة المتكاملة في تصورى لأية حركة إسلامية حاضرة .. ولكن حدث إن النقيت بعد خروجي على التوالي بالشبان الآتية أسماؤهم - من بين من النقيت بهم من الإخوان وغير الإخوان ممن لهم إتجاه إسلامي : عبد الفتاح إسماعيل - على العشماوى - أحمد عبد المجيد - (وقد عرفت بقية اسمه هنا في السجن الحربي) مجدى صبرى .. وعلمت منهم بعد لقاءات متعددة أنهم مكونون بالفعل تنظيماً يرجع تاريخ العمل فيه إلى حوالى أربع سنوات أو أكثر ، وأن أقلية منه ممن سبق اعتقالهم أو ممن لم يكونوا من الإخوان من قبل ، وأن هذا التنظيم تم بأن كلا منهم على إنفراد فكر في وقت من الأوقات السابقة - في هذه السنوات من ضرورة العمل لإعادة حركة الإخوان المسلمين وعدم الإكتفاء بهذه الصورة القائمة لوجود الجماعة ، وهى أن تكون هناك بعض الاشتراكات والمساعدات لإعالة الأسر التى لم يعد لها مورد رزق ، مع مجرد التجاوب الصامت بين الإخوان والقيود والإنتظار ، وأنهم في أثناء تحرّكهم كل على حدة لتنظيم أى عدد من الإخوان الراغبين في الحركة أو تحرّيكهم التقوا بعضهم ببعض ، وبعد أن إستوثق بعضهم من بعض إنضموا كل بالجموعة التى كانت قد إنضمت إليه وكونوا هذا التنظيم الواحد . وأنهم - وكلهم من الشبان القليل الخيرة - ظلوا يبحثون عن قيادة لهم من الكبار والمجربين في الجماعة ، فاتصلوا بالأستاذ فريد عبد الخالق ، كما إتصلوا بإخوان الواحات (الذين اتصلوا بالأستاذ فريد كلهم والذى اتصل بالواحات عبد الفتاح) وبغيرهم ، ولكنهم لم يجدوا حتى الآن قيادة لهم ، ذلك أنهم بعد أن قرأوا كتاباتى وسمعوا أحاديثي معهم قد تحولت أفكارهم وتوسعت رؤيتهم إلى حد كبير .

وقد كانوا يفكرون من قبل على أساس أن المسألة مسألة تنظيم مجموعة فدائية لإزالة الأوضاع والأشخاص التى ضربت جماعة الإخوان المسلمين وأوقفت دعوتهم ، وإقامة الجماعة وإقامة النظام الإسلامى عن هذا الطريق .. أما الآن فقد فهموا أن المسألة أوسع من ذلك بكثير وأن طريق العمل طويل ، وأن العمل في المجتمع يجب أن يسبق العمل في نظام الدولة ، وأن تكوين وتربية الأفراد يجب أن يسبق التنظيم .. إلى الآخر .. وأن من وراء هم من الشبان

قد أخذوا يتصورون الأمور على هذا النحو إلى حد ما ، ولكنهم هم في حاجة إلى قيادة تزودهم بالمزيد ، وترشدهم في التحرك ليستطيعوا هم أن يؤثروا فيمن وراءهم ، ويوسعوا إدراكهم ، ويغيروا تصوراتهم ..

وكنيت أمام أمرين : أما أن أرفض العمل معهم .. وهم لم يتكونوا على النحو الذي أنا مقتنع به ، فلم يتم تكوين الأفراد وتربيتهم وتوعيتهم قبل أن يصبحوا تنظيمًا وقبل أن يأخذوا في التدريب الفعلي على بعض التدريبات الفدائية .. وأما أن أقبل العمل على أساس تدارك ما فاتهم من المنهج الذي أتصوره للحركة وعلى أساس إمكان ضبط حركاتهم بحيث لا يقع إندفاع في غير محله خصوصاً وبعضهم ينوى فعلاً ، وعقلية البدء بإقامة النظام الإسلامي من قمة الحكم قد تغلب على الفهم الجديد وعلى عقلية البدء بإقامة العقيدة والخلق والإنجاء في قاعدة المجتمع .. وقررت اختيار الطريق الثاني والعمل معهم وقيادتهم .

ولكنني قلت لهم مخلصاً في ذلك ، حقيقة أن الحركة الإسلامية في الظروف الحاضرة تحتاج إلى نظرة واسعة وفهم ووعي الإسلام ذاته وتاريخ حركته وكذلك فهم للظروف العالمية المحيطة بالإسلام وبالعالم الإسلامي ... الخ .. وأنتم تقولون أنكم لم تجدوا قيادة ، وتريدون أن أقوم لكم بهذا الدور ... ولكنني كما تعلمون رجل مريض بأمراض مستعصية على الطب حتى الآن وخطيرة والآجال نعم بيد الله ولكن قدر الله يتم بأسباب يوجدها الله .. لذلك يجب أن تعتمدوا على الله وتحاولوا أن تكونوا أنتم قيادة ، ومهمتي الحقيقية معكم هي بذل كل ما أملك لتوعيتكم وتكوينكم العقلي لتكونوا قيادة .. أما دينكم وخلقكم وتقواكم وإخلاصكم وتعاملكم مع الله فأنا أرى وأحس أنكم سائرون فيها بخير والحمد لله .. وكنيت أكرر عليهم هذه المعاني وأتجه بهم هذا الإتجاه ..

وكانت الوسيلة لتحقيق ذلك هي إجتماعي بهم أحياناً مرة كل أسبوع ، وأحياناً مرة كل أسبوعين .. وفي فترات إنشغالي مرة كل ثلاثة أو كل شهر .. وقد بدأت أدرس معهم تاريخ الحركة الإسلامية ، ثم مواقف المعسكرات الوثنية والملحدة والصهيونية والصليبية قديماً وحديثاً من الإسلام ، مع إلمام خفيف بالأوضاع في المنطقة الإسلامية في التاريخ الحديث منذ عهد الحملة الفرنسية ، وأحياناً التعليق على الأحداث والأخبار والإذاعات ، مع محاولة تدرسيهم على تتبعها بأنفسهم .. فقد كلفتهم أن يخصصوا منهم ومن بعض من يختارونهم ممن وراءهم تتبع الصحف العالمية والإذاعات العالمية ، وإذا أمكن الكتب التي تصدر باللغتين الإنجليزية والفرنسية وتهتم بالإسلام وبالمطقة الإسلامية .

وحدث أربع مرات أن جاءني أحمد عبد المجيد بمحيلة تتبعهم للأخبار الصحفية العالمية

والمحلية والإذاعات كذلك . وكانت صورة بدائية ساذجة ، ولكنها الخطوات الأولى الضرورية ، ومنها كنت أعرف مدى عقليتهم العامة .. غير أن جلساتي معهم كانت محدودة بحكم قصر المدة التي اتصلوا بي فيها في مجموعها إذا استبعدنا الفترات التي كنت مشغولاً فيها أو مريضاً أو بعيداً عن القاهرة لا تزيد على ستة أشهر ، ولا تختمل أكثر مما يتراوح بين عشرة أو اثني عشر اجتماعاً ، لا يتسنى فيها إلا القليل وبعضها كان يشغل بمسائل عملية أخرى تختص بموقف التنظيم من بقية الإخوان كما تتعلق بمسائل التدريب وأسلحته .. وبخطة مقابلة الاعتداء على التنظيم وتوقع ضربه حسب ما يتردد من أخبار وإشاعات .. وأظن أن هذه هي المسألة الرئيسية التي تهم المشرفين على القضية أكثر من غيرها .. ولكنني كنت أرى أنه لا بد من عرض الصورة الكاملة التي تساعد على فهم هذه المسألة من كل جوانبها .

ويواصل قطب شهادته بالقول :

كنا قد إتفقنا على استبعاد استخدام القوة كوسيلة لتغيير نظام الحكم أو إقامة النظام الإسلامي وفي الوقت نفسه قررنا استخدامهما في حالة الاعتداء على هذا التنظيم الذي سيسير على منهج تعليم العقيدة وتربية الخلق وإنشاء قاعدة للإسلام في المجتمع ، وكان معنى ذلك البحث في موضع تدريب المجموعات التي تقوم برد الاعتداء وحماية التنظيم منه ، وموضوع الأسلحة اللازمة لهذا الغرض ، وموضع المال اللازم كذلك .

فأما التدريب فقد عرفت أنه موجود فعلاً من قبل أن يلتقوا بي ، ولكن لم يكن ملحوظاً فيه أن لا يتدرب إلا الأخ الذي فهم عقيدته ونضج وعيه ، فطلبت منهم مراعاة هذه القاعدة ، وبهذه المناسبة سألتهم عن العدد الذي تتوافر فيه هذه الشروط عندهم وبعد مراجعة بينهم ذكروا لي أنهم حوالي السبعين ، وتقرر الإسراع في تدريبهم نظراً لما كانوا يرونه من أن الملل يتسرب إلى نفوس الشباب إذا ظل كل زادهم هو الكلام من غير تدريب وإعداد .. ثم تجدد سبب آخر فيما بعد عندما بدأت الإشاعات ثم الإعتقالات بالفعل لبعض الإخوان ... وأما السلاح فكان موضوعه له جانبان :

الأول : إنهم أخبروني - ومجدي هو الذي كان يتولى الشرح في هذا الموضوع - أنه نظراً لصعوبة الحصول على ما يلزم منه حتى للتدريب فقد أخذوا في محاولات لصنع بعض المتفجرات محلياً ، وأن التجارب نجحت وصنعت بعض القنابل فعلاً ، ولكنها في حاجة إلى التحسين والتجارب مستمرة .

والثاني : إن على عسماوى زارنى على غير ميعاد وأخبرني أنه كان منذ حوالي سنتين قبل التقائنا قد طلب من أخ في دولة عربية قطعاً من الأسلحة ، حدها له في كشف .

ثم ترك هذا الموضوع من وقتها . والآن جاءه خبر منه أن هذه الأسلحة سترسل - وهى كميات كبيرة حوالى عربية نقل ، وإنها سترسل عن طريق السودان مع توقع وصولها فى خلال شهرين .. وكان هذا قبل الاعتقالات بمدة ولم يكن فى الجو ما يئذر بخطر قريب .. ولما كان الخبر مفاجئاً فلم يكن ممكناً البت فى شأنه حتى نبخته مع الباقيين ، فاتفقنا

على موعد لبحثه معهم . وفى اليوم التالى - على ما أتذكر - وقبل الموعد جاعلى الشيخ عبد الفتاح إسماعيل وحدثنى فى هذا الأمر وفهمت أنه عرفه طبعاً من على وكان يبدو غير موافق عليه ومتخوفاً منه . وقال : لايد من تأجيل البت فى الموضوع حتى يحضر صبرى . وقلت له : أننا سنجتمع لبحثه .

وفى الموعد الأول - على ما أتذكر لم يحضر صبرى - لذلك لم يتقم تقرير شىء فى الأمر ، وفى موعد آخر كان الخمسة عندى وتقرر تكليف على بوقف إرسال الأسلحة من هناك حتى يتم الإستعلام من مصدرها عن مصدر النقود التى إشتريت بها ، فإن كان من غير الإخوان ترفض ، والإستفهام كذلك عن طريق شرائها دفعة واحدة أو بجزأة وطريقة إرسالها ، وضمانات أنها مكشوفة أم لا ؟ وبعد ذلك يقال للأخ المرسل ألا يرسلها حتى يحطره بإرسالها .

ومضى أكثر من شهر - على ما أتذكر - حتى وصل للأخ على رد مضمونه الباقي فى ذاكرتى : أن هذه الأسلحة بأموال إخوانية من خاصة ما لهم ، وإنهم دفعوا فيما ما هم فى حاجة إليه لحياتهم تلبية للرغبة التى سبق إبدائها من هنا وإنها إشتريت وشحنت بوسائل مأمونة .

ولا أتذكر أن كان هذا الرد أو رد تال جاء بعده قد تضمن أن الشحنة أرسلت فعلاً ولا يمكن وقف وصولها وأنهم يفكرون فى طريق ليبيا إلى جانب طريق السودان أو لأنه قد يكون أيسر عن طريق السودان (لا أتذكر النص بالضبط) والأرجح أنه رد واحد . وعند ذكر ليبيا قلت : أنهم إذا فكروا فى طريق ليبيا فإنى أعرف من يستطيعون مساعدتنا فى نقل مثل هذه الأشياء .. وكنت أفكر وقتها فى اثنين من إخوان ليبيا عرفتهما بعد خروجى من السجن إحداهما (الطيب الشين) وكان يدرس فى مركز التعليم الأساسى بمرس الليان وله علاقة بسائقى عربيات النقل بخط الصحراء بين ليبيا ومصر ، والآخر (المبروك) ولا أذكر إن كان أسمه الأول (محمد) أم لا لأنى أعرفه بإسم واحد .. وكان فى مناسبة ذكر لى أن بعض أقاربه يشتغلون بالقوافل بين مصر وليبيا .. ولم أستوضحه وقتها عن القوافل لأنه كان كلاماً عابراً بخصوص ما إذا كان يلزمنى أى شىء ليس موجوداً فى مصر ويمكن الحصول

عليه من ليبيا أو من الخارج وقوله لى أن أطلب أى شىء فقله مأمون تماماً لأن أقاربه فى القوافل .. كذلك لا أعرف بالضبط نوع التجارة التى يزاوها هو ويحضر من أجلها لى مصر .. إلا أنه فى مرة قال لى : أنه يستورد من الإسكندرية البرانس التى تلبس فى المغرب وتصنع فى مصر وليس فى المغرب .. ومرة قال لى أن معه شحنة كعب .. ولكنى غير متأكد من نوع التجارة التى يزاوها .

وأما مسألة المال فقد جاء ذكرها مرات فى اجتماعاتنا أو فى أحاديثهم متفرقين معى ، وعرفت أن لدى الشيخ عبد الفتاح مبلغاً ولكنه كان يقول لهم دائماً : أنه هو مؤتمن عليه وهو وديعة عنده لينفق فى أغراض معينة ولذلك فهو لا يمكن أن ينفق منه فى إعانات البيوت مثلاً ولا يملك التصرف فى شىء إلا بإذنه ..

وقد قال لى الشيخ عبد الفتاح مثل هذا الكلام ، ولكن لما عرضت مسألة الإنفاق على الصناعة المحلية للمتفجرات وعلى الإنفاق لتسلم شحنة الأسلحة التى أرسلت بعدما تبين أنه لا يمكن وقفها ولا يمكن تركها كذلك قال إن أى مبلغ تحت تصرفكم . واستأذنى فى هذا فأذنت له ، وفهمت أنه كان يعتبر المبلغ أمانة لا يتصرف فيه إلا بإذن قيادة شرعية ، ولكنى لم أعلم بالضبط مصدر هذا المبلغ ولا مقداره .. كل ما كان واضحاً أنه من الإخوان فى الخارج وليس من أية جهة أخرى .. فهذا ما كنت أحب أن أتأكد منه فى علاقاتهم السابقة لأنى كما قلت لهم لا أحيى للحركة الإسلامية أن تستعين بأجنىب عنها لا فى مال ولا فى سلاح ولا فى حركة .. كذلك لم أعرف بالضبط مقداره ولكنى أستنتج أنه أكثر من ألف جنيه .. فقد جاء ذلك فى كلمات عرضية .. وكان الشيخ عبد الفتاح يقول كذلك ، أنه فى مكان أمين .. ولم أكن أستوضحه عن هذه التفاصيل لأننى كنت أكفى بأقل قدر منها .. وكذلك كل أعمالهم التنفيذية فقد كان يكفى منها عنده ما يتعلق بالخطة العامة .. أما التفاصيل فكانت متروكة لهم لأنهم أخبر بها منى .. ولكن تبعثها بالطبع تقع على لأن الخطة العامة كانت تتم بموافقتى .. كذلك جاءنا مبلغ مئتين جنيه من إخوان العراق سلمتها للأخ على فور تسلمها ، وكان حاضراً لتكون فى عهدهم وتحت تصرفهم .

تلك هى شهادة سيد قطب كاملة نقدمها دون تدخل من جانبنا لإحقاق الحق وإيماناً منا بأهمية معرفة كل الحقائق وكل الآراء حتى لو اختلفنا معها .

ب - روايات الأعضاء :

بتحليل أهم أجزاء وجهة نظر الإخوان من الأعضاء القياديين يلاحظ أن عبد المجيد الشاذلى المسئول عن الإسكندرية فى التنظيم يقول : أن تدبير عملية إغتيال عبد الناصر

وكبار المسؤولين كان محدداً لها وقت متأخر لكن عندما شعر الإخوان أن الحكومة كشفت أمرهم قررت قيادة القاهرة التعجيل بالخطوة وحمل مجدى متولى بإعتباره ضابط الاتصال بهذا القرار إلى قيادة الإسكندرية لتنفيذ الخطه ، ودار نقاش قالت قيادة الإسكندرية أنه ليس لديها الأفراد المدربون على السلاح لتنفيذ الخطه ، لكن قيادة القاهرة ردت بأنها على استعداد لمد الإسكندرية بالإعداد . وقد وقع إختيارهم على منطقة الكورنيش المجاورة لكازينو أندريا الموجود فى منطقة المنتزه لمراقبة تحركات المسؤولين . وكان يمكن لشخص أن يصطحب زوجته إلى الكازينو كأى أسرة للمراقبة ، وكان لابد من مراقبة كل المنطقة ، وعلى هذا فقد قرر - أى عبد المجيد الشاذلى - هو شخصياً القيام بذلك ، لولا بعض الظروف فكلّف شخصاً اسمه الهامى بذوى بالمراقبة ، لكنه لم يعرف نتيجة ذلك لإلقاء القبض عليه ، ويستطرد قائلاً أنه كان المفروض أن تقم بعد ذلك مجموعة تضم سبعة أشخاص بالتنفيذ ولم يحدث لأن التنظيم قد ضبط^(١) .

أما زينب الغزالي فلملخص روايتها يمكن إجماله فى الآتى : أن تنظيم الإخوان بدأ الإتفاق عليه فى السعودية عام ١٩٥٧م وأنه أخذ شكل الدعوة الإسلامية حيث :

«فى الكعبة الشريفة قال لى عبد الفتاح إسماعيل : يجب أن ترتبط هنا ببيعة مع الله على أن نجاهد فى سبيله لا نتقاعس حتى نجتمع صفوف الإخوان ، ونفاصل بيننا وبين الذين لا يرغبون فى العمل أيا كان وصفهم ومقامهم . وبايعنا الله على الجهاد والموت فى سبيل دعوته ، وعدت إلى مصر^(٢)» .

وتقول فى موضع آخر : ومع أوائل ١٩٥٨م كانت لقاءاتى قد تعددت بعبد الفتاح إسماعيل فى منزلى ، وفى دار المركز العام للسيدات المسلمات غير أن زوجى الفاضل المرحوم محمد سالم سالم لاحظ تردده وبعض لبنات طاهرة زكية من الشباب المسلم ، على منزلنا فسألنى : هل هناك نشاط للإخوان المسلمين ؟ أجبت نعم ، فسألنى عن مدى النشاط ونوعيته ، قلت إعادة تنظيم جماعة الإخوان^(٣) .

كما ذكرت أنه قد تمت موافقة المرشد العام حسن المصطفى على هذا التنظيم وقد رشع سيد قطب للإشراف عليه ، ثم تمت عملية مسح شامل لحافظات مصر لتجنيد أعضاء التنظيم

(١) عبد الله إمام : مصدر سابق ، ص ٢١٤ - ٢٢١ .

(٢) نفس المصدر ، ص ٣٥ .

(٣) زينب الغزالي : أيام من حياتى (القاهرة ، دار الشرق ، ١٩٧٨) ص ٣٣ .

الجديد ، وقام بها عبد الفتاح إسماعيل ، وبعد ذلك اتجهت الدعوة إلى تأكيد عدم شرعية حل تنظيم الإخوان المسلمين ، وعدم الاعتراف أو الولاء للنظام السياسى القائم لأنه لا يحكم بالقرآن الكريم ، وتصل الأمور إلى ذروتها فى رواية زينب الغزالى عندما تؤكد أن المخابرات الأمريكية والروسية والصهيونية العالمية قد قدمت تقاريرها إلى عبد الناصر مشفوعة بتعليمات بضرورة القضاء على هذه الحركة الإسلامية^(١) .

وتنطق أغلب روايات الإخوان على أن فكرة التشكيل بدأت خلال الفترة (١٩٥٧م - ١٩٥٩م) بهدف تجميع الإخوان الذين خرجوا من السجون بتشكيل تنظيمى مع التركيز الدينى والعقائدى ، وتكونت المجموعة من مجدى متولى ، ومن عبد المجيد الشاذلى وصلاح شاهين ورشاد الجندى ، ثم إلتقت هذه المجموعة الرباعية بأربعة آخرين هم عبد المجيد محمد عبد المجيد الذى كان نحرطاً فى السد العالى ، والمهندس أحمد فريد الذى كان وقتها طالباً فى الهندسة والطبيب عبد الفتاح الجندى الذى كان وقتها طالباً فى الطب والمهندس عادل زهرة ، وإلتقت المجموعتان وانتخب رشاد الجندى رئيساً لأنه الأكبر سناً والأكثر تعقلاً ولأنه من بلقاس حيث يمكن القيام بإتصالات مع آخرين ، وتم تفويضه فى الإتصال بمن لهم أفكار متشابهة .

وحدثت تطورات للتنظيم وتغييرات استقرت فى عام ١٩٦٢م على توزيع الاختصاصات على النحو التالى : عبد المجيد الشاذلى مسؤولاً عن الإسكندرية ، عبد الفتاح الشريف مسؤولاً عن البحيرة ، وعبد الفتاح إسماعيل مسؤولاً عن دمياط ، ومجدى عبد العزيز متولى مسؤولاً ومندوب إتصال مع الإسكندرية . وتشكلت لجنة لتنظيم المجموعات من ثلاثتهم ، وذات مرة فى منتصف عام ١٩٦٢م قال عبد الفتاح إسماعيل لعبد الفتاح الشريف أن لديه ٥٠ قديماً مستعدين للعمل أثناء وجود الرئيس جمال عبد الناصر فى أحد الإحتفالات^(٢) . وفى مارس ١٩٦٤م إتصل عبد الفتاح إسماعيل بعلى عشاوى الذى كان عضواً فى القيادة المسؤولة عن تشكيلات الأقاليم ، وذهبا إلى منزل زينب الغزالى وهناك كان يوجد شخص ثالث هو عبد العزيز على باشا ، ودارت المناقشات حول المهمة القادمة فى الإسكندرية .

ويقول مجدى عبد العزيز أثناء محاكمته أن مرحلة جديدة كانت قد بدأت عندما خرجت من الجيش فى أغسطس ١٩٦٤م واقتربت من على عشاوى وسيد قطب وفى أثناء أحد الإجتماعات قال على عشاوى أنه استلم خطاباً من السفودية قالوا فيه إنهم حبيبتوا أسلحة

(١) نفس المصدر - ص ٣٤ - ٤١ .

(٢) شهادة مجدى متولى فى عبد الله إمام ، مصدر سابق ، ٢١٤ - ٢١٨ .

من السعودية عن طريق السودان على أن تتسلمها من « دراو » جنوب السودان^(١)

وتعليقاً على هذا قال سيد قطب لعلى عشاوى طبقاً لرواية مجدى متولى روح سافر وإعمل الترتيب اللازم لإستلام هذه الأسلحة . لقد كان سيد قطب يتدخل فى التنظيم سواء من الناحية الحركية أو العقائدية وحتى الشخصية^(٢) .

ويذكر محمد صادق حنحوث ، مهمة أخرى من مهام مجموعة المعلومات فهمى إلى جانب جمع المعلومات وسماع الإذاعات كانت تراقب أعضاء التشكيل حتى تتأكد من أن الحكومة لا تراقبهم وكانت وسيلة ذلك أن يمشى عضو المعلومات وراء أى عضو فى التشكيل ليرى ما إذا كان يتبعهم أم لا ، وكان حنحوث يقوم بتدريب أعضاء التشكيل على المصارعة الليانية ، ووضع مشروعاً لنسف ١٢ كوبرى ، منها كوبرى قصر النيل وكوبرى بنا ، وذلك بأن اشترى خريطة فيها هذه الكبارى ثم درسها وعرف أكثر نقطة ضعف فى كل كوبرى وعلم عليها بقلم رصاص بعلم (X) ، وذلك لنسف الكبارى من هذا الموضع بأقل شحنة وبأقل تكاليف بهدف قطع المواصلات^(٣)

ويذكر شعبان الشناوى المسئول الثانى بالدقهلية أن الاغتيالات لم تكن مهمته وإنما مهمته كانت نسف محطة كهرباء طرخا^(٤)

أما سيد قطب فمجملة أقواله تتمثل فى عدم علمه بمسألة التنظيم وهو فى السجن وعلمه بعد خروجه من السجن ، وأن صلته الوحيدة بهذا التنظيم المزعوم كان هى كتبه ومن خلال زينب الغزالى وشقيقته حميدة ، عندما سئل عن هوية الأشخاص الذين زاروه بعد خروجه من السجن قال :

أعضاء القيادة تحدثوا معى حديثاً طويلاً وذكروا لى أنهم ليسوا وحدهم وإنما وراءهم مجموعات أخرى من الشباب وذكروا لى تاريخ هذه المجموعات ، وقالوا أنهم فى سنة ١٩٥٩م حتى عام ١٩٦٣م كونوا مجموعات ، وبعد عدة لقاءات قالوا أن لهم تنظيماً سرياً يرجع إلى عدة سنوات سابقة وإن هذا التنظيم قائم على أساس أنه فداوى ينتقم لما جرى للجماعة

(١) شهادة مجدى عبد العزيز ق : عبد الله إمام : عبد الناصر والإخوان المسلمين ص ٢١٤ - ٢١٨ .

(٢) المصدر السابق .

(٣) شهادة محمد صادق حنحوث ، فى المصدر .

(٤) شهادة شعبان الشناوى ، نفس المصدر .

عام ١٩٥٤م ، ولكن أنا قلت لهم أن هذا الهدف صغير لا قيمة له ونتائج أخطر من فوائده^(١)

وعندما سئل عن الهدف من إنشاء مثل هذا التنظيم أجاب : إنشاء جيل من الشباب المسلم الواعى الفاهم ليكون نواة مجتمع مسلم فى نهاية الطريق .^(٢) وأجاب سيد قطب عن الأسلحة ، وعن رئاسته للتنظيم عام ١٩٦٥م بعد خروجه من السجن وعن نائبه يوسف هواش وأهداف التنظيم وعمليات النفس والإغتيالات فأثر جميع الإتهامات الموجهة إليه عدا الإتهام الخاص « بأننا فى حالة حرب مع الدولة »^(٣) وهى الإتهامات الأساسية التى تؤكد

وجود تنظيم مسلح للإخوان ، تعداده يزيد على ٣٠٠ عضو ، له تمويل خارجى ، السعودية ، وله مناهج وأفكاره الدينية المتناقضة مع توجهات النظام السياسى الناصرى يومئذ ، وإن القول بأن صدام ١٩٦٥م كان تمثيلية - كما يقول بذلك مجمل أدب الإخوان المسلمين بعد عام ١٩٦٥م قول خاطئ وعار من الصحة لا تؤيده الوثائق والأسانيد التاريخية الخاصة بتلك الفترة ، والتى سبق إيرادها ، ويؤكدتها أكثر شهادات محمد يوسف هواش وعلى عشمواوى ، وعبد الفتاح إسماعيل ، وغيرهم من قادة التنظيم ، ويرى الباحث أن الرواية الرسمية لنشأة وتطور نشاط التنظيم قد يكون مبالغاً فيها ، ولكن الحقائق التى وردت فى شهادات أعضاء التنظيم تقوم كحجة دامغة على صدق الافتراض القائل بوجود مثل هذا التنظيم ويتعاضد دوره خلال عام ١٩٦٥م .

ج - التعذيب داخل السجون :

فيما يتعلق بالتعذيب الذى مورس على الإخوان المسلمين داخل السجون فتكاد تتفق أغلب روايات الإخوان أو من أرخ لهم على حدوثه بالفعل إبان هذه الأحداث ، وتفاوتت درجات وأشكال التعذيب وفقاً للروايات ولكنها استقرت حول عدة وقائع :

- استخدام آلات التعذيب المختلفة كالكرابيج ، والكلاب ، والعصى ، والحرق بالنار ، والتمس بالكهرباء ، والإغراق فى الماء البارد ، والمحبس الإنفرادى مدداً طويلة ، ويقول جابر

(١) شهادة سيد قطب فى : عبد الله إمام ، مصدر سابق ، ص ١٩٧ - ١٩٨ .

(٢) نفس المصدر ، ص ١٩٩ - ٢٠٢ .

(٣) نفس المصدر ، ص ٢٠٣ - ٢٠٤ .

(٤) انظر على سبيل المثال : جابر رزق : مذاهب الإخوان فى سجون ناصر (القاهرة ، دار الاعتصام ، ١٩٧٧) .

ومن الوسائل الأخرى التى كانت تتبع بانتظام مع الإخوان وفقاً لروايتهم هى جعل أحدهم يتكلم دون تحديد موضوع يدور الحديث حوله ، بينما يسجل أحد الكتبة ثم يستعاد رزق ضمن روايته عن التعذيب ، وأذكر إن الشيخ محمد المطراوى إمام وخطيب مسجد المتهم فى رواية ما قال مرة ومرات ، وهو فى حالة من الإرهاق الشديد والاضطراب والقلق لا يستطيع أن يركز ذهنه فيما قال أول مرة ولا شك أن هذه الطريقة استطاعوا بها أن يحصلوا على كل ما لدى الإخوان من معلومات^(٢) .

وتؤكد روايات الإخوان أيضاً على حدوث تعذيب مماثل فى سجون القلعة وأبى زعبل حيث كانوا يبدأون ، التحقيقات ليلاً فكانت تفتح زنزانة أو أكثر من زنازين سجن القلعة ، ويسحب منها مجموعة من الأفراد حسب ما تقع أيديهم عليهم ويؤخذون ويعذبون بطريقة همجية بربرية لانتزاع أى اعترافات وكانت أدوات التعذيب هى الشومة والكرباج^(٣) .

- ولكن زينب الغزالي تضيف إلى عمليات التعذيب الى تعرض لها الإخوان أبعاداً جديدة حين تؤكد على حضور عبد الناصر والمشير عبد الحكيم عامر لعمليات التعذيب وإشراف شمس يدران شخصياً على تعذيبها^(٤) . وتؤكد روايتها أيضاً على تنوع وسائل التعذيب داخل السجن الحربى ومن قبله القلعة وأبى زعبل لتتدرج من الإقياد فى ظلمة الليل عنوة ومعها كتبها ، فالسباب والشتم من الحارس الغليظ ، فالضرب باليد على الأذن والوجه ثم الضرب بالسياط ، فالإكراه على مشاهد الشباب الإخوان وهم يضربون بعنف ويعلقون من الأرجل ، وأخيراً الدخول إلى حيث الحجرة رقم ٢٤ ، وهى المخصصة للكلاب المتوحشة ، التى « أحسست بها تتسلق جسدى كله ، أحس أنيابها فى فروة رأسى ، فى كفى ، فى ظهري ، أحسها فى صدرى ، فى كل جسدى »^(٥) .

ويؤكد على ذات المعانى أيضاً باقى الإخوان المسلمين الذين خرجوا من السجن بعد رحيل عبد الناصر وأعادوا إصدار مجلة الدعوة عام ١٩٧٨م والتي أفاضت فى تفسير هذه النواحي ومؤكدة على حدوث تعذيب فى مضخمة فى شأنه فى كثير من الأحيان^(٥) .

(٢) المصدر السابق ، ص ١٢١ .

(٣) نفس المصدر ، ص ٣٣ .

(٤) زينب الغزالي ، مصدر سابق ، ص ١٤١ .

(٥) المصدر السابق ، ص ٤١ - ٨٦ ، كذلك ص ١٤١ - ١٧٥ .

(٥) من الملاحظ خلو الجرائد والوثائق الرسمية لهذه الفترة من أى إشارة إلى وجود تعذيب بدنى على الإخوان المسلمين داخل السجن . انظر مجلد الأهرام/ أغسطس ، سبتمبر ، أكتوبر لعام ١٩٦٥ .

هذا ، ويمكن تلخيص مجمل روايات الإخوان في وجود التنظيم وتطور نشاطه ، وحدث التعذيب الجسدى لهم في أن تنظيماً سرّياً قد أنشئ عام ١٩٥٧م ، واكتسب الفاعلية بدءاً من عام ١٩٥٩م ، وبدأ في ممارسة نشاطه المباشر بعد خروج الشيخ سيد قطب من السجون عام ١٩٦٤م ، إلى أن كان أغسطس عام ١٩٦٥م حين اكتشف من خلال تنظيم طليعة الإشتراكيين والمباحث الجنائية العسكرية . وتؤكد روايات المؤرخين سواء من الإخوان أو خارجهم على وقوع التعذيب الجسدى البالغ عليهم وهو التعذيب الذى أدى إلى وفاة بعضهم داخل جدران السجن ، وهو التعذيب أيضاً الذى ترك بصماته واضحة على منطق الفكر الإخوانى ، وموقفهم من مجمل التجربة الناصرية ، وإدانتهم لها بشكل إجمالى دون تحديد أو تفرقة بين فكر التجربة ، والتجربة ذاتها ، أو بين قيادات هذه التجربة ودون تفرقة عقلانية بين الإنجازات الميادية الملموسة والواضحة للعيان ، وبين التقييم الشخصى للتاريخ ولهذه الإنجازات ، والذى شوه الرؤى العلمية الواضحة للأشياء فى أعين الإخوان المسلمين والأجيال التى تلتهم من شباب الجماعات الدينية على اختلافها .

٣ - وجهة نظر النظام السياسى فى صدام ١٩٦٤م)

من متابعة وثائق هذه الفترة وتاريخ البعض لها يلاحظ مدى الإتفاق العام بين وجهتى نظر الإخوان المسلمين والنظام السياسى حول الإقرار بوجود تنظيم سرى يهدف إلى إعادة الإخوان المسلمين إلى الوجود ولا يعترف بقرار حلهم عام ١٩٥٤م ، وبوقوع تعذيب بدنى لهم داخل السجون وبالأخص السجن الحربى ، هناك اتفاق عام على هاتين الواقعتين ، ولكن الاختلاف يأتى من التبرير والتغيير لأحداث وأبعاد القضيتين .

أ - الإخوان - كما سبق القول يرتكزون فى القضية الأولى - وجود تنظيم - إلى أحقيتهم وإلى عدم شرعية الولاء ، لعبد الناصر ، ويرتكزون فى القضية الثانية إلى وقوع تعذيب بدنى قاس عليهم داخل السجون إلى حد القول بحضور عبد الناصر شخصياً لمعاينة هذا التعذيب . بيد أن رواية النظام السياسى تختلف فى التفاصيل عما يقوله الإخوان .. فبالنسبة لموضوع وجود التنظيم ونشاطه يفسر عبد الناصر وجوده ومن ثم اكتشافه بقوله أنه :

«بعد أن رفضنا الأحكام العرفية منذ سنة وصغينا المعتقلات وأصدرنا قانونا لكى يعرّضوا إلى أعمالهم - ضبطت مؤامرة وسلاحاً وأموالاً وصلت إليهم من سعيد رمضان من

الخارج وهذا دليل أن الإستعمار والرجعية يشغلوا في الداخل^(١) .

ويرى البعض أن لكلام عبد الناصر هذا والمتعلق بضبط مؤامرة جديدة للإخوان ، ومن موسكو دلالة مباشرة تتعلق بإرضاء السياسة السوفيتية من خلال اختلاق مؤامرة ، ويمثل هذا الرأي في الغالب الإخوان المسلمون أو المتعاطفون معهم ، وأيا كان الأمر فعبد الناصر يحسم القضية هذه المرة من القاهرة ، حيث يروى البعض أنه عندما طبع كتاب « معالم في الطريق » لأول مرة كان هناك اعتراض على طبعه بل إنه منع ، وعندما قرأ عبد الناصر مسودته إتصل بالمسؤولين مؤكداً أنه لا مانع من طبعه ، وطبع الكتاب ، وبعد شهر كانت هناك معلومات أمام عبد الناصر بأن الكتاب يعاد طبعه فهل يسمح بإعادة الطبع فوافق على ذلك ، وتكرر الأمر بعد ذلك ثلاث مرات خلال ستة شهور وفي المرة الرابعة عندما سئل الرئيس عبد الناصر هل يعاد طبعه قال نعم يعاد طبعه ولكني أعتقد أن هناك تنظيمًا^(٢) .

وبعد مرور عامين على أحداث الصدام يبرره ، عبد الناصر ، مؤكداً على فرضية وجود تنظيم حيث يقول .

« إحننا إعتقلنا عدد من الإخوان المسلمين بعد العمليات التي كانت موجودة من سنتين ، طبعاً ما كانش مفروض إن إحننا هانعتقل هؤلاء الناس إلى الأبد ولكن كان المفروض إن إحننا سننظر في هذه الإعتقالات ، وكانت فيه بعض تقارير موجودة بالإفراج قبل العدوان ، وقبل النكسة ، ولكن طبعاً الظروف اللي اتحطينا فيها خلطنا نوقف أى إفراج ، ماكنش يمكن إن إحننا نفرج ولكن أنا أشعر النهاردة إن وضعنا الداخلي يمكننا إن إحننا نفرج وعلى هذا تصدق على الإفراج عن عدد كبير من المعتقلين ، ومش حايفضل من المعتقلين إلا أعضاء الجهاز السرى والتنظيمات السرية المسلحة^(٣) .

وعلى ذات المعنى ، معنى وجود تنظيم سرى للإخوان تتفق آراء أغلب المسؤولين حول

(١) خطاب للرئيس جمال عبد الناصر بتاريخ ٧ أغسطس ١٩٦٥
وبلاحظ أن وجهة نظر النظام الساي تتضح من تحليل جرائد هذه الفترة وتحديد الأهرام خلال عامي ١٩٦٥ ، ١٩٦٦ والتي ذهبت إلى وجود تنظيم مسلح للإخوان بول بالأسلحة والمال من السعودية وبالتأكيد الأدنى من الأردن وتونس ، والمغرب . بل وذهبت الأهرام إلى وجود تنظيم ثان باسم « تنظيم الإخوان المارين » بزعامة سعيد رمضان وكامل الشريف وخطاب السيد خطاب ، انظر الأهرام بتاريخ ١٩٦٦/٩/٨ .

(٢) عيد الله إمام ، مصدر سابق ص ١٠٨ .

خطاب جمال عبد الناصر بتاريخ ٢٣ نوفمبر ١٩٦٧ .

ذلك ، وبهنا بالأخص فمس بدران ، الذى كان مسئولاً إبان وقائع الصدام الثانى على السجن الحرقى ، والذى حوكم فيما بعد وأدين فى قضايا تعذيب الإخوان المسلمين ، وتتلخص رواية فمس بدران فى أن قضية الصدام مع الإخوان فى أغسطس ١٩٦٥م ، لم تبدأ فى هذا العام بل سبقتها قضيتان مرتبطتان بها تماماً ، وهما قضية عبد القادر عيد عام ١٩٦٣م ثم قضية حسين توفيق عام ١٩٦٥م ، وملخص القضيتين وفقاً للرواية السابقة إنها كانت تتعلق بتنظيم شكله عيد القادر عيد فى الجيش وضباط الصاعقة الذين كانوا تحت سيطرته المباشرة ويقودون فى ذات الوقت قيادة بعض الوحدات فى المشاة والمدفعية ، وبعد أن أتم عيد القادر عيد إعداد تنظيمه العسكرى بدأ يتصل بالإخوان لضمان التأيد المدنى عند وقوع الانقلاب ، فاتصل بعبد العزيز كامل عضو مكتب الإرشاد لجماعة الإخوان ، ويؤكد فمس بدران أن التحقيق بشأن هذه القضية تم فى مبنى المحابر العامة وأنه قد اشترك فيه^(١) .

أما القضية الثانية التى سبقت أحداث الصدام فيلخصها فمس بدران بقوله أن المباحث العسكرية قد وصلها إن عبد القادر عامر أحد أعضاء جماعة حسين توفيق قد طلب من أحد السائقين فى مديرية التحرير شراء صندوقين من القنابل اليدوية ، وكان لابد من الإهتمام بالأمر ، وخاصة أن هذه الجماعة معروف عنها اللجوء إلى أسلوب الإغتيال منذ أمين عثمان ، ويروى فمس بدران أنهم كانوا فى سباق مع الزمن «لما أن نسبهم ونعتقلهم أو يسبقونا وينسفوا القاهرة ولا يمكن أن تكون هذه مجرد فبركة أو تلفيق ، فالأسلحة التى ضبطناها ، والرسوم الكروكية التى رسمها مهندسونهم موضحين فيها أماكن النسف تؤكد ذلك»^(٢) .

ويخلص فمس بدران من رواية القضيتين السابقتين إلى وجود تنظيم جديد للإخوان على صلة مسبقة بقيادات هاتين القضيتين ، ويؤكد أنه قد أعتقل خمسمائة شخص وأفرج عن مائة وخمسين متهماً ، «ولو كنت ألق الإنهائم لكان لدى الفرصة لإدخال الوفد فى القضية عندما أقحمت زينب الغزالى اسم فؤاد سراج الدين»^(٣) إذن ومن واقع الرواية الرسمية لعبد الناصر ولشمس بدران ، يتضح أن هناك تنظيماً سريعاً مسلحاً للإخوان ، وهناك تمويل له من الخارج وتحديدًا من الإخوان المسلمين فى السعودية ، وفى سوريا - سعيد رمضان - وأيضاً من الحكومة السعودية ، يتضح عندما أكد عبد الناصر للملك فيصل على عدم جدوى

(١) شهادة فمس بدران فى عبد الله إمام ، مصدر سابق ، ص ١٣٥ - ١٤٣ .

(٢) المصدر السابق ، ص ١٣٧ .

(٣) نفس المصدر ، ص ١٣٨ .

مساندتهم للإخوان في مصر لعدم فاعلية ذلك . كما يقول^(١) ولكن هذا التنظيم لم يكن مؤثراً في صدامه مع النظام السياسي بدليل الإفراج عن أغلب أعضائه بعد حرب يونيو ١٩٦٧ م ، وإن كان شمس بدران يرى عكس ذلك ، من أنه لو لم يسبق التنظيم لكان قد نسف القاهرة ، وقد يعود عدم احتلال الصدام الثاني بين عبد الناصر والإخوان المكانة الكبيرة في اتهام عبد الناصر إلى السرعة الملحوظة في إلقاء القبض على أعضاء التنظيم ، وإلى الضعف الملحوظ في بنائه الداخلي ، على العكس من أحداث الصدام الأول التي أرهقت النظام السياسي وكادت تؤدي بعيد الناصر ذاته ، ولكن على الجانب الآخر كان تأثير هذه الضربة على الإخوان المسلمين وسياساتهم تجاه النظام الناصري قاسياً ، وخاصة إذا قارنا ما حدث لهم من إجهاض مبكر بتعذيب بدني قاسوه داخل السجن الحرى ، وهو ما تشير إليه روايات شمس بدران ، وكال الدين حسين وعبد اللطيف بغدادى وحسن إبراهيم ، بالإضافة إلى روايات الإخوان أنفسهم .

ب - أما بخصوص التعذيب في السجون فتؤكد الروايات المتواترة عن المسؤولين إبان هذه الفترة وبالأخص كمال الدين حسين ، وحسن إبراهيم وعبد اللطيف البغدادي على إقرارهم بوقوع تعذيب بدني قاس للإخوان المسلمين داخل السجون عام ١٩٦٥ م^(٢) بل وصل الأمر ببعضهم إلى إرسال رسالة إلى عبد الناصر يقول فيها : « لا خير في إذا لم أقلها لك .. إتق الله »^(٣) بل وإلى الإدعاء باختلاق عبد الناصر لأحداث هذا الصدام وبعنف عمليات التعذيب^(٤)

ويؤكد شمس بدران في روايته السابقة أنه كان مسئولاً عن كل عمليات التعذيب التي جرت ولكنها لم تكن بالحجم أو النوعية التي إدعاها الإخوان ، وأن ما قام به كان بهدف حماية البلاد ، وإن السجن الحرى موروث عن الإنجليز وقد أعدوه للهاربين من القتال ، فجعلوه جميعاً يفضل الجندي الموت على دخوله ، ويؤكد شمس بدران على إنه الإجراءات

(١) خطاب الرئيس جمال عبد الناصر بتاريخ ١٩٦٦/٢/٢٢ .

(٢) بتفصيل أكثر انظر عبد اللطيف البغدادي مذكرات البغدادي الجزعان الأول والثاني (القاهرة ، المكتب المصري الحديث . ١٩٧٧) - سامي جوهر : الصامتون يتكلمون (القاهرة . المكتب المصري الحديث . ١٩٧٥) .

(٣) رواية كمال الدين حسين في سامي جوهر . المصدر السابق ص ٦٥ - ٨٨ .

(٤) نفس المصدر .

التي تمت بشأن الإخوان لم تكن بالقسوة التي إدعوها ولم يكن عبد الناصر على علم بها^(١)

وكانت محصلة الصدام الثاني مع الإخوان هي الحكم بإعدام سبعة ، أعدم منهم ثلاثة هي سيد قطب وعبد الفتاح إسماعيل ومحمد يوسف هواش وخفف الحكم عن الأربعة الآخرين لصغر سنهم ، وحكم بالأشغال الشاقة المؤبدة على ٢٥ عضواً ، وبالأشغال الشاقة من ١٠ إلى ١٥ سنة على ١١ عضواً ، وعلى حسن المضيبي بالسجن لمدة ثلاث سنوات ، وأصدرت دوائر المحاكم أحكاماً أخرى على ٨٣ متهماً وكان من بينهم إثنان حكم عليهما بالأشغال الشاقة المؤبدة هما إسماعيل الفيومي ومحمد عواد اللذان قيل إنهما هربا من السجن الحربي ، وصدرت أحكام بالسجن على ١١٢ وبراءة الدائرة ثلاثة ، وكان هناك معتقلون من الذين كانت لهم صلة بالجماعة ولم تثبت إدانتهم وتم الإفراج عنهم فيما بعد .

هذا على مستوى محوري الصدام ، وجود التنظيم ونشاطه ، ووقوع التعذيب من عدمه وفيها تتضح أبعاد العلاقة بين الإخوان المسلمين والنظام السياسي ، والتي وصلت مع أغسطس عام ١٩٦٥م إلى الحد الذي يصعب بشأنه التراجع ، ومن ثم كان لا بد من الصدام والإجهاض المكر لنشاط الإخوان الجديد^(٢) .

٤ - الرأي الرسمي للأزهر في منهج التنظيم ، الرد على كتاب معالم في الطريق :

لإستكمال الصورة العامة لأحداث الصدام الثاني ، تجدر الإشارة إلى وثيقة تاريخية هامة أعدها الشيخ محمد عبد اللطيف السبكي رئيس لجنة الفتوى بالأزهر بناء على طلب شيخ الأزهر وقتئذ حسن مأمون وقدم تقريراً إليه يرد فيه على كتاب سيد قطب « معالم في الطريق » الذي اعتبر يومها المنهج العام لفكر التنظيم الجديد ويؤكد التقرير على عدة أمور منها :

أ - إن الإسلوب الذي صيغ به الكتاب أسلوب إستفزازي يهيج مشاعر القارئ الدينية خاصة إذا كان من الشباب أو البسطاء ومؤلفه ينكر وجود أمة إسلامية منذ قرون طويلة

(١) شهادة شمس بدران ، مصدر سابق ، ص ١٣٥ - ١٤٣ .

(٢) يذهب محمد حسين هيكل إلى القول بأن هذه الأحداث لو لم تهبض لكانت النتيجة وخيمة حيث مصر هي المستهدفة ، من الرجعية والاستعمار وإسرائيل ، وضرب مصر هو أكبر انتصار لهم ، الأهرام بتاريخ ١٩٦٦/٤/٨ ومن الأقوال الماثورة - للأسف - عن هيكل ، أنه كتب في الأهرام عشية إعدام سيد قطب تحت عنوان (الحاكمية لله .. لا يا سيد) في تهكم واضح على أفكار الشيخ سيد قطب .

ومعنى هذا أن عهود الإسلام الزاهرة ، وأئمته وأعلام العلم فى الدين ، فى التفسير والحديث والفقه ، وعموم الإجتهد جميعاً كانوا فى جاهلية وليسوا من الإسلام فى شئ حتى يحىء إلى الدنيا سيد قطب .

ب - إن المؤلف يدعو دعوة مكشوفة إلى قيام طليعة من الناس ببعث جديد فى الرقعة الإسلامية وأنه تكفل بوضع معالمها حين يقول « لابد لهذه الطليعة التى تعتزم هذه العزمة من معالم فى الطريق ، لهذه الطليعة كتبت معالم فى الطريق » .

ج - أن المؤلف يؤكد على مقولة « الحاكمية لله » وهذه كلمة قالها الخوارج قديماً وهى وسيلتهم إلى ما كان منهم فى عهد الإمام على ، من تشقيق الجماعة الإسلامية وتفریق الصفوف ، وهى الكلمة التى قال عنها الإمام على « إنها كلمة حق أريد بها باطل » فالمؤلف يدعو مرة إلى بعث جديد فى الرقعة الإسلامية ثم يتوسع فيجعلها دعوة فى الدنيا كلها ، وهى دعوة على يد الطليعة التى ينشدها والتى وضع كتابه هذا ليرشد بمعالمه هذه الطليعة ، وليس أغرب من هذه الخيالية وهى نزعة تخريبية يسميها طريق الإسلام ، والإسلام كما هو أسمه يأبى الفتنة ولو فى أبسط صورها . وما معنى الحاكمية لله ؟ هل يبيّر الدين على قدمين بين الناس ليمتتع الناس جميعاً عن ولاية الحكم ؟ أو يكون المثل لله فى الحكم هو شخصية هذا المؤلف . وأن القرآن نفسه يعترف بالحكام المسلمين ويفرض لهم حق الطاعة علينا كما يفرض عليهم العدل فينا ويوجه الرعية دائماً إلى التعاون معهم .

د - والمؤلف عندما يطالب أن يقوم المجتمع الإسلامى أولاً ثم توضع النظم والشرائع ، ينكر وجود مجتمع إسلامى وينكر وجود نظام إسلامى ، ويدعو إلى الانتظار فى التشريع حتى يوجد المجتمع المحتاج إليه ، ويبدو أن المؤلف شطح شطحة جديدة ، فزعم لنفسه الهيمنة العليا الإلهية فى تنظيم الحياة الدنيا حيث يقترح أولاً هدم النظم القائمة دون إستثناء ثم طرد الحكام وإيجاد مجتمع جديد ثم التشريع من جديد لهذا المجتمع .

هـ - وبعد التفصيل والرد على الجوانب الأخرى فى كتاب سيد قطب يخلص التقرير إلى عدة نتائج هامة : فالمؤلف - سيد قطب - إنسان مسرف فى التشاؤم وينظر إلى الدنيا بمنظار أسود ، وأنه إستباح باسم الدين أن ، يستفز البسطاء إلى ما يأباه الدين من مطاردة الحكام ، مهما يكن فى ذلك من إراقة الدماء والفتك بالأبرياء وتخريب العمران وترويع المجتمع ، وتصديق الأمن وإلهاب الفتن فى صورة سيئة ولا يعلم مداها غير الله وذلك هو معنى الثورة الحركية التى ردها فى كلامه . ويرى التقرير أيضاً إنه إذا ربطنا بين دعوة سيد قطب وبين الأحداث المعاصرة ، ونظرنا إلى ذلك الاتجاه فى ضوء الثورة المصرية ،

وما ظفرت به من نجاح باهر فى كل مجال من مجالات الحياة وضح لنا أن الدعوة الإخوانية ، دعوة مدسوسة على ثورتنا باسم الغيرة على الدين ، وإن الذين تزعموا هذه الدعوة أو استجابوا لها إنما أرادوا بها النكاية للوطن والرجوع به إلى الخلف ، وتلك هى الفتنة الكبرى .

هذا عن الرد الرسمى للنظام السياسى الناصرى على المنهج الفكرى للإخوان المسلمين جاء من الأزهر والذى كان يومئذ يمثل - ضمن أدوات ووسائل أخرى - إحدى وسائل تأكيد الشرعية للنظام السياسى ، وخاصة بع صور قانون إعادة تنظيم الأزهر فى ١٩٦١/٦/٢٣ م ، وتأكيد تبعية هذه المؤسسة الدينية للنظام السياسى ، وهو ما حدث فى مجمل الأزمات السياسية التى واجهها النظام ، والتى كان الصدام الأخير مع الإخوان إحداها ، بيد أن موقف الأزهر لا يمكن التهورين من شأنه تجاه جماعة الإخوان ، وذلك لأن هذه الجماعة أخطأت التوقيت ، وأخطأت العدو ، الذى تحاربه ، والذى كان وقتها معبراً حقيقياً عن آمال وطموحات الشعب المصرى والعربى سياسياً وحضارياً ، فلقد كان عبد الناصر رمزاً ، وزعيماً صليداً ، صعب على الترسانة ، الاستعمارية اقتلاع جذوره ، الجماهيرية الراسخة !!

خاتمة المحور :

ومن خلال هذا المحور يخرج الباحث بحقائق ثلاث أولها : إن تصرفات وسلوكيات النظام السياسى تجاه جماعة الإخوان المسلمين من خلال أحداث ووقائع صدامى ١٩٥٤ م ، ١٩٦٥ م تؤكد أنها كانت سلوكيات سيطر عليها أسلوب المواجهة المباشرة ، حيث كان التحرك يأتى دائماً من جانب الإخوان أولاً وقبل تحرك النظام ، وحيث كانت الأوضاع الداخلية والخارجية المحيطة بالنظام السياسى وقتئذ ، لم تكن تسمح له بأن يخلق تفجيراً وعدم استقرار لن يستفيد هو منه كثيراً ، وثانيها : إن الصدامين فى المحصلة الأخيرة كانا فى غير صالح طرفى العلاقة عبد الناصر والإخوان المسلمين ، حيث خسر عبد الناصر عنصراً مهماً على مستوى الجبهة الداخلية بشكل لم يدرجه إلا مع هزيمة ١٩٦٧ م ، وإن كان قد كسب كثيراً إبان الأزمة وخاصة أزمة ١٩٥٤ م ، أما الإخوان فإنهم فقدوا العديد من القيادات المؤثرة فى الهيكل التنظيم للجماعة ، كما فقدوا الوجود الرسمى والقدرة على التأثير العلنى لمدة طويلة .

ثالثهما : إن المستقبل المنظور سيظل يحمل بنوراً لصدّامات أخرى قادمة بين التيار الدينى فى مصر وبين النظام السياسى ، ما دامت هذه الإشكالية قائمة : إشكالية الصدام بين الدين والدولة ، وما دامت عمليات العلمنة والإغتراب الإجتماعى والسياسى قائمة^(١) .

الفصل العاشر
عبد الناصر ولدين
الإدراك والممارسة



عبد الناصر والدين الإدراك - الممارسة

تعد إشكالية الدين في مدركات وسلوكيات عبد الناصر ، من أعقد الإشكاليات ، وأكثرها إثارة للجدل بين كافة التيارات السياسية والفكرية التي على علاقة تمارس مع الحقبة الناصرية ، سواء من الإسلاميين أو الشيوعيين أو الليبراليين ، أو الناصريين أنفسهم ، أو حتى أولئك الذين ليس لهم اتجاه أو بوصلة فكرية واضحة .

وفي سبيلنا لوضع هذه الإشكالية في إطارها الصحيح من الدراسة الموضوعية ، نمحور حديثنا في هذا الجزء من الموسوعة حول المحاور التالية .

- أولاً : الدين في مدركات عبد الناصر .
 - ثانياً : عبد الناصر والأزهر والمحاكم الشرعية والمجالس المليية .
 - ثالثاً : عبد الناصر والطوائف المسيحية .
 - رابعاً : عبد الناصر والطرق الصوفية .
 - خامساً : عبد الناصر والإعلام الديني .
 - سادساً : عبد الناصر والمساجد .
 - سابعاً : عبد الناصر وموقع الدين في قضايا التطور الإجتماعي .
- وبتفصيل ما سبق يستبين الآتي :

أولاً : الدين في مدركات عبد الناصر :

كثر الحديث في الأونة الأخيرة عن قضية (الناصرية والإسلام) وأخذ الحديث عنها أشكالاً مختلفة ، فتارة تناول الحديث علاقة (الناصريين بالإسلاميين) ، وتارة أخرى تناول علاقة (القومية) - وفقاً للتطبيق الناصري - (بالإسلام) ، وتارة أخذ الحديث عنها مقولة محددة وجديدة هي (الناصرية الإسلامية) كبديل حضاري عما يسمى (بالناصرية العلمانية) .

* وأياً ما كان شكل الحديث ، ونوعيته ، إلا أنه ظل يعبر بدرجة أو بأخرى عن علاقة (الناصرية بالإسلام) ، وظل القصور يشوب تناولها تحديداً منذ مقتل السادات (أكتوبر ١٩٨١م) وحتى يومنا هذا ، من نواحي عديدة (ليس هنا مقام ذكرها تفصيلاً) ولعل

أبرز نواحي هذا القصور يتأتى من كيفية تعامل التيار الناصرى مع (تراث عبد الناصر : الفكرى والسياسى) ، وهو تعامل أما أنه قد ألبس هذا التراث ثوب القداسة فأسقط أخطاء وسلبات عديدة كان يتحتم نقدها ومواجهتها بشجاعة الراغبين فى الإصلاح الحقيقى والنهوض الواعى لهذا الوطن . وأما أن التعامل مع هذا التراث قلبه أو إختزله تماما أو لم يعد يتذكر منه إلا (الناصرية كبرنامج سياسى ظروفى) يقف عند حدود إصلاحات القطاع العام وبعض قضايا التحرر الوطنى) .

إن منهج (القداسة) ، ومنهج (الإختزال) ظللا هما آفة التيار الناصر فى نطاق التعامل مع (تراث عبد الناصر) طيلة حقبتى السبعينات والثمانينات ، وهذه (الآفة الفكرية) بحاجة إلى عملية جراحية شاملة تعيد إلى الجسد الناصر حيويته والغربي أنه ومع الأسف لا يزال حتى هذه اللحظة جسد دون عقل جمعى ، وإطار نظرى متماسك ، وإذا ما تعافى الجسد من أمراضه ، فإن (العقل) سيكون وستصبح بداخل الأفكار وتنضج .

* وفى سبيلنا لأعمال المشرط العلمى فى بعض آفات الرؤية الناصر للإسلام ، نتوقف بداية إزاء مقصودنا بالتراث الناصر تجاه هذه القضية فنشير إلى أننا نقصد هنا بمقولة « التراث الناصر » تراث جمال عبد الناصرى سواء على مستوى الفكر والخطاب السياسى أو على مستوى الفعل والحركة السياسية لأن ما يمكن أن يطلق عليه تراث ناصرى ، من قبل ناصرين عاشوا أثناء حياة عبد الناصر أو ناصرين أتوا من بعده ، يعد فى تقديرنا حتى هذه اللحظة - مع إستثناء قليلة - تراث لا يعتد به فى مجال النظر إلى الاسلام : كعقيدة أو كممارسة سواء أخذت هذه الممارسة شكل الفعل الاجتماعى بمعناه الواسع (التدين اليومى - المواقف الاجتماعية للطرق الصوفية أو الجمعيات الشرعية أو للأزهر - أو الكنيسة القبطية .. الخ) أو الفعل السياسى بمعناه المباشر (الحركات الإسلامية تحديداً) الإخوان المسلمين (الجماعات الإسلامية على إختلافها) ، أنه تراث لا يعتد به قياسا بإنجاز عبد الناصر فى هذه القضية على أصعدتها العقيدى أو الاجتماعى أو السياسى .

* رغم ذلك لقد حاول البعض (من ناصري ما بعد عبد الناصر تحديداً) تناول هذه القضية ، بإخلاص ووعى وكان لكاتب هذه السطور جهد متواضع فى هذا المجال ، إلا أن تلك الإجهادات الناصرية تظل محدودة إذا ما قيسست سواء بإنجاز عبد الناصر الإسلامى بوجهيه السلبى والإيجابى ، أو بما هو مأمول منها أن تقلعه كحركة فكرية سياسية ، تبغى تغيير مجتمعها وتشد بعثه من جديد وفق منهج علمى متماسك .

..لذلك ..



الإسلام كما أدركه عبد الناصر : رسالة ستحرر !!

* وإنطلاقاً من هذا القصور الذى نعرف به ، يحتمل الدين والدولة فى المنظور الناصرى (من جذورها ، بمعنى ضرورة الإستناد إلى تراث عبد الناصر تجاه هذه القضية وصولاً إلى خلق (النموذج الناصر الإسلامى) تجاهه ، إن فرضيتنا الرئيسية هنا تنطلق من حقيقة محددة - سبق أن أشرنا إليها فى دراستنا وأبحاثنا السابقة وهى أن (الناصرية إجتهد فى إطار الإسلام) ، وإنه لا بقاء حقيقى للناصرية فى مصر - أو عربياً إلا إذا نظرت إلى نفسها من خلال الحقيقة السابقة ، من هنا فإن ثمة ناصرية واحدة فى تصورنا سوف يقدر لها الإقناع والتقدم ، وهى (الناصرية الإسلامية) ، أما ما عدا ذلك - وما أكثره مع الأسف - فإنه مجرد شطحات فكرية ومراقبة سياسية عاجزة لم يعد لها مبرر من واقع أو من تاريخ .

* إذن

* إن الناصرية التى نبحث موقفها من علاقة الدين والدولة فى عالم التسعينات ، ترى أنه هذه العلاقة لها محورين رئيسيين - سبق لعبد الناصر أن تناولهما فكرياً وممارسة - وهما :

المحور الأول: كمنطلق ثورى للتحريك السياسى من أجل بناء الدولة الناصرية .

المحور الثانى: كأساس فى عملية التنمية الإجتماعية للدولة الناصرية المرتقبة .

وبتفصيل المحورين السابقين مستندين بالأساس إلى تراث عبد الناصر .. يستبين ما يلى :

أولاً : الدين كمنطلق ثورى للتحريك السياسى :

تؤكد الدراسات الاجتماعية الحديثة الصادرة عن مجتمعات العالم الثالث ، أن الدين بالنسبة لهذه المجتمعات ذات الثقافة التقليدية يمثل عنصراً فاعلاً ومؤثراً فى مجال تشكيل هذه الثقافة ، والتالى يصبح عاملاً مساهماً فى تشكيل الوعي الجماعى لهذه المجتمعات ، ومن هنا تصبح عملية دفع أفرادها . وتحريكهم سياسياً ، أعنى عملية تعبئتهم سياسياً خاصة فى حالة الأزمة ، تفترض استخداماً لعناصر ثقافتهم التقليدية التى يأتى العرف ونظام العادات والتقاليد و « الدين » فى مقدمتها .

ومصر لا تخرج من هذه القاعدة العامة تاريخياً ، فالدين مثل الآداة الفاعلة فى التأثير على رأى العام ، خاصة خلال الأزمات والأحداث الهامة فى التاريخ المصرى الحديث وفى نموذج الحملة الفرنسية ودور رجال الأزهر فى مواجهتها ، ونموذج محمد على ، ودور رجال الدين فى تنصيبه ، وكذلك دور الدين فى ثورة ١٩١٩م وما تلاهما ، وأخيراً

النموذج الذى تم دراسته الآن ، النموذج الناصرى واستخدام الدين فيه خلال الأزمات السياسية والأحداث الهامة بدءاً بأحداث الصدام الأول مع الإخوان المسلمين عام ١٩٥٤م ومروراً بسياسة الأحلاف ، فالعدوان الثلاثى وأزمة عام ١٩٦٥م ، مع الإخوان المسلمين وانتهاء بهزيمة عام ١٩٦٧م ، فى كل هذا ، ما يقوم هنا كماً أكد على حقيقة دور الدين فى التحريك السياسى .

ولقد تم ممارسة عملية التحريك هذه بوسائلها المختلفة التى منها الدين طوال سنوات الحكم الناصرى تقريباً ، وإن كانت بعض الفترات ، وبعض الأزمات كانت العملية فيها أكثر وضوحاً من الأخرى ، ولقد اتبع عبد الناصر منهجاً لعملية التحريك تلك ، ويقوم الإدراك الناصرى على مستويين : أولهما : مستوى إدراك الأزمة أو الحدث الذى يتم بسببه إدخال الدين كعنصر فى عملية التحريك أو التعبئة السياسية . وثانيهما : مستوى الأدوات أو الوسائل التى تستخدم داخل عنصر الدين وكيفية استخدامها .

وفى المستوى الأول يلاحظ إن عبد الناصر لم يستخدم الدين فى عملية التحريك أو التعبئة السياسية إلا عندما يدرك تعرض نظامه السياسى إلى أزمة حادة ، أى أن عبد الناصر لم يستخدم الدين أو الإستدلال به إلا فى ظروف أزمة قد تؤثر على شرعية نظامه أو تؤدى به ، تمثل هذا داخلياً فى أزمة الصراع مع الإخوان المسلمين عام ١٩٥٤م وتمثل خارجياً فى هجومه على السعودية والرجعية العربية .

أما بالنسبة لمستوى الأدوات أو الوسائل فيتضح من دلالة الإستدلال بالرسول وبنوائه الكفاحى وبالأزهر وتاريخه أو بصلاح الدين الأيوبي أو بقيم وخبرات النضال العربى والمصرى فى مواجهة الاستعمار الخارجى أو القوى الدخيلة عليه وربط كل هذه القيم بحاضر المنطقة والأزمة التى يعالجها . وتحدد الوثائق الناصرية الفترات التى كان للدين فيها دور فى عملية التحريك السياسى أو التعبئة السياسية ، وحصرها تحديداً فى الفترة (١٩٥٢م - ١٩٥٨م) وذلك لطبيعة الأزمة الداخلية والخارجية التى أثرت وقتئذ ، والتى تمثت فى أزمة الإخوان المسلمين حين استخدم الدين كفكرة ضد الإ=وان ١٠٣ مرات بنسبة ٤٥,٤٪ من الإجمالى العام وحيث أزمة العدوان الثلاثى وضرورة شحن الجماهير معنوياً من فوق منبر الأزهر .

وتأتى الفترة (١٩٦٧م - ١٩٧٠م) فى المرتبة الثانية حين استخدم الدين فى مجال تبرير هزيمة ١٩٦٧م أو محاولة التخفيف من وطأتها ، وكان عدد مرات إستخدامه ٥٨ مرة بنسبة تصل إلى ٢٥,٦٪ من الإ=مالى العام .

أما أقل الفترات التي استخدم فيها الدين فهي الفترة (١٩٥٨ - ١٩٦٢) حسب لم يستخدم الدين في مجال التحريك السياسي أو التعبئة السياسية على الإطلاق ، وربما عاد هذا إلى طبيعة الزخم العام الذي ميز حركة القومية العربية وقتئذ ، وبدايات الوحدة مع سوريا ، وتحول اهتمامات النظام إلى الاتجاه القومي .

* ويلاحظ على الفترة الناصرية أن إدخال الدين كعنصر في عملية التحريك السياسي أو التهيئة السياسية وانطلاقاً من الحقائق السابقة يمكن معالجته بتفصيل أكثر من خلال مستويين للتحليل وهما :

١ - التحريك السياسي على مستوى الأزمات الداخلية : للجماهير واستخدام الدين والشعور الديني لدى الجماهير إتضح هذا في أزمة الإخوان المسلمين عامي ١٩٥٤م ، ١٩٦٥م ، وفي عمليات التنمية الاجتماعية بدءاً من عام ١٩٦٠م .

ولقد انطلق عبد الناصر في عملية التعبئة السياسية على مستوى الأزمات الداخلية من إفتناع مؤداه أن رسالات السماء كلها ، في جوهرها كانت ثورات إنسانية استهدفت شرف الإنسان وسعادته ، وإن جوهر الرسالات الدينية لا يتصادم مع حقائق الحياة ، وإنما ينتج التصادم من محاولات الرجعية أن تستغل الدين ضد طبيعته وروحه لعرقله التقدم ، وذلك بإفتعالي تفسيرات له تتصادم مع حكمته الإلهية السامية « الميثاق - ص ١٠٥ » .

* وحيث يرى عبد الناصر « علينا أن نذكر دائماً أن الطاقات الروحية التي تستمدّها الشعوب من مثلها العليا النابعة من أديانها السماوية أو تراثها الحضاري قادرة على صنع المعجزات ، وأنها تستطيع أن تمنح أمانها الكبرى أعظم القوى الدافعة ، وإن كانت الأسس المادية لتنظيم التقدم ضرورية ولازمة ، فإن الخوافز ، الروحية والمعنوية ، هي وحدها القادرة على منح هذا التقدم أنبل المثل العليا وأشرف الغايات والمقاصد « الميثاق ص ١٣٢ » .

وتتضح الرؤية الناصرية لدور الدين في الأزمات السياسية من تحليل الأزميتين التاليتين :

أ - أزمة الصدام مع الإخوان المسلمين عامي ١٩٥٤م - ١٩٦٥م :

يتناول هذا الجزء بالدراسة الإدراك الناصري للأزمة أو الحدث وكيفية استخدامه للدين في عملية التعبئة السياسية تجاهها : فعلى مستوى الحدي أدرك ، عبد الناصر في عام ١٩٥٤م أنه أمام أزمة قد تؤدي تدريجياً للإطاحة بنظامه السياسي الوليد . حيث أنهم - أي الإخوان - أرادوا أن يفرضوا وصايتهم على الثورة ، التي أخرجتهم من السجون والتي حققت لهم العزة القومية ، لقد ذهب الهضيبي إلى سوريا ولبنان ليحارب الثورة هناك وكان

رد عبد الناصر على ذلك - أى على محاولة تهديد بقاء النظام - إن الثورة لا تقبل الوصاية « خطابه بتاريخ ١٩٥٤/٩/٥ م » .

وعبد الناصر فى مواجهته للأزمة استخدم أسلوب التعبئة بالدين وذلك بإدخال متغيرين فى الحديث والمزج بينهما « أنا » أى الحديث عن الذات والنظام و « الأنثى » المقابل به أى الجماهير ، ويؤدى المزج بينهما إلى إدخال الجماهير فى حالة من القابلية للتصديق ، بأن « أنا يعنى أنت » وبأن ما يتعلق ب « أنا » من قضايا وأزمات هو ما يتعلق ب « أنت » وإذا قدر لهذه الحالة أن يواكبها ظروف موضوعية ضاغطة أو مسهلة مثل إعلان الجمهورية والإصلاح الزراعى يصبح التصديق أكثر سهولة ، وللتدليل على هذه الناحية يقول عبد الناصر :

« لقد ذهب الهضيبي إلى سوريا ولبنان ليحارب الثورة هناك ، وما دتم متيقظين متبصرين فسيسقط كل مضلل وكل مخادع ، ولن نستعيد مرة أخرى لفئة تكون عميلة للشرق أو للغرب ، أو للإطماع الذاتية ، ولن نستعيد لنهائى الفرص الطامعين فى الحكم ، حينما خرجت فى يوم ٢٢ يوليو ١٩٥٢م كان معى ٣٠ جنياً فتركت ٢٩ وأخذت الجنيه لأنى كنت أعلم أنى قد لا أعود ولما نجحت الثورة طلبت الوفد ليحكم قلت لسراج الدين حدد الملكية الزراعية واقضى على الفساد ، فرفض تحديد الملكية ، كنا مثلكم نبحت عمن يقضى على الفساد .. لم نقم للحكم فحسب بل قمنا من أجل المثل العليا ، هم يقولون القرآن دستورنا ونحن نخلع الملك ونقضى على الفساد والظلم الإجتماعى ونحقق الجلاء فهل هذا الذى نعمله خروج على القرآن ؟ » خطابه بتاريخ ١٩٥٤/٩/٥ م .

ويقول عبد الناصر ليؤكد وبصيغة الأخوة ذات .. الدلالة والتأثير : « يا إخوانى عليكم بالعمل لقد حققنا لكم العزة والكرامة ، وبعد هذا لن نعمل وحدنا ، وسأترك لكم المضلل والمخادع فأنتم الذين تعملون للقضاء عليها خطابه بتاريخ ١٩٥٤/٩/٢٠ م .

وفى عام ١٩٦٥م تمثل تهديد الإخوان المسلمين لدى عبد الناصر فى كونهم عملاء للإستعمار والرجعية ، حيث أنهم « رجعوا ثانى قاموا بعملهم كعملاء ، عملاء للإستعمار وعملاء للرجعية ، وطبعاً لا يمكن لنا وإحنا بنى هذا المجتمع المتحرر من الإستعمار ، والمتحرر من الرجعية ، لا يمكن إن احنا نسمح لعملاء الإستعمار أو عملاء الرجعية إنهم يؤثروا فى البناء إلى إحنا بنيناه » .

وهذا البناء هو فى حقيقته الإنجازات السياسية والإجتماعية التى حققتها التجربة منذ عام ١٩٥٢م وتحدى هذا البناء يمثل تهديداً لشرعيته ، ومن هنا كانت التعبئة السياسية

للجماهير ، وبنفس الأساليب والأدوات السابقة مع إدخال عناصر جديدة مثل الدفع من الخارج أو مثل التهويل من قدرات الخصم ، يقول عبد الناصر :

طبعاً وإحنا بنبنى لازم بنعمل تحويل إشتراكي كامل ، ولكن التحويل الإشتراكي لا بد أن يكون إشتراكي مدروس ... فيه أيضاً قد يكون هناك بعض الناس يضخموا المشاكل ، وطبعاً يدخلوا ضمن طائفة العملاء زى الإخوان المسلمين ، الإخوان المسلمين ثبت في المحاكمات ، إنهم كانوا عملاء للسعودية ، وعملاء لحلف بغداد ، ناس يخدعوا الشعب باتخاذ الدين ستر ، والدين وسيلة ، ولكن هذا الشعب استطاع أن يكشفهم واستطاع أن يقضى عليها . خطابه بتاريخ ١٩٦٦/٣/٢٣ م .

ب - أزمة التنمية الإجتماعية :

تمثل التنمية الإجتماعية في المجتمعات النامية مشكلة معقدة في مستوياتها وأبعادها المتعددة ، ولكن بشكل مبسط يقصد بهذه الأزمة هنا ، عملية التوظيف الواعى والموجه لجهود الكل من أجل صالح الكل ، خاصة تلك القطاعات والفئات الإجتماعية التي حرمت في السابق من فرص النمو والتقدم .

فإذا كانت أزمة التنمية الإجتماعية بهذا المعنى ، تعنى المعادلة الصعبة بين الإمكانيات أو القدرات السياسية والإقتصادية والإجتماعية المحدودة وبين الآمال والأهداف الجماهيرية الكثيرة ، وعليه فإنها في الإدراك الناصري تتمثل في وجود نوعين من المعوقات : المعوقات الداخلية واعتبارات التخلف والتبعية الإقتصادية والمعوقات الخارجية المتمثلة في سلسلة الضغوط الدولية الإقتصادية من قبل بريطانيا وفرنسا والولايات المتحدة الأمريكية والتي بدأت بالعدوان الثلاثي على مصر عام ١٩٥٦ م وانتهت بالعدوان الإسرائيلي عام ١٩٦٧ م ، والمرحلة التالية له ، ولقد أدرك عبد الناصر هذا المستوى بوضوح حيث الرجعية المحلية والدولية تقف دائماً وراء هذه الأزمة وأدرك حلولها وإمكانيات التخلص منها ، فعبد الناصر يرى أن الحرية الإجتماعية لا يمكن أن تتحقق إلا بفرصة متكافئة أمام كل مواطن في نصيب عادل من الثروة الوطنية ويرى أن تحرير الإنسان سياسياً لا يمكن أن يتحقق إلا بإنهاء كل قيد للاستغلال يحد من حريته وإن (التجارب الرأسمالية) في التقدم تلازمت تلازماً كاملاً مع الاستعمار فلقد وصلت بلدان العالم الرأسمالي إلى مرحلة الانطلاق الإقتصادى على

أساس الإستثمارات التي حصلت عليها من مستعمراتها ويقدم عبد الناصر تصوره لمواجهة هذه الأزمة على صعيدين الأول إقتصادي ، تمثل في سياسات التأمين والتخطيط ، والثاني سياسى حيث استخدم عملية التعبئة السياسية للجماهير لمواجهة تلك المعوقات وهو ما تركز عليه الدراسة ، فالحفريات الإسلامية والرسول ﷺ ، والصيام ورجال الأزهر ، وانتصارات الإسلام وغيرها مثلت الأدوات الغالبة وبخاصة في الفترة التالية لعام ١٩٦٠م ، يقول عبد الناصر مستخدماً تلك الرموز :

الإسلام في أول أيامه كان أول دين إشتراكي ، الدولة التي أقامها الإسلام والتي أقامها محمد عليه السلام ، كانت أول دولة اشتراكية ، محمد النبي أول من طبق سياسة التأمين في هذه الأيام ، فيه حديث عن النبي عليه الصلاة والسلام قال فيه : « إن الناس شركاء في ثلاث : الماء ، والكلاء ، والنار » معنى هذا في تلك الأيام كانت المقومات الأساسية للمجتمع هي المراعى والماء ، إنهم رعاة يرعوا ويعوزوا الماء والكلاء ، هذه الأشياء كانت حاجة هامة في المجتمع ، والدولة الإسلامية عندما قامت كانت هي أول دولة الاشتراكية ، والإسلام سار بعد النبي عليه الصلاة والسلام في طريق الاشتراكية . خطابه بتاريخ ١٩٦١/٢/٢٢ م .

ويحدد عبد الناصر الأعداء الموجه إليهم عملية التعبئة السياسية من خلال الدين ، في معوقات الذات الثقافية ، أى المدرجات الخاطلة عن الدين والتنمية والعدالة الإجتماعية وفي معوقات الخارج التي حصرتها في الرجعية والإستعمار فيقول : « إن جوهر الرسائل الدينية لا يتصادم مع حقائق الحياة وإنما ينتج التصادم في بعض الظروف من محاولات الرجعية أن تستغل الدين ضد طبيعته وروحه لمرقلة التقدم وذلك بإفعال تفسيرات له تتصادم مع حكمته الإلهية السامية ، لقد كانت جميع الأدبانات ذات رسالة تقديمية ، ولكن الرجعية التي أرادت احتكار خيرات الأرض لصالحها وحدها ، أقدمت على جريمة ستر مطامعها بالدين وراحت تتلمس فيه ما يتعارض مع روحه ذاتها .. لكى توقف تيار الفكر . خطابه بتاريخ ١٩٦٢/٥/٢٦ م .

ثم يدخل عبد الناصر إلى البعد الخارجى فىرى أن :

الرجعية النهازدة تستر بالإسلام ، وتتسبح بالإسلام وتعتقد أنها وجدت خط دفاع كبير جداً ولكن العالم العربى عالم واعى لأن الناس يتفهم الدعوة ، مين الى يطلق هذه الدعوة ، فإذا كانت الرجعية تطلق دعوة تحت اسم الدين ، فكل واحد يعرف إنها تنهب فلوس الناس وهى الى تستغل عمل الناس ، هى الى تستعيد العمال ، هى الى تاركة الشعوب مستغلة

ومحرومة من حقها في الحياة. وحقها في الكرامة ، لم تكن الرجعية أبداً شريعة الله ولكن شريعة الله كانت دائماً هي شريعة العدل . خطابه بتاريخ ٢٢/٢/١٩٦٦ م .

٢ - التحريك السياسى : على مستوى الأزمات الخارجية :

عاصر النظام السياسى الناصرى إبان فترة حكمه أكثر من أزمة سياسية خارجية كادت أن تطيح به فى بعض الأحيان وسوف تقتصر الدراسة هنا على حدثين أو أزميتين خارجيتين وهما :

أ - أزمة العدوان الثلاثى على مصر عام ١٩٥٦ م .

ب - أزمة عام ١٩٦٧ م .

ولقد استخدم عبد الناصر الدين والشعور الدينى لدى الجماهير فى تعبتهم سياسياً ضد هذه الأزمات ، وتمدى هذا الاستخدام فى مجال الفكر إلى مجال السلوك السياسى حين اتجه عبد الناصر إلى الجامع الأزهر بخطب فى الجماهير أثناء العدوان على مصر فى عام ١٩٥٦ م .

أزمة العدوان الثلاثى على مصر عام ١٩٥٦ م .

تمثل استخدام النظام الناصرى للدين فى عملية التعبئة السياسية لهذه الأزمة فى موقف محدد لعبد الناصر ككشف بوضوح عن مدركاته الحقيقية اتجاه الدين وكيفية توظيفه فى عملية التعبئة السياسية من خلال توظيف الرموز الدينية ، ومن خلال الاستخدام للتراث الدينى لدى الجماهير ، تمثل هذه كله فى خطاب عبد الناصر الشهير الذى ألقاه من فوق منبر الأزهر فى أثناء العدوان الثلاثى على مصر عام ١٩٥٦ م ، والذى أشار فيه لتاريخ الأزهر فى الكفاح ضد الإستعمار وهو الخطاب الذى أعلن فيه بداية المواجهة ضد العدوان ، ومن الأمور الهامة هنا أن هذا الإدراك الناصرى للدور الأزهر - الرمز ، فى عملية التعبئة السياسية لم يكن وليد هذه الأزمة السياسية فلقد سبق لعبد الناصر إن أدرك حقيقة أهمية الرمز الدينى فى عملية التعبئة السياسية ، وخاصة إذا كانت الأزمة خارجية تهدد بقاء أو شرعية النظام السياسى ، فعبد الناصر فى أكتوبر ١٩٥٤ م يقول :

لا يسعنى فى هذه المناسبة إلا أن أذكر جهاد الأزهر على مر السنين فقد حمل الأزهر دائماً الرسالة ولم يتخل أبداً عن الأمانة وكافح كفاحاً مريئاً ، فى سبيل الحصول على حرية الوطن ، كافح الأزهر أيام الحملة الفرنسية ، وقاسى رجاله وعذوبوا وقتلوا وشردوا

واقفهم المحجلون الأزهر فلم يتأخر الأزهر عن حملة رسالة الجهاد والكفاح لتحرير الوطن
وبلاد العروبة والإسلام واستمر الأزهر يحمل الرسالة حتى سلمها إلى الجيش إلى عرابي ،
الذي قام متسلحاً بروح الأزهر يطالب بحقوق الوطن .

ويتابع عبد الناصر التراث النضالي للأزهر ضد الإنجليز إلى أن يصل إلى هدفه : « لقد
جاء دور الأزهر وإن عليكم أن تحملوا الأمانة مرة أخرى وأن تدافعوا عن المثل العليا التي
كافح من أجلها الأولون » .

وعلى نفس المستوى من الإدراك يواصل عبد الناصر عملية الشحن السياسي للجماهير
من خلال الأزهر ، وفي أحيان كثيرة من خلال رجال الأزهر ، وهو الإدراك الذي كشف
فيما بعد عن الرؤية الناصرية لهذه المؤسسة الدينية الرسمية ، والتي اتضحت كسلوك سياسي
في مشروع تطوير الأزهر عام ١٩٦٦ م ، ووصلت إلى أقصاها حين دخل الأزهر إلى حلبة
الصراع السياسي ضد النظم العربية المعادية لعبد الناصر في إبريل ١٩٦٧ م ، وحين وصفت
مجلة « الأزهر » الملوك العرب بأنهم الرجعيون والذين دنسوا الإسلام بالنهب الأمريكي
من أجل أن يحافظوا على أملاكهم وبهذا فإنهم اتبعوا الشيطان وتركوا الله .

وشتمتاداً للأزمة السابقة تولدت فكرة الأحلاف السياسية الخارجية والتي وقفت عبد
الناصر ضدها وبوضوح فهو يقول : « قالوا نريد أن نقيم حلفاً إسلامياً ولكن كيف يقوم
حلف إسلامي تحت زعامة بريطانيا أو تحت زعامة أمريكا ؟ إن هذا الكلام هو خديعة
لنا لتدخل مناطق النفوذ لم تستطع هذه الشعارات الجديدة أن تنطلي علينا ولكن إعلناها
صريحة عالية ، إننا قررنا أن نستقل وحصلنا على الإستقلال » .

وهو يحدد خطورة القضية من زاوية أخرى حين يقول : « أنا مش متصور إن يبقى حلف
إسلامي وبأخذ أوامره من لندن أو واشنطن أو أى دولة أخرى لأنه حلف إسلامي إنه يتنافى
في هذه الحالة مع كلمة الإسلام ويبقى حلف غربي » .

(ب) أزمة عام ١٩٦٧ م :

يتضح دور الدين أكثر في مجال التعبئة السياسية لدى عبد الناصر في المرحلة التي أعقبت
هزيمة يونيو عام ١٩٦٧ م ، حيث امتلأت خطب ووثائق عبد الناصر بالمتراقات الدينية
والدلالات اللفظية مثل : إرادة الله والجهاد الأكبر ، والجهاد الأصغر ، والإسلام ، والإيمان
بالله ، والهزيمة قدر ، والصبر والثقة في نصر الله ، والأخوة الإسلامية وغيرها ، ولعل غنف
الهزيمة ، وعمق آثارها هو الذي ولد هذه التأكيدات على الدين والشعور الديني ، وخاصة

لدى المُقاتلين على الجبهة ولدى القطاعات الجماهيرية التى مثل لديها - عبد الناصر - نموذج البطل التاريخى الذى لا يهزم أو الذى لا تستطيع أن تتصوره مهزوماً .

لقد اتضحت عملية التعبئة السياسية بالدين عند عبد الناصر حين كان يلتقى بالجنود أثناء حرب الإستنزاف ولقد أدرك عبد الناصر إنهم - أى الجنود - هم القطاع الجماهيرى صاحب الأولوية الأولى فى هذه المسألة ، لأنهم أصحاب الأزمة وضحاياها الحقيقيون ، من هنا كانت عملية التعبئة السياسية المباشرة وتأكيد على الإيمان والإرادة لدى الجندى المقاتل ، وهنا يقول عبد الناصر :

« يجب أن نؤمن بأن إرادتنا هى وحدها القادرة على تغيير الموقف وتحويل الهزيمة إلى إنتصار ، لذلك يجب أن نضحي وأن نبذل الجهد ونفتدى حياتنا وحياة بلادنا بالفداء والموت ، وبدى أقول حاجة مهمة ، إن مفهش حد منّا حيموت ناقص عمر وكل مخلوق له أجل محدد وكلنا مؤمنين بالله وبهذه الحقيقة ، ومن ناحية أخرى فلا بد أن يتعمق هذا الإيمان فى قلب الجنود ، عاوز كل عسكرى يكون مؤمن بالدين والمبادئ والقيم ولازم التوجيه المعنوى يعنى هذه المعانى ويجعل عامل الإيمان بالله أساسى فى توعية الجندى ، وهذا الإيمان الذى يملأ قلب كل واحد يدفعه أن لا يتردد فى وقت الشدة وقد لمستم ذلك فى المعركة وعشتم أيامها وأدركتم قوة المبادئ والإيمان . خطابه بتاريخ ١٠/٣/١٩٦٨ م .

والأزمة - لدى عبد الناصر - تتطلب لمواجهتها ثقة بالنفس وبالله . لأنها قدر الأمة العربية : إن المسؤولية التى يلقىها الشعب عليكم أتم رجال القوات المسلحة مسؤولة كبيرة جداً والواجب الملقى عليكم واجب صعب ولكنه مش مستحيل ، وبالإرادة والإيمان بالله والثقة بالنفس والتدريب والجهد والعلم نستطيع أن نحيل الهزيمة إلى نصر لأن هذا قدر الأمة العربية . خطابه بتاريخ ١١/٣/١٩٦٨ م .

وعن قوة الإيمان يرى عبد الناصر أن :

الدبابة مش حتعارب لوحدها ، المتلفع مش هيمضرب لوحده والإنسان هو القادر على تحريك كل هذه الأسلحة ، والإنسان العربى دائماً كافح ، الإنسان العربى دائماً أثر فى التاريخ وسوف يكافح ويؤثر فى التاريخ ، ولكن علينا إحنا واجبات كبيرة جداً من أكبر القيادات إلى أصغر القيادات ، علينا أن نوجه هذا الإنسان التوجيه السليم الذى هو جندى ، علينا أن نوجهه إلى أن يشعر إن عليه رسالة كبيرة ، رسالة ثورة ، ورسالة نحو ربه ، ورسالة نحو وطنه وعلينا أن نبعث فيه روح الإيمان ، لأنه بدون الإيمان وبدون العقيدة الواحد

حيحارب له ؟ الواحد جيموت له ؟ الواحد يموت لأنه مؤمن بشيء يطلع يذل نفسه من أجله وإحنا هنا طبعاً نؤمن بالله ، ونؤمن بوطننا ونؤمن بحريتنا ونؤمن بحق أمتنا العربية في الحرية ، ولذلك من أجل المثل اللي إدخلنا رينا ومن أجل بلادنا ومن أجل أرضنا ومن أجل أمتنا العربية الواحد يطلع ويضحى بنفسه . خطابه بتاريخ ٢٠/٤/١٩٦٨ م .

ومن التحليل السابق يتضح أن عبد الناصر قد اعتبر الدين عنصراً أساسياً في عملية التنمية السياسية للجماهير ، في أوقات الأزمة السياسية الداخلية والخارجية ، وهو ما أثبتته أزمات الفترة (١٩٥٢م - ١٩٧٠م) .

المحور الثاني : الدين كأساس في عملية التنمية الاجتماعية للدولة الناصرية :

مثل عقدا الخمسينات والستينات بالنسبة للدول العربية مرحلة الإستقلال السياسي ومحاولات التنمية المستقلة ، بعد فترة طويلة من الإستعمار الغربي ، وعندما قامت ثورة يوليو ١٩٥٢م ، كان المجتمع المصري يعاني من أزمتين مؤثرتين : أزمة سياسية حيث كان المجتمع يروح تحت وطأة ثالث سلطوي : الاحتلال الأجنبي ، والقصر وأحزاب الأقلية .. وأزمة إجتماعية تمثلت في سيطرة الإقطاع وإنقسام المجتمع إلى طبقتين إحداهما أغلبية لا تملك ولا تحكم ، والأخرى أقلية تملك وتحكم معاً ، وأصبح الواقع يشهد أن نصف الأمة ليس في حساب الأحياء .

قامت ثورة يوليو ١٩٥٢م إذن لتواجه بهاتين الأزمتين ، وهو الأمر الذي آثار أهمية مواجهة العديد من قضايا التنمية الشاملة ، فكان إن أثرت قضايا مثل التخطيط والتنمية ، والتأميم ، والإشتراكية ، ومواجهة الرجعية المحلية والخارجية ، ودور أو وظيفة الدين في هذه القضايا .

والنتائج التالية المأخوذة من وثائق الدراما تبرز تطور تكرار الدين كعنصر في عملية التغير الإجتماعي والتنمية الشاملة ، والتي تؤكد من حيث أرقامها المناخ العام الذي سيطر على تلك الفترة حيث نجد أن الفترة (١٩٦٤م - ١٩٦٦م) كانت أعلى الفترات التي استخدم فيها الدين كعنصر في عملية التغير الإجتماعي والتحول نحو التنمية الشاملة حيث بلغ عدد تكراراته كمفكرة سالدة ٤٩ مرة من أجمالي الفترة التي وصلت إلى ١١٥ مرة أى بنسبة تصل إلى ٤٢,٦% من أجمالي الفترة ، تليها الفترة (١٩٦٢م - ١٩٦٤م) التي وصلت إلى ٢٢ مرة أى بنسبة ٩١% ، أما أقل الفترات فكانت الفترة (١٩٦٧م - ١٩٧٠م) حيث وصلت نسبتها ٨,٧% من الإجمالي العام للفترة .

وإذا ما نظرنا إلى واقع الفترة الأولى - أى التى إزداد فيها تكرار عنصر الدين فى الخطاب الناصرى فإنها الفترة التى غلبت فيها عمليات التنمية على التوجه العام للنظام السياسى . أما الفترة التى غلب فيها الدين ، فيرجع إلى طبيعة الفترة حيث توجه اهتمام النظام إلى حيث الجانب العسكرى واستخدم الدين فى مجال التعبئة السياسية والصراع الخارجى أكثر منه تجاه التغير الإجتماعى وقضاياه ، ونفس الحقائق نجدها فى الموائيق الأخرى للفترة حيث غاب الدين كمعصر فى عملية التنمية عن كتاب (فلسفة الثورة) ، (بيان ٣٠ مارس) ١٩٦٨ م . ويرجع ذلك إلى ذات الظروف الموضوعية السابقة ، وإلى كون القضية لم تكن مطروحة بالحاح مثلما كان الحال مع الميثاق الوطنى الذى جاء فى فترة من أخصب فترات التحول الإجتماعى والتنموى التى خاضها المجتمع المصرى ، ومن تكرر الدين كفكرة فى هذه الفترة (٥٠) مرات هى كل المرات التى تحدث فيها الميثاق عن الدين كمعصر فى التنمية والتغير الإجتماعى أى بنسبة ١٠٠٪ .

وإذا رجعنا إلى التحليل الخاص بالكلمات الدينية ، نجد أن كلمتى الدين والإسلام قد سجلتا أعلى تكرار لهما فى الفترة (١٩٦٢م - ١٩٦٤م) ، حيث رصد (الدين) ٧٦ مرة أى بنسبة ٣٩,٦٪ من الإجمالى العام للفترة ، و(الإسلام) رصد ٥١ مرة من الإجمالى العام بنسبة ٤٤,٣٪ .

وهذه الأرقام فى مجملها تقدم تجسيدا حيا على صعود دور الدين فى عملية التنمية والتغير الإجتماعى وإن ظل يؤكد على نسبية أهميتها ومصادقتها مع فترة من أخصب فترات تاريخنا . * ويمكن من واقع النتائج السابقة ، تناول الدين وقضايا التنمية الشاملة كليا على مستويين :
مستوى أول : الدين وعملية التغير الإجتماعى فى إدراك عبد الناصر ، وفيه يتم تحليل البيانات الكمية السابقة .

مستوى ثان : ويتم فيه تحديد لمستويات العلاقة بين الاشتراكية والإسلام فى إدراك عبد الناصر حيث أن الاشتراكية أصبحت هى أيديولوجية التنمية فى مصر .
(١) فعلى المستوى الأول : الدين والتغير الإجتماعى فى إدراك عبد الناصر :

يلاحظ تميز النموذج الناصرى فى هذا المجال بعدة خصائص ، يكشفها وجود عدة مراحل فى دخول الدين لمعارك التنمية والتغير الإجتماعى ، كانت على التوالى :

أ - المرحلة الأولى (١٩٥٢م - ١٩٦٠م) :

وهى المرحلة التى تم فيها إستخدام الدين من أجل تحويل الثورة إلى نظام وإلى إكساب الشرعية لتقوم على مفاهيم وقيم التضحية والجهد وتناهى الإستعمار وتقضى على الإرهاب والتعصب وتعمل للوحدة العربية وتحارب الطائفية وتقف أمام الماركسية والإلحاد ، وقد استخدم الدين فى تأييد هذه القيم الثورية ، ومن أجل الارتباط بالجمهير وبعث القيم الأولى للدعوة الإسلامية التى لا تختلف عن القيم السابقة فى شىء إلا فى اختلاف الزمن والإطار والمكان الذى طرحت فيه .

ب - المرحلة الثانية (١٩٦١م - ١٩٦٦م) :

وهى المرحلة التى بلغ فيها إستخدام الدين فى معارك التنمية الذروة سواء فى البناء الإشتراكي بعد قرارات يوليو فى عام ١٩٦١م ، ومعارك الإسلام والإشتراكية ، أو فى مقاومة الحلف الإسلامى والرجعية العربية العاملين على محاصرة القوى الثورية العربية ، وهذا يظهر الدين أسلوباً للدفاع عن النظام الإشتراكي ضد تهمة الكفر والإلحاد وهجوم على الحلف الإسلامى باعتباره صورة أخرى لحلف بغداد الاستعماري القديم .

ج - المرحلة الثالثة (١٩٦٧م - ١٩٧٠م) :

وهى المرحلة التى بدأت بهزيمة عام ١٩٦٧م ، وتم التركيز على قيم مثل الإيمان والصبر والقضاء والقدر ، تحول بها الدين من معركة خارجية إلى انفعالات وعواطف داخلية ، وسادت بعض الإتجاهات المحافظة على الجانب الداخلى من ذات المؤمن والأمل فى نصير يأتى من وراء الحجب وترتب على هذه المراحل عدة تساؤلات حول مدى إدراك عبد الناصر للدين عامة وعن دوره فى التنمية والمجتمع خاصة ؟ وللإجابة على هذه التساؤلات لابد أن نؤكد على معنى العلمانية الذى أراده عبد الناصر حيث هى علمانية اجتماعية ترى للدين دوراً فاعلاً ورئيسياً والتى يمكنها أن تقدم دعماً أيديولوجياً كبيراً لنظام الحكم الناصرى ، إنها فى هذه الحالة تعنى ارتباط العقيدة بالتغيرات الاقتصادية والاجتماعية المتسارعة .

بهذا التوضيح يمكن القول إن إدراك عبد الناصر ومن ثم سلوكه السياسى يقع إلى جانب المفهوم الاجتماعى الثورى للدين (الإسلام تحديداً) .

ولقد انضمت هذه النتيجة فى الإدراك الناصرى حيث كان عبد الناصر يرى أن حرية العقيدة الدينية يجب أن يكون لديها قداستها فى حياتنا الجديدة الحرة ، إن القيم الروحية

المخالدة التابعة من الأديان قادرة على هداية الإنسان وعلى إضاءة حياته بنور الإيمان وعلى منحه طاقات لا حدود لها ، بل إن أساس الثواب والعقاب في الدين هو فرصة متكافئة لكل إنسان ، إن كل بشر يبدأ حياته أمام خالقه الأعظم بصفحة بيضاء يخطط فيها أعماله بإختياره الحر ولا يرضى الدين ببطيئة تورث عقاب الفقر والجهل والمرض لغالبية الناس وتحثكر ثواب الخير لقلّة منهم . الميثاق الوطني - صفحة ١٠٥ .

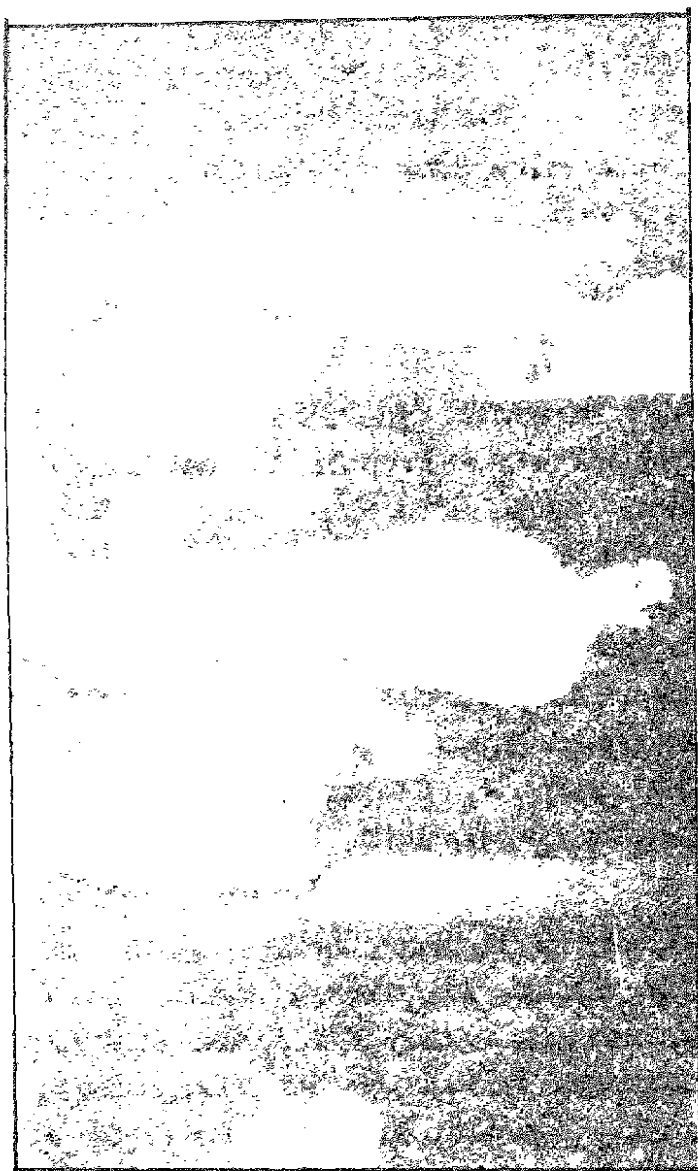
إن الدين لابد من أن يتصل بقضايا الجماهير ، كالملكية العامة ، فموقف عمر من الملكية العامة هو موقف عبد الناصر ، وهو موقف اشتراكيّتنا ، ملكية تكون أرباحها وثمراتها للشعب ، نشرة الاشتراكي بتاريخ ١٩٦٥/٢/٦ م .

وتؤكد وثائق النظام السياسي أيضا إن « الاشتراكيون المخلصون في أعمالهم ، وفي معركتهم ضد المترفين والعابثين الذين يبعثرون المال في غير مصلحة الشعب ، وفي إيمانهم بأن الدولة الاشتراكية مسئولة عن كل فرد في المجتمع ، هؤلاء الاشتراكيون هم أقرب الناس إلى مبادئ الإسلام وهم أقرب الناس إلى الله » تراجع نشرة الاشتراكي ١٩٦٥ م - ١٩٦٦ م .

إن الدين لدى عبد الناصر يصير جزءاً لا يتجزأ من عملية التحول الاجتماعي والثقافي نحو التنمية الشاملة يتأثر بنفس التحديات ويخضع لنفس الشروط المرتبطة بقضية التنمية والتغير وهنا يتم في الفكر الديني وليس في العقيدة أي في عناصرها الإلهية الثابتة وهو التغير الذي يسمح لعبد الناصر أن يميز أعداءه وأن يكشف دعاويهم . فأموال المسلمين بتنبهها الرجعية باسم الدين ، وانهم بهذا يدافعون عن أنفسهم الدفاع الأخير . خطابه بتاريخ ١٩٦٦/٣/٢٢ م .

وحيث التفرقة بين الفكر الديني والعقيدة الدينية تأتي من كون الفكرة الديني من إنتاج البشر ، يحتمل الصواب والاجتهاد ويخضع لمصالح البشر واحتياجاتهم وعلى ذلك جرت عملية إخضاع مستمرة للقيم الدينية ومؤسساتها لتشريعات وسياسات الدولة وعمليات التنمية ، وفي هذا الصدد لعبت العقيدة ورجال الدين دوراً بادرزاً في إضفاء الشرعية على سياسات عبد الناصر وتجاربه التنموية وتزداد أهمية هذا الاعتبار من زاوية كون المجتمع المصري شديد التدين وتحظى العقيدة فيه بين الناس بمكانة عامة ، وهذا الدور ، دور الموصل لسياسات وأفكار القيادة السياسية للجماهير ، ليس جديداً على المؤسسات الدينية في مصر فقد كان الكهنة أيام الفراعنة يقومون بنفس الدور وقام رجال الدين وعلماء الأزهر وشيوخه بنفس الدور أيام الخلافة الإسلامية والحكم المملوكي والعثماني ، وفي ظل السياسات الثورية للنظام

عند تأثير بعض أجناس حمة قبل وفاته بأحد السادات والقبائل وهو:



الناصرى ، وعمليات التنمية الشاملة ، أصبح من المنطقي - كما يرى البعض - بالنسبة لرجال الدين وغيرهم من القوى السياسية الأخرى أن ينصبوا من أنفسهم مدافعين عن النظام الجديد . يودى هذا إلى الحديث عن نقطة أخرى في مجال الربط بين التنمية والدين وهي أنه من متابعة تاريخ التجربة الناصرية يتضح أن الخلاف بين عبد الناصر والقوى الدينية في المجتمع - كما سيتضح فيما بعد - كان خلافاً سياسياً ، فمن الصحيح أن ، الإخوان - مثلاً - كانوا أو المتحمسين لنجاح الثورة وقالوا عندما قام أنها حققت أهدافهم ، وأصدروا بياناً بعد أسبوع من قيام الثورة طالبوا فيه بأن يمتد التطهير ليشمل التخلص ليس فقط من الملك وإنما أيضاً إلغاء كافة القوانين الرجعية المنافية للحريات والقضاء على التفاوت الاجتماعي بالحد من الملكيات الكبيرة وإستكمال التشريعات العمالية وإباحة تكوين الاتحادات النقابية والمطالبة بتمصير البنك الأهلي .

وطالبوا في نفس الوقت بأن يكون الحد الأعلى للملكية ٥٠٠ فدان بدلاً من إطلاقها بلا تحديد ، ورغم إن هذا خلق تعاطفاً من الثورة تجاههم ، فإن البون كان كبيراً بين الإتجاه الاجتماعي العام لعبد الناصر وإتجاه الإخوان ، ولم يؤثر هذا التباين على تعاون عبد الناصر معهم ولكنه عندما تأكد له حقيقة تطلعهم إلى السلطة ، وبداية الصدام معهم حاول إستبدال العناصر غير المعتلدة منهم بأخرى بسهل التأثير عليها وتكون غير مرتبطة بتنظيم الإخوان ، ففي بداية الثورة ، تحديداً في السنوات الأولى ، إستخدمت القيادة السياسية أسلوباً خاصاً في الحكم ... كما يقول البعض حيث كانت القيادة السياسية تقوى على سلطتها ، وتضرب في كل إتجاه تبعاً للظروف ، فكانت تضرب البرجوازية الكبيرة وفي نفس الوقت تحاول دعمها ، بضرب الشيوعيين وتقدم خدمات للطبقة العاملة ، وتحاكم الإخوان ، المسلمين وتنمى في نفس الوقت الإتجاهات المحافظة ، بيد أن هذا الرأى يجافى الواقع في تفاصيل عديدة لها ملامستها السياسية الخاصة كما سيتضح فيما بعد .

وفي بداية فترة الستينات - أيضاً - وعند الإعداد للميثاق والقرارات الإشتراكية التي صدرت عام ١٩٦٤م - في هذا المناخ الثوري والإشتراكي إختفى وجود اليسان والإخوان على السواء ، فالإخوان كانوا في المعتقلات ، ولم يكن في اللجنة التحضيرية للمؤتمر الوطني للقوى الشعبية أى من الشيوعيين. وعين عبد الناصر كلا من أنور السادات وكمال الدين حسين أمينين عامين للمؤتمر الوطني ، وكان الثاني فيما بعد مشرفاً على لجنة المائة التي وضعت تقرير الميثاق ، ولكن المؤتمر ضم الكثير من الشخصيات المحافظة .. والتي حرصت على طرح أفكارها وتصوراتها الدينية الخاصة رغم عدم مواءمة المناخ السياسي العام لذلك .

ولقد كان السادات وكمال الدين حسين من ضباط الثورة الذين كانوا على صلة بالإخوان المسلمين وكان الثاني مترمماً في أفكاره الدينية ، وظهر ذلك في تقرير الميثاق الذي عكس وجهة نظر محافظة ، ويرجع البعض بسبب إعتقاد عبد الناصر على القوى الدينية المحافظة من غير الإخوان في الفترة التي يقود فيها عمليات تحول اشتراكي إلى اعتبارات متعددة يأتي في مقدمتها أن عبد الناصر لم ، يكن يضع اعتباراً للاختلافات في النظرة إلى التحول الإجتماعي إلا عندما يتحول أصحابها المناوئين له من موقع الفكر إلى موقع العمل وعندما يخفى خطر الاتجاه إلى العمل السياسي ولا يظهر على السطح إلا الخلاف الفكري فإنه في ، هذه الحالة ينحاز إلى صف الاعتدال والقوى المحافظة .

لقد حاول عبد الناصر أن يدرك قيمة الرجوع والعودة إلى الدين ، لخلق الطريق الصحيح للتنمية الذي يتعد عن الإحتراف حيث :

القرآن أيضاً كان يعطينا عظة وعبرة يعود إلى الماضي ويحكي لنا قصة عاد ثمود ، والطغيان ، حصل ليه ؟ علشان نأخذ من هذه القصص عظة وعبرة ونشوف إيه اللي حل بالي إنغرفوا ، وإيه اللي حل بالي خرجوا عن الطريق إلى كان يجب عليهم أن يتبعوه ، فالإشفاق يسترشد ويستهدى بهذه الطريقة . خطابه بتاريخ ١٩٦٢/٥/٢٦ م .

٢ - المستوى الثاني : الاشتراكية والإسلام في إدراك عبد الناصر :

للعلاقة بين الاشتراكية والإسلام في الإدراك الناصري مستوياتها ، فهناك مستوى الإدراك للعلاقة ، وهناك مستوى التطبيق في مواجهة ما أسماه عبد الناصر بالرجعية العربية ، وأحلافها وعملياتها في الداخل فلقد دارت المعركة الحقيقية بين الدين والاشتراكية بوجه عام ، والإسلام والاشتراكية بوجه خاص بعد قرارات يوليو الاشتراكية عام ١٩٦١ م ، والتي ولدت هجوماً من الخارج عليها تحت غطاءات سياسية ودعائية مختلفة كان في مقدمتها الدين والإسلام ، فكان استخدام القيادات السياسية لرؤيتها وإدراكها المسبق وطرح عبد الناصر تصوره القائم على إن الإسلام هو أول دين اشتراكي وتوالى تفسيره لهذا التصور - وتوالى أيضاً النشرات والوثائق الرسمية تأكيداً لهذا المعنى بالاشتراكيون هم أقرب الناس إلى مبادئ الإسلام وهم أقرب الناس إلى الله بل إن موقفنا الاشتراكي الحالي يستمد أصوله وروحه من الإسلام وعبد الناصر يرى أن : « الإسلام في أول أيامه كان دين اشتراكية ، الدولة التي أقامها الإسلام والتي أقامها محمد عليه السلام كانت أول دولة اشتراكية ، محمد النبي أول من طبق سياسة التأمين في هذه الأيام » .

ويقصر عبد الناصر التأميم الإسلامى حين يقول :

فيه حديث عن النبى عليه الصلاة والسلام قال فيه إن الناس شركاء فى ثلاث الماء والكلأ والنار ، فيه ناس قالوا أيضاً الملح ، معنى هذا فى تلك الأيام كانت المقومات الأساسية للمجتمع هى المراعى . لإنهم رعاة يرعوا ويعوزوا الماء والكلأ هذه الأشياء كانت حاجة هامة فى المجتمع . النبى قال إن الناس يجب أن يكونوا شركاء فى هذا ما يجيش واحد يستولى على المراعى ويقول هذه ملكى ، هل التأميم يختلف عن هذا فى أى شئ ؟ حين نقارن أنفسنا بهذا الوقت ، الأول كان يعيش على المراعى ، يعيش على الماء ، ويعيش على الكلأ والنار كانت مهمة له ، اليوم المصانع هيه بتمثل الأرض الزراعية وتمثل المقومات الأساسية فى المجتمع . خطابه بتاريخ ١٩٦١/٦/٢٢ م .

وأدرك عبد الناصر إن الدولة الإسلامية لم تتوقف اشتراكيته بعد وفاة الرسول :

الدولة الإسلامية حينما قامت كانت هى أول دولة إشتراكية والإسلام سار بعد النبى عليه الصلاة والسلام فى طريق الاشتراكية ، أيام أبو بكر وأيام عمر سار فى طريق الإشتراكية وفى أيام النبى وفى هذه الأيام إنصفوا أهل الفقر من أهل الغنى ، فى أيام عمر أمموا الأرض ووزعوا الأرض على الفلاحين (خطابه السابق) .

كما يتجه عبد الناصر إلى مهاجمة الرجعية ، وهو ما يجسد المستوى الثانى للعلاقة بين الدين والاشتراكية فى إدراكه حيث يقول :

الاشتراكية تقول إن أموال المسلمين للمسلمين والرجعية تقول إن أموال المسلمين للملوك المسلمين ، والدين يقول أن أموال المسلمين للشعب مثل للملوك ، وإن الاشتراكية تمشى مع الدين ، والنهاده طبعاً الإسلام عقيدة يؤمن بها الشعب المليم العربى ، لابد للرجعية أن تستر بالإسلام وتسمح بالإسلام زى الإخوان المسلمين عملاء الإستعمار ما تستروا وتمسحوا بالإسلام وقبضوا فلوس حلف بغداد ، وقبضوا فلوس من السعودية وباعوا أنفسهم لكل من يدفع الثمن ، النهادة الرجعية تستر بالإسلام ، وبتمسح بالإسلام وتعتقد أنها وجدت خط دفاع كبير جداً ، ولكن العالم العربى ، عالم واعى والشعب العربى ثائر ، ولن يمكن للرجعية أن تخدعه مهما تمسحت فى الدين ، لأن الناس بتفهم الدعوة من الى يطلق هذه الدعوة ، فإذا كانت الرجعية تطلق الدعوة تحت اسم الدين ، فللك واحد يعرف إن الرجعية هى الى بتهب فلوس الناس ، هى الى بتستغل عمل الناس ، هى الى بتستبد العمال ، هى الى تاركة الشعوب مستغلة ومحرومة من حقها فى الحياة ، وحقها فى الكرامة ، لم تكن الرجعية أبداً

شريعة الله ولكن شريعة الله كانت دائماً هي شريعة العدل . خطابه بتاريخ ٢١/٣/١٩٦٦ م .
والإشتراكية عند عبد الناصر في علاقتها بالدين تنتقل إلى مرحلة أخرى حين يستشهد
هنا بخبرة أبي بكر الصديق في مواجهة المرتدين :

فلقد حارب أبو بكر مانعي الزكاة ، وهي حروب الردة في الإسلام فالردة عن الزكاة
ردة عن الإسلام ، رده عن النظام الإسلامى كله وعن الدعوة الإسلامية كلها ، وهذا نموذج
للثورة الإجتماعية ، لا بد أن تسير في طريقها ويتم تأمينها حتى تنتصر وحتى تزيل الفوارق
بين الطبقات حتى تقام العدالة الإجتماعية وحتى تقام الفرص المتكافئة بين الطبقات ، لقد
إنتصر النبی أولاً ورجع إلى مكة منتصراً وحدث خلاف في ذلك الوقت حول العفو عن
الذين ناهضوا الدعوة وقاوموها ووقفوا ضدها أم لا ؟ فقال الرسول : « إذهبوا فأنتم الطلقاء »
وقال أيضاً : « من دخل بيت أبى سفيان فهو آمن وكان هذا سبيل الثورة في بدايتها ، وهو
سبيل الرسول عندما رجع من إحدى المعارك التي أصيب فيها (معركة أحد) ... وقال :
« اللهم أغفر لقومى فإنهم لا يعلمون » ولكنه قال أيضاً : « إن المنافقين يقتلون ولو كانوا
مستعقلين بأستار الكعبة » فلكل دعوة مؤيدون ومعارضون والمعارضون يتم العفو عنهم إذا
ما تحولوا إلى الإسلام كما فعل عمر بن الخطاب عندما تحول من العداوة إلى التأيد أو قتالهم
كقتال أبى بكر لمانعى الزكاة .

وهنا حاول عبد الناصر الإرتكان إلى التراث الإسلامى في مجال الحرب ، من أجل تأييد
العنف الثورى فيما يتعلق بحقوق الفقراء من أموال الأغنياء مستنداً بحروب الردة وقاتل مانعى
الزكاة .

وهكذا تصبح الحرب من أجل حقوق الفقراء أداة للتوكيد على تلك العلاقة ،علاقة
الإسلام بالإشتراكية لقد أدرك عبد الناصر طبيعة العلاقة بين الدين والإشتراكية بين الدين
والتنمية ، وهو الإدراك الذى ، وجد منذ البداية مع قيام الثورة ولكنه اكتسب فاعليته
ومصدقيته مع بدء عمليات التحول الإجتماعى في مصر مع بداية الستينات .

هذان هما أبرز جوانب العلاقة المفترضة بين (الدين) و (الدولة) على مستوى الإدراك
الناصرى (إدراك عبد الناصر تحديداً) ، وهما محوران تتصور إن ضرورة أخذهما في الحسبان
عند بناء التصور الناصرى المستقبلى في مجال علاقته بالإسلام على مستوياتها المختلفة نات
مهمة ، فأهمية أن يكون الدين منطلقاً للعبئة السياسية والتحريك السياسى م نأجل بناء الدولة
الناصرية المرجوة (والتي هي حتماً ستختلف عن دولة عبد الناصر) ، أهمية قصوى ودولة

معاصرة تفترض أن عليها رسالة نحو أمتها ونحو العالم مع نهاية القرن العشرين ، دون عملية تعبئة وتحريك سياسى للجماهير والمجتمع ، هي دولة عاجزة ومحكوم عليها بالنهاية والزوال كذلك فالدولة الناصرية القادمة - إن شاء الله - هي دولة تبغى عملية شاملة للتنمية الإجتماعية ، والإستناد إلى مخزون روحى آخر غير مخزون الإسلام لدى القوى المحركة لهذه التنمية ، سوف يصير إستناداً عاجزاً ومؤقتاً ، ومحكوماً عليه بالتراجع عند أول منحنى .

* إن الناصرية كما فهمها عبد الناصر - وكما يفهمها كاتب هذه السطور - ستظل (اجتهد فى إطار الإسلام) ، وهى بهذا المعنى بحاجة إلى التفتيش المستمر بين ثنائيا التراث الناصرى ، وبعثه بروح جديدة تتفق ومتغيرات الحياة والكون من حولنا دون تقديس مبالغ فيه لهذا التراث ، أو إختزال مغل له .

ولا نبالغ إذا قلنا أن الإسلام - أيضاً - سواء كعقيدة أو كممارسة بحاجة إلى هذه (الناصرية الإسلامية الجديدة) بقدر حاجتها هى إليه ، خاصة بالنسبة لمجتمع فى مثل ظروف

وهوم يجتمعنا العربى ، فالناصرية / التجربة ، والناصرية / التراث تقدم نفسها (كبرنامج سياسى أمثل) للإسلام المهدى ، وهو برنامج سياسى يحاول أن يرتقى إلى مستوى النظرية المتماسكة . ويكاد أن يكون الوحيد فى منطقتنا وتاريخنا الحديث فى نطاق التنمية والتعبئة السياسية ومقاومة الوجود الأجنبى والدعوة إلى التحرر الفكرى والسياسى ، تعديداً منذ تجربة محمد على باشا (١٨٠٥) وحتى اليوم ، (قطعاً من المهم هنا الإشارة إلى النموذج الإسلامى الفذ الذى تقدمه إيران . ولكن الأمر مختلف فى نواحي عديدة ولهذا حديث آخر .

* إذن ..

بقدر حاجة (الناصرية) إلى (الإسلام) ، بقدر حاجة الأخير إليها ، شريطة أن تتخلل هى عما يناقضها مع الإسلام .

* (إن (الناصرية الإسلامية) التى ندعو إليها تتطلب هى الأخرى من أجل الوصول إليها أن تتحرر عقلياً من قيود عديدة تكبل حركة العقل العربى والإسلامى وتحول بينه وبين النهوض الحقيقى ، وتجيده على إعادة إنتاج قضايا حسمت منذ مائتى عام مضت .

ثانيا : عبد الناصر والأزهر والمحاكم الشرعية والمجالس المليية القبطية :

(١) عبد الناصر والأزهر :

لعب الأزهر الشريف دوراً سياسياً بارزاً في التاريخ المصري بالإضافة إلى رسالته الفكرية والحضارية . و مر هذا الدور بمرحلتين أولهما : قبل عصر محمد علي ، حين كان الأزهر تستع بدركة كبيرة من الإستقلال على السلطة السياسية ، وكان له نظامه الدراسي الخاص الذي تقرره هيئة علمائه وشيخه الذي يختار بمعرفة هذه الهيئة ومصادر تمويل نشاطه العلمي المستقلة التي تستمد من الأوقاف التي أوقفها السلاطين وبعض الأثرياء عليه وحدودا في حجج وقفا كيفية التصرف في ريعها وتولى العلماء إدارتها دون تدخل من جانب الحكام .

وثانيهما : تبدأ مع قدوم الحملة الفرنسية وتتضح أكثر مع تولي محمد علي للحكم من خلال تعضيد رجال الأزهر له بعد بروز قوتهم السياسية وإجبارهم للسلطان العثماني على تحقيق مطالبهم بتولية محمد علي ، ولكن الأخير لا يلبث أن ينتزع الدور السياسي لهذه المؤسسة من خلال تأكيد تبعيتها للدولة ماليا ، بنزع إشراف العلماء على أوقافه ، وبالتدخل في إختيار شيخ الأزهر عن طريق التأثير على هيئة العلماء التي تتولى إنتخابه وخاصة إن ممارسة الشيخ لصلحياته تحتاج إلى تصديق الدولة على إختياره ، ثم أصبحت الدولة هي التي تتولى تعيين شيخ الأزهر من بين العلماء الذين تثق في ولائهم لمن يجلس في سدة الحكم ، وبذلك فقد الأزهر إستقلالته وتم تحجيم دوره التقليدي ، وكان لإنشاء النظام التعليمي الحديث في عصرى محمد علي وإسماعيل أثره الداعم لهذه الإتجاه ، ومع الجهار البيروقراطى الحديث أصبح ا لمجال متسعاً أمام خريجي النظام التعليمى المدنى الحديث لاحتلال مراكز البيروقراطية المصرية ، بينما ضاقت فرص الأزهرين في نيل نصيب منها .

على الرغم من هذا كان للأزهر دور سياسى واضح فى الفترات التاريخية التى عاصرت التحدى الإسلامى للنموذج الغربى ، فكانت تحركات جمال الدين الأفغانى ومحمد عبده ذات إطار سياسى يركز على الأزهر ، وكان الأزهر إبان الثورة العرابية واضحاً فى تأييد رعمائها ، بل وخرج رجالها وفى مقدمتهم عرابى من الأزهر وكان والده ولمدة عشرين عاماً أحد علماء الأزهر وإحتضن الأزهر ثورة ١٩١٩م وخرج الأزهريون بطالبون بالإستقلال وبالوحدة الوطنية وكان فى مقدمتهم : مصطفى القاياتى ومحمود أبو العيون وعبد ربه متناح ومحمد عبد اللطيف دراز وعلى سرور الزنكلونى وتعددت مواقف الأزهر الوطنية وخاصة فى أحداث الكفاح الوطنى ضد الأجنبى ، ويصل البعض من استعراض المواقف السياسية

للأزهر إلى القول بأنه عندما تكون المواجهة مع الأجنبي فإن رجال الأزهر ينضمون إلى قوى الثورة الوطنية ، ولكنهم يخرجون عندما تكون المواجهة مع الحاكم بهدف الثورة والتغيير الإجتماعى .

ويذهب أصحاب هذه النظرة إلى أنه للإعتبارات الخاصة بالتمويل وسطوة السلطة السياسية وفى مواجهة الأزهر فإن الدور السياسى يبرز عندما تكون المواجهة مع أجنبى يتفق عليه الجميع بما فيهم السلطة السياسية ، ويغيب هذا الدور عندما تكون المواجهة نحو الداخل ، أى السلطة السياسية .

وفى الفترة السابقة مباشرة لقيام ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢م أسهم الأزهر بأشكال متعددة فى دعم النظام السياسى من خلال إضفاء سمة الشرعية عليه ، تبنى هذا من ناحية فى استمرار المساندة والتأييد فور تولى المنصب الجديد لشيخ الأزهر ، وذهابه إلى سراء عابدين لتقديم الولاء والشكر قبل الذهاب لتسلم مهام المنصب .

ومن ناحية أخرى فى أحداث التعديل البنائى داخل الأزهر نفسه حيث تم تعديل المادتين ١٢٢ و ١٣٤ الخاصتين بانتخاب كبار العلماء بالأزهر من المرسوم بقانون رقم ٢٦ لسنة ١٩٣٦م وأحياناً تأتى ناحية ثالثة تتمثل فى مباداة النظام السياسى للإحتفال مع الأزهر ببعض مناسباته التاريخية مثل الإحتفال بالعيد الألفى للأزهر ، أو فى تحقيق بعض مطالبه الملحة كبناء دار للطباعة وإنشاء إدارة للدعاية الإسلامية ، أو وضع نظام جديد للمكتبة الأزهرية ولكن هذا لم يمنع من تمرد داخلى يحدث داخل هذه المؤسسة التاريخية ، يتواكب فى فاعليته مع حركة الشارع السياسى المصرى وقتئذ (نقصد هنا الفترة من ١٩٤٥م حتى قيام الثورة) والحركة الوطنية يومئذ ، حيث يخرج الأزهريون فى مظاهرة احتجاج لتحقيق مطالبهم الوظيفية وكرامة الأزهر المهنية أدت إلى إقالة الشيخ عبد المجيد سليم الذى تضامن معهم ، والذى أدلى بحديث أعلن فيه أن الحرب ضد الأزهريين معناها حرب ضد الإسلام ولكن حتى هذه الإنتفاضات ذات البعد المهنى ، لم تسلم من أن يتخللها تأييد ضمنى « لجلالة الملك » وؤن تعالى الهنافات لتدوى بحياته وهو الأمر الذى يفسر عودة الشيخ عبد المجيد سليم بعد إحالته للتقاعد بحالى خمس أشهر واحتفائه بذلك بذهابه إلى قصر عابدين ليقدم شكره للملك راجع الأهرام فى ١٠/٢/١٩٥٢م .

وفى هذا السياق ، سوف يتم تناول مرحلة الإعداد لتنظيم فردود الفعل له ، وتقييمه .



كان عبد الناصر يحرص على زيارة الشيخ شلتوت في بيته .

١ - الأزهر بعد الثورة : مرحلة الإعداد لإعادة التنظيم :

دخل الأزهر دائرة الإهتمام السياسى للنظام الجديد منذ الأيام الأولى له ، فوجد الأزهر يطالب بإسترداد ثمن الهدايا التى أعطيت للملك السابق ، ونلمح تغييرات مباشرة فى مشيخته ، فيقال الشيخ عبد المجيد سليم ، ويعلن الشيخ الجديد عن تغيير وبرنامج شامل لإصلاح الأزهر ويبد دور الأزهر السياسى مع النظام الجديد ، فتتغير القيادات أكثر من مرة ، ويتولى عبد الرحمن تاج مشيخة الأزهر خلفاً للخضر حسين ، ويقال عبد اللطيف دراز ويتولى صالح موسى شرف سكرتير الأزهر بدلاً منه ، ويواكب تغيير القيادات ، تغير آخر مقابل فى الاتجاهات والأدوار التى تناط بالأزهر وعليه يلاحظ أنه فى عنف الأزمة التى يواجهها النظام السياسى ، وصراع السلطة بين محمد نجيب وعبد الناصر يصدر شيخ الأزهر فتوى تقول بأن « الزعيم الذى يتعون ضد بلاده ويخذل مواطنيه فإن الشريعة تقرر تجريدته من شرف الوطن » وعليه تتجه السلطة الجديدة بالمقابل إلى إعلان إنشاء معاهد دينية جديدة للأزهر وإلغاء قيود ووظائف الوعاظ والمراقبين والمدرسين وزيادة سيطرة الأزهر .

ويتطور دور الأزهر ليتواكب مع الأحداث السياسية الهامة التى تعيشها مصر ، ليعلن تأييده لإتفاق الجلاء وللرئيس عبد الناصر ، ويؤكد « إن صلاية وحدتنا على النضال والتضحية أخضعت المستعمر » ويتجادل دور ، الأزهر مع الأحداث السياسية داخل مصر ليعلن فى ١٥/٢/١٩٥٦م ، أول تعديل فعلى لقانون الأزهر بعد الثورة ، وهو الخاص بتعديل المواد ٧٥ ، ٧٦ ، ١٠٤ من القانون الخاص بإعادة تنظيم الجامع الأزهر والتى تقضى بالتيسير على طلاب امتحانات النقل فى الأقسام الابتدائية والثانوية الخاصة بنشر الدعوة الإسلامية فى دول العام ، وواكب هذا التعديل تعيين الشيخ محمود شلتوت وكيلاً للأزهر ثم شيخاً له ، وتعيين كمال الدين رفعت وزيراً لشئون الأزهر والمعاهد الدينية . وكان هذا قمة التشابك بين دور الأزهر السياسى ورغبة النظام السياسى فى الإشراف عليه .

وعلى المستوى الفكرى هيات ساحة العمل السياسى والفكر لإستقبال قانون إعادة تنظيم الأزهر بسلسلة من المقالات حول الأزهر ، بدأها الشيخ أحمد الشرباصى بمقال شامل فى الأهرام ١٩٥٨/١١/٣م يطالب فيه بضرورة إحداث ثورة فى الأزهر وما حول الأزهر ، ويرد عليه الشيخ عبد الحكيم سرور بأن هناك فعلاً ثورة داخل الأزهر ، وبأن الأمر كبير فى رجال النهضة الحديثة فى جمهوريتنا العربية فى ألا يتخلف أساتذة الأزهر وموظفوه عن أقرانهم فى أية وزارة أو مصلحة . ثم دعوة صريحة بضرورة الإلتفات إلى وضع المرأة

فى الأزهر وإلى موقف الأزهر ورجاله وقوانينه منه ، وضرورة تغييرها جميعاً ، حتى نسمع أنهم لم يعودوا يرون فى « دخولنا الأزهر طالبات أو محاضرات أو مدرسات ، إلا أحياء لمننة كريمة وتقاليده راسخة والقول للدكتورة بنت الشاطىء فى الأهرام ١١/١٧/١٩٥٩ م . ويعلم بالأزهر بعد ذلك عن أن الأزهر سوف يدخل ميدان الفن . ويعلن أيضاً بأنه سيقدم ٧٠ فناً أزهرياً عروضهم النية فى متحف الفن . ويعلن أيضاً انتساب أول طالبة أمريكية مسلمة إلى الأزهر ثم تبدأ نعمة التغيير فى الظهور تدريجياً ، والإقتراحات تتزايد من قبل لجنة الشئون الدينية للأزهر ، وهى لجنة متفرعة من اللجنة الفنية الدائمة للمقترحات فى الإتحاد القومى ويرأسها كمال الدين رفعت ثم يعلن قبل قانون إعادة التنظيم بأيام قليلة عن فتح الأزهر أبوابه لقبول الفتاة وتعيين المدرسات فى هيئة تدريس الفتيات وتخصص فصول خاصة بهم ثم تنظم دراسات لرجال السلك السياسى وحملة المؤهلات العالية . وكانت جميعها تغييرات مهدت لإعلان النظام السياسى لقراره فى يونيو ١٩٦١م بالقانون الجديد لإعادة تنظيم الأزهر .

٢ - قانون إعادة تنظيم الأزهر رقم ١٠٣ :

فى ٢٢ يونيو ١٩٦١م أرسل الرئيس جمال عبد الناصر إلى رئيس مجلس الأمة خطاباً كان نصه « أرسل إليكم صورة من مشروع القانون الخاص بإعادة تنظيم الأزهر والهيئات التى يشملها لعرضه على مجلس الأمة لنظره على وجه الإستعجال » .

وبالإضافة إلى المقدمات السياسية والفكرية التى سبقت إرسال هذه الرسالة وتحرير القانون فى نفس الجلسة يلاحظ أنه فى هذا التوقيت كانت مصر تستعد لإستقبال مرحلة هامة فى تاريخها ، حيث س ٢٨ سبتمبر من ذات العام حدث الانفصال بين سوريا ومصر ، وفى يوليو من نفس العام أصدرت الثورة قوانينها الإشتراكية ، وبعد أقل من عام صدر الميثاق الوطنى فى مايو ١٩٦٢م ، أى أن المناخ السياسى العام كان يدفع البلاد دفْعاً إلى مزيد من الخطوات الثورية ، وفى إتجاهات متعددة ، بهدف تطوير المؤسسات القديمة واصة المؤيآت الدينية ، وخاصة والخصم التقليدي للنظام السياسى على المساحة الدينية لم يكن موجوداً يومها ، وهو الإخوان المسلمون ، وعليه أتى الأزهر فى مقدمة هذه المؤسسات .

وحول الشكل العام للجلسة التى نوقش فيها مشروع القانون يقول الأستاذ / فتحى رضوان فى مقابلة شخصية معه « لإجبار المجلس على الموافقة حضر رجال الثورة وجلسوا أمامنا على المنصة ، وتحديداً كان على المنصة أنور السادات وكمال الدين حسين وكمال

الدين رفعت وعلى يساره إثنين من رجال الأزهر هم محمد البهى ونور الحسن » ويقول أيضاً وهدد أنور السادات المجلس عندما علت أصوات تعارض المشروع قائلاً : كانت فى ٢٣ يوليو ١٩٥٢م ثورة والذين حاولوا الوقوف أمامها ديسوا بالأقدام ، واليوم ثورة جديدة وسيصاب الذين يقفون أمامها بنفس المصير .

ويلاحظ أنه قد تغيب عن هذه الجلسة ١٧٩ عضواً أى حوالى ٤٩٪ من أعضاء المجلس وتوزعوا على النحو التالى : ٤٢ عضواً غائبين بأجازة ، ٨٩ عضواً معتذرون ، ٤٨ عضواً غائبون بغير أجازة وهو الأمر الذى يعطى دلالة أخرى حول وجود معارضة من بين أعضاء المجلس لهذا المشروع ، ومن حيث المبدأ ، لم يوجد بين الأعضاء الذين حضروا الجلسة من اعترض وفقاً للوثائق الرسمية سوى النائب / صلاح سعده ، وتقول الرواية الرسمية أن الخلاف بين الأعضاء كان حول كيفية الموافقة على المشروع : هل تكون بقراءة أرقام المواد أم نصها . وإن رئيس المجلس بالنيابة الذى كان وقتها محم فؤاد جلال وكيل المجلس أمر بتشكيل لجنة خاصة لتقديم تقريرها حول هذا المشروع تمهيداً لإصداره ، نظراً لعدم وجود لجنة مختصة بشئون الأزهر والمعاهد الدينية ولقد قدمت اللجنة تقريراً لم يختلف فى شيء عن النص الأصيل للمشروع .

أما من حيث مضمون القانون فقد حدد الهدف من التطوير بأنه إلغاء مواد وأحكام القانون رقم ٢٦ لسنة ١٩٣٦م الخاصة بإعادة تنظيم الجامع الأزهر والقوانين المكملة له والخاصة بإعطاء درجة من الإستقلالية لهذه المؤسسة الدينية ، ثم بلى الإلغاء إستبدالها بأحكام جديدة تعطى للدولة سيطرة أكبر على هذه المؤسسة (مادة ١) ، وقد تمثل مضمون التطوير تعريف الأزهر بأنه الهيئة العلمية الإسلامية الكبرى التى تقوم على حفظ التراث العلمى والفكرى للأمة العربية وإطهار أثر العرب فى تطوير الإنسانية وتقديمها (مادة ٢) وأدخل التطوير أشكالاً وتنظيمات جديدة على الأزهر كان أهمها :

- المجلس الأعلى للأزهر .
- المجمع العلمى للدراسات الإسلامية .
- جامعة الأزهر .
- إدارة الثقافة والبعوث الإسلامية .
- المعاهد الأزهرية . (مادة ٨) .

وفصل القانون مهام هذه الهيئات مؤكداً على طريقة إدارتها واختيار أعضائها وقياداتها ، وربطها بعملية التنمية والتغير الإجتماعى التى يعيشها المجتمع المصرى (المواد من ٩ - ١٠١)

شاملة الباب الثاني حتى الباب السادس) ، وكان لهذا التطوير دلالاته السياسية الهامة من حيث تأكيده لسيطرة الدولة على الأزهر وتبديد سيطرة الحكومة في العديد من النواحي :

(أ) يعين لتصريف شئون الأزهر وزير بقرار من رئيس الجمهورية (مادة ٣) ، ولهذا الوزير الحق في أن يطلب إلى المجلس الأعلى للأزهر أو الإدارات أو الهيئات أو اللجان الفنية المختلفة التابعة له بحث موضوعات معينة لإبداء الرأي فيها أو اتخاذ قرار بشأنها كما أن له كل السلطات المخولة للوزراء فيما يتعلق بشئون الأزهر وهيئاته المختلفة (مادة ٣) .

(ب) قصر دور شيخ الأزهر على الشئون الدينية والمشتغلين بالقرآن وعلوم الإسلام وله الرياسة والتوجيه في كل ما يتصل بالدراسات الإسلامية في الأزهر وهيئاته ، ويرأس المجلس الأعلى للأزهر (مادة ٤) .

(ج) أعطى القانون رئيس الجمهورية حق تعيين شيخ الأزهر : سواء من بين هيئة المجمع العلمي للدراسات الإسلامية أو ممن تتوافر فيهم الصفات المشروطة لأعضاء هذه الهيئة ، وإن كان من قبل تعيينه ليس عضواً في تلك الهيئة ، صار بمقتضى هذا التعيين عضو فيها (مادة ٥) .

(د) أعطى القانون أيضاً لرئيس الجمهورية الحق في إختيار وكيل للأزهر من بين هيئة المجمع العلمي للدراسات الإسلامية أو ممن تتوافر فيهم الصفات المشروطة لأعضاء هذه الهيئة وإن كان قبل تعيينه ليس عضواً في هيئة المجمع صار بمقتضى هذا التعيين عضواً فيها ، والوكيل يعاون شيخ الأزهر ، ويقوم مقامه حين غيابه (مادة ٧) .

٣ - التقرير الرسمي للقانون :

إستند النظام السياسى إلى مجموعة من الأسباب التى ساقها كتبرير لعملية التطوير ، وضمنها فى المذكرة الإيضاحية التى أعقبت القانون التى قدمها وزير الدولة كمال الدين رفعت والتى أشارت إلى أن الأزهر كان ذات اتجاه محافظ فى علومه ومواقفه ، وإن هذا الاتجاه أثنى نتيجة الموقف الدفاعى الذى التزمه خلال قرون من المواجهة مع محاولات العدوان الخارجية والداخلية ، وكما ترى المذكرة الإيضاحية فإن هذا الاتجاه قد استمر رغم زوال الأسباب التى دعت إليه ومظهر ذلك من وجهة نظر المذكرة إن خريجييه لم يزالوا حتى هذه الأيام فيما يريدون لأنفسهم أو فيما يصفهم غيرهم ، رجال دين لا يكادون يتصلون لعلوم الدنيا اتصال النفع والإنتفاع « وترى المذكرة » إن الإسلام فى حقيقته الأصلية

لا يفرق بين علم الدين وعلم الدنيا لأنه دين اجتماعي ينظم سلوك الناس في الحياة ليجيوا حياتهم في حب الله عاملين مؤثرين في المجتمع في ظل الله . وإن الإسلام يفرض على كل مسلم أن يأخذ بنصيبه من الدين والدنيا ، فكل مسلم يجب أن يكون رجل دين ورجل دنيا

وتؤكد المذكرة على هذا الانفصال الواضح بين علوم الدين وعلوم الدنيا داخل الأزهر والذي تزامن مع التطور المعاصر العلمي والسياسي الذي يعيشه العالم الإسلامي « فالعلم الإسلامي اليوم قد أوسع مده واتسع نطاقه وأطل على آفاق فكر جديد ، في كثير من البلاد التي تخلصت حديثاً من ربة الإستعمار ، رغبة في التخطيط للبناء والعمل والإنتاج في مجالات الصناعة والتجارة ، والتعدين والتعليم والصحة وغيرها من أسباب النهوض. وهذه البلدان والتي تقع مصر في مقدمتها حين تلتقي الخيرة من كل نوع من أنواع هذا النشاط لا تكاد تجد إلا الأجانب عن بيئتها ودينها من المواطنين أو غير المواطنين وحين تلتمس من المواطنين خبراء يملكون الخبرة معارف دينية صحيحة وعقيدة واعية لا تكاد تعرف أن توفدهم ليتعلموا ويستفيدوا الخبرة والمعرفة والعقيدة .

وترى المذكرة إن هذه العناصر الثلاث الخبرة ، والمعرفة ، والعقيدة هي أهم ما تحتاجه ، مصر وباقي البلاد الإسلامية وفي هذا الإطار يأتي الأزهر ، والذي كان من المفترض أن يجمع العناصر السابقة داخلة ، ولكنه اكتفى بجانب العقيدة دون غيره وفقد خريجه كل العناصر التي تؤهلهم لحمل أعباء النهضة داخل مصر وبلدان العالم الإسلامي . وترتب على هذا الموقف الذي يعيشه الأزهر كما تشير المذكرة التفسيرية للقانون ، أن تحول بعثات بعض البلاد الإسلامية إلى الجامعات المدنية في مصر ، أو في غيرها من البلاد إلى بعثات علمية فقط وعاد المبعوثون إلى بلادهم وهم يملكون الخبرة ولا يكادون يعرفون الدين وفي نفس الوقت عاد المبعوثون منهم إلى الأزهر وقد حصلوا من علوم الدين وعلوم القرآن حظاً كبيراً ، لكنهم لا يحسنون عملاً ولا يطبقون إنتاجاً ولا يقدر على المشاركة في لون من ألوان النهضة التي أشارت إليها المذكرة من قبل ، « وبهؤلاء وأولئك تعقدت الحياة الاجتماعية في كثير من بلاد العالم الإسلامي وتشرت النهضة في تلك البلاد » وكانت النتيجة المنطقية لذلك أن تنعكس هذه الأسباب على هبة خريجي الأزهر وعلى عملهم ، فقللت من هيتهم وعطلت طاقات رجل الدين المتصلة بالحياة ، « وزين الشك في قلوب الناس تجاه صورة رجال الأزهر ونقصت هيتهم » . وبناء على هذه الأسباب مجتمعة كان لابد من التطوير وكان لابد من تجديد الأزهر والاعتراف بمكانته وأثره مع الإحتفاظ له بظابعه وخصائصه وصفته التي استحق بها أن يبقى مسيطراً على تاريخنا وعلى العلاقات

الوثيقة بيننا وبين إخوان لنا في شرق الأرض وغربها أكثر من ألف سنة - كما تقول المذكرة . وقد تكررت محاولات لمثل هذا الغرض منذ أكثر من نصف قرن ولكنها جميعاً لم تنفذ إلى صميم المشكلة ولم تحاول حلها جذرياً فكانت فتشور من الإصلاح لعل بعضها كان أسوأ أثراً ، ولعلاج المشكلة من صميمها كان لابد من تقرير مبادئ تكون أساساً لكل إصلاح . وقامت المذكرة الإيضاحية بإيضاح هذه المبادئ وهي :

- (أ) أن يبقى الأزهر وأن يدعم ليظل أكبر جامعة إسلامية وأقدم جامعة في الشرق والغرب وأن يظل حصناً للدين والعروبة ويرتقى به الإسلام ويتجلى في جوهرة .
- (ب) أن يخرج علماء قد حصلوا على ما يمكن تحصيله من علوم الدين ، وتبأوا بكل ما يمكن من أسباب العلم والخبرة للعمل والإنتاج في كل مجال من مجالات العمل والإنتاج فلا تكون كل حرفتهم أو كل بضاعته هي الدين .
- (ج) أن تحطم الحواجز والسدود بينه وبين الجامعات ومعاهد التعليم أخرى وتزال الفوارق بين خريجه وسائر الخريجين في كل مستوى وتنكأ فرصهم جميعاً في مجالات العلم ومجالات العمل مع الحرص على الدراسات الدينية والعربية التي يمتاز بها الأزهر .
- (د) أن توحد الشهادات الدراسية والجامعية في كل الجامعات ومعاهد التعليم في مصر .

٤ - ردود فعل القانون :

تعددت ردود الفعل على قانون تطوير الأزهر ، ولم تظهر الوثائق الرسمية ، ردود سلمية تجاه القانون وأتت في أغلبها على تأييده ، فيقول الأستاذ فتحى رضوان رلوباً ذكرياته الشخصية عن ردود فعل رجال الأزهر في المقابلة التي أجريتها معه :

لقد أذعنوا لا عن رضاء .. ولكن عن خوف شديد ، وأذكر أن من بين علماء الأزهر الشيخ عبد الرحمن دراز الذى كان وكيلاً للجامع الأزهر ثم إحيل للمعاش وانتخب عضواً بمجلس الأمة ، فكان هو العالم الأزهرى الوحيد الذى أيد القانون . وتكلم فيه كلمة نار الأعضاء فى وجهه فترك المنبر ونزل ، وكان معنا أيضاً الشيخ حسن مأمون ، وكان رئيساً للمحكمة الشرعية العليا ، ثم انتخب نائباً لمجلس الأمة ، وهذا الرجل كان حائراً لا هو قادراً على المعارضة ولا هو قادر على قبوله ، وفيما علمت أن الشيخ محمود شلتوت الذى كان شيخ الأزهر كان يبكى ويقول للناس : « إدونى الأزهر بتاعى القديم » وقد أخبرنا بذلك الشيخ الدكتور / مصطفى السعيد مدير جامعة القاهرة الأسبق .

بيد أن الصورة لم تكن بهذا التوصيف الذى قاله الأستاذ / فتحى رضوان تماماً ، فلقد وجدت أصواتاً مؤيدة بما فيها صوت الشيخ محمود شلتوت ذاته الذى قال فى الأهرام ١٩٦١/٦/٢٤م أنه يترك الحديث عن هذه الدفعة الثورية لدعم الأزهر العلمية والإسلامية

فى الداخلى والځارج إلى ځطواتها التنفىذىة ، وحسب الأزهر أنه يحظى دائما برعاىة الرئىس جمال عبد الناصر وبذلك تزداد رسالته على مر الأيام قوة وتتضاعف إمكاناته لتحقيق أهدافه الضخمة للعالم الإسلامى كله . وقال عبد الرحمن تاج شىخ الأزهر الأسبق : « إن القانون الجدىء حقق أمانى المسلمين فى إصلاح الأزهر وتمكنه من أداء رسالته كاملة - الأهرام ١٩٦١/٦/٢٥ .

وذكر د . محمد عبد الله ماضى إن القانون الجدىء يذىب الفوارق التى كانت تحجب الطالب الأزهرى عن الدراسات العالىة ، ويهبىء تكافؤ الفرص للجميع ، « الأهرام ١٩٦١/٦/٢٥ » وقال الشىخ منصور رجب الأستاذ بكلية أصول الدين إن هذا القانون الإصلاځى ځطوة موفقة جريئة وأبرز معالمه تكون مجمع البحوث الإسلامىة الذى يمثل فىه جميع علماء المسلمين « الأهرام ١٩٦١/٦/٢٥ » وذكر الشىخ فرج السنهاورى أنه يمثل ځطوة تهدف إلى التوفىق بين ځياتنا فى مجتمعا ومصلحة الدين والعالم أجمع ، أما أمين تنظيم الأزهر د . أمين الخولى فقال أن تنظيم الأزهر محاولة صځىحة وهدفها صالح لتحقيق ثلاث رسالات : رسالة إجتماعىة ، ورسالة دىنىة ، ورسالة علمىة . « الأهرام ١٩٦١/٦/٢٥ » .

ثم تتوالى ځطوات التنفىذىة للقانون ، فتكون هىئات ولجان تنفىذىة ، وتسد وظائف المأذونىن لځرىجى كلية أصول الدين ، ويتولى حسين الشافعى مسؤولىات وزىر الأزهر بالإضافة لتولىة لوزارة الأوقاف والشئون الإجتماعىة ، ثم يوافق مجلس الدولة على اللائحة التنفىذىة لقانون إعادة تنظيم الأزهر وهىئاته ، ثم يتولى د . محمد البهى وزارة الأوقاف والأهر خلفاً لحسين الشافعى .

ثم أصدر الدكتور البهى قار التنظيم الإدارى الجدىء لإدارة الأزهر والمجلس الأعلى للأزهر والذى تضمن إنشاء أربع مراقبات للشئون القانونىة والتفتىش والحسابات والمىزانىة والمستخدمىن والمعاشات والبحوث الفنىة وكلها تتبع المجلس الأعلى للأزهر .

ويتطور الدور التاريخى للأزهر ، وتزايد معه مهامه الرسمىة وبالضرورة مىزانىته والتى تصل فى ٢٥ يونيو ١٩٦٤م إلى ٥ ملايين و ١٢٨ ألف جنىه منها ٢,٩٦٧٠٠ مرتبا وأجور ، ٨١١,٠٠٠ مصروفات عامة و ١,٢٥٠ ، مصروفات إستمارىة .

وعندما تحدث أزمة ١٩٦٧م يعلن الأزهر تأييده للنظام السياسى ومباركته لځطواته فى صد « عدوان الصهىونىة والاستعمار » وفى عام ١٩٦٨م أصدر عبد الناصر قراراً بأن تدمج

وزارتى الأوقاف وشئون الأزهر ويتولى عبد العزيز كامل رئاستها وهكذا تأتى ردود الفعل على صدور قانون إعادة تطوير الأزهر ، بين تأييد قوى وعلى فى أغلب الأحيان ، ومعارضة ضعيفة لا يسمع صوتها إلا فى داخل مجلس الأمة أو من خلال الذكريات الشخصية كما سبق الذكر .

٥ - تقييم قانون إعادة تنظيم الأزهر :

بداية يجب التأكيد أن هذا القانون لم يأت منفصلاً عن عدة تطورات سياسية ودينية قدمت له - كما سبق القول - وكان أهمها الرغبة فى إعادة ترتيب البيت المصرى من الداخل وإعادة توظيف دور المؤسسات الدينية التقليدية فى ضوء عملية التغير الاجتماعى التى زادت نغمتها مع بداية الستينات وعليه فإن عملية تقييم لقانون إعادة تنظيم الأزهر ينبغى أن تثير النقاط التالية :

(أ) يمكن النظر إلى موقف النظام السيامى الناصرى من المؤسسات الدينية الرسمية على أنه كان جزءاً من موقف أشمل يتصل برؤية النظام لعلاقة الدين بقضايا المجتمع الحيوية والوظيفية التى يقوم بها فى مجال التنغية . ومنذ سنوات الثورة الأولى تحدث عبد الناصر عن الدين فى صورة التسامح والاعتدال ، وفى إطار من الوطنية التى تفرض على الجميع الولاء للنظام والتفانى فى خدمة المجتمع ، ولم يكن حديث عبد الناصر عن الدين حديثاً عن الدين والعقيدة فى ذاتها ، وإنما فى إطار الإصلاح وإثارة الحس الوطنى الجديد ففى ١٨ إبريل ١٩٥٣م ، يتحدث فى المعهد الدينى بالإسكندرية مذكراً رجال الدين بدورهم فى الماضى فى رفع شعار الحرية والجهاد ضد الإستعمار ودعاهم إلى التعاون مع رجال الجيش لإستئاف الجهاد حتى تناول مصر حريتها واستقلالها ، فلتضعوا أيديكم فى أيدينا ولنجاهد معاً فى سبيل تحرير مصر فإن لكم رسالة عظيمة ، إننا لن نسمح بعد اليوم للفساد ، أن يقوم ولن يسمح رجال الدين أن يقوم فى مصر فساد أو طغيان ، وناشد فى مناسبات تالية رجال الأزهر خصوصاً بالإضطلاع بدور بارز فى مشروعات الإصلاح الجديدة ، حيث يقول عبد الناصر فى هذا الشأن : « رسالة الأزهر ليست فى مصر ، وليست فى الأزهر ، وإنما فى القرى والنجوع والتجمعات لتصحوا ولترشدوا ، وهذه الدعوة وهذا الإرشاد يجب أن يكون بيننا بدلاً من أن نشكو من الإستعمار ولا يمكن أن تلقى العبء على الحكومة وحدها وإنما نحتاج إلى جهود رجال الأزهر . خطابه بتاريخ ١٨/٤/١٩٥٣م .

(ب) فى إطار هذه الرؤية لعبد الناصر ، كان الأزهر وباعتباره أكبر المؤسسات الدينية فى

مصر والعالم الإسلامى يحتاج إلى تدخل لإصلاحه حتى يتم ربطه بالإتجاهات الجديدة في المجتمع وبدأ بعض رجال الدين الموالين للثورة يتحدثون عن سوء الأحوال داخل الأزهر من حيث برامج العلمية ونظامه الإدارى وإمكانات التعليم فيه مثل أحمد عبده الشرباصى والدكتورة بنت الشاطىء التى طالبت بدخول المرأة الأزهر طالبة أو محاضرة أو مدرسة . وبناء على هذا تكونت عام ١٩٦١م لجنة تفرغت عن اللجنة الفنية الدائمة للمقترحات فى الإتحاد القومى سميت بلجنة الشئون الدينية والأزهر ، وأعدت تقريراً بالتنظيمات المطلوبة وكان فى مقدمتها : إعادة التنظيم الإدارى ، الداخلى للأزهر بحيث يكفل تفرغ شيخ الجامع الأزهر وعلماء الأزهر لرسائلهم الدينية وتخرج العلماء وتوثيق الروابط الثقافية والعلمية فى الجامعات والهيئات العلمية الإسلامية والعربية والأجنبية من خلال جامعة الأزهر وغيرها من التعديلات التى سبق إيضاحها والتى أتت بعد صدور القانون .

(ج) بيد أن هذه التغيرات لم تكن بدون سابقة فى التاريخ المصرى ، فلقد سبق إن قام بما يشبهها ، محمد على فى بدايات القرن التاسع عشر ، حين إتخذ الأزهر كأداة للوصول إلى السلطة من خلال مباحة عمر مكروم له ، ثم أداة ، لخدمة المؤسسة العسكرية ثم طلب من العلماء تأييد برامجه عن طريق إصدار الفتاوى وتسويغ القرارات السياسية للدولة باستخدام الدين ، ورغم أن هذا النموذج لم يتكرر بعد ذلك كاملاً فى التاريخ المصرى إلا أننا نجد أن منصب شيخ الجامع الأزهر تعرض لعوامل الخلاف السياسى والحزبى ونزعات الملك الشخصية قبل الثورة . وكان تعيينه يتم بأمر ملكى فى حين أن مطالب الأزهريين كانت أن يتم بالإنتخاب ولم تزعم الحكومة آنذاك لمطالبهم ، وبالنظر إلى قانون ١٩٦١م يتضح أن عبد الناصر كان قد قرر أن يخضع الأزهر لسلطة الحكومة بوجه أشمل ، فهو الذى يعين شيخ الجامع الأزهر ، كما أن برامج الأزهر وإدارته ليس لها الإستقلال الكامل عن بقية جوانب السياسة العامة للدولة بل هى جزء منها وعلى الرغم من النص فى ما يتعلق بالشئون الدينية إلا أنه من الناحية العملية لم يتحقق له ذلك ، حيث كان وزير الأوقاف والأزهر أو وزير الأزهر صاحب الكلمة الأولى ، ولم يحدث فى تاريخ الفترة سوى إستثناء واحد عام ١٩٦٦م حين قرر عبد الفتاح حسن وزير الأزهر أن تعرض جميع القرارات والمسائل الخاصة بالأزهر على حسن مأمون شيخ الأزهر إنذاك قبل عرضها عليه .

(د) ومقابل هذه القيود قامت الدولة بالناية الملموسة بالأزهر فبعد إن كانت ميزانيته عام ١٩٥٢م لا تتجاوز مليوناً و ٥٣٧ ألف جنيه إذ بها تصل عام ١٩٦٦م ، إلى ٣ ملايين

و ٢٩١ ألف جنيه وكان بالأزهر ٢٥ ، معهداً دينياً وصلت في عام ١٩٦٦م إلى ٣٧ معهداً . وكان به ٢٢,١٣٥ ألف طالب وصلوا في عام ١٩٦٦م أيضا إلى ٣١,٥٦٦ ألف طالب . ووصل عدد المبعوثين في الخارج إلى حوالى ٢٠٠ عالم ، وبنى الأزهر مدينة لليحوت الإسلامية بتكاليف مليوني جنيه وقد يكون هذا الإنفاق على الأزهر بهذا القدر ذا حدين فقد تلاشت في ظله حرية الأزهر واستقلاله الذى تتمتع به وقت إن كانت ميزانيته مستقلة نسبياً عن الدولة قبل الثورة ، وأصبح رجاله موظفين في الدولة حريصين على المناصب الحكومية إلى درجة الوزير ، وكان عليهم أن يدفعوا الثمن لهذا الدور الجديد طاعة مستمرة واجتهاداً دؤوباً في استخراج ما يضىء الشرعية على سلوكيات وسياسات النظام الجديد التى كانت في تصورنا بغير حاجة إلى إثبات شرعية لأنها استمدتها بالفعل من قبل الإنجازات الحية التى أحدثتها بالمجتمع .

وأيا كان التقييم الذى يساق بشأن الإغداق المادى على الأزهر بإصدار قانون تنظيمه ، وأيا كان التقييم الذى يثار بشأن هذا القانون على وجه العموم فإن الباحث يخلص إلى أن الهدف الأساسى للنظام من إصدار مثل هذا القانون هو ضرورة أن تتسق حركة هذه المؤسسة الدينية الهامة مع توجهات عملية التنمية بأشكالها المختلفة أياً ضرورة أن تتسق حركتها مع رغبة النظام السياسى فى إعداد ترتيب البيت المصرى من الداخل وفق مفاهيمه الثورية التى بدأت فى التبلور مع السنوات الأولى للمستينيات .

* هذا ويرتبط بقانون تطوير الأزهر ، قانون آخر سبقه فى الزمن وان اتفق معه فى المضمون وهو قانون إلغاء التقاضى أمام المحاكم الشرعية والمجالس المليية القبطية .

(٢) إلغاء التقاضى أمام المحاكم الشرعية والمجالس المليية القبطية :

ترتب على الرغبة فى التجديد لدى النظام السياسى فى مصر خلال السنوات الأولى من الفترة موضع البحث مجموعة من التحولات السياسية والاجتماعية المهمة والتى كان منها إلغاء التقاضى أمام المحاكم الشرعية والمليية بالقانون رقم ٤٦٢ لسنة ١٩٥٥ وإحالة الدعاوى التى تكون منظورة أمامها إلى المجالس الوطنية ، وذلك تأكيداً لمفهوم التكامل القومى ولتنويع عدد من المؤسسات التقليدية التى كانت تعوق عملية التوحيد القومى ، بين الطائفتين

الرئيسيتين في المجتمع المصرى : المسلمون والأقباط^(١) ولقد صدر القانون في سبتمبر عام ١٩٥٥م عن مجلس قيادة الثورة ، وسوف يتم تناوله في بدين ، أولهما يتصل بتحليل مضمون القانون ، وثانيهما بالتبرير الرسمى له .

١ - تحليل القانون :

يمكن تحليل القانون من خلال ثلاث زوايا :

الزاوية الأولى : وتتعلق بعملية الإحالة للقضايا القديمة التى كانت منظورة أمام هذه المحاكم والتى تنتهى فاعليتها مع نهاية ديسمبر ١٩٥٥م فلقد رتب نص الإلغاء للمحاكم الشرعية والمجالس المليية فى المادة ١ من القانون ضرورة أن تحال الدعاوى التى تكون منظورة أمام محكمة الإستئناف الوطنية ، التى تقع فى دائرتها المحكمة الابتدائية التى أصدرت الحكم المستأنف ، وتؤكد هذا أيضاً مادة ٢ منه^(٢) .

كذلك تحال - وفقاً للمادة ٣ - القضايا التى تكون منظورة أمام المحاكم الكلية إلى المحكمة الابتدائية الوطنية المختصة وتحال الدعاوى المنظورة أمام المحاكم الجزئية الشرعية أو المليية إلى المحاكم الجزئية أو الابتدائية الوطنية المختصة .. أى أن الاختصاص الذى ترفع إليه هذه الدعاوى يصير إلى المحاكم الوطنية ابتداء من أول يناير ١٩٥٦م (مادة ٣) .

أما الزاوية الثانية : فتتصل أحكام نظام المرافعات واختصاصات المحاكم الوطنية ، فبالنسبة لأحكام قانون المرافعات نص القانون على ضرورة اتباع ذات ، الإجراءات المتعلقة بمسائل الأحوال الشخصية والوقف التى كانت من إختصاص المحاكم الشرعية أو المجالس المليية عدا الأحوال التى وردت بشأنها قواعد خاصة فى لائحة ترتيب المحاكم الشرعية أو القوانين الأخرى المكملة لها (مادة ٥) .

وبالنسبة لأحكام المنازعات : فينص القانون (مادة ٦) على أن تصدر الأحكام المتعلقة بالأحوال الشخصية والوقف التى كانت أصلاً من إختصاص المحاكم الشرعية طبقاً لما هو مقرر فى المادة ٢٨٠ من ترتيب المحاكم المذكورة ، وبالنسبة للمنازعات المتعلقة

(١) طارق البشرى : المسلمون والأقباط فى إطار الجماعة الوطنية - مصدر سابق ، ص ٦٧٤ .

(٢) وزارة العدل : النشرة التشريعية سبتمبر ١٩٥٥ (القاهرة ، بولاق ، المطبعة الأميرية) نقلاً عن :

الوقائع المصرية بتاريخ ٢٤ سبتمبر ١٩٥٥ ، العدد ٧٣ مكرر . ب .

بالأحوال الشخصية للمصريين غير المسلمين والمتحدى الطائفة والملة الذين لهم جهات قضائية ملية منظمة وقت صدور هذا القانون فتصدر الأحكام. فى نطاق النظام العام طبقاً لتشريعاتهم ، ويفصل القانون هذا الجانب من فض المنازعات والمتعلق بغير المسلمين بقوله : « لا يؤثر فى تطبيق الفقرة الثانية من المادة المتقدمة تغيير الطائفة أو الملة بما يخرج أحد الخصوم عن وحدة طائفية إلى أخرى أثناء سير الدعوى إلا إذا كان التغيير إلى الاسلام فتطبق الفقرة الأولى من المادة السادسة من هذا القانون (مادة ٧) .

وفصل القانون لإختصاص المحاكم الجزئية الوطنية بنصه فى (مادة ٨) على أن هذه المحاكم تختص بالنزاعات المتعلقة بالأحوال الشخصية طبقاً لما هو مبين فى لائحة ترتيب المحاكم عدا دعوى النسب . فى غير الوقف والطلاق والخلع والمبادأة والفرقة بين الزوجين بجميع أسبابها المشار إليها فى المادة السادسة من اللائحة فإنها تكون من إختصاص المحاكم الابتدائية وتختص المحاكم الابتدائية ومحاكم الإستئناف وفقاً لما هو مبين فى المواد ٨ ، ٩ ، ١٠ من اللائحة .

الزاوية الثالثة : وتتعلق بأوضاع القضاة والمحامين داخل هذه المحاكم حيث ينص القانون على أنه ابتداء من يناير ١٩٥٦م يلحق قضاة المحاكم الشرعية على إختلاف درجاتهم بالمحاكم الوطنية أو نيابات الأحوال الشخصية أو الإدارات الفنية بالوزارة ، وذلك بقرار يصدر من وزير العدل وفق قانون خاص بتنظيم شئون رجال القضاء الشرعى المنقولين إلى المحاكم الوطنية (مادة ٩) .

أما بالنسبة للمحامين فنص على أنه : إستثناء من أحكام القانون رقم ٩٨ لسنة ١٩٤٤م الخاص بالمحاماة أمام المحاكم الوطنية يجوز للمحامين المقبولين للمرافعة أمام المحاكم الشرعية الحضور فى الدعاوى التى كانت تدخل فى إختصاص تلك المحاكم أمام المحاكم الوطنية على أن يقتصر حضور كل منهم على الدرجة التى هو مقبول للمرافعة أمامها فى المحاكم الشرعية ، وللمحامين المقبولين أمام المحكمة العليا الشرعية المرافعة أمام محكمة النقض أيضاً فى الدعاوى المشار إليها ، ويصدر قانون خاص بتنظيم قيدهم فى الجدول وحقوقهم وتأديبهم وما إلى ذلك (مادة ١٠) .

ونص القانون على وجود تنفيذ الأحكام الصادرة فى مسائل الأحوال الشخصية وفقاً

لما هو مقرر فى لائحة الإجراءات الواجب إتباعها فى تنفيذ أحكام المحاكم الشرعية الصادرة فى ٢٤ إبريل ١٩٥٧م (مادة ١٢) ، كما نص على إلغاء كافة التشريعات التى

سبقته بخصوص هذا الموضوع (مادة ١٣)^(١) وتنفيذ الوزراء كل فيما يختصه من هذا القانون (مادة ١٤) .

٢ - التقرير الرسمى للقانون :

إن تحليل الأوضاع السياسية والإجتماعية التى عاشتها مصر إبان إصدار هذا القانون ، يشير بأن صراعاً على السلطة كان قد حسم إلى أحد فريقى الثورة بعد ثلاث سنوات من قيامها وهو الفريق الذى يتزعمه عبد الناصر وإن صراعاً آخر مع قوة سياسية مناوئة هى الإخوان المسلمين قد حسم لصالح نفس الفريق ، وإن عملية الجلاء للقوات البريطانية كانت على وشك الإنتهاء وإرهاضات المواجهة مع الغرب من خلال الحديث عن صفقة تشيكية للأسلحة وعن احتمالات تأميم شركة قناة السويس ، كانت قد بدأت فى الظهور .

وفى ضوء هذه التطورات والأوضاع المتصاعدة أتى القانون السابق ليقدم نفسه كطور سياسى مهم فى سياق الأوضاع المحيطة ، حيث عبر عن ثلاثة توجهات وأهداف وطنية تضمنتها التفسير الرسمى للقانون فى شكل مذكرة إيضاحية سبقت كميرر لقانون الإلغاء^(٢) ، وهذه الأهداف هى تأكيد سيادة الدولة الوطنية ، ووحدة النظام القانونى الكاملة ، وإصلاح الأخطاء والعيوب التى لحقت بنظام القضاء .

(أ) فبالنسبة لتأكيد سيادة الدولة الوطنية ، فتدخبط المذكرة إلى القول بأنه على العكس مما تقضى به قواعد القانون العام ، أن تكون سيادة الدولة تامة ومطلقة داخل بلادها كما تقضى بأن يخضع جميع السكان على إختلاف جنسياتهم لقوانين البلاد ومحكمة ولجهة قضائية واحدة بصرف النظر عن نوع المسائل التى تتناولها خصوماتهم أو

(١) المذكرة التفسيرية لقانون إلغاء المحاكم الشرعية والمجالس المليية ، وزارة العدل ، مصدر سابق

(٢) حدد القانون هذه التشريعات فيما يلى :

— المادة ١٦ من قانون نظام القضاء - المواد : ١ - ٤ ، ١١ - ١٩ ، ٢٩ - ٥١ ، ٥٣ - ٩٧ ،

١٠٠ - ١٣٦ ، ١٣٨ - ١٧٨ ، ١٨٠ ، ١٨٢ - ٢٧٩ ، ٣٢٨ - ٣٤٢ ، ٣٤٨ ، ٣٥١ ، ٣٥٢ ،
من لائحة ترتيب المحاكم الشرعية الصادر بها المرسوم بقانون رقم ١٨ لسنة ١٩٣١ .

— أحكام الأمر العالى الصادر بتاريخ ١٤ مايو ١٨٨٣ والمعدل بقانون ٩ لسنة ١٩٢٧ والخاص بلائحة ترتيب واختصاصات مجلس الأقباط الأرثوذكس .

— الأمر العالى الصادر فى أول مارس ١٩٠٢ بشأن الانجليين الوطنيين .

— والقانون رقم ٢٧ الصادر فى نوفمبر ١٩٠٥ بشأن الأرمن الأرثوذكس .

— والقانون لأقم ٨ لسنة ١٩٥١ وجميع الأوامر العالية والقرارات الأخرى المخالفة لهذا القانون .

القوانين التي تطبق عليها ، فإن الحال في مصر كانت على النقيض ، فجهات القضاء في مسائل الأحوال الشخصية بالنسبة للمصريين أنفسهم بقيت متعددة ، وكل جهة تطبق قوانينها على قضائها رغم أن الدولة قد استردت سلطاتها القضائي بالنسبة للأجانب فأصبحت المحاكم الوطنية هي في جميع منازعاتهم حتى ما يتعلق بها بأحوالهم الشخصية .

(ب) أما بالنسبة لوحدة النظام القضائي فتشير المذكرة إلى الثنائية التاريخية الخطيرة لهذا النظام ومردوداتها ذلك أن مصر ورثت نظام تعدد جهات القضاء في مسائل الأحوال الشخصية عن الماضي ، فقامت المحاكم الشرعية والقضاء الملى ثم تعددت جهات القضاء الملى فأصبح لكل طائفة قضاؤها وقوانينها وإجراءاتها الخاصة مما أدى إلى الفوضى والإضرار بالتقاضين ، حيث إستتبع تعدد جهات القضاء رغبة كل جهة في توسيع دائرة اختصاصها والاعتداء على سلطة غيرها خصوصاً مع عدم وجود حدود دقيقة أو ثابتة الاختصاص لكل منها ، وتدل المذكرة على ذلك بأن المرجع العام في تحديد ولاية محاكم الطوائف هو أحكام الخط الهمايوني الصادر في الدولة العثمانية عام ١٨٥٦م ، وبعض القوانين العثمانية الأخرى التي لم تكن في صياغتها وليدة حرص على أن توفى الوضوح والأحكام ، وإنما كانت في حقيقتها ثمرة تجهيل اقتضته ظروف السياسة وكانت النتيجة هي تنازع المحاكم بينها وتعدد الأحكام التي تصدر في النزاع الواحد وبقي المتقاضون يستعدون محكمة على أخرى وظل مصر الحقوقي رهينا بهوى الظروف .

وفي مجال التأكيد على سلبات هذا الوضع القانوني التعددي تشير المذكرة إلى أنه بعد أن الغيت الإمتيازات التي كان يتمتع بها الرعايا الأجانب وبعد أن أصبحوا يخضعون لنظم التقاضى العادية أمام المحاكم الوطنية ، فإن من الشذوذ بمكان أن يظل الوطنيون من أهل البلاد المنتمون إلى الطوائف الملية غير الإسلامية محتفظين باستثناءات قضائية كانت في كثير من الحالات عنواناً على الفوضى وعدم النظم^(١) وأنه لا يتفق مع السيادة القومية في شيء أن تصدر أحكام في الصق المسائل بذات الإنسان من جهات قضائية غير مسئولة ولا مختارة من جانب الحكومة ، أو أن تكون تلك الجهات خاضعة لهيئات أجنبية تباشر أعمالها خارج حدود البلاد كما هي الحال بالنسبة لبعض الطوائف التي يرفع الطعن في أحكامها إلى محكمة

ص ٢٣٥٣ - ٢٣٥٨ .

(١) المصدر السابق ، ص ٢٣٥٤ .

« روما » وليس أقل من كل أولئك مساماً بالسيادة أن يلى القضاء فى بعض المجالس الطائفية أجانف لا يعرفون لغة المتقاضين ويصدرون أحكامهم بين المصرين بلغة غير لغتهم^(١) .

(ج) أما بالنسبة لعيوب النظام القضائى فتهذب وجهة النظر الرسمية إلى القول بأنه قد إستفاضت الشكوى من حال قضاء الأحوال الشخصية وندد بها المتقاضون منوهين بوجه خاص بانتفاء الحد الأدنى من عوامل التيسير وضمانات التقاضى ، فللطوائف غير الإسلامية أربعة عشر مجلساً بعضها لا يتعقد للقضاء إلا فى فترات متباعدة أو فى أمكنة بعيدة عن إقامة المتقاضين ، وفى ذلك من العنت والإرهاق ما يجعل التقاضى عسيراً على بعض الناس ، والقواعد الموضوعية التى تطبقها أكثر المجالس فيما يطرح عليها من الأقضية غير المدونة وليس من اليسر أن يتهدى إليها عامة المتقاضين ، وفى ذلك من العنت والإرهاق ما يجعل التقاضى عسيراً على بعض الناس ، والقواعد الموضوعية التى تطبقها أكثر المجالس فيما يطرح عليها من الأقضية غير المدونة وليس من اليسر أن يتهدى إليها عامة المتقاضين وهى مبعثرة فى مظانها بين متون الكتب السماوية وشروح وتأويلات لبعض المجتهدين من رجال الكهنوت مبعثرة فى كتب لاتينية أو يونانية أو عبرية أو سريانية أو أرمنية أو قبطية لا يفهمها غالبية المتقاضين^(٢) .

والأخطر من هذا إن القواعد المتعلقة بتشكيل المحاكم الطائفية وإجراءات الترافع ونظر الدعاوى وتحرير الأحكام وطريق الطعن فيها لا تنظمها وحدة ولا يتوافر لها الإستقرار ، ونفقات التقاضى لا تتج فى المجالس منهجاً وإحداً بل إن الكثير منها لا يمثل نظاماً محدداً فى هذا الشأن ، وليس لأكثر هذه المجالس أعلام كتاب منظمة أو سكرتارية تعينها على أداء مهمتها ، وما من شكل فى أن تلك الحال تدعو إلى تزعزع الثقة بأحكام القضاء وإرهاق المتقاضين .

إزاء هذا الموقف - كما تقول المذكرة - الذى يكتنفه الشذوذ من كل جانب - وأمام تلك الفوضى التى استفحلت أثارها ، تعددت محاولات الإصلاح الجزئية ، التى لم يكتب لها النجاح بسبب ما قام أمامها من عقبات وبقيت هذه الحالة وليس لها من ضحايا إلا المتقاضون أنفسهم وسيادة البلاد . ولما كانت الثورة قد قامت لتحقيق أهداف البلاد فى

(١) نفس المصدر .

(٢) نفس المصدر ، ص ٢٣٥٥

الإصلاح والقضاء على الفساد في شتى نواحيه فإن العقوبات المتقدمة ما كانت لترد الحكومة عن أداء واجبها - كما تذهب المذكرة - في إقامة صرح القضاء ، وهي مطالبة بتوافر سبل التقاضى لجميع رعاياها . دون ، تفريق أو تمييز ، وذلك وفق ما يتقاضى النهوض بأعباء الإصلاح ولو لم يصادف هوى البعض وإلا فإن على الحكومة أن تسلم بوجود هيئات قضائية داخل الدولة تولى عليها إرادتها أو تنهض سياسة الإصلاح فيها أو تتحكم في طرق الإصلاح .

لكن هذا رأى النظام السياسى إزاء ما هو مشهود من عيوب نظام القضاء في مسائل الأحوال الشخصية أن يعالج الأمر علاجاً حاسماً ومحققاً فيه الإصلاح بتوحيد نظام القضاء والمحافظة على الحقوق وصيانتها وتوزيع العدالة توزيعاً يظفر بثقة المتقاضين ويضع حداً للحالة المتقدمة وهي تمس الإنسان في أدق المشاعر والعائلات في أدق العلاقات ، وتؤثر في أخلاق الأفراد والمجتمع^(١) .

وعليه قام النظام بإصدار هذا التشريع الجديد على نحو يكفل - كما تقول المذكرة - توحيد جهة القضاء بالنسبة للمواطنين جميعاً يجعل حل هذه المنازعات من اختصاص القضاء الوطنى واحترام ولاية القانون الواجب التطبيقى ، حتى لا يكون هناك إخلال بحق أى فريق من الفريقين مسلمين أو غير مسلمين في تطبيق شريعة كل منهما ، ويلاحظ أنه لم تظهر أية معارضة من جانب رجال الدين ، بل على العكس قام شيخ الأزهر مع بعض المشايخ بتنشئة عبد الناصر على إخذه هذه الخطوة التحررية نحو إصلاح النظام القانونى في مصر^(٢) .

ثالثاً : عبد الناصر والطوائف المسيحية :

قبل الدخول في تفاصيل هذه العلاقة يهنا الإشارة إلى البيانات الإحصائية التالية :
بلغ عدد الكنائس حتى نهاية عهد عبد الناصر في مصر ١٤١٣ كنيسة ، منها في الحضر ٦٤٨ كنيسة وفي الريف ٧٦٥ كنيسة .

والمحافظات السبع الأولى من حيث عدد الكنائس هي
محافظة المنيا إذ يبلغ عدد الكنائس فيها ٣٦٠ كنيسة .
محافظة أسيوط ويبلغ عدد الكنائس فيها ٣٤٧ كنيسة .

(١) نفس المصدر . ص ٢٣٥٤ - ٢٣٥٥

(٢) د. حسن حنفي . الدين والتنمية في مصر . ص ١٩٦ .

محافظة القاهرة ويبلغ عدد الكنائس فيها ٢٠٦ كنيسة .
 محافظة سوهاج ويبلغ عدد الكنائس فيها ٢٠١ كنيسة .
 محافظة الإسكندرية ويبلغ عدد الكنائس فيها ٦٠ كنيسة .
 محافظة الغربية ويبلغ عدد الكنائس فيها ٣٢ كنيسة .
 محافظة القليوبية ويبلغ عدد الكنائس فيها ٣٧ كنيسة .
 أما الأديرة فيبلغ عددها ٣٧ ديراً ، منها فى الحضر ٣٢ ديراً ، وخمسة فى الأرياف .
 ويبلغ عدد الأديرة فى مدينة القاهرة ١٣ ديراً .
 ويبلغ عدد الأديرة فى أسوان ٥ أديرة .
 ويبلغ عدد الأديرة فى البحيرة ٣ أديرة .
 ويبلغ عدد الأديرة فى بنى سويف ٣ أديرة .
 ولا يزيد العدد عن دير واحد فى باقى المحافظات التى بها أديرة .

والأمر الذى تقرر ، ونؤكد عليه فى هذا المقام هو أن الكنائس والأديرة المحصاة تتبع طوائف مسيحية مختلفة وعديدة ، وأنه من هنا نستطيع تحديد ما يتبع كل طائفة من الكنائس والأديرة على حدة .. وهذا لا يعنى أننا قد أهملنا هذه المسألة كل الإهمال . فلقد أشرنا فى بعض التقارير الإشارات التى سمح بها الإحصاء عن تبعية بعض الكنائس ، وبعض الأديرة ، لبعض الطوائف المسيحية .

الكنيسة والحياة الإقتصادية بعد الثورة :

لقد بدأ الأمر كله بحركة تنظيم الضباط الأحرار ، أو ما قيل وقتها وبعدها بقليل « إنقلاب عسكرى » أو « حركة الجيش المباركة » . ولكن سرعان ما أحدث هذا الإنقلاب أو تلك الحركة تغييرا إقتصاديا وإجتماعيا جذريا فى المجتمع المصرى . وكانت البداية بتحديد الملكية الزراعية ، ثم تمصير المصالح والشركات الأجنبية ، ثم تأميم الرأسمالية المحلية ، والبدء فى إقامة القطاع العام فى الصناعة والتجارة والقطاع التعاونى فى الزراعة الخ الإجراءات التى عدت « تحولاً إشتراكياً » أو « رأسمالية دولة »^(١) .
 وفى الوقت ذاته وضعت كثير من المدارس التبشيرية والأجنبية تحت رقابة الدولة الصارمة ، ووحدت المناهج التى يدرسها الطلبة ، بما قرب بين مفاهيمهم وقيمهم وأتاحت

(١) سميرة حر : الأقباط والحياة السياسية المصرية مكتبة الأنجلو المصرية - القاهرة - ١٩٨٤ ص ١٤٨ .



الأسقف مكاريوس في القاهرة عام ١٩٦١

قدراً كبيراً من المساواة فى فرص التعليم والتوظيف ، وذلك بالتوسع فى فرص التعليم بمختلف المراحل حتى الجامعة والكليات العسكرية من ناحية ، والتحاق الطلبة بالتعليم العالى عن طريق المكاتب التنسيق بحيث أصبح مجموع الدرجات فى إتمام الدراسة الثانوية هو معيار القبول فى هذا المعهد أو تلك الكلية من ناحية أخرى وقد أوجد هذا فرصة للمساواة فى فرص التعليم . ثم بدأ العمل بإلحاق الخريجين بالوظائف والأعمال المختلفة عن طريق مكاتب العمل أولاً ثم القوى العاملة بعد ذلك الأمر الذى حقق ذات القدر من المساواة فى فرص العمل للخريجين (وذلك بصرف النظر عن الآثار السيئة التى نجمت عن هذا الأسلوب على المدى الطويل) . إلى جانب الإلتزام فى ترقية العاملين بالحكومة والقطاع العام بالأقدمية حتى الدرجة الثالثة ، مما كفل ذات القدر من المساواة أيضاً ، ولكن حتى الوظائف الوسيطة

وقد كان من الممكن أن تودى مجانية التعليم إلى تقوية الروابط الوطنية غير أن الذى حدث بعد ذلك إن عبد الناصر فى إحدى مراحل الصراع مع الإخوان المسلمين راح يزايد عليهم تكتيكياً بإصدار قراراتين هما : جعل الديانة مادة أساسية فى مختلف مراحل التعليم تودى إلى النجاح أو الرسوم كغيرها من المواد . وافتتاح جامعة الأزهر على غرار الجامعات العصرية مقصورة على الطلبة المسلمين ممن يرغبون فى دراسة فروع العلم المختلفة إلى جانب المواد الدينية ، ولقد كان للقرار الأول أضراراً زادت عن فوائده فإن المدرسين الذين عهد إليهم بتدريس مادة الدين لم يكونوا دائماً مؤهلين لهذا الغرض ، فنتج عن ذلك أبرز الاختلافات بين أبناء الفصل الواحد وبما لا يتماشى مع الهدف الأصلي لمجانية التعليم ، أما بالنسبة للقرار الثانى ، فقد بدت براعة عبد الناصر واضحة فى تقليص دور الأزهر الشامخ على مر العصور وتحويله إلى مجرد جامعة لا تكاد تختلف عن غيرها من الجامعات وكان ذلك جزءاً من سياسته العامة فى أضعاف كافة المؤسسات الرسمية والشعبية .

على كل حال ، يمكن القول بأن نوعاً من المساواة الطبقة قد تحقق بين المواطنين ، فقد أضررت المصالح الأجنبية كلها أيا كانت هويتها الدينية ، كما أضررت معظم المصالح الرأسمالية المحلية أيا كانت الطائفة التى تنتمى إليها ، كما أن الفئات الإجتماعية الواسعة التى استفادت من الأرض والصناعة والتعليم لم يفرق القانون بين طوائفها .

ومن الطبيعى أن إجراءات التأميم التى قامت بها الحكومة عام ١٩٦٠ / ١٩٦١م قد قضت على عدد كبير من الأعمال والصناعات والوظائف المهنية والفنية التى كان للأقطار فيها نسبة عالية . فى قطاع النقل (شركات الأنوبيس داخل القاهرة وبين الأقاليم) كانت

خسارة الأقباط بنسبة ٧٥٪ ، حيث أمت شركتى أتوبيس « إخوان مقار » و « الأسيوطى »
وكانتا تغطيان أكثر من ثلاثة أرباع القاهرة ، والباقي تغطيه شركة أتوبيس « أبو رجيلة »
كما أمتت شركة « حكيم مرجان » التى كانت تغطى القطر كله ، وكانت تعد الشركة
الكبرى الوحيدة تقريباً فى النقل بين الأقاليم .

وفى مجال الصناعات ، أمت - على سبيل المثال لا الحصر - مصانع فؤاد جرجس ، وعطية
شونده ، وتاجر ، وكحلا ، وعلى الجانب الآخر لم تكن هناك مصانع ذات أهمية ، باستثناء
أحمد عبود .

أما البنوك ، فقد كانت غالبية رأس المال المساهم فى بنك القاهرة لموريس دوس وغيره
من الأقباط ، وكذلك الحال بالنسبة لبنك مصر ... وهكذا ..

ويمكن القول بإنجاز أنه بمجرد النظر فى كشف ، الشركات الملحق بقرارات التأمينات
التي صدرت عامى ٦١ / ١٩٦٢م ، يتضح بسهولة مدى الأضرار والخسائر التي حاقت
بكبار أقباط الرأسمالية الخلية من جراء التأمينات .

ولا يمكن إغفال قطاع الأراضى الزراعية ، فقد أصابت قوانين الإصلاح الزراعى عدداً
كبيراً من الأقباط . وتصادف أن نسبتهم بين كبار ملاك الأراضى الزراعية إلى عدد المسلمين
كانت أعلى من نسبتهم العامة ، مما أدى إلى انتقال الملكية إلى صغار المزارعين أو المعدمين ،
وهؤلاء غالبيتهم العظمى من المسلمين . ومن الطبيعى إن قوانين الإصلاح الزراعى لم تستهدف
تلك النتيجة ، وإنما جاءت تلقائياً دون تخطيط (وهذا بصرف النظر عن النتائج الإقتصادية
للإصلاح الزراعى والتي ظهرت على المدى الطويل وارتبطت بأسباب تدهور الإنتاجية
الزراعية المصرية) .

وعلى أية حال ، فإن التأمين وغيره من القوانين الإشتراكية ، مثله فى ذلك مثل أى حدث
فى أى مكان آخر بالشرق الأوسط ، كان عليه أن يختار طريق الارتباط بالدين الإسلامى
للحصول على التأييد المعنوى والنفسى والفكر للأغلبية المسلمة من الجماهير ، وكان هذا
طبيعياً ، فإن الجماعة الحاكمة المكونة من مسلمين يتمتعون فى غالبيتهم لطبات دون الطبقة
العليا ، نظرت إلى الولة فى إطار إسلامى ، وساعدها على ذلك ما أعلنه عبد الناصر بوضوح
بمناسبة التأمين شبه الشامل للإقتصاد المصرى من أنه لم يستلهم هذا العمل من الأفكار
الماركسية أو اللينينية . وشاعت أوقال نبي الإسلام والصحافة تؤيد كلها مطالب العدالة
الإجتماعية . فذاع فى كتابات الكتبا والمفكرين القول المأثور عن « أبو ذر الغفارى » :
« ثلاث للناس جميعاً : نار والماء والكلا » وتلك كانت وسائل الإنتاج فى الوقت الذى قبلت

فيه ، واعتبرها أبو ذر الغفارى ملكاً للمجتمع وقام بعض رجال الدين المسيحي بمجارات هذا الإتجاه بتفسير العلاقة بين الإشتراكية والمسيحية مستندين فى ذلك إلى حياة السيد المسيح وتلاميذه من بعده . ولا شك أن تلك الإجراءات قد شغلت الجميع تماماً عن الشعور بأى توتر طائفى والإنبهاك فى ملاحقة التطورات السريعة بالمجتمع .

واعتمد النظام الحاكم فى تنفيذ سياسته الاقتصادية على جهاز الإدارة المدنية كجهاز وحيد يستند إليه فى تقبل الجماهير لنشاطه السياسى (طالما أنه يصعب عليها تقبل الجهاز العسكرى) . ولكن هذا الجهاز كان أكثر مؤسسات المجتمع المصرى التى تظهر فى تكوينها أو فى مسئلتها ظواهر التفرقة بين المسلمين والأقباط لأسباب تاريخية ترجع إلى طابعه المحافظ وإلى ضعف أثر حزب الوفد صاحب مبدأ الجامعة المصرية الوطنية فيه .

إذا كان الأمر كذلك ، فإن إستناد النظام على هذا الجهاز الأوحى فى النشاط السياسى كان من شأنه الإبقاء على هذه الظواهر ، يضاف إلى ذلك الأسلوب الذى روعى فى إختيار قيادات الجهاز وأقسامه الهامة على أساس لن يكونوا من أهل الثقة . وهم فى الغالب أما من الضباط الأحرار بوجه خاص (والذين لم يكن بينهم سوى ضابط قبطى واحد لم يكن له وزن أو دور سياسى يذكر) أو ممن يتصلون بهم بروابط شخصية وثيقة من بين زملائهم الضباط . وعلى ذلك كان من شأن الإجراءات ، الاقتصادية سابقة الذكر أن جمدت أوضاع العاملين فى المشروعات المؤممة الذين وصلوا إلى مستويات بالغة الإرتفاع وظل الأمر كذلك لفترات مقبلة . وقد ترسب مع هذا الوضع شعور بعدم الإرتياح لديهم عامة ، ولدى الأقباط منهم خاصة ، سيما وأن وظائف الإدارة العليا كانت شبه محصورة فىمن سماوا « أهل الثقة » .

الأقباط فى الحياة السياسية :

يلاحظ إن حركة الجيش فى ٢٣ يوليو ١٩٥٢م قامت على تنظيم سرى للضباط الأحرار . ولم يكن ضمن هذا التنظيم سوى قبطى واحد ينتمى إلى الصف الثانى بالحركة . ويفسر الأستاذ طارق البشرى هذه الظاهرة ، بأن الجيش كان خاضعاً للنفوذ التقليدى للملك قبل عام ١٩٥٢م . ولا يلحظ إن كان للوفد نفوذ مؤثر على المؤسسة العسكرية المصرية ،

(١) طارق البشرى ، المرجع السابق . ص ٦٧٦

(٢) حمزة حر ، مصدر سابق ص ١٥١ .



رجال الدين : من كل مكان كانوا يجتمعون إليه ، مع وفد من مسلمي عانا . ووفد آخر من مطارنة الأقباط
المصريين في الدقهلية وقنا وقوص وسوهاج والمنشأة عام ١٩٥٦

حتى فى فترات حكمه القليلة المتباعدة ، ومن ثم بقى الجيش يحمل فى تكوينه العضوى أثراً للتفرقة بين ، المسلمين والأقباط . وبخاصة الرتب العالية^(١) . فجاء تنظيم الضباط الأحرار على شاكلة المؤسسة التى إنبثق منها . كما كثر بالتنظيم فى بدايته من يتمون إلى الإخوان المسلمين أو إلى مصر الفتاة من حيث الأصول السياسية لهم ، ومن ثم حملوا أثراً لتنظيمات الثلاثينات . لذلك لم يكن هناك فى ليلة ٢٣ يوليو من يحمل رتبة لواء سوى قبلى واحد ، كما أنهم لم يكن هناك من يحمل رتبة أميرالاي إلا اثنين منهم^(٢) .

ومع غياب الأحزاب عن الساحة السياسية ابتداء من يناير ١٩٥٣ م ، لم يعد ممكناً لأى قبلى يرشح نفسه للإنتخابات أن ينجح ما دامت لا توجد الأحزاب التى يستند إليها ونتيجة لذلك لم ينجح فى إنتخابات مجلس الأمة عام ١٩٥٧ م قبلى واحد . ولهذا عمد عبد الناصر إلى إبتكار أسلوب جديد لم يمارس من قبل . حتى يضمن تواجد الأقباط فى مجلسه النيابى . فقرر إدارياً « قفل » عشر دوائر اختيرت بدقة ، حيث التواجد القبلى فيها محسوس وملحوظ . وذلك بأن قصر الترشيح على الأقباط وحدهم مستفيداً من أن المرشح لابد أن يحصل على موافقة الاتحاد القومى (فى ذلك الوقت) والذى كان له حق الإعتراض على أى مرشح دون إبداء الأسباب ، وتركت هذه الدوائر للتنافس بين المرشحين الأقباط وحدهم ، مع اشتراك كل أهالى تلك الدوائر أقباط ومسلمين فى عملية الإنتخاب^(٣) .

بيد إن هذا الأسلوب لم يقدر له النجاح فى أية إنتخابات تمت بعد ذلك . ومن ثم تقرر العدول عن أسلوب قفل الدوائر فى الإنتخابات التالية . (١٩٦٤ م ، ١٩٦٨ م ، ١٩٧١ م ، ١٩٧٦ م ، ١٩٧٩ م) . وعولج الأمر باتباع مبدأ دستورى جديد ، وهو منح رئيس الجمهورية سلطة تعيين عشرة أعضاء فى المجلس النيابى . وروعى فيما بعد أن يكون المعينون أقباطاً غاليينهم أو كلهم . وبدأ الأمر وكأن الدولة تتفضل على إحدى الطوائف بما قد لا يسمح به المجتمع ، رغم أنها لم تعط هذا المجتمع الفرضة الحقيقية لإبداء رأيه عن طريق المشاركة السياسية الحقيقية وبإتباع الأسلوب الديمقراطى غير الملقق . وبهذا التعيين أيضاً بدا النظام الحاكم وكأنه يعترف بوجود درجة من الطائفية من حيث يقصد أولاً يقصد التخفيف

(١) أحمد حمروش : قصة ثورة ٢٣ يوليو ، الجزء الثانى .

(٢) د. ميلاد حنا : « نعم أقباط .. لكن مصريون » ، (القاهرة : مكتبة مبدول ١٩٨٠) ، ص ٨٦ -

٨٧ . فى سميرة نجر - مصدر سابق ص ١٥٢ .

(٣) مقابلة شخصية لسميرة نجر مع الرائد السابق للجماعة الأستاذ إبراهيم فهمى هلال المحامى .

عن حديثها . وزاد من الأمر سوءاً إن الوزارات التي تولاهما مسيحيون طوال حكم عبد الناصر كانت من الوزارات المامشية وتم إختيار أقباط لها من فئة التكنوقراطيين . وكان الإختيار لهذا الوزير أو ذاك مبنياً على حسن سمعته وعلى تخصصه الدقيق في مدياته ، وغالباً ما كان إستاذاً جامعياً .

وقد نجم عن هذا النظام - « التعيين » - تولد الشعور لدى قطاعات من الأقباط بأنهم الفعل أقلية ، عليهم أما أن يقبلوا أن يعاملوا بهذه الصفة في مختلف المجالات ، وأما أن يعترف بهم كمواطنين لا كمرعايا فيعاملون كبقية المواطنين ، ولذلك فإن غيابهم عن كثير من المناصب الرئيسية في أجهزة الإدارة أو في مقاعد المجالس النيابية والشعبية - رغم ما يراه بعضهم من كفاءات بين صفوفهم - أدى بهم إلى الإعتقاد بأن المجتمع لا ينصفهم لا كأقلية (أى بمراعاة التمثيل الطائفي) ولا كمواطنين (أى بمراعاة مبدأ الكفاءة وحده) . ولعل هذا الشعور كان الدافع لهجرة عدد كثير من أقباط مصر إلى الخارج وبخاصة إلى العالم الغربي ، سخطاً على ما اعتبره المهاجرون عقبات في وجه طموحهم المالى أو المهني أو كآل حقهم كمواطنين ، ورغم أنهم بهذه الهجرة يفقدون الأقباط المقيمين في وطنهم الأم عزة المهاجرين العديدة والفنية بوصفهم من أنجب أبنائهم .

ومن الأمور المهمة بالنسبة لنشاط السياسى المسيحى في عهد عبد الناصر ظهور (جماعة الأمة القبطية) كزاد فعل لجماعة الإخوان المسلمين ، ولترك الباحثين المسيحيين أنفسهم يقدمون تحليلهم لنشاط هذه الجماعة .

تقول سميرة بحر :

نتيجة لانتشار تنظيم الإخوان المسلمين وتغلغله في جميع أنحاء القطر المصرى ، تكونت جماعة « الأمة القبطية » للدعوة إلى إحياء القومية القبطية في مواجهة الفكر المفرق في الإتجاه الدينى الإسلامى الذى روجت له جماعة الإخوان المسلمين . وهى جمعية أسسها محام شاب عمره عشرين سنة في ١١ سبتمبر سنة ١٩٥١م . وكان مركزها القاهرة ، ولكن سرعان ما انتشرت في جميع أنحاء مصر ، حتى بلغ عدد أعضائها ٩٢٠٠٠ عضو أغلبهم من الشباب (وقد استمر نشاط الجماعة سنة ونصف من ١١ سبتمبر ١٩٥١م إلى ٢٤ إبريل ١٩٥٥م .

وأعلنت الجماعة أن غرضها دينى إجتماعى محض وتسمى لرفاهية الكنيسة الأرثوذكسية وليس لها الإشتغال بالسياسة ، وذلك بتطبيق حكم الإنجيل على أهل الإنجيل ، وتكلم « الأمة » القبطية باللغة القبطية ، أما وسائل الجماعة في سبيل تحقيق هذه الأغراض فهى .

١ - التمسك بالكتاب المقدس وتنفيذ جميع أحكامه عن طريق دراسة علمية حديثة وأن يخرج

- منه العلم بجميع فروعه .
- ٢ - دراسة اللغة القبطية بطريقة علمية حديثة وإحلالها محل اللغات الأخرى ،
والتمسك بعادات وتقاليد « الأمة » القبطية ، ودراسة تاريخ « الأمة » القبطية ،
والتعامل على أساس التقويم القبطى .
- ٣ - إصدار جرائد يومية وأسبوعية وشهرية تكون المنبر القوى للدفاع عن « الأمة »
القبطية ، وبهذا يوجد رأى العام القبطى .
- ٤ - مطالبة الحكومة رسمياً بإنشاء محطة إذاعة خاصة ب « الأمة » القبطية .
- ٥ - الإهتمام بالدعاية محلياً ودولياً « للأمة » القبطية والعمل على احترام الكرسى البابوى
وتكريمه .
- ٦ - الإهتمام بالناحية الرياضية بمختلف وجوها .
- ٧ - إنشاء درار كبرى تسمى المركز الرئيسى للجماعة فى وسط القاهرة بجوار الأحياء
القبطية (الفجالة ، شبرا ، القلى ، الأزبكية) تجمع فيه مؤسسات ومشروعات
الجماعة .

يتضح مما تقدم أن هذه الجماعة قد تكونت للوقوف فى وجه جماعة الإخوان المسلمين
وعلى نخطها من حيث الحماسة الدينية ، وإن لم تصل إلى نفس قوتها . وبالنظر إلى أهداف
الجماعة المشار إليها آنفاً ، يتضح مدى تشدد برنامجها وإشتغال وسائل تحقيق هذه الأهداف
على استعمال القوة ، كما هو الحال بالنسبة للإخوان المسلمين ، وكما حاول الإخوان إزاحة
عبد الناصر بعيداً عن المسرح السياسى بعد أن قام بحل جماعاتهم عام ١٩٥٤م ، وكذلك
تحركت جماعة « الأمة القبطية » ضد البطريرك الأنبا يوساب الثانى بعد حلها رسمياً فى ٢٤
إبريل ١٩٥٤م وأجبرته على التنازل عن منصبه الدينى بالتهديد فى ٢٤ يوليو سنة ١٩٥٤م .

وكانت شعبية هذه الجماعة محصورة - أساساً - بين الشباب القبطى ولعل ذلك يرجع
إلى أن العناصر الأكثر نفوذاً وجاهاً فى المجتمع هى نفسها الأكثر مقاومة ومعارضة لمثل هذه
التنظيمات القائمة على استعمال العنف والتشدد ، إذ لابد أن يخسر أفراد هذه العناصر ثرواتهم
ومراكزهم المتأخرة إذا هم أعلنوا عداوتهم لنظام الحكم القائم . ومن ثم جذبت « الأمة
القبطية » الشباب على وجه الخصوص ، لأنهم لا يملكون الكثير ليخسروه ، ولأنهم كانوا
يائسين عاجزين مما كان يدفعهم إلى معاناة الكثير فى سبيل الحصول على الوظائف فى الإدارات
وإصلاح الحكومية وفى مجال القضاء .. الخ .

على إن استعمال العنف الذى مارسته جماعة الأمة القبطية فى حادث خطف البابا يوساب
الثانى - وفقاً لقول سميرة بحر - كان أمراً مخالفاً لطبيعة الأقباط ، ولم يقدر لهذا الأسلوب



البابا كيرلس .. بابا المسيحيين في مصر مع عبد الناصر

أن يعيش لأسباب عملية . ففى محاولة تجربة استعمال القوة مع المسلمين - أثناء نشاط الجماعة - كان واضحاً أن هذه الجماعة تقاتل قتالا غير متكافئ وكان مقدراً لها الخسارة . وكان لايد للجماعة أن تتجنب ، النتيجة المحتملة التى بنت عليها مقدمة أعمالها (وهى أن المسلمين فى حالة حرب مقدسة ضد غير المسلمين) لأن النتيجة ستكون فى هذه الحالة بالضرورة مزيداً من المتاعب ، وتعرض الأقباط لشبهة التعصب الدينى والطائفية المرذولة .

رابعاً : عبد الناصر والطرق الصوفية :

للمحدث التفصيلى عن علاقة عبد الناصر بالطرق الصوفية ، نتمحور الحديث حول النقاط التالية :

(١) أهم الطرق الصوفية فى مصر :

صدرت فى عام ١٣٢١هـ - ١٩٠٣م لائحة الطرق الصوفية التى تعددت وكثرت بمصر كثرة مشاهدة وأهم هذه الطرق اليوم هى :

١ - الأحمدية وفروعها هى :

الأبائية الأحمدية - البيومية - التسقيانية - الحلبية المحمودية - الزاهدية - السطوحية - الإسلامية - الشعيبة الشناوية - الفرغلية - الكناسية الأحمدية - المرازقة - المنايفة .

٢ - البرهامية وفروعها هى :

البرهامية - الشرنومية البرهامية - الشهاوية الرهامية .

٣ - الخلوتية وفروعها :

البكرية الخلوتية - التفتازانية الخلوتية - الخضرية الخلوتية - اللمرداشية الخلوتية - الرحمية القنائية - السمانية الخلوتية - الصاوية الخلوتية - الضيقية الخلوتية - المروانية الخلوتية - المسلمية الخلوتية - المصيلحية الخلوتية - المغازية الخلوتية - الهراوية الخلوتية .

٤ - الرفاهية وفروعها هى :

العزازية - الرفاعية .

٥ - السعدية وفروعها هي :

السعدية - الشيبانية - التغلبية .

٦ - الشاذلية وفروعها هي :

الادريسية - الجوهريّة - الحامدية - الحمدوشية - السلامية - العروسية - العزامية -
العفيفية - الفيضية - القاسمية - القاوقجية - المحمدية - المدنية الميرغنية - الختمية -
الهاشمية - الوفاية .

٧ - السادة العنانية :

٨ - القادرية وفروعها هي :

الفرضية - القاسمية .

هذا عدا طرق أخرى أقرها المجلس الصوفي فرياً ، وعدا طرق لا يزال لها مرشحون
ولم تشغل بعد . وجميع هذه الطرق يرأسها المجلس الصوفي الأعلى .

(٢١) أشهر أعلام التصوف من ١٩٥٢ - ١٩٨٠ م :

الشيخ حسونة النواوى .
الشيخ سليم البشرى المالكي .
الشيخ محمود الدينارى .
الشيخ عبد الحليم قادوم .
الشيخ محمد عبد الله أبو النجا .
الشيخ السيد محمد خفاجى الدمياطى .
الشيخ حسين والى .
الشيخ محمد بخيت المطيعى .
الشيخ محمد الأحمدي الظواهري .
الشيخ محمود خطاب السبكي .
الشيخ نافع الجوهري الخفاجي .
الشيخ محمد الغنيم التفتازاني وغيرهم .

أشهر أعلام التصوف في الفترة الزمنية للبحث :

— المرحوم السيد العلامة المحدث العارف بالله الشيخ سلامة العزامي النقشبندى

- العلامة الصوفى الداعية إلى الله السيد محمد الحافظ النجاتى شيخ الطرق التيجانية .
- الشيخ الواصل نجم الدين الكردى
- الشيخ الأكبر الشيخ إبراهيم حمروش .
- رائد العشيرة المحمدية فى مصر سماحة الشيخ محمد زكى إبراهيم .
- سماحة شيخ الطريقة التفتازانية الأستاذ الدكتور أبو الوفا التفتازانى .

المنهج المتبع فى الإنتساب إلى الطرق الصوفية بمصر :

يحدثنا صاحب جامع الأصول عن كيفية الأخذ والإنتساب إلى الصريق فيقول : أعلم أن الأخذ والانتساب إلى الطرق على أربعة أقسام . أحدها أخذ المصافحة والتلقين للذكر ، وليس الخرقه ، والعذبة للتبرك أو للنسبة أبضا فقط .

وثانيها أخذ رواية وهو قراءة كتبهم من غير حل لمعانيها وهو يكون للتبرك أو للنسبة أبضا فقط .

وثالثها .. حل كتبهم لإدراك معانيها لذلك فقط .

ورابعها .. أخذ تدريب وتهذيب وترقى فى الخدمة بالمجاهدة للمشاهدة والفضاء فى التوحيد والبقاء وهو المراد العزيز وجوده . وعلى هذا المعول أكثر الطرق .

ويصح الإنتساب أيضاً بالاتباع والمشاركة ، ولو فى شىء يسير مع المحبة لهم كتلاوة حزب من أحزابهم ولذا قال الشاذلى من قرأ حزبنا هذا فله ما لنا وعليه ما علينا .

ومن ذلك نلاحظ أن المنهج الآن فى كل الطرق هو أخذ المهود على المريدين بعد إستانبتهم عن المعاصى ، وبعد أخذ العهد على المريد يمضى فترة فى الطريقة حتى يكمل فيجيز شيخه المباشر الذى هو خليفة الطريقة ، فيطلب عندئذ من شيخ الطريقة إعطاء هذا المريد أجازة الطريق ، وهى شهادة تحتوى تاريخ الطريقة وأسانيدها ، وتشهد بأن هذا المريد أصبح قادراً على إرشاد غيره من المريدين وإعطائهم المهود .

والملاحظ أن هذه الطريقة . لأخذ المهود على المريدين هى نفس الطريقة المتبعة تقريباً فى القرن السابع الهجرى . فكما أوضحنا سابقاً أن الطريقة انتهت فى القرنين السادس والسابع الهجريين والقرون التالية لهما إلى أن ، أصبحت عهداً بين شيخ ومريد على التوبة والإستقامة .

غير أنه بعد القرون التالية للسابع الهجرى قد زاد على ذلك العهد السفهى تلك الشهادة

المطبوعة التي تشهد بأن المريد أصبح قادراً على إرشاد غيره من المريدين وعلى إعطائهم المهود أو ما يسمى أجازة الطريق .

(٣) عبد الناصر والطرق الصوفية :

كان للطرق الصوفية فى المجتمع المصرى عبر تاريخها الطويل ، والذى بدأ مع مقتل الإمام الحسين بن على بالعراق ورحيل أهله إلى مصر ، ونشأة المتشيعين لهم والمتباكين على مقتل الإمام الحسين^(١) ، أثر سياسى واجتماعى مهم فى تشكيل الشخصية المصرية وبالذات فى القرى المصرية وفى الأوساط الشعبية المصرية ، وخاصة إذا علمنا أن عددها فى مصر قد بلغ ٦٧ طريقة صوفية تحتوى ٦ ملايين مواطن بالإضافة إلى الأشكال والتنظيمات المساندة لحركتها^(٢) .

ولعبت الطرق الصوفية خلال القرن الحالى دوراً مزدوجاً فى قضايا الديمقراطية والإستقلال والتنمية والصراع الخارجى ، إذ يتميز دورها فى أغلبه بالترير لسياسات الحاكم والمساندة الروحية له من ناحية ، كما تتميز بكونه أداة ضابطة لممارسات السلطة وخاصة تجاه بعض الأمور الدينية كقضايا الأحوال الشخصية من ناحية أخرى ، وكان للقدرات التى تتمتع بها الطرق الصوفية فى التأثير على اتباعها وخاصة فى توجيه طاقاتهم السياسية وجهة صوفية بعيدة نسبياً عن أساليب العنف والرفض التى ميزت التيارات الدينية الأخرى ، وبالأخص الإخوان ، المسلمين ، ولقد قبلت هذه الدعوة باقبال متزايد من الجماهير ، ويعود ذلك إلى عوامل متعددة ، تأتى فى مقدمتها المعاناة الاقتصادية والقهر السياسى ، وبعض الموروثات الثقافية القديمة منذ عهد الفراعنة ، وجميعها ولدت تجاوباً ماهرياً مع هذه الطرق ، ويمكن تلمس أبعاد العلاقة بين النظام السياسى الناصرى والطرق الصوفية من خلال مستويين من التحليل .

الأول : فكرى ويحدد مدركات الطرق الصوفية إتجاه القضايا السياسية الملحة فى هذه الفترة والتى تحدد بالتالى موقفهم الفكرى أو النظرى من النظام السياسى .

(١) بتفصيل أكثر انظر :

د. سيد عويس : الإبداع الثقافى على الطريقة المصرية (القاهرة ، دار الطباعة الحديثة ، ١٩٨١) ص ٤٨ - ٩٠ .

(٢) المصدر السابق ، ص ١٤٦ .

الثانى : عملى ويشير إلى المواقف العملية للطرق الصوفية خلال هذه الفترة إتجاه القضايا والأزمات السياسية وقتها .

١ - المستوى الفكرى :

يمكن تلمس أبعاد هذا المستوى من خلال تحليل رؤية الطرق الصوفية لكل من القضايا الداخلية إلا تماعية والسياسية كالإشتراكية والديمقراطية والقضايا الخارجية السياسية كالقومية العربية والمواجهة مع الصراع الخارجى .

أما بخصوص القضايا الداخلية فقد كان للطرق الصوفية موقف مؤيد للنظام السياسى الناصرى إتجاه أغلب هذه القضايا ، وإن بدا فى بعض الفترات القليلة أن للطرق الصوفية موقفها المخالف لتوجهات النظام فإن هذا لا يخفى التوجه العام الذى ميز رؤيتهم فالإشتراكية تمثل لديه :

نوعاً من السمو بكرامة المواطنين جميعاً ، ولقد وجهت الجمهورية العربية شطراً من عنايتها لتقريب المسافات بين غنيهم وفقيرهم ، حتى يكون الجميع سواء فى حق الحياة وحتى تتوثق الرابطة بينهم ، ومن المعلوم أن هذه النقطة أساسية فى برنامج الإسلام فقد حض على البذل ووضع الثروة فى مكانها من عدد الحياة ، وحذر من كثر الأموال ، ومن الأغنياء السبل إلى الإثثار والإعطاء ، وأبعد عن الفقراء شعور الحرمان ومرارة العوز وجهود الخلفاء فى تعهد هذه الناحية فى الرعية معلومة^(١) .

والإشتراكية الصوفية ليست دعوة إلى تقنين الإلحاد أو للتحلل من بعض قيمنا الخلقية والتي نعتز بها كمسلمين وكعرب بل وكبشر ، فإن إشتراكيتنا مؤمنة لا ملحدة ، فاضلة لا فاجرة ، اشتراكية قوم يأمرؤن بالمعروفة ، وينهون عن المنكر ويؤمنون بالله^(٢) وعبد الناصر لديهم هو :

قائد البعث العربى وموجه تاريخنا ، ومحرر الشعب العربى من آثار المواريث الرجعية ومن قيود الطبقة والاستغلالية وهو الذى وقف ليعلن حق الإنسان فى حياة فاضلة ، وفى

(١) د. محمد خلف الله أحمد : المخطوط الكبرى للنهضة الإسلامية ، مجلة الإسلام والتصوف ، سبتمبر ١٩٦١

() مجلة شهرية تصدر عن مشيخة الطرق الصوفية - القاهرة) ص ١٦ - ١٧ .

(٢) سعيد حمزة مكرم المحامى : اشتراكيتنا مؤمنة لا ملحدة : مجلة الإسلام والتصوف ، المصدر السابق ، ص ٣٤ .

عمل شريف وفي مجتمع تتكافأ فيه الفرص وتتساوى فيه الأقدار وتعملون فيه الطاقات ،
مجتمع يسير على تخطيط هادف وعلى منهج محرر يستهدف التوازن ، الإقتصادى والعدل
الإجتماعى والبعث والإنطلاق للقوى الشعبية العاملة^(١) .

وتصل قيمة العدل لدى الطرق الصوفية إلى قمته عندما يصبح هو جوهر الرسالة
الإسلامية وهو مفتاح السعادة للبشر^(٢) ، وهو ما يتمشى فى واقع الأمر مع رؤية النظام
السياسى وقتها . وإشارات الكتابات إلى قضية التعليم ، وضرورة التربية الدينية للطلاب ،
وأن تحوى المناهج التعليمية على الجرعة الدينية الكافية ، وهنا تطالب الطرق بأن على
السادة المرين أن يوجهوا نظر تلاميذهم إلى الأنوار المتلألئة فى آيات القرآن الكريم ،
وأن يعلموا تلاميذهم أن كتاب الله كتاب هداية ربانية وحياة إنسانية إيجابية مثالية والحديث
لشيخ مشايخ الطرق الصوفية محمد علوان^(٣) .

وواجب طالب العلم فى أدب الطرق الصوفية أن ينظر للعلم نظرة تقديس وإجلال وإحترام
وأن يعلم أن العلم جهاد للكمال وأن طاعة الله تعين على العلم وإن رياضة الروح تفتح
عين القلب ، وعين العقل ، وإن العلم إذا وصل إلى نفس شريفة غدا شراً على نفسه وعلى
الإنسانية كافة ، فالعلم فى الإسلام ليس بمهنة أو حرفة أنه رسالة ولهذه الرسالة أهداف
إنسانية ، وطلب العلم فى نظر الإسلام جهاد فى سبيل الله^(٤) .

ويلاحظ على موقف الطرق الصوفية من قضية التعليم أنها تعمدت إغفال دور الدولة ،
وركزت الحديث على طالب العلم وعلى المعلم ، وعلى رسالة العلم ، أما دور النظام
السياسى فى هذه العملية ، فلم تشر إليه أديبات الصوفية . ولقد واكب الدعوة للعلم هذه

(١) محمد علوان : الرسالة ، مجلة الإسلام والتصوف ، نفس المصدر ، ص ٤٩ - ٥٠ .

(٢) عبد المنصف محمود عبد الفتاح : (العدل مفتاح السعادة ، مجلة الإسلام والتصوف) (نوفمبر ١٩٦٠)
ص ٥٧ - ٦٠ .

(٣) محمد محمود علوان : القرآن ووجوب العناية به فى مدارسنا وحياتنا ، مجلة الإسلام والتصوف (ديسمبر
١٩٦٠) ص ٣ - ٦ .

(٤) محمد محمود علوان : التصوف والتربية الخلقية فى مدارسنا وجامعاتنا ، مجلة الإسلام والتصوف
(سبتمبر ١٩٥٨) ص ٣ - ٦ .

دعوة موازية إلى تخليص المجتمع من الخرافات ، وبالأخص تخليص الطرق الصوفية مما علق بها من شوائب ودعوات لا تمت إلى صلب منهجها بصله^(١) .

أما بخصوص علاقة الحاكم بالمحكوم فتشير بعض الكتابات إلى أنه قد بنى الحكم في الإسلام وفق أسس واضحة .

* بنى الحكم في الدولة الإسلامية على أساس العدل والمساواة وأن يكون اختيار الحاكم على أساس الشورى وحكمه على أساس الشورى ، كما أن على الحاكم أن يلاحظ مصلحة الجماعة المادية والأدبية فلا يرهق أحداً من أمره عسراً ، ودعا إلى رفق الوالي برعيته ، وإن على الحاكم أن يحمي المجتمع من الرذائل والمفاسد .. وهكذا نجد تلك النصوص قد أقامت المجتمع في الدولة الإسلامية التي تضم المسنم وغير المسنم على أساس من العدالة والرفق والشورى والمصلحة والتعاون ومنع الفساد والآثام التي تفتك بالمجتمع^(٢) .

وهي ذات الدعوة التي طالبت بها الطرق الصوفية عند الحديث عن وضع الدستور الجديد حيث ينبغي أن ينص الدستور على أن يكون مصدر قوانيننا وتشريعاتنا الإسلام وما يتلاءم مع أهدافه وغاياته^(٣) .

وفي هذه القضية نرى تأكيد الطرق الصوفية على مسألة العموميات حيث لا نجد تفاصيل لعملية تنظيم المجتمع إسلامياً ، وحيث ما يهم هو الإشارة إلى أن الإسلام الدين الرسمي للدولة دونما تحديد للكيفية التي يتم بها هذا ، ولم يكن في أى من هذه ما يتناقض مع التوجيها الفكرية العامة للنظام السياسى .

أما بالنسبة للقضايا الخارجية فقد كان للطرق الصوفية رؤيتها إتجاه بعض القضايا التي عاشتها مصر إبان الفترة (١٩٥٢م - ١٩٧٠م) ، وكانت قضية القومية الحربية من أهم القضايا التي شغلت القوى الدينية والسياسية على إختلافها ، وكان للطرق الصوفية رؤيتها

(٢) د. عبد الحليم محمود : تخضير الأرواح والتصوف والتحلل من الشريعة ، مجلة الإسلام والتصوف (نوفمبر ٥٩) ص ٦٢ - ٦٦ . كذلك حديث مع شيخ مشايخ الطرق الصوفية في مجلة الإسلام والتصوف (يوليو ١٩٥٨) ص ٤٨ - ٥٠ .

(١) الشيخ محمد أبو زهرة : المجتمع الإسلامى ومصادر تنظيمه ، مجلة الإسلام والتصوف (ديسمبر ١٩٦٠) مصدر سابق ، ص ٦٤ .

(١) فوزى عرفة : بعث وانبثاق : مجلة الإسلام والتصوف (مارس ١٩٦١) ص ٦٤ .

إنّما هذه القضية حيث :

* العروبة التي نادى بها ليست حركة جنس أو لون إنّما حركة بعث لأمة كبرى تحيل أخطر منطقة في الكوكب الأرضي وتمثل أرضها قلب العالم النابض وتمثل فوق هذا كله ، إنها أرض النبوات والرسالات ، أرض الإشعاع الروحي الذي تنفخ إليه الإنسانية ، وتزود منه بيقينها وإيمانها ، إنها حركة مبادئ تستند إلى موارث خادلة ، وتصور لونا من الحضارة المؤمنة ، وتقدم منهجاً لأمن الإنسانية وسعادتها وأخوة الإنسان وتعاون مع أبناء البشرية كافة^(١) .

وقراءة الطرق الصوفية للتاريخ العرفي نهتهم إلى ثلاثة عوامل كان له أثرها في نشأة القومية العربية الأول مما كان بين صحراء الجزيرة والبيئات المجاورة لها من اتصال في القديم ، والثاني : السبق الحضاري الذي جعل من بعض بلاد تلك المنطقة تربة صالحة نمو مدينة عالية راقية ، والثالث الدين الذي أضفى على تلك المنطقة صفاء وروحانية ووضع لها أصول نهضة تشريعية وفكرية جديدة ، وأمدّها - كما يقولون - بالإدارة الثقافية الضرورية للرق الفكرى والإجتماعى وهى اللغة الخصبّة الموحدة^(٢) .

وتأكيداً لمواكبة الفكر الصوفي لتطورات قضية القومية العربية والوحدة نشرت مجلة الإسلام والتصوف تفصيلاً لعلاقة مصر بالبلدان العربية المجاورة كالسودان وتونس والجزائر واليمن وحجم نوعية العلاقة بينهم^(٣) .

وكان للطرق الصوفية موقفها الفكرى أيضاً إنّما مواجهة ضد العدوان الخارجى وتبدي هذا في إعلانها على لسان شيخ مشايخ الطرق الصوفية إبان العدوان الثلاثى على مصر بأن : اليوم الأمة العربية تدوى من حولها العواصف ويترصد بها جبابرة عتاة بغاة فيا أيها المتصوفة في كل مكان ، إن عبادة الله لا يستقيم ميزانها إلا بالجهاد في سبيل الله ، في سبيل خير أمتكم ، ورفاهية شعبكم وحماية وطنكم^(٤) .

(١) محمد محمود علوان : القرآن ووجوب العناية : مجلة الإسلام والتصوف (ديسمبر ١٩٦٠) ص ٤ .
(٢) د. محمد خلف الله حمد : الإسلام والقومية العربية ، مجلة الإسلام والتصوف (يناير ١٩٦١) ص ٢٢ .

(٣) يراجع : الباب الثابت « أعرف بلادك العربية » مجلة الإسلام والتصوف : أعداد السنة الأولى والثانية/ عامى ١٩٥٩/٥٨ - ١٩٦٠/٥٩ .

(٤) محمد محمود علوان : الروح والصوف والسلاح السرى للعالم الإسلامى ، مجلة الإسلام والتصوف (يوليو ١٩٥٨) ص ٥ .

ويدعوهم بوضوح إلى أن يتقدموا الصوف ، صفوف المجاهدين بأخلاقهم وإيمانهم وإلثار قلوبهم وصلوهم^(٢) . وعند الاحتفال بالانتصار الذي قاده عبد الناصر يصبح هذا الانتصار عيداً للإنسانية وللحرية العالمية ، وللتحول التاريخي^(٣) وهي ذات المواقف التي تبنت أثناء أزومة ١٩٦٧م التي اعتبرتها الطرق الصوفية شكلاً من أشكال المواجهة مع أوروبا ، ودعت إلى إستقاء خيرة صلاح الدين الأيوبي نتيجة تماثلها مع إحداث الفترة التي عاصرت مواجهة واضحة مع الغرب ممثلاً في الولايات المتحدة وإسرائيل وحلفائها^(٤) .

٢ - المستوى العملي :

في سبتمبر ١٩٥٩م وجه الشيخ - محمد محمود علوان شيخ مشايخ الطرق الصوفية - بياناً إلى الأمة العربية قال فيه : « إن معركة القومية العربية الدائرة الراهية الآن في العراق ليست معركة العراق وحده بل هي معركة العالم العربي كافة وندد بالنكسة الرجعية وحمامات الدم ، وأكد أنها تشكل خطراً على الكيان العربي كله وعلى مقدساته وعقائده وميراثه الروحي العالمي^(١) ، وفي الوقت نفسه دعا المجلس الصوفي الأعلى ، الطرق الصوفية إلى منع النساء من حضور حفلاتها المختلفة ، وكذلك أى مظهر من مظاهر الشعوذة^(٢) .

وكانت هناك نوايا إلى إعادة تجميع الطرق الصوفية التي وصلت إلى ٦٠ طريقة تضم ٣ ملايين مواطن في عام ١٩٦٣م تحت تنظيم جديد وبأهداف جديدة تتفق وقم المجتمع الاشتراكي وأن يقضى هذا التنظيم كما نوه رئيس المجلس الصوفي الأعلى بإنشاء مراكز ثقافية توجيهية لتدريب رجال الطرق وتجريد التقاليد الصوفية مما علق بها وتنظيم كئائب للخدمات الدينية والإجتماعية النافعة للشعب^(١) .

وبأن أحداث الصدام بين النظام السياسي والإخوان المسلمين عام ١٩٦٥م ، كانت الطرق الصوفية إلى جانب النظام ، حيث أصدر الشيخ محمد محمود علوان بياناً في مولد الإمام الرفاعي أعلن فيه أن رسالة التصوف هي الدعوة إلى الأمن والسلام ومحاربة أساليب

(٢) المصدر السابق .

(٣) محمد محمود علوان : أعياد المجد والبناء ، مجلة الإسلام والتصوف (يناير ١٩٦١) ص ٥ .

(٤) انظر د. عبد الحليم محمود : أوروبا والإسلام : مجلة التصوف والإسلام (فبراير ١٩٦١) ص ٢٢ - ٢٥ .

(١) الأهرام بتاريخ ١٩٥٩/٩/٢٤ .

(٢) الأهرام بتاريخ ١٩٦٠/١٢/٤ .

(١) الأهرام بتاريخ ١٩٦٣/٩/٨ .

تعنف والإرهاب وإن الإسلام حرم التآمر فى الخفاء والمفاجأة بالإثم والعدوان^(١) وقبل لإحتفالات بأعياد الثورة كان للطرق الصوفية موقفها أيضاً حين أصدر شيخها أمراً بنوه فيه حول ضرورة أن يكون الإحتفال مهيباً ويتفق وجمال المناسبة^(٢) .

وكان لا بد أن تصدر محاولات شتى لتطوير النظام الداخلى للطرق الصوفية ، وإن كانت فى أغلبها لم تأت بنتيجة عملية إلا على عهد السادات (عام ١٩٧٦ م) ، مثل ذلك المؤتمر الذى عقدته الطرق الصوفية بالمقر الرئيسى للإتحاد الإشتراكى لمناقشة تطوير الطرق الصوفية فى ظل النظام الإشتراكى ، وقدم شيخ مشايخ الطرق الصوفية فى ، بداية المؤتمر اللامحة الجديدة المعدلة لكمال الدين رفعت أمين الدعوة والفكر بالإتحاد الإشتراكى ، وأعلن شيخ مشايخ الطرق الصوفية تظهير صفوف رجال الطرق الصوفية من كل العادات والبدع التى تتنافى مع الإسلام ، كما أعلن عن إنشاء لجان شئون العالم الإسلامى رسالتها الإتصال بجميع الطرق الصوفية فى أنحاء العالم الإسلامى (وجمعها على كلمة الله فى إطار الإيمان والعمل الصالح لخير المجتمع الإسلامى)^(٣) .

وطالب كمال الدين رفعت - فى الإجتماع نفسه - أعضاء المؤتمر من رجال الطرق الصوفية بضرورة الإهتمام بالتوجيه الدينى الصحيح للشعب فى أنحاء الريف ، وقال إن الدين ليس أرباً وإن العمل أساس الجزاء فى الدنيا والآخرة ودعا إلى محاربة التعطل بالوراثة أو التكبس واستغلال إسم الدين وترك التواكل والسلبية والعمل الإيجابى المستمر^(٤) وتواصل مع الدور السياسى للطرق الصوفية أصدر المجلس الأعلى للطرق الصوفية بياناً فى إبريل ١٩٦٧م يستنكر فيه المؤامرات الرجعية للملك فيصل وشاه إيران والملك حسين والرئيس بورقيبة^(٥) .

وقبل النكسة - يونيو ١٩٦٧م - بأيام قليلة ، وتحديداً فى ٢٧/٥/١٩٦٧م ، أصدر شيخ مشايخ الطرق الصوفية بياناً مهماً يرر فيه إصدار الرئيس عبد الناصر أوامر لقوات الطوارئ ، الدولية لتتسحب من سيناء ، وإغلاق خليج العقبة ، وفسر هذه القرارات المهمة بقوله :

(١) الأهرام بتاريخ ١٠/١/١٩٦٥ .

(٢) الأهرام بتاريخ ٢٣/٧/١٩٦٦ .

(٣) الأهرام بتاريخ ٢٣/١١/١٩٦٦ .

(٤) المصدر السابق .

(٥) الأهرام بتاريخ ١٢/٤/١٩٦٧ .

* إلى أريد أن أوضح لكم - يقصد هنا أفراد الطرق الصوفية - أهمية هذا القرار بفلق خليج العقبة في وجه إسرائيل ، ولماذا فقدت صوابها وترنحت من حول اللطمة .. ذلك لأن لهذا القرار نتيجتين مهمتين : الأولى .. أن سفنهم ولاسيما حاملات البترول ستضطر للخروج حول أفريقيا عن طريق جبل طارق ثم تجتاز هذا البحر كله عرضاً حتى تصل إلى موانئهم ، وهي تستغرق ما بين أسبوعين أو ثلاثة وتحتاج السفن إلى استهلاك وقود يزيد على ثلاثة أمثال ما كانت تستهلكه لو أنها مرت عن طريق العقبة القصير ، الثانية .. أن خط أنابيب البترول الذي مدوه من خليج العقبة إلى حيفا وغيرها على البحر المتوسط قرار تاريخي يتعطل عن العمل ويأكله الصدأ .. إن هذا القرار تاريخي عظيم جعله الله حسرة في قلوبهم ، وختم به على أفئدتهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم .. وإن أرادوها قارعة فنحن والعرب والمسلمون لها . وأسودنا واقفة تنحرق شوقاً إلى الأمر بالإنطلاق وراء العدو ^(١) .

ويحدد المطلوب الآن من الطرق الصوفية في ثلاثة مطالب : الأول أن تنق بالقيادات ثقة قوية مضاعفة ، والثاني أن يأخذ كل منهم مكانه في الحرس الوطني أو الدفاع المدني والثالث أن يكرروا ما صنموه بالعدو إبان العدوان الثلاثي عام ١٩٥٦م من صلابة وشجاعة وإيمان ^(٢) .

وتأتى أحداث النكسة لتخلق وانتماً مغايراً للذي ابتغاه شيخ مشايخ الطرق الصوفية في رسالته إلى أبناء الطرق جميعاً ، وهو الواقع الذي اتسم بتوجيه الإنتباه إلى أهمية المسائل الروحية ، وأهمية أن يجمع الطرق الصوفية التي وصل عددها إلى ٦٠ طريقة ، طريق واحد وفقاً ، لرؤية شيخها الجديد ^(١) وتأخر مؤقتاً المسائل ، السياسية في برامجه ، والتي وصلت أوجها كما سبق القول قبل إحداث النكسة بأيام قليلة .

وفي ديسمبر ١٩٦٧م سار أكبر موكب صوفي رسمي في مصر تأييداً للقيادة السياسية في أعقاب هزيمة ١٩٦٧م ما يؤكد على إستمرارية دورها القديم في تأييد النظام السياسي وخاصة في أوقات الأزمات السياسية الداخلية أو الخارجية .

(١) الأهرام بتاريخ ١٩٦٧/٥/٢٧ .

(٢) المصدر السابق .

(١) أول حديث للشيخ مصطفى الطوخى ، الشيخ الجديد للطرق الصوفية ، الأهرام بتاريخ ١٩٧٠/٥/٢٢ .

وهكذا فمن واقع أفكار وممارسات الطرق الصوفية يتبين أنها بنتت سياسات أمت في أغلبها مؤيدة النظام النيابي وإن بدا في الأفق خلافة حول بعض الأمور الدينية الخاصة بالأحوال الشخصية وهذا ما حدا بالنظام السياسي إلى عدم الأخذ بمشروع القانون الخاص بتعديل المادة ١٠٣ من قانون الأحوال الشخصية - كما سيرد - في إبريل ١٩٦٧ م .

ولقد كانت للطرق الصوفية مواقفها الواضحة إبان أزمت الصدام مع الإخوان المسلمين ، إبان عدوان ١٩٥٦ م وقبل وبعد هزيمة ١٩٦٧ م ، فكانت مؤتمراتها تعكس هذا الموقف المؤيد للنظام السياسي .

خامساً : عبد الناصر .. والفيلم الديني :

ثمة جوانب هامة ومعقدة بالنسبة لمن تناولوا التجربة الناصرية ، وبخاصة في مجال إشكالية الدين ، وذلك هو مجال الفيلم الديني ، وما أنجزته الفترة الناصرية في هذا المجال .

سنوف نقدم هنا نظرة إحصائية شاملة لعلها تفي بسد النقص في مجال هام لمن يؤيدون أو يهاجمون التجربة الناصرية من منظور إهتمامها بالأمور الدينية ، ترى ماذا قدم عبد الناصر في هذا المجال .

* يمكن محورت ما قدم في هذه الفترة (١٩٥٢م - ١٩٧٠م) برصد ما يلي :

أ - الأفلام الروائية الإسلامية الطويلة .

ب - الأفلام التسجيلية الإسلامية السينمائية .

ج - الأفلام التسجيلية الإسلامية التليفزيونية .

د - الأفلام التسجيلية القبطية .

وكل من هذه المجموعات الأربع مرتبة حسب سنة الإنتاج .

نبذة عن كل فيلم من الأفلام الروائية :

١ - بيان الأفلام :

أ - الأفلام الروائية الإسلامية الطويلة :

عنوان الفيلم	المخرج	سنة الإنتاج
صلاح الدين الأيوبي	إبراهيم لاما	١٩٣١م

١٩٥١م	إبراهيم عز الدين	ظهور الإسلام
١٩٥٢م	أحمد الطوخى	انتصار الإسلام
١٩٥٣م	أحمد الطوخى	بلال مؤذن الرسول
١٩٥٣م	بهاء شرف الدين	السيد البدوى
١٩٥٧م	أحمد الطوخى	بين الله الحرام
١٩٥٨م	حسين صدق	خالد بن الوليد
١٩٥٩م	إبراهيم السيد	الله أكبر
١٩٦١م	أنسرو مارتين	وا إسلاماه
١٩٦٢م	عباس كامل	شهيدة الحب الإلهى
١٩٦٣م	نيلزى مصطفى	رابعة العدوية
١٩٦٣م	يوسف شاهين	التاصر صلاح الدين
١٩٦٤م	إبراهيم عمارة	هجرة الرسول

ب - الأفلام التسجيلية الإسلامية السينائية :

١٩٥٦م	حسن توفيق	من الحاكم بأمر الله إلى الصالح طلائع
١٩٥٧م	حسن توفيق	المراحل
١٩٥٧م	واصف عزيز	في رحاب الإسلام
١٩٦٠م	ولى الدين ساع	كنوز الفن الإسلامى
١٩٦٥م	عبدل خليل	الأزهر الشريف
١٩٦٧م	محمد قناوى	رمضان كريم
		١٤ قرناً على نزول
١٩٦٨م	أحمد راشد	القرآن الكريم
		١٤ قرناً على نزول
١٩٦٨م	عبد القادر التلمنى	القرآن الكريم
١٩٦٩م	حسن رضا	الأزهر فى ألف عام
١٩٧٠م	مصطفى محرم	مولد السيدة

ج - الأفلام التسجيلية الإسلامية التليفزيونية :

وتشمل مجموعات من الجوامع والمساجد :

دويدار طاهر	السلطان حسن والقناني أوب الحجاج وستان باشا
مراد الخولي	إبراهيم الدسوق ومقسييس أبو الريش
على الغزولي	قاييتباي والنصار محمد
أحمد مندور	المرسي أبو العباس والبوصيري وسيدى جابر
عبد الحميد أحمد	المؤيد والسيدة زينب
مهاب مرزوق	الإشراف يرسيى والعارف بالله والعتيق
كريم ضياء الدين	المسولى وسيدى شبل والأحمدى والوزيرى
روحية شهاب	قلاوون والأقمـــــر
محمد سامى عطالله	عبد الرحمن لطفى والعباسى
كمال أبو العلا	الحاكم وكاني بباى الرماح
محمد السعيد يوسف	الحسين والأزهر والقـــــرب
سالم سالم	الملكـــــة صفية وبرقـــــوق
محمود سرى	الإمام الشافعى والجردانى

د - الأفلام التسجيلية القبطية :

عنوان الفيلم	المخرج	سنة الإنتاج
رحلة إلى دير درونكا		
بأسيســـــوط	فريد المزاوى	١٩٤٩م
الأب اليـــــاس	حسن رضا	١٩٥٧م
مروب العائلة المقدسة	ولى الدين سامح	١٩٦١م
دير سانت كاترين	عبد القادر التلمسانى	١٩٦١م
المتحف القبطى	ولى الدين سامح	١٩٦٢م
دير سانت كاترين	سعدية غنيم	١٩٦٢م
جيل موسى	سعدية غنيم	١٩٦٢م
أجسراس السلام	رمسيس نجيب	١٩٦٥م
عيد الميرون	يوسف شاهين	١٩٦٧م
عيد السعف	محمد قناوى	١٩٦٨م
مرقص الرسول	إحسان فرغل	١٩٦٩م
عيد القيامة	ميناس نصر	١٩٦٩م

* وبعد أن هذه الإحصائية التي قدمناها مجردة ، وعامة نقدمها أملين أن تفيد في إعادة تقييم الاهتمام بمسألة الدين في مجال الإعلام السينائي الناصري .

سادساً : عيد الناصر وحركة بناء المساجد :

بداية يهنا الإشارة إلى أن المسجد أو رسالته في الإسلام تحدد في الآتي :

- (أ) أنه مكان الصلاة .
- (ب) أنه مكان لذكر الله .
- (ج) أنه مكان الاعتكاف .
- (د) أفضل مكان لمدارسة القرآن وتعليم أحكام الله .
- (هـ) دار الشورى .
- (و) دار الإفتاء .
- (ز) دار القضاء .
- (ح) دار لعقود القرآن .
- (ط) دار للإغاثة والرعاية الاجتماعية والصحية .
- (ي) مكان لإستقبال الوفود والسفراء .
- (ك) مكان لتجميع الجيش عند الزحف في سبيل إعلاء كلمة الله .

كانت تلك هي الوظائف القديمة .. أما الآن فقد أقامت الدولة المؤسسات التي تختص ببعض هذه الوظائف وهي مؤسسات لا علاقة لها في الغالب بالمسجد (كالجيش والقضاء والمجالس النيابية) وكان العهد الناصري سباقاً إلى هذا التحديد لدور المسجد .

ومع التطور التاريخي سرعان ما أضيفت إلى المسجد كلمة الجامع وصار له وظيفة أخرى من أسمى وأجل الوظائف بعد أن أصبح مقراً لإجتماع علماء التفسير والحديث والفقه واللغة العربية ، فصار مركزاً للدراسات الدينية واللغوية والأدبية ، تعقد فيه الحلقات الدراسية . وبعضى الأيام ريزت الصفة الدراسية للمسجد الجامع بروزاً واضحاً قوياً في وقت لم تكن قد أنشئت فيه بعد معاهد العلم المخصصة للدراسة فقط والتي تنائرة في أرجاء العالم الإسلامي فيما بعد . وبذلك كان المسجد الجامع مركز الإشعاع الفكري في المدينة التي قام فيها .

والمسجد الجامع الذى لا يزال مرتبطا بالقديم من حيث الوظائف الدينية التى يؤديها هو الأزهر الشريف .

والحكومة فى مصر تعرف عنه هذه الحقيقة ، ومن أجل هذا أولته من العناية والسيطرة ما جعلها تلقب أحد الوزراء فيها بوزير الأزهر والأوقاف ، وما جعلها تصدر القوانين فى شأنه ، وتحدد له من المسئوليات ما يجب عليه أن يقوم بها .

والقوانين التى تحدد شخصية الجامع الأزهر فيما يتصل بعملية المسح الدينى هذه هى :

(١) قانون عام ١٩٣٦م الذى صدر فى عهد مشيخة المراغى ، والذى ألغى العمل فى الأزهر بقانونى عام ١٩٢٣م ، عام ١٩٣٠م .

(٢) القانون رقم ١٠٣ لعام ١٩٦١م بشأن إعادة تنظيم الأزهر والهيئات التى يشملها . والذى سبق شرحه وتحليله آثاره وردود الفعل عليه .

ولكى نرصد حركة بناء المساجد فى العهد الناصرى نقدم الجدول التالى عله يفى بالغرض :

جدول بتوزيع المساجد الحكومية والأهلية على مستوى المحافظات مع نهاية العهد الناصرى

المحافظة	عدد المساجد الحكومية فى عام	عدد المساجد الأهلية فى عام
	١٩٧٠م	١٩٦٤م
القاهرة	٥٤٠	٢١٨
الإسكندرية	١٧٨	١٧٢
بور سعيد		٢٧
السويس	٦٨	٦٠
الإسماعيلية		٢١٨
دمياط	٨٩	٨٦
الدقهلية	٣١٨	١٢١٧
الشرقية	٢١٧	١٧٨٧
القليوبية	١٥٤	٤٨٢
كفر الشيخ	١٥٤	٦٣٢

٧٥٩	٢٥١	الغربية
٩١٥	١٩٥	المنوفية
٨٣٥	٢٤٩	البحيرة
٤٥٧	٩٨	الجيزة
٤٢٥	١٤٤	بنى سويف
٥٧٥	٩٦	الفيوم
٨٧١	٢٠٧	المنيا
٧٨٢	١٧٢	أسيوط
١٩٨٣	١٣٠	سوهاج
١٣٧٠	١٢٢	قنا
٢٥١	٧٦	أسوان
١٧		سيناء
		الوادي
		الجديد
٦		البحر الأحمر
		مصرى
		مطروح
١٤٢١٢	٣٥٥٨	الإجمالي

سابعا : عبد الناصر وموقع الدين فى قضايا التطور الإجتماعى :

يكتمل موقف النظام السياسى تجاه قضية الدين والدولة خلال الفترة (١٩٥٢م - ١٩٧٠م) بتحليل موقفه إزاء بعض قضايا التطور الإجتماعى المهمة والتى مثلت قضايا حيوية لا تكتمل الدراسة دونما الإحاطة بها ، ويأتى فى مقدمة هذه القضايا : قضية التعليم ، وقضية الأحوال الشخصية وما يتفرغ عنها من قضية المرأة ، وتحديد النسل وقوانين الأحوال الشخصية ، ومن ثم سوف يتناول هذا المبحث بالتحليل :

أولا : موقع الدين فى عملية التعليم خلال الفترة (١٩٥٢م - ١٩٧٠م) :

ثانياً : الدين وقضايا الأحوال الشخصية خلال نفس الفترة .

أولاً : موقع الدين فى عملية التعليم خلال الفترة (١٩٥٢م - ١٩٧٠م) :

نظر النظام السياسى لقضية التعليم كجزء من عمليات التنمية الإجتماعية التى واكبت حركته بامتداد الفترة (١٩٥٢م - ١٩٧٠م) وكان لعبد الناصر رؤية الخاصة تجاه هذه القضية التى توزعت على مستويات ثلاثة : مستوى أول ، التعليم فيه يمثل أداة لتحقيق تكافؤ الفرص بين قطاعات المجتمع والقوى المختلفة حتى لا يحدث ما أسماه عبد الناصر بالإنفصال بين الشعب والمثقفين « إن من دخلوا الجامعة وجدوا الفلصة التى لم يجدها الآخرون ، لم يجدها العامل ، ولم يجدها الفلاح ، لم تجدها الغالية العظمى من هذا الشعب ، إذن على من دخل الجامعة وعلى من يعمل فيها مسؤولية كبيرة تجاه الشعب حتى تنصهر هذه العوامل التطبيقية التى تنبثق فى قلوب الناس ^(١) .

ومستوى ثان يصبح التعليم فيه أداة لعملية التنشئة السياسية ، وخاصة أن المجتمع يعيش عمليات تغير اجتماعى ، وتحديث ثورى ، ولا بد أن تتواكب معها جميع أدوات عملية التنشئة السياسية والتى يأتى التعليم فى مقدمتها ، وفى هذا المعنى يذهب إلى أن العلم هو السلاح الحقيقى للإرادة الثورية ، فمن هنا يبد الدور العظيم الذى لابد للجامعات ومراكز العلم على مستوياتها المختلفة أن تقوم به ^(٢) .

ومستوى ثالث يصير التعليم فيه أداة من أدوات الحراك الإجتماعى ، فيساهم التعليم - من وجهة نظر عبد الناصر - فى التفاعل بين الطبقات القائمة ، وتكوين طليعة من المتعلمين والمثقفين الممتعين لكل هذه الطبقات والتى كانت أول من أيد الثورة فى بداياتها ^(٣) .

وداخل قضية التعليم أدرك النظام السياسى الموقع الخاص للدين ، فاحتل خلال الفترة (١٩٥٢م - ١٩٧٠م) أهمية ورعاية خاصة ، تبدى ذلك فى مجمل سياسات وقرارات النظام السياسى التعليمية ، وفى حجم المادة التعليمية المقدمة ، ونوعيتها ، ولمعرفة هذا الموقع الذى احتله الدين ، سوف نعالج العملية التعليمية خلال الفترة موضع البحث من خلال حجم ونوعية مادة التربية الدينية والتاريخ ، مقارنة بإجمالى المادة التعليمية المقدمة مع مقارنات بين الفترات الزمنية ، وبين المستويات التعليمية المختلفة (الإبتدائى - الإعدادى - الثانوى) ،

(١) خطاب الرئيس جمال عبد الناصر بتاريخ ٢٧/٢/١٩٦١ .

(٢) خطاب الرئيس جمال عبد الناصر بتاريخ ٢٧/٢/١٩٦١م .

(٣) الميثاق الوطنى ، مصدر سابق ، ص ٢١ .

وعليه فسوف تكون مادتا التربية الدينية والتاريخ هما المتغيران الأصيلان في تحديد موقع الدين في العملية التعليمية ، ويعود اختيار مادتي التربية الدينية والتاريخ إلى أهميتهما في تحديد رؤية النظام السياسي لأحداث وخبرات التاريخ في بعدها الإسلامي أو الديني ، وأيضاً في معرفة طبيعة ودور الدين في حياة المجتمع المصري ، وكيفية توظيف هذا الدول .

واهتم النظام السياسي الناصري بتدريس مادتي الدين والتاريخ ولكن تفاوتت درجات الأهمية ، وفقاً لتطور النظام السياسي وتطور قضاياها الإجتماعية والسياسية ووفقاً للمستويات التعليمية ، فالذي يدرس للأعدادية ، وكذلك الحال بالنسبة للمرحلة الثانوية ، ولمعرفة هذه النواحي نتائج المادتين خلال ثلاث فترات تاريخية مختلفة ، ومن خلال المستويات التعليمية الثلاثة (الابتدائية والإعدادية ، والثانوية) الفترة الأولى ١٩٥٢/٥١ م ، وهي تغطي واقع تدريس المادتين السابق لقيام الثورة مباشرة . أما الفترة الثانية فهي ١٩٥٤/٥٣ م وهي التي تبرز لنا المؤشرات الأولى لعملية التغيير في تعليمها ، أما الفترة الثالثة فهي الفترة ١٩٧٠/٦٨ م والتي تمثل المحصلة الأخيرة لموقف النظام السياسي من مسألة التعليم الديني والتاريخ .

١ - فبالنسبة للفترة الأولى ١٩٥٢/٥١ م : يلاحظ تعدد أهداف النظام السياسي تجاه المادتين :
(أ) فبالنسبة لمادة الدين يلاحظ أن أهداف النظام السياسي تركزت في :

- ترغيبهم في شعائر الدين وفرائضه وتعويدهم أداؤها واتمسك بها .
- إشعار التلاميذ روح الدين ومراقبة الله وحب الخير ومحاسبة النفس .
- أنشئتهم على الآداب الإسلامية التي تهذب النفوس وتثير نوازع الخير فيها .
- الإلتصال بكتاب الله وتجويد تلاوته ومحاولة فهم ما يستطيع التلاميذ فهمه والإنتفاع به في معناه ولفظه .

ويؤكد الإطار السابق أيضاً على ضرورة الربط بين قصص التهذيب والآيات والأحاديث التي لها علاقة بموضوع البحث وأن يضرب الأمثال لذلك من مظاهر حياة التلاميذ في بيئاتهم^(١) ولقد تم تطبيق هذا كاملاً على المنهج الديني للسنوات الابتدائية والتعليمية المختلفة ، وبدأ تدريسه الفعلي مع السنة الثالثة الابتدائية ، ويلاحظ إن إجمالى عدد الحصص الدينية وصل إلى ٢٠ حصّة أسبوعياً موزعة على سنوات الدراسة المختلفة ، وعلى المستوى النوعي ركز

(١) المصدر : منهج الدين واللغة العربية والخط العربي لمدارس المرحلة الأولى للبنين والبنات (القاهرة ، وزارة المعارف العمومية ، مطبعة دار المعارف العمومية ، ١٩٥٢ م) ص ١٣ .

التعليم الدينى على موضوعات عامة بلا مضمون سياسى واضح كالصبر والمحافظة على الوقت وما إلى ذلك^(١)

(ب) . بالنسبة لمادة التاريخ خلال نفس الفترة يلاحظ أنها كانت تقدم بمعدل حصتين أسبوعياً وإنها هدفت إلى :

ضرورة بذلك المدرس للجهاد لإثارة انتباه التلاميذ ، حيث تمثل هذه القصص بداية عهدهم بدراسة التاريخ ، ويحسن أن يلم التلاميذ ببعض التواريخ المهمة التى تكون معارف أساسية للصور التى يدونها مثل تواريخ ميلاد النبى ، وهجرته ، وفتح العرب لمصر وإنشاء القاهرة والأزهر^(٢)

وعليه جاء تركيز المنهج على الشخصيات التاريخية المهمة فى تاريخ مصر القديم ، وعلى سر أبطال الإسلام ، وأحوال مصر الحرة والاقتصادية وصلاتها الخارجية ، وحالتها الإجتماعية ، وتم التركيز أيضا على أهمية الدور الذى لعبته أسرة محمد على فى تاريخ مصر المعاصر^(٣)

ويقدم منهج التاريخ فى هذه الفترة نفسه ، خاصة على مستوى المرحلة الأولى كتجسيد واضح لرؤية النظام السياسى الملكى لتاريخ مصر القديمة وحديثه ، حيث التركيز على جانب الشخصيات التاريخية المهمة ، وعلى الشخصيات الإسلامية ، وأسرة محمد على ، وجميعها تعكس إهتمام النظام بإبراز تأكيده على البعد الدينى ، والملكى فى تاريخ مصر والذى يمثل هو ذاته .

٢ - الفترة الثانية ١٩٥٤/٥٣ م : لا يلاحظ تغير يذكر فى موقف النظام السياسى الجديد تجاه تدريس مادة الدين ، حيث تساوت الجرعة الدينية المقدمة للتلاميذ المراحل الدراسية المختلفة فوجدنا تكاد تتساوى بالنسبة للمرحلة الأولى مع الفترة السابقة ١٩٥٢/٥١ م ، وأيضاً تتشابه نوعية ما تم تقديمه من مادة علمية ، وكذلك الحال بالنسبة لمادة التاريخ مع تغير بسيط بالنسبة لما يتعلق بالنظام السياسى الملكى أو جذوره التاريخية والإجتماعية الذى يعبر عنها .

(١) المصدر السابق : ص ١٤ .

(٢) نفس المصدر ، ص ١٥ - ١٨ .

(١) المصدر : مناهج الموضوعات الإجتماعية للمستين الخامسة والسادسة فى المرحلة الأولى (القاهرة ، وزارة المعارف العمومية ، مطبعة وزارة المعارف العمومية ، ١٩٥٢ م) ص ١٠ - ١٢ .

(٢) المصدر السابق ، ص ١٤ .



وصوء على باب الخيمة التى أقام فيها عندما سافر للحج عام ١٩٥٤ والسعى مع المطوف بين الصفا
والمروة ، والاتجاه بعد ذلك إلى عرفات

(أ) فبالنسبة لمادة الدين : يلاحظ أن تدريسها قد بدأ مع السنة الأولى بعكس الفترة ١٩٥٢/٥١م التي بدأت مع السنة الثالثة الابتدائية ، ويلاحظ تزايد الجرعة تدريجياً مع السنوات الخامسة والسادسة^(١) وأيضاً يلاحظ تركيز المنهج إسلامياً ومسيحياً على ذات القيم التي ركزت عليها المرحلة السابقة (كالصبر وحسن المعاملة ، والتواضع) وإن ازداد الحديث عن قيمة الجهاد^(٢) ، وكماً نجد تناقص الجرعة الدينية المقدمة للطلاب في المستويات التعليمية الأخرى فهي تصل في الإعدادية إلى ٨ حصص دينية للسنوات الأربع^(٣) ، وفي الثانوية تصل إلى حصة واحدة لكل قسم : الأدبي والعلمي^(٤) . ومقارنة ذلك الإجمالي العام للحصص التعليمية تصبح الابتدائية ٨,٥٪ والإعدادية ٥,٦٪ ، والثانوية ٢,٨٪ ، ولكن مضمون المادة تطور نسبياً حيث نجد التركيز على ضرورة عدم الإقتصاد على ما يقدم إليهم من دروس إذ ينبغي الإهتمام بالجمعيات الدينية والعناية بالمصري وبأعمال البر والإحسان للفقراء وغيرها من القيم الدينية الإيجابية التي تؤكد على علاقة الدين بكافة تدرسه بالمجتمع الذي يعيشه الطالب^(٥) .

(ب) بالنسبة لمادة التاريخ خلال الفترة ١٩٥٤/٥٣ ، يلاحظ أن هذه المادة لم يتم تدريسها في السنوات الأربع الأولى من المرحلة الابتدائية وبدأت مع السنة الخامسة ، ولم يحدث تغير منها حين يذكر فيما قدم من مادة علمية كذلك الحال بالنسبة لمنهاج المرحلة الإعدادية والتي ركز منهج السنة الأولى فيها على بدء الحضارة الإنسانية ، والسنة الثانية تحدثت عن مصر الفرعونية ، والثالثة عن تاريخ الإسلام في مصر ، والرابعة عن تاريخ مصر في العصر الحديث .

أما المرحلة الثانوية فلقد ركزت التعليم حول تاريخ الدولة الإسلامية بالنسبة الثانية ، وتاريخ مصر والعالم العربي في العصر الحديث بالسنة الثالثة قسم أدبي ، ولقد تم التأكيد في المادة

(١) المصدر : مناهج الدراسة للمرحلة الابتدائية ٥٣ - ١٩٥٤م (القاهرة ، وزارة المعارف ، مطبعة وزارة المعارف ، ١٩٥٤م) ص ١

(٢) المصدر السابق ، ص ٩ - ١٠ ، كذلك : مناهج الدين المسيحي للمرحلة الابتدائية (القاهرة ، وزارة المعارف ، ١٩٥٤م) ص ٢ .

(٣) المصدر : مناهج مواد الدراسة للمرحلة الإعدادية ٥٣/١٩٥٤م (القاهرة ، وزارة المعارف العمومية ، مطبعة وزارة المعارف ، ١٩٥٤م) ص ٤ - ١٠ .

(٤) المصدر : مناهج مواد الدراسة للمرحلة الثانوية ، ٥٣/١٩٥٤م (القاهرة ، وزارة المعارف ، ١٩٥٤م) ص ٥٨٨ - ٦ .

(٥) مناهج المرحلة الإعدادية ، مصدر سابق ، ص ١٠ - ١٥ وكذلك مناهج الثانوية ، مصدر سابق

التاريخية على قيم العروبة والتراث على أهمية الدور الإسلامى فى نشر الحضارة فى العالم المحيط وإبراز دور العقل والفكر فى إنتشاره وكذلك الإدانة غير المباشرة للنظام الملكى السابق^(١) . وبالنسبة للجرعة الدينية نجد أنها تصل فى الإبتدائية إلى ٩,٥ ٪ من الإجمالى ، والإعدادية إلى حوالى ٤,٢ ٪ من إجمالى عدد الحصص الأسبوعية لمختلف المواد ، وفى الثانوية وصلت إلى ٥,٥ ٪ من الإجمالى ، وهى النسبة التى لا تختلف كمياً عن الفترة السابقة ١٩٥٢/٥١ م وهو ما يعطى دلالة على أن تغييراً سياسياً ومنهجياً شاملاً لم يكن قد حدث ، أو بعبارة أخرى لم يكن الوعاء التعليمى قد وصلته نتائج التغيير السياسى الذى أحدثته ثورة يوليو ١٩٥٢ م ، والتى برزت نتائج واضحة مع بدايات عام ١٩٥٦ م عندما حسمت العديد من القضايا السياسية والإقتصادية والداخلية والخارجية ، واستقرت الأمور فى أهدى النظام الجديد بقيادة عبد الناصر .

٣ - الفترة الثالثة ١٩٧٠/٦٨ م :

وتعد هذه الفترة من أهم الفترات التاريخية التى تم التركيز فيها على قضية الدين ضمن البرامج التعليمية والثقافية المختلفة ، ويعود ذلك إلى طبيعة المرحلة التى شهدت أكبر هزيمة عسكرية للنظام السياسى المصرى ، أثرت سياسياً وإجتماعياً على قطاعات المجتمع المختلفة ، وكان لابد أن يترك هذا التأثير بصماته على قضية التعليم ، وموقع الدين والتاريخ كمادة دراسية فيها ، وتعود أهمية هذه المرحلة إلى كونها محصلة أخيرة لمجمل سياسات النظام التعليمية ولموقع الدين فيها ، ويتضح ذلك بإستعراض مضمون المادة التعليمية المقدمة .

(أ) وبالنسبة لمادة الدين : يلاحظ تأكيدها فى المرحلة الإبتدائية على ضرورة تفهم التلاميذ للدين وأحكامه من معانى الإشتراكية القائمة على الكتابة والعدل وتكافؤ الفرص والتعاون على البر والتقوى ، وأن ينشأوا على إحترام العمل والإيمان بأهميته للفرد والمجتمع وأثره فى رفع مستوى المعيشة ورفق الأمة وتقدمها ، وأن تغرس فى نفوسهم الإيمان بأن الثواب والعقاب يقوم على العدل^(٢) وإن أهم وسائل تحقيق أهداف التربية الدينية التى تبناها النظام أن تستغل المواقف الواقعية فى حياة التلاميذ وفى تعويدهم السلوك الصحيح الذى يتفق

(١) منهج التاريخ للإعدادية ١٩٥٤/٥٣ م (القاهرة ، وزارة المعارف ، مطبعة وزارة المعارف ١٩٥٤ م) ص ٥٢ .

(٢) منهج التاريخ للمدارس الثانوية ١٩٥٤/٥٣ م (القاهرة ، وزارة المعارف ، مطبعة وزارة المعارف ، ١٩٥٤) ص ٥٦ - ٦٢ .

مع المبادئ الدينية ، وأن تستغل المناسبات الدينية والمناسبات القومية كعيد الهجرة والمولد النبوى وعيد الوحدة ، وعيد الأم فى تنمية معارف التلاميذ الدينية المرتبطة بهذه المناسبات القومية والاجتماعية ، وفى إكسابهم بعض الاتجاهات السليمة فى عيد الوحدة يمكن إستغلاله فى تمكين المعانى القومية والوطنية فى نفوسهم مع تبصيرهم بأن الاتحاد والتعاون والتآخى من المبادئ ، المهمة فى الدين^(١) . ولقد وصل حجم الجرعة الدينية إلى ١٠٪ من إجمالى عدد الحصص المقدمة للمرحلة فى جميع المواد .

أما المرحلة الإعدادية : فلقد تم التركيز فيها على قيم عامة مفادها أن التربية عملية تربوية تتطور مع الزمن وتساير المجتمع وتمشى مع الوجدان ، والعاطفة الدينية من أقوى المواطن التى تهدف إلى تحقيق القيم الأخلاقية والمثل العليا فى الحياة^(٢) . وعليه كانت التربية الدينية من أقوى العوامل فى إعداد الشباب الذى يؤمن بالله وبالوطن وبالمجتمع الذى يعيش فيه على أسس قوية من الديمقراطية الصحيحة والإشتراكية القويمة ، والتعاون المثمر بين أفرادها لتحقيق العدالة الإلـ تماعية ، ولقد تركـز مضمون المنهج على هذه القيم وبالأخص الجانب الذى يتجه إلى مواجهة الإستعمار وإلى قضايا التطور الإجتماعى وغيرها^(٣) .

أما المراحل الثانوية : فلقد تزايد المضمون الثورى للدين على عكس المراحل السابقة وأيضاً مقارناً مع الفترات السابقة ، حيث نجد التأكيد على قيم الولاء للوطن ، ولأهدافه السامية التى تتفق مع أهداف الدين ، وجهاده فى مقاومة أساليب الإستعمار وإعتزازه بالتراث الإسلامى الخالد وانتفاعه بهذا التراث ثقافياً وخلقياً وتقوية ميوله إلى البناء على أمجاد الماضين وبارادة قوية وحب للتضحية فى السلم والحرب متخذاً من البطولات الإسلامية أحسن قدوة^(٤) ، وغيرها من القيم الدينية المهمة والتى تتبدى واضحة فى منهج القرآن الكريم والحديث والبحوث الدينية .

(١) المصدر : وزارة التربية والتعليم ، مناهج المرحلة الابتدائية المطورة لعام ١٩٦٩/٦٩م (القاهرة ، مطابع مؤسسة الأهرام ، ١٩٧٠م) ص ٧ .

(١) المصدر السابق ص ٧ - ١١ .

(٢) وزارة التربية والتعليم : المناهج المعدلة للمرحلة الإعدادية (القاهرة ، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية ١٩٧٠م) ص ٢ - ٥ .

(١) المصدر السابق ، ص ٥ - ٦ .

(٢) المصدر : المناهج المعدلة للثانوية العامة ١٩٦٩/٦٨م (القاهرة ، وزارة التربية والتعليم ، ١٩٦٨م) ص ٥ - ٨ .

(ب) بالنسبة لمنهج التاريخ يلاحظ أن مادة التاريخ كانت تحت عنوان « التربية الاجتماعية » والوطنية بالنسبة للمرحلة الابتدائية قد ركزت على قيم من سبيل تعريف التلاميذ بما يناسبهم من مبادئ الميثاق الوطنى ، واتجاهاته فى الديمقراطية والإشتركية وتقوية إيمانهم وبما جاء به حتى تصبح جزءاً من مقومات شخصياتهم ، وتنمية روح الاعتزاز بالوطن الولاء متدرجين من الأسرة فالمجتمع المحلى فى القرية ، فالمدينة ، فالمحافظة ، فالجمهورية ، فالوطن العربى ، وقد تبدى هذا فى مناهج التاريخ والجغرافيا^(١) ، ونفس القيم تم تدريسها على المرحلة الإعدادية والثانوية ، كما يظهر فى الجدول المرفق ، وكما تظهر القيم التى بشها المنهج التعليمى فى المرحلتين^(٢) .

وتمثل هذه المرحلة المحصلة الأخيرة للسياسات التعليمية للنظام السياسى الناصرى تجاه المضمون الدينى للمادة التعليمية ، سواء تضمنتها مادة الدين ، أو مادة التاريخ ، وكرس النظام السياسى فيها قيم الإنتماء والاعتزاز بالتراث الإسلامى والهوية القومية بالإضافة للقيم الروحية المتوارثة ، والتى كانت موجودة بوضوح أكثر فى الفترتين السابقتين ، وهذا ما يوضحه الجدول المرفق الذى تم إستخلاصه من واقع النتائج فى الفترات الثلاث السابقة .

(١) المصدر : وزارة التربية (التربية الاجتماعية والوطنية ، المناهج المرحلة الابتدائية المطورة) (القاهرة ، مطابع مؤسسة الأهرام ، ١٩٧٠م) ص ١٧٠ - ١٨٠ .
 (٢) انظر : المناهج المعدلة للمرحلتين الإعدادية والثانوية ١٩٦٩/٦٨م ، مصدر سابق .

جدول رقم (١٦)
تطور القيم الدينية داخل النظام التعليمي في مصر
(١٩٥٢ - ١٩٧٠)

المرحلة العلمية	المعالم الدراسي	١٩٥٤/٥٣	١٩٧٠/٦٨
الابتدائية :	الدين : تم التركيز على قيم آداب الزهادة - حسن المعاملة - تدبير الوقت - آداب الضيافة والتواضع.	الدين: تم التركيز على قيم المصراحة - الوفاء بالمعهد - التسامح - حقوق الوطن والجهاد في سبيله .	
	التاريخ : تم التركيز على قيم الكفاح المصري القديم - قيم التراث مع الأجداد قيم التوحيد والعبادة .	التاريخ : تم التركيز على قيم البطولة في التاريخ المصري القديم - تاريخ الدولة الإسلامية ، بطولية صلاح الدين الأيوبي وجهاده ضد الصلبيين .	
الاعدادية	الدين : تم التركيز على قيم الشجاعة - الصبر - الحلم - ضبط النفس عند الغضب - العفو عند المقدرة .	الدين : تم التركيز على قيم الأمانة - الشجاعة - التوسط في الإلتحاق والادخار - الموقف من اليهود إسلامياً - حب الوطن .	
	التاريخ : تم التركيز على قيم عظمة المصريين القدماء - تاريخ مصر لم يغفل من الزعماء - تأثير الإسلام على مصر .	التاريخ : تم التركيز على قيم لبراز التاريخ وأحداثه في ضوء الميثاق الوطني - التركيز على الدور الاجتماعي والشمسي للحكام الأول - الجهاد في الإسلام .	

المصام الدراسي		المرحلة التعليمية
١٩٧٠ / ٦٨	١٩٥٤ / ٥٣	
الدين : تم التركيز على قيم الاعتزاز بالتراث في مواجهة الاستعمار - التسامي بالفرائز والميول لدى النشء - الإسلام وحقوق الإنسان - قيم الحرية .	الدين : تم التركيز على قيم الأبطال في تاريخ الإسلام - عدم الاعتداء على الغير - الوفاء بالعهد - التعاون .	
التاريخ : تم التركيز على قيم عظمة الحضارة العربية - تعميق القومية العربية والشعور القومي - دور الإسلام في توحيد المنطقة العربية قديماً .	التاريخ : تم التركيز على قيم قوة الإسلام قديماً - الحركات الاستقلالية في الدولة الإسلامية القديمة .	الثانوية

فايل - ناصر ٢٢٩ - د ١٢٢

من الجدول السابق يلاحظ ما يلي :

(أ) تركيز الفترة ١٩٥٤/٥٣ م على قيم دينية تتقارب مع القيم التي تواجذت قبل عام ١٩٥٢ م مما يعني أن حجم التغيير الذي حدث في بناء القيم الدينية داخل هيكل التعليم كان بسيطاً ، وقد يكون مما ساهم في ذلك عدم الاستقرار السياسي وطبيعة المرحلة الانتقالية .

(ب) وجود قيم مشتركة بين فترتي الدراسة : كالصبر والشجاعة بالنسبة للقيم الدينية ، وكالتركيز على عظمة المصريين القدماء ، بالنسبة للتاريخ ، وهو ما يعني أحد احتمالين :

الأول : هو أن تكون نفس العقليات التي خططت للتعليم الدينى ، وللتعليم بوجه عام فى بداية الفترة (١٩٥٢م - ١٩٧٠م) هى نفسها التي خططت له فى نهاية الفترة ، ومن الملاحظ هنا أيضا طول الفترة التي تولى فيها كمال الدين حسين مسئولية التعليم فى مصر (١٢) وهو المعروف بميوله المحافظة دينياً .

الثانى : هو رغبة النظام السياسى أو حاجته سياسياً ، أن تظل داخل العملية التعليمية بعض القيم والتي تمثل سمة أصيلة فى الشخصية المصرية : كالصبر واحترام الموت ، والشجاعة .. الخ ، وهى القيم التي قد تفيد النظام السياسى وقت الأزمات السياسية أو العسكرية .

(جـ) حدث على الرغم من التشابه السابق تغير سياسى فى العديد من القيم الدينية وفى التركيز داخل مادة التاريخ على بعض القيم وإبرازها كالقومية العربية والشعور القومى ، وكالإعتزاز بالتراث الإسلامى ، وربطه بواقع المجتمع المصرى والعربى ، وغيرها وهذا التطور يتوازى مع التغيرات السياسية والإجتماعية والثقافية العامة التي حدثت فى المجتمع .

ثانياً : النظام السياسى وقضايا الأحوال الشخصية :

يشير البعض بشأن موقف النظام السياسى من قضايا الأحوال الشخصية ، وتشمل قضية المرأة وتحديد النسل والقوانين المتعلقة بالأحوال الشخصية ، افتراضاً مفاده أن ثمة عقد غير مكتوب قام بين عبد الناصر وبين رجال الدين يقضى بالألا يقترب النظام السياسى من قضايا الزواج والطلاق والميراث فى مقابل إطلاق يده فى باقى الأمور السياسية والإجتماعية ، بيد أن هذا الافتراض غير صحيح على إطلاقه ، فلقد تعامل النظام السياسى مع قضايا الأحوال الشخصية ليس باعتبارها قضية مستقلة بذاتها ، ولكن عل انها جزء من قضية التغير الإجتماعى والسياسى وعملة التنمية التي عاشتها مصر إبان هذه الفترة . وعليه أصبحت الأحوال الشخصية قضية إجتماعية واقتصادية وهو ما تبرزه مدركات ومواقف النظام السياسى بوضوح إتجاه قضيتى المرأة وقوانين الأحوال الشخصية .

١ - بالنسبة لقضية المرأة :

يرى عبد الناصر أنها لايد أن تتساوى بالرجل ولايد أن تسقط بقايا الأغلال التي تعوق حركتها الحرة ، حتى تستطيع أن تشارك بعمق وإيجابيا فى صنع الحياة^(١) ولكن لا تصل

(١) الميثاق الوطنى : مصدر سابق ، ص ١٤ .

هذه المشاركة إلى الحد الذى يمكن معه تجنيد الفتيات العرب من أجل تحرير فلسطين ، إذ أن للمرأة رغم هذه المشاركة واجبات أخرى أكثر وأكثر بالإضافة إلى أن لدينا رجالاً أكثر^(١) وهذه الرؤية تتضح أكثر عندما يطالب عبد الناصر بالتركيز على الدور الإجماعى للمرأة وليس الدور أو المكتسبات الشخصية ، وعنده أن الأسرة هى الخلية الأولى للمجتمع ، ولابد أن تتوافر لها كل أسباب الحماية التى يمكنها من أن تكون حافظة للتقليد الوطنى مجددة لنسيجه متحركة بالمجتمع كله ومعه إلى غايات النضال الوطنى^(٢) .

ومن حقوق المرأة الأساسية فى رؤية النظام السياسى التعليم الذى يمثل تطبيقاً حياً لمبادئ الثورة فى مجال تكافؤ الفرص^(٣) .

وبالنسبة لمواقف النظام السياسى إتجاه قضية المرأة يلاحظ أنه قد كفل لها العديد من الحقوق السياسية والاجتماعية المهمة ، وفى مقدمتها الاعتراف لها بحسب التصويت والترشيح لأول مرة وذلك فى دستور ١٩٥٦م ، ولقد تزايدت نسبة المشتغلات بالمهن التعليمية والفنية من ٨,٣٪ عام ١٩٦١م إلى ١٩,٣٪ عام ١٩٧١م من إجمالى عدد العاملين ، وارتفعت نسبة المشتغلات بالأعمال الإدارية والتنفيذية من ٩,٩٪ عام ١٩٦٠م إلى ١٤,٤٪ من نهاية الفترة عام ١٩٧٠م وحدثت زيادة ملحوظة فى الحقوق الاجتماعية للمرأة كانت لها مؤشرات الواضحة ، ففي عام ١٩٦٧م بلغ عدد الجمعيات النسائية ١٩٠ جمعية أما اللجان النسائية فى جمعيات مشتركة فيبلغ عددها ٤٧٠ لجنة ، كما يبلغ عدد الجمعيات الأخرى التى شاركت المرأة فى عضويتها ٢٣٣ جمعية .

وتجدر الإشارة أيضاً إلى نشاط إجتماعى مهم ظهر بفعل النظام السياسى المصرى تجاه المرأة وهو نظام الرائدات الريفيات الذى أخذ به فى مصر منذ عام ١٩٦٤م ، حيث أن العمل الإجماعى الرسمى بالريف كانت تمارسه وزارة الشؤون الاجتماعية من خلال الوحدات الإجماعية التى ، تعمل فى مجال تنمية المجتمع حيث يقوم به فى الغالب اختصاصيون اجتماعيون بينهم نسبة محدودة من النساء ، وقد وجد أن طبيعة العمل الوظيفى وأعباءه بالإضافة إلى عدم انتماء الإحصائيين (بما فى ذلك الإناث ، الى القرى التى يعملون

(١) خطاب للرئيس جمال عبد الناصر بتاريخ ١٨/١١/١٩٦٥م .

(٢) الميثاق الوطنى ، مصدر سابق ، ص ١٠٤ .

(٣) كمال الدين حسين : بيانه أمام مجلس الأمة : التربية والتعليم خلال ٥ سنوات (القاهرة ، منشورات وزارة التربية والتعليم ، إدارة الشؤون العامة ، أغسطس ١٩٥٧م) ص ٢٤ - ٢٦ .

بها فى الغالب ، كذلك يجعل تأثير العمل الإجتماعى الرسمى محدوداً ، فى إعداد قيادات نسائية محلية يتوافر لها المعرفة والإحساس بمطالب نساء القرية ، والقدرة على التعبير عنها والمهارة اللازمة لتجميع النساء الريفيات ، وراء الجهود المختلفة المحققة لها ، وتزاد مساهمة نساء القرية الإيجابية ، والجادة فى برامج تنمية المجتمع وتعمل كقيادة محلية وسيطة تعبر الفجوة الثقافية بين العقلية والمفاهيم الحضارية من جهة والعقلية والمفاهيم الريفية من جهة أخرى ، وتعاون القيادات الحضارية فى إدراك الواقع الريفى والعمل معه بالأساليب التى تتلاءم وطبيعة ظروفه وأوضاعه الاقتصادية والثقافية والاجتماعية^(١) .

هذا عن الوضع العام للمرأة فى مجال اهتمام النظام السياسى وسلوكياته السياسية تجاهها ، وتبقى الحديث عن أهم التعديلات التى أدخلتها الثورة على قضية تعليم المرأة وأخيراً قضية الأحوال الشخصية .

فبالنسبة لإنجازات النظام السياسى فى قضية تعليم المرأة : يلاحظ أن مجال التعليم الذى سبق الإشارة إليه كان من أهم المجالات التى دخلت فيه الثورة حدثت تغيرات عدة على المستويين الكمى والكيفى . وكان طبيعياً أن ينسحب التغير على العنصر النسائى فى عملية التعليم ، حيث تجمع العديد من الدراسات على أن التغيرات التى أحدثتها الثورة فى النظام التعليم كان لها أثرها فى إتاحة الفرصة لتعليم النساء ، وخاصة من الطبقات الدنيا ، وتخص هنا مجانية التعليم ، والاهتمام بإنشاء المدارس بالريف والحضر ووجود حوافز لدى الأسر لتعليم بناتهم نتيجة لاتساع النطاق النسبى لفرص عمالة للنساء لأن التعليم لم يعد فى هذه الفترة مجرد غاية فى حد ذاته كما كان على العهد السابق بالنسبة لبنات الطبقات العليا وقد أدى إلى إقبال النساء على التعليم مما أدى إلى تغيير وأحياناً ضعف نوعى فى هذا المجال^(٢) ، ويمكن رصد هذه التغيرات إحصائياً على النحو التالى :

— فى المرحلة الابتدائية كانت نسبة الإناث سنة ١٩٥٤ (٣٥ ٪) إرتفعت إلى (٣٨ ٪) عام ١٩٧٠م . هذا بجانب وجود إرتفاع ملموس فى نسب إستيعاب المدارس الابتدائية للأطفال اللاتى فى سن الإلزام فقد تبين أن هذه النسب كانت فى عام ١٩٦٠م (٥٦ ٪)

(١) تفاصيل هذا الجانب فى : على فهمى : العلاقة بين دور المرأة المصرية فى التنمية وتطور التشريعات الخاصة بالأسرة فى مصر ، عدد خاص من المحلة القومية الاجتماعية ، تصدر عن المركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية (القاهرة ، ١٩٧٧م) ص ٩١ - ١٠٠ .

(٢) د . أنعام سيد عبد الجواد : الوضع الاجتماعى للمرأة فى القانون المصرى المعاصر ، رسالة دكتوراه غير منشورة (جامعة القاهرة ، كلية الآداب ، يوليو ١٩٨٠م) ص ١٤٩ .

ارتفعت إلى (٥٨ ٪) عام ١٩٧١ م .

— أما في التعليم الإعدادي فنظراً لأنه لم يكن موجوداً قبل ١٩٥٢ م ، فسوف نكتفي هنا بعرض تطور عدد الإناث بعد ١٩٥٢ م ، ففي عام ١٩٥٤ م ٥٣ ٪ ، كان عدد الإناث في هذه المرحلة ٧٢ ألف تلميذة ، زاد في عام ١٩٦٦/٦٥ م إلى ١٧٤ ألف تلميذة . وفي عام ١٩٧٢/٧١ م ، ارتفع إلى ٣٠٤ آلاف تلميذة . وباتخاذ عام ١٩٥٤/٥٣ م كسنة أساسية نجد أن عدد المقيدات في عامي ١٩٦٦/٦٥ م . ١٩٧٢/٧١ م ، قد زاد بنسبة ١٤٢ ٪ ، ٣٢٢ ٪ على التوالي . وبالنسبة للإعدادي الفني فقد لوحظ أن عدد المقيدات به ، قد تناقص حتى وصل إلى أقل من ٥٠٠ تلميذة في عام ١٩٧٢/٧١ م ، وقد يرجع ذلك إلى الصعوبات التي تواجه خريجات هذا النوع من التعليم في الحياة العملية^(١) وقد كانت نسبة الإناث في التعليم الثانوي قبل ١٩٥٢ م تصل إلى ١٢,٣ ٪ ارتفعت إلى ٣٢ ٪ عام ١٩٧٠ م ، وبالنسبة للتعليم الجامعي قبل ١٩٥٢ م يصل إلى ٥,٤ ٪ إرتفعت إلى ٢١,١٤ ٪ وهي النسب التي وزعت على الكليات التالية التي يظهرها هذا الجدول .

(١) د. أنعام سيد عيد الجواد ، المصدر السابق ، ص ١٤٩

جدول رقم (١٧)^(١)
(نسبة التعليم الجامعي للإناث مقارنة بين عامي)
٤٠ - ١٩٤١ / ٧١ - ١٩٧٢

السنــــــــــــة	الإِنْـــــاث	الإِنْـــــاث
اسم الكليــــــــــــة	١٩٤١/٤٠ م	١٩٧٢/٧١ م
كلية الآداب	١٢,٨	٩٧,١٨
كلية الحقوق	١,١	٢٥,٩٣
كلية التجارة	—	٥٠,٩٤
كلية العلوم	٧,٦	٣٩,٤٥
كلية الهندسة	—	١٣,٩٧
كلية الزراعة	—	٣٠,٥٩
كلية الطب البشري	٧,٣	٣٠,١٠
كلية طب الأسنان	٣,٧	٥٧,٥٧
كلية الصيدلة	١,٣	٦٢,٢٢
كلية الطب البيطري	—	١٤,٧٥
كلية الاقتصاد والعلوم السياسية	—	٩٢,٤١
كلية دار العلوم	—	٤٧,٨٩
معاهد التمريض	—	٦٧٦ طالبة
كلية المعلمين	—	٣٠,٢٧
كلية البنات	—	٤٢٦٢ طالبة
الإجمالي	—	٤١,٣٢

الإقليمين المصري والسوري ابان فترة الوحدة يشتمل على قانون موحد لجميع الطوائف والتأكيد على حقوق غير المسلمين في القطرين^(١)، وجاء الانفصال عام ١٩٦٦ فأوقف هذه المحاولات^(٢).

(١) المصدر : د. أنعام سيد عبد الجواد ، المصدر السابق ، ص ١٥١ .

ويلاحظ من هذا الجدول ارتفاع نسبة الإناث في الكليات المختلفة ، كما يلاحظ أيضاً أن هناك كليات التحقت بها الفتاة لم تكن قائمة قبل ١٩٥٢ مثل : التجارة والهندسة والزراعة والطب البيطري ودار العلوم .

٢ - بالنسبة لقوانين الأحوال الشخصية :

من المتعارف عليه أن الاهتمام بالأحوال الشخصية من قبل الدولة يعود إلى بداية القرن العشرين عندما صدر القانون رقم ٢٥ لسنة ١٩٢١ والذي عالج من الزواج ورتب على مخالفتها عدم سماع الدعوى ، ثم المرسوم بقانون رقم ٢٥ لسنة ١٩٢٩ ، والذي عالج بعض مسائل الطلاق ، ثم القانون رقم ٧٨ لسنة ١٩٣١ والذي عالج النفقة والعدة والعجز عن النفقة والمفقود^(١) ، ثم المادة ١٣ من قانون نظام القضاء رقم ١٩٤٧ بتعداد المسائل التي تدخل في نطاق الأحوال الشخصية فقرر أنها تشتمل على المسائل التي تدخل في نطاق الأحوال الشخصية فقرر أنها تشتمل على المسائل المتعلقة بحالة الأشخاص وأهليتهم أو المتعلقة بنظام الأسرة أو بالمواريث والوصايا وغير ذلك مما يتصل بالأحوال الشخصية ، ونظراً لتطور الأوضاع السياسية والاجتماعية والثقافية بعد قيام الثورة عام ١٩٥٢ كان لابد أن يحدث بعض التعديلات المواكبة لهذا التطور على نطاق قوانين الأحوال الشخصية وخاصة المرأة التي تأتى في البؤرة من هذه القوانين^(٢) ، والتي دخلت إلى حيث المجالات السياسية والاجتماعية والتعليمية بتطور سريع .

من هنا كان التعديل الجزئي في قوانين الأحوال الشخصية والتي يتفق المؤرخون على أنها لم تمس فعلياً طيلة الفترة إلا في النطاق الذي يدعم حرية المرأة ، ويتعين مساواتها بالرجل ، فكانت للاتجاهات السياسية والتعليمية السابقة ، وكان أهم التعديلات التي أدخلت على قانون الأحوال الشخصية علم ١٩٦٠ عدم جواز تنفيذ حكم الطاعة على الزوجة الناشز جبراً عن طريق الشرطة وكان ذلك جائزاً منذ أقل من عقدين من الزمن^(٣) . وقدم اقتراح بتعديل المادة ١٠٣ من قانون الأحوال الشخصية والمتعلقة بأحوال الطلاق في أبريل ١٩٦٧ ، وثار بشأنه

(١) نفس المصدر ، ص ١٩٩ - ٢١٣ .

(٢) من أمثلة هذه القوانين : القانون رقم ٦٢٨ لسنة ١٩٥٥م الخاص ببعض الإجراءات في قضايا الأحوال الشخصية والوقف ، والذي جاء مكملاً لقوانين إلغاء المحاكم الشرعية ، وهو لم يمس قضية المرأة بشكل جذري .

(٣) على فهمي ، مصدر سابق ، ص ١٠٦ .

العديد من المناقشات داخل مجلس الأمة وبالصحافة التي علت فيها نبرة التنوير في هذه القوانين^(٢)، ولكن هذا القانون لم يمر بل أغفل تماماً ، ويعود ذلك إلى أحداث حرب ١٩٦٧ التي أعادت ترتيب الأولويات في العمل الداخلي بقضاياها المختلفة .

والجدير بالذكر أنه كان هناك أيضاً محاولات لتوحيد قانون الأحوال الشخصية بين والمخالصة : أن قضيتي التعليم وقوانين الأحوال الشخصية ، وما يشتملان من عدة قضايا أخرى خاصة بالتطوير الاجتماعي ، لا يمكن عزلها .. كما سبق القول عن مجمل التحولات الاجتماعية والسياسية التي حدثت بمصر ابان الفترة (١٩٥٢ - ١٩٧٠) ، وبالنسبة لقضايا الأحوال الشخصية أولاً : نجد أن النظام السياسي كان دافعه في هذه اعتبارات عديدة ، منها اعتبارات دينية خاصة تتعلق باعتبار عبد الناصر إنساناً محافظاً على المستوى الشخصي ، ومنها اعتبارات اجتماعية داخلية كاحتمالات الرفض المتوقعة من جماهير العلماء ورجل الشارع ، وأيضاً اعتبارات بعدم إمكانية النظام أن يضرب كل التيار الديني - السياسي وغير السياسي مرة واحدة ، أي أن يصطدم بالإخوان المسلمين ثم يصطدم برجال الدين المحافظين ، أيضاً من خلال تعديل هذه القوانين ، من كل هذا يمكن القول بأن قوانين الأحوال الشخصية لم تتغير كثيراً على المستوى الاجرائي عما سبقها^(١) .

ولكن ما تغيره خلال هذه الفترة هو دور المرأة في المجتمع ، وهو الدور الذي أكدته اقتناه النظام السياسي بضرورة هذا التغير وبأهمية الدور الاجتماعي والسياسي للمرأة ، بل لقد كانت مدركات القيادة السياسية أكثر تطوراً في نظرتها للمرأة في إطار أشمل ، اجتماعي وسياسي وحضاري ، ولابد أن يثار التساؤل أيضاً حول ذلك الاختلاف والتباين بين موقف النظام السياسي الناصري من قضية الأحوال الشخصية على المستويين العلمي والنظري ، ففي حين اقتصر التعديل النظري في هذه القضية طيلة الفترة (١٩٥٢ - ١٩٧٠) على القانون رقم ٦٢٨ لسنة ١٩٥٥ ، ومنشور وزارة العدل الصادر في ٣ - ٢ - ١٩٦٧ والقاضي بالاستغناء عن اتباع طريق إعلان الزوجة إطاعة زوجها عن طريق الشرطة وقصره على الإعلان المدني ، فإنه على العمل لم يقترب النظام كثيراً من هذه الجواب الأسرة ، على الرغم من هذا فلقد أعطى النظام السياسي - كما تبين فيما سبق - حقوقاً سياسية وثقافية وتعليمية للمرأة فقامت ما أعطى لها فيما سبق عام ١٩٥٢ .

(٢) د. جمال العطيفي : مناقشة صريخة لقانون الأسرة ، الأهرام بتاريخ ٢٥ أبريل ١٩٦٧ م .

(١) الأهرام بتاريخ ١٩٥٩/٨/٢٠

والملاحظة الأخيرة في هذا المجال هي الغياب الكامل أو شبه الكامل لمادة الدين أو لأى مضمون دينى داخل مناهج التعليم الجامعى ، وقصر الدين على كليات بعضها داخل بجامعة الأزهر ، وتواكب ذلك مع عملية التطوير التى أدخلها النظام السياسى على الأزهر ، وعلمته لأمر الأزهر ولسالته ودخول التعليم المدنى إلى الأزهر - المؤسسة الدينية التاريخية - بينما لم يحدث تطور مماثل ، أى دخول الدين إلى حيث التعليم المدنى فى نفس الفترة .

أما بخصوص التعليم فقد أتى فى مقدمة اهتمامات النظام السياسى ، حيث توسع كمياً ونوعياً وعلى مستويات مختلفة فى هذا المجال . ظهر هذا واضحاً على مستوى مجانية التعليم وعلى مستوى إنشاء المدارس والجامعات وعلى مستوى نوعية ما يدرس وعلى مستوى توظيف خريجى هذا المجال . ويلاحظ أيضاً اهتمام النظام السياسى بمادة الدين خلال فترات الدراسة المختلفة . ولكت تفاوت هذا الاهتمام فى الفترة (١٩٥٢ - ١٩٧٠) بحيث اختلفت مثلاً سنوات (١٩٥٢ - ١٩٥٤) عما تلاها من سنوات وتحديدأ بعد عام ١٩٦٧ ، وكان الاختلاف على المستوى للنوعى لمادة الدين ، واختلف أيضاً مضمون ما تم تدريسه من مرحلة دراسية إلى أخرى حيث ازدادت الجرعة الدينية كمياً ونوعياً فى بعض المراحل وقلت فى بعضها الآخر طبقاً لظروف المرحلة والتطورات السياسية والأزمات المحيطة بالمجتمع .

وفى مجمل التصور بالنسبة لموقف ثورة يوليو من قضايا التطور الاجتماعى يلاحظ أن هذا الموقف كان منحازاً فى قراراته إلى فئات الشعب الفقيرة ، والتى لم يسبق لها ان حصلت على مثل هذه الحقوق التى أحرزتها لها الثورة . وإذا كان النظام السياسى قد قصر فى بعض مواقفه العملية إلا أن هذا لم يكن على إطلاقه وهو أيضاً لا ينسحب إلى الإدراك الذى لم يكن ذنبه قصور التطبيق الذى لازم النظام السياسى لثورة يوليو خلال بعض سنوات الفترة موضع البحث .

الفصل الحادى عشر
عبد الناصر وتنظيماته السريّة
"المنظّم الطليعى نموذجاً"



عبد الناصر وتنظيماته السرية (التنظيم الطليعى نموذجاً)

مقدمة للتنظيم :

سبق أن أشرنا فى مواضع مختلفة فى هذه الموسوعة إلى التنظيمات السياسية فى عهد عبد الناصر وبخاصة (هيئة التحرير - الاتحاد القومى - الاتحاد الاشتراكى) ، ولقد شهدت تجربته السياسية تنظيماً آخر سمي بـ (طليعة الاشتراكيين) ، ونظراً لأهمية دوره السياسى باعتباره التنظيم السرى الخاص بجمال عبد الناصر بعد إخفاق (الاتحاد الاشتراكى) فى دوره السياسى والاجتماعى وبعبداً عن الأسلوب التقليدى فى تحليل نشأة وتطور تنظيم (طليعة الاشتراكية) الذى نشأ داخل الاتحاد الاشتراكى) ، وهو الأسلوب الذى سبق الإشارة إليه فى الأجزاء السابقة من الموسوعة بعيداً عن ذلك ، سوف نورد هنا نص جلستين (شبه سريتين) جمعت بين عبد الناصر بعناصر تنظيمه الطليعى فى القاهرة والجيزة ، والتي تولاها كاملة لكى نستكشف من خلالهما وعلى الطبيعة مباشرة ، ودون تدخل كبير ، كيف كان يفكر عبد الناصر وكيف كان يدير صراعاته السياسية وكيف كان يرى كوادرن تنظيمه الطليعى ... إنهما وثيقتان هامتان ، نوردهما ، كوثيقة للتاريخ^(١)

(١) المصدر : الاتحاد الاشتراكى العربى - الأمانة العامة - طليعة الاشتراكيين : لقاءات واجتماعات مع السيد رئيس الجمهورية والسيد الأمين العام - العدد الأول - لقاء الرئيس جمال عبد الناصر مع أعضاء المكاتب التنفيذية للقاهرة والجيزة يومى ٧ - ٨ مارس ١٩٦٦ م .



الاجتماع الأول

اجتماع السيد الرئيس جمال عبد الناصر ،

وأعضاء المكاتب التنفيذية

بمحافظة القاهرة والجيزة ،

٧ مارس ١٩٦٦ م
١٥ ذو القعدة ١٣٨٥ هـ

* * *

السيد الرئيس

نبدأ بالاستماع إلى الجيزة ثم القاهرة السيد أمين الجيزة بتفضل ..
أمين الجيزة :

سيادة الرئيس :

سأنتهز هذه الفرصة لطرح بعض القضايا العامة للمناقشة رغبة في توضيح الرؤية لها ،
وأود أن أشير إلى أننا لا ننقل أفكارنا الخاصة ، ولكن نعبّر تعبيراً أميناً وصادقاً عن كل
ما نلقاه في القاعدة الجماهيرية من تساؤلات .
ويمكن تقسيم القضايا السياسية إلى فئات أربع :

أولاً : قضايا تتعلق بالتنظيم السياسي ، وهي تثير حواراً عميقاً حول مسائل ثلاثة :

١ - مبدأ التفرغ السياسي : بدأ كثير من المواطنين المخلصين القادرين يتفاعلون مع المكاتب
التنفيذية بصدق (وأمانة) الأمر الذي يؤهلهم لعضوية المكاتب التنفيذية ليس على
العام ، وتفضل مشكوراً بالرد الوافي عليهما .

ثانياً : قضايا تتعلق بموقف الجماهير في القاعدة حيال التنظيم السياسي : وأبرزها قضيتان تحتاج
كل منهما إلى تحديد حاسم وصریح .

أ - أزمة الشك التي تعانيها الجماهير : وذلك بسبب تعقيدات الجهاز الإداري ، لأن
المواطن العادي غالباً ما يتخذ موقفه من النظام كله عن طريق التعميم الخاطيء في ضوء
انعكاسات اللوائح والروتين والموظفين الذين هم دون مستوى المسؤولية .

ب - أزمة عدم وضوح الرؤية في كثير مما يجري ولا تعرف له الجماهير تفسيراً مقنعاً ، مثل تغيير مواقع الأشخاص القياديين ، دون تفسير معروف للقاعدة .

ثالثاً : قضايا الدعوة والفكر : نتساءل عن السبب في تعدد الأجهزة المركزية للدعوة والفكر بين أمانة الدعوة وأخرى للمعهد الاشتراكي ، وهناك ثلاث مسائل في هذا الموضوع :

أ - تستلزم قضية الدعوة في هذه المرحلة إعداد كادر واع ومدرب من الدعاة ، وتوفير جميع الإمكانيات ضمان الوحدة الفكرية بين أفراد هذا الكادر .

ب - قضية حرية الصحافة وغيرها من أجهزة الإعلام ، أن الصحافة المملوكة للاتحاد الاشتراكي لا يمكن أن تكون بغير رقابة عليها ، وبالتالي فإن الجماهير ترى أن كل ما يكتب في الصحف ليس إلا تعبيراً عن رأى الدولة الرسمي .

ج - تتطلب قضية الدعوة والفكر مواجهة صريحة لكل تساؤلات الجماهير بالإقناع والحوار العميق الذي ينتهي إلى توضيح نهائى وحاسم لكثير من المسائل ، نذكر منها على سبيل المثال :-

١ - الأبعاد الحقيقية للاشتراكية العربية والخصائص المميزة لها وموقفها من الدين .

٢ - الهدف بالنسبة لقضية اليمن .

٣ - مزيد من التوضيح لرفضنا للحلف الإسلامي .
السيد الرئيس :

أود أن أعلق على نشاط المكتب التنفيذي ، خلال الفترة الماضية وهي شهران ونصف شهر فقط ، قبل التعرض للموضوعات التي آثرتها المستويات الدنيا فحسب ، بل وعلى مستوى المحافظة كذلك . ولكن فرصة التفرغ التي هي في الأساس لعدد قليل من الأفراد قد لا تكون مفتوحة لجملة هذا العدد من المتفاعلين ، وأخشى إذا لم ينالوا شرف التفرغ للعمل السياسي أن يعتبروا أنفسهم مطرودين ومبعدين فتجذبهم العناصر الأخرى أو ينطوون على أنفسهم ، وهذا يذكرنا بقول سيادتكم في لقاءكم مع أعضاء المكاتب لتنفيذية لمحافظة أسبوط والمنيا وبنى سويف والفيوم في مقام رفضكم لفكرة الحزب الواحد ، إننا إذا أقمنا حزباً من ٥٠ ألف مثلاً ، معنى هذا أن توجد معارضة قبل أن يوجد الحزب ، بمعنى أن الذين لن نأخذهم في الحزب سيعتبرون أنفسهم مطرودين ومبعدين تجذبهم العناصر السياسية الأخرى .

ب - مبدأ التشكيل النوعي للأمانة العامة للاتحاد الاشتراكي .

ج - قضية التنظيم السياسي في الجامعة والمبعوثين إلى الخارج .

وموضوعات الأمانة العامة والجامعة والمبعوثين ، كانت محل نقاش خصب صباح اليوم في

الجلسة التمهيدية مع السيد الأمين.

النقطة الأولى : أن شهران ونصف ، تعتبرها مدة قليلة لا تمكنا من الشعور بإحساس الناس ، الإحساس الطبيعي والحقيقي ، ففي رأي إنكم مازلتُم في حاجة إلى وقت لتشعروا بأحاسيس الرأي العام للجماهير ، بغض النظر عن رأي بعض الفئات المتصلة بكم اتصالاً مباشراً واعتبر رأيها رأياً خاصاً .. ففي رأي أن المثقفين عادة يتأثرون بالرأي الخاص أكثر من تأثرهم بالرأي العام ، الرأي الخاص لمجموعة من الناس الذين نلتقى بهم بحكم يئتنا وطبعتنا ، قد يرددون كلاماً لا يمثل الرأي العام ، لسان الرأي العام قد يكون عاجزاً وقاصلاً عن الوصول للمدعى الذى يصل إليه لسان الرأي الخاص ، بمعنى إننا قمنا بكثير من الأعمال للفلاحين والعمال والطبقات المظلومة ، ولكن كلامنا وتفسيراتنا قد لا تصل إلى هذه الطبقات وكذلك لا يصلنا - إلى حد كبير - ما يبين حالتها وواقعها ، وقد تدور في مناقشات لمدة ساعات في إطار الرأي الخاص ، وبهذا تضلل .

ولكى نستطيع أن نتجنب هذا . يجب أن نتوسع في اتصالاتنا حتى نخرج بحكم سليم عن الرأي العام .

النقطة الثانية التى أحب أن أعلق عليها هى نقطة التفرغ للعمل السياسى وهذا الموضوع له وجهات نظر ، وأعتقد أنه ليس من الصواب المقارنة بين ما قلته فى الاجتماع الماضى ، وما قلته أنت اليوم عن التفرغ لأننى كنت أتكلم عن مجموعة الجماهير الكبيرة البسيطة التى يمكن أن تضلل وتستثار كرامتها بأن الثورة لفظتها ، أما اليوم ونحن نكون مجموعة من القياديين ، أى نخبة من الناس ، فلن نستطيع القياس على هذا المفهوم ، لأن الشخص الذى سيتأثر نفسياً من تخطئه لا يمكن أن يصلح لأن يكون شخصاً قيادياً ، ويستلزم الأمر - لكى يكون قيادياً - أن أمترضيه من ناحية شكلية ، وليس من ناحية المبدأ .

ورأى بالنسبة للعناصر الطيبة الصالحة التى أشرت إليها ، فأرجو أن تكون صالحة وطيبة لوجه الله والوطن أولاً وأخيراً وليس لوجه المصلحة الذاتية ، وقد سألت فى الاجتماع الماضى لمحافظات الوجه القبلى عن قياديين يقترح ضمهم للمكاتب التنفيذية ، ولكن طبعاً لم أشر إلى متفرغين وغير متفرغين ، الحكمة فى أننا عملنا متفرغين فى المرحلة الحالية .

إن الاتحاد الاشتراكى يعانى من عدة شكوك ، لأنه لم تكن له فاعلية لمدة طويلة ، وأردنا أن ركز كل جهودنا حتى ينجح الاتحاد فى هذه المرحلة ، فقد كان الوزير الذى يشترك فى أمانة الاتحاد الاشتراكى يهتم أولاً بالذهاب لوزارته بحكم الطبيعة وبحكم الميراث الذى ولأثناءه ، فهو يعتبر أن هذه الناحية التنفيذية التى بها السلطة والسلطان لها

البروليتاريا مثلاً ، أو الطبقة العمالية ، لأصبح الموضوع واضحاً وضوحاً كاملاً ، ولن يكون هناك مجال للتحدث عن بلبلة في الفكر الاشتراكي .. أو لو كنا نتكلم عن مصالح الرأسمالية مثل حكم تحالف الإقطاع مع الرأسمالية ، لكان الطريق واضحاً تماماً .. ولكن الحقيقة نحن نتكلم عن مصالح متناقضة موجوده في تحالف قوى الشعب العاملة ونريد أن نصل منها إلى حكم كل الشعب وديمقراطية كل الشعب .. ولا نريد حكم تحالف الإقطاع مع رأس المال ونقضى على الآخرين ونبتز أموالهم . كما لا نريد حكم البروليتاريا الذي يقضى على الآخرين ويخضعهم بالقوة لديكتاتوريتها .

إذن طريقنا في هذا الحقيقة طريق ثالث ومختلف ، قد يقال أن للإشتراكية أهدافاً واحدة ، وإنه ليست هناك اشتراكية عربية ، قد أوافق أنا على هذا ، ولكن التطبيق الاشتراكي هنا يختلف عن التطبيق في أى بلد آخر .

لذلك رأينا أن نقبل كل الناس في الإتحاد الاشتراكي ، ما عدا الذين قررت اللجنة التحضيرية استبعادهم ، وأملنا أن نأخذهم مستقبلاً بالتدرج ولو كانوا شيوعيين في الماضي .. فاعتقادي أنه في الماضي وقبل الثورة اعتنق البعض الشيوعية لأنه لم يكن أمامهم - في تصورهم - سبيلاً لإنقاذ البلد إلا الانضمام إلى الشيوعية ، وكانوا يرون إن هذا هو السبيل لإخراج الإنجليز ، وكان هناك إناس - وربما كنت منهم - كانوا يسبب بأسهم على إستعداد لإعتناق أى مبدأ يساعد على إخراج الإنجليز من مصر ، ولو قيل لنا أننا لو اعتنقنا مبدأ معيناً ، أى مبدأ سيخرج الإنجليز ، لم تكن تردد في إعتناقه ، لأننا كنا يالسين من خروجهم بعد ثمانين سنة من الاحتلال .. بل أنه وقبل أن نوقع إتفاقية الجلاء سنة ١٩٥٤م ، لم أكن على ثقة من أنهم جادون في خروجهم .. والآن بعد سنوات عديدة من الحرية الكاملة نسبنا أنه كان هناك إنجليز .. واليوم لا يعرف أولادنا أنه كان هنا إنجليز لأنهم لم يروهم ..

أعود ثانية لموضوع التفرغ السياسي .. فلا يمكن أخذه على الظن بأن الذين نختارهم يمثلون أفضل العناصر ، وإن من عداهم أقل منهم وطنية وإخلاصاً .. هذا رأى خاطيء .. ولكن إذا وجدنا من يصفح لإنضمام للمكاتب التنفيذية تضمهم بصرف النظر عن التفرغ أو عدم التفرغ ، ويشترط فيمن تضمهم أن يعملوا لوجه الله والوطن لا لأى شئ آخر .. وإذا أحسن أحد من الذين لم نختارهم بالمرارة فإني أعتقد أن عليه أن يصفى نفسه أولاً ويجردها قبل أن ينضم للمكتب السياسي .

النقطة التالية متعلقة بالجماهير حيال التنظيم السياسي ، وما ذكرته عن شكوك الجماهير تؤدي إلى السلبية .. وإن قلت أن السبب في هذا هم الموظفون .. وأجانبى على هذا أنه

البروليتاريا مثلاً ، أو الطبقة العمالية ؛ لأصبح الموضوع واضحاً وضوحاً كاملاً ، ولن يكون هناك مجال للتحدث عن بلبلة في الفكر الاشتراكي .. أو لو كنا نتكلم عن مصالح الرأسمالية مثل حكم تحالف الإقطاع مع الرأسمالية ، لكان الطريق واضحاً تماماً .. ولكن الحقيقة نحن نتكلم عن مصالح متناقضة موجودة في تحالف قوى الشعب العاملة ونريد أن نصل منها إلى حكم كل الشعب وديمقراطية كل الشعب .. ولا نريد حكم تحالف الإقطاع مع رأس المال ونقضى على الآخرين ونبتز أموالهم . كما لا نريد حكم البروليتاريا الذي يقضى على الآخرين ويخضع بالقوة لديكتاتوريتها .

إذن طريقنا في هذا الحقيقة طريق ثالث ومختلف ، قد يقال أن للإشتراكية أهدافاً واحدة ، وإنه ليست هناك اشتراكية عربية ، قد أوافق أنا على هذا ، ولكن التطبيق الاشتراكي هنا يختلف عن التطبيق في أى بلد آخر .

لذلك رأينا أن نقبل كل الناس في الإتحاد الاشتراكي ، ما عدا الذين قررت اللجنة التحضيرية استبعادهم ، وأملنا أن نأخذهم مستقبلاً بالتدرج ولو كانوا شيوعيين في الماضي .. فاعتقادي أنه في الماضي وقبل الثورة اعتنق البعض الشيوعية لأنه لم يكن أمامهم - في تصورهم - سبيلاً لإنقاذ البلد إلا الانضمام إلى الشيوعية ، وكانوا يرون إن هذا هو السبيل لإخراج الإنجليز ، وكان هناك إناس - وربما كنت منهم - كانوا بسبب بأسهم على إستعداد لإعتناق أى مبدأ يساعد على إخراج الإنجليز من مصر ، ولو قيل لنا أننا لو اعتنقنا مبدأ معيناً ، أى مبدأ سيخرج الإنجليز ، لم تكن نتردد في إعتناقه ، لأننا كنا بالسين من خروجهم بعد ثمانين سنة من الاحتلال .. بل أنه وقبل أن نوقع إتفاقية الجلاء سنة ١٩٥٤م ، لم أكن على ثقة من أنهم جادون في خروجهم .. والآن بعد سنوات عديدة من الحرية الكاملة نسينا أنه كان هناك إنجليز .. واليوم لا يعرف أولادنا أنه كان هنا إنجليز لأنهم لم يروه ..

أعود ثانية لموضوع التفرغ السياسي .. فلا يمكن أخذه على الظن بأن الذين نختارهم يمثلون أفضل العناصر ، وإن من عداهم أقل منهم وطنية وإخلاصاً .. هذا رأي خاطيء .. ولكن إذا وجدنا من يصفح لإنضمام للمكاتب التنفيذية تضمهم بصرف النظر عن التفرغ أو عدم التفرغ ، ويشترط فيمن تضمهم أن يعملوا لوجه الله والوطن لا لأى شيء آخر .. وإذا أحسن أحد من الذين لم نختارهم بالمرارة فإنى أعتقد أن عليه أن يصفى نفسه أولاً ويجردها قبل أن ينضم للمكتب السياسى .

النقطة التالية متعلقة بالجماهير حيال التنظيم السياسى ، وما ذكرته عن شكوك الجماهير تؤدى إلى السلبية .. وإنت قلت أن السبب في هذا هم الموظفون .. وأجابنى على هذا أنه

طالما أنك لم تنشئ التنظيم السياسى الذى يقوم بعمله وواجهه الحقيقى فسنجد باستمرار هذه الشكوك وهذه السلبية ، وإذا تدخلت فى هذه المواضيع فى أول عهدك ببناء التنظيم السياسى ، فإنك ستثير عليك شكوك الجماهير وتزيدها وبذلك لا تكون فى الطريق الصحيح .

كيف أتغلب إذن على شكوك الجماهير ؟ .. تقترح أنت أن تصلح اللوائح والروتين والموظفين .. الخ ، من هم الجماهير .. هم الموظفون والعمال ، والجماهير هم سواق الأتوبيس الذى يشتم الراكب أو لا يقف بالسيارة أمام المحطة فى الساعة الثانية بعد منتصف الليل أو الكسارى الذى يعتدى على الراكب .. نحن المسئولون عن تربية هؤلاء الناس وعن تثقيفهم فلا يصح اليوم أن تملص من تبعية واجب نحن مسئولون عنه فلا كفيادات .

فى الحقيقة لم نستطع حل هذا الموضوع من خلال السلطة التنفيذية قد نستطيع تعديل اللوائح وما شابه ذلك ، ولكن لن نستطيع حل موضوع معاملة الموظفين للناس أبداً ، ولكن الذى يحل هذا الموضوع هو تنظيمنا السياسى ، وقد تكلمت فى الإ تماع الماضى عن كيفية الاندماج مع الموظفين والإجتماع معهم لإشعارهم بالمسئولية بحيث يحس الموظف أنه يؤدى خدمة للناس قبل أن تكون المسألة إستلام ماهية ، وهذا الموضوع يصعب تنفيذ عن طريق السلطة التنفيذية ، أو عن طريق تغيير اللوائح .

ولكن عن طريق الإنحداد الإشتراكى يمكننا القيام بالكثير ، ليس عن طريق التأديب أو البوليس الحرقى ، فالذى أعيته فى الجمعية الإستهلاكية ثم يسرق فذلك يعوزه الشعور بالواجب ، وهو شخص لم تصله الدعوة ، ولو كانت الدعوة وصلت إليه لتردد بدلاً من المرة عشر مرات قبل أن يقدم على السرقة ، إذن فنحن مسئولون عن إيصال الدعوة لهؤلاء ، وأن أستطيع توصيلها عن طريق الوزير أو وكيل الوزارة ولكن نستطيع عن طريق الجهاز السياسى أن نغير من هؤلاء الناس . ولن نستطيع ذلك فى مدة قصيرة بكل أسف لأن الأفكار الإستعمارية القديمة ما زالت موجودة ، ونحن بطبيعتنا عشنا طويلاً فى مجتمع رجعى ، وتحكم فىنا تقاليد رجعية لم نستطع التخلص منها بعد .

وهذا الموضوع يشبه الجدل الذى قام حول البيضة والدجاجة ، وعما إذا كانت البيضة قد خلقت الدجاجة أو العكس ، فهل نصلح الجهاز التنفيذى قبل أن نقيم التنظيم السياسى ، وهذا الموضوع فيه قولان ، وأرى أنى لا أستطيع تقويم الجهاز التنفيذى قبل قيام التنظيم السياسى ، ويكون الجهاز التنفيذى جزءاً من التنظيم السياسى ، وفى الجامعة مثلاً ، بدون تنظيم سياسى لن تنتظم أشياء كثيرة مثل علاقة الطالب بالمدرس والمكتبة والأجهزة الفنية .. الخ .

الحقيقة قامت محاولات كثيرة لحل هذا الموضوع تنفيذياً ولكن لم يكن هناك الإيمان الذى يساعد على النجاح ، ولكنى أقول إننا قد نستطيع سياسياً أن ننجح عندما يشعر كل واحد أن له رسالة أو تشعر الأغلبية بأن لها رسالة ، أو حتى الأقلية التى تكون لها القدرة على القيادة والحركة نستطيع القيام بكل هذه الأمور .

النقطة الأخرى : إن هناك مجتمعات نفذت هذه الأمور بالظلم والقتل وبالنفى ، ونحن فى مجتمعنا واشتراكيتنا لا نريد السير فى هذا الطريق .. كثير من الناس يرسلون لى خطابات يقترحون شئ أحد المتلاعبين بالحقون ليكون ذلك رادعاً للباقيين ونقضى على السوق السوداء ، ليس هذا هو السبيل ، فقد يكون الشئ له أثر لمدة معينة ثم ينسى ، فالشئ ليس مانعاً للجريمة ، فجريمة القتل عقوبتها الشئ ، ومع ذلك لم تمتنع هذه الجريمة ، كذلك السجن المؤبد لم يمنع جرائم الرشوة أو المخدرات ، ذلك لأن المجتمع فيه تناقضات غريبة لم نحل

أصل من هذا إلى أن شكوك الجماهير لا تقلقنا طالما نحن نسير فى الطريق الصحيح نحو تجنيد العناصر القيادية من الجماهير وتجميع أكبر عدد من الكادرات أو القيادات السياسية التى تستطيع بمرور الوقت أن تقضى على هذه الشكوك وهذه السلبية ، قد لا تقضى على السلبية نهائياً بالنسبة للناس ، لأن منهم الرجل الشرير والرجل الطيب .

أما النقطة الخاصة بعدم وضوح الرؤية وعلاقة الاشتراكية بالدين ، فقد تكلمت فى مؤتمر قوى الشعب العاملة بكل وضوح وصراحة وفى التلفزيون وفى الراديو ، وأوضحنا الفرق بين الشيوعية وبين اشتراكيتنا وعددت أسباب ذلك ، ومن مدة عشرة أيام نشر لى حديث فى الجرائد مع الصحفيين العراقيين ، وسبق أن تكلمت فى بور سعيد ، ولا ينقصنى إلا الصمود لمخنة القلعة ، وأن أقسم على ذلك !! ورغم هذا سجد من يتشكك ولا يصدق .. إذن يوجد إناس لا يريدون التصديق أبداً ، وليست هناك فائدة من إقناعهم لأن قصدهم هو التشكيك فى الوضع الموجود ، ولأن مصلحتهم الشخصية تتنافى مع الاشتراكية .. هل حجرنا على الدين ؟ .. لا .. هل منعنا الصلاة ؟ .. لا .. بل بالعكس جعلنا تدرس الدين إجبارياً فى المدارس وجعلناه مادة أساسية يترتب عليها الرسوب أو النجاح فى الإمتحان ، وكذلك بنى الكثير من المساجد ، وزاد إهتمامنا بالجامعة الأزهرية ، لى آخر هذه المواضيع ، وتوجد أيضاً بعض الموضوعات التى لها حساسية بالنسبة للدين وفى الإجتماعى السابق أشار أحد أعضاء المكاتب التنفيذية لى صدور كتاب يتعرض للدين . وكان الكتاب هنا مصادفة . فقرأنا النص المشكوك فيه ولم نجد له أى تعريض بالدين ، فمؤلفه وهو أستاذ جامعى فى جامعة أسيوط يقول أنه لا داعى لأن نقول اشتراكية إسلامها ، لأننا لا نريد وضع الإسلام

في موضوع تجربة قد تفشل وقد تنجح ، وإنما الإسلام دين حق وفيه كذا وكذا ، هذه هي الكلمة التي فسرنا على أن فيها تعريضاً بالدين ، وأنا رأيي أن كلام هذا الأستاذ سليم جداً ، فهو يرى ألا نقول إشتراكية إسلامية ، لأن معنى هذا أنه إذا فشلت الإشتراكية أو تعدلت التجربة أو التطبيق وتجربتنا ليست جامدة وليست منقولة فمعنى هذا أن يفشل الإسلام ، فلماذا نعرض الإسلام لمثل ذلك ؟ .. أنا مثلاً عندما تكلمت عن الإشتراكية والإسلام ضربت أمثلة حتى يعلم الناس أنه في وقت ظهور الإسلام طبقت الإشتراكية والعدالة الاجتماعية في موضوعات كثيرة فعندما ، دخل الإسلام العراق طبقت الإشتراكية بالنسبة للأرض ، وكذلك في الأندلس ، ولكن لم تكن في ذلك الوقت مصانع وما أشبه ذلك ، وبكل أسف إستفلت الرجعية الإسلام طوال السنين الماضية وأخذت من الدين ذريعة لسيطرتها فالملك فيصل الذي ينادى بالإسلام ويدعى الغيرة على الإسلام ، هل هو مسلم ؟ .. هل تمكن مقارنته بالنبي عليه الصلاة والسلام أو بأحد الخلفاء أو أى قائد إسلامي عادل أو حاكم مسلم إسلاماً صحيحاً ؟ .. هل كان لدى النبي سيارات وكذا مليون جنيه ، هل أستطيع مقارنة فيصل بعمر ؟ .. غير ممكن ، لأن عمر كان يعزل الوالى إذا أثر ويعتبر قراءة خروجاً عن الإسلام ، وكان ينادى بأن الأموال كلها أموال المسلمين ، إذن الإسلام واضح فعلاً والمبادئ التي أعطاهما لنا واضحة ، ولكن بعد عهد الأمويين سارت الأمور بخلاف ذلك ، وحاول الأترباء استخدام الدين لصالحهم .

في البلاد الشيوعية لم يقضوا على الدين ، ولكنهم أهملوا الدراسة الدينية في المدارس ، ومعنى هذا القضاء على هذه الناحية في الأجيال الجديدة تدريجياً .. والأمر عندنا بالعكس فنحن ندرس الدين لأولادنا في المدارس ، لو كنت متعت دراسة الدين كان لهم أن يسألوني عن ذلك ، ولكن جوهر الموضوع الآن هو أن هناك بعض الناس يريدون أن يتخلوا من الدين ذريعة ضد الإشتراكية ، تماماً مثل الملك فيصل فهو يقول إن الإشتراكية إلحاد ، لا عن إيمان وإخلاص ، ولكنه يريد استخدام الدين لخدمة الأهداف الرجعية التي يتبناها ، هذا هو موضوع الدين ، ويمكنكم في الإتحاد الإشتراكي أن تضربوا المثل ، إذا أديتم الصلاة في مقرات الإتحاد ، فأداء الصلاة مع الناس وسيلة للقضاء على تشككاتهم ، بل بالعكس نحن نعتبر الدين وسيلة لحماية الناس من الإنحراف ، فمثلاً الموظفين ، غيرهم ممن تشككي منهم ، لو كان عندهم دين وإيمان لما ضايقوا الناس ، ولا عطلوا مصالحهم .

وبالنسبة للتناقض في التفسيرات الإشتراكية ، فأنا شخصياً ضد الفلسفة والسفسطة المعروفة في هذه النقطة ، ونحن نميل إلى تبسيط الأمور إلى آر مدى ، وعندنا الميثاق الذي

وضع كل الأمور ببساطة ، فحدود إشتراكيتنا موضحة في الميثاق ، ليس هناك ما يدعونا إلى تعقيد الأمور وجلب أمثلة من هنا ومن هناك ، فالميثاق بسيط وقد تعمدنا فعلاً أن نضعه بطريقة مبسطة ، ولم نسترشد بآراء أخرى توجد فروق كثيرة بيننا وبين - الشيوعية ، وقد تلتقي معها في بعض الأمور ، عندما تقرأ الدستور الشيوعي ، وقد تلتقي معها في بعض الأمور ، عندما تقرأ الدستور الشيوعي تجد فيه سبعة عشر أو عشرين مبدأ لا يسكع أو أى مصلح إلا الموافقة علينا ، وليس معنى هذا إنك شيوعي ، فهل تستغل الناس لتثبت للعام أننا لسنا شيوعيين وإنا أصحاب دين ؟ .. ليس أسهل من هذه العملية لنا كهيفة حاكمة في هذا البلد .. ولو سلكنا هذا السبيل كنا قد إسترحنا من أغلب المشاكل التي قابلتنا في

السنوات الأربعة عشر الماضية ، لو إستندنا إلى حكم الطبقة ، وهو الحكم الذي يعتمد على تحالف الإقطاع مع الرجعية لما إعترضنا اليوم مشاكل الأسعار لأنه كان سيصبح عندنا عمال عاطلون وعدد كبير من الشحاذين كل همهم التسول وليس عندما وقت للتفلسف ، فنتيجة الأعمال الجديدة أننا أوجدنا عدداً كبيراً من المتفلسفين ، لقد زاد عدد العمال من ٤,٥ مليون عامل يضاف إليهم مليون عامل في الإصلاح الزراعي فيكون مجموع العمال ٨,٥ مليون عامل ، وأصبحت اليد العاملة في الرغيف قليلة ويصل أجر العامل إلى خمسين قرشاً .. وجميع خرجي الجامعات يلحقون بالعمل ، وذلك نتيجة للعمل الإشتراكي الذي تبنيه ، فالمجتمع الإشتراكي بناء أكثر منه تأميم ، لأن التأميم يأتي فقط في المرحلة الأولى من مراحل الإشتراكية ثم يتلو ذلك بناء الكثير من المصانع والمشروعات ، وأغلب هذه المشروعات لم تعطنا إيراداً ، فالسد العالي وإستصلاح الأراضي ثم المصانع الجديدة إتفقنا عليها كثيراً من الأموال ولم نأخذ منها إيراداً بعد ، ولذلك نجد أن العرض أقل من الطلب ويطلب الأخ زكريا تجميد بعض السلع بالنسبة للناس وتقليل النقود في البلد ، وإلا عجزنا عن التقدم .

لو كنا إخترنا النظام الرأسمالي والإقطاعي ، كنا تركنا الأموال لبعض الأفراد وحكمنا البلد مع هذا العدد المحدود من العائلات ، ولكان المجتمع في ظاهره مريحاً ولطيفاً وليس متعباً مثل المجتمع الذي نعمل له وندافع عنه . قد أقول خطبة في الراديو لا يسمعها إلا عدد ضئيل أو نسبة محدودة ممن أدافع عنهم ، إذ لا أتصور أن عند عمال التراحيل راديو يسمعون به كلمتي ، ولكنني أتصور أن ١٠٠٪ من الذين أتكلم ضدهم يسمعونني ، فكيف إذن نجتمع هؤلاء الناس ؟ .. العمل الوحيد هو التنظيم السياسي ... كيف أحل مشاكل عمال التراحيل ؟ .. العمل الوحيد هو التنظيم السياسي حتى لا يتكرر ما حدث في الدقهلية من أن أحد موظفي المحافظة اغتال النقود لنفسه ، فعدم وجود تنظيم سياسي عهد لوجود الإنحراف .

أما التناقضات أو التفسيرات بالنسبة للإشترابية فلا خوف منها ، وكل ما يكتب في الجرائد لا يخفى ، وإنما يخفى شيء واحد هو قيام تنظيم مثل تنظيم الإخوان المسلمين يستطيع أن يؤثر بما لا يقاس عن أى كلام في الجرائد إذن السبيل الوحيد أن ننشر أفكارنا ونقيم التنظيم السياسى ولا نخشى شيئاً .

وما زال الفكر عندنا محدوداً بالنسبة للإشترابية .. وعندنا الميثاق والكلام الذى يقال في الجرائد اجتهد ، فمن مصلحتنا أن نفتح مجال الإجتهد للفكر الإشتراكى في بلدنا ، وليس هناك مانع في أن يبدى أحد الكتاب رأياً في إحدى الصحف ويرد عليه آخر في صحيفة أخرى ، بل إلى أرى في ذلك ميداناً لأفكار جديدة تجعلنا نعمق تجربتنا .

أما التقييد الذى نطلبه فبالنسبة للكتب مثلاً لا توجد رقابة وقد قرأت كتاب « معالم على الطريق » قبل صدوره وكان في إمكانى مصادره أو منعه ولكنى لم أفعل ، ولكنت إخوانى عنه وقلت لهم إن الكتاب به كذا وكذا ولا أخشى من صدوره ، وإذا لوافق على صدوره فيمكن نشر ما فيه بطريقة سرية وتكون الدعوة السرية أكثر سرية بين الناس على أساس أنه لا توجد حرية رأى في البلد .

بالنسبة موضوع الصحافة : فقد رأيت الصحافة وهى تحت الرقابة ، ورأيتها بوضعها الحالى ، وهى بوضعها الحالى تحت الرقابة فمؤسسة روز اليوسف والمصريو تحت رقابة بهاء وهو محل ثقتنا ، ومؤسسة الأهرام ومؤسسة الأخبار تحت رقابة هيكل وهو موضع ثقتنا ، والجمهورية تحت رقابة بدوى وهو أيضاً محل ثقة .

وعندما كانت الصحافة تخضع للرقابة الحكومية كان يقوم بها موظف صغير ، فكانوا يوقفوننى في الساعة الواحدة صباحاً للسؤال عن نشر موضوع ما لأن الموظف اتصل بمدير الرقابة الذى يتصل الوزير والوزير يتصل بى ثم نجد الصحف الثلاث صورته تكاد تكون واحدة ، وكما قلت في الإجتاع الماضى أن هناك محاولات لهدم الصحافة المصرية ، وبالذات في بيروت ، حيث تتلف مئات الأكلوب على خلق صحافة متقدمة عنا مستخدمين طرق الطباعة الحديثة ، فالحل الوحيد هو أن نترك الصحافة بدون رقابة .. وحتى بالنسبة للرقابة السياسية أفضل أن أتركها بوضعها الحالى عن أن أضعها تحت رقابة أبو الفضل بإعتباره مسئولاً عن النشر .. وطالما نقول أن هناك غموضاً في الأفكار الموجودة ، لأنها لم تبلور بعد ، فأنا ضد فرض رقابة سياسية من الإتحاد الإشتراكى ، ولو طلبنا من أبو الفضل وكال رفعت وكال الحناوى أن يتكلموا في موضوع ما فسيقول كل واحد منهم رأياً مختلفاً عن الآخر ، إذن يجب التسليم بهذا الموضوع وقبوله فالعملية ما زالت في المجال الواسع اجتهادية ، ولكن في

الجال الضيق إذا التزمنا بالميثاق نستطيع أن نسير على خط واحد .

الكلام عن الاشتراكية لم يبدأ إلا أخيراً ، ففى أول الثورة لم أتكلم إلا عن المبادئ الستة ، ولم يزل الإنجليز موجودين حتى سنة ١٩٥٦م وخرجنا من العدوان الثلاثى وواجهنا مبدأ لينينهاور ، ثم بدأنا الكلام عن الاشتراكية سنة ١٩٦١م ، ووضعنا الميثاق سنة ١٩٦٢م ونحن اليوم سنة ١٩٦٦م ، فالفترة التى اجتهدنا فيها قصيرة .

لو نظرنا للإسلام نجد أن رسالة أنزلت للناس فى ثلاثة وعشرين سنة ، وهو مثل أعطى لنا .. وعندما ننظر للماركسية نجد أنها إستغرقت ٨٠ سنة أو ١٠٠ سنة لكى نتضح للناس ، ولأن يوجد خلاف مذهبى بين الصين والروس ، ودخل روسيا ، يوجد خلاف بين الستالينين وغيرهم .. الخ ، إذن المدة الزمنية التى إستغرقتها الفكر عندنا قصيرة ولا أريد أن أقيّد الفكر وأقول لكم التزموا بخط جمال عبد الناصر والميثاق ، فقد يكون فيكم من يستطيع أن يجتهد ، والاجتهاد فى الفكر الاشتراكى محبب ، ولو لم يكن عمل كثير لا استطعت الاجتهاد أكثر ففى أيام وضع الميثاق تفرغت له فترة ، وحينما وضعنا القوانين الاشتراكية مكثت فى الأسكندرية شهرين للتفرغ لها والتفكير فيها ، حتى إنتقينا إلى ضرورة تنفيذ قوانين سنة ١٩٦١م ، ولكن قد تكون لديكم كمتفرغين الفرصة للاجتها .

بالنسبة لوضوح الاشتراكية ، فاشتراكيّتنا واضحة جداً فى الميثاق ، لأن الميثاق عبارة عن تسعين ، ميثاق وبرنامج ، الميثاق واضح ، والبرنامج حتى سنة ١٩٧٠م واضح وليس به

غموض ، هل ستؤم المساكن ؟.. أبداً .. ليس فى الميثاق تأميم المساكن ، هل سأمع الملكية الخاصة ؟.. لا .. الميثاق لم يلمح الملكية الشخصية ، بالنسبة للقضاء على الإستغلال ، نقول أنه يجب القضاء عليه ، بل أرى أمل قبل وفاتى أن أجِد أزمة فى الخدمة ، وحينئذ أعرف أرى صنعت شيئاً فى هذا البلد ، ولكن عندما نتكلم هذا الكلام نجد فة لا يرضينا ذلك وهم الذين لديهم خدم ، ولو سألت أحدهم عما إذا كان يرضى أن يعمل إنه كخادم لأجاب بالرف: ، إذن يجب على الإنسان أن يفكر بهذه الطريقة .

بالنسبة للإجراءات التى تتخذ بدون تفسيرات كإجراءات رفع الأسعار مثلاً ، فإن هذا الموضوع يتعلق أيضاً بالتنظيم السياسى فلو كان لدينا تنظيم سياسى لما اكتفينا باتخاذ الإجراءات وإعطاء التفسيرات ، بل كنا نأخذ رأيه فى موضوعات كثيرة ، لكن طالما لا يوجد تنظيم سياسى ، فالإجراءات والتفسيرات عملية غير ممكنة فمثلاً موضوع ادخار يوم من العاملين أثار ضجة واضطربنا للتراجع لأن التنظيم لم يكن سلمياً ، فالتفسيرات سببت صدى عكسياً .

وبالنسبة لتغير أماكن القيادين دون إيضاح أسباب ، فإن هذا يحدث في أكثر البلاد ، فمثلاً ماكميلان استبعد لوين لويد وثمانية من الوزراء ولم يوضح الأسباب ، ورغم ذلك استمروا معه في البرلمان ولم يشهروا به أو يشهر بهم ، لأن الضرر في الحالتين يكون عائداً على المجموعة .

وبالنسبة لقضية اليمن فقد يسبق أن تكلمت عنها ، وأكرر القول أنه لو كان عندنا تنظيم سياسى لأمكن تعبئة الناس ، لن نعيء كل الناص ولكن نعيء القيادين ، وكل قائد يعيى جنوده بحيث تمنع السلبية وتمنع البلبلة .. فيجب أن يكون الاتحاد الإشتراكي عبارة عن قادة وجنود ، وبذلك يكون عملنا الأساسى هو التجنيد ، وكما قلت أنت أنه في الإجتماعات الضيقة يستطيع الإنسان فعلاً أن يجند ، وأن يرتبط بالناس على مستويات مختلفة ، وبذلك يكون لنا تنظيمنا السياسى أو الكادرات من الأفراد المؤمنين والمترتبطين عن عقيدة وعن إيمان .

أمين الجيزة :

أعتبر نفسى في الحقيقة قد وفقت في عرض جميع المواضيع لأنى ما قصدت عرضها إلا سماع كل هذه الإيضاحات ، حتى إذا كان هناك أى غموض في الفكر أو عدم وضوح للرؤية .. أمكننا أن نتبينها ثم نتقل بهذا الإيضاح إلى القاعدة ، وتكون بذلك أكثر فاعلية .

السيد رئيس الجمهورية :

هل لإخواننا في القاهرة أو في الجيزة تساؤلات بالنسبة لما أثير من نقاط ؟ ..

السيد المشير عبد الحكيم عامر :

لا بد أن يكون هناك كلام وآراء .

السيد رئيس الجمهورية :

هناك نقطة وجهة بالنسبة للتفرغ يذكرها الأخر على صبرى وهى أنه يهمننا وجود أشخاص من المؤمنين في الأجهزة التنفيذية فإن هؤلاء فائدة كبيرة للدعوة داخل الأجهزة التنفيذية ، كذلك ليس من المصلحة أن نفرغ جميع الأشخاص الصالحين في الأجهزة التنفيذية للعمل السياسى حتى لا نعزلهم في الوقت الذى نتخذ التفرغ فيه وسيلة للتلاحم مع الناس في جميع القطاعات .

د . عباس صقر :

لقد وضع المكتب التنفيذى في الجيزة نصب عينيه هدفين هما بناء التنظيم السياسى القومى ، والإندفاع في عملية الإنتاج لمضاعفة الدخل القومى ، ونرى لكى تتمكن من اجتياز مرحلة

التحول الإشتراكي أن تكون هناك حلول للمشاكل الأساسية في داخل مواقع العمل وفي قطاعات الإنتاج ، ومن خلال بحث هذه المشاكل نستطيع من اللقاءات المتكررة التعرف على القيادات المؤتمتة الصالحة ، ونحن مقدرون لمسئولياتنا ومقتنعون بها ، وهي أن تكون قدوة في السلوك الإشتراكي وأن تتم لقاءاتنا في وضوح فكري تام ، وأن نتجرد في اختبار الأشخاص القياديين ..

وبالنسبة للصلاحيات نرى أن تكون لنا رقابة نافذة وفعالة على الأشخاص ، وعلى العمل داخل مواقع الإنتاج والخدمات ، بحيث يكون ما نراه في هذا الشأن محل دراسة سريعة وإجراءات ثورية .

السيد رئيس الجمهورية :

يبدو لي أن هذا الموضوع سابق لأوانه ، إذ يجب أن نكون أنفسنا أولا ، فعندما أقول إن للإتحاد الإشتراكي الرقابة فمعنى ذلك أني أعطيك مسؤولية أنت غير قادر عليها ، وقبل التعرض لهذه المواضيع يجب أن يسبقها عاملان :

١ - التجنيد والتكوين والدعوة .

٢ - معرفة مشاكل الناس وحلها ودون الدخول في منازعات مع الأجهزة التنفيذية .

لا بد اليوم أن نسير مع تلك الأجهزة بأسلوب الدعوة والتعاون وهو أنجح بكثير من فكرة الرقابة ، والدول التي أقامت قبلنا رقابة الحزب تعمل الآن على حل هذه الرقابة ، لأنهم وجدوا أن الرقابة تزيد العمل بالطريقة البيروقراطية .. ولكن هذا لا يمنع من وجود رقابة عندنا بدون سلطة ، وهي التي تقوم بتنفيذها أنت ، وتحقق هدمك منها عن طريقي وعن طريق الأمانة العامة للإتحاد الإشتراكي فتقول للأمين العام أن يحافظ الجيزة عمل كذا وكذا ومتنازع مع الإتحاد الإشتراكي ، فأنا والأمين العام نمثل السلطتين التنفيذية والشعبية . وعندنا القدرة على أن نفصل في هذا الموضوع .

ليس هناك مانع أن تأتي وتقول لي أن الشرقية للسجائر فيها عمال أكثر من اللازم ، ولكن ليس لك أن تذهب لمجلس إدارة الشركة الشرقية وتقول له أنت خاضع لرقابتي ، لأنك بهذا ستوجد تناقضات لا أول لها ولا آخر ، ولكن يمكنك عن طريق التجنيد ، وعن طريق الدعوة ، وعن طريق الأعضاء الذين ستجندهم في داخل الشركة الشرقية ، أن تعرف إن كان هناك عمال أكثر من اللازم أو أن هناك محسوبة ، وتبلغنا بذلك فنكون عندنا رقابة غير مباشرة .

إذن عندنا عمليتان ، أن ندعو ونجند الناس ، ثم نعرف مشاكل الناس ونحلها ، ويدخل الإنحراف ضمن مشاكل الناس وواجبك في معالجة الإنحراف أن تعمل على التوعية أولاً قبل التقويم ، بمعنى أنك عن طريق الإتحاد الإشتراكي يمكن أن تجذب هؤلاء الناس وتباشر معهم عملية الدعوة والتجنيد ، وستجد أن مجتمعنا طيب وليس معقداً ، وسيستجيب لنا الكثيرون ، وسيطوع للعمل معكم موظفون ولكن بشرط ألا يكون هناك إتصال منكم عليهم ، لو تكبرت على أحد فلن يسأل فيك أحد ، بالكلمة الطيبة يتفانى معك الجميع .

وبنفس الطريقة يمكن على متابعة ، ففى محافظة الجيزة عندكم شركة السكر وشركة الدخان وشركة كذا .. فمن طريق الأفراد المهندسين الموجودين في كل منها تستطيع أن تتابع ، ثم تأتي إلينا لتقول أن ميزانية هذه الشركة غير حقيقية ، وإنا قد حققت نخسائر وأودعت في ميزانيتها إنها حققت أرباحاً . وبهذا نستفيد جداً من هذه المعلومات ولكن حصولك على هذه المعلومات أن يكون عن طريق إظهار السلطة ، وإلما عن طريق التجنيد والدعوة .. وبهذا الأسلوب تستطيع مسح المحافظة وتحديد طريقك .

محمد عبد الحميد لينة :

أرى أن هناك قوى رجعية تحاول إثارة البلبلة عن طريق خلق هذه القضية الفكرية ، هل إشتراكيتنا علمية أم هي إشتراكية عربية وما مصدها ؟ .. وأرى أنه يلزمنا في المكاتب التنفيذية أن نكون دائماً على إتصال بالقيادة السياسية من حيث الوعي الواضح في النواحي الفكرية .

ويدفعني هذا أيضاً إلى تساؤل آخر من موقف المكاتب التنفيذية بالنسبة للشبوعيين ، وقد سبق لسيادتكم في إجتماع الهيئة البرلمانية إن رأيهم أنه إذا توافرت في هؤلاء الناس الصلاحية والقدرة على ممارسة العمل السياسي مع الإلتزام بخطينا السياسي فلا مانع من أن يمارسوا العمل معنا ، إلا أن الحساسية القديمة دفعتنا إلى إعادة إستطلاع رأى القيادة السياسية لتحديد الوضع إذا تقدم إلى المكتب التنفيذي بعض هؤلاء الزملاء . وشكراً .

السيد الرئيس :

بالنسبة للنقطة الأولى فقد نص الميثاق على أنها إشتراكية علمية ، ولا يمكن أن نجعلها بخلاف ما هو منصوص في الميثاق ، وليس هناك ما يوصم الإشتراكية العلمية بالكفر ، ولكن إذا كنت تريد السؤال عما إذا كانت ماركسية ، فأنا أقول بصريح العبارة أنها ليست ماركسية وليست ماركسية لينينية ، وسبق أن قلت هذا الكلام بوضوح في حديثي مع الصحفيين العراقيين ، ومن السهل جداً معرفة الخلاف وسبق أن شرحناه عدة مرات ، فليس هناك داع

للدخول في فلسفة عما إذا كانت اشتراكية علمية أو شتوية أو صيفية ، وسبق أن تكلمت في عيد العلم مفسراً هذا الموضوع ، وكان ذلك رداً لما ورد في الميثاق بالنسبة للعلم ، ويجب أن تكون إجابتنا قاطعة ، فالميثاق لم يقل أنها اشتراكية عربية ، ولم يقل أنها ماركسية ولا لينينية ، وقد أسمىها اشتراكية مصرية ، وفي هذه الأيام توجد اشتراكية صينية واشتراكية روسية ، وفي بولندا شيوعية وذلك في يوغوسلافيا ، ولكنهم جميعاً يسرون طبقاً للماركسية اللينينية وتطبيقها مبنى على أساس دكتاتورية البروليتاريا أو حكم الطبقة ثم تصفية المجتمع ، ونحن لم نسر بهذا الشكل .

أما بالنسبة لسؤالك عن الشيوعيين فإن فهم أشخاصاً صالحين وقبل سنة ١٩٥٢م لم يجدوا أمامهم طريقاً للكفاح في سبيل حرية هذا البلد واستقلاله إلا انضمامهم للحزب الشيوعي ، وبعد قيام الثورة رجعوا عن هذا الرأي ، وفهم أيضاً غير صالحين ، وأنا أعرف كل فئة بالأسم ، ولذلك يجب إستطلاع الرأي بالنسبة لم ينضم منهم إلى العمل السياسي ، ولا بد من موافقة الأمين العام ، والأمين العام سيتصل في شخصياً في هذا الموضوع ، وعندى بيانات عنهم .

محمد عبد الحميد لبنه :

يوجد تعليق بالنسبة لتعدد الأجهزة على مستوى المحافظة نجد أربع أجهزة تعمل في قطاع الزراعة وهدفها واحد وهو تقديم الخدمات للزراع ، وهي الجمعيات التعاونية الزراعية ، وبنك التسليف والمؤسسة التعاونية الزراعية . ومديرية الزراعة بالمحافظة ، والوضع يقتضى توحيدها تسهلاً للتعامل مع الجماهير .

وهناك دراسات أخرى على الطبيعة عن الإزدواج ، فهناك محطات لا يقف عليها في اليوم إلا قطار أو اثنان ، وكذلك محطات للنقل البرى لا تقوم بالشحن أكثر من مرة أو اثنين في الشهر .

أكثر من ذلك تعدد الشركات والمؤسسات التي تعمل في نوع واحد من الإنتاج ، فالشركة لها مجلس إدارة رئيس مجلس إدارة ، والمؤسسة لها أيضاً رئيس مجلس إدارة ومجلس إدارة ، ثم هناك مجلس أعلى للمؤسسات برئاسة السيد نائب رئيس الوزراء للصناعة ، ثم بعد ذلك يعرض الأمر على مجلس الوزراء لإقرار ما ينتهى إليه المجلس الأعلى للمؤسسات ، وأعتقد أن هذا التعدد في حاجة إلى إعادة نظر .

السيد الرئيس :

موضوع الزراعة ، ليس بالبساطة التي تكلمت بها بالنسبة لموضع المحطات ، ففى
تصورى أنها لو أُلغيت لإنهالت علينا الشكاوى كما حدث بالنسبة لمصلحة القطن ، وسياستنا
عندما خفضنا ساعات العمل إلى سبع ساعات أن تزيد العمالة بحيث نقضى على البطالة التي
كننا نشكو منها .

أما موضوع الشركات المتشابهة والمتعددة ، فرأى رغم أن نظامنا اشتراكى ، إلا أننا
نستطيع الأخذ بنظام الإدارة الرأسمالى دون أن يمس ذلك مبادئنا ، وأعتقد أن الدول الاشتراكية
تتجه إلى ذلك ، وقد قرأت فى الأسبوع الماضى بعد مقالات منشورة فى الصحف السوفيتية
تقول بأن الإصلاح الإقتصادى والوازع ليس رجوعاً إلى الرأسمالية ، وإن لهم أن يأخذوا
بالأساليب التنظيمية للرأسمالية ويعتبرون ذلك تحسناً فى الاشتراكية ، وعلى هذا الأساس
طلبوا ، الكترونيك ماشيزن لكي يطبقوها فى الإتحاد السوفيتى ، وقد كان عندى فى الأسبوع
الماضى رئيس تحرير مجلة « لايف » ومعه إثنان من الصحفيين ولم يتصوروا إن محلات
« شيكوريل وبنزايون وجاتينيو وهنانو والطرايشى » ، تابعه للقطاع العام لأن المحلات شكلها
« ضل » فى الإتحاد السوفيتى وكلها على نمط واحد ، فأنا أرى أن تكون هناك منافشة بين
المحلات ، وحتى الأو كازيونات ووافقت عليها ، فليس من الضرورى نقل كل ما فى المجتمعات
الأخرى إلى مجتمعنا دون بحث ، ومن الأفضل أن نترك مجتمعنا مفتوحاً ولا نقفله أبداً ، مجتمعنا
مختلف عن جميع المجتمعات ومنسبر فى تطبيقنا للإشتراكية ، ونترك مجتمعنا مفتوحاً للسباح
ولا أعمل ستاراً حديدياً ، وفى هذا المجتمع يجب أن نأخذ بما يفيدنا من أساليب الرأسمالية
فى تطبيقنا للإشتراكية .

عندنا الآن الشركة والمؤسسة والوزارة ، الشركة عنها سلطة كبيرة ، والمؤسسات عندها
سلطة ، وكذلك الوزير ، والحقيقة أن مشاكلنا كلها ليست مشاكل تسلسل ، ولكن مشاكلنا
الأساسية هى مشكلة التوازن الإقتصادى أو مشكلة النقص فى العملة الصعبة ، لأننا توسعنا
على تنفيذ الخطة الخمسية (فى خمس سنوات) ، ونفذناها واعتمدنا على حد كبير على المواد
الخام الأجنبية ، وعلى مستلزمات الإنتاج الأجنبية ، وسنقضى على هذه المشكلة فى الخطة
الثانية بحيث لا تمر سنة ١٩٧٠م إلا وتكون الأمور قد إنتظمت .

رئيس الوزراء :

فى تقديرى أن التنظيم يجب أن يكون متطوراً باستمرار ، وقد وضعنا الأسس لذلك ونحن
على استعداد لتقبل أى إقتراحات .

د . أسامة رفعت :

ليس هناك شك - كما أشرت سيادتكم في إجتماع محافظات الوجه القبلي - في وجود أحزاب وتنظيمات أخرى بجانب التنظيم السياسى ، ليس لها أسم أو مقر ، ولكن أعضائها يستغلون عدم وضوح الرؤية التى يعانى منها الكثير من المواطنين في الجمهورية بالنسبة لمضمون الإشتراكية العربية ، وأنا أصر على تسمية اشتراكيّتنا بالإشتراكية العربية .

السيد الرئيس :

عندما تقول أصر ، فإنك تعبر عن عقدة نفسية ، كان أسهل لنا أن تقول اشتراكية عربية في مبدأ الأمر ، ولكن في كلامى لم أقل ذلك ، لأن الإشتراكية في الدنيا كلها من ناحية المفهوم الإجتماعى هى الكفاية والعدل ، غير إننا نختلف في التطبيق ، وفي تصورى أننا متقدمون في التطبيق الإشتراكي عن بولندا ، وقد اجتمعت مع « أوحاب » وتكلمت معه عن المكلية الزراعية ، وليس معنا هذا إننا شيوعيون أو أنه سيدخل معى ضمن الإشتراكية ، ولكنه يسير في خط إشتراكي بتطبيق معين ، وأنا أسير في خط إشتراكي بتطبيق آخر ، وعندما تقول الإشتراكية العربية يكون شأنك تماماً شأن الملك فيصل عندما يقول الحلف الإسلامى ، ليس لدينا ما نخفيه بكلمة الإشتراكية العربية ، نحن واضعون كل الوضوح ، وأمانا الميثاق ، وليس هناك داع للدخول في صراع وحوار دون مبرر .

ثم إن اشتراكيّتنا متطورة ، ومعنى ذلك بلك بساطة أنها ستوصلنا في يوم ما إلى منع استغلال الإنسان للإنسان منعاً كاملاً ، هل نحن وقد واثنا الفرصة نستطيع أن نقصر في حق الذين لم تواتهم الفرصة ، نحن ننظر إلى هؤلاء ونعمل على القضاء على استغلال الإنسان للإنسان ، وهذا يتمشى مع العدل والدين لأن الله لم يخلقنا لكي يستغل أحدنا الآخر .. هذه هى الإشتراكية والسبيل الوحيد الذى يوصلنا إليها هو زيادة إنتاجنا ودخلنا القومى وتنظيم أنفسنا ، أما ذكرت لك أن أملى قبل وفاق أن أرى البلد بها أزمة خدمة ، وليس معنى هذا إنتهاء استغلال الإنسان للإنسان .. وإنما معناه أن مرحلة من مراحل الإستغلال قد إنتهت .

أنا شاعر بأزمة عمال التراحيل ، وما يشوبها من استغلال ولكنى الآن غير قادر على حلها ، ولكن العملية المتطورة توصلنا إلى الحل فما الذى يحيفنى من التطور ؟..

د . أسامة رفعت :

ليس هناك خوف ، ولكن يهمنى في مجال التوعية أن الجماهير تشعر بأن لاشتراكيّتنا طابعاً معيناً ، ولن يوفى الشأن إليها في أننا سننحرف إلى الشيوعية ، ولو نظرنا إلى جمال عبد الناصر

كمفكر إشتراكي نجد أنه قد أضاف مفاهيم جديدة مثل الإيمان بالدين وعدم تقبل مبدأ صراع الطبقات .

السيد الرئيس :

لا ، الصراع الطبقي موجود في الميثاق .

د . أسامة رفعت :

ولكننا لا ننص على أننا طبقة « البلوريتاريا » .

السيد الرئيس :

لا ، هذا موضوع آخر .

د . أسامة رفعت :

إذا تكلمنا عن محافظة الجيزة كمركز خطير للتجمعات الطلابية ولهيات التدريس ، فإن طبيعة التوعية تختلف ، ويجب أن يعلم الجميع أن هناك قيادة تضع مذهباً جديداً وليست ملتزمة بتطبيق المذهب القديم ، ومع أن جميع الإشتراكيات لها عناصر عامة مشتركة إلا أن لكل إشتراكية طابع خاص ، ولذلك عندما أقول الإشتراكية العربية فلأني مقتنع بأن إشتراكيتنا مميزة ، ذات مذهب جديد أو هي تطوير كامل للمذهب بفكر جديد وأسلوب جديد .

السيد الرئيس :

مثلاً ، تغير أسم الجمهورية العربية إلى « إسم مصر » ، وأنا من الذين عز عليهم جداً لسم « مصر » ، كدولة ، فماذا تسمى الإشتراكية حيثذ ؟.. إشتراكية مصرية ؟..

د . أسامة رفعت :

المسألة أننا نريد أن نشعر القاعدة الواسعة بأن عندنا صياغة جديدة للفكرة الإشتراكية .

السيد الرئيس :

تقصد في التطبيق الإشتراكي .

السيد المشير عبد الحكيم عامر :

أعتقد أنه لا شأن للقاعدة الواسعة ، وهي لا تدخل في مثل هذه المناقشات ، وبيها أولاً مشاكلها الواقعية والعملية ، وإنما هذه التفسيرات المعقدة تثار بواسطة المثقفين الذين يعتقدون مبادئ أخرى ويحاولون أن يقولوا - كما سمعتم طبعاً - إن الإشتراكية التي تعتقها

مرحلية ، وإنما سوف نتقل بعد ذلك إلى مرحلة تالية ، ولكن كلام الرئيس قاطع ،
فاًشترakitنا ليست مرحلية ، ولا هي ماركسية لينينية ، وهذا يحسم الموضوع .

السيد الرئيس :

يمكن أن أقبل كلامك ببساطة ، ولكنى أريد أن أقنعك ، وأقول بصراحة إن إشتراكيتنا
متطورة بهدف الوصول إلى الكمال .

السيد المشير :

ويقول البعض من المثقفين وغيرهم أنها انتقام ، كما يدعى بعض الناس ؟.. وإن سلاح
التأميم في مجتمعنا جعل للانتقام ؟.. أيداً ، هي عدالة كاملة .

محمد أحمد إدريس :

عدم استطلاع رأى الجماهير بشكل في حد ذاته نوعاً من البيروقراطية نجده واضحاً حتى
في مشروع قانون التعاون الجديد فقد أعطى هذا القانون السلطة للجهة الإدارية وجعلها فوق
سلطة الجمعية العمومية ، فكيف يمارس المواطنون حقهم في الإدارة الديمقراطية .

وقد دعانا هذا إلى دعوة إخواننا الفلاحين أعضاء المكاتب التنفيذية في مختلف المحافظات
لزيرة الجيزة في آخر مارس لدراسة مشروع قانون التعاون وتبادل الرأي فيه ، ثم نرفع ما
يستقر عليه رأينا إلى قيادة التنظيم ، وكذلك بالنسبة لبعض الموضوعات الأخرى مثل علاقة
المالك بالمستأجر ، وموضوع ديون بنك التسليف وغير ذلك .. ومن خلال تجربتنا فإن
الجمعيات المشتركة أصبحت لا لزوم لها . والجمعيات النوعية لم يحسها أى تنظيم وظلت كما
هى بالمفهوم التقليدى للتعاون ، وما زالت بمنأى عن أى تطور ، بمعنى أنها مازالت تحت

سيطرة الأفراد ، ونقترح في هذا الشأن أن تقصر العضوية على الجمعيات المحلية للحد من
سلطة الأفراد وبخاصة في المشروعات الاقتصادية العامة مثل جمعية تربية الماشية .

السيد الرئيس :

بالنسبة لموضوع الجمعيات والتعاون كله ، كنت قد طلبت من السيد على صبرى أن
نعقد إجتماعاً للتعاونيين لبحث كل هذه المواضيع ، وأظن أنه كانت هناك اجتماعات تمسوية
مفيدة للتعاونيين منذ سنة ١٩٥٨م ثم توقفت هل لدى الأخ زكريا تعليق على هذا ؟ ..

رئيس الوزراء :

توجد موضوعات تفصيلية كثيرة هى محل دراسة الآن ، ولكن ما أود قوله هو أننا يجب
أن نفكر في الإنتاج في نفس الوقت الذى نفكر فيه في توزيع العائد ، فمثلاً جمعية تربية

الماشية في الواقع تعتبر مسألة تخصصية يقوم بها أشخاص معينون ، ونحن يهمنا في هذه المرحلة زيادة الثروة اللحمية ، فهل يؤدي اقتراح السيد محمد إدريس إلى زيادة إنتاج اللحوم ؟ ..

محمد أحمد إدريس :

قمنا بتجربة في الخيزة على نطاق صغير وعند تقييمها ثبت نجاحها على أساس الزيادة في إنتاج اللحوم ، وليس على أساس الكسب المادى .

رئيس الوزراء :

الدولة على استعداد لكى تترك الجمعيات التعاونية في هذه المسئولية ، ومن معلوماتي الخاصة ، أنه لو حدث إهمال في موضوع تربية الماشية بالذات ونفق بحصة أو ستة رؤوس فإن ذلك بضيع المكسب كله .

السيد الرئيس :

هناك نقطة يمكن وضعها في الاعتبار ، وهى إن الجمعيات التعاونية تحتاج إلى تطوير ، فما زال كبار الملاك مسيطرين عليها بصرف النظر عن تحديد نسبة ال ٤ على ٥ ، فكبار الملاك لهم نفوذ ويستطيعون وضع رجالهم في مجالس إدارات الجمعية التعاونية ، وربما كان هذا هو الذى أثر على فكرة الديمقراطية التى تكلمت عنها . فلن تكون هناك ديمقراطية حقيقية بهذا الشكل ، ونحن في مرحلة انتقال من رأسمالية إلى اشتراكية ، وما زال لكبار الملاك في عدة قطاعات تأثير كبير على الأوضاع والمشاكل ومنها الجمعيات التعاونية ، وفي رأى أن يناقشوا الموضوع مع الأخ على صبرى ومع الأمانة لأن عنده فكرة واضحة عن هذا الموضوع .

أمين الفلاحين :

الموضوعات التى تعرض لها الأخ إدريس كانت موضع دراسة تقدمت بها والحلول المقترحة لها للسيد الأمين العام .

وبالنسبة لتجاهل الإدارة للديمقراطية في الجمعيات - التعاونية ، فإن قانون التعاون الجديد يتعرض لكل هذه المشاكل ويؤخذ رأى القاعدة الآن على مستوى المكاتب التنفيذية فيه ، وفيما قد يكون به من ثغرات .

وقد حدد القانون نسبة لا تقل عن الثلث تكون بالتعيين داخل مجلس الإدارة ، ومسئوليتنا نحن أن نضع أيدينا على القيادات السليمة في القرية ، على أساس أنه عند إجراء الانتخابات يكون دور التنظيم السياسى دافعاً للقوى النظيفة في الدخول إلى الجمعيات التعاونية ، وتحري

العمل لمصلحة الجماهير .

أما باقى الموضوعات التى أثارها الأخ محمد إدريس بالنسبة للجمعيات النوعية ، فهى كما أشار السيد رئيس الوزراء لها طبيعة خاصة ، ولكن المسألة المهمة هى أن بعض كبار الملاك يحصلون على قروض لتربية الماشية ، ولكنهم يستخدمونها فى أغراض خاصة ، والواجب هو تشديد الرقابة والمتابعة بالنسبة لهذه القروض .

السيد الرئيس :

هل إنتهى كلام الجيزة ؟ ..

أمين الجيزة :

نشكر سيادتكم على هذه المناقشة الحقيقية ونستأذن فى ترك الفرصة لإخواننا أعضاء المكتب التنفيذى للقاهرة حتى نشترك معهم .

السيد الرئيس :

لكى نعطى القاهرة حقها ، نؤجل الإجتماع للساعة السابعة مساء غد ، وأعضاء مكتب الجيزة يحضرون أيضاً ليسمعوا أعضاء مكتب القاهرة ..
وشكراً !

الاجتماع الثانى للسيد الرئيس جمال عبد الناصر بأعضاء المكاتب التنفيذية لمحافظتى القاهرة والجيزة

السيد الرئيس :

مساء الخير ...

هل لدى إخواننا أعضاء الجيزة تعليق على مناقشات أمس ؟ .. إذن يتكلم إخواننا أعضاء القاهرة .

أمين القاهرة :

إننا نعتبر لقاءنا مع سيادتكم لحظات العمر ، لذلك رجوت أن يحضر معى زملايى أمناء أقسام القاهرة وقد تفضلتم سيادتكم مشكورين بالموافقة .

لقد اتخذ المكتب التنفيذى للقاهرة من توجيهات سيادتكم فى مؤتمر المكاتب التنفيذية الأول دليل عملى له ، وكان واضحاً أننا فى عملنا السياسى يطالبون بواجبات رئيسية :

- ١ - بناء التنظيم الكفء .

- ٢ - تعميق أسلوب العمل السياسى .

- ٣ - دفع العمل السياسى ، وحل مشاكل الجماهير .

فكانت خطة العمل ملتزمة التزاماً واعياً بهذه الواجبات الأساسية الثلاثة ، وبدأنا تنفيذها عملياً من منتصف فبراير وقدر لها خمسة شهور تقييم بعدها العمل والنتائج ، وعلى أساسها تضع خطة المرحلة التالية ، إن خطتنا ليست جامدة ، إنها قابلة للتعديل وفقاً لممارسة العمل ، كما أنها تفرع على مستوى الأقسام .

أولاً - بالنسبة لبناء التنظيم الكفء :

- ١ - فيما عدا قسمى الخليفة والأزبكية ، فقد تم تشكيل مكاتب الأقسام فى حدود ٥٠٪ من عدد القيادات المقررة لكل قسم على أن يتم إكتشاف القيادات الباقية من خلال العمل السياسى اليومى .

- ٢ - تم إعداد خرائط التنظيمية لجميع أقسام القاهرة وعددها ٢١ قسم ، كما تم تقييم بعض القيادات الموجودة وتشمل ٨٧٦ وحدة للإتحاد .

- ٣ - إقترحنا ممارسة تجربة الجماعة القيادية على مستوى الوحدات ، وقد وافق السيد الأمين على ذلك ، وتشكل الجماعة القيادية من لجنة الإتحاد واللجنة النقابية وأعضاء

مجلس الإدارة المنتخبين وقيادات الشباب والعناصر الأخرى النشيطة ، وفى تقديرنا أن هذا يقضى على التناقض الموجود فى هذه الوحدات ، كما يعطى فرصة للقيادات الصالحة التى تبرز من العمل السياسى أن تظهر وتعمل ، كما أن العمل خلال هذه الجماعة سيكون عن طريق واجبات محددة تساعد على إكتشاف القيادات الصالحة وتنحية العناصر السلبية .

٤ - قمنا ببناء شبكة إتصال داخلية لكافة مراتب التنظيم ، عن طريق الإجتماعات الدورية

المنتظمة ، وتنظيم إتصال تليفونى عاجل مع مكاتب الأقسام ليلاً ونهاراً ، كما طلبنا لإعداد خرائط بمواقع الإتصال بالجماهير ، مع تحديد قوة التنظيم فى كل موقع وتقييمه فكرياً وحركياً .

٥ - تكوين فرق لشباب العمال ، فيالإتفاق مع منظمة الشباب سيجرى تدريب العمال فى الوحدات الإنتاجية والخدمات فى إحياء القاهرة ابتداء من ١٣/٣/١٩٦٦ م .

٦ - أما بالنسبة للنقابات المهنية ، فقدتم مبدئياً اختيار ضباط إتصال فى كل النقابات من داخلها ، ويمجرى السعى ديمقراطياً لإنجاح العناصر المناضلة الواعية فى مجالس الإدارة ، كما يتم الإعداد لدورة تثقيفية للمهنيين تمهيداً لتطوير النقابة بهدف رفع مستوى المهنة فنياً ورفع مستوى الخدمة للجماهير ، والقضاء على الأوضاع الطبقيّة ، وإذابة الفوارق داخلياً .

هذا فى مجال التنظيم ، وقبل أن أنتقل إلى المجال الثانى اسمحوا لى يا سيادة الرئيس أن أطرح أمام سيادتكم سؤالين نشعر أننا فى حاجة إلى توضيح وتوجيه من سيادتكم بالنسبة لهما :

السؤال الأول :

أ - توضيح شكل العلاقة التنظيمية بين الإتحاد الإشتراكى والمنظمات الجماهيرية ، وما هو الإتجاه السليم لتطوير هذه العلاقة التنظيمية ؟ ..

ب - أعتبر الميثاق أن المنظمات الجماهيرية مثل « النقابات العمالية » والمهنية وروابط المثقفين ، « قاعدة طليعية » ، ونأمل فى تحديد المضمون التنظيمى لكلمة « قاعدة طليعية » وهل يعنى ذلك إن المنظمات الجماهيرية ستسند إليها واجبات طليعية ؟ ..

السؤال الثانى :

ندعيماً لشبكة الإتصال فى المرحلة الحالية - وهى مرحلة بناء التنظيم - ألا ترون سيادتكم تخصيص مسئولين للتنظيم يقولون ما يشبه واجبات ضباط الإتصال فى الجيش ؟ ..

السيد الرئيس :

رأى بالنسبة للنقطتين اللتين أثيرت ، أنه لا يمكن أن تكون العلاقة بين النقابات والإتحاد الاشتراكي مثل العلاقة بين منظمة الشباب والإتحاد الاشتراكي لسبب بسيط ، هو أن منظمة الشباب جزء من الإتحاد الاشتراكي والنقابات ليست كذلك ، هل قامت النقابات بالدور الطبيعي الذي نص عليه الميثاق ؟ .. لا ، لأنه لا يوجد تلاحم بين الإتحاد الاشتراكي والنقابات .. فلكى توجه النقابات لتكون قاعدة طليعية فعلاً يجب أن يكون أعضاؤها الذي يبرزون فيها أعضاء حركيين نشطين في الإتحاد الاشتراكي ، وإذن فيجب أن نجند في داخل هذه النقابات الأفراد الذين تستطيع توصيلهم إلى النقابة ، وإلا ستحد إن النقابات مستقلة عنك ، ونحن نعلم أن الانتخابات التي تتم في النقابات لا يحضرها سوى مئات قليلة في الوقت الذي يكون فيه الأعضاء عشرة آلاف أو أكثر ، فالحل الوحيد أن يكون لنا تنظيمات داخل هذه النقابات ، وعن طريقها تتكون النقابة ، وبذلك تستطيع عن طريق العضو الحركي العامل في الإتحاد الاشتراكي ، الذي هو في نفس الوقت عضو في النقابة ، أن تحرك النقابة وتجعلها فعلاً طليعية .. أظن أنكم تسرون بهذا الشكل ؟ ..

أمين القاهرة :

هل يسرى على نقابات العامل نفس النظام ؟ ..

السيد الرئيس :

طبعاً ..

وبالنسبة للموضوع الآخر ، فقد تكلمت عنه في أول اجتماع هنا ، إن الإتصال بالمستويات الأدنى يجب أن يشمل الجميع ، ولا أستطيع أن أخصص له واحداً فقط ، فإذا خصصنا له ضابط إتصال يقوم وحده بالإتصال فكأنى سأعزل الآخرين عن الإتصال ، ولن نستطيع أن نقول إن عندنا وحدات أساسية أو وحدات مختلفة طالما أننا لا نعرف أعضاء الوحدات الأساسية بالاسم ، ونعرف المتحمس منهم والمتزمت الذي يعوزه الوضوح ، هذا الكلام سبق أن قلته في أول لإجتماع ، وقلت أيضاً أن القائد لا يعطي تعليمات ثم يتركها بل عليه أن يحاول الإتصال والتفسير ، وبهذا القائد أى الأمين ، فيجب أن يتصل شخصياً بالوحدات الأدنى وإلا وجد نفسه معزولاً وسط أكوام من الأوراق والملفات ، ولا يعرف شيئاً عن الذين يعمل معهم .

ثم إذا قسمنا المسؤوليات في المكتب وفقاً لتقسيم الأمانة ، فإن ممثل الشباب في مكتب القاهرة يجب أن يتصل بالشباب في الإنسان في الوحدات الأساسية ، وكذلك بالنسبة لممثل

الدعوة والفكر . وأيضاً بالنسبة لممثل العمال .. الخ فلن نستطيع تخصيص ضابطاً اتصال واحد .

كذلك أو أن أوضح مهمة ضابط الاتصال في الجيش ، فمهمته أن يعطى صورة تفصيلية ، ولكن هذا لا يمنع قائد التشكيل وإركان الحرب وهذه القيادة من الاتصال بكل الناس في القيادات الأخرى ثم إن تعيين ضابط الاتصال يجرى عادة في وقت الحرب أكثر منه في الأوقات العادية .

وبالنسبة للعمال والشباب الذين هم في الحرس الوطني ، يجب أن نضعهم في اعتباراً ونعطيهم واجباً سياسياً ، ففي تقديرى إننا عن طريق الحرس الوطني نختار الشباب ، ويمكن لقائد الحرس الوطني أن ينسق علمه مع الأمانة ، لأن واجبه في الحقيقة سياسى ، وكذلك بالنسبة للفتوة أيضاً .

السيد المشير عبد الحكيم عام :

نحن نقوم بتوعية هؤلاء جميعاً أثناء التدريبات العسكرية ولديهم الإمكانيات ، ومخصص لهم في الميزانية أموال تنفق عليهم ، ويمكن الاستفادة بكل ذلك في التنظيم .

أمين القاهرة :

ثانياً - فى اتجاه العمل التقيى لتعميق أسلوب العمل الجديد : لقد بدأنا من أول مارس نقيم حلقات نقاشية لأعضاء المكاتب التنفيذية حول موضوعات متكاملة ، تخدم الأهداف المرحلية التنظيمية .

ثالثاً - دفع العمل السياسى لحل مشاكل الجماهير :

تستهدف الخطة لحل مشاكل الجماهير الإلتحام الكامل بين مكاتب الإنسجام والجماهير ، ويفرض حل مشاكلها ، وكسب ثقتها فى الإتحاد الإشتراكى واستعادة سمعته كمنظمة سياسية ، وقد بدأت مكاتب الأقسام فعلاً فى تلمس المشاكل الحقيقية للجماهير ، ثم اتصلنا بالسلطة التنفيذية وقد تم عقد مؤتمر فى الأسبوع الماضى استمر خمسة أيام تقريباً ، حضره الأمناء والأمناء المساعدون لأقسام القاهرة جميعاً ، وجميع رؤساء المصالح والإدارات الخاصة بالقاهرة ، ونوقشت فيه مشاكل الأقسام كلها ، وأمكن حل جزء كبير منها ، وكان للأخ سعد زايد محافظ القاهرة فضل كبير لنا إبداء من روح التعاون التى سادت المؤتمر ، وقد خرجنا منه بثلاثة مكاسب رئيسية :

١ - اشعار الموظفين بواجبهم نحو حل المشاكل بعقلية سياسية .
٢ - يعتبر هذا المؤتمر نوعاً من ممارسة الرقابة الشعبية دون اصطدام مع المسؤولين في الجهاز التنفيذي .

٣ - تحمل الاتحاد مسئولية المشاركة في حل المشاركة بشكل عملي وتوضحت للأعضاء أبعاد وقدرات العمل .

وشن عقد المؤتمر القادم في مايو بعد ذلك كل شهرين بصفة دورية ، وسنرفع للأمانة العامة نتيجة تقييم هذا المؤتمر .

بعد هذا العرض ، أرجو أن تسمحوا لي بممارسة النقد الذاتي فيما يتعلق بنشاط مكتب القاهرة :

أ - لم تتمكن إلى الآن من الوصول إلى القاعدة الشعبية ، وإن كنا قد وصلنا إلى قيادات الأقسام وإلى الجماعات القيادية في ثلث وحدات القاهرة ، ونرجو بعد استكمالها أن نعمل إلى القواعد الجماهيرية .

ب - لم نمارس الرقابة الشعبية للآن إلا من خلال المؤتمر الذي عقد مع الجهاز التنفيذي ، ونحن ننتظر فرصة وجود سيادتكم معنا لكي نتحقق من مفهوم الرقابة الشعبية في شكلها النهائي .

ج - ربما نكون قد اندفعنا نحو حل مشاكل الجماهير ، دون أن نتمتع في الأسلوب السياسي ، ونعطي مسئوليات للجماهير لتعبئتها حول مشاكل الإنتاج والإسراف ، خاصة في الوحدات الإنتاجية .

د - لم يذل حتى الآن الجهد المناسب لتنظيم النشاط النسائي على مستوى الأقسام باستثناء شرق القاهرة .

وفي ختام حديثي أرجو أن أقدم المسؤولين عن عن مناطق القاهرة ليذكر كل منهم في دقائق مثلاً من العمل السياسي داخل منطقته .

السيد الرئيس :

بالنسبة للمراقبة الشعبية ، عندنا طريقتان :

أولاً: المجالس الشعبية التي نص عليها الميثاق ولم تنفذ حتى الآن .

ثانياً: عن طريق الاتحاد الاشتراكي ، فمثلاً أعضاء مجلس المحافظة المعينون سيتولى الاتحاد

الاشتراكى ، تعيينهم من الأعضاء الحركيين ، وعن طريقهم نستطيع أن نوجه مجلس المحافظة ونتفاهم مع المحافظة .

كذلك عن طريق أعضاء الاتحاد الاشتراكى فى الوحدات التنفيذية أو الإنتاجية المختلفة ، نستطيع أن نعرف الانحرافات الموجودة والأعمال غير السليمة ، وتبلغ الأمانة العامة بها دون أن يكون لك أى احتكاك بمدير المصنع ، وبعد ذلك نستطيع أن نتفاهم مع السلطة التنفيذية ونقوم هذا الانحراف .

ولكن قبل أن ندخل فى هذا العمل ، يجب أن نجتمع من داخل الاتحاد الاشتراكى أكبر عدد من المسئولين عن الأجهزة التنفيذية والوحدات الإنتاجية .. الخ ، ونشعرهم بالرسالة الواجب عليهم أداؤها ، وبعد ذلك ستركز العملية على دعوة رجال يؤمنون بها ..

هذه هى الطريقة التى أتصورها للرقابة الشعبية ، ولا أتصور أن الاتحاد الاشتراكى فى أى مرحلة من المراحل يقيم رقابة على المحافظ ، أو على الإنتاج ، أو شئ من هذا القبيل ، ورقابة الاتحاد للاتحاد كما أوضحنا لا تكون قاصرة على الأجهزة التنفيذية ، ولكن على كل الأعمال المضادة فى البلد ، فمثلاً وصلنا معلومات من التنظيم السياسى عن نشاط الإخوان المسلمى ، وعن المشتركين فى تنظيمهم فى منطقتى دمياط والمنصورة ، وذلك قبل كشف كل عمليات الإخوان .

أمين القاهرة :

أقدم الأخ شوق عبد الناصر المسئول عن شرق القاهرة ، ليتكلم عن العمل السياسى فى منطقته .

مسئول شرق القاهرة :

أحمل إلى سيادتكم تحيات إخوانى أعضاء الاتحاد الاشتراكى بمنطقة شرق القاهرة بأقسامها مصر الجديدة والزيتون والمطرية والوايلى ، وبوحداتها التى يبلغ عددها ١٩١ وحدة منها ١٤ وحدة سكنية .

بدأنا العمل باجتماع عقدناه مع المكاتب التنفيذية ، ووضعنا فى اعتبارنا أنه لكى ينجح العمل السياسى ، لابد أن نضع الأسس التالية :

١ - يجب أن ترتبط ارتباطاً شخصياً بالقيادات الوثيقة الاتصال بأكبر عدد ممكن من القواعد الجماهيرية .

٢ - يجب أن نكسب أكبر عدد ممكن من الأصدقاء .

- ٣ - ألا يكون العمل السياسي محتكراً لفئة معينة .
- ٤ - أن نعمل في المنطقة بأقسامها الأربعة ككل ، بغض النظر عن حدودها .
- ٥ - القيام بلقاءات متبادلة ودورية بين المكاتب التنفيذية وبين لجان الوحدات ، بهدف استكمال التنظيم .

وقد وجدنا ترحيباً وتحمساً من الجماهير للعمل السياسي ، وليس المهم أن نبدأ العمل ، ولكن المهم هو الاستمرار فيه ، ولذلك وضعنا خطتنا على أساس الترتيب والتركيز ، على أن نسير بهدوء وبإصرار ضماناً للاستمرار في العمل .

ورغم ثقة الجماهير بالنسبة للقطاع العام ، إلا أن هناك بعض التناقضات أود عرضها ، فإن بعض الأفراد الذين طبقت عليهم القوانين الاشتراكية أو الذين وضعوا تحت الحراسة يعملون الآن رؤساء وأعضاء مجالس إدارات للشركات ، وقد يؤدي هذا إلى أن تدار هذه المؤسسات الاشتراكية بعقلية رأسمالية احتكارية ، مع أن المفروض أن تدار بعقلية اشتراكية وبطريقة رأسمالية ، كما ذكرتهم سيادتكم أمس

السيد الرئيس :

أنا قلت إدارة رأسمالية وهذا يعنى التخلص من البيروقراطية .

مسئول شرق القاهرة :

هناك موضوع آخر يثير قلق الناس وتشاؤلهم ، وهو موضوع الانقلابات التي حدثت في أفريقيا والمديرة بمعرفة الدول الاستعمارية ضد دول عدم الانحياز ، ويربطونها بمحاولات الانقلاب في أندونيسيا ، ويرجو الناس مزيداً من الحرص والرقابة على الرجعيين وقد أن ذكرتم سيادتكم أن هذا العام هو أخطر أعوام النضال بالنسبة للأمم المتحدة ، كما يجب ألا ننسى أن الاستعمار كان وراء مؤامرة الإخوان الأخيرة . هذا ما أردت عرضه ، وشكراً .

السيد الرئيس :

بالنسبة لموضوع الانقلابات ، فإن المؤامرات لم تتوقف طوال الأربعة عشر عاماً الماضية ، وسنستمر طالما نحن مصممون على سياسة مستقلة غير تابعة لأى منطقة من مناطق النفوذ ، واعتقد أن أحداث انقلاب هنا بواسطة الجيش عمل مستحيل ، ولهذا لاحظنا أن « الإخوان المسلمين » ابتعدوا عن الجيش حتى لا تكشف مؤامراتهم ، ونحن لا نكشف هذه العمليات في الجيش بواسطة المباحث أو المخابرات ، وقد انكشفت كل العمليات بواسطة أفراد الجيش أنفسهم ، ولم يكن لها خطورة جديدة ،

وقد سبق أن اتفق الإنجليز سنة ١٩٥٧م الأموال لإحداث انقلاب ، ونعلم أيضاً أن السعوديين والحلف المركزي قاموا بتمويل الإخوان المسلمين لإحداث انقلاب ، وقد كان فيصل يماثل في موضوع اليمن على أساس ما كان يأمله في مقدرة الإخوان المسلمين على تغيير الأوضاع .

والحقيقة أن دول عدم الانحياز تمر بفترة عصيبة للخلاف الصيني السوفيتي ، وذلك بسبب أن الاستعمار استغل هذا الانقسام في المعسكر الآخر لتحقيق نجاح سريع ، مطمئناً إلى أنه لن تحدث له مواجهة على غخط الإنذار الروسي سنة ١٩٥٦م عندما تعرضنا للعدوان .

ومما أضعف دول عدم الانحياز أيضاً ، أن أمريكا تغير يوماً بالطائرات على فيتنام الشمالية وهي دولة شيوعية ، ولم يحدث رد فعل ولم يتقدم منقذ ولا مجيب ، وإذن ففي الإمكان أن تتعرض دول عدم الانحياز لنفس الشيء ، وإن كان رأى الصينيين مثلاً في هذا الموضوع - وهو ما ستظهر حقيقته على المدى الطويل - أن الأمريكيين وقعوا هناك في مأذق لن يستطيعوا الخروج منه .

كذلك دخلت أغلبية دول عدم الانحياز ف مشاكل اقتصادية نتيجة للضغط الاقتصادي . وبالإضافة إلى ذلك حدث انكماش في الاتحاد السوفيتي بعد سحب الصواريخ الروسية من كوبا ، وفي نفس الوقت تشجعت الدول الغربية وخصوصاً أمريكا على أساس أن تقوم بتصفية مواقع المقاومة بقدر الإمكان ، وكانت أول نتيجة لذلك عملية الكونغو حينما دخلوا بطائراتهم وبالجنود البلجيكيين لتصفية الموقف .

ومن الواضح الآن أن الاستعمار يريد أن يضعف الدول النامية أو دول العالم الثالث ، أو ما نسميه بدول عدم الانحياز وذلك حتى يدخل في روع العالم النامي كله أو مقاومة النفوذ الاستعماري أمر صعب ، ولهذا فالضربة التي لقيها نيكروما تعتبر ضربة قومية بالنسبة أن المتاعب والمشاكل تعترض كينيا وأوغندا ونجند أيضاً أنهم بالنسبة للسودان أودوا تهيئة أوضاعهم وأيضاً بالنسبة لليبيا وتونس والمغرب .

وإذا نظرنا إلى آسيا نجد أن أساسه الصين قد أثرت فعلاً على معسكر عدم الانحياز في آسيا ، أو بالنسبة لأن أندونيسيا كانت قد انحازت إلى الصين انحيازاً كاملاً قبل العمليات الأخيرة ، ثم لقد أدى ضغط الغرب على كمبوديا إلى انحيازها للصين تقريباً ، ووجدت بورما أن الأفضل لها أن تترك الأمور الخارجية وتكسب على معالجة مشاكلها الداخلية ، أي أن دول عدم الانحياز تمر بفترة قلقه فعلاً .

وبعد الانقلاب الذي تم ضد نيكروما ، قمنا مع يوغوسلافيا بدعوة بعض دول عدم الانحياز

إلى الاجتماع في القاهرة أو في مكان آخر هذا الشهر ، ليحث الهجوم الاستعماري والضغط
العنيفة التي تعرض لها دول عدم الانحياز ، وحتى الآن لم تتأكد من موافقة كل الدول على
عقد هذا المؤتمر ، فالمند مترددة ، وعهدة فهي تتخذ موقف التردد إلى أن تتحقق أن عدداً
من الدول قد وافق ، وحيث تبدى وافقتها .

أما بالنسبة لنا ، فبعد سقوط نيكروما وانقلاب حزب البعث في سوريا ، تذكر كل
التفرقات الخارجية أن هاتين العمليتين تعتبران نكسة للجمهورية العربية المتحدة لأنها كانت
في سبيل إقامة علاقات مع سوريا ، وهذا كلام غير صحيح ، فلم يحدث بيننا وبين السوريين
أى كلام في هذا الموضوع ، وبالنسبة لنيكروما فإنه كان يتبع سياسة متحررة ، ويتعبرون
سقوطه نكسة لنا لأن النظام الجديد هناك سيكون داخل النفوذ الاستعماري ، ولن تكون
علاقتنا به قوية .

يصاحب ذلك موضوع الحلف الإسلامي الرجعي الموجود في الشرق الغربي أساساً ثم
في الدول العربية إجمالاً ، وفي رأى أن ذلك كله يسير في نفس المخطط الاستعماري ، والغرض
منه تجميع الدول العربية وعزل مصر تحت ستار الإسلام ومقاومة الإلحاد والمبادئ الهدامة ،
وفي رأى أن الرجعية لن تستطيع أن تكسب شيئاك بالسير في الحلف الإسلامي ، لسبب
بسيط جداً ، وهو أن خطوات الرجعية منسقة دائماً مع الاستعمار ، سواء بحلف إسلامي
أو بدونه ، وواجبنا أن نكون متيقظين ، ونوضح للناس الأمور ، وأعتقد أن لدى الناس قابلية
لتفهم الحقائق .

أما بالنسبة لمجالس الإدارات ، فلا ما نعم من إعادة النظر في هذا الموضوع على أساس
استبعاد المنحرفين فوراً ، ولكن هناك رغبة للاستفادة منهم في النواحي الفنية في شركات أخرى
غير شركاتهم ، وفي رأى أن الكثير منهم يعمل ، ولم تحدث انحرافات كثيرة ، وإذا كانت
هناك انحرافات في مناطقكم أبلغونا عنها تفصيلاً .

أمين شعون الأعضاء .

بالنسبة لموضوع الانقلابات ، هل يمكن تنظيم القوى التقدمية العربية التي أشير إليها في
الميثاق ، وكيف ننظمها وهل يكون ذلك بطريقة وهل يك ن ذلك بطريقة سرية أو بطريقة
علنية أو بتشكيل أحزاب ؟..

السيد الرئيس :

نحن نعمل على قدر الإمكان في هذا الموضوع ، ولكن الحقيقة أن الفردية متفشية جداً
في العالم العربي .

تجدد في العراق عدة تنظيمات تطلق على نفسها تنظيمات قومية ، كل ثلاثة أو أربعة يشكلون حزباً ، والجميع يرفضون شعاراً واحداً هو إسقاط حكم عبد السلام هارف ، وهو لا يريد التفاهم معهم وهم كذلك لا يريدون التفاهم معه ، أو مع بعضهم البعض ، وقد رأينا توحيد الجهود بقدر الإمكان ، ولكن هذه الأحزاب لم تتطور بعد .

وكنيت قد تكلمت في موضوع الحركة العربية الواحدة ، وحصلت محاولة مع سوريا ، ولكنها لم تكن ناجحة بدليل أن الأحزاب عندما انضمت إلى بعضها البعض حدثت تناقضات وصراعات في الداخل ، ولكن ستأتي ظروف تحتم الالتحام ، ولي رأيي إلا يكون الالتحام مفتعلاً ، إذ أن ذلك سيؤدي إلى متاعب كثيرة ، وقد تعبنا مع السوريين الذين لجأوا إلينا بعد الانفصال ، فلا يريد واحد منهم أن يعمل مع الآخر ، كل منهم يريد أن يكون زعيماً ويعرض بالآخرين .

أمين شقون الأعضاء :

الشعوب في الدول العربية متعطشة للانتظام معاً .

السيد الرئيس :

علينا أن ننتهي من تنظيم أنفسنا أولاً .

مسئول المهنيين بمكتب القاهرة :

يمكننا أن نضع مقاييس وقواعد منطقية عملية لمن مستشارهم وعلى ضوء هذه المقاييس نختار هيئة تأسيسية للحركة العربية الواحدة ويكون ميثاقنا نواة لها . ونستطيع أن نواجه بها أي تكتل استعماري أو غمره ، وإذا لم تبدوا سيادتكم في عمل الهيئة التأسيسية فلا يمكن أن تقوم حركة عربية واحدة ، فالإجماع في الدول العربية أن سيادتكم ظاهرة كونية يجب الاستفادة من وجودها .

السيد الرئيس :

وبعد ذلك « يفرقونا » ؟ العملية ليست بهذه البساطة ، فالجماهير التي تؤيدنا في العالم العربي ضخمة جداً ، فلو عيننا الهيئة التأسيسية ، فكأننا أخذنا قلة ولغطنا الأغلبية ، وسندخل في هذه العملية تيارات وعوامل لا أول لها ولا آخر ، ورأيي أنه لم يحن الوقت للقيام بها ، ويجب أولاً أن تدخل الجماهير والقيادات العربية في المعركة العربية ، وتقتنع بحمية كسب المعركة ، وقد قرأت ما كتبه أنت بعد عودتك من مؤتمر المحامين العرب في القدس ، كما استمعت إلى الأحاديث الرائعة التي قيلت لي من كل من قابلتهم ، ولكن عند الإختيار للجنة التأسيسية فكل من لم يقع عليه إختيارك ، سيكون ضدك ، فإذا بدأنا الآن فكأننا نساعد

القوى الرجعية على تفتيت الجماهير العربية القومية الموجودة في كل مكان ، ولكن قد تحكم علينا المرحلة في وقت ما أن ندخل في عملية بهذا الشكل .

وقد بدأنا مع الطاب العرب بطريقة سرية ، وعندنا في مصر وفي أوروبا مجال كبير للطلاب العرب ، وهم صغار في السن لا يتطلعون إلى زعامة ولا قيادة أو ما شابه ذلك ، وبعد عشر سنوات سنجد بينهم النواة التي نستطيع الإعتماد عليها في جمع الجماهير القومية الموجودة . وطبعاً أنك سمعت كلامك من عبد الله الرياوى ، لأن كلامك اليوم مشابه لكلامه ، وكذلك السامرائى وغيرهما ، ولكن التنفيذ صعب ، وقد يسبب لنا مشاكل كبيرة ، وهم يطلبون أن أقوم بالعمل ورأبى أن هذه العملية عسيرة .. ومن يريد أن يعمل فليتفضل .

مسئول جنوب القاهرة :

منطقة جنوب القاهرة مملوءة بالمصانع ، ولذلك حتمت علينا طبيعة المنطقة أن ننزل دائماً للمصانع واحداً واحداً .

وتم ذلك فعلاً في عدد كبير من المصانع .. وبالتحاشي للجماهير دزت قضية أو عرضها أمام سيادتكم ، ففي بعض الوحدات الإنتاجية الكبيرة خلل وصل إلى حد الانحراف ، وقد ثبت ذلك لجميع أجهزة الرقابة في الدولة ، إلا أن تأخر البت فيه يعكس أثراً سيئاً على القاعدة .

السيد الرئيس :

أذكر لنا الموضوع بالتفصيل .

مسئول جنوب القاهرة :

في مصنع النصر للسيارات يوجد عجز في البضائع يقدر بمليون جنيه ثابت بأشرطة تسجيل وتقارير المحاسبين ، ويقال تعليلاً لذلك أنها بضائع في الطريق .

كذلك نجد هذا المصنع يتعامل مع المقاول بالقطاع الخاص بطريقة تثير الشبهات ويعطيه نقوده فوراً ، في الوقت الذي لا يصرف للقطاع العام إستحقاقاته إلا بعد إتخاذ الإجراءات القانونية ، وهناك سرقات تحدث وثابتة بالمستندات ، وعندنا بيانات عن الأشخاص رفعناهم لكافة المستويات في الدولة ولم يتخذ فيها أى إجراء .

وإدارة الشركة القومية لإنتاج الأسمنت لا تعامل موظفيها بحزم .. وفي مصنع النشا والجلوكوز بطره ، ضبطت بضاعة مشتراه بثمان مبالغ فيه ، ولم يتخذ أى إجراء ضد المسئولين ، ولما كانت المصانع متقاربة فإن هذه الأعمال تترك صدى لدى جميع العاملين

بالمصانع في المنطقة .

كذلك توجد تساؤلات من العمال بالنسبة للعلاوات الدورية ، والأرباح .

رئيس الوزراء :

بالنسبة للنقطة الأولى الخاصة بمصنع النصر للسيارات ، حقيقة أكثر من مرة ، وصلت إلينا هذه المعلومات ، والموضوع قديم وقد مضى عليه أكثر من سنتين ، وتغيرت قيادته ، وفي تقديري أن حل المشكلة يأتي عن طريق إعادة تقييم القيادات الموجودة في وحدات الإنتاج ، بحيث نضع شخصاً نطمئن إليه في كل وحدة من الوحدات لمباشرة العمل ، على أن نخترنا القيادة التي نستطيع وضع حد للمشكلة نهائياً .

السيد الرئيس :

أنه يقول أن هناك سرقات ، وليس من المعقول إذا ثبت ذلك أن نترك دون مسألة .

مسئول جنوب القاهرة :

عندنا كل الأسماء ، ونحن على أتم إستعداد لمعاونة الجهاز التنفيذي معاونة كاملة .

السيد الرئيس :

هل توجد أدلة على السرقة ؟ ..

مسئول جنوب القاهرة :

لدى كشف بالجرد المخزني والجرد الدفترى ، ويتضح منه أن هناك رسالات بضائع كاملة غير موجودة .

السيد الرئيس :

أين ذهبت ؟ ..

مسئول الجنوب القاهرة :

لا أدري ، ولكن هناك « ورش » في شارع الفلكي تعتمد في وجودها على السرقات من شركة النصر للسيارات ، ويمكن لأى واحد التثبت من ذلك .

رئيس الوزراء :

ربما كان في كلامك الآن شيء جديد ، فأنا لا أعلم شيئاً عن الرسالات المفقودة ، ولكن عندى تقارير عن كيفية التعامل مع القطاع الخاص وإن هناك تلاعباً ، وطبعاً أجلنا ذلك للتحقيق ، ولا أعلم نتيجته بعد ، ولكن في كثير من الأحوال نجد أن من يقوم بهذه الأعمال

يكون حريصاً على إعداد دفاعه مقدماً بحيث لا يمس التحقيق ، وبالنسبة للبضائع المفقودة ، فإن هذا الموضوع يدخل في اختصاص الجهاز المركزى للحسابات ، أيضاً ، ثم يحال بعد ذلك إلى النيابة مباشرة إذا ثبتت الوقائع ، وإذا سمح السيد الرئيس فأنى سأطلع على ما لديه من معلومات جديدة .

وبالنسبة للعلاوات الدورية والأرباح ، فإن تعلم أن الجمعية العمومية يجب أن تعتمد الميزانية ، وترى مدى تحقيق الشركة للأهداف ، ثم تقرر صرف الأرباح على مستويات معينة ، وكذلك العلاوات ، حسب الميزانية ووفقاً للاتحة العاملين .

مسئول جنوب القاهرة :

ثقتنا كبيرة جداً في قياداتنا ، ونحن نضع تحت تصرفها كل ما لدينا من معلومات .

السيد الرئيس :

إعط ما لديك للأمين العام .

رئيس الوزراء :

في رأيي أننا مهما وضعنا من أنظمة ، فلا بد من الإعتماد على الأشخاص ، ربما لم تتمكن من اختيار قيادات سليمة في الماضي ، ولكن يجب إجراء محاولة جديدة لتعيين قيادات يمكن الإعتماد عليها بعد التجربة الطويلة التي مرت بنا .

مسئول غرب القاهرة :

منطقة غرب القاهرة تشمل أقسام السيدة زينب وقصر النيل وعابدين والأزبكية وبوراق ، وبها ٣٨٠ وحدة أماسية بين جماهيرية وسكنية .. وتركز في هذه المنطقة معظم وزارات الحكومة ومصالحها ومؤسساتها ، وكذلك معظم البنوك ودور النشر ، والمناطق السياحية الهامة ودور اللهو والمسرح ، وكلها أماكن تجمعات جماهيرية ، وقد بدأنا بمسحها تنظيمياً ، ووضنا شبكة مواصلات سريعة بين الوحدات والقيادات .

وبالنسبة للمشاكل ، فإننا نقدر أن واجبنا هو المشاركة مع الجهاز التنفيذي في حلها ، وقد تمكنا بالفعل من حل كثير منها ، ولكن هناك مشاكل ليست على مستوى المحافظة ، فمثلاً توجد في تلال زينب وفي السيدة زينب مدينة من الأكشاك والخيام البالية ، يقيم بها حوالي ٨٠٠ أسرة ممن هدمت منازلهم ، وعجزوا عن أن يجدوا مساكن - هذا بالإضافة إلى مائة أسرة أخرى تعيش في كهوف أو مقابر مجاورة لتلال زينب ، وإلى أرفع الأمر للسيد الرئيس راجياً أن تقام في مكان الخيام مدينة سكنية لهم ضمن مشروع ناصر للإسكان في السنة المقبلة .

الموضوع الأخير يمس قطاعاً ضائعاً في الشعب ، وهم الأراذل واليتامى والعجزة الذين لا عائل لهم ولا مصدر للرزق إطلاقاً ، وكان قد صدر قرار جمهورى بتنظيم معاشات لهم على مدى خمس سنوات ولكن الإعتاد وقدره ٦٠٠ ألف جنيه من ميزانية وزارة الخزانة عام ١٩٦٦/٦٥م ونخشى أن يتكرر الحذف ، فباسم هؤلاء أرجو أن تمس سداًكم الكريمة هؤلاء الناس . فتدخل الفرحة إلى قلوبهم .

السيد الرئيس :

هل كان إعتاد ال ٦٠٠ ألف جنيه لهذه الفئة في الدولة كلها أم للمستحقين في قسم السيدة زينب فقط ؟..

مستول غرب القاهرة :

للدولة كلها .

رئيس الوزراء :

هل هذا المشروع خاص بالضممان الإجتماعى ؟..

مستول غرب القاهرة :

نعم .

السيد الرئيس :

موضوع الإسكان لا أدرى لماذا سموه مشروع ناصر وفي الحقيقة لدينا في القاهرة مشكلتان أساسيتان متفاقمتان ، مشكلة الإسكان ومشكلة المواصلات ، ويجب عليهما ، وما زالت خطة السنة القادمة تحت الدراسة ، ومنتظر الإعتاد الذى نستطيع تخصيصه للإسكان ، ولكن إذا أمكنكم إنشاء جمعيات تعاونية للإسكان ففى ذلك مساعدة لنا ، وكل زيادة في المدخرات تمكننا من زيادة المباني والواقع إننا إذ لم نجد حلاً لعدم التوازن الإقتصادى ، عندنا - وهو نتيجة لزيادة الطلب عن العرض - فإن مشاكل الغلاء عندنا ومستخفى السلع وتكون هناك سوق سوداء ، وعلى هذا الأساس إذا شجعنا الإدخار واستثمرنا المدخرات في بناء مساكن ، على أن تكون لكل مدخر الأولوية في الحصول على مسكن بالترتيب ، فإننا بذلك نقدم مساعدة كبيرة في هذا الشأن ، ونحن لن نستطيع في فترة قصيرة إن نقضى على كل المأسى الموجودة في المجتمع ، ففى القاهرة - وليس الأمر قاصراً على زينب - توجد مئات البيوت من الصفيح في الشراية وكذلك عند مدخل الإسكندرية مئات البيوت من الصفيح ، وتوجد عائلات تعيش في حجرة واحدة ، فضلاً عن أن باب الهجرة مفتوح للقاهرة حتى نتجاوز عدد سكانها أربعة ملايين ، ويزيد العدد باستمرار ، وسنحاول دائماً أن نزيد المساكن

في منطقة الأخ عاطف في الخطة القادمة للإسكان فستفيد من المساحات الخربة في منطقة الموسكى ما لم تكن موقوفه أو حكراً .

مسئول وسط القاهرة :

نحن المتر من الأرض في منطقة الموسكى مرتفع جداً ، ولو أمكن بناء عمارات عالية فإن الإرتفاع الرأسمى يعوض غلاء الأرض ، أما في المناطق ففيها مساحات واسعة من الأرض .

السيد الرئيس :

في هذه الحالة يمكن البناء في الدراسة ، فيستفيد منها الذين في الموسكى .

مسئول شمال القاهرة :

منطقة شمال القاهرة التي تتكون من أقسام شبرا والساحل وروض الفرج ، بها عدد ١١٣ وحدة جماهيرية و ١٥ وحدة سكنية ، والمشكلة الظاهرة في هذه المنطقة هي تزايد السكان ، إذ يبلغ تعدادها مليون نسمة .

وبالنسبة لعمل المكاتب التنفيذية في هذه الأقسام ، فقد قمنا بتنفيذ خطة العمل التنظيمي التي وضعها المكتب التنفيذي للمحافظة . وهي الوصول إلى القاعدة الشعبية تمهيداً لإختيار القيادات ، وقد تم تحقيق ذلك في ٢٥٪ من الوحدات ، أمي اننا وصلنا إلى تكوين الوحدات الجماعية بالإشتراك مع اللجان النقابية وأعضاء مجالس الإدارة المنتخبين ووحدات الإتحاد الإشتراكي وبعض العناصر النشطة .

وفي أثناء التحامنا بالجماهير ، برزت لنا مشكلة سوق الخضار والفاكهة ، ولها ثلاثة وجوه : أولها يتعلق بالعاملين بالسوق والثاني بالمستهلكين ، والأخير بنجار التجزئة .

وخرجنا بفكرة تكوين جمعية تلمساوية لتسويق الخضار والفاكهة ، وتم ذلك فعلاً ، وشكل مجلس إدارتها من العاملين أنفسهم الذين هم في نفس الوقت من المساهمين ، ونأمل أن تصل السلعة إلى المستهلك بالثمن المحدد دون تلاعب .

أمين القاهرة :

الأخ عاطف عبيد سعد المسئول عن منطقة وسط القاهرة .

مسئول وسط القاهرة وهي تتكون من ستة أقسام ، الجمالية وباب الشعرية والترب الأحمر والخليفة والموسكى والظاهر ، وتشابه طبيعة هذه الأقسام لأن تاريخها يرجع إلى أكثر من ألف عام ، وكثير من مساكنها آيل للسقوط ، وهناك مناطق لم تصلها المرافق العامة مثل المجارى والكهرباء ، هذا هو الوضع في المنطقة التي ستتحرك عليها تشكيلات الإتحاد

الإشتراكى موزعه على ١٤ وحدة سكنية و ٧٩ وحدة جماهيرية .

وقد تم الإتصال باللجان فى هذه الوحدات ، كما تم التعرف على العناصر القيادية تمهيداً لربطها بالمكاتب التنفيذية فى هذه الأقسام .

قمنا بحل أكصر المشاكل بالمنطقة فى اللقاء الذى تم مع المكتب التنفيذى والسيد المحافظ والمسولين عن المحافظة ، أما بقية المشاكل فإن حلها يأتى عن طريق التعاون لأنها تتعلق بصغار المراقبين .

أمين الجيزة :

أستاذ سيادة الرئيس فى طرح سؤال عامر بخاطرى بسبب ما أثاره الزملاء من مشاكل .
السؤال يدور أساساً حول شعار الحل الذاقى الذى أطلقه الإتحاد الإشتراكى فى تنظيمه الجديد ، ونرجوا أن تفضلوا مشكورين بتوضيح كامل لهذا الشعار ، فى ضوء التوجيه الذى تفضلتم بتوجيهه إلى مكاتب الوجهه القبل ، أن يكون عملياً سياسياً ولنا موظفين .

السيد الرئيس :

الكلام الذى ذكرته لإخواننا فى الإجتماع الأخير ، كان نتيجة لما لاحظته من أنهم يتجنبون الدخول فى بعض المواضيع التى أشعر أنها تلور بخاطر الناس فى كل مكان ، فكان طابع الإجتماع تنفيذياً أكثر منه سياسياً ، ولهذا ذكرت هذا التعليق ، ولكنى أذكر أيضاً - إن لم تخفى الذاكرة - إلى قلت إن القيادة هى معرفة مشاكل الجماهير وإيجاد حل لها ، بشرط ألا يقتصر عملنا على المشاكل ، وإنما يجب أيضاً أن نكون سياسيين ، وتلمس المواضيع التى يتكلم فيها الناس لناخذ أفكارهم وآراءهم ونرتبها ثم نعيدنا إليهم ثانية ونفسرها لهم .

وتكلمت أيضاً فى هذا الإجتماع عن الحلول الذاتية فى المناطق المختلفة ، على أساس أن يقوموا بأنفسهم بحل أى مشكلة يستطيعون ، أو يحلون بها بالإشتراك مع الأجهزة التنفيذية ، وفى رأى أن هذا يسهل من عملهم السياسى أيضاً ، ذلك لأنه إذا إقتصرت الكلام على السياسة قلن ننجح ، وكذلك إذا إقتصرت العمل على حل المشاكل قلن ننجح أيضاً ، فيجب أن نمارس المهتمين فنعمل كسياسيين قادرين على التأثير فى الجماهير والتأثير بها ، وفى نفس الوقت ننشط على أساس أن نحس الجماهير أننا نعرف مشاكلها ونجد الحلول لها .

وقلت أيضاً فى هذا الإجتماع أن كثيراً من المشاكل التى أثاروها كان من الممكن إبلاغها للأمين العام والتفاهم على حلها ، على أن يركزوا كلامهم فى مثل هذا الإجتماع على الأمور السياسية الكبرى .

وفي رأيي أن الحلول الذاتية على المستويات المختلفة قد تترك لنا الأمور ، فموضوع الجمعيات التعاونية مثلاً أو تجارة الجملة قد يستطيع مكتب تنفيذي إيجاد الحلول المناسبة لها في المحافظة ، مع أن هذه المشاكل يجب أن تحمل على مستوى الجمهورية كلها .

ولذلك أرى أن يسبق العمل بالحلول الذاتية لمشكلة من هذا النوع تنبيه عنها ، بحيث يكون هناك توحيد في العمل في جميع البلاد حتى نتلافى ما قد يحدث من تناقضات في هذا الحل ، وتجارة الجملة مسألة ملحة .. ومنذ سنة أو سنتين ونحن ندرسها ولكننا لم نتخذ فيها إجراء بعد ، ثم رأيت أن بعض المكاتب التنفيذية في محافظات الوجه القبلي قد تدخلت في تنظيم تجارة الجملة ، ومع أني لا أعلق على هذا ، إلا أني شعرت بنوع من القلق .. حقيقة أنهم قد تمكنوا من تحقيق بعض الفوائد على المستوى المحلي ، ولكن ماذا سيحدث على المستوى المركزي الكبير ؟ .. هل تستطيع الجمعيات الاستهلاكية أن تقوم بعملية تجارة الجملة ؟ .. لا أتصور أن العملية ستكون بهذا الشكل ، هذا الموضوع لم أعلق عليه ، ولكن عندما فكرت في الأمر بعد ذلك رأيت أنه حل وقفي ليس منه ضرر .

وفي رأيي بالنسبة لما ذكر اليوم عن الجمعيات التعاونية الحرفية أن ينظم هذا الموضوع على مستوى أكبر ، أي بين أمانة الاتحاد الاشتراكي والأجهزة التنفيذية .

هناك عمليتان نستطيع القيام بالحلول الذاتية فيهما ، الأولى عملية المساكن التي تكلمت عنها ، وهي عملية يسره جداً ، فيمكن تشكيل أي جمعية تعاونية ، والقوانين التي تنظم ذلك موجودة .

العملية الثانية - ولو أني لا أنصح بالبدء بها الآن وأنصح بتأجيلها لفترة قليلة ، ولكن أرجو أن نفكر فيها - هي عملية الصناديق الإجتماعية بالنسبة للأحياء المختلفة ، ولها أيضاً قانون ينظمها ، ولكن السبب في تأجيلها هو الخوف من احتمال حدوث تلاعب فيها ، ولكن بعد إكمال تنظيمات الاتحاد الاشتراكي تستطيع أن ننشئ في الأحياء المختلفة صناديق إجتماعية ، تستفيد منها العائلات المحتاجة التي تكلم عنها الأخ عاطف والأخ عبد الحميد مصطفى ، والتي طلبنا من الحكومة رعايتها .

أما المشاكل التي لم يوجد لها حل ذاتي ، والتي لم يتيسر للأمانة حلها ، وترون أن تحاط بها علماً فلا مانع من إثارتها في الإجتماع ، فمثلاً الوصف الذي ذكره الأخ عبد الحميد مصطفى من مساكن زينهم ، والوصف الذي قاله الأخ عاطف عن الجمالية فأنا أعتبر أنه ليس هناك ما يمنع من الألمان يمثل هذه الأمور ، فقد تكون لدى فكرة عن بعض المشاكل الموجودة ، ولكن مهما حاولت فلن أستطيع أن ألم بكل صغيرة وكبيرة .

وبالنسبة للمصرية هل انتهت مسألة المجارى بها .

أمين المكتب التنفيذى للمطرية :

إنتهت هذا العام .

السيد الرئيس .

كنت ألاحظ من ستين أو ثلاث أن الشوارع مسدودة ، والمجارى محفورة ولم يكن هناك عمل ، فعملية بهذا الشكل تأخرت ثلاث سنوات فى مثل هذا المكان ، يمكن أن نبحث عن أسباب التأخير .

إن موضوع الحل الداق قد يكون موضوعاً متطوراً ، لأنك عندما تتصل بالناس ، وتتصل بالأجهزة التنفيذية ، مثل ما حدث فى التجربة التى باشرتوها فى القاهرة ، فقد توفروا علينا كثيراً من المجهودات بالنسبة للمشاكل التى يتيسر حلها دون تدخل منا .

وكما قيل اليوم فإن المشاكل فى ازدياد مطرد ، لأنه كلما ارتفع مستوى المعيشة زادت المشاكل عادة ، فمثلاً الذى يسكن فى حجرة يتطلع إلى السكنى فى ثلاث ، ومن يسكن فى الباطنية يتطلع إلى السكنى فى الظاهر ، ومن يسكن فى الظاهر يتطلع للسكنى فى الزمالك .. الخ .

وبالنسبة للشقق المفروشة ، هل تؤجر المساكن الشعبية مفروشة ؟ ..

مسئول شمال القاهرة :

المساكن الشعبية لا تؤجر مفروشة ، ولكن المساكن المتوسطة مثل مساكن النيل قد تؤجر مفروشة .

أمين القاهرة :

السيدان فاروق غلاب ، والدكتور رفعت المحجوب لهما الإستفسارات فى مواضيع سياسية .

مسئول المهنيين بمكتب القاهرة :

إن شاه إيران يعمل على طمس عروية منطقة الخليج العربى فيعمل على توطين مجموعات غير عربية هناك بمساعدة الإستعمار والأمراء الرجعيين ، وأرى أن تتصل الجمهورية العربية المتحدة بهؤلاء الأمراء ، وتوضح لهم خطورة هذا العمل ، ومن لا يتصح منهم تتولى أجهزة الإعلام كشف أمره أمام الشعب العربى فى المنطقة .

السيد الرئيس :

بالنسبة لإمارات الجنوب العربي ، الحقيقة أن سياسة إغراق هذه المنطقة بالإيرانيين سياسة إنجليزية أصلاً ، وكذلك فإن إيران لها أطماع في هذه المناطق باعتبارها غنية بالترول ، وأرى أن وسائل الإعلام عندنا تتولى هذا الموضوع ، وبخاصة ركن الخليج في صوت العرب .

وبالنسبة للجنوب ، أظن أن هناك جهوداً تبذل لتوحيد الحركات التحررية ولو أنهم سببوا لنا كثيراً من المتاعب ، وبالنسبة للخليج فقبل أن نعمل على توحيد الكفاح يجب أن نوجده أولاً ، فلا يوجد الآن كفاح مسلح في منطقة الخليج ، بإستثناء منطقة ظفار ، وما يقال عن كفاح عمان غير صحيح ، فالمهم أولاً إيجاد المناضلين الذين يمكنهم القيام بكفاح مسلح ، ثم بعد ذلك نوحّد الحركة ، وفي الحقيقة هناك فمع كبير للحركات الوطنية في هذه المنطقة ، ولكننا نسير في هذا الطريق خطوة بخطوة .

السيد الرئيس :

الحديث بيننا وبين السعودية مستمر بالنسبة للجنة السلام ورأى أنه لا فائدة في مؤتمر حرص ، إلا إذا كان هناك إتفاق على الأسس بيننا وبين السعودية ، وبغير ذلك فلا فائدة من إجتماع مؤتمر حرص ، إلى أن ترى مدى ما تصل إليه مع السعودية في المفاوضات الجارية ، وإذا إنعق مؤتمر حرص دون الإتفاق على الأسس ، فقد يستمر شهراً ثم يفشل ، وما دام فشله محققاً فلا داعي لإتتماعه ، وفي نفس الوقت نحن نعدل إوضاع قواتنا في اليمن ؛ بما يمكننا من تفويض جزء كبير منها ، ونستطيع البقاء هناك مدة أطول ، لأن الملك فيصل في تصورنا يعتقد أن لنا قوات كبيرة في اليمن ، وإنها تكلفنا أكثر مما نطبق إقتصادياً ، مما يضطرنا إلى التسليم والإانسحاب من اليمن دون قيد أو شرط ، وهذا نفس ما يعتقد الإنجليز ، وهذا ما دعاني إلى القول بأننا سنظل في اليمن إلى ما بعد سنة ١٩٦٨ م ، بحيث إذا كان الإنجليز يشجعون الملك فيصل ، على بقائنا في اليمن فنشرعهم بأن بقاءنا في هذه المنطقة خطر على مصالحهم ، وكل ما أستطيع قوله الآن ، أن موقف السعودية غير واضح .. هل تريد الإتفاق أولاً تريده ؟ .. ولكنني أشعر أن السعودية خائفون من إستمرار وجود الجيش في اليمن ، فهم لا يخافون من الجمهوريين اليمنيين ولا يخافون من الثورة اليمنية بقدر خوفهم من الوجود المصري في اليمن ، وكذلك الإنجليز فإنهم يخافون من الوجود المصري في اليمن لما له من تأثير على الجنوب ، وعلى منطقة عدن ، وبالتالي سيؤثر مستقبلاً على منطقة الخليج .

أمين القاهرة :

باسم إخواني أعضاء المكتب ، وأمناء الأقسام ، نتقدم بالشكر لسيادتكم على الوقت

الطويل الذى أمضىتموه معنا ، ونأسف لأننا إستغرقنا يومين كاملين من وقتكم الثمين ، نكرر الشكر ووفق الله خطاكم .

د . أسامة رفعت :

النقطة التى أثارها الدكتور رفعت المحجوب حول النقد وحرية الفكر تصادفها بشكل واضح فى الجامعة ، والرد عليها موجود ، ونحن نذكره فى جميع المناسبات ، كدليل على حرية الرأى والفكر هو الحوار الذى دار فى اللجنة التحضيرية بين سيادتكم وبين السيد خالد محمد خالد ، كذلك الندو ، التى عقدتها سيادتكم مع منظمة الشباب فى حلوان ، وأرى أن نذاع بالتليفزيون بين الحين الآخر .

كذلك هناك ندوات نقيمها فى الجامعة ، وتشجيعاً للشباب على حضورها يستحسن دعوة أحد السادة أعضاء الأمانة أو أحد السادة أعضاء اللجنة التنفيذية العليا بصفته ضيف شرف ، فإن مجرد الإحساس بحضوره مميزات من إقبال الطلاب على هذه الندوات .

وبالنسبة للطلاب فى الخارج ، أرى ضرورة النظر فى إعادة تشكيل المكاتب الخاصة بالمبعوثين ، إذ ينبى اختيار المستشارين الثقافيين من التنظيم السياسى .

السيد الرئيس :

على كل حال فنحن ما زلنا فى البداية ، وكلمنا امتد بنا الوقت فى التنظيم ، سنلمس نتائج عملية وواقعية فى كل ميدان من الميادين ، وأرى أن من المهام الأساسية للقيادة فى المحافظات والمكاتب التنفيذية ، أن تكشف الناس الذين يصلحون لسد الفراغ الموجود فى مختلف النواحي ، ولا تقلق ولا نشكو لأن ذلك لن يفيدنا ، وإنما العمل هو الذى يفيدنا .

وإن شاء الله نراكم فى الإجتماع القادم ، وأرجو أن تفتحوا أمامنا مجال الكلام ، فقد تعرضنا اليوم لمشاكل باب الشعرية والجمالية ورغم إنها مواضيع هامة ، إلا أنى أقول إن إجتماعاتنا أساساً سياسية إذ عندما يكون لدى الناس وضوح من الناحية السياسية ، فإنهم يستطيعون تفهم سبب بعض المشاكل الموجودة ، مثل المباني الآيلة للسقوط ، وعدم قدرتنا على إعادة بنائها ، وإذا لم يكن لدى الناس وعى سياسى ، فلن تستطيع إقناعهم بما نقول .

أشكركم .. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ..

التنظيمات السياسية فى مدركات عبد الناصر

إن إقامة ديمقراطية سليمة معناها أننا لا نمكن ديكتاتورية رأس المال ولا ديكتاتورية الإقطاع من أن تتحكم فىنا تحت اسم الديمقراطية .. ديمقراطيتنا السليمة .. كل الفئات ديمقراطية الشعب العامل كله .. هذه الديمقراطية ستكون لكل الشعب ليست ديمقراطية لفئة قليلة لأن ديمقراطية الإقطاع ورأس المال هى ديمقراطية فئة قليلة من الشعب .. هى الأقلية التى تحكم وتتحكم فى الأغلبية .

(اللجنة التحضيرية ٢٥/١١/١٩٦١ م)

سنقيم حياة نياية على استخراج ثرواتنا وعلى استثمارها وعلى رد عادية الفقر عن الفقراء والصغار من أبناء أمتنا .. حياة نياية تحررنا من التبعية والعبودية والإنقياد للأقوياء الذين يريدون أن يتحكموا فى مصائرنا وأن يقودونا وراءهم ، ومع ذلك فإننا لن نعيد الحياة القديمة التى ترعرع فى ظلها الإقطاع وتما فى عهدا الإحتكار وسيطر بفضلها رأس المال على الحكم .. إن الحياة النياية كانت بورصة الأحزاب تزايد فيها وتناقض وتساوم فيها وتتجر فى أرزاق الشعب وأقواته .

نريد أن نقيم تنظيماً شعبياً ليحمى هذه الثورة التى لها عشر سنوات .. ونريد أن نهدم أوضاع آلاف السنين ونقيم أوضاع جديدة قد تحتاج إلى عشرات أو مئات السنين .. وحينما نقول الشعب فإننا نعنى من هو الشعب الذى لمصلحته تقوم الاشتراكية .
(المؤتمر الوطنى ٣ ديسمبر ١٩٦١ م)

نريد أن نقيم مجتمعاً جديداً .. وهذا المجتمع نبنى اقتصادنا فيه على أساس من العدالة الإجتماعية لأجل الشعب-الذى قاسى من ديكتاتورية رأس المال ومن ديكتاتورية الإقطاع ومن الإستغلال بكل معانيه .. من هو الشعب الذى قاسى .. من هو الشعب صاحب المصلحة الأصلية فى الاشتراكية .. نجد العمال .. الفلاحين .. بعد ذلك توجد الطبقة المتوسطة يدخل ضمن الطبقة المتوسطة الرأسمالية الوطنية .. يدخل ضمن الطبقة المتوسطة التجار .. الرأجل الذى يعمل فى محله هو وأولاده ، يدخل أيضا ضمن هذه الطبقة المهنيون .. الأطباء .. المهندسون .. المحامون .. المحاسبون .. إننا نقول ونوضح لهذه الطبقة المتوسطة أن مصالحها مرتبطة مع مصالح الشعب ومصالح العمال والفلاحين أكثر مما هى مرتبطة مع مصالح الطبقة الإقطاعية الرأسمالية ..

(المؤتمر الوطنى ٣ ديسمبر ١٩٦١ م)

سنعمل اشتراكية .. الاشتراكية حياة ، والاشتراكية عدالة اجتماعية ، والعدالة الاجتماعية معناها أننى أخذت من الغنى وأعطيت الفقير وأعدت توزيع الثروة .. فى إعادنى لتوزيع الثورة من هو الشعب ؟ هو عبارة عن جميع الفئات التى تساند الثورة الاشتراكية وتساند الثورة الاجتماعية والبناء الاشتراكى ، إذن أما نيجى النهاردة ونقول كل الحرية للشعب وكل الديمقراطية للشعب لازم أحدد وأفرز وأفصل وأخصص إيه هى قوى الشعب العاملة ، إيه هو الشعب ، مين هو الشعب الى الثورة الإجتماعية تصل من أجله ومين هم أعداء الشعب ؟ أعداء الشعب هم جميع القوى والجماعات التى تناهض هذه الثورة الاشتراكية والثورة الإجتماعية واللى هدفها طبعاً القضاء على هذا النظام الإشتراكى والعودة إلى نظام رأسمالى أو مستغل أو نظام مبنى على أساس ديكتاتورية رأس المال .

(الإجماع الأول للجنة التحضيرية)

وطبعاً عدم تنظيم القوى الاشتراكية معناه ببساطة إن القوى الرجعية الى يمثل الحزب الرجعى الموجود فى البلد هى القوى الرجعية تستطيع أن تستقطب جزء من الشعب العامل جزء من العمال .. جزء من الفلاحين .. جزء من الناس الى مصالحهم الحقيقية مع الإشتراكية .

التنظيم السياسى فى مصر هو الإتحاد الإشتراكى يمثل تحالفاً لقوى الشعب العاملة يضم داخله أكثر من طبقة ولكنه يسعى بالكفاية والعدل نحو تذويب الفوارق بين الطبقات .

إن الإتحاد الإشتراكى العربى هو تنظيم سياسى يسعى إلى أن يحقق ويضمن وضع سلطة الدولة فى يد تحالف قوى الشعب العاملة وفى خدمتها .

(مؤتمر الإنتاج ١٨/٣/١٩٦٦ م)

قوى الشعب العاملة التى تحالفت .. العمال .. والفلاحين .. الجنود .. المثقفين .. الرأسمالية الوطنية .. هى التى قضت على التحكم الإقطاعى وتحكم رأس المال وهى التى قضت أيضاً على الإستعمار وعلى الإحتلال البريطانى وهى التى ضحت وهى التى قدمت أرواحها .

(العيد الثالث لبدء بناء السد العالى ٩/٢/١٩٦٣ م)

هناك فرق بين التناقض الى يكون بين الأصدقاء والناس الأقربين إلى بعض التصادم الى هو بين الأعداء .. هذا التناقض بنعبر عنه أنه تفاعل ، يستمر التفاعل .. فالتناقض بين الفلاحين والعمال يستمر والتناقض من جانب بين الفلاحين والعمال والمثقفين أيضاً يستمر ، والتناقض مع الرأسمالية الوطنية يستمر .. لكن كل دول بعض يتصارعوا مع تحالف الإقطاع ورأس المال المستغل .

برضة القوى الى إحنا قلنا عليها قوى الشعب العاملة ما هياش قوى متصادمة .. ما هياش أحزاب يعنى .. ولكن برضه رغم هذا حيقى فيه نواحى طبقية هذه النواحى الطبقية الى بمثل التناقص الى علينا إننا نحله بالوسائل السلمية .

(مباحثات الوحدة الجلسة الختامية ١٩٦٤/٤/٩ م)

ليه الحكمة ؟ ليه ٥٠٪ إحنا نرجع مرة ثانية نقول فى حكم الطبقة : مين الى كانوا تبعانين ومستقلين ؟ مين الى كان بيشتغل وبأخذ نتيجة عرقه الثانى ؟ .. العامل والفلاح .. الأرض هى بتساوى حاجة من غير الفلاح إذا ما زرعوهاش الفلاحين يقدر هو يجيب نتيجة ؟ .. العمال هم الى بيشتغلوا فى المصنع وصاحب العمل هو الى بيحقق فى آخر السنة نصف أو ربع مليون جنيه ربح وإذا العمال ما اشتغلوش مش حيقدر يدور المصنع .. العمال هم الى تسببوا فى الأرباح ، إذن العمال والفلاحين باعتبارهم العنصر الإنسانى أو القوى البشرية فى الإنتاج كانوا يقاسون من الإستغلال وكانوا محرومين إلى أقصى حدود الحرمان كانوا محرومين من حرية الحيز ..

لا يمكن المساواة بين واحد مش لاقى يتعشى وبين واحد عنده .. ألف جنيه .. علشان كده قلنا حرية الحيز وهى ضمان حرية تذكرة الانتخابات .. لأن الى مش لاقى يتعشى حيبص صوته بعشرة قروش أو خمس قروش .. لكن إذا كان مطمئن على يومه وعلى غده وعلى مستقبله وأصبح حراً وسيد نفسه موش ممكن بيعص صوته .. الحاجة الى تحمل الواحد بيعص صوته لحد ثانى إذا قدرنا نقضى على هذه الحاجة نبقى حققتنا فعلاً الديمقراطية السياسية .. لازم نعمل لتوفير عمل لكل واحد نعطي ضمانات لكل فرد الحرية مش أهدأ البطاقات كما كان قبل ذلك .. لا يمكن أن تكون هناك حرية أو ديمقراطية فى البلد إلا إذا كان الفرد قبل ذلك حراً .. الفلاح مش ممكن يكون حر وهو يقاسى من الإقطاع بيعمل فيه كيف يشاء ، والعامل أيضاً لا يمكن أن يكون حر حينما يكون صاحب العمل قادر على أن يقطع عيشه فى أى وقت ..

هذه هى الحرية والديمقراطية الحقيقية ، أما الديمقراطية التى عشناها قبل ذلك بعد دستور ١٩٢٣م حتى ١٩٥٢م فهى ديكتاتورية تحالف الإقطاع مع الرأسمالية ، وهى تحكم الطبقة الواحدة طبقة أصحاب المصالح وطبقة الرأسماليين المستغلين والإقطاعيين ، علشان كده هل فيه فلاح دخل البرلمان ؟

أنا إنكلمت فى هذا الموضوع باعتبار ده هو أساس الديمقراطية بل أنا باعتبار أهم نقطة فى الميثاق هى النقطة بتاعة الـ ٥٠٪ ..

(جلسة المؤتمر الوطني ٢٦ مايو ١٩٦٢م)

إن هذا التنظيم الشعبي يتمثل في إقامة الاتحاد الاشتراكي العربي الذي يجب أن تتوفر له عدة خصائص تستمد ملامحها من التجربة والأمل ومن ظروف النضال الوطني في مرحلته المعاصرة الخطيرة .

أولاً : إن الاتحاد الاشتراكي العربي يجب أن يكون هو الإطار السياسي الشامل للعمل الجماهيري لقوى الشعب المتحالفة .

ثانياً : إن الاتحاد الاشتراكي العربي يتخذ الميثاق دليله في العمل بإعتباره حصيلة التجربة وأصل ونتيجة لأرادة شعبية حرة ..

ثالثاً : إن الاتحاد الاشتراكي العربي هو بناء جماهيري كامل تقيمه الجماهير الثورية ديمقراطياً وتقوده بآمالها ليكون أذانها بعد ذلك في قيادة العمل الوطني .

رابعاً : إن الاتحاد الاشتراكي العربي هو التجسيد الحى لسلطة الشعب التى تعلو جميع السلطات وتوجهها في كافة المجالات وعلى جميع المستويات .

خامساً إن الاتحاد الاشتراكي العربي يتحتم عليه أن يكون الدرع الحامى لضمانات الديمقراطية السليمة .. وفى مقدمتها النسبة المكفولة لتمثيل الفلاحين والعمال وتدعيم التنظيمات التعاونية والتقاوية وضرورة توفر مبدأ القيادة الجماعية وصيانة ممارسة حق النقد والنقد الذاتي والإلحاح فى نقل سلطة الدولة إلى المجالس الشعبية المنتخبة تدريجياً وكلما كان ذلك ممكناً .

(جلسة المؤتمر الوطني ٢٦ مايو ١٩٦٣م)

نظام الحزب الواحد لم يكن فيه أى تعبير عن آمالنا أو أى مساهمة لأهدافنا لأن الحزب الواحد معناه أن تحتكر فئة قليلة العمل السياسى ٥٪ من الشعب ١٠٪ من الشعب .. وباقى هذا الشعب لا يشترك فى العمل السياسى ولكن عليه أن يكون تابعاً .. معنى هذا استبعاد الغالبية من أبناء الشعب .. معنى ذلك أنه مهما اختلفت الشعارات ومهما زينت هذه الشعارات لن يكون نظام الحزب الواحد هو تعبير عن إرادة الشعب الواحد المتحد .

وكان هناك نظام آخر هو الأحزاب المتعددة ونحن قد جربنا هذا النظام .. كانت تستغله الدول التى كانت تريد أن تضعنا داخل مناطق النفوذ . ولقد رأينا مثلاً هنا فى مصر بعد ثورة ١٩١٩م - كانت الثورة الوطنية والأحزاب وطنية ، وبعد هذا كيف تناهت الأحزاب واختلقت .. فقد الشعب وحدته وتبع عن هذا إن ثورة ١٩١٩م لم تعط ثمارها كاملة وبقيت الإنجليز لغاية ١٩٥٦م موجودين هنا فى بلدنا لأن الأحزاب تركت الهدف الذى قامت من

أجله ثورة ١٩١٩م وبدأت تصل إلى أهدافها الخاصة في الحكم والسيطرة وطبعاً كان كل واحد يعتبر أنه الغاية تبرر الوسيلة ، فالوصول بالحكم عن طريق الإستعمار البريطاني أو عن طريق السفير البريطاني أو طريق القصر كان تعتبر وسيلة للهدف الذى يعمل له الحزب ليحمى مصالحه ويحمى نفسه من النظام .

كان من الواضح أن تعدد الأحزاب لم تكن له إلا نتيجة واحدة وهى تسهيل النفوذ الأجنبى .. طبعاً في هذه التجربة من حياتنا وفي المعارك التى قابلناها كان نظام الحزب الواحد لا يناسبنا لأنه سيكون وسيلة لتغلغل النفوذ الأجنبى في الوقت الحاضر إلى داخل بلدنا ليهدم هذه القاعدة التى بناها والتي تعىء الشعب .. وكان لابد أن تدخل التجربة الجديدة تجربة تقينا عيوب الحزب الواحد وتقينا في نفس الوقت عيوب الأحزاب المتعددة ، تجربة عبارة عن نظام يشترك فيه جميع أبناء الوطن بحيث لا تعطى الفرصة للتسلل ونحيث نحافظ على وحدتنا ولا يمكن الأجنبى أن يفرق بيننا ويعمل على ضمنا داخل مناطق النفوذ .

ولكن إذا عملنا حزبين معنى ده إيه ؟ .. معناه إن إحنا بنقسم القوى الاشتراكية الى قسمين ويقفوا يحاربوا بعض في الوقت اللي فيه قوى رجعية موجودة ومستتية تاكل الاثنين ..

طبعاً إحنا من أجل الترابط .. قلنا بنقيم الإتحاد الاشتراكى .. الإتحاد الاشتراكى يجب أنه يجمع القوى الاشتراكية الثورية في كادر سياسى أو في تنظيم سياسى في داخل الإتحاد الاشتراكى . وبهذا نستطيع فعلاً أن نقيم بنية للتنظيم السياسى .. ودى عملية ساييرين فيها ديووت .. وب نفس الوقت لابد أن نحل المتناقضات إلى بتقابلنا بالعمل السياسى .

إحنا من أجل ترابط قوى الشعب العاملة قلنا بنقيم الإتحاد الاشتراكى ولكن اشترطنا أن هناك تنظيم سياسى جديد .. إذن موش ممكن الإتحاد الاشتراكى كإتحاد اشتراكى حايكون في قوة تنظيمية زى الحزب في تعدد الأحزاب أو الحزب الواحد ولكن وجود التنظيم السياسى في داخل الإتحاد الاشتراكى هو الى حايخل الإتحاد الاشتراكى قوى .. إذن لا سبيل إلا تحالف قوى الشعب العاملة في تنظيم واحد هو الإتحاد الاشتراكى العربى مع خلق تنظيم سياسى قادر وثورى مع تجميع كل القوى الاشتراكية .. مع تطهير الإتحاد الاشتراكى باستمرار من القوى الإنتهازية أو القوى الرجعية التى تسللت داخل الإتحاد الاشتراكى .

(الهيئة البرلمانية - ١٦ مايو ١٩٦٥ م)

يعنى هذا أن التنظيمات السياسية التي سبقت الإتحاد الاشتراكي مثل الإتحاد القومي ما أقدرش أقول إنه فشل أو حتى هيئة التحرير فشلت . فالأولى قامت بدور مهم ، الإتحاد القومي قام بدور ، إحنا بنمر بمراحل كل مرحلة لها ظروف مختلفة .. هيئة التحرير طالما إحنا كنا بنقول إن إحنا عايزين نحل مشاكلنا في إطار من الوحدة الوطنية وإن الإتحاد القومي قام بدوره زى ما إحنا النهاردة نتقل إلى مرحلة جديدة .. مرحلة الثورة الإجتماعية بنعوز تنظيم نفسنا على أسا جديد ..

(اللجنة التحضيرية - ٢٥ نوفمبر ١٩٦١ م)

الفصل الثاني عشر
عبد الناصر وقضية فلسطين
تمثيل هاريل للمدركات



عبد الناصر وقضية فلسطين تحليل شامل للمدركات ،

كان (فعل) عبد الناصر تجاه فلسطين دون « قوله » أو كلامه المعن أو حتى مدركاته بمراحل كثيرة ، فلقد قال عبد الناصر ، وأعلن كثيراً عن فلسطين ، والصراع مع إسرائيل ، إلا أن فعله العسكري المباشر كان هزيعاً للغة ، بل كان مفاجئاً (هزيمة ١٩٦٧م) ، رغم كل التحذيرات الدولية والداخلية ، ورغم علمه المسبق بطبيعة خصمه بل وبطبيعة صراعه الحضاري والقومي معه : من هنا فإننا نتصور أن الإتيان بهذا التحليل الشامل للمدركات عبد الناصر إتجاه الصراع مع إسرائيل يمثل في الوقت نفسه إدانة لقصور « عبد الناصر وفعله العسكري إتجاه هذا الصراع » إذ .. هل يعقل أن تكون كل هذه المدركات موجودة للخصم ثم. نهزم منه هذه الهزيمة الموقعة (١٩٦٧م) .

إن معنى ذلك في تقديرنا كلمة واحد : « العجز » ، مضافة إلى « الإدراك الزائف للقضية برمتها » .

وحتى نكون منصفين وموضوعيين كما إختطفنا منذ بدء العمل في هذه الموسوعة ، فسننا سوف نأتي بالمدركات دون إخلال أو تجميل لأكثر من معانيها (وهي في الغالب معان عظيمة وجليلة لا خلاف عليها نظرياً .. إذ هل يختلف أحد على المستوى الحضاري أو المصري ، أو حتى القومي للصراع مع الكيان الصهيوني .. لا أظن .

* لهذا .

* ولغيره فإننا سوف نمحور حديثنا في هذا الفصل حول ما يلي :

أولاً : مستويات إدراك عبد الناصر لطبيعة الصراع وإدارته .

ثانياً : تطور المدركات الناصرية لقضية فلسطين : النصوص الكاملة .

ثالثاً : مدركات عبد الناصر لحس الصراع العربي والإسرائيلي .

وبتفصيل ما سبق يستبين الأتي :

أولاً : مستويات إدراك عبد الناصر لطبيعة الصراع وإدارته :

يمكن بلورة مركبات ثورة « ليو لطبيعة الصراع العربي - الصهيوني وتحديد عبد الناصر بعد متابعة لوثائق الثورة المختلفة ، نحو ثلاثة مستويات :

المستوى الأول : إن الصراع العربي - الصهيوني صراع مصري بالأساس .



في الجناح الذي كان يقيم فيه في فندق هيلتون أثناء اجتماعات القمة يستمع إلى باسر عرفات ينقل إليه آخر ما وصله من أنباء القتال بين السلطة الأردنية والفدائيين

المستوى الثانى : قومية الصراع :-

عندما حوصرت القوات الفلسطينية خلال شهور يونيو ويوليو وأغسطس ١٩٨٢م داخل بيروت وأسقطت إسرائيل عليها ما يقرب من المليون قنبلة ، وشنت المئات من الغارات (فى يوم ١٢ أغسطس ١٩٨٢م شنت إسرائيل ٢٢٠ غارة ، وأسقطت ٤٤ ألف قنبلة خلال ١١ ساعة فقط) ، وعندما اكتملت صورة الهزيمة العربية فى ١٧ مايو ١٩٨٣م بتوقيع الاتفاق اللبناني - الإسرائيلى ، وعندما اكتمل المشروع الصهيونى - أو كاد - داخل الضفة الغربية وقطاع غزة بالجو لوان ولبنان ، عندما حدث كل هذا .. كانت الأنظمة العربية على إمتداد الوطن ، ترفع مقولة خطيرة ، وهى أن القضية - قضية الصراع العربى - الصهيونى - قضية فلسطينية بالأساس والخطورة أنها لم تكنف « برفع المقولة » بل بتطبيقها علمياً من خلال سلوكيات إقليمية ذات دلالة هامة . فى هذا الإطار من تدهور النظرة العربية لطبيعة الصراع ، تأتى رؤية ثورة يوليو لتقدم لنا نموذجاً - تنصور ، أننا فى أشد الحاجة إليه فنحن نعيش سيناريو الحقبة الصهيونية ، فالصراع العربى الإسرائيلى من وجهة نظر ثورة يوليو وبالإضافة إلى مصيرته ، هو صراع قومى ، صراع بين أمة عربية ذات أهداف وطموحات مشروعة وبين مجموعة من العصابات الصهيونية كمقدمة للإستعمار العالمى ، وإن القضية لم تكن قضية أبناء فلسطين فحسب ، وإن كانوا ، هم الطليعة والمقدمة فى عملية المواجهة السياسية والعسكرية مع إسرائيل ، فالقضية قضية كل أقطار الوطن العربى ، وهنا يقول عبد الناصر (إن أى عنوان فى العالم العربى ، يعتبر عنواناً على كل بلد عربى . ونحن باعتبارنا الجمهورية العربية المتحدة التى أخذت على نفسها واجب الطليعة فى هذا لن نتخلى عن هذا الواجب) ويرى (أن سقوط أى بلد عربى إنما يكون دائماً هو البداية لسقوط باقى البلاد العربية) وإسرائيل تدرك هذه الحقيقة ومن ثم فهى تقف ضد الوحدة العربية مفهوماً وسلوكاً (كانت إسرائيل أيضاً تعادى الوحدة بل كانت إسرائيل تعادى وحدة الكلمة بين العرب ، كانت إسرائيل تحاول أن تفرق بين العرب ، حتى تستطيع أن تهاجم فى الشمال وتجمد فى الجنوب ، أو تهاجم فى الجنوب وتجمد فى الشرق) .

المستوى الثالث : حضارية الصراع :-

لقد أكسبت ثورة يوليو الصراع العربى - الصهيونى سمة هامة ، أثبتت التطورات الأخيرة التى تعيشها قصة الصراع اليوم صحتها ، تلك هى طبيعة الصراع الحضارية ، حيث الصراع مع إسرائيل ليس فقط مع مجموعة من العصابات الصهيونية القادمة من أوروبا والأمريكيتين ، ولكنه صراع مع « الجذور » التى تنتمى إليها هذه العصابات وهى الجذور

المستوى الأول :- مصيرية الصراع :-^(١)

تجمع وثائق الثورة ، وتحديدًا وثائق عبد الناصر ، على أن هذا الصراع الذى تجرى أحداثه فوق أرض فلسطين ، كان ولا يزال ، صراع وجود ، صراع بقاء بين الأمة العربية من جانب وقوى الاستعمار من جانب آخر .

يقول عبد الناصر أن الأرضية الأصلية وراء الصراع العربى الإسرائيلى هى فى الواقع - وعلى وجه الدقة - أرضية التناقض بين الأمة العربية الراغبة فى التحرر السياسى والاجتماعى وبين الاستعمار الراغب فى السيطرة وفى مواصلة الإستغلال ، وفيما مضى فلقد كان سلاح الاستعمار ضد الأمة العربية هو سلاح التمزيق وبعد حربى عالميتين ومع تعاضل الإيمان بالوحدة العربية فلقد لجأ الاستعمار إلى إضافة سلاح التخويف إلى سلاح التمزيق ، وكان إن إستغل فى ذلك الدعاوى الأسطورية للحركة « الصهيونية » وهكذا سلم وطنًا من أوطان الأمة العربية غنيمة مستباحة للعنصرية الصهيونية المدججة بالسلام لكى يتم تكريس تمزيق الأمة العربية ولتحقق تخويفها باستمرار عن طريق إيجاد قاعدة فى قلبها لتهديدها فضلاً عما يتبع ذلك من إستنزاف كل إمكانيات القوة العربية فى صراع محكوم فيه تاريخياً ، ولقد زاد من حدة التناقض بين الأمة العربية والاستعمار ظهور الحركة التقدمية العربية بقيادة الفلاحين والعمال العرب الأمر الذى دفع الاستعمار إلى مغامرات عنيفة ومخيفة عبرت عن نفسها سنة ١٩٥٦م ، ١٩٦٧م والتي عرفت بحرب الأيام الستة التى هى فى الواقع مقدمة لحرب لم تنته حتى الآن ، هذه هى أرضية الصراع العربى - الإسرائيلى التى هى فى الواقع أرضية التناقض بين آمال الأمة العربية وحقوقها المشروعة وبين أطماع الاستعمار ومخططاته ومؤامراته وكان عبد الناصر يقرأ بهذا التحليل ، المستقبل الغربى ، محدداً حقيقة التناقض وهو ما تحاول « الحقبة الصهيونية » فى مرحلة ما بعد لبنان أن تفعله ، والجسد العربى لا يزال يبحث عن مخرج ، تافهاً ، فى الدائرة المفرغة التى أدخله إليها مفهوم السلاح الأمريكى .

إن الصراع المصيرى ، مفهوم إدركه جيداً الجانب الإسرائيلى ولم يحاول الجانب العربى أن يفهمه أو يحاول تطويره .

(١) انظر تفصيلاً لهذه الرؤية فى : رفعت سيد أحمد - ثورة يوليو وقضية الصراع العربى الإسرائيلى - مجلة الموقف العربى - العدد ٣٩ - ص ٦٧٤ .

التي تشكل الوجه الحقيقي للصهيونية السياسية ، وحيث تمتد هذه الجذور لتصل إلى جوهر الحضارة الغربية ، إلى الطبيعة العنصرية التي قامت عليها هذه الحضارة وإلى الوجه العدائي الذي ميزها في نطاق تعاملها مع غيرها من الحضارات وتحديداً الحضارة العربية الإسلامية ، وإلى الطبيعة الأنانية والفردية التي ميزت نظرتها إلى الإنسان العربي فهو لديها دائماً « متخلف » دائماً « مهزوم » دائماً « همجي » دائماً « غير متحضر » وفي حاجة إلى من يقوده ويؤكد لديه هذا الواقع ، مع دائمية أن يظل في إطار دور « التابع » من هنا كان لابد من زرع الكيان الصهيوني كإمتداد لما يسمى « بالحضارة الغربية » وإن كان في جانبها السيئ لقد أدرك عبد الناصر هذه الحقيقة ، وأدرك ما تعنيه من دلالات هامة تمثلت في حتمية أن يظل القرب وخاصة الولايات المتحدة الأمريكية إلى جانب أحد طرفي الصراع تقدم له دائماً ما يقيه على قيد الحياة داخل جسد الطرف الثاني (الطرف العربي) وهي الحقيقة التي لم يستطع أن يدركها اليوم الذين يعيشون مرحلة ما بعد لبنان ١٩٨٢ م ، وهذه الطبيعة الحضارية « الخاصة » للصراع تحددها الثورة حين تقول من خلال قائدها ، (إن إسرائيل تقوم في خدمة الأمبريالية والإستعمار بدور القاعدة وبدور المخفر ، الأمامي ، وبدول العازل الذي يحول دون وحدة الأمة العربية ، ويهددها كلما تحركت ، وبدور الإدارة التي تشتت تركيزها على المستقبل وتمنص طاقاتها بالإستنزاف أولاً بأول ، ولقد باعت الصهيونية نفسها للإستعمار الذي كان يسيطر على العالم العربي ، وربما لم يكن الأمر يحتاج إلى وقفة جديدة فإن الصهيونية العنصرية تحكم طبيعتها الرجعية تقف منطقياً على الجانب المعادي للحرية ويرى عبد الناصر أيضاً (إن الإستعمار قد سلك في سبيل ذلك كل الوسائل الخبيثة ، فهو لم يكتف بأن يكن له عملاء يستترون بالوجوه الوطنية ليكونوا أكثر فاعلية في خدمته ، وإنما أقام لنفسه بين الدولة العربية دولة عميلة تتكلم باسمه ، وتسب على نهجه وتكون رأس جسر لأغراضه ، وحرية في قلب قارتنا تسعى للسيطرة بما تقدمه من قروض واستثمارات لتسيطر على إقتصادياتها بالإحتكارات الإستعمارية) ، ويؤكد ما يعنيه أكثر حين يقول (حينما نعالج قضية فلسطين لا يمين أن نتصور أننا نعالج قضية سهلة ، إنها قضية إسرائيل ومن وراءها ، وهي بوضوح أكثر ، قضية أمريكا) .

من هذا العرض السابق يتضح لنا كيف أدركت ثورة يوليو طبيعة الصراع العربي الصهيوني حيث هذا الصراع صراع مصري وقومي وحضاري ، ومن لا يفهمه على هذا النحو فإنه لا يستطيع أن يدرك طبيعة العدو الذي نخارب وطبيعة صراعنا الطويل معه .

ولعل رؤية ثورة يوليو للصراع تتضح أكثر حين تنتقل بالحديث إلى حيث مستويات تعاملها مع الصراع بأطرافه المختلفة ، أو بعبارة أدق ، كيف أدارت الصراع وكيف تفاعلت مع أحداثه .

ومستويات إدارة الصراع :-

من خلال خبرة الصدام مع إسرائيل وقوى الرجعية والولايات المتحدة ، من خلال الصدام مع هؤلاء - الذين أسماهم عبد الناصر بأطراف الصراع - تشكلت عند ثورة يوليو على المستويين الفكري والحركي قناعة مؤداها أن عملية إدارة الصراع - العربي الصهيوني عملية معقدة ، وإن تعقد هذه العملية يعنى تواجد عدة مستويات فى إدارتها ، وهذه المستويات متداخلة ومتصلة ، ولا يمكن فهم إحداها دونما فهم ما سبقها ، ويقول عبد الناصر محدداً هذه المستويات إننا نفوض معركة معقدة متشابكة تجرى على أرض وعرة متفجرة ، وليس هناك طريق واحد تستطيع أن نسلكه لتحقيق أهداف أمتنا العربية وإنما هناك طرق متعددة نحو هذه الأهداف واستمداها لاستعادة أراضيها الضائعة بالقوة لا يمكن أن يعطل عملنا السياسى لاستعادة ما ضاع منا .. إن الاستعداد بإمكانيات القتال لا ينبغي أن يعطل إستعدادنا بإمكانيات السياسة ... ولكن عبد الناصر رغم ذلك لم يقل إن هذه الحرب هى « آخر الحروب » تحت دعاوى السلام ولكنه قال وفى نفس الخطاب السابق ولكن الخطر أن نجعل الإستعداد للسياسة يعطل بالإستعداد للقتال ، ذلك أنه فى نهاية المطاف تبقى حقيقة واحدة على ساحة الشرق الأوسط ، حقيقة لا شريك لها ولا بديل وهى ضرورة إستعادة أرضنا وتطهيرها إلى آخر شبر تطهيراً كاملاً ونهائياً .

* إن مستويات إدارة الصراع عند قائد يوليو تتدرج من المستوى السياسى بتنوعاته المختلفة الدبلوماسية ، الإعلام ، الثقافة ، المستوى الإقتصادى كالمقاطعة الإقتصادية ، المستوى العسكرية (والذى لم يحدث بالفعل طيلة العهد الناصري) .

إن الإدراك كان واعياً ، تلك حقيقة هامة أما الفعل فلقد كان دون ذلك بكثير .

ثانياً - تطور المدركات الناصرية لقضية فلسطين :

النصوص الكاملة ، سوف نورد هنا نصوباً كاملة لمقولات عبد الناصر بشأن قضية فلسطين اخترناها من مجموعة خطب وأحاديث وهى تمثل مجتمعة رؤية إدراكية هامة بالنسبة له إتجاه قضية فلسطين « حرب ١٩٦٧م » على الرغم من أنها لم يوازها فعل عسكري مباشرة ترى ماذا تقول المدركات :

(١) من خطاب الرئيس فى نادى فلسطين بالإسكندرية بتاريخ ١٣ ديسمبر ١٩٥٣م .

إنى أشعر شعوراً عميقاً إن المأساة التى حلت بنا جميعاً فى فلسطين لم تكن إلا نتيجة للطمأنينة التى نزلت على نفوسنا بعد الخطب التمتعة والاجتماعات الحاشدة ، كنا نستمع

للخطب ونشعر بالطمأنينة بعد هذه الخطب ، فكانت هذه الطمأنينة هي السبب الأول والسبب الأساسي لكارثة فلسطين ، وأنا متأكد كثيراً أن أقول أن هذه الطمأنينة ما زالت في النفوس كانت الأمة العربية تشعر بما يحدث في فلسطين وكنا نحن نشعر بذلك ، وكان رجال السياسة العرب عقب الحرب العالمية يشعرون بما سيؤول إليه أمر فلسطين فماذا فعلوا ؟ لم يفعلوا إلا الخطب وبعدئذ حلت الكارثة .

هذه هي الحقيقة الواقعة ، فنحن الأمة العربية السبب في ضياع فلسطين ، وقادتنا هي السبب الرئيسي في ذلك ، فمنذ إن انتهت الحرب العالمية الأولى ، وعندما انتهى الإستعمار من إستجداء العرب ، وتخلص الإنجليز من الأتراك نقضوا عهودهم وأخلفوا ما وعدوا به في أول الحرب كل منا كان يفكر بأنه سيأتي اليوم الذي يحقق فيه الإستعمار أغراضه . فماذا فعلنا لهذا الأمر بعد الحرب العالمية بدأ الإنجليز في تقسيم البلاد العربية وبث روح التنافر والفرقة بين أبناء البلد ، فماذا فعلنا إزاء هذا ؟ إننا لم نفعل شيئاً وأخذ كل بلد يفكر في نفسه ..

ثم أعلن وعد بلفور الذي هو بداية الطريق نحو نهاية فلسطين ، أعلن هذا الوعد ولم تفعل إلا الخطب والإجتماعات وإدخال الطمأنينة إلى القلوب ، فكان الإنجليز دائماً يظهرون ثباتهم ، وكانت اتجاهاتهم نحو اليهود ظاهرة واضحة ، والأمة العربية كانت تستمع وتتقدم بطلبات ولكن طلباتهم كانت ترفض فماذا فعلنا بعد هذا الرفض ؟ كنا نقول في إجتماعاتنا وخطبنا سنلقى اليهود في البحر وبعد إنتهاء الخطب يذهب كل منا إلى بيته حتى بدأت الحرب العالمية الثانية ، وأخذ الإستعمار ينفذ خطته في سبيل تحقيق أغراضه .

وأعلنوا مبادئ العالم الحر ، وقالوا أن لكل دولة أن تقرر مصيرها ، أخذنا ننتظر لنرى مدى تحقيق هذه الدعوة وكسبنا أنهم لم يفوا بعهودهم في الحرب العالمية الأولى .

ووقف العرب ينتظرون فكانت النتيجة أن أصحاب مبدأ العالم الحر ، بدعوا عملهم بنكبة فلسطين التي لم يكن مثلها في تاريخ البشرية وبعد هذا رفرف الإستعمار على رؤوس العرب ، ولم يعمل غير هذا ؟ فمن المسئول ؟ ومن الذي دفع اليهود وشجعهم على إحتلال فلسطين والقضاء على الشعب العربي فيها ، إنها إنجلترا ولكننا تناسى هذا ، فعندما حاربنا في فلسطين منعت إنجلترا السلاح عن العرب ، في حين إن اليهود كان يأتيهم السلام من كل مكان ، وإن اليهود لو اعتمدوا على أنفسهم وقتئذ لما نجحوا بتاتاً وإنما كانت إنجلترا تدفعهم فهي السبب الأول في نكبة فلسطين ، يتناسى العرب هذا ويقولون أنه إسرائيل واليهود ولكنهم يخشون أن يقولوا إن السبب إنجلترا ، إن لدينا قوة كاملة لا تحلبها قوة عسكرية ، فعندنا

البتروال الذى يمون الجيش الأوروبى فى بلاد الغرب ز فلو منعه العرب عنهم لن يستطيعوا أن يفعلوا شيئاً ، فنحن العرب نستطيع أن نعاملهم بنفس معاملتهم ونكمل لهم الصاع صاعين ، نحن العرب نستطيع أن نشعرهم بأنفسهم ونقف فى سبيلهم ، ونفهمهم أنهم إذا اعتدوا على مصالحنا اعتدنا على مصالحهم .

إن العرب إنخدعوا وراء الكلام المعمول ، فأخذ العرب بهذا إن الأمة العربية إذا ظلت ناقمة ترفرف عليها الطمأنينة فستضيع دولة وراء أخرى ويقضى علينا الإستعمار .

إن إسرائيل التى يسندها الإستعمار ، ولا يريد لهذه المنطقة أية حرية ، ويعتبرها مزرعة لمصالحه الخاصة كما هى خطة الإستعمار فى القضاء على الأمة العربية جميعاً ، وهى ليست خطة قصية الأجل بل خطة طويلة تهدف إلى القضاء على العروبة كلها .

إن العملية ليست عملية فلسطين ، إنما هى عملية العرب وعندما طعنت فلسطين طعن كل منا فى شعوره ووطنه ، حصل ما حصل فى حرب فلسطين ١٩٤٨ م ، ورأينا المآسى فليس لدينا دبابات وإسرائيل لديها الدبابات والسلاح ولكن لدينا السلاح الوحيد الذى يمكن أن نتمتع به وهو سلاح البتروال .

لقد تعاقدنا معهم على شراء دبابات فمنعوها عنا ، منعوا بلجيكا وسويسرا والسويد من أن يبيعوا لنا السلاح فى حين أننا دفعنا عشرة ملايين من الجنيهات ثمنًا للسلام ولم يصل إلينا ، لأن إنجلترا يهملها أن تقوى إسرائيل وتضعف الأمة العربية .

نحن يمكننا أن نقضى على الغرب إذا إنجھنا إلى العمل وحدة ، وتركنا الخطب واتجهنا إلى مقام الإستعمار ، لأنه سبب النكبات وهو الذى دبر نكبة فلسطين ، ويدبر النكبات للبلاد العربية جميعاً .

(٢) من خطاب الرئيس بالجامع الأزهر فى عيد الثورة الثانى بتاريخ ٢٣ يوليو ١٩٥٤ م :

إن مصر والدول العربية سترد كل اعتداء يقع من جانب إسرائيل ، إن مصر توجه كلمة صريحة للعالم الغربى بصدد عنوان إسرائيل المتكرر على حدود البلاد العربية ، إن مصر تريد أن تقول : إن الموقف فى الشرق العربى ينذر بالإنفجار ولن يخسر منه الشرق العربى بقدر ما يخسر منه الذين يكلفون إسرائيل بالدعاية ويطالبون لها جبل الصبر . إن آلام أهل فلسطين المشردين وعذابهم كفيل وحده بالقضاء على كل حجة تساق للدفاع عن إسرائيل وتبرير عدوانها المتكرر ، فإن كرامة الأمم المتحدة تفرض على زعماء تلك الهيئة أن يعملوا شيئاً فى سبيل تنفيذ قرارات تلك الهيئة التى دامت إسرائيل ، ومصر حينما تقول ذلك إنما تعبر عن

أربعين مليوناً من العرب .

(٣) من حديث أدلى به الرئيس إلى نائب مدير وكالة اليونانيته دبرس بتاريخ ١٢ سبتمبر سنة ١٩٥٤ م :

لقد توفرت الأدلة لدى الرأى العام العالمى أخيراً إن إسرائيل تشن الغارات الإرهابية على القوى العربية فضلاً عن قطعها كل المواصلات البرية بين مصر والدول العربية شرق السويس ونحن نعتقد أنه ينبغي لمصر والبلاد العربية أن تحصل على هذه المواصلات البرية الحيوية لتجاريتها ورخائها ومشروعاتها الدفاعية - وقد أدرك الجميع أن الدفاع عن هذه المنطقة يقع على كاهل شعوبها أولاً - فقد تجلت أهمية إنشاء هذه المواصلات البرية بين مصر والبلاد العربية لصالح الدفاع عن الشرق الأوسط ومن الجلى أن العرب سيواصلون دعم مشروعاتهم الدفاعية بغض النظر عن إسرائيل وقد احتلت إسرائيل المنطقة الواقعة جنوبى فلسطين والممتدة من خليج العقبة بالرغم من أن الأمم المتحدة والدول العربية لم تعترف بأن لإسرائيل حقاً في هذه المنطقة .

وهذا الإحتلال إنتهاك صارخ لإنفاكية الهدنة وإستمراره يهد من سلطة الأمم المتحدة ولست أرى حلاً عاجلاً لهذا الموقف إلا إذا رغم الرأى العام العالمى والضغط الدولى إسرائيل على إن تتخلى عن هذه المنطقة التى لم تنلها بناء على مشروع التقسيم أو وفقاً لأى شرط فى أى وقت .

ولكن إسرائيل ما برحت تتحدى الأمم المتحدة ، وتواصل غاراتها الوحشية على القوى الأممية التى أثارَت سخط الرأى العالمى ووقفت الحكومة الأمريكية إلى توجيه اللوم إلى إسرائيل وهذا الإجراء له دلالاته إذ يذكرنا ما للصهيونيين من نفوذ فى الكونغرس وسيطرة على وسائل النشر والإذاعة فى أمريكا .

(٤) من خطاب الرئيس فى الكلية الحربية بتاريخ ٣ مارس ١٩٥٥ م :
إنى أذكر يوم ١٦ أكتوبر ١٩٤٨م وكانت الهدنة قائمة وهجم اليهود هجوماً غادراً على مواقع الكتبية السادسة فى عراق النشبة ولكنهم هزموا شر هزيمة - صدر قرار مجلس الأمن بوقف القتال وبعودة اليهود إلى مواقعهم وانتظرنا تنفيذ قرارات مجلس الأمن فماذا كانت النتيجة ١٩٤٨م ، لقد عزز اليهود مواقعهم وتمكنوا من خطوطهم لم تنتصر إسرائيل ١٩٤٨م وإنما الذى انتصر هو مجلس الأمن وهم حلفاء إسرائيل هؤلاء الذين عملوا على تثبيت اليهود فى هذه البقعة المباركة وعملوا على إزالة القومية العربية منها - واليوم ونحن فى عام ١٩٥٥م أقول لإسرائيل ومن يهددون باسمها - لقد كانت إسرائيل تعتقد أنها هزمت الجيش المصرى

في سنة ١٩٤٨م فهي عهدنا الآن معتمدة على هذه الخرافة - اليوم أقولها - إن الجيش المصري لن يختلف عن الجيش قبل ذلك - إن الأساليب التي ساعدت على هزيمتنا في الماضي قد اختفت ولن تعود أبداً - إننا سندافع عن الشرق وسندافع عن الوطن وسنرد العدوان بالعدوان - إننا اليوم إذا دخلنا المعركة نستطيع تعويض ما فات إذا دخلنا المعركة اليوم فسندخلها ونحن نعلم تمام العلم إننا ندافع عن الواجب والشرف والوطن - لقد سمعت أمس تهديد إسرائيل - وأنى أقول لها نحن شعب لا ينسى الإساءة مطلقاً ولكن الإساءة تزيدنا عزماً وصلابة - وإننا لم نهزم مطلقاً في فلسطين ١٩٤٨م ، وإنى كنت فرداً في هذا الجيش من أول يوم في المعركة حتى آخر يوم فرأيت بعيني كيف كان اليهود ينسحبون منهزمين ولست أنسى معركة ١٦ أكتوبر عام ١٩٤٨م في عراق المنشية حين واجهنا اليهود وهم متفرقون في القوة والعدد وكنا نحن في موقع منعزل محاصر وتمسكنا بالشرف وتمسكنا بالواجب وتمسكنا بالوطن ، فهزما المعتدين فرأيت العسكري اليهودي وهو يفر مذعوراً ليجرد رؤيتنا رأيهم يهزمون رغم دباباتهم ومدافعهم التي تركوا بعضها في الميدان .

إننا اليوم في عام ١٩٥٥م ونختلف تماماً عن عام ١٩٤٨م إننا اليوم لن نضيع فريسة للغدر والخيانة .

(٥) من خطاب الرئيس في قطاع غزة بتاريخ ٢٩ مارس ١٩٥٥م إننا لن ننسى مطلقاً المؤامرات التي دبرت للقضاء على القومية العربية في فلسطين وإننا لن ننسى فلسطين أبداً وإذا كنتم يا أهل فلسطين قد اعتبرتم هذه المؤامرات موجهة إليكم فنحن أهل مصر نعتبرها موجهة إلينا أيضاً .

إن المؤامرات التي انتهت بهذا النصر للصهيونية العالمية لم تنته بعد ونحن العرب أمة واحدة يجب أن نتجه إلى المستقبل لنحمي قوميتنا التي استطاعوا أن يتفادوا إليها ويحلوا محلها في أرض عربية حيصة قوميات غير عربية - إن هذه المؤامرات لا تنتهي وما زالت تعمل ونحن في مصر نقف لها بالمرصاد وكل ما أطلبه منكم المثابرة والإتحاد والعمل وأن نأخذ من اليهود عبرة ودروساً حتى نستطيع رد العدوان ونحافظ على قوميتنا .

(٦) من خطاب الرئيس في افتتاح الموسم الثقافي بتاريخ ٢١ مارس ١٩٥٥م .

إن النفوذ اليهودي والصهيوني له هناك تأثير كبير جداً وإننى كنت أعتقد إنها ستكون معجزة من المعجزات أن نحصل على أى شيء .

قلنا وما زلنا نقول أن تنظيم الدفاع عن هذه المنطقة لن يتم مطلقاً إلا إذا أعطيت الدول

العربية كمنطقة دفاعية الفرصة الكاملة للتسليح والفرصة الكاملة لإقامة جيش عرى خالص يدافع عنها .

(٧) من خطاب الرئيس بتاريخ ٨ يوليو ١٩٥٥ م :

إن إسرائيل تسليح بواسطة من خلقوها وتعاون بأموال كبيرة من جهات متفرقة وقد قامت بارتكاب أكبر جريمة في التاريخ الحديث فقضت على شعب فلسطين وقومية فلسطين تحت سمع الأمم المتحدة ومساعدتها ونحن لم نرج مساعدة من الدول العظمى أو الأمم المتحدة لأن إسرائيل طفلها المذلل ولن نطلب المساعدة بل نعتد على أنفسنا وعلى جيشنا القوي الذي يمثل ٢٢ مليوناً .

نحن هنا نكون جيشاً تعداده ٢٢ مليوناً يحمي مصر والدول العربية والقومية العربية إننا لن نؤمن بالتخدير الذي يستورد لنا من الأمم المتحدة ، إننا شعب أقوى من شعب إسرائيل وجيشنا أقوى من جيش إسرائيل وسترد العدوان بالعدوان ، وبعد حادث ٢٨ فبراير وإعتداء إسرائيل الغادر لن نخدع بندايات السلام .

(٨) من خطاب الرئيس بتاريخ ٢٢ يوليو ١٩٥٥ م :

إن الحديث عن سياستنا الخارجية لا يكمل إلا إذا تحدثنا عن فلسطين ومجرد ذكر فلسطين بعيد إلى ذهن كل عرى بل إلى ذهن كل إنسان حسر أكبر جريمة دولية إرتكبت في تاريخ الإنسانية كلها فالتاريخ كان يشهد من حين إلى حين توزيع أو انتقاص أراضيها ، ولكن لم يشهد التاريخ مثل هذه المحاولة الفاجرة التي يقصد بها الصهيونيون إلى محو القومية العربية في فلسطين وإحلال إسرائيل وهي دولة ملفقة تضم أجناساً مختلفة يتكلمون لغات متباينة ويمثلون قارات مختلفة ولم يكن الصهيونيون وحدهم ولا جميع الإسرائيليين في العالم قادرين على أن يرتكبوا هذه الجريمة ولو كانت أموال العالم تحت أمرهم - فإن مقارنة هذه الخيانة لا تحتاج إلى مال فقط بل إلى إفتراء على مقدسات الأمم والأفراد والمقدسات التي لا يحاول إنسان في وجوب إحترامها وعدم المساس بها ولهذا فإن إسرائيل لا تمثل للعرب ولا تمثل للكتلة الآسيوية الأفريقية ولا تمثل للمنبر العالمي عدواً حريماً أو عسكرياً ضدنا وضد هذه المنطقة من العالم بل تمثل شيئاً آخر ، مثل محاولة السيطرة علينا من خلال هذه الدولة تمثل الضغط الأجنبي على العرب تمثل السعى في تفريق كلمتهم وإشاعة الفرقة بينهم والحلولة بينهم وبين أن يجتمعوا ويتفقوا أو يستفيدوا من تراث بلادهم وما في بطون أراضيهم من معادن أو خبرات وما في مركزهم الجغرافي .

إن حيث فلسطين بلوره. يجرنا إلى سياستنا العربية عامة وقد أعلنت هذه السياسة في العام الماضي وأعلنها في هذا توكيداً لتزداد وضوحاً في ضمائركم وليزداد العالم فهماً لها - إن سياستنا تهدف إلى جمع شمل العرب يجعلهم أمة واحدة بل أسرة واحدة - لقد كان جيلنا إلى تحقيق هذا الهدف هو أن نلتزم ميثاق في جامعة الدول العربية وأن نخترمه ونجعل الغامض فيه واضحاً والضعيف قوياً وقد كان ميثاق الضمان الجماعي تكميلاً وتويجاً وتدعيماً إلى ميثاق جامعة الدول العربية كما يؤثر إلى توحيد خطط جيوشنا وتنسيق العمل بينها .

(٩) من خطاب الرئيس في القوات المسلحة بتاريخ ٢٧ سبتمبر ١٩٥٥ م :

إن جيش إسرائيل قد استطاع أن يأخذ أسلحة من إنجلترا وفرنسا وبلجيكا وكندا وإيطاليا ومن دول أخرى متعددة كان هذا الجيش يستطيع أن يجد دائماً من يمونه بالسلاح وكنا نقرأ في الصحف الأجنبية أن جيش إسرائيل يستطيع أن يهزم الجيوش العربية مجتمعة وقد قرأت في الشهر الماضي كثيراً من المقالات تحصل هذا المعنى أن جيش إسرائيل يستطيع أن يهزم جيش مصر ، إن جيش إسرائيل يستطيع أن يهزم العرب إن جيش إسرائيل متفوق السلاح هذا ما كانوا يقولونه فنقول لهم إذا كنتم تشعرون بهذا فلماذا تمنعون السلاح .

(١٠) من خطاب الرئيس في كلية الحرية بتاريخ ٢ أكتوبر ١٩٥٥ م :

إنني أحب اليوم أن أعلن باسم مصر للرأي العام العالمي حقيقة هذه الخديعة الكبرى ، لقد كانت حادثة ٢٨ فبراير الماضي والإعتداء الوحشي اليهودي المدبر الذي وصفه مجلس الأمن ، بأنه إعتداء مدبر وحشي على جنود آمنين مطمئنين ، لقد كان هذا الإعتداء نقطة تحول ، لقد كان هذا الإعتداء الذي دبر بن جوريون (والذي شكر من أجله أفراد الجيش الإسرائيلي لتفيلهم هذا الإعتداء الوحشي ، لقد كان هذا الإعتداء ناقوس الخطر الذي جعلنا نبحث وننتق في تعرف السلام ومعنى السلام وبدأنا ننتق في معنى توازن القوى في هذه المنطقة ، فوجدنا أن هناك تحيزاً لإسرائيل نستطيع أن نثبت على من يقو بهذا ، إنهم يعملون على منع السلاح عنا ، في نفس الوقت الذي يعملون فيه على تموين إسرائيل بالسلاح ، فقد استطاعت المخابرات المصرية أن تحصل على وثيقة تثبت أن أمريكا وإنجلترا تعدان إسرائيل بالسلاح ، إن هذه الوثيقة الرسمية تقول إن أهم المعدات الثقيلة من الاسلحة العسكرية التي أمدت بها القوات الإسرائيلية مصدرها أمريكي وبريطاني .

وقالت هذه الوثيقة الرسمية أن هناك صفقات تعقد بين بريطانيا وإسرائيل لبيعها طائرات ودبابات وإن أمريكا سلمت من جانبها إلى إسرائيل ١٢ طائرة هذا ما حوته الوثيقة وهو غير ما سلمته فرنسا نفسها إلى إسرائيل وقد قرأنا في الجرائد الإسرائيلية أن فرنسا قد تعاقدت

مع إسرائيل على أن تسلمها ١٠٠ دبابة وعدداً من طائرات المستمر .

هذا هو التوازن كما يفهمونه وهذا هو السلام حسب فهمهم ، التوازن إن إسرائيل تسليح ويمنع السلاح عن مصر وعن العرب ، التوازن هو أن تقول صحفهم أن جيش إسرائيل يستطيع أن يهزم الجيوش العربية مجتمعة ، التوازن هو أن تقول صحفهم سواء في أمريكا أو إنجلترا إن إسرائيل تستطيع أن تحشد ٢٥٠ ألف جندي أكثر مما تستطيع الجيوش العربية أن تحشد . التوازن هو أن تقول صحف أمريكا وهي تشمر بالزهو والفخار أن جيش إسرائيل عنده الكثير من العدد وعنده الكثير من العتاد وعنده الكثير من السلاح .

هذا هو التوازن الذى يموهون علينا به اليوم وهذه هى الخدعة الكبرى التى يحاولون اليوم أن يخدعوا بها الرأى العام العالمى .

(١١) من حديث الرئيس مع مراسل جريدة النيويورك تايمز بتاريخ ٦ أكتوبر ١٩٥٥م :

الآن نستطيع أن نقابل التفاتات الإسرائيلية بطائرات ميج أن موقف إسرائيل من العرب كان يتسم بطابع العدوان أما ما يسميه اليهود عمليات أخذ الثأر فهى عمليات كان يضع خططها مجلس الوزراء فى إسرائيل .

لقد فرح بن جوريون لأنهم قتلوا ٢٩ من رجالنا فى حادث الإعتداء الإسرائيلى على غزة - وإلى أعرفه أن الحادث لم يثر الخوف فى نفوس المصريين بل أنه فقط دق ناقوس الخطر .

(١٢) حديث الرئيس فى صحيفة نيويورك بوست الأمريكية بتاريخ ١٤ أكتوبر ١٩٥٥م :

إن الشعوب العربية تقف ككله واحدة ضد مؤامرات الصهيونية التى تأصلت جذورها فى أمريكا - وإن جميع الشعوب العربية تشعر بأن الولايات المتحدة تقع تحت سيطرة وتوجيه المنظمات الصهيونية القوية وتساعد إسرائيل ضد البلاد العربية .

إن النفوذ الصهيونى فى الولايات المتحدة يقف حائلاً بين العرب والأمريكيين وأن كل فرد فى الدول ليشهر بأن جميع الجهود التى يبذلها العرب فى الولايات المتحدة ستذهب بسبب هؤلاء الصهيونيين .

(١٣) وجه الرئيس فى ١٦ نوفمبر ١٩٥٥م تحذيراً إلى أمريكا :

وقد قررت مصر إزاء الخطر الذى يهددها نتيجة تفوق إسرائيل أن تسليح حتى يمكن أن تدافع عن نفسها ضد العدوان الإسرائيلى - فإن قادة إسرائيل حينما شعوا أنهم استطاعوا أن يزودوا جيشهم بالأسلحة الثقيلة والطائرات فى الوقت الذى حرمت فيه الدول العربية

مع تسليح جيوشها انتهجوا سياسة العدوان بل تعادوا فيها وقد قال زعيمهم بن جوريون أنه يريد فرض وإجبار العرب على قبول الأمر الواقع ، وإن معنى فرض السلام هو العدوان بل إن فرض السلام ليس له إلا معنى واحد وهو شن الحرب على العرب .

(١٤١) من تصريحات الرئيس إلى مندوبى الصحف ووكالات الأنباء بتاريخ ٢٨ نوفمبر ١٩٥٥ :

من الواضح أن المستر إيدن لم يتقدم بأى مقترحات حتى يؤيد مصر وكل ما فى الأمر أنه منذ ١٩٤٧م أشار رئيس وزراء بريطانيا إلى مفرات الأمم المتحدة التى صدرت فى ١٩٤٧م ثم أهملت ولم يشر إليها قط طوال الأعوام الثمانية الماضية وقد إعتبرت الإشارة إلى هذه المقررات بواسطة رئيس وزراء بريطانيا اعترافاً بحق شعب فلسطين الذى إغتصبت دياره حينما كانت بلاده تحت الإنتداب البريطانى وقد حاول العرب فى الأمم المتحدة أن ييحثوا قرارات الأمم المتحدة التى اتخذت تأييداً لحق شعب فلسطين ١٩٤٧م ، ولكن لم تستجب الأمم المتحدة إليهم وقد استطاع العرب أن يحصلوا على قرار جماعى فى مؤتمر باندونج على تأييد المؤتمر الأسبوى لحقوق شعب فلسطين العربى والدعوة إلى تطبيق قرارات الأمم المتحدة بشأن فلسطين ولكن رغم هذا فإن الأمم المتحدة والدول الكبرى فيها أهملت هذا القرار ولم تشأ إثارة أى موضوع يتعلق بحقوق شعب فلسطين العربى التى أهدرت فى عام ١٩٤٨م ولكنها رغم هذا تخلت عن حقوق شعب فلسطين العربى وتركت فلسطين فى ١٩٤٨م وتركت شعب فلسطين تحت رحمة العصابات الصهيونية المسلحة ولم تحاول أن تذكر أن هناك قرارات اتخذت فى الأمم المتحدة بشأن هذه الحقوق - وإذا أشار رئيس وزراء بريطانيا إلى أن هذه القرارات أهملت فإن هذا يدل على أن حقوق العرب لم تهدر كما تصورت بعض الدول الكبرى ولكن آن الآوان لها أن تبعث من جديد .

إن مشكلة فلسطين تخص الدول العربية جميعاً ولا يحق لأية دولة من الدول العربية أن تنفرد بالتصرف وأن مصر تتمسك بحقوق شعب فلسطين العربى والأمر لا يحتاج إلى مفاوضات فقد اتخذت الأمم المتحدة قرارات ١٩٤٧م بشأن فلسطين كما إتخذت قراراً آخر ١٩٤٩م بشأن حق شعب فلسطين ولكى تحافظ الأمم المتحدة على هيبتها واحترامها كما ينبغى أن تعمل على تنفيذ هذه القرارات طوال الأعوام الثمانية الماضية فى دورات الأمم المتحدة المختلفة ولكن الأمم المتحدة تنكرت لقراراتها وأهملت حق شعب فلسطين العربى - الذى جرد من بلاده واغتصبت أملاكه - معتقدة بذلك أنها تتلافى المشاكل وقد حان الوقت لتسبب الأمم المتحدة والدول الكبرى التى تسيطر عليها إلا أن تناسى هذه القرارات وإهمالها وإهدار حقوق

شعب فلسطين لن يساعد ، على قيام السلام الذي يريدونه على حساب فلسطين وحقوق شعب فلسطين .

(١٥) تصريح الرئيس لمندوب الأهرام السياسي في ١٥ ديسمبر ١٩٥٥ م :

إن مصر قد اتخذت موقفاً سليماً حتى الآن رغم الاعتداءات المتكررة من جانب إسرائيل والآن قد ظهر للعالم أجمع أن إسرائيل هي المعتدية دائماً ، أصبح من الواضح أنه لا جدوى من سياسة السلام - حيث لا يمكن أن يكون هناك سلام من جانب واحد بينما يتأذى الجانب الآخر في العدوان وقد أبلغت مصر الأمم المتحدة ومجلس الأمن موقفها إزاء اعتداءات إسرائيل وقد أشارت المتذكرة إلى أن العدوان الإسرائيلي على سوريا يعتبر عدواناً على مصر طبقاً للإتفاق

الثنائي كما أشارت إلى تكرار الإعتداءات الإسرائيلية على الحدود المصرية منذ فبراير ١٩٥٥ وقالت إن الحكومة المصرية مضطرة إلى معالجة الأمور بنفسها وهي لن تتوانى في إستعمال قواتها المسلحة سواء البرية أو الجوية أو البحرية لتحافظ على سلامتها وإقرار السلام في المنطقة بعد أن عجز مجلس الأمن في منع تكرار هذه الحوادث .

(١٦) من خطاب الرئيس في الإحتفال بإعلان الدستور بتاريخ ١٦ يناير ١٩٥٦ م :

نحن نعلن عروبتنا الحقيقية ونعلن تماسكنا مع العرب جميعاً حتى لا يتكرر ما فات لقد ضاعت قطعة من أرضنا لقد محيت قومية العروبة من فلسطين لأننا خدعنا ولأننا تبنا الإستعمار وأعوان الإستعمار وكانوا يقولون هنا في مصر ما لكم وللعرب وكانوا يقولون للبلاد الأخرى ما لكم وللمصر ولكننا بعد أن تنهنا نعلن أننا مع العرب جميعاً من المحيط الأطلسي إلى الخليج العربي من أجل الحرية ومن أجل الإستقلال ومن أجل الحق في الحياة .

(١٧) من خطاب الرئيس بتاريخ ١٩ فبراير ١٩٥٦ م :

إنى أشعر كما تشعرون بما يقال هنا وهناك من أن الشرق الأوسط يمر بمرحلة يتنابها التوتر والتهديد وخطر الحرب والعدوان ، إن هذا الخطر ليس جديداً علينا - إننا دائماً نشعر بالتهديد والعدوان - إن التهديد كان قائماً منذ عام ١٩٤٨ م وقبل ١٩٤٨ م وبعد عام ١٩٤٨ م .

إننا حينما نسمعهم اليوم يتكلمون عن هجوم الربيع فإننا لا نفزع كنا نشعر به قبل سنة ١٩٥٠ م وكنا نشعر به يوم ٢٨ فبراير سنة ١٩٥٥ م حينما قامت إسرائيل بعدوانها الغادر على غزة وكنا نشعر به أيضاً بعد ٢٨ فبراير ١٩٥٥ م .

تبجح إسرائيل :

إننا كنا دائماً ننظر إلى الهجوم وننتظر العدوان وإننا كنا دائماً نشعر وحدنا بهذا العدوان - لقد كانت إسرائيل تبجح بقواتها وقد كانت إسرائيل تبجح بالإمدادات التي كانت تحصل عليها ولم يكن هناك أبداً أى شعور خارجي بهذا التهديد وهذا العدوان - إننا اليوم حينما نسمع بما يسمونه بهجوم الربيع ، لا نفزع أبداً فإننا كنا ننتظر هذا الهجوم دائماً إننا كنا نشعر ، بالتهديد وكنا نشعر بهذا إننا نحتاج إلى السلام ولم نفزع ولمنجد طلبنا للرحمة ولكننا كنا نؤمن بعزمنا وكنا نؤمن إننا لم نمكن العدوان وإننا لن نمكن التهديد التي أقول هذا اليوم وأقول أيضاً إن مصر التي ارتبطت مع الدول العربية وإن مصر التي أعلنت إنها جزء من الأمة العربية ستقوم بالتزامها في هذا السبيل وستعاون مع أية دولة عربية في صد العدوان والإعتداء .

(١٨) من حديث الرئيس إلى صحيفة الأوبزوفر بتاريخ ٢٦ مايو ١٩٥٦ م :

لم أدرك أن إسرائيل مسألة حيوية للدول الغربية إلا قبيل ذهابي إلى مؤتمر بانندونج فالغربي يريد حماية إسرائيل قبل كل شئ ولو نجحت خطة الغرب لأصبح العالم العربي بأسهر متجهاً بنظرة إلى الشمال ولتركت مصر معرضة للخطر الحقيقي المنبعث من إسرائيل ولم تكن نفكر كثيراً في خطر إسرائيل حتى أخذت تعتدى على حدودنا وغرقنا إن السلام يأتيها عن طريق فرنسا وكنا نريد استغلال مواردنا في سبيل مشروعاتنا الداخلية وحدها ولكن اضطررنا إلى شراء الأسلحة حتى نستطيع مواجهة خطر إسرائيل .

(١٩) من كلمة للرئيس بتاريخ ١٢ مايو ١٩٥٦ م :

إن المؤتمر الصهيوني الذي انعقد في إسرائيل ، طالب بتحرير الوطن الإسرائيلي الذي يحلمون به من النيل إلى الفرات من العرب - إن العرب في رأيهم دخلاء غاصبون ، إن فلسطين في رأيهم أرض يحتلها العرب من غير وجه حق ، أن مديرية الشرقية في رأيهم أيضاً بلد يحتله العرب أيضاً بغير وجه حق ، إن سوريا والأردن والعراق بلاد يحتلها العرب كذلك في رأيهم من غير حق ، ذلك منطقهم ، وتلك خطتهم ، من هنا تبدو أهمية القوة العربية العسكرية اليوم .

وتزداد هذه الأهمية خطورة إذا ذكرنا مع الصهيونية العالمية وشروطها أطماع الإستعمار وخططه البعيدة المدى إن الإستعمار يعتبر القومية العربية خطراً عليه وعلى موارده .

(٢٠) من خطاب الرئيس في الجبهة الشرقية بتاريخ ١٤ مايو ١٩٥٦ م :

كنا نريد تقوية جيشنا ولم نشأ أن يشغلنا عن ذلك أى اعتبار فرعى وتركناهم يقولون ما يشاء لهم سوء النية ولم يسكتوا ، بدعوا يسلحون إسرائيل ، أقول بصراحة الغرب بدأ يسلح إسرائيل أعطاهم الطائرات والدبابات والمدافع بدأ الغرب يسلح إسرائيل من غير ضجة . ومن غير ثورة ، من غير صخب ، فى صمت وسكون فتسلست إسرائيل من فرنسا ٢٤ طائرة لإحدى من طائرات (ميسير) إننى أود أن أقول لكم شيئاً عن طائرات (الميسير) إن إنتاج هذه الطائرات خاضع لمنظمة حلف الأطلسى وجيوش هذا الحلف هى وحدها التى تستعملها ، وإسرائيل الآن البلد الوحيد خارج حلف الأطلسى الذى أعطيت له هذه الطائرات ، إننى لا أقول إن فرنسا هى التى أعطت إسرائيل السلاح وحدها ، وإنما أعتبر أن الغرب كله تأمر فى هذا مع فرنسا المصلحة إسرائيل ضد العرب إنهم يتحدثون عن إعادة التوازن بين العرب وإسرائيل بعد إن اختل هذا التوازن كما يدعون حين استطاعت مصر أن تسليح جيشها ، أى توازن هذا الذى يمكن أن يقوم بين أربعين مليوناً من العرب وبين مليون ونصف مليون فى إسرائيل ، بل أى توازن هذا الذى يمكن أن يقوم بين ٢٣ مليوناً من المصريين ومليون ونصف فى إسرائيل ، إننى أعلن أمامكم من هنا إن الجيش المصرى سوف يظل أقوى جيش فى المنطقة ، وإن التفوق سيظل معه سواء رضى الغرب أو لم يرض سواء رضيت إسرائيل أو لم ترض .

نحن اليوم لا نواجه إسرائيل وحدها ، وإنما نواجه إسرائيل والإستعمار ، وطالما كان هناك إستعمار لا يمكن أن يكون سلام ، لأن الإستعمار معناه الاستغلال والسيطرة والتحكم ، ونحن لا نقبل إستغلالاً ولا سيطرة ولا تحكماً ، إذن فهناك حرب بيننا وبين الإستعمار برغم إرادتنا ، لأننا نحارب هذه الحرب من أجل الدفاع عن كيانتنا ، والدفاع عن إستقلالنا ، وشرفتنا وحريتنا وكرامتنا طالما كان هناك استعمار فلن نشعر بإطمئنان ، وسنظل دائماً على حذر لن يكون هناك سلام بالنسبة إلينا إلا بعد أن نبني قوة مسلحة نعتد عليها . بحسب كل فرد حسابها ويقدرها كالتقدير ، وبالنسبة لإسرائيل كلنا نعرف

ما هى الأسباب التى من أجلها خلقت إسرائيل لا من أجل وطن قومى لليهود فحسب ، ولكنها خلقت لتكون عاملاً من عوامل القضاء على القومية العربية الموجودة فى هذه المنطقة المتوسطة من العالم ، خلقت إسرائيل لإضعافنا وإثارة المتاعب فى طريقنا .

لقد أعطوا السلام لإسرائيل وحينما حصلنا على السلاح ، قامت الدنيا وقعدت وملقوا الدنيا صياحاً وضجيجاً حول اختلال ميزان القوى وبعد ذلك كله ما زالوا يسلمون لإسرائيل السلام ، وكل هذا لا يؤثر فى سلام الشرق الأوسط ولا يؤثر فى قوى الشرق الأوسط ،

وحينما كانت إسرائيل تعتدى علينا ، كانوا هم يسلحوا إسرائيل تسليحاً يريدون به أن يتساوى تسليح إسرائيل مع تسليح الدول العربي مجتمعة ، ولم نقل لهم شيئاً أو لم تنقلب الدنيا رأساً على عقب ولم يتأثر السلام ولكن حينما أحسوا بأننا تسلحنا وإننا سنقابل العدوان بالعدوان بل بأشد منه كان ذلك في نظرهم هو الذى سيقرب السلام في الشرق الأوسط ، وحينما تتكلم إسرائيل عن الوطن القومي لليهود والأرض المقدسة التى تمتد من النيل إلى الفرات لا يزعم هذا القول أحداً .

ولكن حينما تتكلم عن فلسطين وعن حق العرب في بلادهم ، يكون هذا الأمر شيئاً مزعجاً يهدد السلام العالمى .

(٢١) من حديث الرئيس مع صاحب مجلة باينز الهندية بتاريخ ١٠ مارس ١٩٥٧م :

إن إسرائيل تمثل خطراً حقيقياً للتوسع والتهديد الإستعماري والمطامع الصهيونية التى تهدف إلى تحويل المناطق الواقعة بين النيل والفرات إلى أرض مقدسة لليهود كما يزعمون ..

إن إسرائيل لم تقنع بحرقها قرارات الأمم المتحدة بل تريد اغتصاب غزة والعقبة وعلينا لذلك أن نتخذ إجراءات فعالة للمحافظة على سلامتنا ضد الخطر الصهيونى .

(٢٢) من حديث الرئيس مع مندوب التلفزيون البريطانى بتاريخ ١ يوليو ١٩٥٧م .

إن مرور السفن الإسرائيلية من القناة لا يمكن فصله مطلقاً عن مشكلة فلسطين . إننى لا أفهم لماذا يتأجج الإهتمام عندكم كالنار بمشكلة مرور السفن الإسرائيلية في قناة السويس بينما مشكلة حق اللاجئين الفلسطينيين في وطنهم تقابل بالبرود وقد قررت الأمم المتحدة عودتهم إلى بلادهم ومع ذلك فإن إسرائيل إتكترت وما زالت تصر على إنكار هذه الحقيقة .

(٢٣) من خطاب الرئيس في افتتاح مجلس الأمة بتاريخ ٢٢ يوليو ١٩٥٧م :

إن معركة الدفاع عن الشرق الأوسط أو معركة الأحلاف العسكرية المفروضة من الخارج ، لم تلبث أن قادتنا إلى إشتباكات خطوط الهدنة مع إسرائيل ، هذه الإشتباكات التى بدأت بالغارة الإسرائيلية الشهيرة على غزة في ٢٨ فبراير ١٩٥٥م ، وقبل الغارة على غزة لم تكن نشغل أنفسنا كثيراً بخطر إسرائيل . كنا في ذلك الوقت نعتبر خطر إسرائيل ، هو مشكلة سباقنا مع القوقت لبناء وطننا ، كنا نعتبر أن خطر إسرائيل في حقيقة الأمر هو ضعف العرب ولولا هذا الضعف ما قامت إسرائيل ، ولولا هذا الضعف ما استطاعت أن تغتصب من الوطن العربى بقعة من أقدس بقاعة وأظهر أراضيه .

إن دخان الغارة على غزة من فبراير الجلى ليكشف عن حقيقة خطيرة تلك هي إسرائيل ليست الحدود المسروقة وراء خطوط الهدنة وإنما إسرائيل في حقيقة أمرها رأس حربة للإستعمار ومركز تجمع لقوى أخطر من إسرائيل ومن الإستعمار وهى الصهيونية العالمية .

(٢٤) من خطاب الرئيس بتاريخ ٥ ديسمبر ١٩٥٧ م :

إن هذا الشعب يعرف هدفه ويعرف طريقه ، فى غزة حارب شعب فلسطين فى ظروف مريعة قاسية ، حارب الشعب وهو يعلم أن الجيش المصرى ينسحب ليجابه هجوم بريطانيا وفرنسا ، حارب الشعب الفلسطينى فى غزة ، وخان يونس ورفح ، وأثبت هذا الشعب المقاتل أنه متمسك بحقه فى الحياة ، بحقوق شعب فلسطين التى أهدرتها الدول الكبرى متمسك بحقه فى وطنه ، حارب شعب فلسطين فى وطنه ، وهو يعلم أن الجيش المصرى انسحب ، ولكنه حارب دفاعاً عن شرفه ودفاعاً عن كرامته ، حارب لأنه لم يستطع أن يرى اليهود يدخلون بلاده بدون أن يحاربهم ويقاتلهم ، ففى خان يونس كانت معركة عنيفة مات فيها عدد كبير من المدنيين الفلسطينيين فى غزة ، وأثبت هذا الشعب أنه لم تؤثر فيه الأحداث ولم تؤثر فيه المحن ولم تؤثر فيه مؤامرات الدول الكبرى . ولكنه تمسك بقوميته وعرويته ، وتمسك بقوته وتمسك بالصبر وبقدرته على القتال .

(٢٥) من حديث الرئيس إلى الصحفيين الأمريكيين بتاريخ ٢٣ يناير ١٩٥٨ م :

إن الأمم المتحدة تنظر إلى حدود إسرائيل كخطوط الهدنة ، فليست هناك حدود فاصلة متفق عليها ، كان مشروع التقسيم ١٩٤٧م آخر قرار اتخذته الأمم المتحدة بشأن حدود إسرائيل .

ولاحظت أنه كلما دار الحديث فى الموضوع قصر على إسرائيل ناسين حقوق شعب فلسطين ، لذا أحب أن أقول أنه إذا أريد مناقشة موضوع إسرائيل ، فالمنطق أن نذكر أولاً حقوق شعب فلسطين وإنى أقول أنه لا يمكن أن يكون سلام فى هذه المنطقة طالما أهملت حقوق شعب فلسطين . إن جرائد نيويورك دائمة الحديث عن حقوق كثيرة تطالب بها إسرائيل ولكنها لا تعرض قط لموضوع حقوق عرب فلسطين فى الرجوع إلى أراضيهم . وفى إسترجاع أملاكهم التى اغتصبت منهم منذ عشر سنوات على وجه التقريب .

إن هذه المشكلة ذات وجهين ، أحدهما إسرائيل والآخر عربى ، وتندأب إسرائيل على القول بأنها تواجه تهديدات العرب وإن العرب يوغبون فى إكتساحها وإلقائها فى البحر وما شابه ذلك ، وإسرائيل لها النفوذ والقدره على نشر هذه الأقوال فى بلدكم ، ولكن يجب أن نتجاهل

إن هناك مليوناً من الشعب العربى يعيشون كالأجانب على خطوط الهدنة وذلك لأنهم طردوا من بلادهم ، واضطروا حرصاً على حياتهم إن يتركوا ديارهم وأراضيهم وكل ما تمتلكه أيديهم .

هذه هى المشكلة الرئيسية ، أما بالنسبة لمصر فقد كان خطر إسرائيل واضحاً أمام أعيننا منذ عام ١٩٥٥م ، إننا نواجه تهديداً من قبل إسرائيل وإننا نشعر بالخوف من أطماعها فى التوسع ، الذى أعلنه الإسرائيليون فى إنتخاباتهم عام ١٩٥٥م إذ صرح بعض قادتهم وقتذاك بأنهم يحاولون بل يعملون جاهدين على تحقيق هدفهم فى الحصول على الأرض الممتدة من النيل إلى الفرات ، وهذا يعنى دون شك أنهم يرغبون فى ضم الأراضى المصرية إلى إسرائيل ، هذه هى الحقيقة المجردة .

ثم حدث فى أوائل عام ١٩٥٥م أن بدأت إسرائيل سياستها العدوانية وكثر الحديث فى الخطب الإنتخابية عن فكرة التوسع ، وعن الإبقاء فى الحالة التوترو ومنذ ذلك الحين بدأت أخطر القادة العسكريين من العالم أجمع طالبين السلاح حتى لا نصبح لاجئين كما حدث لشعب فلسطين ، إننا قد نواجه غزواً خارجياً وقد حدث ما توقعناه فقد واجها الغزو الإسرائيلى ١٩٥٦م ولم تكن المسألة فى الواقع مسألة غزو فحسب ، إذ أن بن جوريون ألقى خطاباً فى الكنيست فى فبراير ١٩٥٦م أعلن فيه إضافة أجزاء معينة من الأراضى المصلىة إلى إسرائيل ولكنه لم ينجح فى أغراضه السياسية باستعمال القوة وكان الإنسحاب ، وكانت هذه سياسة إسرائيل ، وهذا ما دعانا إلى تقوية جيشاً حتى لا نتحول إلى شعب من اللاجئين .

(٢٦) من خطاب الرئيس لإعلان الجمهورية العربية المتحدة بتاريخ ١ فبراير ١٩٥٨م :

كنا نتكلم عن القومية العربية وكنا نشعر بقوتها ، وكنا نشعر أن أعدائنا أرادوا دائماً أن يفرقوا بيننا ، وكنا نشعر أن أعدائنا أرادوا دائماً أن يقسموا الأمة العربية ، إلى أمم صغرى ، يتحكمون فيها ويسيطرون عليها ، وكنا نشعر أن كل دولة منا تؤثر على مصر الدولة الأخرى ، وكنا نشعر أنه لابد من أن نتضامن ولا بد من أن نتحد ولا بد أن نتآزر ونتآخى حتى ندفع أطماع الطامعين وحتى نرفع عنا غيلة الزمن وحتى لا تتكرر مأساة فلسطين وحتى نستطيع أن نحافظ على الوطن العربى .

(٢٧) من خطاب الرئيس فى رجال الجيش فى سوريا بتاريخ ١١ مارس ١٩٥٨م :

إن بريطانيا حينما كانت تعد العرب بحرية بلادهم ، إذا ساعدوها فى التخلص من العثمانيين ، كانت فى نفس الوقت تتآمر مع الصهيونية العالمية لتعطىها قطعة عزيزة من الوطن وهى

فلسطين . سار الإستعمار مع الصهيونية العالمية : فقامت الحرب في فلسطين ١٩٤٨م ، وهبت الأمة العربية في كل بلد عربي تنادى ، لايد أن نعاون إخواننا في فلسطين ، ولايد من أن نساعدهم في الحرية والتغلب على الغزو الصهيوني ، هذا الغزو الذي كان يجد في الإستعمار العون الأكيد ، فقامت الأمة العربية ترفض إرادتها ودخلت الجيوش العربية في ١٩٤٨م لتعاون عرب فلسطين في البقاء على أرضهم والحفاظة على حريتهم فماذا كانت النتيجة ، حدثت مأساة ١٩٤٨م وهزم العرب هزيمتهم المتعللة .

إن الأمة العربية حينما تنظر إلى الماضي تذكر مآسي فلسطين ١٩٤٨م وحرب فلسطين وإن الإستعمار الصهيوني العالمية قد تحالفوا عليكم وعلى قوميتكم ، الإستعمار ، والصهيونية العالمية قد تحالفوا على قوميتكم ليخونها وقيموا بدلا منا قومية صهيونية .

(٢٨) من خطاب الرئيس عقب عودته من سوريا بتاريخ ٢٠ مارس ١٩٥٨م :

بعد حرب فلسطين وبعد خروجنا من مأساة ١٩٤٨م ، كان من السهل جداً على أى واحد يفكر تفكيراً حراً أن يعرف ما هى الوسيلة التى نستطيع أن نحمل بها الأمة العربية من السيطرة والتحكم الأجنبي والعنوانى ، ما هى الوسيلة التى تجمعنا ونحمينا ضد الأطماع الأجنبية ، كانت هذه الوسيلة ، نظرة بسيطة إلى تاريخنا تتضح لكل واحد في الوحدة والتضامن .

(٢٩) من حديث الرئيس مع مندوب شركة كولمبيا بتاريخ ٦ إبريل ١٩٥٨م :

في سنة ١٩٥٥م كانت هناك إنتخابات عامة في إسرائيل وكانت المعارضة تخوض المعركة على أساس ما يسمونه (أرضهم الموعودة) من النيل إلى الفرات أى تشمل جزءاً من مصر وتبلغ الأردن كله وسوريا ولبنان. وتضم إليها أجزاء من العراق

أما الحكومة الإسرائيلية فقد كانت تخوض المعركة على أساس أنها ستنتهج سياسة ترمى إلى فرض تسوية بالقوة المشكلة لإسرائيل ومعنى هذا - أن سياسة الحكومة المعارضة في إسرائيل ومعنى هذا - أن سياسة الحكومة المعارضة في إسرائيل سياسة عنوانية ، المعارضة تدعو إلى الحرب للتوسع ، والحكومة تدعو إلى الحرب لفرض تسوية بالقوة لمشكلة فلسطين ، فهل يمكن بعد هذه الشواهد أن نتفاخل عن وجود الخطر الصهيوني الذي يهدد الكيان العربى كله ، بأن يتحول إلى شعب من اللاجئين ليس هذا وهماً وإنما هذا حدث فعلاً لشعب من أكرم الشعوب العربية ، وهو شعب فلسطين - لهذا يجب أن - نتنبه للخطر ويجب أن نعمل فعلاً على الإستعداد له ولا نترك هذه المسؤولية لأحد غير شعوبنا .

إن المشكلة بين العرب وإسرائيل كانت أولاً حقوق شعب فلسطين المنهوبة وقد أضافت إليها إسرائيل مطامعها التوسعية فهي تستقبل في العام الواحد أكثر من مائة ألف مهاجر فهل تستطيع إسرائيل بمواردها أن تستوعب هذا العدد ، أن نتيجة ذلك ستكون أعمالاً عدوانية جديدة تستهدف التوسع .

(٣٠) من خطاب الرئيس في الإتحاد السوفيتي بتاريخ ٣٠ إبريل ١٩٥٨ م :

إن الإستعمار أقام إسرائيل في قلب العالم العربي يتمكن من هديد العرب وإجبارهم على إلتصاف الحماية من الكتل الإستعمارية وأن الغرب زود إسرائيل بالسلام ، بينما ضمن به على العرب .

(٣١) من خطاب الرئيس بحلب بتاريخ ١٥ مايو ١٩٥٨ م :

لقد استخدمت إسرائيل في العدوان ، لتكون رأس جسر العدوان على بلادنا ، فقد بدأت الحرب علينا بالهجوم من إسرائيل بعد تحرش من بريطانيا وفرنسا لإحتلال بلادنا وإخضاعها ، إن إسرائيل في هذا العدوان كانت تمثل رأس جسر للعدوان إقامة إسرائيل في هذا المكان من العالم بين أرجاء العالم العربي ، إنما يهدف إلى تهديد العرب وتفتيت القومية العربية ، حتى يرقى العرب في أحضان الدول الإستعمارية ويطلبوا منها الحماية من إسرائيل .

لقد قامت حروب بين الدول فواجهت الحرب وواجهت العدوان ولكن المأساة التي واجهتنا في بلادنا العربية لا يمكن أن تقارن كأى حرب أو عدوان فإن هذه المأساة هي عبارة عن إبادة شعب عربي وطرده من وطنه وإغتصاب أرضه .

لقد قامت حروب في العالم وفي جميع الأرجاء في آسيا وأفريقيا ، ولكنها لم تنته مثلما إنتهت هذه الحرب بإخراج شعب فلسطين من أرضه ، وإقامة شعب آخر مكانه والإستيلاء على أملاكه واليوم تحفل إسرائيل بمرور عشر سنوات على إقامتها ، إن هذا الإحتفال إنما هو إحتفال على أشلاء ودماء مليون عربي كانوا يقيمون في هذه البلاد وطردوا من بلادهم ، إن هذا أبشع أنواع السيطرة ، وأبشع أنواع الإستعمار ، والعالم يتكلم عن السلام وعن حقوق الإنسان ، ولكنى يتناسى دائماً حقوق مليون عربي ، أخرجوا من بلادهم ، ووفرت الوسائل للمعتدين ليعيشوا ويستولوا على أموالهم .

عندما خرجت قوات الإحتلال من بلادنا ، بدأت إعتداءات إسرائيل على حدود ، حتى ننضم إلى الأحلاف ، ونطلب من الدول التي تنادى بالأحلاف في الشرق الأوسط ، أن تحميها من عدوان إسرائيل ، ففي عام ١٩٥٥ م أعلن حلف بغداد فرفضنا الإنضمام إليه

وصممنا على سياستنا ونمسكنا بها ، فكانت النتيجة أن وقع علينا العدوان من إسرائيل ، ولم تكن إسرائيل إلا منفذ لسياسة الإستعمار التي نتعامل معه .

(٣٢) من خطاب الرئيس في أجتاع مجلس إتحاد الدول العربية بتاريخ ٢ سبتمبر ١٩٥٨ م :

لقد كانت الصهوة الكبرى التي نهبت العرب في كل مكان هي محاولة القضاء على القومية العربية وإقامة قومية صهيونية بين أرجاء العالم العربي ، أقاموا القومية الصهيونية وأوحوا لها بأنها تستطيع أن ترتفع على حساب القومية العربية وأعلنت القومية الصهيونية التي أحتلت أرض العرب في فلسطين أن وطنها المقدس يمتد من النيل إلى الفرات ، ووجدت القومية الصهيونية بين أعداء القومية العربية من مساعدوها ومسلحوها ومنعوا السلاح عن العرب ، حتى تستطيع أن تقضى على القومية العربية ، التي لم يستطيعوا أن يحطموها ، والتي لم يستطيعوا أن يقضوا عليها ، وبدأت القومية العربية تحس بالخطر ، تتكاثف وتنازع ضد الخطر الصهيوني وضد الخطر الإستعماري أفراداً وجماعات كل منهم يعمل على التضامن والوحدة وعلى الاتحاد حتى تثبت أركان القومية العربية لتحمي أرضنا ونحمي بلادنا ضد أطماع الطامعين وضد جشع المستعمرين وضد أطماع الصهيونية العالمية .

واليوم يعيد التاريخ نفسه .. إننا ندافع عن أوطاننا وعن بلادنا ، ولكن إسرائيل التي تمثّل الصهيونية العالمية تجدد في الاستعمار حليفها الذي يمدّها بالسلاح ، إن بريطانيا قد مدت إسرائيل بالسلاح ، وأمريكا قد أمدت إسرائيل بالسلاح لأى سبب يمدون إسرائيل بالسلاح ، إسرائيل قامت في هذه المنطقة لتمثّل رأس جسر الإستعمار ، وما حرب ١٩٥٦م والعدوان الثلاثي إلا الدليل الأكبر على أن إسرائيل خلقت في هذا المكان لتهدد القومية العربية وتقضى عليها إذا وجدت الفرصة واعتقدوا في ١٩٥٦م أن الفرصة قد سنحت فهجمت إسرائيل على بلادنا لتقضى على القومية العربية وأزرها الإستعمار ليقضى على القومية العربية ، وكانوا يعتقدون أنهم إذا قضوا على القاهرة إنهارت القومية العربية ونسوا أن القومية العربية أشعلت في كل بلد عربي ، وإنطلقت في كل مكان عربي

(٣٣) من خطاب الرئيس بميدان الجمهورية بتاريخ ٢١ فبراير ٥٩ :

هذه الأخطار التي تقابلنا أخطار التفرقة وأخطار الدس والمؤامرات والوقعة بين البلاد العربية طبعاً فيه خطر آخر على الطريق كلنا نشعر به وكلنا نحمل به خطر من عشر سنين يهدد قوسيتنا ويهدد البلاد كلها ، وهو خطر إسرائيل التي قامت على العدوان ، وإسرائيل التي بدأت سياستها على فرض السلام وكلمة فرض معناها حرب يعنى السلام بالحرب ،

يعنى فرض الصلح على الدول العربية بالأعتداء على الدول العربية وإجبارها وإذلالها حتى تقبل الصلح ، هذا الأمر طبعاً حينما كان قارة إسرائيل ينادون بأنهم لابد أن يفرضوا السلام على العرب ، بالأمس قال بن جوريون لازم نصطلع مع أقوى دولة عربية وهى الجمهورية العربية المتحدة ولا بد أن يسود السلام مع الجمهورية العربية المتحدة لأنه يشعر أنه إذا استطاع أن يفرض السلام مع الجمهورية العربية المتحدة بعد ذلك تكون القضية سهلة وهينة بالنسبة له وطبعاً فى ١٩٥٦م وجد فرصة العمر ليهاجنا ومعه دولتين تعتبران من الدول العظمى ، ولم يستطع بن جوريون أن يفرض السلام أو الصلح .

فعملية فرض السلام وعملية إسرائيل هى رأس جسر للإستعمار طبعاً خطر على طريقنا للوصول إلى أهدافنا ويحتاج منا أولاً إن نتضامن ، ويحتاج إلى وحدة الصف العربى ، يحتاج إلى أن تقوى ، ويحتاج إلى أن تعمل ، ويحتاج إلى أن نصنع بلدنا ، ويحتاج إلى أن نعتد على أنفسنا .

فى الأيام الأخيرة أو فى الأشهر الأخيرة ، بدأت تصل أخبار من إسرائيل عن الهجرة الجديدة ، صرح بن جوريون فى يوم ١١ فبراير قال بن جوريون مشيراً إلى الهجرة بأنه يأمل فى أن يصل عدد من المهاجرين لا إلى آلاف بل إلى عشرات الآلاف وقال إنه يعتمد على أن يفتح الهجرة من البلاد الشرقية فى يوم ٨ طبعاً عقد إجتماع فى أمريكا فى ميامى لجمع تبرعات لإسرائيل وفى يوم ٨ وصل خبر يقول بدأت أمس حملة جمعية النداء الموحدة للحصول على مبلغ ٣٠٥ مليون دولار لإعادة توطين آلاف اليهود فى إسرائيل ، وبين جوريون بعث برسالة فى هذا الإجتماع قال أن نسبة الهجرة ارتفعت فى الأشهر القليلة الماضية ومن المتوقع أن ترتفع فى المستقبل .

وهناك أخبار نشرت بعد ذلك قالت إن ابن جوريون أعلن أنه يصل إليه يهود من رومانيا مهاجرون وأنه يريد يهود الإتحاد السوفيتى وأنه يسعى لأجل أن يرفع الإتحاد السوفيتى الهجرة وفى يوم ٢٩ يناير صرح بن جوريون فقال إذا إستطعنا أن نستوعب الهجرة الجديدة من بلدان شرق أوروبا التى يتراوح عددها بين ٢٥٠ إلى ٣٠٠ ألف نسمة فإن الأمل سيصبح قوياً بأن نفتح أبواب الهجرة أمام المركز اليهودى الكبير فى العالم القديم وهناك أخبار أخرى جاءت فى وكالات الأنباء إن الحركة الصهيونية فى أوروبا تأمل أن يسمح الإتحاد السوفيتى قريباً بهجرة يهود روسيا البالغ عددهم ٣,٥ مليون .

وفى يوم ٢٨ يناير تنبأ دافيد بن جوريون بأن ما بين ٢٥٠ ألف إلى ٢٠٠ ألف يهودي سيأتون إلى إسرائيل فى موجة الهجرة ، وقال إن معظم المهاجرين الجدد سيأتون من رومانيا .

ودول شرق أوروبا الأخرى وبالرغم من أنهم لن يأتوا من الإتحاد السوفيتي ، وقال إن ١٠٠ ألف يهودي سيصلون في سنة ١٩٥٦م وما يزيد عن ذلك في العام القادم ، هذه الأخبار هي التي طلعت من إسرائيل ، تتكلم عن الهجرة والمهجرة من أوروبا الشرقية .

وإن الأمر في أن الإتحاد السوفيتي موافق على فتح باب الهجرة الثلاثة ونصف مليون يهودي وأخبار أمريكا أن الجمعيات الصهيونية هناك ، تقيم اجتماع ولكي تجمع ٢٥٠ مليون دولار لتمويل عملية الهجرة لإسرائيل .

طبعاً فيه حقيقة عرفناها ، هي أنه حصلت فعلاً هجرة من رومانيا ، وصلت إلى حوالي ٤ آلاف أو ٢٥٠٠ في الشهر ويظهر أن هناك محاولة لهذا ، إن هذا الموضوع نعتبره موضوعاً مهم الأمة العربية كلها ، لأن إسرائيل لأجل أن تعيش بوضعها الحالي يلزمها أن تأخذ معونة من أمريكا وألمانيا وكل سنة حوالي ٧٠٠ مليون دولار ، يعني بمعدل أكثر من مليون دولار في اليوم .

وطبعاً إذا زادت الهجرة إلى إسرائيل مع إقتصادها المتناثر ، لن تستطيع إسرائيل أن تكفي ، هم في العشر سنين التي مضت بعد إستيلائهم على فلسطين أحضروا مليون يهودي ، وين جوريون يقول أنه يريد أن يحصل من مليون إلى ٢ مليون في العشر سنين الآتية ، من أين يعيشوا .

إن من يقرأ ميزانية إسرائيل يجد أن ثلاثة أرباعها إعانات من الخارج إعانات تفرض على الأمريكيان ورجال الأعمال بالإرهاب والضغط وطبعاً إعانات أخرى حكومية ورسمية وإعانات معفية من الضرائب ، فلما يأتي بليونين آخرين في هذه المنطقة التي تحتلها إسرائيل فكيف يعيشون لن يكون أمامهم إلا التوسع ليعيشوا على حساب تشريد الأمة العربية ، وعلى حساب تشريد مناطق من العالم الغربي كما شرد عرب فلسطين في سنة ١٩٤٨م ، إن تمويل التهجير يأتي من أمريكا ، وإسرائيل لها سياسة معروفة وهي أنه لابد أن نقيم دولة إسرائيل الدولة المقدسة التي تمتد من النيل إلى الفرات وتأخذ جزءاً من لبنان وسوريا والعراق والأردن وجزءاً من مصر لغاية الشرقية ، لابد أن تأخذ هذا الكلام بمجد ولا نضحك عليه أبداً ، إن وعد بلفور كان سنة ١٩١٧م والوطن القومي لليهود أعلن سنة ١٩١٧م فظلوا من سنة ١٧ يعملون لسنة ١٩٤٨م ، حتى استطاعوا أن يحققوا هذا الوعد ، واستطاعوا أن يقيموا وطناً قومياً واستطاعوا أن يحصلوا على التأييد والأموال .

فاذا كانوا اليوم يتحدثون على دولة إسرائيل وملك إسرائيل المقدس من النيل إلى الفرات ، فإنهم لا ينظرون في تحقيق هذا الكلام اليوم أو يحققونه غداً ، لكنهم يعملون على أساس

الأيام القادمة التي تحقق لهم هذا ، ويعملون على أساس إن الفرص قد تسنح لهم ليحققوا هذا ، ولهذا .. يجب علينا أن نستعيد مجابهة هذا الخطر ومجابهة الخطط الصهيونية التي تهدف إلى تصفية القومية العربية وتعمل من أجل إقامة قومية إسرائيلية في هذه المنطقة من العالم .

هذه هي الظروف التي تقابلنا هذه هي الظروف التي تمر فيها مؤامرات للتفرقة والوقعة والدس ، وفي نفس الوقت محاولات لتقوية إسرائيل ومعاونات لإسرائيل .

(٣٤) من خطاب الرئيس في اللاذقية بتاريخ ٢٨ فبراير ١٩٥٩ م :

إن الذين تأمروا علينا في الحرب العالمية الأولى هم بريطانيا وفرنسا ، الذين قدموا وعد بلفور للصهيونية لإعطاء فلسطين العربية لإسرائيل ، واستغل الإستعمار حرب فلسطين ليشر الأحقاد بين البلاد العربية وكان يقول أنه لا نتيجة للتعاون مع البلاد العربية ولكن في حرب فلسطين لم تكن لنا إرادتنا وسيادتنا وكنا نسرع أننا غرباء في بلادنا ، ولكنكم أيها الأخوة صم واستمر كل فرد يعمل على الدعوة وينادى بوحدة الصف والتضامن العربى .

(٣٥) من خطاب الرئيس في الوفود اللبنانية بتاريخ ٨ من مارس ١٩٥٩ م :

إستطاع الشعب العربى بكفاحه وإتحاده أن يحمى القومية العربية وخرجت القومية العربية من المعركة منتصرة وإستطاع العرب أن يستمروا في البقاء في هذه المنطقة التي وجدوا فيها ، إستطاع العرب أن يهزموا خطط أعداء القومية العربية التي كانت تتجه إلى إبادةنا وإلى تفرقتنا والخلاص من قوميتنا وإقامة قوميات جديدة بأرضنا ، حتى أتى عام ١٩٤٨م وبدأت المحاولات مرة أخرى فبدأت الصهيونية العالمية يؤازرها أعداء القومية العربية في وضع خططها موضع التنفيذ من أجل القضاء على القومية العربية ، وتحقيق أحلام القومية الصهيونية في هذه الأرض الباطرة فقلع الشعب الأعزل يكافح في سبيل قوميته ، لم تكن هذه الأفعال إلا بداية لأول الطريق تخطط التي وضعت ضد القومية العربية سنة ١٩١٧م بوعد بلفور بإقامة وطن قومي لليهود في فلسطين واستمر أعداء القومية العربية في العمل ضدها من أجل تحقيق الوطن القومى لليهود .

بدأ هذا في سنة ١٧ بل قبل سنة ١٩١٧م واستمروا في العلم منذ سنة ١٧ حتى سنة ١٩٤٨م ثلاثين سنة من العمل المتواصل وكان الشعب العربى في هذا الوقت يقاسى من الإحتلال ويقاسى من الإستعمار لم يسكت أبداً على هذا بل كان يكافح ليتحرر ويستقل ، ولما حدثت مأساة سنة ١٩٤٨م هب العالم العربى كله يحمى قوميته ، لأن كل فرد من أبناء الأمة العربية كان يشعر أن تهديد القومية العربية في أى بلد عربى ، إنما هو تهديد للقومية

العربية في جميع البلاد ، وإن إقامة قومية صهيونية في فلسطين إنما هو تهديد لقوميتنا في جميع البلاد العربية . أعلنت الصهيونية أنه لا بد من إقامة وطن لإسرائيل . وطن إسرائيل المغدى يمتد من النيل إلى الفرات .

(٣٦) من خطاب الرئيس بعد مشاهدته مناورة الجيش الأول بتاريخ ١٤ مارس ١٩٥٩ م :

إن إسرائيل كانت تخشى دائماً أن يتقدم الشعب السوري لأنه حيناً يتقدم فسيكون أشد خطورة عليها واليوم أصبحت سوريا مع مصر وحدة راسخة متينة وأصبحت إسرائيل لا تستطيع أن تضرب في الشمال وتهرب أو تضرب في الجنوب وتهرب لأن أى عدوان على الشمال أو على الجنوب هو عدوان على الجمهورية العربية المتحدة .

(٣٧) من خطاب الرئيس في دمشق في حفل وضع حجر الأساس لمدينة الضباط بتاريخ ١٤ مارس ١٩٥٩ م :

في سنة ١٩٥٦ م قبل الوحدة وقبل العدوان الثلاثي على مصر قرأت مقالاً في المجلة العسكرية الإسرائيلية وكان عنوان هذا المقال (إلى دمشق) وكان المقال يقول : إننا إذا أردنا أن نهرم العرب فليس أمامنا إلا أن نتجه إلى دمشق وأن الغلظة الكبرى التي إرتكبتها الصليبيون حيناً إحتلوا البلاد العربية هي عدم إحتلالهم سوريا كلها وإخضاعها بواسطة الصليبيين وكانت الغلظة الكبرى التي مكنت العرب من أن يتحدوا ويتخلصوا من الإستعمار الصليبي .

وقال الجريدة العسكرية الإسرائيلية أن الشعب السوري شعب خطر ، إن إسرائيل كانت تخشى دائماً أن يتقدم الشعب السوري .. صناعياً واجتماعياً لأنه حين يتقدم يكون أشد خطورة على إسرائيل . ولهذا نادى صاحب المقال في المجلة العسكرية قائلاً إلى دمشق . (٣٨) من خطاب الرئيس في وفد غزة بتاريخ ٢٣ مارس ١٩٥٩ م :

وأنتم هنا أيها الأخوة من فلسطين التي بذلت ، بذلت الكثير بذلت الدماء بذلت الأرواح وبذلت الغالي والنفيس . إن هذا البذل أيها الأخوة لم يضع هباء .. وإن هذا البذل .. وهذه المحنة التي قابلناها والتي قاسيناها إنما كانت الشرارة التي أوقدت نار العمل .

(٣٩) من خطاب الرئيس في حفل تكريم الضباط الحريجين بالكلية الحربية بتاريخ ٢٥ إبريل ١٩٥٩ م :

ليست المأساة وليست الكارثة التي حلت بنا هي إستيلاء الصهيونية على فلسطين . ولكن هناك التهديد المستمر للتوسع . التهديد المستمر للتوسع ، التهديد المستمر للتوسع من النيل إلى الفرات . وهذا لا يمكن أن يحدث على مرحلة واحدة ولكنه يحتاج إلى مراحل وسنين .

إذن فهذا خطر جاثم على الجمهورية العربية المتحدة وعلى لبنان والأردن والعراق وبهذا تمنحى القومية العربية ونحل محلها القومية الصهيونية .

هذه هى الأخطار التى نتعرض لها نتيجة انفصال الدول العربية وافتراقها فى سنة ١٩٤٨ م ، ونتيجة تنكرها لرسالة القومية العربية فإذا قارنا ذلك بانتصارنا فى القرن العاشر والثالث عشر ضد الغزو الصليبي الاستعماري وضد غزو التتار نعرف الفرق ، نعرف أن بقاءنا على أرضنا والمحافظة على عروبتنا وعلى حريتنا وفى إتحادنا وتضامننا هو فى فهمنا للقومية العربية فلا يمكن للأطماع والأحقاد أن تفرق بيننا ولكن هذا لا ينسجم مع مصالح الصهيونية العالمية لأن الصهيونية وإسرائيل تعتقد أن وحدة العرب أو وحدة العرب العسكرية إنما تعنى بالنسبة لهما عدم تمكنهما فى المستقبل بأى حال من التوسع فى البلاد العربية . وإنما تعنى لهم خلق مجتمع عربى قوى على حدودهم فلا يمكن أن تتحقق أطماعهم أو أن يضعوها موضع التنفيذ أو أن ينتهكوا حقوق شعب فلسطين . الذى طرد من أرضه سنة ١٩٤٨ م ، ولا يزال يصمم على استعادة حنونه فى بلده وأرضه وأملاكه التى اغتصبت اغتصاباً . لهذا دأبت الصهيونية العالمية بكل وسيلة من الوسائل على حرب القومية العربية وعلى عدم تمكنها للبلاد العربية من التضامن أو الاتفاق العسكرى وكانت تستغل فى هذا كل ما يمكن أن تستغله فى تحقيق أهدافها .

(٤٠) من مقال للرئيس فى مجلة لايف الأمريكية بتاريخ ١٤ يوليو ١٩٥٩ م :

تقوم إسرائيل بدور هام فى المناورات التى تجرى بشأن الشرق الأوسط . والسائد بين العرب القول بأن إسرائيل أداة الاستعمار الغربى أو العكس . وأظن أن هذا القول ينطوى على حق كبير . بدليل أنه حدث فى خريف ١٩٥٦ م أن دير الإسرائيليين والإنجليز والفرنسيون عملاً عدوانياً ليس له مثيل . والآن تقوم فرنسا بتزويد إسرائيل بكل أنواع السلاح ومن الواضح أن الدول الغربية تؤيد العدوان الإسرائيلى . ففى الوقت الذى وقع فيه العدوان على السويس أظهرت الولايات المتحدة إنها كانت ضد العدوان الثلاثى علينا ومع ذلك فابى أعلن إن إسرائيل كانت تلقى تأييداً عظيماً من الولايات المتحدة ومن الكونغرس ، وعن طريق الحركة الصهيونية المنظمة بين الشعب الأمريكى .

والآن ها نحن نواجه مناورات إسرائيلية جديدة فقد حدث فى مايو الماضى إن أرسلت إسرائيل سفينة شحن دغريكة بعد إن استأجرتها . وكان إسرائيل تعلم جيداً ماذا تفعل ولماذا تفعله فكانت تذيب من راديو إسرائيل تحركات السفينة ساعة بساعة . وتحدد موقعها وتتسائل فى شوق . هل ستج فى المرور من القناة وكان تصرف إسرائيل ينطوى على إستفزاز لنا .

والواقع إن إسرائيل كانت تعلم إننا سنمنع تلك السفينة من اجتياز القناة لا من سياستنا المرسومة منذ سنة ١٩٤٨م تقضى بعدم السماح لسفن إسرائيل بالمرور من القناة سواء كانت سفنا ترفع العلم الإسرائيلي أم سفنا تابعة لدول أخرى ومؤجرة لإسرائيل لنقل بضائعها .

وبالرغم من هذا فإنه عندما رفضنا السماح لتلك السفينة بالمرور من القناة ، قامت في إسرائيل صيحات احتجاج ودهشة . إن حرية الملاحة ليست هى الأساس فى هذه المشكلة ، وإنما الأساس قضية فلسطين ، ففى أثناء حرب فلسطين وقبلها ، شرد الإسرائيليون حوالى مليون عربى من أبناء فلسطين وجعلوهم هم وأبناءهم من اللاجئين رغم سلسلة القرارات التى اتخذتها الأمم المتحدة بضرورة عودة اللاجئين إلى بلادهم وديارهم .

وضرورة دفع تعويضات لهم عما فقدوه وخسروه من متاع وممتلكات .

ولكن إسرائيل تريد استخدام قناة السويس لنقل البضائع والمنتجات التى تنتجها فوق أرض شرعت منها ملاكها الأصليين .

إننا نرفض السماح لإسرائيل باستخدام القناة لأننا فى حالة حرب تحكم علاقتنا مع إسرائيل منذ سنة ١٩٤٨م وهذه الحالة تحول لنا كل الحق بموجب اتفاق القسطنطينية المعقود ١٨٨٨م فى حماية بلادنا وحماية القناة من الأعمال العدوانية التى تقوم بها سفينة إسرائيلية .

(٤١) من خطاب الرئيس فى الاحتفال بالعيد السابع للثورة بميدان الجمهورية بتاريخ ٢٢ يوليو ١٩٥٩م :

ليس من الممكن أن أتكلم عن القومية العربية من غير أن أتكلم على إسرائيل لأن وجود إسرائيل وفكرتها تهديد للقومية العربية فى فلسطين وإحلال القومية الصهيونية محلها ثم التوسع والقضاء على القومية العربية فى هذه المنطقة .

إن إسرائيل لا زالت تمثل التهديد ضد الشعب العربى فى كل بلد عربى ، ولا زالت مؤامراتها مستقرة فى كل وقت نضد مصر ولبنان والعراق والأردن وسوريا ، وضد كل البلاد العربية ، ولا يمكن إلا أن تكون تهديداً وخطراً ، لماذا ؟ لأنها عبارة عن جسم دخيل فينا يرد أن يفرض وجوده فكلما تهدأ المنطقة ترى إسرائيل خلقت أزمة ومشكلة لتخلق توتر دولياً لتسبب فى عزلة الدول العربية .

(٤٢) من خطاب الرئيس فى حفل إستعراض القوات المسلحة فى الإسكندرية بتاريخ ٢٦ يوليو ١٩٥٩م :

أمس رأينا وقرأنا تهديدات إسرائيل من قائد الحملة الفاشلة موسى ديان الذى قاد الجيش الإسرائيلى فى سنة ١٩٥٦م . يقول أنهم يريدون أن يغزوا قناة السويس . قناة السويس التى نخصنا ، كيف تمر إسرائيل واليهود منها ، إن إسرائيل لن تستطيع أن تفرض علينا إرادتها أو مشيئتها . إسرائيل التى هى عبارة عن جريمة ، أو عمل إجرامى (رأس جسر) للعدوان قام وسط الأمة العربية .

(٤٣) من خطاب الرئيس فى حفل توزيع الأراضى بأدفيئا بتاريخ ٢٨ يوليو ١٩٥٩م :
إننا لا يمكن بأى حال من الأحوال أن نقبل أو نرضى الجريمة التى حلت بأخوة لنا فى فلسطين وإذا كان رأى العام العالمى يرضى بهذه الجريمة ضد شعب فلسطين فإننا كعرب علينا إلتزامات تجاه إخواننا أهل فلسطين ، فلا نقبل هذه الجريمة ولا نرضاها وإننا ننادى دائماً بحقوق شعب فلسطين فى بلده وأرضه .

(٤٤) من خطاب الرئيس فى الإحتفال بمرور ٥٠ عاماً على طرد الإنجليز من رشيد بتاريخ ٢٨ يوليو ١٩٥٩م :

فى معركة فلسطين قام الشعب العربى بحارب الاستعمار الصهيونى قام الشعب العربى ببذل دمه ولكن خدع الشعب العربى فحل بنا ما حل قمنا بعد هذا وامنا أنه لا بد أن نستقل ولا بد أن نتحد ونتضامن حتى لا تكون الفرقة سبيلاً لهزيمتنا فى المستقبل كما هزمنا فى فلسطين .

هذا سبيلنا للمحافظة على قوميتنا ، هذه القومية التى آمنا بها والتى تعرضت للأخطار فى فلسطين ، بفعل القومية الصهيونية ممتازة مع الإستعمار .

واليوم نحن نعرف نفسنا لن تهربنا إسرائيل ولن يهربنا من يؤيدون إسرائيل ومن يساعدون إسرائيل لأننا نؤمن بأنفسنا ونعرف قوتنا فى هذا الإيمان ؛ وكما هزمنا الدول الكبرى وإسرائيل لفى الماضى فإننا بعون الله نستطيع أن نهزم إسرائيل ومن يعاون إسرائيل فى المستقبل ، إننا نعرف طريقنا ونعرف سبيلنا ونعرف أنفسنا ونعرف أن هزيمة فلسطين لم تكن أبداً بالهزيمة بل كانت مؤامرة من الإستعمار على الشعب العربى ليثبت بين صفوفه الانقسام وروح الهزيمة والفرقة وإن الأمة العربية اليوم قد كشفت نفسها وإننا حينما نعلن عن سياستنا وإننا نجابه إسرائيل إنما نعلن عن هذه السياسة ونحن على ثقة من أننا على إستعداد من أن نضع هذه السياسة موضع التنفيذ .

إننا حينما أعلننا إن إسرائيل لن تمر من قناة السويس إنما كنا نعنى هذا ، ونعنى إن إسرائيل

لن تمر من القناة وإننى لا أستطيع بأى حال من الأحوال أن أنسى هؤلاء الذين تكلموا فى الأمم المتحدة فى الأيام الماضية وقالوا كلمات غابرة عن حرية الملاحة فى قناة السويس واحب أن أرد بكلمات غابرة أيضا أين هى حقو شعب فلسطين ؟ ولماذا انتهكت حقو شعب فلسطين ؟

إن مرور إسرائيل لا يعتبر بأى حال من الأحوال ضمن حرية الملاحة فى القناة . إن مشكلة إسرائيل وعبور سفنها فى قناة السويس إنما هى جزء من مشكلة فلسطين وشعب فلسطين الذى حرم من حقوقه فى الحرية والحياة .

إننى أريد أن أسأل هؤلاء الذين تكلموا عن حرية الملاحة فى قناة السويس .. أمريكا مثلا .. أمريكا هى عضو فى لجنة من أجل حقو شعب فلسطين وعودة شعب فلسطين إلى بلاده .

هذه اللجنة تأسست فى سنة ١٩٤٨م موجودة حتى الآن . هل يستطيع وزى الخارجية الأمريكى أن يقول لنا ما عمله بهذا الخصوص ؟ والذى تم من أجل حقو شعب فلسطين وعودة شعب فلسطين إلى بلده ؟ طبعاً هذه الكلمات العابرة التى قالتها أمريكا عن اللاجئين لا يمكن بأى حال من الأحوال أن تعبر عن الحق والعدل وإنما الحق والعدل ينحصر فى كلمة واحدة هى حق شعب فلسطين فى بلده . هذا الحق الذى شكلت من أجله لجنة بواسطة الأمم المتحدة سنة ١٩٤٨م . وكانت أمريكا ضمن هذه اللجنة .

الدول الكبرى :

هذا الحق الذى إنتهك ، هذا الحق الذى تفضى الدول الكبرى عينها عنه ، لأنها لا تريد أن تراه . ولأنها تريد أن تتجاهله وتريد أن تجاهل الصهيونية العالمية وتجاهل إسرائيل . إن حرية الملاحة وفق إتفاقية سنة ١٨٨٨ م مطبقة فى قناة السويس . ولا يحق لإسرائيل الدولة المعتدية المقتنصة لفلسطين . الدولة التى اعتدت علينا سنة ١٩٥٦م والتى شردت فلسطين . لا يحق لها أن تدخل سفنها المياه الإقليمية لبلدنا بأى حال من الأحوال .

هذه كلمتنا أقولها صريحة واضحة وحينما أقول ذلك إنما أعرف أن الشعب العربى فى كل بلد عربى يعرف نفسه ويعرف العوامل التى سببت الهزيمة فى الماضى . ويريد أن يجعل من هذه العوامل عوامل نصر فى المستقبل . هذه سياستنا وهذا هو طريقنا . إننا حينما نقول هذه السياسة لا نخشى العدوان ولا نخشى الإستفزاز لأننا نملك الجيش الوطنى القوى الذى صممنا على بنائه وبنيناه .

نحن أفراد الجمهورية العربية المتحدة علينا مسئولية كبرى علينا أن نحمل القومية العربية والوحدة العربية حتى لا تسقط القومية العربية تحت هجمات الصهيونية التي تمثل حرباً صليبية جديدة ضد القومية العربية وخلق ملك لإسرائيل من النيل إلى الفرات . وذلك على الطريقة التي اغتصبوا بها فلسطين والتي عاملوا بها فلسطين .

(٤٢) من خطاب الرئيس في مصنع الكاوتشوك بتاريخ ٣٠ يوليو ١٩٥٩ م :

إن هذا العواء وهذه السفسة لا يمكن أن تؤثر فينا . لأن الجريدة المأجورة لإسرائيل لا يمكن إلا أن تقول ما نريده إسرائيل . وما تدفع ثمنه إسرائيل وهذه الجريدة سنة ١٩٤٨م كانت ضد إقامة إسرائيل وضد الصهيونية .

ولكن استطاعت الصهيونية بالضغط والإرهاب ثم استطاعت الصهيونية بعد ذلك بالترغيب أن تجعل هؤلاء الناس يتحولون عن الرأي الذي أعلنوه ونتيجة هذا . نتيجة هذا الضغط ونتيجة الترغيب ودفع الأموال أصبحوا اللسان الناطق للصهيونية في الولايات المتحدة وهم بهذا إنما يعملون ضد مصلحة الشعب الأمريكي .

وإننا نرجو للشعب الأمريكي أن يستطيع أن يكشف هؤلاء الذين قاموا بين ظهرائه مأجورية لدولة أخرى . يعملون ضد مصلحة أمريكا بل يعملون ضد مصلحة الإنسانية جمعاء .

هؤلاء الناس الذين استأجرتهم الصهيونية في أمريكا لتخدع بهم الشعب الأمريكي ولتجعل منهم سلاحاً ترفعه ضد دول العالم التي تريد أن تبني نفسها وتريد أن تحمي نفسها .

وكلنا يعلم إن إسرائيل منذ إن قامت هذ المنطقة كانت هي العدوان الجسم والعدوان الغاشم المبني على كل شيء إلا الشرف والمبنى على الغدر والخيانة وهذه الصحف التي تنادى بما ينادى به إسرائيل إنما هي صحف تعمل ضد الشعب الذي تصدر بين أرجائه وتعمل ضد الإنسانية جمعاء .

(٤٦) من خطاب الرئيس في معسكر الفتوة بأبي قير بتاريخ ٥ أغسطس ١٩٥٩ م :

قد نجح الاستعمار إلى حد ما في تنفيذ خطته . فاستطاع أن يقيم إسرائيل واستطاع الاستعمار أن يحقق جزءاً من هدفه فقامت إسرائيل في قلب الوطن العربى . قامت إسرائيل لتفضل العرب .. عرب آسيا عن عرب أفريقيا . لتقضى على القومية العربية في فلسطين كمقدمة للقضاء على العرب على قوميتهم في المنطقة الممتدة من النيل إلى الفرات ، هذا ليس حدثاً أو تحمياً أو إستنتاجاً ولكنه قيل بواسطة قادة إسرائيل لأنهم تكلموا عن تحقيق ملك

إسرائيل الذي يمتد من النيل إلى الفرات الذي يجمع جزءاً من مصر وسوريا ولبنان والأردن وجزءاً من العراق وجزءاً من المملكة العربية السعودية هذا هو ملك إسرائيل .. وفتحت إسرائيل الهجرة بل ساعدت على الهجرة بكل الوسائل وهي تجمع الأموال من كل بلاد العالم لمساعدة الهجرة وزيادة عدد السكان ، ولم يكن أمامهم بعد هذا إلا التوسع على حساب العرب وعلى حساب القومية العربية .

(٤٧) من خطاب الرئيس في معسكر الكشافه بالأسكندرية بتاريخ ٥ أغسطس ١٩٥٩ م :

في الماضي لم تكن إسرائيل والآن استطاعوا أن يضعوا إسرائيل في قلب العالم العربي وأسر جسر للعدوان إسرائيل التي قامت على العدوان وساعتدها في هذا الدول الاستعمارية فهي دائماً متمثل الخطر لأن إسرائيل دائماً ستزيد ستحاول أن تتوسع على حساب الوطن العربي من أجل إبادة القومية العربية وستبقى إسرائيل منتظرة الفرصة المواتية المناسبة فإذا وجدت الفرصة ستقضي علينا .

ونأخذ من هذا مثلاً في سنة ١٩٥٦م فإن إسرائيل حينها وجدت الفرصة لم تتردد بل اقتنصتها حينها وجد التجاوب بينها وبين فرنسا وبريطانيا وحينها صدر الإنذار البريطاني الفرنسي للجمهورية العربية المتحدة في ذلك الوقت فقد وجدت إسرائيل أن الفرصة واتها للتوسع .

(٤٨) من خطاب الرئيس في المحلة الكبرى بتاريخ ٨ أغسطس ١٩٥٩ م :

إننا ننظر من حولنا فنجد إسرائيل فما هو الغرض من إقامة إسرائيل ، ما هو الهدف من إقامة إسرائيل . هل هو إيجاد وطن قومي لليهود كما قالوا أم هو أساساً القضاء على القومية العربية وتفتيت الأمة العربية وتقسيمها إلى أجواء وفصل عرب آسيا عن عرب أفريقيا .

الواضح أن إقامة إسرائيل لم يكن الهدف منه أبداً إقامة وطن قومي لليهود ولكن كان هو أيضاً مؤامرة بين الإستعمار والصهيونية من أجل تفتيت القومية العربية والقضاء على الدول العربية أكبر مثل على هذا حينما انفقت إسرائيل مع إنجلترا وفرنسا على مهاجمة مصر في سنة ١٩٥٦م (العدوان الثلاثي) كان هذا الإتفاق ينص على أن تنضم سيناء إلى إسرائيل وعلى أن تكون بورسعيد والسويس محتلة بقوات فرنسية وبريطانية وعلى هذا الأساس دخلت إسرائيل الحرب مع إنجلترا وفرنسا ويكون لها مكافأتها ونصيبها من هذه الحرب وهي سيناء كلها . وكان أول إثبات على إن إسرائيل لها سياسة علوانية في إسرائيل تسكت وتنتظر حتى تواتر الفرصة المناسبة لتنفذ .

أعماهم الحق :

وحينما وجدت الفرصة إن بريطانيا وفرنسا أعماهم الحقن ويريدون إخضاعنا دخلت معهم على أساس عندما تنتصر الدولتان الكبيرتان - وكانت إسرائيل تؤمن بأنها منتصرة لأنها دخلت الحرب مع إنجلترا وفرنسا - أن تضم إليها ميناء ..

إذن الغرض هو القضاء على العالم العربى وتفتيت العالم العربى ، اليوم ونحن نضع هذا المجتمع موضع التنفيذ علينا أن نبني الجيش الوطنى القومى الذى يدافع عن البناء وعلينا جميعاً أن نكون على استعداد لنحول السلام لدافع عن وطننا وعلينا أن نؤمن إننا سنقابل أى عدوان بأشد منه ، وإننا إذا تعرضنا لعدوان سيحارب الشعب حرباً شاملة . ضد المعتدين - إننا لن نتهاون فى الدفاع عن جمهوريتنا ولا فى الدفاع عن جميع أرض الوطن العربى لأن أى عدوان على أى جزء من الوطن العربى عدوان علينا وأى حدث فى أى بلد من البلاد العربية لابد أن يؤكد علينا .

اليوم قالت وكالات الأنباء إن إسرائيل تريد أن تشكونا إلى الأمم المتحدة حينما تعقد الجمعية العمومية العامة فى سبتمبر . وطبعاً هذا كلام يدعو إلى الإستغراب .

إسرائيل التى انتهكت جميع قرارات الأمم المتحدة بعد إن انتهكت حقوق الإنسان . إسرائيل التى ارتكبت أكبر جريمة فى التاريخ البشرى ، إسرائيل التى أبادت الشعب العربى فى فلسطين وقضت عليه بمؤازرة الدول الإستعمارية لقد حدثت حروب وغزوات ولكن هذه الحروب وهذه الغزوات لا يمكن أن تقف إلى جانب الإبادة التى تبيتها إسرائيل للعرب . وتبيتها لباقي العرب بعد إن نفذتها فى فلسطين .

كيف تجرؤ إسرائيل على أن تشكونا إلى الأمم المتحدة وهى التى لم تنفذ أى قرار للأمم المتحدة من سنة ١٩٤٨م إلى الآن . إسرائيل لم تنفذ أى قرار فى صالح شعب فلسطين ومن أجل حقوق شعب فلسطين بل تحدث هذه القرارات علناً .

واليوم تريد إسرائيل أن تفرض علينا قبول سياستها بإستخدام قناة السويس وتقول إنها ستشكونا إلى الأمم المتحدة .

إسرائيل تريد إبادةنا :

إذا كانت إسرائيل لم تنفذ أى قرار من قرارات الأمم المتحدة بعد إن إنتهكت حقوق شعب فلسطين وبعد إن ارتكبت أكبر جريمة فى التاريخ ، ثم بعد إن قامت بالعدوان علينا سنة ١٩٥٦م مع إنجلترا وفرنسا وبعد إن كانت تتكلم عن السلام قبل العدوان بسبعة أيام كأن رئيس وزرائها يتكلم عن السلام والوئام والصلح مع العرب ، وبعد سبعة أيام قامت الحرب ، وبعد هزيمتهم فى الحرب ظهر إنهم كانوا مدبرين للعدوان قبل الخطوة بخوالى شهر .

إسرائيل نخدعنا وتريد إبادتنا وتريد أن تفرض علينا استخدام قناتنا إن إسرائيل لن تستطيع أن تمر في قناتنا وقبل أن تذهب إلى الأمم المتحدة فعليها أن تضع قرارات الأمم المتحدة موضع التنفيذ .

(٤٩) من رد الرئيس على أسئلة المفترين في الإسكندرية بتاريخ ١٠ أغسطس ١٩٥٩ م :

إننا نعتبر إسرائيل تهديداً تهديداً حقيقياً ليس ذا مجرد إحتمال دائماً تلك هي النتيجة المؤكدة التي أثبتتها الحقائق وعلى سبيل المثال فإن في إسرائيل الآن حزباً رسمياً ممثلاً في البرلمان الإسرائيلي بسبعة عشر مقعداً يعلن دائماً أن سياسته هي أن يمتد ما يسمونه بالوطن الإسرائيلي من النيل

ديسك ١٢٨ - فايل ناصر ٢٥٣

إلى الفرات . فإذا مما نظرنا إلى مشكلة هجرة اليهود إلى إسرائيل على هذا الضوء وجدنا نذر الخطر تزداد . وذلك أنه لكي تستوعب إسرائيل هذا العدد من اليهود فإنه يجب عليها أن تتوسع وقد أعطتنا تجربة العدوان الثلاثي دليلاً قاطعاً على هذا الخطر . ذلك أن إسرائيل بعد أن تأمرت مع بريطانيا وفرنسا في أعقاب تأميم قناة السويس . ودهروا فيما بينهم مؤامرة العدوان على مصر كان إتفاقهم فيما إذا نجحت خطة العدوان أن تنتزع منطقة سيناء وتضم إسرائيل بينما يكون نصيب بريطانيا وفرنسا منطقة قناة السويس . ولما تقرر بسحب الجيش المصري من سيناء لم تلبث إسرائيل أن أعلنت بالفعل صم سيناء إلى أراضيها .

وإذا كانت المؤامرة كلها لم تنجح وتبددت أحلام المتآمرين الثلاثة فإنه ليس معنى ذلك إن إسرائيل لا تنتظر فرصة أخرى .

إذن فموقفنا من ذلك واضح محدد إننا سندافع عن بلادنا .

إن قضية لاجئي فلسطين هي نقطة سوداء في حضارة القرن العشرين فلأول مرة في التاريخ يشرد شعب بأكمله ويطرد من دياره بالقوة . وإننا نرى أنه لا مفر من أن تعود إلى شعب فلسطين حقوقه التي قررتها الأمم المتحدة وذلك بأن يعود اللاجئون إلى بلادهم وإلى أملاكهم ، وإننا لنأمل أن تدرك شعوب العالم حقيقة ألا يتكرر ما حدث في سنة ١٩٤٨م وحينما أقرأ في بعض الصحف الأمريكية الإفتتاحية المغرضة التي تساءل لماذا يحاول جمال عبد الناصر أن يبنى جيشاً كبيراً فإن الرد الذي يجول في خاطري على الفور هو : إنني أبني الجيش حتى لا نتحول نحن أيضاً إلى شعب من اللاجئين .

(٥٠) من حديث للرئيس لمدير وكالة الأسوشيتدبرس بتاريخ ٩ أكتوبر ١٩٥٩ م :

إن القرارات الخاصة بفلسطين كل لا يتجزأ ، حق اللاجئين في العودة وحقوقهم في ممتلكاتهم أو في التعويض عنها إن المسألة واضحة وسهلة ، ونحن نطلب حقوق شعب فلسطين وإسرائيل ترفض . ونحن نطلب وضع قرارات الأمم المتحدة بشأن فلسطين موضع التنفيذ وإسرائيل تحصى الأمم المتحدة ثم تطالب إسرائيل بحق المرور في قناة السويس متجاهلة حقوق العرب ثم تصر على مطالبتها وتثير الضجة في الأمم المتحدة . فهل يمكن أن تكون قرارات الأمم المتحدة واجبة التنفيذ على فريق وغير ملزمة لفريق آخر ، إننا لو قبلنا مرور سفن إسرائيل في القناة فمعنى ذلك أننا قبلنا أن تحصل إسرائيل على كل مطالبتها ، وأن يخسر العرب كل حقوقهم ثم إننا نمنع سفن إسرائيل تطبيقاً لحقوقنا المكفولة بالاتفاقيات الدولية وفي مقدمها إتفاقية القسطنطينية سنة ١٨٨٨ وهذه الإتفاقية تعطينا هذا الحق في حالة الحرب وتوفيراً لأمن الأقليم الذي يمر القناة في أراضيه ومن الواضح أن حالة الحرب وما زالت مستمرة وستبقى ما دام عدوانها على أراضينا العربية باقياً .

إن الهدنة في رأينا لم تنته حالة الحرب . فالعدوان الإسرائيلي على الأرض العربية في فلسطين ما زال قائماً ونوايا إسرائيل العدوانية ما زالت قائمة إن النقطة الوحيدة هي أن توضع قرارات الأمم المتحدة موضع التنفيذ . ولا يمكن أن يفرض علينا وحدنا طاعة الأمم المتحدة في الوقت الذي يقبل فيه من غيرنا أن يضرب بها عرض الحائط . ولقد كانت مشاكلنا مع إسرائيل راجعة إلى قبولنا تنفيذ قرارات الأمم المتحدة ودعنى أذكرك شخصياً بما رأيته حينما كنت ضابطاً في فلسطين .

إن القوات الإسرائيلية لم تتمكن من احتلال ما احتلته من الأراضى العربية إلا لأن الدول العربية قبلت وحدها إن تنفذ بقرارات وقف القتال الصادرة من الأمم المتحدة في حين لم تكن هذه القرارات بالنسبة لإسرائيل إلا فرصة آمنة لمواصلة العدوان وقد أضعف مركزنا وقتها أننا وضعنا ثقتنا في الأمم المتحدة وتصورنا فيها المقررة على رد المعتدين وعلى تنفيذ قراراتها . أما الآن فنحن كما قلت على استعداد لتنفيذ قرارات الأمم المتحدة بشرط أن تلقى الاحترام من غيرنا كما تلقاه منا ، إن الأمم المتحدة أقوى مما كانت في كسنة ١٩٤٧م وهيبتها أوسع احتراماً ونحن على استعداد أن نقدم كل عون للأمم المتحدة لكي تضع قراراتها موضع التنفيذ ولو شاءت الأمم المتحدة أن تؤلف لجنة أو هيئة تكون مهمتها وضع القرارات موضع التنفيذ فإننا نرحب بالتعاون مع هذه اللجنة أو الهيئة .

حاول الاستعمار أن يفتت الأمة العربية ويفتت القومية العربية وكان سلاحه الرئيسى أن يث العدواة والبغضاء بين أبناء الأمة العربية ثم يستخدم الوطن العربى ضد الوطن العربى

والبلد العربى ضد البلد العربى وبهذا يدب اليأس فى النفوس والقلوب وبهذا تنفتت الأمة العربية والقومية العربية .

وكان الإستعمار يرى أنه ينجح فى تفريق الأمة العربية وكان هذا هو السبيل الذى ممكن الصهيونية من أن تنفذ بين أراضينا وأن تقيم بين أرجاء القومية العربية . قومية غربية علينا ، قومية صهيونية ، وكان الإستعمار والصهيونية فى الماضى يحتفلون أنهم سينجحون فى سياستهم المحتملة على تفتيت الأمة العربية ، وتفتيت القومية العربية وبهذا تتساقط القومية العربية ثم تتساقط البلاد العربية بلداً بلداً ووطناً بعد وطن . ثم تتسع الصهيونية لتنتشر من النيل إلى الفرات وتحمل محل القومية العربية فى هذه المنطقة العربية وقومية صهيونية عملية للإستعمار ورأس جسر للإستعمار .

وكانت معركة فلسطين سنة ١٩٤٨م نجاحاً للإستعمار ثم نجاحاً للصهيونية لأن الإستعمار استطاع أن يفرق الدول العربية والقومية العربية . ولكن القومية العربية إنتصرت لأن معركة فلسطين سنة ١٩٤٨م كانت الشرارة التى اشتعلت فى القلوب ، وكانت النذير الذى إرتفع فى كل بلد عربى ، فلا بد من أن نتحد المدافع عن أنفسنا وندافع عن كياناتنا بل لنحافظ على بلادنا ونحافظ على قوميتنا بعد سنة ١٩٤٨م حاول الإستعمار أن يستغل المأساة التى حلت بنا فى حرب فلسطين ليث فى قلوبنا روح الضعف والهزيمة ولكن القومية العربية النابضة فى كل قلب عربى كانت شعلة اشتعلت بحرب فلسطين ، ولو أنه إنتصر فى سنة ١٩٤٨م على شعب فلسطين وحوله إلى شعب من اللاجئين . ولكن القومية العربية قد إنتصرت أيضاً فى جميع أرجاء الأمة العربية لأن كل عربى فى كل بلد عربى يشعر فى قرارة نفسه لابد من أن يتحد مع أخيه العربى ولا بد من أن يتضامن مع أخيه العربى حتى يحافظ على أمة العرب من الزوال ، وحتى يحافظ على القومية العربية من التفتت والضياع وحتى يحافظ على أبنائه وعلى نفسه ووطنه .

كانت مأساة فلسطين نصراً للعرب ، لأنها أشعلت نار القومية العربية التى كانوا يعملون دائماً على أن تخبوا وعلى أن تنتهى وكانت مأساة فلسطين هى الشعلة التى أثارت الضمير فى كل بلد عربى .

(٥١) من حديث الرئيس عن الموقف مع إسرائيل بتاريخ ٨ فبراير ١٩٦٠م :

نحن نعلم إن إسرائيل تحاول الآن أن تجدد تسوية ولكن التسوية التى نريدها إسرائيل هى على حساب حقوق عرب فلسطين إن هذه التسوية لن تتم ونحن والثقون من ذلك . بل ..

لن تكون التسوية نهاية طريق العدوان بل ستكون بداية الخطوات - عنوانية جديدة لتحقيق حلم إسرائيل المجنون في وطن يمتد من النيل إلى الفرات وهكذا فإن تصور أية تسوية سيكون معناه الإستسلام للأمر الواقع كما تريده إسرائيل ثم فتح طريق العدوان أمامها من جديد .

وليست المسألة بالنسبة لنا في الجمهورية العربية المتحدة مسألة شروط إنما هي مسألة حقوق . حقوق عرب فلسطين الذين حرموا من البيت والوطن وأمان . ثم شردوا خارج ديارهم ثم إن المسألة تمتد إلى ما هو أعمق فإننا يجب أن نقرر هل الأمر الواقع يقرره العلوان . أم أن المبادئ المتمثلة في ميثاق الأمم المتحدة يجب أن تكون هي أساس كل أمر واقع .

إن الذين يرون مثل هذا الرأي يتحدثون عن المشكلة من بعيد ، ولكنهم لا يلمسون أخطارها كما نلمسها نحن ، لأن أية مفاوضات في هذا الطريق مستحيلة للأمباب الآتية : أولاً : العدوان الإسرائيلي على الأراضي العربية وعلى الحقوق العربية قائم ولم تبد بادرة توحى بندم قادة إسرائيل على ما فعلوه أو إستعدادهم للرجوع عنه .

ثانياً : ألا نثق بقيادة إسرائيل وسجلهم معنا ظاهر ومعروف لقد كانت الدعوة إلى السلام مقترنة دائماً في عرفهم بالإستعداد للحرب ، وقبل العدوان الثلاثي على مصر بأيام قليلة القى رئيس وزراء إسرائيل في الكنيست الإسرائيلي بياناً قال فيه : أنه على إستعداد لأن يطير لمقابلتي من أجل السلام ، وكان في ذلك الوقت مشغولاً إلى قمة رأسه بالتحضير للعدوان المشهور ضد بلادنا .

بل هناك أيضاً الطريق الثالث ، وهو الطريق إلى المطلق والحق وطبيعة الأشياء وذلك هو طريق ميثاق الأمم المتحدة وقراراتها . ذلك هو الطريق الواحد المفتوح .

(٥٢) من خطاب الرئيس في اللاذقية بتاريخ ١٤ فبراير ١٩٦٠ م :

إن الوحدة العربية هي إقلاق للأعداء الأمة العربية وإقلاق للصهيونية ولقد رأينا كيف إن الصهيونية وإسرائيل شعرت بالجزع لأن الاتحاد كان يجمع مصر وسوريا . ثم كيف ، شعرت إسرائيل بالخطر والجزع حينما حصل التضامن بين سوريا ومصر والأردن وقامت قيادة عربية مشتركة لقد عبر عن هذا أعداء القومية العربية بل عبر عن هذا إهدن في مذكراته وقال : إن الوحدة العربية إنما هي تهديد لمناطق النفوذ بل هي تهديد لإسرائيل التي إغتصبت أن تمنع تكرارها في الحاضر أو المستقبل والتي علينا أن نستردّها ونقضى على ما حدث في الماضي ونعيد الحق إلى نصابه بوحدتها وبقوتنا وبتضامنا وبإعادتنا ويرفع راية القومية العربية إننا نستطيع أن نسير في هذا الطريق لنؤمن مستقبلاً ولنؤمن وجودنا .

(٥٣) من خطاب الرئيس في الحسكة بتاريخ ١٥ فبراير ١٩٦٠ م :

إن هذا الشعب الذي صمم على أن يصلح أخطاء الماضي فوحد ومار بقوة ليصلح أخطاء الماضي والذي صمم على أن يحو عار فلسطين فوحد جبهته حتى تقف ضد أطماع الصهيونية وضد توسع الشيوعية وحتى تؤمن حقوق شعب فلسطين .

(٥٤) من خطاب الرئيس بدمشق بتاريخ ١٦ فبراير ١٩٦٠ م :

إننى أيتها الأخوة حينما وصلت إلى بلدكم اليوم وإلى مدينتكم العزيزة ورأيت نهر الفرات تذكرت حلم إسرائيل وأطماع إسرائيل وما نادى به قادة إسرائيل بلا حياة ، بنا ملك إسرائيل يمتد من النيل إلى الفرات ولكن حينما رأيت وجوهكم ورأيت قطعة عزيزة من بلدنا هي تهدد لكل أطماع الطامعين في بلادنا .

نحن نكافح في سبيل تحقيق أهداف القومية العربية ونحن نسير في طريق الكفاح من أجل تدعيم وحدتنا . ثم من أجل تدعيم قوميتنا . ثم من أجل لانضمام أو الاتحاد أو الوحدة مع أى شعب عربى إننا نشعر أن هذه أهداف عزيزة علينا . في تحقيقها بقاؤنا أحراراً وفى تحقيقها تدعيم لقوتنا وفى تحقيقها قضاء على امال إسرائيل في التفرقة بين أبناء الأمة العربية . ثم ضربها واحداً واحداً وفى تحقيقها قضاء على أحلام إسرائيل في التوسع بل في تحقيقها ضمان لحقوق شعب فلسطين التى إغتصبت والتي ترفض إسرائيل أن تعترف بها . إن إسرائيل قد إغتصبت حقوق شعب فلسطين وإننا نعلنها عالية مدوية إننا نصمم على حقوق شعب فلسطين .

هذه هي المآسى التى قابلتنا في الماضي والتي علينا عزيمتكم أصبح أشد قوة وأشد إيماناً بأننا سنحطم أحلام إسرائيل وأطماعها . وما دامت في أرض العرب هذه القلوب وهذه النفوس القوية فلن تستطيع إسرائيل أن تحقق أطماعها إننى أؤمن اليوم من كل قلبى بأن أحلام إسرائيل وأطماعها هي أحلام العصافير التى تضيع في الهباء وتذهب في الهواء إن إطماع إسرائيل قد ذهبت إلى غير رجعة .

إن علينا واجباً كبيراً وهو تحقيق حق شعب فلسطين في وطنه وفى أرضه . شعب فلسطين الذى إغتصبت الإستعمار والصهيونية بلده ولم يكن هذا الاغتصاب إلا مقدمة لتحقيق ملك إسرائيل من النيل إلى الفرات .

(٥٥) من خطاب الرئيس في حلب بتاريخ ٢١ فبراير ١٩٦٠ م :

بالأمس كانت هناك تصريحات من العجوز وزيرة خارجية إسرائيل محاولة تهديد الجمهورية العربية المتحدة وتقول إن إسرائيل لن تسكت على منع سفنها من المرور في القنال ، وأنا أقول

لها ولسيدها بن جوريون ولشعب إسرائيل أن سفن إسرائيل لا يمكن بأى حال من الأحوال أن تمر في القنال .

وإذا وصلت هذه البضائع إلى بور سعيد أو أى ميناء في الجمهورية العربية المتحدة فهي حق لشعب فلسطين الذى تأمر عليه الاستعمار وتآمرت عليه الصهيونية واعتقدوا أنها عملية سهلة للقضاء على شعب فلسطين .

نحن اليوم بعد أحد عشر عاماً من هذه المأساة ، نجد أن شعب فلسطين لازال هو شعب فلسطين . يعمل ويعمل معه جميعاً لاسترداد حقوقه في أرضه وبلده وفي وطنه . فإن حقوق شعب فلسطين حقوق عربية قبل أن تكون فلسطينية وإنتمل لشعر أن واجبنا الرئيسى وواجبنا المقدس هو أن نستعيد حقوق شعب فلسطين . وبهذه الوحدة التى أراها تجمع بين صفوفكم وبهذه الوحدة التى أراها تجمع بين قلوبكم والوحدة العربية والقومية العربية نستطيع السير في طريق الحرية والتحرير لتعيد حقوق شعب فلسطين ، ولهذا فإن الصهيونية والاستعمار يعملان بكل وسيلة من الوسائل للقضاء على فكرة للقومية العربية والوحدة العربية .

(٥٦) من خطاب الرئيس في دمشق بتاريخ ٢١ فبراير ١٩٦٠ :

إن الأيام قد تغيرت والوقت الذى مر بنا ٢٩٤٨م قد ضى إلى غير رجعة فرغم رأس الجسر الذى وضعه الاستعمار بين أراضينا ورغم قيام إسرائيل ورغم مؤازرة الاستعمار لإسرائيل أعلن الشعب العربى للعالم أجمع أن الفقه الجغرافية التى أقامها الاستعمار بين أراضينا لم تفرق بين القلوب والأرواح . بل جمعت بين القلوب والأرواح وأن المأساة التى حلت بنا في ١٩٤٨م ولم تضعف عزيمتنا ولم تجعل لليأس فرصة ليسيطر على نفوسنا وقلوبنا . فقد كانت هذه المأساة مأساة ١٩٤٨م التى تأمر علينا فيها الاستعمار والصهيونية للقضاء على القومية العربية فاجتلت إسرائيل فلسطين وعاونها الاستعمار وظنوا أنهم ييثون العرب والضغط والخوف في نفوسنا . وظنوا أنهم بهذا قد قسموا العالم العربى وأن الوحدة التى قامت منذ مئات السنين لن تقوم لها قائمة أخرى ظنوا أنهم بوجود إسرائيل التى فصلت بين الحدود سيفصلون بين القلوب والأرواح والدماء التى امتزجت من مراحل القومية العربية وظنوا أنهم سيمكنهم فصلوا هذه الأمة العربية ، فبتت إسرائيل . وأعلنت أن ملك إسرائيل لا بد أن يمتد من النيل إلى الفرات وأعلن زعماء إسرائيل في حملاتهم الانتخابية أن إسرائيل لا بد أن تمتد وأن القومية العربية لا بد أن تندثر . وأعلنوا هذا وهم يعتقدون أنه إيمان هذا الشعب قد ضاع . وأن قوة هذا الشعب قد ضعفت وأن زحفه المقدس قد توقف - كانوا يعتقدون أن ألاعيبهم ومؤامراتهم وطردهم لأبناء فلسطين سببت العرب في نفوسهم - وكانت

المجازر الوحشية التي رأيناها لأول مرة في التاريخ الحديث في فلسطين ، هذه المجازر كانت تجدد من الدول الكبرى الإهمال بل كانت تجدد التأيد .

وكان من الواضح أن هناك مؤامرة كبرى ليست على فلسطين وحدها ، ولكن على القومية العربية والأمة العربية ، وأن أعداء العرب وجدوا أن الوقت قد حان ليقضوا على القومية العربية من ربوع الأمة العربية . وكانت إسرائيل هي رأس الجسر الذي وضعه الاستعمار حتى ينفذ منه إلى قلب الأمة العربية ، وإلى قلب وطننا لكن هذا الشعب لم يضعف . ولم يتفتت ، ولم ترهبه المجازر ولم يرهبه الإرهاب . ولم ترهبه مجازر إسرائيل سواء في دير ياسين أو في البلاد العربية الأخرى ، بل كانت هذه المجازر هي الشرارة التي أشعلت النار في النفوس ، وفي القلوب وهي الشرارة التي جعلتنا نصمم على أن نمجمل بالوحدة ، لأننا كنا نؤمن جميعاً أن طريق الوحدة هو طريق القوة وهو طريق الحياة وكنا نعتقد أن لا بد من أن نتحد حتى نحمل أنفسنا من أطماع إسرائيل ، إسرائيل التوت قالت أن حدودها تمتد من النيل إلى الفرات ، وظن الاستعمار ، بعد ما حدث في عام ١٩٤٨م ولكن إرادة هذا الشعب العربي هذه الإرادة القوية ارتفعت عالية لنحطم نفوذ الاستعمار وتقضى عليه .

وأنا أقول لهم باسم الشعب العربي إنكم إن تجاهلتم حقوق شعب فلسطين أو تناسيتم حقوق شعب فلسطين ، فإننا لن نتجاهل حقوق شعب فلسطين ، أو تناسي حقوق شعب فلسطين رن هذه الحقوق هي حقوق أمتنا نحن العرب الذين وجدنا في هذه المنطقة . نحن العرب الذين أرادت الصهيونية أن تقضى علينا وعلى قوميتنا وأن تقضى على عروبتنا .

إننى أقول أننا لن ننسى أو نتجاهل هذه الحقوق . كما لا ننسى أو نتجاهل أطماع إسرائيل في بلادنا ، ولن ننسى أو نتجاهل أطماع الاستعمار ، أن الشعب العربي يؤمن بأن القوة هي السبيل للوقوف في وجه أطماع إسرائيل والقوة هي السبيل في الحصول على حقوق شعب فلسطين .

(٥٧) من خطاب الرئيس في عاصمة الإقليم الشمالى بتاريخ ٢١ فبراير ١٩٦١م :

إن إسرائيل التي استطاعت أن تقنع نفسها بأنها بالتعاون مع الاستعمار قد استطاعت أن تقنع نفسها بأنها بالتعاون مع الاستعمار قد استطاعت أن تدق مسماراً في قوة الوحدة العربية وتسلب حقوق شعب فلسطين إلى الأبد . كانت إسرائيل وأعداؤنا جميعاً يعتقدون هذا لأنهم أعلنوه وأعلنوه ثم صدقوه . ولأنهم نسوا أن هذا الشعب الخلاق ، هذا الشعب الواعى لا يمكن أن يلدغ فكماً استطاع أن يقضى على الأعباء الاستعمار ففى الماضى استطاع أيضاً أن يقضى على هذه المؤامرات في الحاضر ويستطيع بعون الله أن يقضى على كل مؤامرة في

ولهذا ، إننا اليوم في هذا الأسبوع ، ننظر من حولنا في العالم ونجد هناك ثورة عارمة ، نجد هناك التصريحات التي تعلن أن الموقف يتدهر في الشرق الأوسط ، وفي البلاد العربية ، ثم نجد هناك التصريحات ثم نجد حشداً ، لقوى إسرائيل ، وتعبئة لقواتها . ثم نجد أن هؤلاء الذين ناصبونا العداء أفاقوا من سكرتهم رنهم كانوا قد تصوروا أن هناك من يمكنه أن يقضى على قوميتنا وعروبنا . إننا اليوم حين نسمع هذه التصريحات من هذه الدول وهي تعلن أن الوضع في العالم العربي وفي الشرق الأوسط وضع متدهور فإننا نؤمن أن هذه الدول قد استطاعت أن تعرف ما غاب عليها . وقد استطاعت أن تعرف قوة هذا الشعب . وصلابة هذا الشعب وإيمان هذا الشعب وتصميم هذا الشعب .

إن هذه الدول التي تعلن وتصرح بأنها تؤيد ما تدعيه إسرائيل من حقوق ، وتتنامى شعب فلسطين في زحفنا المقدس ، إذا كانت هذه الدول تدعى أنها تعلن ما ينطوى على العدالة والحق فأين حقوق شعب فلسطين في تصريحاتهم .

لقد تناسوا أو وتجاهلوا حقوق شعب فلسطين التي قررتها الأمم المتحدة ولكنهم قرروا وأعادوا الحقوق المزعومة لإسرائيل في قناة السويس وفي أرض العرب ، وأنا باسم الشعب العربي الذي آلى على نفسه أن يسير في زحفه المقدس ، أعلن أن هذه الدول إذا كانت قد تناست قرارات الأمم المتحدة وإذا كانت قد تناست حقوق شعب فلسطين فإننا لن ننسى أبداً حقوق شعب فلسطين .

(٥٨) من خطاب الرئيس في حفل القوات المسلحة بتاريخ ٢٤ فبراير ١٩٦٠ :
إن إسرائيل لم تكتف بما حصلت عليه ولم تكتف بما قامت به ضد إخواننا في فلسطين . ولكنها أعلنت في تبجح وأعلنت بأعلى صوتها أن ملك إسرائيل يمتد من النيل إلى الفرات وأن لا بد من هجرة متدفقة إلى إسرائيل حتى تستطيع إسرائيل بهؤلاء أن تحقق الملك الذي كتب عنه في تاريخهم .

وهو ملك إسرائيل الذي يمتد من النيل إلى الفرات . وكان هذا يعني احتلالهم لجزء كبير من سوريا والأردن وجزء من العراق ومصر ومن لبنان والسعودية . وهذا يعني أن الصهيونية ومن خلفها الاستعمار تسعى لتقضي على القومية العربية ولعروبة المنطقة قضاءً كاملاً .

(٥٩) من حديث للرئيس مع الصحفيين الألمان بتاريخ ٢٦ فبراير ١٩٦٠ :
لقد أعلننا موافقتنا وإصرارنا على منع بواخر إسرائيل وبضائعها من المرور في القناة لأن

هذا لا يعتبر جزءاً من مشكلة حرية الملاحة في القناة بل هو جزء من مشكلة فلسطين ومنذ ١٩٤٨م حتى الآن أصدرت الأمم المتحدة عدة قرارات بشأن الموقف بين العرب وإسرائيل . لقد حرم اللاجئون من وطنهم ومن ممتلكاتهم ولكن إسرائيل أغفلت ذلك وأخذت تطالب بالمرور في قناة السويس ولم تقتصر إسرائيل على إغفال أمر اللاجئين بل أعلنت أنها لن توافق على قرارات الأمم المتحدة ولن تقوم بتنفيذها . وإذن فنحن نعتقد أن المسألة ليست مسألة حرية المرور في القناة وإنما هي المشكلة الفلسطينية برمتها . إن إسرائيل تريد الحصول لنفسها على كل شيء وأن تحرم العرب من كل شيء .

(٦٠) من خطاب الرئيس في مؤتمر الاتحاد القومي بدمشق بتاريخ ٤ مارس ١٩٦٠ : إن الصهيونية وإسرائيل والاستعمار حاولوا بكل طريق أن يقضوا على القومية العربية وكان لعدوان الثلاثي هو الوسيلة الرئيسية للقضاء على القومية العربية ولكن القومية العربية ، انتصرت وهزم الغزاة وكان هذا هو تهديد آخر ، بل تهديد أشد وأخطر لأطماع إسرائيل ولاغتصاب إسرائيل لحقوق شعب فلسطين وأرض فلسطين ولهذا فإننا حينما نرى اليوم الحملة المسعورة التي توجه إلينا نشعر بالطمأنينة نشعر بالثقة في أنفسنا لأن حالتنا أصبحت غير ما ك نا عليه في ١٩٤٨م ولن يقبل الشعب العربي مرة أخرى أن يعيش عام ١٩٤٨م .

فإن إسرائيل وعصابات إسرائيل والاستعمار حينما احتلوا هذه البقعة الغالية من أرضنا العربية احتلواها بالغدر والخديعة . أن إسرائيل لم تحارب في هذه الأيام أو في هذه الأشهر معركة فاصلة واحدة . ولكننا كنا نحارب إسرائيل ونحارب الخداع والاستعمار .

إن الشعب العربي الذي عاش مأساة ٤٨ لن يقبل مرة أخرى أن يعيش هذه المأساة وأنه أخذ من دروس الماضي عظة لنفسه . وأنه اليوم يعتمد على نفسه وقوته فإذا كانت إسرائيل اليوم تحاول بحملتها المسعورة أن تقضي على القومية العربية وتؤمن ما اغتصبته من عرب فلسطين . ولتنعم بنتيجة الضحايا الذين سفكت دماءهم . وقتلتهم وقتلت أطفالهم . فإن إسرائيل تسير في طريق الوهم والأحلام لأن الشعب العربي يعلم ما هي إسرائيل وما هي نوايا إسرائيل .

إذا كانت إسرائيل تستطيع أن تتصور أنها بهذه الحملة المسعورة ستقضي على وحدة الصف العربي بعد أن فشلت في القضاء على القومية العربية فإن ردنا على هذا ، أن الشعب العربي يسير في زحفه المقدس ليحقق الأهداف الكبرى التي كافح من أجلها وبذل من أجلها الأرواح والدماء لقد سمعنا أصواتاً ترتفع من لندن وباريس وواشنطن . بعد ما ظهر أن هذا الشعب

مصمم على ثورته . سمعنا هذه الأصوات ترتفع لتقول هناك في الشرق الأوسط . وأن هناك موقفاً منهاراً .

ونحن نقول لهم . نعم هناك أزمة في الشرق الأوسط منذ ١٩٤٨م ، منذ أن اغتصبت إسرائيل حقوق شعب فلسطين وتكررت لقرارات الأمم المتحدة التي اعترفت فيها بهذه الحقوق وقررت بأن لشعب فلسطين الحق في أن يعود إلى أرضه .

وإذا كانت هذه الدول الكبرى تتنامى حقوق شعب فلسطين وتذكر دائماً ما تنادى به إسرائيل وتستجيب له . فنحن نقول إننا لن ننسى حقوق شعب فلسطين . ولن ننسى التهديد الذي يوجه إلينا من إسرائيل ، هنا في الجمهورية العربية المتحدة التي تحمل عبء المعركة كلها . والتي بذلت من عام ١٩٤٨م حتى الآن الآلاف من الشهداء في سبيل القضية وفي سبيل العروبة .

ترتفع هذه الأصوات من هذه العواصم . ونقول لا بد من مساعدة إسرائيل . وليس هذا استجابة لإسرائيل . بل تسلم الدعوات لرئيس وزراء إسرائيل ليعطى شهادة في الحقوق وما هي هذه الحقوق ؟ كيف يعطى شهادة في الحقوق - من جامعة أمريكية - وهو أكبر مجرم للحرب قام في هذا القرن ؟.

كيف تعطى شهادة دكتوراه شرفيه في الحقوق للرجل الذي قتل الآلاف من الرجال والنساء والأطفال بغير ذنب جنوه ؟ والرجل الذي انتهز الفرصة التي مكنتها له بريطانيا التي كانت مسؤولة عن شعب فلسطين بعد الحرب العالمية الأولى فانسحبت وتركت الشعب العربي يقابل عصابات إسرائيل لتقتل منه الرجال والنساء والأطفال ، وتغتصب القرى والأماكن بطريقة لم نحدث في التاريخ لقد قالوا عن هتلر أنه مجرم حرب . فماذا فعل هتلر ؟ هل قضى على شعب دولة بأكمله كما قضى بن جوريون على شعب دولة بأكملها ؟ .

ولكننا لا نستغرب هذا لأن إسرائيل وقادة إسرائيل جميعاً جبنوا قتلوا الشعب العربي في فلسطين ، كانوا يقومون بالقتل تساندتهم الصهيونية العالمية ، بل ساندتهم أمريكا ورئيس أمريكا في هذا الوقت - وكانت الأموال تسلم لإسرائيل وكانت نتيجة هذه الأموال التي تسلمتها إسرائيل هي الزيادة في سفك الدم العربي واغتصاب حقوق العرب في فلسطين إننا نرى في العالم من حولنا ونسمع هذه الأنباء التي تعلن أن بن جوريون سيزور أمريكا ليستعدي بها على العرب ، ونحن نقول لأمريكا إذا كانت إسرائيل والصهيونية قد استعمرت أمريكا وسيطرت عليها وعلى مقدراتها فإننا آلياً على أنفسنا أمام الله أننا سنبدل كل شيء : الأرواح والدماء ولن نكون تحت سيطرة أمريكا ولا تحت سيطرة إسرائيل .

فليعطوا مجرم الحرب الشهادة الشرفية في الحقوق . فهذا يجعلنا نعلم ما هي قيمة الحقوق في أمريكا وما هي قيمة حقوق الإنسان في أمريكا .

وهذا ما يجعلنا نؤمن أن علينا أن نقوى من أنفسنا وأن علينا أن نعتد على الله وعلى أنفسنا لنحارب كل الممارك التي تجلبنا لنحافظ على الاستقلال ولنحافظ على الحرية التي حصلنا عليها بالدماء والأرواح .

لقد ظهرت في لندن وواشنطن أصوات أخرى . ظهرت هذه الأصوات التي تعلن عن التصريح الثلاثي ، فما هـ و التصريح الثلاثي بالنسبة لنا ؟

وقد أعلن التصريح الثلاثي عام ١٩٥٠ وعادوا اليوم ليعلموه مرة أخرى ، ولماذا لم يعلن في العام الماضي لأنهم كذبوا وصدقوا أنفسهم أن الأمة العربية قد تفككت وأنهم في الطريق إلى السيطرة عليها .

كانت إسرائيل تصدق أكاذيبها وتشعر بالاطمئنان . والفرصة في هذه الاحتمالات أثبتت للعامل أجمع أن وحدة الأمة العربية أشد قوة مما كانت لأن الشعب العربي ، مؤمن من كل قلبه وروحه ونفسه على أن يسير في زحفه المقدس ، فهبت الدول الكبرى تعلن التصريح الثلاثي لأنها شعرت أن هذا الزحف المقدس إنما يستهدف حقوق شعب فلسطين في بلدهم وأرضهم لأنهم شعروا أن لابد لهم من أن يحموا إسرائيل ، ولذلك أعلنوا التصريح الثلاثي .

أما التصريح الثلاثي بالنسبة لنا فليس إلا العدوان الثلاثي ، ونحن لم نشعر بالتصريح الثلاثي في الماضي ، وإنما قابلنا العدوان الثلاثي ، فالتصريح الثلاثي في فهمنا وإيماننا لا يتج عنه إلا عدوان ثلاثي كما حدث في عام ١٩٥٦ م . ففي عام ٥٦ كان هناك التصريح الثلاثي ، ولكننا رأينا العدوان الثلاثي ولا يمكن لنا بأي حال من الأحوال أن نطمئن إلى هذه التصريحات لأنها تعبر عن النوايا العدوانية التي تستهدف أمتنا العربية ثم تستهدف جمهوريتنا لأننا رفضنا أن ندخل في مناطق النفوذ وأردنا أن تكون سياستنا سياسة مستقلة تنبع من أنفسنا وضميرنا وصممنا على أن نظهر الأرض الطيبة .

إننا جميعاً نسمع أن فرنسا تسلم إسرائيل بالطائرات نشعر بالثقة والاطمئنان . وقد قالت الأنباء اليوم أن فرنسا ستسلم إسرائيل مزيداً من الطائرات . أن هذا يطمئنا على قوتنا وعلى مكانتنا وعلى وجودنا ، وأما اليوم سمعنا أن ديطانيا ستسلم إسرائيل غواصات ، إن هذا لا يرينا ، لأننا نعلم من هم أعداؤنا ولأننا نستعد لنقابل هؤلاء الأعداء . إننا حينما نسمع هذا نشعر أننا استطعنا أن نحقق في هذه الشهور القلائل القوة الكبرى التي تزعم إسرائيل

والصهيونية ومن هم وراء إسرائيل ووراء الصهيونية .

أما بن جوريون بالنسبة لنا فهو مجرم حرب . قتل أخوة لنا في فلسطين ، وبعد عام ١٩٤٨م ، كان يقوم بغارات على القوى العربية ويشفى غليله بالدماء العربية . وما للغارة الفاشلة التي قاموا بها على قرية التوافيق إلا مثل للسياسة التي اتبعها بن جوريون في الماضي . فقريّة التوافيق قرية هؤلاء يسكنها عرب عزل . وكان بن جوريون يعتقد أنه يستطيع أن يقتل هؤلاء العزل وبهذا يشفى غليله من سفك دماء العرب ، ولكن الغارة خابت لأن الخسائر حافت بهم ، لأن الجيش الأول تنبه إلى فكرتهم ، فحصر الحطة وقضى عليها بأن سحب العزل من التوافيق ونصب الكمائن للإيقاع بالغدر الصهيوني والغدر الإسرائيلي . وكانت النتيجة أن وقعت العصابات الإسرائيلية بين نيران الجيش الأول فانسحبت تجر أذيال الفشل والعار .

إننا ننظر من حولنا ونسمع تصريحات رجال إسرائيل ، واليوم هناك تصريح يقول أن إسرائيل تريد الصلح مع العرب وتريد نزع السلاح .. أن هذا الكلام يهدف إلى التفرير بالرأى العام العالمى لأن إسرائيل اغتصبت حقوق عرب فلسطين ، ولأن إسرائيل لم تمثل لقرارات الأمم المتحدة الخاصة بحقوق شعب فلسطين ولأن إسرائيل رغم هذا كله تتبجح وتقول أنها تريد تمر ببيضائها وسفنها من قناة السويس لأن إسرائيل تريد أن تتخذ الرأى العام العالمى .

وردنا على ذلك واضح بسيط : إننا لن نتنازل عن حقوق شعب فلسطين ، وإننا لن نقبل عن حقوق شعب فلسطين بديلا ، وأن بن جوريون قبل العدوان الثلاثى على مصر بسبعة أيام ، وقال وأعلن أنه يريد أن يتفاوض مع مصر ليضع أسس السلام . وكان في هذا الوقت قد وضع أسس الغدر والخيانة والعدوان مع اتنوتى أيلونه ومع موليه في باريس كانت النية قتلا ، وكان الكلام الذى أعلنوه للخداع كلام عن السلام ، ولا يمكن بأى حال من الأحوال أن يقوم السلام طالما كانت نية إسرائيل هذه النية ، وهى القضاء على العرب أجمعين عربى فلسطين ، والعرب بين النيل والفرات ، ولن يعد السلام إلا إذا عادت الأرض إلى أصحابها .

(٦١) من خطاب الرئيس في معسكر قطنه بتاريخ ٧ مارس ١٩٦٠م :

في السابع من مارس ١٩٥٧م ، انسحبت إسرائيل من غزة وكانت هناك الحزنة ومنذبة في مجلس نواب إسرائيل وكان بن جوريون يسحب قواته ويكى ويتباكى معه نوابه . لأنهم كانوا قد ضموا قطاع غزة إلى إسرائيل وأعلنوا أن غزة التى تمثل الجزء الباقى من فلسطين العربية لا بد أن يتكون من حق إسرائيل ثم أعلنوا أنهم لنويتنازلوا عن غزة ولن يتركوها أبداً ثم عادوا بعد هذا وانسحبوا من غزة وأعلنوا أنهم لن يقبلوا بأى حال من الأحوال أن تكون هناك صلة بين غزة الباقية من فلسطين وبين مصر . وأنهم سيمنعون أى صلة بالقوة أو بالحرب

وكان الهدف من هذا أن تبقى غزة منطقة تحت سيطرتهم وسيطرة الدول التي دفعتهم إلى العدوان أو أن تبقى غزة ليدولوها ويجعلوها منطقة دولية . فإذا كانت منطقة دولية تستطيع إسرائيل أن تضعها تحت سيطرتها أو نفوذها . وبهذا خطوة فخطوة تكمل إسرائيل خططها في الاستيلاء على قطاع غزة .

ولكننا لم نقبل هذا وأعلننا أن هناك حقاً لنا بناء على رغبة الشعب الفلسطيني . في أن نكون على صلة بقطاع غزة . صلة أبدية لتحمي قطاع غزة من العدوان ولتتضامن مع الشعب العربي الفلسطيني . ولتحمي مصر العرب إلى نسعى إليه جميعاً . وهو مصر العزة والكرامة ، ولنسبر في طريق الكفاح بدأ بيد ، ودخلت القوات المصرية قطاع غزة وكانت هذه طامة كبرى على إسرائيل . لأنها كانت تشعر أن هذا يعنى بالنسبة إليها نهاية أطماعها ونهاية سياستها وأهدافها في إبادة سكان غزة من القطاع البقاي من فلسطين العربية وعادة الأمور إلى ما كانت عليه .

واليوم ونحن نلتقى في هذا المكان نذكر في هذا اليوم السابع من مارس ١٩٥٧م اليوم الذي انسحبت فيه إسرائيل مرغمة من قطاع غزة بعد أن أعلنت أنها ضمت هذا القطاع إلى إسرائيل وفي هذا اليوم لا بد لنا أن نذكر كيف كافح سكان قطاع غزة من الفلسطينيين الشرفاء ضد العدوان الإسرائيلي وكيف قاتل رجال خان يونس وقتلوا واستشهدوا بل كيف نكلت إسرائيل بالشباب الذين كانوا هناك في هذه المنطقة وجمعتهم لتقتلهم ولتدفنهم بدون أن تحظر أهلهم . وبدون أن تحظر أى فرد من أهل القطاع بل بدون أن تحظر الأمم المتحدة . فكان الغدر الإسرائيلي . وكانت الخيانة الإسرائيلية التي لم تكن غريبة علينا والتي لم تكن جديدة علينا . ولكن هل أثر هذا القتل وهل أثر هذا الغدر في شعب فلسطين العربي . هناك قطاع في غزة ؟ لا ، لم يتأثر شعب فلسطين لأنه يؤمن بأنه لا بد أن يسترد حقوقه . ويؤمن بأنه رغم الكارثة التي حلت به في ١٩٤٨م أن الأمة العربية تستطيع أن تعيد لنفسها القوة والحياة . وتستطيع أن تعاونه على أن يسترد حقوقه في أرض وطنه .

إن عبء الدفاع عن قضية فلسطين أطماع إسرائيل وتهديد إسرائيل ومن هم وراء إسرائيل وفي نفس الوقت المحافظة على حقوق شعب فلسطين واستعادة حقوق شعب فلسطين يقع على عاتق الجمهورية العربية المتحدة .

(٦٢) من حديث للرئيس مع الصحفيين الأمريكيين بتاريخ ٢١ مارس ١٩٦٠م :
لقد أعلننا موقفنا من هذه المسألة في مناسبات متكررة ومازال رأينا كما هو في منع السفن الإسرائيلية والبضائع الإسرائيلية من المرور في القناة . أن هذه المسألة جزء من مشكلة فلسطين

وليس لها ارتباط بحرية الملاحة في القناة .

لقد انتهكت إسرائيل حقوق شعب فلسطين واستولت على أملاكه وأراضيه وفي رأينا وتصورنا أن البضائع الإسرائيلية هي في الواقع من ممتلكات العرب الذين أرغموا على الخروج من وطنهم .

وإنكم كما تعلمون أن إسرائيل ترفض دائماً تنفيذ قرارات الأمم المتحدة بشأن عودة اللاجئين الفلسطينيين وتعويضهم عما لحق بهم من أضرار وحقوقهم الثابت في ممتلكاتهم وأراضيهم وبذلك فإننا نعيد إلى أصحاب الحق جزءاً ضئيلاً من حقوقهم . هذه هي المسألة بكل بساطة وللأسف أن الشعب الأمريكي لم تتح له الفرصة للاطلاع على الحقيقة الكاملة فإن معظم الصحف فلا أمريكا لا تنشر إلا وجهة النظر الإسرائيلية وهو تصور المسألة على أنها أمر يتصل بحرية الملاحة بل لقد قالوا أن جمال عبد الناصر يزعج بقناة السويس بعد تأميمها في الأهداف السياسية للجمهورية العربية المتحدة وليس ذلك صحيحاً ، فإن الخطر على بواخر إسرائيل قائم منذ ١٩٤٨ م .

(٦٣) من تصريحات للرئيس فوق جبال الهيمالايا بتاريخ ٢ أبريل ١٩٦٠ م :
إن مشكلة إسرائيل ليست جديدة أنها مشكلة مزمنة وترجع إلى عشرات سنوات . إذ أن مليون عربي قد طردوا من ديارهم وسلبت ممتلكاتهم ، وأن إسرائيل ترفض تطبيق قرارات الأمم المتحدة التي اتخذت في هذا الشأن في عام ١٩٤٨ م ، وتنص على أن العرب يجب أن يعودوا إلى ديارهم وأن إسرائيل تهدف إلى التوسع على حساب المنطقة المنزوعة من السلاح . لذلك كانت الاشتباكات .

(٦٤) من حديث للرئيس عن أزمة الباخرة كليوباترا بتاريخ ٢٥ أبريل ١٩٦٠ م :
إن مسألة مرور السفن الإسرائيلية بقناة السويس تعد جزءاً من المشكلة الفلسطينية ويرجع تاريخها إلى عام ١٩٤٨ م وقد عرضت هذه المشكلة على الأمم المتحدة وعلى مجلس الأمن واتخذت عدة قرارات بشأنها ومن هذه القرارات قرار يقضي بوجوب عودة اللاجئين العرب إلى ديارهم ودفع التعويضات لهم عما حل بهم من خسائر بعد أن طردوا من بلادهم ، وحرموا من ممتلكاتهم ومن كل شيء في وطنهم ولكن ماذا حدث بعد هذه القرارات . لقد رفضت إسرائيل تنفيذ أي منها وأعلنت أنها لن تسمح لأى عربي من عرب فلسطين بالعودة ، أما العرب فقد أصروا على ضرورة تنفيذ هذه القرارات التي أصدرتها الأمم المتحدة ولكن إسرائيل لم تكتف برفض كل قرارات الأمم المتحدة بل طالبت أيضاً باستخدام خليج العقبة مع أن مياهه مياه إقليمية عربية حقاً وطالبت أيضاً باستخدام قناة السويس ولكن الصحافة

الأمريكية أغفلت حقوق عرب فلسطين . وراحت تبرز مطالب إسرائيل ومنها كبح رغبتها في استخدام قناة السويس ، إن السلع والممتلكات التي تريد إسرائيل استخدام قناة السويس من أجلها هي ملك للعرب ، لأن إسرائيل حرمت عرب فلسطين من ممتلكاتهم ومن أراضيهم ومن كل شيء .

إننا نعد ممتلكات إسرائيل بممتلكات لعرب فلسطين الذين حرّموا من أراضيهم وممتلكاتهم وقد صودرت شحنات كانت في طريقها إلى إسرائيل ومن هذه الشحنة كانت تحمل شحنة لحم مستورد من أريتريا وقد صودرت هذه الشحنة لأننا نعدها ملكاً للعرب استولت إسرائيل عليه .

إن المسألة ليست عناوين إنما هي مسألة امتلاك وملكية ونحن نعد ما تملكه إسرائيل ملكاً للعرب اغتصبته إسرائيل منهم بالقوة بغير حق .

وأن مشكلة فلسطين في نظرنا هي أولاً مسألة حقوق العرب الفلسطينيين ومادامت هذه الحقوق لم ترد إليهم ومادامت إسرائيل تصر على عدم تنفيذ قرارات الأمم المتحدة فيما يتعلق بهذه الحقوق ، فإننا لن نسمح لسفنها باستخدام قناة السويس .

أن الغرض من إنشاء كيان فلسطين هو مواجهة نشاط إسرائيلي لتصفية المشكلة الفلسطينية وإضاعة حقوق شعب فلسطين . وأما الجيش الفلسطيني فالغرض منه في الواقع هو الدفاع عن حقوق عرب فلسطين . وذلك أمر طبيعي ومنطقي ومن هذا يتضح أنه ليس من أهدافنا على الإطلاق أن نثير أية متاعب أو صعوبات أو أن نتخذ أي إجراء - ولا سيما فيما يتعلق بمشكلة فلسطين - من شأنه الإضرار بأي دولة ، من الدول العربية .

لقد ألفت الأمم المتحدة في عام ١٩٤٩م لجنة توفيق مكونة من فرنسا ، وتركيا والولايات المتحدة وقد عقدت اجتماعات في لوزان اشترك فيها مندوب إسرائيل ومندوبو الدول العربية وبحث الجميع في كيفية تنفيذ قرارات الأمم المتحدة ثم قبلت إسرائيل في عضوية الأمم المتحدة وفي اليوم التالي رفض مندوب إسرائيل الاستمرار في الاشتراك في اجتماعات هذه اللجنة . أن المسألة في الأصل مسألة حقوق عرب فلسطين . وإسرائيل تحاول بكل الطرق والوسائل وبكل أنواع الدعاية أن تجعل العالم ينسى أن ثمة شيء اسمه « حقوق عرب فلسطين » وهم المليون عرب الذين طردوا من بلادهم وحرّموا من كل شيء . أن إسرائيل تحاول أن تركز جهودها ونشاطها على رغبتها في استخدام قناة السويس .

نحن على استعداد للتعاون من أجل تنفيذ قرارات الأمم المتحدة بشأن حقوق عرب فلسطين وقد وافقت كل الدول العربية على هذا في مؤتمر باندونج كذلك وافقت كل الدول الآسيوية والأفريقية على ذلك . ولقد أوضحنا هذا بالتصريحات التي أدلينا بها في الهند في البلاغ المشترك الذي صدر عقب زيارتنا للهند . وكذلك البلاغ المشترك الذي صدر عقب زيارتنا للباكستان أما الإسرائيليون سرفضون قرارات الأمم المتحدة .

قبل العدوان الثلاثي سنة ١٩٥٦م بسبعة أيام صرح بن جوريون بأنه يسعى للسلام وبأنه يود أن يجتمع معاً للتفاوض بشأن عقد تسوية ولكنه كان قد أدلى بهذا التصريح في الوقت الذي كان يتأمر فيه مع بريطانيا وفرنسا لشن عدوان وهجوم على بلادنا . وبالأمر قال مندوب إسرائيل في يوغوسلافيا شيئاً عن هذا القبيل ومعنى هذا أن الإسرائيليين يحاولون بكل بساطة تضليل الرأي العام العالمي .

إنهم يقولون أنهم على استعداد للتفاوض مع العرب بقصد الوصول معهم إلى تسوية . ولكن بشرط واحد أنه يجب ألا يكون للعرب أية شروط فما معنى هذا ؟ معناه أن الإسرائيليين يريدون أن تتنامى فعلاً كل قرارات الأمم المتحدة بشأن حقوق عرب فلسطين .

(٦٥) من خطاب الرئيس في يوم انتصار العمال العرب بتاريخ ٧ مايو ١٩٦٠ .
أنا اليوم نواجه تحالف الصهيونية والاستعمار ، أنا نواجه معركة كبرى ندافع فيها عن مصيرنا ، وندافع عن وجودنا وندافع فيها عن قوميتنا ونجاهد فيها دول الاستعمار وهي تستخدم إسرائيل وتسليح إسرائيل لتعدي عليكم وعلى قوميتكم وهي الطريقة الجديدة التي يحاولون بها أن يقضوا على قوميتنا - واليوم نحن نستمع إلى الأنباء التي تقول أن أمريكا سلحت إسرائيل وأمدتها بالسلاح أن هناك اتفاقية سرية بين إسرائيل وأمريكا وعقدت في ١٩٥٢م تتذكر ما حدث في سنة ١٩٦٦م حينما عقدنا اتفاقية لشراء الأسلحة من تشيكوسلوفاكيا حينما ثارت أمريكا ودول الاستعمار ضدنا وحينما هددنا بالحرب الوقائية والحرب الشاملة وحينما هددنا أيدين كما قال في مذكراته بأنه لابد أن يقضى على أية قوة نامية وكانت إسرائيل تمثل رأس جسر الاستعمار .

كنا نحارب بالأسلحة التي حصلنا عليها . اليوم نرى أمريكا وهي تسليح إسرائيل فلا يمكن لنا بأي حال من الأحوال أن ننسى الهدف . الهدف من هذا هو حررتنا وإرادتنا واستقلالنا أن السلاح هو نفس السلاح . إسرائيل رأس جسر للاستعمار .. حينما نرى هذا نشعر أن علينا أن نفوق أنفسنا ونتمجد جميعاً لنحافظ على قوميتنا واستقلالنا وكرامتنا وأن علينا مسؤولية

كبرى هو مواجهة إسرائيل والاستعمار وبكل قوة ففرنسا تسلمح بالغواصات والدبابات ولكننا نتساءل ماذا سينتج عن هذا هل سيتمكنون اليوم أن يقضوا على قوميتنا وعروبتنا ونحن نذكر المعارك التي مرت بنا طوال هذه السنين وتأخذ من هذه المعارك الدروس والعظة ونؤمن في قرارة أنفسنا أننا كما - هزمناهم في الماضي سنهزمهم في الحاضر بإذن الله .

هذه معركتنا التي نجابها اليوم . معركة عميقة . معركة كبيرة معركة أطرافها الاستعمار والصهيونية في هذه الأسابيع جابنا معركة تتجه إلى تهديدنا وتتجه إلى إرهابنا تحالفت فيها الصهيونية والاستعمار والوئار الرجعية في جميع أنحاء العالم ، ورأينا الحملات تتجه إلينا الحملات الصحفية التي تهددنا والتي تقول أنه لا بد من حرية إسرائيل في قناة السويس نذكر هذه الثورة التي حدثت في سنة ١٩٥٥م ، ونقارنها بما كان يحدث في سنة ١٩٥٢م أمريكا تسلمح إسرائيل سراً اتفاقية لتسليم إسرائيل بين أمريكا وإسرائيل . سلاح بت يتلفق على إسرائيل السلاح لإسرائيل حلال أما السلاح لنا فهو حرام .

لقد طالبنا أمريكا سنة ١٩٥٢ بأن تمدنا بالسلاح . وكانت هناك اتفاقية وقعت بين مصر وأمريكا قبل الثورة . مثل اتفاقية إسرائيل مع أمريكا ولكن هل رضيت أمريكا أن تمدنا بأي قطعة من السلاح - لقد رفضت أمريكا أن تعطينا أى قطعة من السلاح من سنة ١٩٥٢ - لأنها تعلم أن هذا السلاح هو سلاح نحى به استقلالنا وليس بالسلاح الذى يكون السبيل إلى التفريط في هذا الاستقلال .

إننا نجابه اليوم معركة الاستعمار والصهيونية ضد بلادنا وضد قوميتنا استمرار للمعارك الماضية واستمرار لمعركة ١٩٤٨م وكلنا نذكر كيف أنه سنة ١٩٤٨م خاضن الدول العربية كلها الحرب لكى يتحد الشعب العربى في فلسطين الذى كان في حماية بريطانيا والذى تخلت عنه وتركته لإسرائيل واليهود ليقتلوه ويغتصبوا أرضه .

وكلنا نذكر أن الأمة العربية والشعوب لاعربية لم تجد من يمدّها بالسلاح وكيف أن العصابات الصهيونية وجدت في دول الاستعمار الموزرد الرئيسى للسلاح . وكان هذا السلاح يوجه إلى صدر العرب ليقتلهم وكان هذا السلاح يوجه إلى استقلالنا لكى يتحكموا فينا .

ومنذ أيام قليلة جرى في مجلس الشيوخ الأمريكى حديث ومناقشة طويلة فإن ضمير أعضاء مجلس الشيوخ الأمريكى استيقظ فجاء لينكلموا عن حرية الملاحة في قناة السويس . هؤلاء الناس خرجوا وقد استيقظ ضميرهم فجأة وقالوا أننا لا بد أن نتخذ إجراء من أجل حرية

الملاحه في القناة لإسرائيل . لماذا لأن هؤلاء الشيوخ في مجلس الشيوخ الأمريكي يقفون مع الحرية بكل معانيها .

وأنا أسأل هؤلاء الناس في مجلس الشيوخ الأمريكي الذين يتحدثون عن الحرية . حرية الشعوب . أين حرية جنوب أفريقيا .

هؤلاء الناس الذين تكلموا في مجلس الشيوخ الأمريكي ولبثوا الثوب الأسود ووجهوا الإهانات للعرب جميعاً وإلى الجمهورية العربية المتحدة إنما كانوا يخدعون الشعب الأمريكي تحت اسم حرية الملاحه لأنهم كانوا يعبرون عن الأهداف الصهيونية . ولماذا وإذا كانوا حقاً يتكلمون عن الحرية فكان الأولى بهم حينما يتكلمون عن حرية الملاحه في قناة السويس أن يتكلموا أيضاً عن حق شعب فلسطين . وعن حرية شعب فلسطين في العودة إلى بلدهم . ولكن عملاء الصهيونية حينما يتصنعون أن ضميرهم قد استيقظ وحينما يتصنعون أنهم يتكلمون عن الحرية ، إنما يريدون بهذا أن يخدعوا الشعب الأمريكي ويخدعوه عن الطريق الذي ينساقون فيه وهم إنما يعملون من أجل الصهيونية ومن تحقيق الأهداف الرجعية إنهم قد اجتمعوا منذ أيام وضللو الشعب الأمريكي ولطموا الحدود على حرية الملاحه في قناة السويس من أجل إسرائيل .

لقد قامت بعض الأصوات في مجلس الشيوخ الأمريكي لتفضح عملاء الصهيونية . قامت هذه الأصوات ولكنها كانت أصوات ضعيفة . لأن الصهيونية في أمريكا تحاول أن تستبعد الشعب الأمريكي وتخضع أمريكا وتجعل من نفسها قوة فوق دستور أمريكا . ففي ١٩٤٨م وقف أحد الوزراء في أمريكا ليجابه الصهيونية وهو وزير الحرية في هذا الوقت واسمه فورستا - ولكن الصهيونية استطاعت أن تقضى عليه . وأن تدفعه إلى أن ينتحر بأن يقذف بنفسه من أعلى طابق في إحدى عمارات أمريكا .

أنا أريد من مجلس الشيوخ الأمريكي الذي يتكلم عن حرية الملاحه في القناة والذي استيقظ ضميره فجأة والذي يتكلم عن الحرية . لكي يخدع شعب أمريكا أن يجب على هذا السؤال إذا اعتدت دولة أجنبية على أمريكا وأخذت جزءاً من أمريكا بالقوة كما حصل في فلسطين لأن إسرائيل أخذت جزءاً من أرضنا بالقوة هل تسمح أمريكا لسفن هذه الدولة بأن تسيير في قناة بنما ، مع فارق واحد هو أن قناة السويس قناة عربية في أرض عربية وفقاً لقوانين المعاهدات الدولية ووفقاً لجميع الاتفاقات التي نصت على حرية الملاحه في قناة السويس ، فإن كل الاتفاقات تقول أن قناة السويس هي قناة عربية وأنها قطعة من الأرض العربية وأن لنا الحق في أن نتخذ جميع الإجراءات لنحافظ على أمتنا وعلى سلامتنا .

هذا هو ردنا على عملاء الصهيونية في أمريكا وعلى هؤلاء الشيوخ الذين واجهوا إلينا الإهانات وهددونا والذين لمست ضمايرهم أموال الصهيونية ووسائل الصهيونية فقاموا ليهودوا ويوجهوا إلينا الإهانات . إننا نقول لهم إذا كنتم حقاً تعنون الكلام عن الحرية فإننا نريد أن نسمع منكم في مجلس شيوخكم الكلام عن الحرية أجمع نريد أن نسمع منكم في مجلس شيوخكم القرارات التي تمس المسائل التي تتعلق بالحرية في كل أنحاء العالم ، وإلا فأنتم لستم إلا عملاء للصهيونية اتخذتم من حرية الملاحة وسيلة لتنفيذ أساليب الصهيونية .

إننا نقول لهؤلاء الشيوخ في بلادهم إذا كانت إسرائيل والصهيونية تسيطر على مجلس الشيوخ في أمريكا ، وإذا كان الشعب الأمريكي يرضى لنفسه أن يخضع تحت وطأة الصهيونية لأن الصهيونية تمتد على الإغراء والرشوة ولأن الصهيونية تتحكم في رزقة ورقابة . ولأن الصهيونية تقيم بين ربوعه جمعيات صهيونية وإذا كان الشعب الأمريكي يرضى لنفسه وهو هذا الشعب الغنى أن يخضع للصهيونية فنحن هنا . نحن الشعب العربى لن نخضع لأمريكا ولن نخضع للصهيونية بأي حال من الأحوال لأننا نعلم أن لنا كرامة ندافع عنها ولنا حرية نبذل من أجلها الدماء والأرواح لنحرر بلادنا .

وإننا على استعداد لأن نعطي الشعب الأمريكي المثل الكبير بحمى الشعب الصغير حريته وكيف يحى استقلاله .

إننا على استعداد لأن نعطي هذا المثل . وإننا نأمل بأن نهيب شعب أمريكا الذى سيطرت عليه الدوائر الرجعية والصهيونية ليقضى على الصهيونية التى تتحكم فيه .

إننا حينما نتكلم اليوم عن هذه التهديدات التى وجهت إلينا ، فإنما ننظر إليها بازدراء واحتقار لأن هؤلاء "عملاء الذين أهانونا والذين رفعوا أصواتهم يتكلمون عن حرية الملاحة فى القناة لا يستحقون منا الاحترام لأن الوسيلة التى اتبعوها إنما هى تعبير عن الصهيونية تسير فى هذا المجلس كما سارت فى سنة ١٩٤٨م وأن الصهيونية فى أمريكا فى سنة ١٩٤٨م لم تسيطر على المجلس فقط .

ولكنها سيطرت على رئيس أمريكا فى هذا الوقت أكبر عميل للصهيونية .

(٦٦) من خطاب الرئيس فى المؤتمر العام للاتحاد القومى بتاريخ ٩ يوليو ١٩٦٠م :
علينا أن نذكر دائماً وجود إسرائيل وأن ندرك دائماً أن إسرائيل ليست أمامنا وحدها .
وانما هى رأس جسر للاستعمار ومركز أمامى لأطماع الصهيونية العالمية فى وطننا .

وعلينا أن ندرك أن استعادة حقوق شعب فلسطين ليس مجرد أمنية قومية وإنما هو ضرورة

حيوية لسلامة الأمة العربية كلها وهو الطريق الوحيد لقهر الخدذ الصهيونية وأحلامها التوسعية وانه ان الحق علينا أن ندرك أن كل تقدم نحزله الأمة العربية وكل فاعلية تعطيها من نفسها لعقائدها سوف تجعلها في المركز القوى . وسوف تجعلها أكثر قدرة وتمكنا على مواجهة إسرائيل وما يساندها من قوى الاستعمار والصهيونية .

(٦٧) من خطاب الرئيس في المهرجان الرياضي بتاريخ ٢٦ يوليو ١٩٦٠ .
حينما تركت فلسطين بعد أن سلحت الصهيونية وسجلت إسرائيل لتقضى على القومية العربية وتفتتها كانت إنجلترا هي التي خلفت إسرائيل ، ووضعتها في قلب فلسطين . التي تولت الأمانة عليها بناء على توصية الأمم ولا يوجد من يستطيع أن يصدق أو يستطيع أن يفكر أن إنجلترا التي أقامت إسرائيل ستساعدنا لنحمي أنفسنا ضد عدوان إسرائيل . أو ستساعدنا لنعيد حقوق عرب فلسطين .

لقد قال الجمهوري في بيانه اليوم : أنه سيعمل على أن تمر مراكب إسرائيل في قناة السويس . والله إذا كانوا هم رضوا بأن تركبهم إسرائيل وتسيطر عليهم وتقضى عليهم . فنحن لن نرضى بل سندافع لآخر فردمنا - سندافع لآخر قطرة من دمائنا في سبيل حقوقنا . حقوق العرب . حقوق عرب فلسطين التي اغتصبت . لا بيان الحزب الجمهوري ولا بيان الحزب الديمقراطي ولا بيان الجرائد . لهم أن يقولوا ما يقولون ولكن هذه السيارة في هذا البلد ملك لكم أنتم . ملك لهذا الشعب فقط . وليست ملكاً لحزب الجمهوري الذي يريد أن يكسب أصوات اليهود فهذا الكلام انتهى من زمن بعيد .

كلام واضح :

أن سياستنا نرسمها ونقولها على المفتوح لأن الشعب هو الذي ينفذ هذه السياسة أو يضعها موضع التنفيذ نحن حافظنا على استقلالنا وثبتناه وأعلنا عالياً بأننا سنستعيد حقوق فلسطين . ولا يمكن أن نضيع هذه الحقوق بأي حال من الأحوال لو كان عند الحزب الجمهوري إنصاف لتكلم عن حقوق فلسطين أو ت كلم عن قرارات الأمم المتحدة لشعب فلسطين ولكنهم يلمسون هذه القرارات وينسونها .

ويظنون - فقط - أن هذا الكلام يفيد من يمشي مع اليهود . ولكنهم إذا نسوا هذا الكلام فنحن لا ننساه . هذا كلام واضح مكشوف فأن حقوق شعب فلسطين لا بد أن نحصل عليها . والشعب العربي يحنده نفسه من أجل حقوق شعب فلسطين ويعبىء قواه من أجل استعادة هذه الحقوق .

(٦٨) من حديث الرئيس إلى مندوب التليفزيون البريطاني بتاريخ ٢٢ أغسطس ١٩٦٠ م
لقد رفضت إسرائيل أن تنفذ قرارات الأمم المتحدة وأهملت جميع الجوانب الخاصة باللاجئين
الذين طردوا من أراضيهم وحرموا من ممتلكاتهم . فالمشكلة الحقيقية هي عرب فلسطين .
الذين طردوا من أراضيهم وحرموا من وطنهم . في سنة ١٩٤٨ وقد تجاهلت إسرائيل قرارات
الأمم المتحدة الخاصة بحقوق شعب فلسطين وتجاهلت كل شيء يختص بحقوق عرب فلسطين .
ومضت في التحدي إلى أقصى حد محتمل وهناك أيضاً الخوف من سياسة إسرائيل العدوانية
فإن إسرائيل تستقبل مزيداً من اليهود الخارج ونحن نعتقد ونشعر أن المساحة التي تحتلها
إسرائيل الآن يمكن أن تنمى لها حياة طيبة . وعندئذ سيتحولون إلى التوسع . وقد نشرت
مراراً تصريحات كثيرة على لسان زعماء إسرائيل تقول أنهم سيتوسعون من النيل إلى الفرات .

(٦٩) من خطاب الرئيس في الأمم المتحدة بتاريخ ٢٧ سبتمبر ١٩٦٠ :
لا بد أن تتحمل الأمم المتحدة مسئوليتها تجاه فلسطين وشعبها العربي وذلك هو الحل الوحيد
لمشكلة اللاجئين من أبناء هذا الشعب وأن الأمم المتحدة تعلم من سوء أحوالهم ما يكفي
لرسم صورة مخزنة للظلام الذي يحيط بمليون من الشر طردوا من أراضيهم وديارهم وسلبوا
كل ما كانوا يملكون . ولست أريد هنا استدراك الدموع على أحوال اللاجئين من شعب
فلسطين وإنما أريد لشعب فلسطين حقوقه كاملة ولا أريد له الدموع . وأن التعلل بالأمر
الواقع لخطيئة كبرى ترتكب في حق المبادئ فلو قبلنا هذا التعليل لما جاز مطاردة السرق
لنسترد منه ما سرق ولنقتص منه بحكم القانون وما ذنبه ؟ ذلك أن سرقة تصبغ بعد إتمام
أمر واقعاً .. أن الأمر الواقع على غير أساس من العدل وحكم القانون اعوجاج يجب على
المجتمع الدولي تقويمه وتلافيه .

(٧٠) من خطاب الرئيس في عيد النصر الرابع بتاريخ ٢٣ ديسمبر سنة ١٩٦٠ :
يقولون اليوم أن إسرائيل تصنع قنبلة ذرية . وردنا على هذا أن هذا الكلام يزيد العرب
إصراراً على التمسك بالقومية العربية والوحدة العربية فإذا كانت إسرائيل تستطيع أن تصنع
قنبلة ذرية فإننا نستطيع أن نصنع القنبلة وإذا كانت إسرائيل تنشر هذه الدعاية من أجل تخويفنا
فإننا نخرج من هذا بنتائج كثيرة وهذه النتائج قائمة على شواهد في سنة ١٩٥٥ طلبنا من
الغرب تسليحنا فرفض وفرض شروط علينا وإسرائيل كانت تأخذ السلاح والفوس وعندما
اعتدوا علينا سنة ١٩٥٦ لم يهتموا على السلاح الذي أخفوه بل استغلوا طيارين من فرنسا
لأجل أن يحاربوا بهم . ولكن هل عجزنا أن نحصل على السلاح ، لم نعجز ولم تمكن إسرائيل
بأى حال من الأحوال أن يكون لها التفوق علينا . سيكون لنا دائماً التفوق مهما صرفنا
سيكون لنا التفوق الأبدى دائماً والتفوق الجوى .

زمن فرض الإرادة ولى :

إذا تأكدنا من أن إسرائيل تصنع قنبلة ذرية . فيكون معنى ذلك بداية الحرب بيننا وبين إسرائيل . إننا لا نتمكن إسرائيل من العمل على إنتاج قنبلة ذرية لابد أن نهجم قاعدة العدوان ولو جندنا أربعة مليون حتى نقضى على قاعدة العدوان ولكن هل تستطيع إسرائيل إنتاج قنبلة ذرية يقولون أن فرنسا تقوم بمساعدة إسرائيل .

ننظر إلى الذين يقولون بفرض صلح على العرب ونقول لهم يمكن أن تفرضوا صلحاً . تصرفوا في واشنطن وتصرفوا في لندن كما تشاؤون ولكن في القاهرة لا يمكن أن تفرضوا أى شيء الذى يخطب والذى تكلم سواء الحزب الجمهورى أو الديمقراطى إننا نقول لهم متأسفين ولا يستطيع أحد أن يفرض إرادته لأن زمن فرض الإرادة ولى وانتهى .

إن هذه الدعاية إن دلت على شيء فإنما تدل على أن دول الاستعمار تهيب الجو وتعدده لتسليح إسرائيل بأسلحة ذرية . وتقول أن إسرائيل أنتجت أسلحة ذرية . أنا لا أستبعد على الدول التي لم يكن عندها أى ذرة من الشرف في سنة ١٩٥٦م أن تتواطأ مع إسرائيل ويتفقوا معها اتفاقاً سرياً لأجل الهجوم علينا ونرسل إليهم جيشاً إلى سيناء حتى يمكن أن يواجهونا بعد هذا . فإننا لا نستبعد على هذه الدول أن تتواطأ مع إسرائيل وتعطيها أسلحة ذرية . طبعاً معركة مع الاستعمار ومعركة مع الصهيونية . وهناك تحالف بين الصهيونية والاستعمار . ولكننا سنحصل على القنبلة الذرية والأسلحة الذرية بأى ثمن . لأن الموضوع موضوع حياد أو سلام . ولكنه أصبح موضوع مصير وإننا سنحصل على القنبلة الذرية بأى ثمن كان .

أعلننا سياسة الحياد وعدم الانحياز ونحن نغرم من السلاح وإسرائيل تأخذ السلاح من الغرب أننا لا نفرط بأى حال من الأحوال في مبادئنا ولكن إذا إسرائيل تحالفت مع الاستعمار تتحالفت مع الاستعمار ضد حياتنا وضد مصيرنا فلا يمكن أبداً أن نقبل بأن نكون شعباً من اللاجئين فلا بد من اتباع كل وسيلة لنحافظ على بلدنا ثم نقضى على عدونا . هذا هو الكلام وهذا هو الرد وهو كلام واضح كلام لا توجد فيه تورية . ولكن كله وضوح . لن نخاف من تهديد إسرائيل ولا من حملات إسرائيل . ولن يرهبنا تهديد الاستعمار وتهويش الاستعمار بل نشعر بأننا أشد تصميماً وعزماً على استعادة حقوق شعب فلسطين العرى الذى حاربه الاستعمار والصهيونية لاغتصاب بلده منه .

(٧١) من خطاب الرئيس في مؤتمر المحامين العرب بتاريخ ٣١ يناير ١٩٦١ :
حينما نتكلم عن فلسطين . ونقول إننا نريد تحرير شعب فلسطين ونرد له حقوقه السياسية

والاجتماعية فقد اغتصب حقوق شعب فلسطين السياسية والاجتماعية وطرد هذا الشعب من أراضه وبلده ، وأن الاستعمار كان يستطيع أن يخطط وأن يرتب وأن يسيطر ولكننا دخلنا التجربة والآمال التي جاشت في صدورنا لم تتحقق وخرجنا من هذه المحنة ولم نوضع في سراديب التيه بل خرجنا من هذه المحنة أشد عزماً وإيماناً في العمل على تحقيق هدفنا . وهو أن الحق الحق ويوضع في نصابه . لقد استطاع الاستعمار أن يغتصب فلسطين ويعطيها للصهيونية ولكن هذا الدرس درس فلسطين محنة فلسطين سنة ١٩٤٨م هو نتيجة التجربة التي دخلنا فيها . واليوم عندما نعلن إننا نشارك شعب فلسطين وإننا ننسى الهدف الأصلي الأصل وإننا سنعمل على وضع هذا الهدف موضع التنفيذ لا يمكن أن ترهنا محاولات الاستعمار ولا مساعدات الاستعمار لإسرائيل . اليوم مثلاً أعلم أن بريطانيا أخذت تسلمح إسرائيل بالدبابات الحديثة هل هذا يفرعنا . إننا حينما نتكلم عن إسرائيل ومن خلف إسرائيل . فإن إسرائيل لا تمثل الصهيونية وحدها بل تمثل الصهيونية والاستعمار . وأن إسرائيل التي أقاموها بين ربوع الأمة العربية ليست إلا رأس جسر للاستعمار الذي يترصد بنا حتى يجد الفرصة فيتنقض علينا ليقتضى على القومية العربية فقد حدث هذا في عام ١٩٥٦م ولكن الاستعمار الذي تحالف ضد الأمة العربية والقومية العربية لم يستطع أن يحقق أهدافه .

(٧٢) من خطاب الرئيس في المؤتمر الشعبي بدمياط بتاريخ مايو سنة ١٩٦١م :
إن مأساة سنة ١٩٤٨م كانت نكسة وكان سلاح الاستعمار فيها الغدر والخيانة . الغدر بالعرب لأن بريطانيا كانت هي الدولة المسؤولة عن فلسطين كانت الدولة التي أخذت على عاتقها سلطة الانتداب على فلسطين . فماذا كانت النتيجة تأمرت بريطانيا مع الصهيونية فكان وعد بلفور بإعطاء فلسطين للصهيونية وكانت خطة بريطانيا في القضاء على شعب فلسطين ولكن الأمة العربية حينما رأت الخيانة هبت كلها في سنة ١٩٤٨م لتقاتل من أجل قطعة عزيزة على قلبها هب الشعب العربي في كل مكان يحمل السلاح .

(٧٢) من خطاب الرئيس في العيد العاشر للثورة بتاريخ ٢٢ يوليو ١٩٦١ :
إسرائيل التي أقامها الاستعمار في قلب العالم العربي للقضاء على القومية العربية ، لضرب الأمة العربية وتمنع الأمة العربية من أن تصحو وتبنى نفسها اجنحياً واقتصادياً وسياسياً . ولكن هل منع إسرائيل الأمة العربية من تحقيق طريقها حقنا الاستقلال والحرية والوحدة العربية بقيام الجمهورية العربية المتحدة . وفي نفس الوقت نسر في طريق تحقيق الاشتراكية الديمقراطية التعاونية ، هل خوفنا إسرائيل ؟ دفعنا إسرائيل لأن نبني الجيش الوطني القوي . بل أخافنا من هو وراء إسرائيل ؟ هل أخافنا الاستعمار الذي أقام إسرائيل والذي يحمي إسرائيل ؟ هل أخافنا الذين يقولون أن إسرائيل خلقت لتبقى ؟ لم نخوفنا لأننا لازلنا نؤمن بقوة وشدة بحق

شعب فلسطين في بلده وفي أرضه ، ولا يمكن أن يدفعنا هذا إلا إلى التصميم وشدة التصميم .
(٧٣) من حديث الرئيس للتلفزيون الأمريكي كوليا بتاريخ ٢٦ أغسطس ١٩٦١ م ..
إنما نرى دائماً ثمة خطرين في وجود إسرائيل - الخطر الأول يتمثل فيما تعرض له الشعب
العربي في فلسطين - في محاولة إبادة وطرده من بلاده . وفي حرمانه من ممتلكاته بل ومن
كل شيء .

الخطر الثاني : فتمثل في التهديد الموجه إلى الأمة العربية وذلك أمر يسهل التأكيد منه
خلال قراءة الجرائد الإسرائيلية والخطب التي أُلغيت طوال الخطة الإنتخابية الإسرائيلية في
الفترة الماضية ولقد بات أمراً واضحاً إن إسرائيل تتطلع إلى التوسع بل لقد كان الموضوع
الرئيسي خلال الحملة الإنتخابية هو ذلك اللوم الذي تبادله الأحزاب فيما بينها لأن الظروف
لم تنتهز لإحتلال الضفة الغربية لنهر الأردن ، أو لإحتلال قطاع غزة أو لإحتلال جزء من
سوريا .

أني أتوقع الهجوم من إسرائيل في أي يوم الآن أو غداً أو بعد غداً ، إنهم يحشدون قواتهم
المسلحة ويتلقون المساعدات من الغرب كما يتلقون الأسلحة الحديثة من فرنسا بصفة رئيسية .
هذه وجهة نظرنا القائمة على الحق والعدل ولكن السؤال الذي يجب أن يطرح أيضاً
هو ما هي وجهة نظر الحكومة الإسرائيلية والرد أن حكومة إسرائيل ترفض هذا المنطق القائم
على الحق والعدل .

إنهم يقولون أنهم لن يسمحوا لأى عربى بالعودة والغريب أنهم في مقابل هذا يدعون
إلى الهجرة اليهودية من الخارج إلى فلسطين . هذه وجهة نظرهم المتناقضة والخطيرة في نفس
الوقت .

(٧٤) من خطاب الرئيس في عهد الوحدة بتاريخ ٢٢ فبراير ١٩٦٢ م .. إن التخلف هو
الشيء الوحيد الذى يضمن البقاء لإسرائيل على أرضنا إلى الأبد والخطر الإسرائيلي يتلاشى
حتى قبل المعركة - العسكرية الفاصلة إذا تمكنت الأمة العربية أن تخلص نفسها من التخلف
الذى فرضه الإستعمار عليها والذي يحاول الرجعية أن تفرضه الآن .

(٧٥) من الميثاق الذى قدمه الرئيس جمال عبد الناصر إلى المؤتمر الوطنى للقوى الشعبية
مساء ٢١ مايو ١٩٦١ م ..

إن إصرار شعبنا على تصفية العدوان الإسرائيلى على جزء من الوطن الفلسطينى هو تصميم

على تصفية جيب من أخطر جيوب المقاومة الإسرائيلية الإستعمارية ضد النضال والشعوب .
وليس تعقيب سياستنا للتسلل - الإسرائيلي في أفريقيا غير محاولة لحصر إنتشار سرطان
أستطرى مدمر .

(٧٦) من خطاب الرئيس إلى أعضاء المجلس التشريعى بغزة بتاريخ ٢٢ يونيو ١٩٦٢م ..
أرجو من الله أن يجمعنا دائماً فى مناسبات أسعد .. يجمعنا وقد عادت حقوق الشعب
الفلسطينى إلى شعب فلسطين وقضية شعب فلسطين هى قضية كل عربى حر .. والشعب
هنا فى الجمهورية العربية المتحدة يشعر كما يشعر أبناء فلسطين نحو فلسطين .. حينما كنت
أتكلم - عن فلسطين والقضية الفلسطينية والوحدة العربية كان الشعب يخرج من صوابه ..
هذا هو الشعب العربى فى كل مكان من الوطن العربى .. ولكن الظروف التى مرت بها
أمتنا تسببت فيما حدث عام ١٩٤٨م الظروف التى لم تكون ولدة سنة ١٩٤٨م فقط وإنما
من الحرب العالمية الأولى ومن - وعد بلفور ومن المفاوضات والمساومات المختلفة التى حدثت
حتى عام ١٩٤٨م .

وعندما ذهبت فى أول يوم وهو يوم ١٦ مايو دخلت إلى رفح لم يكن هناك جيش
ليقاتل .. وربما كانت الجيوش العربية دخلت لتنفذ التقسيم وهذا هو المهم فى أن الجيش
المصرى كان يسير على الساحل حتى أسدود لينفذ الخطة الموجودة للتقسيم .. وأنا أعتبر أن
سبب النكبة فى عام ١٩٤٨م هم العرب أكثر من اليهود .

وفى عام ١٩٤٨م ضاعت منا بمواقع بدون قتال والذين كانوا موجودين فى الفالوجة أو
عراق المنشية أو بيت جبرين ... وبيت جبرين ضاعت - بدون قتال ... والخط الموجود على
ذكرين ودير الدبابات ودير إيمان وبئر الجمال وكل هذه المناطق ضاعت بدون قتال ولم تطلق
فيها رصاصة واحدة .. والدوايمة أيضاً ضاعت بدون قتال .. فلم يحدث فى كل هذه المناطق
أى قتال ... وكل هذا إستولى عليها اليهود بلا قتال وهم يدعون الآن أمام العالم أنهم حاربوا
وكسبوا معركة ١٩٤٨م .

وفى سنة ١٩٤٨م حاربنا وحوصر جزء من الجيش المصرى فى الفالوجا وعراق المنشية
ولقد رأيت الفلسطينيين فى عراق المنشية .. وكان معنا الشيخ خالد مختار فى عراق المنشية
وقد إستشهد أبناؤه أمامى ولم يكن يلتفت لأحد من أبنائه وقد أريق فى هذا اليوم الدم
الفلسطينى والدم المصرى وقد بلغ عدد الذين أستشهدوا ١٥٠ شهيداً من الكتيبة المصرية
وقتل أيضاً عدد كبير من الفلسطينيين المناضلين ودخل اليهود وأستولوا على ثلثى عراق المنشية
ولكن لم يتمكنوا من الصعود وإستطعننا أن نعيد - الإستيلاء على مواقعها ونكبد اليهود فى

هذا اليوم ... يوم ٢٨ ديسمبر سنة ١٩٤٨ م .. خسائر بلغت حوالى ٤٠٠ قتيل وقمنا بدفنيهم وأنا ذهبت بعد إنتهاء الحرب وبعد الهدنة إلى عراق المنشية في يناير سنة ١٩٥٠ م - ودخلت بواسطة رجال الهدنة لأطلع اليهود على مقابر هؤلاء الجنود - لهم م مسيحيو سرقتها وطلبوا من رجال الهدنة أن يرسلوا أحد المصريين ليريههم هذه المقابر .. وقد أوفدنى الجيش المصرى لأعين لهم - المقابر لأننا كنا نتبادل الحديث وقد ذهبت معركة ١٩٤٨ م هباء .. ولم تخارب إسرائيل في هذه المعركة وإنما الذى حارب فيها هو الإستعمار ولم تكن في معركة ١٩٤٨ م أحراراً ولم تكن إرادتنا ملكاً لنا .

وقد دخلنا حرب ١٩٤٨ م ولم تكن لدينا دبابة واحدة ولم يكن لدى اليهود أيضاً دبابات ولكن بعد فترة استطاع اليهود الحصول على دبابات وعلى قاذفات لهب وحصلوا على أسلحة من الدول الغربية ونحن كانت ذخيرتنا تنقص باستمرار ولا نستطيع أن نستعاض عنها .

وقد ضحكك اليهود علينا بالخديعة واليهود ليسوا إسرائيل فحسب وإنما هم إسرائيل ومن وراء إسرائيل وهذا هو العدو الذى يجب أن نعمل حسابه باستمرار في علم ١٩٤٨ م .. كما نحن العرب المنشغلين - عن هذه النكبة وليس نتيجة ١٩٤٨ م فحسب وإنما نتيجة ١٩٤٨ م وما قبلها .

والقائد الذى على غير استعداد ومحاول إيهام الناس أنه مستعد والقائد الذى لا يثق في النصر ومحاول أن يوهم الناس بأن النصر قريب المال يكون خائناً في حق بلده ووطنه «وأعدوا لهم ما استطعتم» فلا بد من أن نعد أنفسنا لا نتكلم ولا نعمل مزاييدات سياسية ، ولا نفرق الناس في الأوهام والآمال ونحن لسنا على استعداد . فلا بد من الإستعداد والإستعداد ليس بالقوة فحسب وإنما الإستعداد بالقوة - والأخلاق .

وإذا تحدثنا عن حقيقة شعب فلسطين واستعادة حقوق شعب فلسطين فسيبينا إلى ذلك هو الأخلاق ليس بالنسبة إلى فلسطين فقط أو بالنسبة لقطاع غزة ولكن بالنسبة لجميع الدول العربية ، والشعب العربى مستعد للتضحية بالمال والروح والدم .

وقلت إن إسرائيل ستكون مستعدة لتحويل نهر الأردن في ١٩٦٣ م ومن الضرورى أن نستعد ونضع الخطط وندير أنفسنا منذ عام ١٩٥٩ م ويجب أن نبحث الناحية السياسية والناحية الفنية منذ ذلك الحين وشكلنا لجنة لبحث هذا الموضوع - وكانت تهدف إلى عرمان إسرائيل من موارد المياه العربية لأن هناك مياهاً تضيع من سوريا وتذهب إلى نهر الأردن ونحن نستطيع أن نعمل هذه - المياه لاستخدامها في أراضينا وبهذا نحرم إسرائيل من المياه العربية .

إن هذا هو أول عمل في تهيئة أعمال سياسية ، ثم تفكر في النواحي العسكرية . وإذا كنا سنقوم بعمليات عسكرية لابد أن تكون على استعداد للقيام بها .. وإذا لم تكن على استعداد يجب أن نعمل حسابنا حتى - نكون على استعداد بحيث لا ندخل فيحدث لنا ما حدث في عام ١٩٤٨ م .

فعندما إتخذ قراراً يجب أن أكون على ثقة من أنني سأستطيع فرض رأيي على قواني وأستطيع فرض قواني على بن جوريون وعلى الذين وراء بن جوريون وإلا أكون مقامراً بمصر بلدي - وأدخل في نكبة ثانية تشابه نكبة سنة ١٩٤٨ م وأرى أنهم واصلوا إلى دمشق وسيقيم الجيش السوري - والقوات السورية بمواجهة ولكن دمشق على بعد ١٠ كيلو من إسرائيل بدلا من أن يأخذ اليهود من الوطن العربي نجد هناك أساليب وهناك خططا كلنا نعرفها ... ويجب أن نتبع الخطط لكل ذلك .

فلو حسبنا في عام ١٩٤٧ م لما حدث لنا ما حدث منها سنة ١٩٤٨ م ولكن أحداً لم يحسب حساباً لشيء فقى مصل . قرروا الحرب قبلها بأسبوع أو عشرة أيام ولم يكن في حدود فلسطين لواء واحد عبارة عن ثلاث كتائب موجودة في العريش ولم يكن هناك ذخيرة معدة ولا خطوط إمدادات .

فالحرب هي دفاع وإنسحاب وهجوم والقائد المظفر يعرف متى يهجم ومتى ينسحب ، أما لو فرضت عليه الظروف الإنسحاب وهجم أصبح قائداً من غير جنود وسيودى بجيشه وبهذا لم يفد نفسه ولا بلده .

وبالنسبة لهذه القضية يجب أن تعرف متى تقف ومتى تهجم ومتى - ننسحب ولكن في كل هذه الحالات ينبغي أن تستعد باستمرار وتقوى أنفسنا مادياً ومعنوياً وإن شاء الله ربنا يوفق العرب ووحدته العرب أساس كبير والوحدة العسكرية التي كانت في عام ١٩٥٦ م وهي القيادة المشتركة بين سوريا والأردن ومصر وقف بن جوريون وأعلن أن هذه القيادة وضعت إسرائيل كالبندقية داخل كسرة البندق وقد أعلن هذا الكلام في الكنيست .

هذه هي القيادة العسكرية الموحدة فما بالنا بوحدة الأمة العربية والشعوب العربية .

(٧٦) من حديث الرئيس لصحيفة الصنداي تايمز الإنجليزية في يونيو ١٩٦٢ م ..

في مايو ١٩٤٨ م إنتهت بريطانيا انتدابها في فلسطين وأحسنا - أن قضية فلسطين لا يمكن أن تستخدم من أجل أهداف سياسية أو أهداف شخصية وقد قلت أن هذه القضية هي

أصعب قضية في العالم .. ومن يقول أنه وضع خططاً لحلها إنما يلدعكم فأماننا قضية معقدة ويجب أن نستعد لها بكل القوى المعنوية والمادية .. القوى المعنوية أساسها الأخلاق والوحدة . وحدة الكلمة ووحدة الصف .

والقوى للمادية أن نعمل كل ما يمكن عمله حتى لا نصاب كما أصبنا - في عام ١٩٤٨ م .

نحن في عام ١٩٥٦ م تعرضنا لعدوان انجليزى فرنسى إسرائيل وأنا لم أتردد أن أصدر الأوامر بالإنسحاب لأن واجبى يحتم على هذا ... والموقف العسكري يحتم على أن أصدر قراراً بسحب الجيش المصرى من سيناء إلى غرب القنال وأترك أهل العريش وغزة والطور .

ومعنى هذا أنني أصدرت أمراً بعدم القتال حتى أجنب أهالى غزة ويلات القتال الذى لس له هدف عسكري . وقد قاتلوا في خان يونس وبعض المناطق الأخرى وكانت خطتنا التى نتجت عن هذا ألا يقاتلوا وأن يسلم هذا الجزء .

فهذه هى روح العرب وخصائصهم فنحن لا ننسى حقوقنا وسبيلنا إلى هذا أن نتحد ولا نختلف وتكون بدأ واحدة فأى خلال لن يصيبنا منه إلا البلاء والضرر لأولادنا وينبى أن يضحي كل واحد بجزء من نفسه في سبيل أن نتحد ونجمع الشعب الفلسطينى وهذه مسؤوليتكم فيجب أن تذهبوا إلى كل بلد في فلسطين وتحملوا المسؤولية وتعملوا وتجمعوا الأموال لإنشاء المدارس ولا تعتمدوا على أموال الإغاثة لأنها ستنتهى يوماً ما ويجب أن تطلبوا الأموال وتصنعوا ونحن مستعدون للتعاون معكم على أن هذا حق لكم وليس مساعدة ، لأنكم ضحيتم عام ١٩٤٨ م من أجل الأمة العربية كلها .

فحقوق فلسطين تتطلب العمل الدائم المتواصل والاتحاد الكامل والإستعداد وعليكم أن تتصلوا بالفلسطينيين في كل بلد للعمل من أجل قضيتكم وأولادكم ويجب بأن تقضوا على الخلافات بينكم لا من أجل جمال عيد الناص وإنما من أجل فلسطين ومن يستخدم هذه القضية من أجل موضوع شخصى يكون قد خرج على المبادئ الأخلاقية وخرج عن الأهداف أصعب القضايا في العالم لأنها ليست إسرائيل وحدها وإنما إسرائيل ومن وراء إسرائيل ولكن الله أكبر من وراء إسرائيل ونحن مؤمنون وبهذا الإيمان نستطيع أن نحقق هدفنا .

ومن الطيبى أن الوحدة العربية كانت علامة مساعداً وكانت بالنسبة لبن جريون البلاء الأكبر .. وربما البعض يسمع إذاعة إسرائيل ويسمع - ما تردده محطة إسرائيل باستمرار ..

فمن عمل اليومى قراءة ما تذييه محطة إسرائيل ، وما تذييه محطة إسرائيل هو بذر الشقاق بين العرب ... ومحاولة تفتيت العرب لأن هذا يمكن إسرائيل من أن تؤدى تقوى ويجدوا

الأمل في حل قضاياهم .

خسرنا فعلاً في عام ١٩٤٨م خسارة ولكن هذه الخسارة نهبت الشعب العربي ... والأمة العربية بالواجب عليها نحوكم لتحقيق أهدافكم - في استعادة حقوقكم في فلسطين ... وسيحاول الإستعمار والصهيونية - بكل الوسائل تفتيت الأمة العربية لأن الوحدة العربية هي السبيل الذي - يمكننا من أن نحقق هدفنا في إستعادة حقوق فلسطين . وكنت أذهب إلى غزة لأشتري للمجنود جينة وزيتون بنفسى لأن لم تكن لدينا تعينات وطوارئ وهذا هو طعام الجنود الذين سيذهبون للقتال وجيش بهذا الحال كان الأفضل إلا يحارب وكان من الأكرم لهم أن يرفضوا الدخول في الحرب أو يتركوا الشعب الفلسطيني وعمده بالسلاح والذخيرة ليقاتل .

ولكن الشعب الفلسطيني رأى ٧ دول عربية دخلت للقتال وأطمأن وأعتبر أن السبع دول بسبعة ملوك ورؤساء وسبعة أركان حرب - تستطيع الدفاع عن فلسطين ولكن خاب أمله .

وهذا هو الكلام الذى يجب أن نفهمه ونعمله ولا بد أن نستمد ونترك - الكلام وضحك السياسيون والمتاجرة بقضية فلسطين .

وعلينا نحن نتمسك بالقيم والأخلاق ونعمل ونستعد وننبد - الأساليب والقيم التى يقوم بها تجار السياسة فعلاً مختلف ؟.... لا بد أن نتحد ولا بد أن ننهى الخلاف لأن أماننا قضية من أصعب القضايا .. ومن يقول لكم أن قضيتكم سهلة فأنا يخدعكم قضير فلسطين جميعاً بأن اللحظة جاءت للدفاع عن حقوق العرب ضد ما أعتبرناه انتهاكاً صارخاً لعدالة الدولية وحدها والكرامة الإنسانية .

أن وضع إسرائيل في منطقتنا وضع لاسبيل إلى قبوله بتاتا إلا فليس في إمكاننا أن نتراجع عن إصرارنا بالإعتراف بحقوق عرب فلسطين إعترافاً كاملاً وأن ترد إلى المليون عربى اللاجئين في قطاع غزة دورهم التى شردوا منها ، إن كل تفكير في إجراء مفاوضات الصلح مع الإسرائيليين ضرب من المحال حتى ولو كانوا على استعداد لأن يقدموا تعويضات مالية من نوع ما محال أن نشترى وطن لإنسان أو أن تباع روحه أو حقوقه الإنسانية الجوهريه .

(٧٧) من خطاب الرئيس في المؤتمر الوطنى للقوى الشعبية بشأن الجزائر بتاريخ ٢٠ يوليو ١٩٦٢م .

أما نضالنا في فلسطين سنة ١٩٤٨م لماذا انتكس ؟ لأننا دخلنا المعركة بدون أن نستعد .

وقال البعض إنها نزهة .

هذا هو السبب فكستنا سنة ١٩٤٨ ولهذا فأنا حينما تكلمت مع ممثلى شعب فلسطين منذ أيام قلت لهم أن علينا أن نستعد وعلينا ألا نتحرك أى خطوة إلا إذا كنا على استعداد وكفانا لما لسنائه فى سنة ١٩٤٨م ... قلت لهم أن النضال أن يكون شعب فلسطين - هو الطامعة ويجب علينا أن نعزز هذه الطليعة بجميع الإمكانيات المادية والعسكرية للجمهورية العربية المتحدة .

قلت هذا ونحن نعرف مسئولياتنا ونقبلها برضى وطيب خاصر .

قلت صراحة لممثلى شعب فلسطين أن المسئولية تقع عليهم كطليعة ولكن لا بد لهم من الإستعداد . وقلت لهم أن علينا أن نعزز موقفنا .. علينا أن تستعد فى جميع الميادين . الميادين المادية والميادين الروحية والميادين العسكرية ونحن هنا علينا أن نعزز قدرتهم بمحشد كل إمكانياتنا المادية والمعنوية والسياسية والعسكرية فى الجمهورية العربية المتحدة ووضعها موضع الإستعداد الكامل حتى نضمن النصر وحتى لا تتكرر مأساة ١٩٤٨م .

(٧٨) من خطاب الرئيس فى العيد العاشر للثورة فى ٢٢ يوليو ١٩٦٢م ..

إن القوات المسلحة مستعدة أن تحمى أماني الشعب العربى وآماله .

القوات المسلحة التى خاضت المارك فى سنة ١٩٤٨م فى فلسطين وأستشهد أبناءها فى فلسطين لن تتخلى عن العروبة أبداً لأننا نشعر أننا جزء من الأمة العربية ، جزء من الشعب العربى .

القوات المسلحة وهى تشعر بالقوة وهى تشعر بالفخار تشعر إن علينا واجباً نحو شعب فلسطين ونحو حقوق شعب فلسطين .

(٧٩) من خطاب الرئيس فى العيد الجادى عشر للثورة بتاريخ ٢٢ يوليو ١٩٦٣م ..

إذا هاجمت إسرائيل على الأردن لا بد أن تحارب . كل دى - أعمالنا إحنا قمنا بها ماكفرناش بالوحدة العربية ماكفرناش بالأمة العربية ماكفرناش بالقومية العربية ما قلناش واحنا مالنا بالعرب تعبونا العرب دوخونا الكلام اللى كانوا يقولوه لنا الإنجليز فى سنة ١٩٤٨م بعد حرب فلسطين . ليه لأن إحنا عرب وإحنا قاعدة القومية العربية ولم نكفر بالقومية العربية ولا بالوحدة العربية وسنعمل دائماً من أجل القومية العربية والوحدة العربية وكل واحد فينا حيسلم العلم الثانى المسألة مش مش شخصية مش بتاعة عبد الناصر ولا بتاعة عبد الحكيم

عامر ولا بتاعة فلان أو إعلان رسالة بتاعة الشعب بتاعتكم أت بتاعة كل واحد من أبناء هذا الأمة لأن هذه الرسالة هي الرسالة الطبيعية ..

(٨٠) من تصريحات الرئيس في المؤتمر الصحفي الدولي الثالث بتاريخ أول أكتوبر ١٩٦٣ م ..

لا بد أن نفهم مشكلة إسرائيل وكل واحد لا يتأثر بالدعاية التي تحاول إسرائيل أن تخذع بها شعوب العالم .

فمشكلة إسرائيل لم يحدث مثلها في التاريخ . بريطانيا كانت قائمة بالإنتداب في فلسطين . الشعب الفلسطيني كان يمثل ٩٠٪ أو أكثر من سكان فلسطين الإسرائيليون يمثلون ١٠٪ تحالف الإستعمار مع الصهيونية على طرد الشعب الفلسطيني من فلسطين وأعطاه هذه - البلاد لإسرائيل لإقامة دولة مبنية على الدين دولة اليهود - يمكن الإعتراف بالأمر الواقع .

هناك أكثر من مليون عرقي طردوا من فلسطين وسلبوا أملاكهم وتعرضوا للعدوان وتعرض أولاهم ونسائهم للقتل لأنهم طردوا تحت الإرهاب في سنة ١٩٤٨ م و ١٩٤٩ م اتخذت الأمم المتحدة قرارات عن طريق مجلس الأمن تنص على عودة الفلسطينيين إلى بلادهم أو تعويضهم عن أملاكهم التي اغتصبت وضرب بهذا الكلام عرض الحائط بل أكثر من هذا أن الأمم المتحدة قررت أيضا في أواخر ١٩٤٨ م أن تقيم لجنة للتوفيق بين العرب وإسرائيل وأجتمعت في لوزان وتتكون اللجنة من الولايات المتحدة وفرنسا وتركيا وتتبع الأمم المتحدة وبعد إجتماع واحد رفضت إسرائيل أن تحضر هذه اللجنة وأعلنت أنها لن تسمح لأى فلسطين أن يعود إلى بلده ..

النهارة الموجود في إسرائيل حوالى ٢,٥ مليون إسرائيلي و ٢٠٠ ألف عرقي يعاملون كمواطنين من الدرجة الثانية من مناطق مقفلة خاضعة للحكم العسكري هناك تمثل عنصرى ضدهم ولا يستطيعون أن يعملوا في الأعمال التي يريدونها ولا يستطيعون أن يتحركوا من مكان إلى آخر تحت الحكم العسكري فهل هذا عدل وإذا تصور أى واحد منكم من يسأل من أمريكا أو بريطانيا أو سيلان في جنوب بريطانيا طردنا الإنجليز الموجودين هناك وجاء غرباء عن إنجلترا وأحتلوا نصف إنجلترا أو جزء من إنجلترا وطردوا الإنجليز وأخذوا أملاكهم . هل هذا الأمر الواقع يرضى به الإنجليز ويتنازل عن أملاكه وحقه في بلده ووطنه - وبالنسبة للأمريكي هل ولاية كاليفورنيا إذا حدث فيها نفس الشيء إذا جاءت الصهيونية و أخذت كاليفورنيا وطردوا الأمريكيين عن كاليفورنيا هل يقبلوا هذا الوضع والأمر الواقع وهل يمكن أن نعتبر هذا عدل . شعب فلسطين في بلده وفي وطنه . كيف يتحقق هذا لا أستطيع أن -

أقول لكم كيف . ولكن هذه المنطقة من العالم ولها حدود كبيرة جداً وسكان هذه المنطقة لم يسكنوها من ٢٠٠ سنة أو ٣٠٠ سنة أو ٤٠٠ سنة بل سكنوها من آلاف السنين .

(٨١) من خطاب الرئيس في حفل إستقبال الأبطال بتاريخ ٢٢ أكتوبر ١٩٦٣ م ..

إننا ضد العدوان في الوقت الذى نحاول فيه أن نحل هذه المشكلة بكل الوسائل السليمة . ونحن نتحمل مسئوليتنا .. والمسئولية لا تتجزأ مهمتنا هنا في الجمهورية العربية المتحدة .. معمة هذا الشعب . في هذه القلعة المناضلة من أجل الحرية ومن أجل الإستقلال ومن أجل المبادئ والمثل العليا ما زالت أساسية .

ونحن نتعرض لأننا نتحمل هذه المسئوليات نتعرض لأساليب مختلفة .. إسرائيل مثلاً .. ما بثها جشئ أبداً .. الى يسمع أذاعة إسرائيل أو يقرأ إذاعة إسرائيل .. كل الهجوم على الجمهورية العربية المتحدة . على شعب الجمهورية العربية المتحدة على الجيش المصرى ، على القوات المسلحة المصرية راديو إسرائيل يوجه كل عدائه لنا .

راديو إسرائيل يوجه حملاته لنا .. إمبراح رئيس وزراء إسرائيل ليفى أشكول يعمل حملة على مصر مبنية على الكذب .. حملة على بنائنا للصواريخ . حملة بنائنا للطائرات . حملة لأننا نستخدم فنيين ألمان ويقول أن مصر قاعدة العدوان ومصر هي التي بتعمل أسلحة . وهو بهذا يريد أن يخدع الناس . عايز يسفل العالم كله . من هي قاعدة العدوان ؟ من هي قاعدة الإستعمار في هذه المنطقة ... ؟ إسرائيل كانت دائماً قاعدة العدوان .. سنة ١٩٤٨م كانت إسرائيل قاعدة للعدوان .. إسرائيل التي تريد التوسع والتي تريد أن تستولى على حقوق العرب . وفي سنة ٥٤ وفي سنة ١٩٥٥م إسرائيل هي التي هاجمت على غزة ونشلت الشعب الفلسطيني السالم في غزة في سنة ١٩٥٦م إسرائيل اعتدت على مصر متواطئة مع بريطانيا وفرنسا ومع هذا يريد رئيس وزراء إسرائيل أن يضلل الرأى العام العالم . وأعتبر أن الرأى العام العالمى دا كله مشغل وبصدق كلامه حينما ينادى أن مصر هي قادة العدوان .

إننا نعمل وأنتم النهاردة كتبوا في المركب الصبح .. وإنتوا جاين من معركة الشرف في اليمن .. كنتم بتقولوا فلسطين .. فلسطين دا النداء إلى بينادى بيه كل عربى لأن فيه عدوان حصل على فلسطين . ثم هناك عدوان تعرضنا له نحن وتعرضت له البلاد العربية الأخرى من إسرائيل محاولات الصهيونية في العالم له ضد مصر . في أمريكا الصهيونية علشان أحنأ ساعدنا اليمن بتحاول تركز حملاتها ضد مصر . ولكننا سنسير في طريقنا . سنحمل مسئوليتنا على أساس أن سلامة الثورة العربية لا تتجزأ وأن ضرب أى ثورة عربية متحررة معناه ضرب باقي الثورات العربية والمحررة .

مهمة هذا الشعب الأساسية ... وإننا نعلم ما تبيته لنا إسرائيل وما تبيته للأمة العربية كلها .. إن إحنا سنبنى أنفسنا وستقوى أنفسنا علشان نقوم بواجبنا ونسير في طريق الواجب .

لا بد من عودة حقوق شعب فلسطين .. هذا هو نداء رفة العالم العربي دائماً مهما مضى من الوقت لا بد لنا من أن نعيد حقوق شعب فلسطين إلى شعب فلسطين ولا بد أن تكون قادرين على أن تنصدي لقاعدة العديوان في إسرائيل .

(٨٢) من خطاب الرئيس في بازرت بتونس بتاريخ ١٣ ديسمبر ١٩٦٣ م ..

واليوم وأنا أسمعكم تنادون فلسطين .. فلسطين .. كنت أشعر بنفس الشعور الذي لمستته في كل زيادة لفلسطين ، فلسطين تستدعي منا أن نقوى أنفسنا .. وفلسطين تستدعي منا أن ندافع عن قوميتنا وفلسطين تستدعي منا أن نقضى على الآثار التي أقامها الإستعمار ليفرق بيننا ويقسمنا إلى شعوب متفرقة .. فلسطين تستدعي دفاعاً عن القومية العربية .. فليست الوحدة العربية إلا أن تكون إرادة الشعب العربي الذي فرقه الإستعمار والذي فرقه الغاصب .

وهذا تكون الإرادة هي الإرادة القومية . هي الإرادة الحرة . هي الإرادة العزيزة .. وأنتى أقول لكم أنتى أشعر أن الوحدة العربية قائمة حقاً بين الشعوب العربية فحينما كنتم هنا تعرضون لرصاص الإستعمار كان إخوانكم في مصر وفي كل بلد عربي يهيم وهم يشعرون أن هذا الرصاص قد صوب إلى قلوبهم .. هذه هي الوحدة العربية .

(٨٣) من خطاب الرئيس في عيد النصر السابع بتاريخ ٢٣ ديسمبر ١٩٦٣ م

أنا بدى أقول حاجة لازم نعرفها كلها فلسطين سنة ١٩٤٨ م لا يمكن تتكرر أبداً تانى . فلسطين سنة ٤٨ كانت متاجرة سياسية إحنا كنا موجوديه في فلسطين وكان عندنا أسلحة ماهاش ذخائر وكان الجيش المصرى يقابل الجيش الإسرائيلى في ميدان المعركة .

كل حاجة بنعملها النهاردة بتقوى بها بلدنا .. صناعتنا الثقيلة كلها خطوات في سبيل فلسطين .. وبنقول فلسطين طبعاً لا يمكن إحنا ننساها ولا يمكن أن تتخلى عنها ولكن لا يمكن أيضاً إن إحنا نعالج موضوع فلسطين بالطريقة اللي اتعاجلت بها سنة ١٩٤٨ م بالمزايدات والبعد عن المسؤولية . في سنة ٦٠ في وقت الوحدة أنا طلبت من مجلس الوزراء إن إحنا نبحت ماذا يمكن عمله من سنة ٦٠ لغاية سنة ١٩٦٤ م لإسرائيل وبالنسبة لمشروع تحويل نهر الأردن من الناحية الفنية والسياسية على أساس ترك الناحية العسكرية لتقريرها وبعد هذا وصلنا في هذه الأيام إلى قرارات .

نحن نعتقد أن السلام لا يمكن أن يقوم إلا إذا كان قائماً على العدل ونعتقد أن الفلسطينيين

طردوا من بلادهم بواسطة إسرائيل وعاونها الإستعمار ..

ونعتقد أن إنجلترا لم تقم بالواجب الذى كان يجب أن تقوم به حينما قامت بالحماية على فلسطين ولكننا تأمرت مع الصهيونية ضد العرب ومكنتها من أن تحصل على السلاح وتقتل العرب الذين كانوا موجودين فى فلسطين وبهذا اغتصبت فلسطين وطردت أهلها :

فن رأى أن هذه المشكلة لن تنتهى أبداً إلا إذا تحقق العدل . وكيف يتحقق العدل ؟
لأننى على ثقة أن الأمة العربية لن تقبل هذا بأى حال من الأحوال .

فى القرن ١٢ والقرن ١٣ تعرضت هذه المنطقة إلى حملات استعمارية تحت إسم الحملات الصليبية . واحتلت مناطق فى فلسطين ولبنان ومصر وسوريا واستمر العرب يحاربونها ٧٠ سنة حتى إستطاعوا أن يخلصوا كلية من هذا الإستعمار ، وأنا على ثقة أن العرب لن يقبلوا أبداً أن يطرد شعب فلسطين ويحرم من حقه فى بلده وأرضه والعرب مصممين على يعود الحق .

إن الأنهار التى تنبع من البلاد العربية عربية لأن المياه مياه عربية يجب أن تمتنع عن إسرائيل نهر الحصباني الى بينبع من لبنان ونهر بنياس الى بينبع من سوريا وأيضاً نهر اليرموك الى يصب فى إسرائيل فى المنطقة الإسرائيلية . وقلنا بعد كده بنبحث النواحي العسكرية .

إحنا فى الجمهورية العربية المتحدة نرى أن إجتماع على مستوى رؤساء أركان الجيش ما ينفعش .. إجتماع على مستوى مجلس الدفاع ما ينفعش ... حتى نجابه إسرائيل الى تحدثنا الجمعة الى فانت واللى رئيس أركان حربها وقف وقال إن إحنا حنحول إليه غصب عن العرب ... والعرب يعملوا الى يعملوه بأقول أنه لابد من أن يتم إجتماع للملوك والرؤساء العرب فى أسرع وقت ممكن بصرف النظم عن الخصام والحقاق . الى متخاصمين معاهم إحنا مستعدين نقعد معاهم واللى متخانقين معاهم علشان فلسطين مستعدين نقعد معاهم وبعدين مصر تستطيع فى المواقف الى تستلزم الشجاعة أن تكون شجاعة ومصر كانت دائماً شجاعة .

وفى سنة ١٩٤٨م لما تخلى عننا الكل وقفنا وحاربنا برضه ، وأنا إتحاصرت فى فلسطين فى همال النقب وما سلمناش .. حاربنا برضة . قعدنا نحارب باستمرار علشان هذه الحرب شرف العرب ... شرف بلدنا وشرف جيشنا .

أنا أقترح إجتماع للملوك والرؤساء العرب وحابيت للجامعة العربية لتدعوا لهذا الإجتماع فى أقرب وقت ممكن .. نقعد نتكلم فيه كلام جد وبعدين مش عيب نطلع نقول والله إحنا

التهاردة ما نقدرش أبداً نستخدم القوة .. وحنقولكم بالصدق وحنقولكم كل كلة ما نقدرش التهاردة نستخدم القوة لأن ظروفنا لا تناسب أصبروا علينا . معركة فلسطين ممكن تكون مستمرة ومعركة الأردن جزء من معركة فلسطين أو نقول والله إحنا قادرين إذا حولو نهر الأردن حنمنع هذا التحول بالقوة ولكن متى حنقول كلام جوه في الأودة ونطلع نقول كلام تانى .. أنا عن نفسى الكلام الى حيتقال فى الأودة حطلع أقوله برة الأودة .

(٨٤) من حديث للرئيس مع رئيس تحرير مجلة ليتز بتاريخ ٦ فبراير ١٩٦٤ ..

يبدو أنه ليس هناك مفر من نشوب حرب فانية فى فلسطين أن - إسرائيل مصممة على أن تواصل التحدى ليس ضد العرب وحدهم وإنما ضد الإنسانية والمجتمع الدولى كله أيضاً ، أن الأمم المتحدة على سبل المثال أصدرت منذ سنوات قرارات تقضى بعودة اللاجئين من شعب فلسطين إلى بلادهم ولكن إسرائيل رفضت ذلك القرار تحدياً طوال سنوات عديدة . ولما عادت الأمم المتحدة خلال الدورة الأخيرة للجمعية العامة للأمم المتحدة إلى تأكيد قرارها القديم بحق اللاجئين فى العودة بتأييد من دولة العالم كلها إلا إسرائيل بالطبع - فإن حكومة إسرائيل أعلنت فى وجه الدنيا كلها أنها ترفض وأنها مصرة على التحدى ولا يمكن لمثل هذا الوضع أن يمضى إلى الأبد بغير رادع أو حساب .

وقبل أى اعتبار آخر يجب أن يدرك العالم أن شعبنا العربى ظل يعيش فى فلسطين طوال آلاف السنين الماضية .. فإن فلسطين هى أرضه ووطنه وجزء من حياته وتاريخه وثقافته ، وأستطيع أن أقول أيضاً جزء من روحه ووجوده . من لحمة دمة وعظمة . أن هذا الإرتباط التاريخى المقدس بين الشعب العربى وأرضه فى فلسطين هو الذى مزقه الإستعمار الصهيونى بعنف وحشية عن طريق الإحتلال غير المشروع لفلسطين وما عقبه من إخراج مليون عربى من ديارهم بالقوة . كيف نستطيع أن نتساهل إزاء هذه الجريمة التى ارتكبت ضد شريعة الله وقوانين البشر وكانت تحدياً وإنتهاكاً للأمم المتحدة ذاتها .

الشيء الذى لن نفهمه بعض الناس - وخصوصاً أصدقائنا الأجانب - هو عاطفة الشعب العربى إتجاه الأرض التى تمتد فيها جذوره حياته العميقة متشعبة ... هو ببساطة - استحالة الفصل بين الأرض - والإنسان الذى اتخذ من هذه الأرض وطناً له عبر آلاف السنين .

فمثلاً حدث منذ أيام حين سألتني أحد الأمريكيين : ولكن لماذا ؟ فرددت عليه بسؤال من نوع سؤال « هل تقبلوا أن تنتزع منكم ولاية كاليفورنيا ؟ وتعجب عندما أجاب « نعم . إذا أصبح ذلك ضرورياً وعندئذ أوضحت له الفارق : « أن صلة الأمريكي بأرضه عمرها ٣٠٠ سنة فقط . أما هنا في فلسطين فإن شعبنا عاش آلاف السنين فقد اقترن وجوده بأرضه الطيبة وارتبط بها بمشاعر التعلق بالنبت فالفلسطينيين - وهذه هي الحقيقة المبسطة - لا يستطيعون الإستقرار خارج فلسطين وليس أماننا - بديل آخر سر عودتهم إلى أرضهم السليمة .

سيعودون .. ولقد جاء وقت في الماضي إستطاع فيه الإستعمار المستتر بالصليبية احتلال أرضنا في فلسطين لمدة سبعين عاماً طوالاً ولكن العرب واصلوا القتال من أجل أرضهم إلى أن استعادوها في النهاية وليس لدى شك من أن التاريخ سوف يعيد نفسه .

لقد كنا دائماً في حرب مع إسرائيل .. وكانت إسرائيل دائماً المعتدية إن جميع الإعتداءات الماضية مثل حرب السويس ع التي شهدتها بنفسك ونقلت أخبارها - كانت من تدبير إسرائيل وطالما توجد إسرائيل فوق يتحتم علينا أن نتنظر الحرب في أى وقت . والحقيقة أن الصهيونيين لا يكفون باغتصاب فلسطين فحسب وإنما يعدون العدة أيضاً لإقامة إمبراطورية من الأرض المنهوبة تمتد من النيل إلى الفرات ومن هذا المنطلق القائم على العدوان المستمر . قلت لك أنني أرى احتمال الحرب قائماً فإن العرب لا يملكون مواجهة العدوان عليهم بقبوله - أو السكوت عليه وإنما لابد من الدفاع عن أراضيهم وحياتهم .

وهذا هو السبب في أننا نستعد الآن - بلك الوسائل التي تمهئها إمكانياتنا - لإتخاذ خطوة تحبط مشروعاتهم - وليس مصدر - قلقنا هو الحياة التي سرقوها والأرض التي يحتزمون إستعمارها عن طريق إستجلال مهاجرين غرباء عليها فإن هذه الأعمال - رغم شرعيتها ليست بالخطر الكبير لكن ما يهنا هو ألا نسمح لهم بأن يفوزوا ويدعموه قبضتهم على الأرض التي اغتصبوها من العرب عن طريق سلب المياه العربية وسرقة الأرض العربية والإستمرار في تمزيق الجرح الذي أصاب اللاجئين الفلسطينيين بطردهم من ديارهم .

سوف تحيى الحرب القادمة لمقاومة العدوان وردعه لما أتوقع أن يحدث في أى وقت - وعلينا أن نعد للأسوأ . وفي الوقت ذاته فإننا نعد الآن لتنفيذ مشروع عربى مضاد بهدف إلى إحتجاز أو تحويل مياه روافد نهر الأردن للإستفادة ، بها قبل أن تصل إلى بحيرة طبرية ولكن ذلك لن يوفهم لأنه سيكون الهزيمة الثانية لأطماعهم في إستعمار صحراء النقب عن طريق إستخدام المياه العربية .

أما الهزيمة الأولى فكانت في عام ١٩٥٤م عندما أعدوا خطة تحويل مياهنا من المنطقة المنزوعة السلاح . ولكن المقاومة العربية التي - دعمها الضمير الدول في الأمم المتحدة أوقفهم . لذلك فقد نقلوا مكان تنفيذ خططهم إلى موضع جديد داخل ما يسمونه الأرض الإسرائيلية ، وهم يعدون الآن معدات التحويل في الموقع الحالي شمال بحيرة طبرية ، ولكن المشروعات العربية المضادة ستفسد عليهم تدبيرهم مرة أخرى وأنا أتوقع هجوماً من جانبهم ضد الدول العربية .

الحدث المرتقب :

ويجب أن نعد أنفسنا لمثل الحدث المرتقب فأُن إسرائيل - قبل كل شيء - تشكل خطراً كبيراً علينا في كل وقت نظراً لأطماعها في الإنتعاش على حسابنا وينكشف ذلك تماماً بنظرة إلى ميزانية تسليحها الضخمة التي زادت هذا العام بنسبة ٣٥٪ مما كانت عليه في العام السابق ولقد زاد خطرها الآن إلى درجة جعلتنا نبادر إلى إستخدام المياه وروافد نهر الأردن ، وإحباط مشروعاتها الإستطورية ويتحتم علينا أن نكون مستعدون لانتقامها . وهذا هو السبب الذي جعلني أفرح الدعوة لعقد مؤتمر للأقطاب العرب .

لقد كان هذا المؤتمر أول مؤتمر عربي في نوعه وضخامته وسيكون الأول في سلسلة من اجتماعات مماثلة ... فقد قررنا العودة إلى الاجتماع في أغسطس من العام الحالي بمدينة الإسكندرية كما إتفقنا على أن نجتمع مرة كل سنة في نطاق جامعة الدول العربية التي بعثت الآن في شكل يكاد أن يشبه شكل اتحاد كونفدرالى غير مقيد وذلك عن طريق وقوف العرب في جبهة واحدة لمواجهة الخطر المشترك . وكل ذلك لصالح القضية العربية .

تأتى بعد ذلك إلى المكاسب الملموسة التي حققها المؤتمر .. وأولها إننا قررنا تنفيذ خطة تحويل مضادة لاستخدام مياه منابع نهر الأردن - لصالح الدول العربية التي تقع هذه المياه داخل أراضيها . ونملك حق الإستفادة منها . وقد نظمت المشروعات وأعدت الأموال اللازمة لهذا الهدف وسيبدأ تنفيذ الخطة في وقت قريب جداً .

وسيترب على ذلك أن نواجه مشكلة إليه أكبر وهي رد الفعل الإسرائيلى - لأننا حالما نشرع في إنجاز مشروعاتنا للتحويل المضاد ستتجه إسرائيل إلى إستخدام القوة .. وقد سبق أن هددت فعلاً بشن هجوم علينا ونحن نعرف أن قيادتها العسكرية أسدت خطة لمهاجمة الدول العربية الواقعة على ضفاف نهر الأردن والتغلب عليها الواحدة بعد الأخرى عن طريق توجيه حملات ضخمة مركزة على أن كل دولة على التوالي . وكان علينا أن نواجه هذه الإستراتيجية وأن نقمعها قبل أن نخطوا أية خطوة أخرى .

ومن أجل هذا الهدف كان أوجب واجباتنا هي الوحدة وخصوصاً الوحدة العسكرية لجميع قوات الدفاع العربية واتفقنا على تنفيذ هذه الوحدة الدفاعية عن طريق إقامة قيادة عسكرية موحدة ومقر عام مركز يقوم بمهمة تنسيق العمل بين الجيوش العربية وإدارة للتوجيه وصندوق مشترك لتمويل نفقات الدفاع وكان هذا هو أخطر قرار للمؤتمر لأنه كان من الواجب علينا مواجهة العدو كلنا مجتمعين وقد خضنا معارك حرب فلسطين الأخيرة وتعلمنا من دروسها المريرة فقد هزمنا بسبب الفرقة وانعدام التنسيق وضعف التنظيم والتوجيه من جانب القيادة والفساد والتقصير .. لقد جاءتنا الهزيمة من الداخل بسبب عدم التنظيم ونحن لا نريد أن تكرر أخطاء عام ١٩٤٨ م .

فلما عندما نقرر ضم مصادرها وتعبئتها في جبهة واحدة نتوقع أن يتلو ذلك ضم مائر الإمكانيات الأخرى فنحن نحتاج إلى التعاون الإقتصادي بل وإلى التعبئة الإقتصادية . فإذا هاجمتنا إسرائيل ... تحتم على الدفاع العربي بالضرورة أن يقف على مستوى الحرب الشاملة التي قد تتضمن توقيع عقوبات لا على إسرائيل وحدها وإنما على الذين يساندونها في العدوان وحلفائها .

نحن ندرك تماماً قوة العرب الإقتصادية والإستراتيجية ولكنى أؤثر لهذه القوة أن نبحت عن حساباتها الدقيقة ومن ثم فلا أريد أن أصدر أى تهديدات ما ، أما ما تسأل عنه بخصوص إعداد تقدير سليم لقوة العرب لهذا هو ما يقوم به خيراؤنا الآن بطريقة سديدة صائبة وأتوقع أن تسفر دراساتهم عن نتائج طيبة في أغسطس القادم عندما يعود مؤتمر (٨٥) من خطاب الرئيس في حفل تكريم خروشوف بتاريخ ٩ مايو ١٩٦٤ م ..

إن شعبنا يدرك أن هناك قاعدة إستعمارية وسد أرضه في إسرائيل فرض الإستعمار وجودها تمزيقاً لوحدة الأرض العربية وأنقضاضها عليها . بالتهديد إذا أقتضى الأمر .

وأنه لمن سوء الحظ أن تقوم في هذا العصر دولة على العنصرية وأن يستخدم هدف تصحيح أخطاء النازية ضد اليهود بإقامة نازية صهيونية جديدة ضد الشعب الفلسطيني وعدواناً عليه . ويحاول الإستعمار بكل جهده أن يريد إمكانيات العدوان في قاعدته بتمثل ذلك في تسهيل الهجرة إليها وتمويلها وإغداق التبرعات عليها بغير حساب وتدعيم مشروعاتها التوسعية . كما نرى في مشروع تحول نهر الأردن .

(٨٦) من خطاب الرئيس في حفل القوات المسلحة لخروشوف بتاريخ ١٨ مايو ١٩٦٤ م ..

جنبنا إسرائيل وهي قاعدة للإستعمار تأخذ مساعدات كل سنة ما يقرب من ٤٠٠ مليون دولار ويتأخذ أسلحة بأثمان رمزية علشان قناة السويس بدأ العدوان علينا بهجوم إسرائيل

إخترق الحدود المصرية .

إذن إحتنا يجب أن نحفظ بجيش وطنى قوى ونحفظ بجيش قادر على أن يتصدى للعدوان مش لإسرائيل ولكن لمن هم وراء إسرائيل .

(٨٧) من خطاب الرئيس فى حفل القوات المسلحة بيوم الجلاء بتاريخ ١٨ يونيو ١٩٦٤ م ..

نسمع اليوم فى أمريكا وفى بريطانيا حرب الأعصاب . حملات موجهة ضدنا حينما زار رئيس وزراء إسرائيل أمريكا كانت هناك حملات ضد مصر ضد الجمهورية العربية المتحدة أن مصر تحصل على كميات كبيرة من السلاح ، أن مصر تحصل على صواريخ . إن مصر تعمل الطائرات . أن مصر تزيد فى قواتها المسلحة واستمرت هذه الحملات حتى أصبح من يقرؤها يعتقد أن إسرائيل ليست عندها قوات مسلحة ، ولا تحصى على سلاح . والحقيقة أن إسرائيل هى رأس جسر للإستعمار فى هذه المنطقة العربية لتقسم البلاد العربية . إسرائيل تحصل على السلاح من أمريكا ومن فرنسا ومن بريطانيا . حصلت على الصواريخ من أمريكا حصلت على الدبابات . وحصلت على الطائرات من فرنسا . حصلت على الدبابات والفواصات من بريطانيا .

إن هذه الحملات التى توجه ضدنا فى أمريكا وفى بريطانيا وفى البلدان الغربية إنما الغرض منها أن تفت من عزيمتنا .

ولكننا نعلم .. نعلم بالتفصيل ما هو تسليح إسرائيل . ولا يمكن بأى حال من الأحوال أن نستجيب لما يقوله الحكام سواء فى أمريكا أو فى بريطانيا من أننا نكتفى بالقدر الذى حصلنا عليه لأننا لا يمكن أن ننسى درس سنة ١٩٤٨م وفى سنة ١٩٤٨م أعلن الغرب وأعلنت الأمم المتحدة - حظراً على التسليح لنا وإسرائيل .

نفذ هذا الحظر علينا فقط ولكنه لم ينفذ على إسرائيل . وفى سنة ١٩٤٨م استطاعت أن تحصل على الأسلحة التى لم تكن متوفرة - عندها حينما بدأت حرب فلسطين . حصلت على الدبابات ولم تستطيع نحن أن نحصل على دبابة .

الأقطاب العرب إلى الأقطاب العرب إلى الإجتماع فى الإسكندرية .

ومن الضرورى فى الوقت ذاته التحقق من أنه إذا هددتنا حليقات إسرائيل بأى إجراء - كما فعلت بعضها أثناء حرب السويس - فإننا ستكون أيضاً قادرين على الرد الرادع .

إن من مصلحتنا أن نعرف مدى القوة العسكرية والقدرة الاقتصادية التى فى حوزتنا . وعندما يحل شهر أغسطس ستكون بين أيدينا تقديرات سليمة ودقيقة لكافة قدراتنا . إلا أن الأهم من ذلك كله هو الوحدة فكما قلت لك مراراً : أن كل شئ يتوقف على وحدة

العرب ولست أقصد الوحدة الدستورية فلقد تقوم المصاعب في وجه تحقيقها الفوري ولكني أقصد وحدة العمل التي قد تكون مقدمة إلى وحدة الهدف .

أقصد التضامن القومي العميق الواسع النطاق الذي يكفى لمواجهة العدو ومحاربه في آن واحد .

ولقد كان أول واجب لنا إزاء هذا الهدف هو وقف خلافاتنا الداخلية وتصفية منازعاتنا وإستئناف علاقاتنا الودية . وكانت هذه المهمة بين ما تحقق من نتائج المؤتمر .

ونحن لا يمكن بأي حال من الأحوال أن ننسى دروس الماضي وعبرة . ولا يمكن أيضا بأي حال من الأحوال أن ننسى إن إسرائيل رأس جسر للإستعمار . فإذا أردنا أن نبني وإذا أردنا أن نطمئن على سلامة هذا الوطن لابد لنا أن نواجه العدوان وليس عدوان إسرائيل ولكن إسرائيل ومن هم وراء إسرائيل .

(٨٨) من خطاب الرئيس في الإحتفال بالعيد الثاني عشر للثورة بتاريخ ٢٢ يوليو ١٩٦٤ ..

الحق العربي للشعب الفلسطيني إنني بإرادة التغيير العربية من إسرائيل . إسرائيل قاعدة الإستعمار التي إغتصب فلسطين وأخرجت شعب فلسطين .

الى يحصل النهادة في فلسطين هو نفس الى يحصل في جنوب أفريقيا هو نفس الى يحصل في مناطق من أفريقيا يريد المستوطنون أنهم يستولوا على كل شيء ثم يتخلصوا من المواطنين الأصليين الأفريقيين بالقتل . إسرائيل قاعدة للإستعمار أوجدها الإستعمار في هذه المنطقة لتكون دائما ركيزة له ، إسرائيل الى بتعملة بالنسبة لشعب فلسطين هو التخلص من شعب فلسطين . استبدال الشعب الفلسطيني أو قتله بالشعب الإسرائيلي .

ولكن القول إن أراحه التغيير العربي . إرادة الثورة العربية أقوى من الإستعمار الذي خلق إسرائيل وأقوى من إسرائيل . ولا بد أن يعود الحق العربي للشعب الفلسطيني لأنه أقوى من إرادة الإستعمار . وأقوى من إسرائيل .

ملاحظة :

واستمر عبد الناصر في تصوراتہ ... واستمر في مدرکاته حتى عام ١٩٦٧ م .. حين أعلن أن هذه الهزيمة قدر .

* وهل بعد كل هذه المدرکات الرائعة ... تكون الهزيمة قدر ؟ نعم أمرنا الله أن نؤمن بالقدر ، ولكن فرق شاسع بين القدر كما أمرنا به المولى سبحانه وتعالى وهو قدر قائم

على عمل ووعى ، وبين قدر عبد الناصر الذى قام كله على كلام رائع ومدرجات رائعة ولكن وللأسف بلا فعل. عسكري أو سياسى مباشر ومنتج . المؤلف) .

(٨٩) إن الشعب الفلسطينى خرج ليأخذ قضيته بنفسه ويدافع عن حقوقه بنفسه .
(خطاب فى ١٩٦٨/٧/٢٣)

(٩٠) ظهرت المقاومة الفلسطينية واستطاعت المقاومة أن تحرك الشعب الفلسطينى من شعب من اللاجئين ، إلى شعب من المقاتلين ، واستطاع العمل الفلسطينى أن يفرض نفسه على كل العالم .

(خطاب فى ١٩٧٠/٧/٢٣)

(٩١) إن البعث الذى حدث لشعب فلسطين ظاهرة تكاد لا تصدق ، ولكن هذه الظاهرة دليل حياة لا تموت ، وأصالة لا تتحول . ولا نستطيع فى هذا أن ننكر دور جماهير الشعب الفلسطينى ، الشعب الفلسطينى الذى يزرع تحت الاحتلال يناضل نضالاً مستمراً .
(خطاب فى ١٩٦٩/٧/٢٣ م)

(٩٢) ليس هناك معيار أو فى ، ولا أدق ، من الموقف الذى يتخذه أى فرد أو أى جماعة ، أو أى حكومة ، من قضية المقاومة ومساعدتها ، والتمكين لها ، وتدعيم جهودها .
(خطاب فى ١٩٦٩/٧/٢٣ م)

(٩٣) إن العدو سيحاول دائماً أن يفرق بين أبناء المقاومة الفلسطينية ، وبين أبناء الشعب الفلسطينى :

(خطاب فى ١٩٧٠/٧/٢٣ م)

(٩٤) نرى محاولات الإستعمار وأعوانه فى الوقعة بين رفاق المعركة الواحدة ، شركاء الواقع الواحد ، والمصير الواحد ، وكنا نرى ضراوة هذه المحاولات وجموحها الإستغزازى الخطير ولكننا كنا فى نفس الوقت ندرك إن إخواننا يرون من ذلك مثل ما نرى . وإن وعيم يضرورات الموقف أهمل وأعظم . بحيث يعطى لنفسه القدرة على تطويق كل هذه المحاولات وحصرها .

(خطاب فى ١٩٧٠/٦/١١)

(٩٥) إن واجب الأمانة ، يقتضينا الآن أن نحدد موقفنا على النحو التالى .. ولقد كان ذلك موقفنا دائماً .

أولاً : المقاومة الفلسطينية ، ومنظمة فتح بالذات. في مقدمتها تعتبر من أهم الظواهر الصحية ، في نضالنا العربي .. وهى التجسيد العملى للتحويل الكبير الذى طرأ على الشعب الفلسطينى تحت ضغوط القهور وحوله من شعب لاجئين إلى شعب مقاتلين .

ثانياً : إننا لا نتغافل عن بعض الأخطاء التى يمكن أن تكون قد صدرت عن بعض منظمات المقاومة ، لكننا نعتقد أن الأمة العربية عليها من موقف المحبة .. وليس من موقف العداء أن تقوم وأن تصحح .

ثالثاً : كل القوى فى أمتنا العربية ، وكل الأطراف بل وكل الأفراد عليهم أن يدركوا إلى أعماق الأعماق ، أنه ليس أمامنا جميعاً بديل عن القتال من أجل الحق الذى نطلبه ومن أجل السلام الذى نسعى إليه .. ولا يمكن أن يكون الحق تفريطاً .. ولا يمكن أن يكون السلام إستسلاماً .. ومن هنا واجب القتال .. والقتال شئ غير الإقتال .

القتال رصاص وهدف وعدو يحتل الأرض .
والأقتال رصاص طـائش يعرض الأخ لسلاح أخيه
القتال شرف .. والإقتال جريمة ..

(خطاب فى ١١/٦/١٩٧٠م)

* ورغم هذه الرؤية الرابعة إلا أن النتيجة على أرض الواقع كانت صفرأ .

ثالثاً : **مدرجات عبد الناصر لحل الصراع العربى الإسرائيلى :**

يرى د. مجدى حماد فى دراسته (عبد الناصر وقضية السلام) تحليل للإدراك - مجلة الوحدة العدد ١٦ عام ١٩٨٦م .

إن محاولة تجميع وتركيز وتنقية المكونات الصلبة والأصلية لإدراك عبد الناصر لمنهج حل الصراع العربى - الإسرائيلى ، ينهى وضعها فى الإطار الشامل لإدراكه لمختلف إبعاد الصراع ، وتمكن الإشارة فى هذا الصدد إلى عدة جوانب :

أولاً - إدراك عبد الناصر لطبيعة الصراع العربى - الإسرائيلى ، وإدراجه لذلك الصراع فى الإطار الأساسى للصراع العربى - الغربى وتحديده للأبعاد الحضارية والأيدىولوجية كمحدد لطبيعة ذلك الصراع ، وبالتالي كمحدد لإدارته ولأمكنياته حله ، فبالنسبة لطبيعة الصراع ، كانت وجهة نظر عبد الناصر المحددة والثابتة تلتخص فى أن الأرضية

الأصلية وراء الصراع العربي الإسرائيلي هي في الواقع ، وعلى وجه الدقة أرضية التناقض بين الأمة العربية الراغبة في التحرر السياسي والاجتماعي ، وبين الاستعمار الراغب في السيطرة ، وفي مواصلة الإستغلال ، وفيما مضى كان سلاح الإستعمار ضد الأمة العربية هو سلاح التمزيق وبعد حربين عالميتين ، ومع تعاظم الإيمان بالوحدة العربية ، لجأ الإستعمار إلى إضافة سلاح التخويف إلى سلاح التمزيق ، وكان إن استغل في ذلك الدعاوى الأسطورية للحركة الصهيونية المدججة بالسلاح ، لكي يتم تكريس تمزيق الأمة ولينحقق تخويفها باستمرار ، عن طريق إيجاد قاعدة في قلبها لتهديدها ، فضلاً عما يتبع ذلك من إستنزاف كل إمكانيات القوة العربية في صراع محكوم فيه تاريخياً .

وهكذا يتحدد الطرف الأساسي . في الصراع ، كما تحدد أدواته في ممارسة الصراع ، وتتحدد بالتالي الأهداف التي يسعى إلى تحقيقها ، ولا شك أن كل ذلك يحكم منطق واجهته وهكذا تأتى إلى عملية إدارة الصراع .

ثانياً : إدراك عبد الناصر أن عملية إدارة الصراع تتطلب ناحيتين هامتين - محاولة تغيير معادلة القوة في ذلك الصراع لصالح الطرف الذي يسعى إلى ذلك ، وهو ما يتوقف على سلوك الطرف الآخر ، ومن ناحية أخرى - محاولة الإستجابة الدائمة والسريعة للظروف المتغيرة في البيئة أشمل البيئة الخارجية للصراع ، وعلى ذلك يمكن من هذه الناحية الإشارة إلى ثلاثة أبعاد :

(١) إدراك عبد الناصر لعناصر قوة إسرائيل وعناصر ضعفها ، سواء في ذلك قوتها العسكرية أو بنيتها الاقتصادية والاجتماعية ونظامها السياسي ، فضلاً عن إرتباطها الوثيق بالإستعمار العالمي ، وهو إدراك يتميز في جوهره بالتعبير عن أن محصلة ميزان القوى في المنطقة تميل لصالح إسرائيل مقارنة بالدول العربية مجتمعة .

(٢) إدراك عبد الناصر لعناصر قوة الطرف العربي وعناصر ضعفه سواء في ذلك الخصائص الموضوعية للواقع العربي : التخلف والتبعية التجزئة ، أو للآثار التي ترنبت على إعلان بعض الدول العربية وفي مقدمتها مصر ، دخولها مرحلة الثورية الإجتماعية ، وانعكاس تلك الآثار على الواقع العربي إلى درجة بلغت في بعض الأحيان إن عدااء بعض الدول العربية لمصر كان يفوق عداؤها لإسرائيل ويضاف إلى ذلك إدراك عبد الناصر لمنهج العرب في تناول قضاياهم الكبرى وفي مقدمتها القضية الفلسطينية .

(٣) إدراك عبد الناصر لخصائص البيئة الدولية وبصفة خاصة آثار ظاهرة الإستقطاب الدول والحرب الباردة المترتبة عليها - من ناحية ، واتجاه الولايات المتحدة الأمريكية إلى وضع

مسألة أمن إسرائيل ضمن التزاماتها الرسمية الأساسية - من ناحية ثانية ، فضلاً عن اعتراف الاتحاد السوفياتي وجميع القوى الكبرى في العالم . بجانب عدد كبير من الدول على مختلف دراجاتها .. واتجاهاتها - بحق إسرائيل في الوجود .

ثالثها : إدراك عبد الناصر لخبرات الحرب في سياق الصراع العربي - الإسرائيلي سواء حرب ١٩٤٨م أو حرب ١٩٥٦م أو حرب ١٩٦٧م ويعتبر آخر إدراكه لخبرات محاولة حل الصراع بالقوة المسلحة . فعلى الرغم من أن المبادرة والمبادأة في هذه الحروب الثلاث جاءت من الطرف الإسرائيلي ، إلا أنها كانت فرصة حقيقية لاختبار وتقدير العناصر الثلاثة لإدارة الصراع . قوة الطرف الإسرائيلي ، قوة العرب ، البيئة الدولية .

رابعها : المحددات الشخصية لعبد الناصر وخاصة إدراكه العميق المبني على التجربة المباشرة ، لخطورة « قرار الحرب » ويدخل في تكوين ذلك بطبيعة الحال الجوانب الثلاثة السابقة ، طبيعة الصراع إدارة الصراع ، خبرات الصراع ، ولا يعني ذلك بأي معنى من المعاني أن أعمال عبد الناصر تكشف عن ميل أو إتجاه للإستسلام للأمر الواقع ، وإنما هي ، على العكس من ذلك ، تؤكد الإتجاه إلى رفض الأمر الواقع ومحاولة لتغييره ولكن على أن يتم ذلك بالوسائل السلمية ما دامت هناك إمكانية لنجاحها . وعلى أن يأتي إستخدام القوة بعد إستنفاد جميع الوسائل السلمية ، وعلى أن يكن ذلك لغاية محددة .

ب - حدود التسوية الممكنة في مدركات عبد الناصر :

إن إدراك عبد الناصر يتميز بالإتجاه إلى رفض إستخدام القوة المسلحة في الإطار الراهن ، لأزالة إسرائيل - من ناحية ، وبالإتجاه إلى رفض منطلق السلام الإسرائيلي ، من ناحية ثانية ، وإن نقطة التوازن بين هذين الحدين هي المقياس الذي يستند إليه في تقدير قوة الردع العربية من ناحية ثالثة . ومن هنا التساؤل : ما هي إذن الوظيفة السياسية لقوة الردع العربية في إطار هذا الإدراك ؟ في واقع الأمر تكشف الأعمال الكاملة لعبد الناصر عن تحديث هذه الوظيفة في تحقيق تسوية الصراع العربي - الإسرائيلي تهدف إلى معالجة الجوانب المادية لذلك الصراع ممثلة في حقوق الشعب الفلسطيني ثم في الأراضي العربية المحتلة بعد حرب عام ١٩٦٧م ، في محاولة لتجميع الخطر الاسرائيلي في حدود قرار التقسيم الذي أصدرته الجمعية العامة للأمم المتحدة في نوفمبر ١٩٤٧م وباعتبار أن مواجهة الوجود الإسرائيلي ذاته هي عملية الأجل الطويل .

وطبيعة الحال قد يبدو قول هذا الافتراض عسيراً ، إذا وضع في مقابلة غزارة الأدب الناصري بمفاهيم رفض التسوية ، رفض الصلح ، رفض المفاوضات الشائعة في هذا الأدب

بخصوص ، التعامل مع العدو الإسرائيلي . وفى واقع الأمر ، يعتبر تأصيل هذه الفرضية محاولة جد دقيقة ، مثلها فى ذلك مثل فرضية ، عدم إستخدام القوة المسلحة لإزالة إسرائيل ، غير أن محاولة التأصيل هنا تبدو أكثر يسراً بإستخدام المنهاج السابق الإعتماد إليه بخصوص هذه الفرضية الأخيرة وبصفة خاصة التمييز بين مفهوم « الفعل » ومفهوم « رد الفعل » .

وهكذا يحتاج الأمر إلى التدقيق فيما يستتر خلف مفاهيم الرفض الشائعة فى أعمال عبد الناصر لتعزيد إتجاهاته الحقيقية وراعاها . وفى حقيقة الأمر لا يعبر رفض التسوية أو الصلح أو المفاوضة أو الاعتراف ، فى إدراكه ، عن رفض لهذه المناهج من حيث المبدأ ، إن لم يكن الرفض بخصوصها صادراً عن مفهوم « رد الفعل » بقدر ما كان الرفض لها فى حقيقته أما إحالة إلى سلوك إسرائيل أو تصريحات قادتها أو تحليل بنيتها الإجتماعية ككيان إستيطاني - من ناحية أو تعبير عن عدم إمكانية الثقة فى الطرف الإسرائيلي ، من ناحية أخرى ، بل أن الرفض فى هذه الحالة كان فى جوهره تعبيراً عن رفض إسرائيل أكثر منه تعبيراً عن رفض مصرى أو على لهذه المفاهيم .

وفى الواقع يمكن تركيز الأسس الصلبة لإدراك عبد الناصر لمنهج التسوية على النحو التالى : كان بد الناصر منذ البداية ، وحتى النهاية ، يقبل بنهاج التسوية السلمية للمشكلات المادية الناجمة عن قيام إسرائيل ، وكانت إشارته المتكررة فى هذه الناحية ، أن قبول إسرائيل وتنفيذها لقرارات الأمم المتحدة (خاصة قرارات نوفمبر ١٩٤٧م وقرار نوفمبر ١٩٦٧م) كفيل بتغيير البيئة النفسية للصراع ، بحيث يكون هناك مبرر للثقة بها وبالتالي للصلح معها .

وكبداية عملية لذلك ، يمكن القول أن عبد الناصر بدأ يقبل منذ البداية ، وحتى النهاية أيضاً ، بمنطق « وجهى العملة » حيث لم تعد هناك مشكلة واحدة وإنما أصبح هناك مشكلتان وبالتالي يمكن تمثيل الحل - ليس فى تجزئة الحق - وإنما فى تجزئة الأرض فعندما سئل : هل أنتم على استعداد للإعتراف بإسرائيل كدولة ذات سيادة ؟ كانت إجابته : إن المسألة فى رأى ليست مسألة الإعتراف أو عدم الإعتراف بإسرائيل ، إن المشكلة ، كما أراها ، ليست إسرائيل ، وإنما فلسطين إن الذى نهدف إليه هو أن نعيد إلى أهل فلسطين حقوقهم ويوتهم وأراضيهم .

وعندما سئل : ما أريكم فيما يتردد فى بعض الدوائر من أن هناك مساعى تبذل لعقد صلح دائماً مع إسرائيل ؟ أجاب :

أى نوع من أنواع الضمانات لحمايتها ؛ وهو ما عبر عنه عبد الناصر فى مناسبة أخرى من مناسبات الحديث عن الضمانات : « إن أفضل ضمان فى الواقع لحرية الملاحة لا يمكن أن يكون عبد الناصر فى مناسبة أخرى من مناسبات الحديث عن الضمانات » .

وهكذا تعنى التسوية فى إدراك عبد الناصر ، الوصول إلى نهاية مرحلة « الصراع المسلح » فى مواجهة العدو الإسرائيلى ، حيث تستنفذ القوة المسلحة حدودها وإمكاناتها الممكنة والمتمثلة ، كما تقدم فى مواجهة الآثار الناجمة عن قيام إسرائيل ، الأرض والشعب دون أن تمتد إلى مواجهة وجود إسرائيل فى ذاته ، وهكذا تعنى التسوية فى إدراك عبد الناصر ، فى نفس الوقت فتح الباب واسعاً لمرحلة الصراع غير المسلح ، حيث تجرى محاولة تغيير البنية العربية سياسياً واجتماعياً واقتصادياً وعسكرياً ، وحيث يصبح فى مقدور حركة الثورة العربية أن تواجه أعداء الأمة العربية تقدمها : الإستعمار ، إسرائيل ، الرجعية العربية وهذا هو المعنى الحضارى والأيدىولوجى للمواجهة ، كما رآها د . مجدى حمادة ولكن يبدو أن عبد الناصر لم يستطع هذا ، أو ذلك لأجل حل المسألة العسكرية أو سلمياً أو حضارياً ، وكانت نهايته الفعلية فى هزيمة ١٩٦٧ م .

« لقد سمعنا بأن هناك مساعى ، ولكن لم يفاتحنا أحد فى ذلك ، وموقف مصر فى هذا الشأن لم يتغير ، فنحن لن نعقد صلحاً مع إسرائيل إلا بعد أن تقوم إسرائيل باحترام قرارات هيئة الأمم المتحدة وتنفيذها ، وبعد أن تحترم شروط الهدنة التى تنقضيها كل يوم .

ومعنى ذلك فى غاية الوضوح ، إن الحاجة إلى إستخدام القوة المسلحة تنتهى فى إستجابة إسرائيل لقرارات الأمم المتحدة بخصوص الأرض والشعب ، وهذا تحديد من جديد لما سبق تسميته بحدود استخدام القوة ومعنى الحرب فى إدراك عبد الناصر بل إن حالة السّلام التى تقوم فى هذه الظروف لا تقتضى أى نوع من أنواع الضمانات لحمايتها ، وهو ما عبر عنه عبد الناصر بل أن حالة السّلام التى تقوم فى هذه الظروف لا تقتضى

الفصل الثالث عشر
الإفكسار المُر
١٩٦٧
الموت الحقيقي لعبد الناصر



الإتكسار المر : ١٩٦٧ الموت الحقيقى لعبد الناصر

* كانت هزيمة (٥ يونيو ١٩٦٧ م) هى النهاية الفعلية لأسطورة جمال عبد الناصر السياسية ، ولأنها كذلك ، فلقد كثرت من حولها الروايات ، وحيكت من حولها المؤامرات والتفسيرات وأقنئ كل صاحب رأى برأيه ، وأحاطه بهالة من القداسة ، دون أن يستطيع إدارة توظيفه السياسى لهذا الرأى ، فالكل - تقريباً - انطلق من مصالحها بعينها ، ومن قناعات مسبقة ، ولم تخضع كل هذه الآراء والروايات للتحليل الهادئ الرصين لأظهار الحقيقة ، ولعل رواية محمد حسين هيكل فى .. (حرب الثلاثين عاماً : الانفجار ١٩٦٧ م) هى الأقرب لتلك (الحقيقة الغائبة) ، وذلك لأن هيكل استند فيما رواه على وثائق دولية دامغة .

* ولعل (الحقيقة الغائبة) التى نبحت عنها بشأن هزيمة ١٩٦٧ م تحدد فى جملة واحدة وهى أن (١٩٦٧ م) كانت محصلة أخطاء التجربة الناصرية برمتها من ٢٣ يوليو ١٩٥٢ م حتى ٤ يونيو ١٩٦٧ م ، إن المثل يقول (الأعمال بخواتيمها) ، و ١٩٦٧ م كانت هى (خواتيم) التجربة الناصرية (مهما حسنت فيها الرؤية والقول) ، ومع بداية هذه الموسوعة ، يدفنا إلى استعراض أمين وشامل لكافة الرؤى بشأن (خواتيم) التجربة الناصرية ١٩٦٧ م والتى مثلت بحق الموت الحقيقى لعبد الناصر ، وليس موت ١٩٧٠ م ، وفى سبيل لإستعراض نقدى لهزيمة ١٩٦٧ م نعالج المحاور التالية :

أولاً : الظروف الدولية والعربية قبل يوم ٥/٦/١٩٦٧ م .

ثانياً : واقعة الحرب / الهزيمة : التفاصيل العامة .

ثالثاً : رؤية عميل أمريكى للهزيمة .

رابعاً : رؤية الأصوليين الإسلاميين للهزيمة وما تلاها .

خامساً : شهادات الهزيمة (عبد الناصر - عبد الحكيم عامر - اللواء طيار / عبد الحميد

الدغيدى) .

سادساً : تقييم الهزيمة عسكرياً : قرارات لجان التحقيق فى هزيمة يونيو ١٩٦٧ م .

سابعاً : التقييم النهائى للهزيمة والخبرة المستفادة .

وبتفصيل ما سبق يستبين الآتى :



الكل تراجع الكل تغل ... وسقط عيد الناصر

أولاً : الظروف الدولية والعربية قبل ١٩٦٧/٦/٥ م :

كانت الظروف المحيطة بالحدث ، والسابقة له ، تؤكد أن نظام عبد الناصر بات مطلوباً تهديبه ، ويات خارجاً عن ملعبه ، ولابد من إعادته إلى هذا الملعب ، لكي يثور ويتبادل الركلات داخل الملعب ، وليس خارجه من هنا إتفقت الإيرادات الدولية (على اختلافها) على أهمية الإيقاع بعبد الناصر والإتيان به صاغراً إلى محراب قداستهم ، وفي سبيلهم لذلك ، أعدوا المسرح ، وهبوا المكان لاستقبال (واقعة ١٩٦٧ م) .

ترى كيف كانت تفاصيل (الحفل الدولي) الذي أعد المسرح له عالمياً وعربياً ومصرياً لاستقبال يوم ١٩٦٧/٦/٥ أنها تنحصر في الآتي :

(١) هبوط حدة العرب الباردة وتغلغل العملاقين في الشرق الأوسط كمنطقة تنافس من خلال تحسن العلاقات الأمريكية - الإسرائيلية والتي تميزت بسلسلة من الإتفاقات وصفقات الأسلحة في ١٩٦٢م و ١٩٦٤م و ١٩٦٦م وقد أكد كيندي منذ ١٩٦٢م بأن الولايات المتحدة وإسرائيل حليفان فعلاً وعزز جونسون هذه العلاقة الخاصة بتشكيل جهاز خاص للمشاورات المشتركة على مختلف المستويات بين الدولتين .

وفي مقابل ذلك كان القصور يسود العلاقات المصرية - السوفيتية بسبب الموقف السلبي للإتحاد السوفيتي من الوحدة مع سوريا وبسبب عدم موافقة مصر على طلب سوفيتي بإقامة قاعدة إستطلاع جوى عام ١٩٦٦م وأخيراً الضغط السوفيتي لدفع مصر لعقد إتفاقية دفاع مشترك مع سوريا وتأييد السوفيت لنياً إن إسرائيل تنوى فعلاً مهاجمة سوريا وأن هناك حشود عسكرية على الحدود السورية ثبت أنها وهمية بعد ذلك^(١) .

(٢) تزايد الخلافات بين الدول العربية والإتهامات المتبادلة كان له أثره في عدم فعالية المواقف العربية وإستنزاف قدرة مصر في الصراعات الناتجة عنها مثل حرب اليمن بحيث أصبحت غير قادرة على ممارسة الصراع على نحو سليم مع إسرائيل كما ترتب على عدم وضوح الهدف من التحرك العربي في مواجهة إسرائيل - عقد إتفاقية دفاع مشترك مصري أردني في ٣١ مايو وانضمام العراق إليها يوم ٤ يونيو - أدى إلى انعدام وجود إستراتيجية عربية مخططة لمواجهة إسرائيل^(٢) .

(١) محمد حسنين هيكل : نحن وأمريكا . القاهرة . دار العصر الحديث ، ١٩٦٧م ، ص ٦٧ - ٦٩

(٢) لواء محمد خليل : الأمن القومي العربي - مصدر سابق . ص ٣٩٨ وما بعدها .

(٣) توتر الحدود الأردنية الإسرائيلية السورية - الإسرائيلية منذ بداية عام ١٩٦٧م وتدعيم نظام سوريا للمقاومة الفلسطينية وتبنى مفهوم الحرب الشعبية لتحرير فلسطين بما أدى إلى تهديد إسرائيل بضرب سوريا وبالتالي قيام عبد الناصر بحشد القوات المصرية في سيناء لردع إسرائيل من الهجوم على سوريا حيث سبق لمصر أن قامت بتحريك مشابه عام ١٩٦٠م عندما حشدت إسرائيل قواتها على حدود سوريا فقامت مصر في ١٨ يناير بدفع ثلاث فرق إلى سيناء كتحرك ردعى ولهذا أسرعت إسرائيل بسحب قواتها فوراً إلى الجنوب .

أما عن الأوضاع المصرية داخل المنطقة العربية ، فيمكن القول بأن مصر في الفترة السابقة للأزمة بدأت في التراجع أن تكون في بؤرة السياسة العربية حيث أصيبت إمكانات مصر وقدراتها السياسية بضربة كبيرة نتيجة انهيار الوحدة المصرية - السورية ١٩٦١م بما يعنى بداية تقليص دورها ونفوذها في العالم العربى وبداية العجز عن تحقيق أمن مصر في مواجهة إسرائيل والولايات المتحدة .

ولهذا الإدراك سارعت القيادة المصرية للتدخل بشكل مكثف فور أن أتاحت لها الفرصة في اليمن في سبتمبر ١٩٦٢م .

(٤) إن الانفصال المصرى - السوري قد أدى إلى فقدان القيادة المصرية لتوازنها بما قادها لمناصرة ثورة اليمن ١٩٦٢م وبالتالي مواجهة السعودية كما أن تأكيد مصر على الثورة الإجتماعية في أطروحاتها القومية ووضع شرط الاشتراكية كشرط أولى لتحقيق الوحدة قد أدى إلى إنقسام الأمة العربية بين معسكر رجعى ومعسكر ثورى تقدمى وحتى بعد وصول قيادة قومية للحكم في سوريا فإن مصر لم تقبل التلاقى معها إلا بعد تدخل الاتحاد السوفيتى عام ١٩٦٦م حيث زاد الضغط السوفيتى على القيادة المصرية لكى تلتزم بالدفاع عن النظام السورى واضطرت مصر لعقد إتفاقات دفاع مشترك مع سوريا .

وقد صدق تقدير القيادة المصرية للإدراك السورى حيث عملت سوريا على تصعيد الموقف مع إسرائيل ودخلت معها في مواجهات متعددة ، وقت لا تملك فيه القيادة المصرية سوى التردد وعدم تأييد ذلك التصعيد السورى العسكرى بسبب تورطها في اليمن ومشاكل التنمية الاقتصادية داخلياً .

(٥) إن الأسابيع الأخيرة التى سبقت الحرب كانت شاهداً على أن هناك قيادات عربية دفعت القيادة المصرية دفعاً نحو مواجهة لا أمل في الفوز فيها وسدت أمامها فرص التراجع



بملا قلام فورة الفلاح من ستمبر ١٩٦٩ بلام

وتمت هزيمتها ، حيث وصلت الخلافات العربية إلى درجة أن أكثر النظم العربية قد أغفلت خطورة محاولاتها لحصار مصر وأثر ذلك على سلامة كل منها وأخطأوا في تقدير أهمية مصر في المنطقة العربية .

(٦) إن الأوضاع الداخلية لمصر لم تكن تشجع على مواجهة إسرائيل حيث تسبب إتهامك مصر في اليمن إلى إتهام القوة العسكرية المصرية مادياً وبشرياً حيث كانت أفضل الفرق المصرية تحارب في اليمن (الفرقة الرابعة) وحوالي ٥٠ ألف جندي من مجموع ١٩٠ ألف جندي مصري كانوا في اليمن ، كما ظهر بوضوح الصراع بين القادة السياسية (عبد الناصر) والقيادات العسكرية (مجموعة عبد الحكيم عامر) والذي تعود جذوره إلى عام ١٩٥٧م وتعمق عام ١٩٦٢م وأصبح بعدها عامر هو المتحكم في القوات المسلحة ولم يعد من حق أحد - حتى عبد الناصر القائد الأعلى للقوات المسلحة - أن يتدخل في إدارة القوات المسلحة إلا من خلال عامر فقط والسبب أن عبد الناصر كان يخشى لو تمت المواجهة الشاملة أن يتم تحرك عسكري مضاد يقوده عامر .^(١)

وهكذا أصبح الرئيس - حسب رواية أحمد حمروش - لا يتدخل في القوات المسلحة منذ ١٩٦٢م وتعاظمت طموح القادة العسكريين السياسية وتدخلت المؤسسة العسكرية في إدارة ، العديد من القطاعات الإنتاجية والإدارية والسياسية .

كما أنه بالرغم من أن الهيكل الإقتصادي المصري كان يتطور بتأثير الإنطلاق السريع نحو التصنيع وزيادة التوسع في القطاعات الصناعية والإتجاه نحو الاشتراكية والتأميم إلا أنه قد عاد إلى تضخم تقدي ومشكلات إجتماعية وإقتصادية أثرت على مدى تماسك الجبهة الداخلية في مصر .

(٧) في مقابل عدم الإستقرار والتماسك داخل مصر وداخل الجبهة العربية ، يبرز لنا الموقف السياسي الإسرائيلي في صور متأسفة لم تشهدها من قبل حيث كان لإئتلاف حزب العمل المكون من ماباي وأحدوث هاغفورا (٤٥) أغلبية ٧٥ مقعدا ويتحالف معه أحزاب المابام ٨ مقاعد والمقدال ١١ مقعد والأحرار المستقلون ٥ مقاعد والأحزاب

(١) راجع بصد ذلك الصراع كلاً من :

— أمي هويدي - حروب عبد الناصر . بيروت . دار الطليعة ١٩٧٧م .

— أحمد حمروش . قصة ثورة ٢٣ يوليو - مجتمع جمال عبد الناصر . بيروت المؤسسة العربية

للدراسات والبحوث ١٩٧٨ . الفصل الثامن .

— لواء محمود حسني ، مصدر سابق .

المؤيدة للتحالف مع العرب ٤ مقاعد .

وكان الحزب القومي الديني (مفدال) يمثل مركزاً هاماً في عملية توازن القوى في داخل الائتلاف وقد ضغطوا في آخر مايو لتكوين حكومة وحدة وطنية تضم حاجال ٢٦ مقعد وراف ١١ مقعد وضم دينا وزيراً للدفاع .

كما تم التغلب على التفوق الكمي العربي بنظام دقيق للإنذار المبكر وخطوط داخلية للمواصلات وقدرة عالية على التعبئة والتدريب وارتفاع درجة الروح المعنوية لدى القيادة والجنود كما تم توثيق العلاقات الأمريكية - الإسرائيلية بشكل أفضل من ذي قبل .

أما عن لماذا صعد عبد الناصر هجموه السياسي على إسرائيل رغم علمه بهذه الظروف فيمكن إجماله في الآتي :

أ - تساعد نبرة الإنشاء العربي لمصر بحيث أصبح الالتزام المصري بحركة الوحدة العربية من أهم الملامح السياسية الخارجية لمصر . وبالتالي سعى مصر لاستعادة مكانتها القيادية في المنطقة والتي تعرضت للإهتزاز عقب الانفصال السوري وحرب اليمن .

ب - إن مصر كانت تتفوق - أو على أقل تقدير تتعادل - إزاء إسرائيل في التوازن الإستراتيجي الكمي ، ولهذا فإن التحرك الردعي لن يؤكد أى مخاطر حقيقية .

ج - الخبرة التاريخية حيث تم تكرار تلك التجربة من الحشد في ١٨ يناير ١٩٦٠م لوجود حشود إسرائيلية على الحدود السورية وقد حققت أهدافها حيث سارعت إسرائيل لتعزيز الجبهة الجنوبية مما أغرى القيادة المصرية بتكرارها في مايو ١٩٦٧م .

د - إن ناصر قد افترض أن ترفض الأمم المتحدة أى ، سحب لقوات الطوارئ وبالتالي يتم تحقيق الهدف الردعي دون أن يخلق ذريعة للحرب وهو إحتلال شرم الشيخ وإغلاق مضائق تيران ، ولكن عندما قرر يونانت سحبها بما أجبر مصر على إرسال قوات مصرية لشرم الشيخ وفرض الحصار^(١) .

لكن عندما خرج الموقف عن إمكانية تصرف ناصر فقد كان لديه تصور كامل بإحتيالية قيام الحرب . حيث قرر عبد الناصر في إجتماع اللجنة التنفيذية العليا أن

(١) راجع ، محمد السيد سليم . التحليل السياسي الناصري . دراسة العقائد والسياسة الخارجية . مركز دراسات الوحدة العربية . بيروت ١٩٨٣ ص ٣١٢ .

حشودنا في سيناء يجعل الحرب محتملة بنسبة ٥٠٪ ، أما إذا أوقفنا المضايق فالحرب مؤكدة مائة في المائة^(١) .

كما أنه أكد في اجتماع ٢ يونيو على عدة أسس هامة :

أن إسرائيل ليس أمامها إلا أن تسلم بالأمر الواقع أو تشن حرباً علينا وعلى الدول العربية المتاخمة .

كما أشار إلى أنه لا يستبعد الإحتمال الأخير ، بل يتوقعه مائة في المائة ولا سيما بعد تشكيل وزارة حرب وتعيين موسى ديان وزيراً للدفاع وكذلك بعد الإتفاق الذي تم مع العراق على إرسال قواتها للأردن .

وأن استراتيجيتنا - وقد تحولت إلى استراتيجية دفاعية بحته - تلزمنا أن نكون في حالة يقظة تامة وأن إسرائيل لو قامت بعمليات هجومية واسعة فلن يتأخر ذلك عن ٤ - ٥ يونيو .

حيث لا بد لإسرائيل من أن تقوم بهجومها قبل وصول قوة الجيش العراقي للأردن وقبل أن تتخذ مواقعها في الجبهة .

وأن إسرائيل ستبدأ بضربة جوية ضد دفاعنا وقواتنا الجوية حتى يتم شلها وإخراجها من المعركة وطلب من العسكريين الإستعداد لتلقى هذه الضربة وتقليل خسائرها إلى الحد الأدنى حتى يمكننا توجيه ضربة رادعة ضد القوة الجوية للعدو^(٢)

كما أن عبد الناصر وقد لاحظ تجمع قوات العدو أمام مثلث رفح - العريش - أبو عجيلة بثلاث مجموعات عمليات فأوصى بتقوية الدفاع في اتجاه رفح وغزة .

ورغم ذلك ، ورغم هذا الفهم إلا أن الضربة كانت قاسية ومؤلة وفادحة في آن واحد .

ثانياً : واقعة الحرب :

كانت الهزيمة بمثابة التدشين الفعلي لنهاية التجربة الناصرية ، ولقد أحسن محمد حسنين هيكل عندما لخص هذه الحرب في كتابه (الإنفجار ١٩٦٧ م) بقوله :

(١) د. مصطفى علوي . سلوك مصر الدولي . رسالة دكتوراه غير منشورة قدمت إلى كلية الاقتصاد .

جامعة القاهرة عام ١٩٨١ م . ص ١٠٥

(٢) لواء محمود خليل - مصدر سابق .

(ما بين الساعة الثامنة وحتى الساعة الحادية عشرة والنصف من صباح يوم الإثنين ٥ يونيو ١٩٦٧م ، كانت معركة الستينات ضمن الصراع الهائل في الشرق الأوسط وعليه - قد بدأت وانتهت بهزيمة مؤلمة لمصر وللأمة العربية كلها) .

والحقيقة أن الذي يتابع مجرى الصراع في الشرق الأوسط وعليه منذ بدأت إسرائيل تقوم بدور رئيسي فيه ، ويهدف استنزاف طاقة مصر والأمة العربية وتطويع إرادتهما ، لا يستطيع إلا أن يلاحظ أنها كانت معركة متجددة تفرض نفسها على إمتداد الحقب الأربع التي تلتها نهاية الحرب العالمية الثانية ، كان الصراع في الشرق الأوسط وعليه قد أصبح أظهر معالم الحرب الباردة التي احتدمت مواقعها بين القوتين الأعظم اللتين إستطاع تحالفهما أن يحقق النصر ضد ألمانيا النازية ، ثم أصبح خلافهما بعد النصر - مع إستحالة الحرب بينهما في عصر القوة النووية - إطاراً لفترة من أخطر فترات التاريخ الإنساني وأحفلها بالتوتر والقلق ، ثم التنفيس عن هذا التوتر والقلق بما اصططح على تسميته بالحروب المحدودة على ساحة عريضة تمتد من شاطئ شرق آسيا على اعريض اخادى . إلى شواطئ غرب أفريقيا على المحيط الأطلسي .

وفي الحروب المحدودة في الشرق الآسيوى فإن المعارك توزعت على ساعات متفرقة من كوريا إلى فيتنام إلى الحدود الهندية الصينية ، ثم إلى الحدود الهندية الباكستانية . وأما في الشرق الأوسط - وبسبب الدور الخاص لإسرائيل - فإن المعارك تركزت كلها في نفس المواقع واحدة بعد واحدة . حقبة بعد حقبة فوقاً لما يقول هيكل :

✽ في الأربعينات كانت معركة فلسطين ١٩٤٨م - وبها قامت إسرائيل تنفيذاً لأساطير تاريخية ومطامع دولية .

✽ وفي الخمسينات كانت معركة السويس ١٩٥٦م - وقد انتهت بإندحار العدوان الثلاثى الذى شاركت فيه بريطانيا وفرنسا - مع إسرائيل - وكان إندحار هذا العدوان راجعاً بالدرجة الأولى لتصادمه مع الموازين العالمية والإقليمية والوطنية فى تلك اللحظة من التاريخ .

✽ وفي الستينات كانت معركة سيناء الأولى سنة ١٩٦٧م - وقد توقفت والجيش الإسرائيلى واقف على خط المياه عند قناة السويس بعد مشاهد دامية وملتية بال نار ، جاءت نتيجة مطلوبة لسنوات متعاقبة من الضغوط السياسية والعسكرية والاقتصادية والنفسية قادتها الولايات المتحدة الأمريكية بالذات أثناء حكم الرئيس « ليندون جونسون » (١٩٦٣ - ١٩٦٨م) . وكان وصول الجيش الإسرائيلى إلى خط المياه نتيجة مطلوبة وإن لم يكن

نتيجة نهائية لأن المعارك ما لبثت إن إستؤنفت بما عرف بعد ذلك بمعارك الإستنزاف من سنة ١٩٦٧م إلى سنة ١٩٧٠م .

* وفى السبعينات كانت معركة سيناء الثانية سنة ١٩٧٣ - وقد استطاع الجيش المصرى فيها أن يعبر بقرته إلى الضفة الشرقية من قناة السويس فى جهد بطولى عظيم .

* وفى الثمانينات كانت معركة لبنان الذى كان قد أصبح وحده جبهة وحيدة مفتوحة على إسرائيل التى ظنت أنه فى مقدورها - بالتعاون مع بعض العناصر فى التركيبة الداخلية اللبنانية المعقدة - أن تحكم إغلاقها . ثما اضطرت إلى انسحاب جزئى منها بعد أن أدركت أنها ليست نوع المعارك التى أعد من أجلها الجيش الإسرائيلى .

* وعند مشارف التسعينات ومع بداياتها كانت هناك معركة الإنتفاضة الفلسطينية ، وهى ما زالت دائرة فى الأرض المحتلة حتى هذه اللحظة ^(١) .

ويرى هيكىل أن معركة الستينات ١٩٦٧م - تبقى أخطر معارك الحرب فى الشرق الأوسط وعليه - كما أنها أكثرها إثارة وأشدّها ضراوة وأبعدها تأثيراً وأحفلها بالمفاجآت . وبالتأكيد فلقد كانت المفاجأة الكبرى والحاسمة فيها هى قصر المدة التى استغرقتها المعركة ، والتى لم تزد فى الواقع عن ثلاث ساعات ونصف الساعة . من الساعة الثامنة إلى الحادية عشرة والنصف من صباح يوم الاثنين ٥ يونيو ١٩٦٧م .

وبالنسبة لواقعة الحرب فلقد كانت هذه المدة القصيرة (ثلاث ساعات ونصف) هى لحظة الزمن التى استغرقتها الضربة الجوية الإسرائيلية والتى جاءت ضربة قاضية ، وفى الساعة الثامنة بالضبط من صباح ٥ يونيو قامت موجة أولى من الطائرات الإسرائيلية عددها ١٧٤ طائرة بمجموعة من الغارات المتزامنة على كل قواعد العمق المصرى فى وادى النيل ابتداء من قاعدة «أبو صوير» على الضفة الغربية لقنال السويس ، وحتى مطار «الأقصر» فى جنوب الوادى . ثم لحقتها موجة ثانية من ١٦١ طائرة ركزت بالدرجة الأولى على المطارات المتقدمة فى سيناء . ثم جاءت موجة ثالثة من ١٥٧ طائرة تكتسح ما بقى من حطام على المطارات والقواعد المصرية .

أى أنه بجهد ٤٩٢ طائرة مركزة فى ثلاث موجات - كان مصر معركة سنة ١٩٦٧م قد تقرر فعلاً ، وأصبح مانلاً ذلك كله - حتى توقف القتال رسمياً يوم ٩ يونيو - مجرد تفاصيل لا تغير من الصورة النهائية للمعركة شيئاً ، ولا تنقص فيها: أو تزيد . ذلك أن ضربة

(١) هيكىل : الانفجار ١٩٦٧م - ص ٧٠٩ .

ضربان الإسرائيلي أدت مباشرة إلى نتيجتين :

الأولى : أن القيادة العسكرية المصرية فقدت أعصابها وتوازنها ، وهذا هو الهدف الأول لفكرة الحرب الخاطفة منذ دعا إليها أساتذة الإستراتيجية الإنجليز ، وفي مقدمتهم « ليدل هارت » - إلى أن طبقها الجنرالات الألمان من أمثال « جودريان » و « مانشتاين » و « روميل » في الحرب العالمية الثانية ، وخصوصاً في مراحلها الأولى حينما سقطت هولندا وبلجيكا ولو كسمرج في ظرف ساعات ، وسقطت بولندا في ظرف أيام ، واستسلمت فرنسا في ظرف أسبوعين وأصبح حصنها الدفاعي الشهير خط « ماجينو » طلالاً من أطلال الماضي قبل أن تتاح له فرصة الحياة ولو يوماً واحداً !

والواقع أن الخسائر الأولى لفكرة الحرب الخاطفة بدأت من محروب الثورة الفرنسية على لسان « دانتون » حينما لخص إستراتيجية فرنسا بقول : السرعة ، ومزيد من السرعة ، والسرعة دائماً ، الجراءة ، ومزيد من الجراءة ، والجرأة دائماً ، وكان ذلك ما طبعه « نابليون » بالمدفعية والخيالة قبل أن يضيقه الجنرالات الألمان بقوة الإتحاد الهائل التي يمثلها تعاون الطيران مع المدرعات .

و لم يكن الهدف من السرعة والجرأة احتلال المواقع فحسب - وإنما شل تفكير القيادة على الناحية الأخرى وإرباكها وافقادها لأعصابها وتوازنها من اللحظة الإفتتاحية للمعارك . والنتيجة الثانية : أن الجيش المصري أصبح في وضع عسكري لا يطاق ، فبدون غطاء من طائراته فوقه ، ومع سيطرة كاملة على الأجواء للعدو ، وفي صحراء مكشوفة - فإن القتال لا يعود قتالاً ، وإنما يتحول إلى قتل مهما كانت شجاعة الرجال !

وكان هذا هو الوضع الذي دعا « عبد الحكيم عامر » إلى القرار بالانسحاب فجر يوم ٦ يونيو وهو قرار منطقي من ناحية المبدأ ، وإنما جاءت المصيبة في طريقة اتخاذه وأسلوب تنفيذه ، ذلك أن نظرية الحرب الخاطفة كانت قد حققت أثرها على القائد العام وأفقده أعصابه وتوازنه .

والخزن أنه في اليوم الأول من القتال كانت الخسائر المصرية في كل قطاعات الإشتباك مع العدو في حدود ٢٩٤ شهيداً - وبعد قرار الانسحاب يوم ٦ يونيو ومع طريقة تنفيذه حتى مساء يوم ٨ يونيو وصل عدد الشهداء إلى ٦٨١١ شهيداً .

بالضبط فإن جزء من هذه الخسائر كان ضرورياً لحماية انسحاب القوات ، ولكن هذا الانسحاب كان في معظمه حالة من الفوضى ، وخلال هذه الفوضى ومضاعفاتها وقعت

أفدح الخناثر .

كانت الخطة الإسرائيلية سنة ١٩٦٧م هي نفسها خطة سنة ١٩٥٦ - والخطط في العادة لا تتغير لأنها محكمة بالجغرافيا ، وإنما تتغير أساليب القتال والتحركات وملابسات الخداع والمفاجأة إلى آخره .

(وعلى سبيل المثال فإن خطة غزو فرنسا سنة ١٩٤٠م كانت هي نفسها خطة الجنرال « شليفن » أثناء حرب السبعين - لكن الطيران والدبابات كانت هي التي قامت سنة ١٩٤٠م بهمة المدفعية والخيالة في خطة سنة ١٨٧٠^(١) .

ولم تكن الخطة الإسرائيلية سنة ١٩٦٧م مجرد إستلها من خطة سنة ١٩٥٦م ، وإنما كانت إعادة لها بالنص خصوصاً بعد أن تمكنت إسرائيل^(٢) من الحصول على ملف عمليات الطيران البريطاني أثناء الغزو الثلاثي بواسطة « جيمس إنجلتون » (المخابرات المركزية الأمريكية) بالترتيب مع إدارة « أم . آي . سكس » (المخابرات البريطانية) أثناء فترة الإعداد لضربة « اصطيد السلام الرومي » .

كان « عزرا وايزمان » - قائد الطيران الإسرائيلي الذي انتقل ليصبح مديراً للعمليات سنة ١٩٦٧م - هو الذي إستلم الخطة البريطانية ، وقال في مذكراته أنه لسنوات كان يعيش مع « الخطة » (دون أن يحدد في مذكراته مصدرها) ويعلم بها ويتمثل تفاصيلها ويدرب رجاله عليها . وقد تولى مع عدد من مساعديه مهمة ترتيبها للملاءمة الأوضاع المستجدة . ثم تسلم الخطة منه نائبه وخلفه في قيادة الطيران الجنرال « مورد حاي هود » .

كانت الخطة ببساطة هي ضرب ١١ قاعدة جوية مصرية في نفس الوقت ، وهي : « العريش - بير جفجافة - بير عمادا - جبل لبنى - أبو صوير - كبريت - إنشاص - القاهرة - غرب القاهرة - بنى سويف - الأقصر » .

ويكون الضرب بموجتين : الأولى تركز على قواعد وادي النيل البعيدة . والثانية تركز على قواعد سيناء ، القرية .

وكان الهدف الأهم هو (قاعدتي بنى سويف ، والأقصر) ففيهما تتمركز الطائرات المصرية القاذفة وهي الخطر الأكبر الذي كانت تتحسب له إسرائيل .

(١) هيكل : المصدر السابق ص ٧١٣ .

(٢) هيكل : المصدر السابق ص ٧١٣ .

وبعد الضربة الجوية كان على سلاح الطيران الإسرائيلي أن يكرس جهده لمعاونة القوات المدرعة الزاحفة على سيناء .

وبالفعل فإن الضربة الجوية استغرقت جهد ٤٩٢ طائرة، وبعدها فإن الطيران الإسرائيلي قام بقرابة ألف طلعة لمساندة القوات المدرعة .

وكان قائد قوات الجبهة الجنوبية - الجبهة مع مصر - هو الجنرال « أشعيا جافيش » وكانت تحت أمرته ثلاث مجموعات من الجيوش .

* مجموعة القطاع الشمالى (رفع - القنطرة) تحت قيادة الجنرال « إسرائيل تال » .

* مجموعة القطاع الأوسط (القسيمة - الجفجافة) تحت قيادة الجنرال « أريئيل شارون » .

* مجموعة القطاع الجنوبى (العوجة - متلا) تحت قيادة الجنرال « ابراهام يوفى » .

والحاصل أنه بعد نجاح ضربة الطيران الأولى أصبح دور كل هذه القوات ثانوياً ، ولم يعد هدفها هدفاً عسكرياً وإنما أصبح مطلبها سياسياً - وقد حدده الجنرال « ديان » وزير الدفاع الإسرائيلي على النحو التالى (مذكرات ديان فيما بعد الحرب) :

١ - تدمير أكبر حجم ممكن من السلاح السوفيتى فى المنطقة (لأن ذلك يرضى الولايات المتحدة فى جانب تأمينه لإسرائيل) .

٢ - تخطيط معنويات الجيش المصرى وإذلاله حتى لا يقبل مرة أخرى أن يقاد إلى معركة ضد إسرائيل مهما كانت الظروف .

٣ - الوصول بالهزيمة العسكرية إلى حد الإهانة حتى لا تعود مصر مهما كانت دعاويها إلى مكان الصدارة فى العالم العربى (الآن وإلى المستقبل المنظور) .

٤ - الجمع بين هذه العوامل كلها معاً بحيث تؤدى إلى إسقاط النظام و« جمال عبد الناصر » على رأسه ، بحدوث ردة فعل غاضبة لدى الجماهير المصرية والغربية .

٥ - بتحقيق ذلك - فإن إسرائيل تستطيع أن تفلت بهدفها الأكبر فى العملية كلها وهو الضفة الغربية للأردن بما فيها القدس - دون أن تتعرض لأى ضغط من جانب الولايات المتحدة . ذلك لأنها سوف تعطى ل « جونسون » كل ما أرادته ، وبالتالي فهو لا يستطيع أن يجرمها فى المقابل من كل ما تريده !

كان التخطيط الدولى لخطوة « اصطلياد الديك الرومى دقيماً » . وكان التنفيذ الإسرائيلى للدور

المقرر لها فيه على درجة عالية من الكفاءة - بصرف النظر عن أحكام التاريخ التي فرضت نفسها فيما بعد وأكدت للكل أن ما حققته إسرائيل ليس هو النصر الذي تنتهى معه كل الحروب ، وفي كل الأحوال فإنه ليس هو النصر الذى يستطيع أن يحقق لها السلام الإسرائيلى الدائم الذى كانت تصوره فى تناول يدها فى تلك الأيام من سنة ١٩٦٧ م .

ويرى هيكىل فى كتابه الهام أنه وفى مقابل ذلك كان التخطيط المصرى معرضاً ومكشوفاً ، ومن المحقق أن مصر - سواء قدرت ذلك قيادتها السياسية أو لم تقدره - كانت فى وضع لا يسمح لها مهما فعلت بالانتصار فى معركة الستينات ، وهنا تجبىء المسؤولية التى يتحملها « جمال عبد الناصر » .

ولقد يقال أن المؤامرة كانت أكبر من طاقته وأكبر من طاقة مصر ، وإنها كانت يجب أن تطاله ويطلها مهما فعل أو فعلت ، ولكن مثل هذا القول لا يعفيه ، وإن كان من الحق أن توضع أحداث سنة ١٩٦٧م فى سياقها التاريخى بالنسبة للعصر وظروفه وأحكامه داخل منطقة الشرق الأوسط وخارجها ، ومع ذلك فليس هناك شك فى أن (جمال عبد الناصر) مشى إلى الفخ الذى نصب لإصطياد الديك الرومى ووقع فيه ، وربما كان مما يحسب له بعد الوقوع فى الفخ أنه تمالك نفسه بسرعة وعاد يضع نفسه والأمة وراءه من مرحلة الصمود وإزالة آثار العدوان .

ولم يهرب « جمال عبد الناصر » من مسؤوليته ففى خطابه إلى الأمة يوم ٩ يونيو قال بالنص إنه «برغم أية عوامل قد أكون بنيت عليها موقفى فى الأزمة - فإننى على استعداد لتحمل المسؤولية كلها» .

ومن الغريب أنه فى إدارته للأزمة وقع فى خطأ كان هو دائم التحذير منه ، فكثيراً ما كان يستشهد بمقولة شهيرة ل « ونستون تشرشل » (الذى قاد بريطانيا فى الحرب العالمية الثانية) يحذر فيها « من خوض أى حرب جديدة بنفس أسلوب الحرب السابقة » .

والحاصل أن « جمال عبد الناصر » وقع فى هذا الخطأ ذاته ، فقد قاد أزمة سنة ١٩٦٧ متأثراً بالمناخ الذى قاد به أزمة سنة ١٩٥٦م قبلها بأحد عشر عاماً ، وكانت كل الظروف مختلفة .

ولهذا كانت الضربة موجّهة ، وكانت بمثابة الموت الحقيقى لجمال عبد الناصر قبل الموت الجسدى بثلاث سنوات .

ثالثاً : رؤية عميل أمريكي للهزيمة :

فى كتابه الهام والذى آثار - ولا يزال - ردود فعل صاخبة ، يرى مايكلز كوبلاند العميل السابق للمخابرات الأمريكية فى المنطقة ، فى كتابه (لعبة الأمم ^(١)) ، ما يلى بشأن هزيمة ١٩٦٧ م :

«لقد تعثر ناصر وانجرف نحو درك الحرب إنجرافاً ، ولم تكن إسرائيل قد تهيأت لها قلباً وقالياً بل وكانت مضطربة وحيرى ، وأما أجهزة مخابرات السوفييت فلم تكن تتمتع بالكفاءة اللازمة ولم يكن تخطيط الروس ، وتقديرهم سليمين قديرين بل وكانا ضعيفين ، وكانت أمريكا هى الأخرى عاجزة عن فعل أى شئ ، سوى أننى أود أن أضيف هنا قائلاً : أن ناصر لم يتورط فى الحرب تورطاً ولم يدفع لها دفعاً ، ولم تكن إسرائيل مضطربة حيرى بل كانت للصدام متوقعة وللحرب متشوقة . لقد أمسك ناصر بزمام الأمور جيداً وظل لها مخططاً ، وبالعباية بها منفذاً ، حتى لحظة تنازل نائب الرئيس زكريا محيى الدين - وبالنسبة عن ناصر نفسه - عن مطالب مصر فى مضائق تيران ، إستجابه لنداء الأمم المتحدة ، بسماحة نفس ورحابة صدر . غير أن الإسرائيليين لم يكونوا راغبين فى ترك ناصر يجنى ثمار تلك الواقعة فوجهوا لمصر الضربة القاضية فى نفس الصباح الذى كان مقرراً فيه مغادرة زكريا القاهرة قاصداً نيويورك مع أنهم كانوا قد قطعوا على أنفسهم عهداً أن يمسكوا عن الحرب حتى يصل زكريا إلى هناك . ولستوات غير قليلة بقى الإسرائيليون يتدربون على إنقاضهم ذلك ، ولو لم ينفذوه يومها فما ، كانت الفرصة لتسبح لهم مرة أخرى أو تتوفر لهم ثانية ظروف مثلى» .

ويقول كوبلاند فى موقع آخر من كتابه :

وها أنذا أساهم بتقديم ما شاهدته بأى عيني فى القاهرة ، فقد كنت جاهلاً لما كان يجرى يومها فى تل أبيب أو واشنطن ولم يكن علمى بمجريات الأمور فى موسكو إلا عن طريق أصدقائى من المصريين . وهذا ما علمته .

(١) رغم تحفظنا على العديد من المعلومات والتقييمات التى قدمها (كوبلاند) فى تقريره المخابراتى المرفق ، إلا أن هذه المعلومات باتت لها وجهتها وأهميتها الآن ، وبعد أن كشفت أجهزة المخابرات الغربية (الأمريكية تحديداً) بعض وثائقها بشأن هذه الحرب ، وبعد أن نقل عنها بعض الكتاب المصريين (أمثال محمد حسنين هيكل وجلال كشك وغيرهم) العديد من الحقائق ، باتت رؤية كوبلاند هامة ، لأنها كانت صادقة فى بعض ما أوردته رغم زيفها فى البعض الآخر . (المؤلف) ..

يقول :

(١) كان شغل ناصر وضباطه الشاغل قبل الحرب بشهرين خراب اقتصاد البلاد وإنهياره ، ففى بداية تلك السنة (١٩٦٧ م) قام فريق من الباحثين يعملون لشركتى باحصاء أدق الأرقام التى توفرت عن مقدار العملة الصعبة والذهب المخزون فى مصر عام ١٩٥٢م يوم قام ناصر بانقلابه ، ثم أضافوا إليه مجموع المساعدات الأجنبية (من قروض وهبات) التى تلقتها الحكومة ، وأضافوا إليه أيضاً مجموع ما أذخرته مصر من ثمن الصادرات بين منتصف ١٩٥٢م وحتى نهاية عام ١٩٦٦م ، وأنقصوا من المجموع الحاصل النفقات والبصروفات (الخارجية و ثمن الواردات) فكانت النتيجة أن معدل عجز مصر التجارى قد بلغ حوالى أربعمائة مليون دولار سنوياً وقد استفذ تقريباً كل تلك الواردات بما فيها قروض إستدانتها الحكومة وعجزت عن آدائها .

وعلى حد قول البروفسور لاکور فإن احتياطى مصر قد تدنى حتى أضحى حوالى أربعين مليوناً من الدولارات كذهب مخزون وستة وأربعين مليوناً من الدولارات بشكل عملات صعبة . ولو أن إمرعاً حاول أن .. يبحث حثيثاً فى القاهرة عن تلك الستة والأربعين مليون دولار ، لما كان له - لدهشته - أن يعثر على أكثر من مليونين أو ثلاثة يجب دفعها لتسديد ثمن مشتريات طارئة لا مناص منها . فكم من معامل أغلقت أبوابها لنقص فى قطع التبدیل التى لا تكلف أكثر من بضعة ألوف من الدولارات . وأوقفت يومها شركة الطيران العربية المتحدة أربعاً من طائراتها الكوميت السبعة لنقص فى قطع الغيار مع أن هذه الشركة تعتبر أحد مصادر العملة الصعبة فى مصر .

ولو أن الحكومة المصرية باعت يومها كل ما تبقى لديها من ذهب ما كان ليكفيها هذا لأكثر من شهر واحد تسدد به ثمن ما اعتادت عليه من واردات وتدخر منه دراهم معدودات .

وفى التقارير الاقتصادية الربع سنوية للسفارة الأمريكية فى القاهرة تجد رأياً أن الحكومة المصرية كانت مفلسة فعلاً قبل عام من الزمن (أى فى أوائل ١٩٦٦م) . وأما السائحون من بين المراقبين الأجانب الذين حنكهم الظروف ومرستهم الأحداث فقد قالوا يومها : « لقد اعتدنا على سماع هذا النغم القديم أعواماً ، ولكن مصر دائماً تجد منطلقاً لها ومخرجاً من هذه الأزمات ، غير أن هذه المرة كان من الواضح جداً أن الجمهورية العربية المتحدة قد هوت إلى الحضيض ، وعندما أدرك السوفييت أن مساعدات الغرب قد نضبت والمنافسة بينهم وبين الأمريكيين قد انتهت بدؤوا بتقديم المساعدات شيئاً فشيئاً ، وبمقادير قليلة وحسب ما

يرونه من ظروف مناسبة وأحوال ملائمة .

(٢) وكنت أعتبر ولسنين عديدة - والقول لكوبلاند - أن نظام ناصر أكثر النظم حصانة ضد الانقلابات في العالم العربي ، ولا أزال أرى ذلك . إلا أنه في آذار / مارس / نيسان / إبريل عام ١٩٦٧م بدا بدون أدنى شك أن ناصر قد وصل إلى طريق مسدود ، أنه كان وضباطه بذلك عالمين . وبدا يومها في مصر أن « الإستغراض الكبير » قد انتهى ، قررت حكومتنا (وكانت قد قدمت ليومها أكثر من خمسمائة مليون من الدولارات كمساعدات منذ انتهاء الأزمة اللبنانية ١٩٥٨م) ، إنها لن تقدم مساعدات جديدة إلا على أساس من طرق استثمارها والإستفادة منها وليس على أساس من الضغط السياسى ، ولو جمع الخيال ما جمع فلن ينجح هذا الأسلوب الجديد في مصر . ولقد عبر « وورد اليوت » وهو محام من واشنطن ويكتب في مجلة « السياسة العامة » التى تصدر عن جامعة هارفرد (عما يجول حقيقة في عقول كل موظف غربي يعمل في « ديون المساعدات » وكل أصحاب البنوك الغربيين عندما قال : « إن إصرار ناصر على القفز إلى مسرح السياسة العالمية ليلهو هناك قد كلف المصريين نفقات باهظة كان يمكن استغلالها بشكل إجدى في مجالات أخرى . وعلى كل دولة تساعد مصر أن تدرك أنها بذلك تقدم دعماً لناصر لتحقيق أطماعه وآماله خارج بلاده ، كما تساعده على ضم ممالك جديدة لعرشه الغرير بها .

والناحية الهامة هي أن كبار المسئولين المصريين في الجهاز الحاكم في الجمهورية العربية المتحدة . أدركوا أخيراً تلك التحولات في مواقفنا ووجهات نظرنا . ولا شك أنه خطر لبعض أصدقاء ناصر المخلصين (مع إننى كنت أعتقد باستحالة قيام أى إنقلاب ضده) أن يجعلوا منه « سوكارنو » ولو على مضض منه (كما عبر عن ذلك (مى سلوز بيرجر) . فقد وقعت أنذونيسيا في معضلة مشابهة لوضع مصر فكان الحل لها هناك أن رفعوا سوكارنو إلى مستوى رئيس مجلس إدارة وإستلم أمناء عامون توجيه أمور البلاد وشئوننا وأعادوا بناء البلاد ثانية بعدما تردت الحالة فيها حتى بلغت حد الإفلاس . وقد علمت من مصادر موثوقة لدى أن مثل هذه الفكرة قد بحثت جدياً للخروج بالبلاد من مصاعبها ومصائبها وأن رجالاً لا يشك بولائهم لناصر قد تكفلوا بوضعها قيد التنفيذ ، ولا أشبه أن يكون أحدهم قد بلغ حداً من التهور والطيش لأن ينقلها لناصر ويبلغه إياها . ومن خلال معرفتى بناصر فإننى كنت واثقاً أن مشروعاً كهذا لن ينجح أو يرى بصيصاً من نور .. فناصر لن يرحل يتدمر أو شكوى ، ولن يتقوض نظامه وينهار إلا بضربة عنيفة وضجة مدوية ، ويومها متنازل الآلهة أعداءها وتلور رحي حرب ضروس لا تبقى منهم أحداً ولا تذر لهم على الأرض دياراً .

(٣) ولم يعد ضباط ناصر يكثرثون بما يفكر العرب بالنظام الناصري - والقول لكوبلاند - وأخذ حرصهم على سمعته يقل رويداً رويداً . إلا أنهم أضحوا في قلق متزايد إزاء الصورة التي أخذ العالم المتحضر يرسمها عنهم وهي شبيهة بقصة أفيلين واه المسماة « المؤذى الشرير » ولكن ناصراً كان جريصاً على أن لا يفقد ماء وجهه أمام العرب - والعرب على الأقل - أو يبدو من الخاسرين . وقبل أيام من فرار من القاهرة في وجه الكارثة التي بدأت تلوح يومها في الأفق سألت أحد أشد اتباع ناصر على الظهور بمظهر زعيم كبير بين جملة أفراد خاسرين ؟ ولم يستطع أن يجيبني بأكثر من : من كل قلبي ، أتمنى لو كنا ندرى ذلك .

وكان هذا مهما لناصر ، ولهذا فعندما استغفزه السعوديون والأردنيون معلنين أنه لم يبيد أي تأثير بغارات الإسرائيليين المتزايدة على سورية والأردن ، وتحرك ناصر وأشغل نفسه بدعاية إذاعة مضادة وأهل مسائل بلاده الاقتصادية الهامة . وغالب اعتقادي أن وصم الأردنيين له خاصة بالجين والإخفاء خلف قوات الطوارئ التابعة للأمم المتحدة قد دفعه إلى إغلاق مضائق تيران في وجه الإسرائيليين . وعلى هذا يعلق البروفسور لأكور قائلاً : « لقد كان من واجب السوريين وناصر أن يعلموا أن إطلاق التهديد من موقف الضعف أمر خطير » ، سوى أنني أعتقد أن السوريين وناصر يجهلون خطر مثل تلك السياسة بل وتجاملوها بنجاح لسنوات عديدة خلت . (وحتى بعد المهزلة النكراء التي حلت بهم في حزيران (يونيو) عام ١٩٦٧م ، فما زالوا يتحدثون بلهجة القوى المنتصر . ولا يقع اللوم عليهم في هذا فلهجتهم تبدو طبيعية بل ومفيدة أحياناً .)

(٤) وأخيراً - والقول لا يزال لكوبلاند - فهناك مشكلة سوريا ، ففي السابغ من نيسان (أبريل) عام ١٩٦٧م كانت بعض الطائرات السورية تحلق فوق منطقة مجردة من السلاح فرأت بعض الجرافات الإسرائيلية تحرق وتزرع . فاغتنمت الطائرات السورية الفرصة وانقضت على الجرافات تصلحها وابلأ من رصاصها وقنابلها ، ولم لا فالسوريون لا يقوون إلا على أمثالها قصفاً ولا يجيدون لغيرها نزلاً . ومهما كان فقد كان الإغراء يومها طاعياً ، فدمرت الجرافات عن بكرة أبيها وقتل من المزارعين نذر غير يسير ، ولكن لم تكد غارة السوريين تنتهي حتى ظهرت في الجو بضع طائرات من الميراج الإسرائيلية ولحقت بالطائرات السورية إلى دمشق وأسقطت ستاً منها فانتثر حطامها في ضواحي المدينة وفي الجوار ، وتألم السوريون من ذلك ، وأطلقت صحفهم والحكومة صيحات الحرب والنار ، وأخذت الإذاعة السورية في الأسابيع التالية تدعو إلى الحرب علناً وإلى التحرير جهاراً بشكل يجعل كل من

لا يعرف السوريين أن يظن بهم خيراً وأنهم على مهاجمة الإسرائيليين لا محالة مصممون . وهكذا أعطى السوريون الإسرائيليين كل ما أرادوه من أدلة وبراهين ليظهروا أنفسهم بمظهر المدافعين عن أنفسهم والمتحدين بالسلام . (وكان السوريون مدفوعين بالاتفاقية العسكرية التي وقعوها مع المصريين في تشرين الثاني (نوفمبر عام ١٩٦٦ م) .

وعقد المصريون هذه الاتفاقية وهم يظنون . والروس معهم ، أنهم يحسنون صنعا . إلا أن سعيهم قد ضل ولم تخفف شيئاً من مغالة السوريين ، بل وكان أثرها عكس ما توقعوا تماماً . فقد ظن السوريون أن الجيش المصرى رهن إشارتهم ، فاندفعوا تحت حماية الاتفاقية يزأرون ويزفجرون ، ولولاها لبدا حماسهم في تلك الفترة متهوراً حتى في منظرهم أنفسهم ، وأضحى جلياً في بداية أيار (مايو) ، أن السوريين وليس ناصراً قد أخذوا يندفعون إلى حافة الحرب .

« ومع أنني - والقول لكوبلاند - كنت فاقداً أى ، اتصال مع السوريين يومها ، فقد أخبرني أصدقاؤى من المصريين الذين كانوا على صلة بهم أن الأوائل قد ضمنوا أن النصر سيكون حليفهم في الحرب القادمة ، شريطة أن يكون المصريون معهم فيها ، هذا عن السوريين ، وأما عن المصريين فأنى أعتقد ، خلافاً لكتاب كثيرين ، أنهم لم يلمسوا من أنفسهم القوة الكافية لهزيمة إسرائيل ، لقد أخبرني ناصر نفسه ، وقبل أسبوع واحد من الحرب ، عن محادثة جرت بينه وبين المشير عامر عنفه فيها قائلاً : « إنك - عزيزى عامر - متخلف ما لا يقل عن عشر سنين عن العصر الذى أنت فيه ، كيف ستلحق هزيمة بجيش حديث وحسن التدريب مثل الجيش الإسرائيلى وجيشك لم يتمكن لسنوات أن يخضع شراذم اليمنيين من المدعين على المخدرات ! » وأزيد على هذا أن النظرة الآتفة الذكر لم يتفرد بها ناصر وحده بل أبدى كبار ضباطه شكاً كبيراً في قدرة الجيش المصرى على العمل وكفاءته في القتال ، ولا أزال أذكر ما خاطبني به أحدهم قائلاً : « إن إستطاعت مصر الإفلات من هذه الأزمة بنصر ديبلوماسى فستدع السوريين يخوضون غمار الحرب لوحدهم أن يقوموا ليومها مصرين على ذلك دون تراجع أو خوف » .

كان الضباط المصريون يعلمون ، ويعلم الأمريكيون المقيمون في القاهرة ، وأنا من بينهم ، وكذلك كان يعلم ، كل المراقبين من ذوى الإطلاع أن فرصة ناصر في إحراز نصر ديبلوماسى مؤزر تعادل فرصة خسارته .

وقد ألقى خطاب ناصر في ٢٩ آيار (مايو) عام ١٩٦٧م كثيراً منا حيث قال فيه :
« لقد باتت إستعداداتنا كاملة ، ونحن الآن مهيبون لمواجهة إسرائيل ... ولقد أصبحنا قادرين
على معالجة قضية فلسطين بأكملها ... » وكذلك قوله : سوف نقرر نحن وليس هم زمان
المعركة ومكانها . وصحيح أن أشكول رئيس وزراء إسرائيل قد صرح في ١١ آيار (مايو)
بما لا يقل فحوه خطورة عن ذلك ، غير أن عبارة ناصر أضافت حجة للإسرائيليين فوق
الحجة التي وهبهم إياها السوزيون ليقوموا بالضربة الأولى ، بل لعلها جعلت من المحتم عليهم
فعل ذلك ، وعندما غادرت القاهرة في تلك الأثناء عائداً إلى لندن ، أخبرت أصدقائي من
المصريين قبل سفرى بأننى أراهن حتى الدولار الأخير الذى امتلكه بأن ناصر سوف يواجه
هجوماً صاعقاً كذاك الذى وقع على بيرل هاربر . قلت ذلك وأنا أعلم أن بعثة زكريا محيى
الدين إلى نيويورك قد قررت أن تكون صباح الخامس من حزيران (يونيو) وأن الإسرائيليين
قد قطعوا على أنفسهم عهداً للرئيس جونسون أنهم لم يقوموا بتسديد أية إضرار لمصر قبل
أن يرى العالم زكريا محيى الدين في نيويورك ويسمع منه ما يريد أن يقوله . وكما قلت سابقاً
فلقد كانت فرصته خمسين بالمئة ، لا تزيد عن هذا أبداً . ولكن ناصر قامر وغامر ولعله
قد خسر الرهان .

ولأمرىء أن يسأل : هل رجحت إسرائيل الحرب ؟ إننى أرجع هنا - والقول لا يزال
لكوبلاند - إلى قول أندريه بوفر « وهو استراتيجى فرنسى عظيم يعرف النصر فيقول : « هو
أما أن تحطم عدوك تماماً أو تجعله في موقف يقبل ما تمليه عليه من شروط الإستسلام » .
فاذا أخذنا بهذا التعريف وجدنا الإسرائيليين لم ينتصروا حقاً وذلك حينما نراقب الكلام الذى
جرى بينهم وبين العرب في أعقاب الحرب . كما أن موقف ناصر في بلاده ، بعد الحرب أصبح
أشد صلابة من موقفه لو لم تقع الحرب ، وإذا اتضح هذا لم يعد لأحد أن يسأل : ماذا
سيكون موقف ناصر لو تكررت المأساة ؟ أن الجواب على هذا السؤال فى رأى واضح لكل
من قرأ هذا الكتاب بإمعان وغاص بين سطوره .

وتنتهى رؤية كوبلاند العميل السابق للمخابرات الأمريكية بما احتوته من حقائق وتقييمات
لا شك بعضها مغرض ، ولكن بعضها الآخر صائباً وفقاً لما نشره الناصريون أنفسهم فيما
بعد .

رابعاً : رؤية الأصوليين الإسلاميين للهزيمة وما تلاها :

نورد هنا رؤية متكاملة للأصوليين الإسلاميين من أعضاء (جماعة الجهاد الإسلامى)
المعروفة فى مصر ، وهى رؤية علمية ورصينة واستقت بياناتها من مصادر علمية وسياسية

مختلفة ، ولم تكتف بالإدانة فقط كما تفعل باقى الرؤى الإسلامية منذ وفاة عبد الناصر وحتى اليوم وبخاصة (الإخوان المسلمون) ، ترى ماذا يقدم الجهاديون من رؤى . إن (أسامة حميد^(١)) الذى اعتمدناه (مرجع التقليد) بالنسبة للرؤية الإسلامية الأصولية ، يقدم لنا تحليلاً رائعاً - رغم اختلافنا معه - لهزيمة ١٩٦٧م وما تلاها ، ونحن نقدم هنا التحليل كاملاً كما قدمه (أسامة) دون تحريف أو تدخل .

بداية يرى أسامة :

تمثيلية التنحى :

بدأت الصحف - إزاء الهزيمة المخزية - تختلق قصصاً وهمية عن تدخلات أمريكية وبريطانية (على غرار التدخل فى العدوان الثلاثي) وحفلت البيانات العسكرية بعد ذلك بقصص عن مؤامرات أمريكية وضمنت البيانات فى كل مرة عبارة « بما لا يدع مجالاً للشك » - وفى هذا الوقت قال عبد الحكيم عامر لعبد الناصر « احنا الاثنين ضحكنا على الشعب واحنا الاثنين لازم نمشى »^(٢) .

وهكذا - مع بداية إنكشاف حجم الزيف - تجمع طوفان من الناس أمام بيت عبد الناصر يسألون عن مصير ذوبهم (صباح ٩ يونيو) وحسب شهادة الجيار « فقد احتاج الأمر إلى قدر كبير من الذكاء لإستدراج هذا الطوفان بعيداً نحو ميدان العباسية » .

سارع عبد الناصر - والقول لأسامة حميد - طالباً من هيكل استخدام قدراته الفائقة فى الشعوذة للإلتفاف حول وعى الناس قبل أن يتعاطم - وهكذا كتب هيكل بيان التنحى الشهير مستفيداً من عدة نقاط :

١ - لم يكن قد مر على بدء الحرب سوى ٤ أيام ولم تكن الناس تعرف الحجم الحقيقي للكارثة .

٢ - تعبئة المخزون الهائل لدى الشعب المصرى فى تحدياته للغرب - عن طريق إظهار عبد الناصر كما لو كان قد تعرض لمؤامرة - وهكذا حفل بيان التنحى بسلسلة من الأكاذيب :

(١) جدير بالذكر أن أسامة حميد انهم فى قضية اغتيال السادات وتشكيل تنظيم الجهاد عام ١٩٧١م وقضى بالسجن ٣ سنوات ، ثم دخل المعتقل بعد ذلك ٩ مرات نتيجة نشاطه السياسى والفكرى التابع لتنظيم الجهاد (المؤلف) .

(٢) شهادة الجيار ، فى تعظيم الآلهة ص ١٥٩ .



مع الجنود على جبهة القناة .. يستمع منهم ويتحدث إليهم

— إن قوى الإستعمار تتصور أن عبد الناصر هو عدوها .
 — المؤامرة كانت أكبر وأعتى .
 — وجود أدلة على خطة لغزو سوريا (لم تكن هناك أدلة) .
 — السلاح لجوى اليهودى عمل بقوة تزيد على ٣ أضعاف قوته « بلا مبالغة أو إنفعال »^(١) .
 — لقد جاءوا من الغرب وليس من الشرق أو من الشمال (جاء اليهود من الشمال في الحقيقة) .

٣ - تنفير الناس من خليفة عبد الناصر - فعلى خلاف الدستور رشح زكريا محيي الدين وهو وجه قبيح فقد عمل كوزيراً للداخلية قبل ذلك وكان معروفاً بولائه للغرب - وعلى حد تعبير عبد الحكيم عامر « إن الجنين في بطن أمه سيثور رافضاً زكريا » .
 ٤ - ألح عبد الناصر إلى أنه غير مسئول بأن قال « إننى مستعد لتحمل المسؤولية » .
 ٥ - بعد ذلك قدم برنامج عمل للمرحلة القادمة وكأنه لا ينوى الإستقالة فعلاً - ثم شبه ما حدث بحرب السويس (أى أزمة سيمكن تجاوزها) .
 ٦ - إنتهى البيان بصيغة درامية لإستغلال عواطف الشعب المصرى « إن قلبى كله معكم وأرجو أن تكون قلوبكم كلها معى » !!

إنفجرت الجماهير متظاهرة ضد ما اعتبرته مؤامرة أمريكية وهتف الناس حناحارب - حناحارب - اليهود أعداء الله ، بالروح بالدم حنكمل المشوار^(٢) وفى يوم ١٠ يونيو توجهت الجماهير لإحراق مبنى السفارة الأمريكية فتصدت لها الشرطة وفى نفس اليوم أعلن عبد الناصر عدوله عن التنحى « فنزولاً على إرادة الجماهير » التى لا يستطيع تحدى إرادتها على حد تعبيره ورقص أحد أعضاء مجلس الأمة طرباً !

(١) قالت الصحف أن ألف طائرة اشتركت فى الحرب - بينما ذكر ديان فى مذكراته أن الموجة الأولى قام بها ١٨٣ طائرة يهودية كانت تخطط لتدمير ١٠٠ طائرة لكنها دمرت ١٩٧ ، طائرة + ١٦ محطه رادار + ٦ طائرات أما الموجة الثانية فقامت بها ١٦٤ طائرة هاجمت ١٤ مطاراً ودمرت ١٠٧ طائرات .

(٢) فيما بعد قام مرتزقة السلطة بتحريف الحقائق إلى (بالروح بالدم نفديك يا جمال) وكأن الشعب المصرى قد خلق ليفدى شخصاً . (والقول لأسامة حميد) .

حسم الصراعات على السلطة :

يقول الأصوليون الإسلاميون في هذا الصدد أن عبد الحكيم عامر كان قد طلب من عبد الناصر أن يتنحى معه - ولربما أدى ذلك إلى مظاهرات لتأييد عبد الحكيم عامر - لكن عبد الناصر كان قد قرر إنتهاز تلك الفرصة لتصفية الثنائية التي حكمت مصر وفي هذا الإطار قام عبد الناصر بإعتقال كل الضباط دفعة ١٩٤٨م (دفعة شمس بدران وزير الحرية والذي شكل تنظيماً سرياً لحماية عبد الناصر تحول إلى مركز قوة لشمس بدران نفسه) ثم انتهز عبد الناصر فرصة تخطيط عبد الحكيم للإطاحة به فإعتقله وبعدها بأيام قتل عبد الحكيم^(١) كما اعتقل صلاح نصر مدير المخابرات وكذلك قادة الطيران والصاعقة وتقرر تقديمهم ككباش فداء للنكبة وفي خطابي ١٩٦٧/١١/٢٣م ، ١٩٦٨/٣/٣م ، أعلن عبد الناصر أنه سرح ٣٠٠ من المخابرات وأعلن « سقوط دولة المخابرات » « لقد سقطت طبقة عسكرية كانت تعتقد أنها الوريث الشرعي لحكم هذا الوطن والتصرف في مقدراته » - « ماكانش ناقص غير إني أعمل مخابرات على المخابرات » .

كانت هناك أيضاً مراكز قوى في الإتحاد الاشتراكي لكنها لم تكن تمثل خطراً مباشراً مثل خطر عبد الحكيم عامر ومن المثير للسخرية أن التنظيم الطليعي الذي أنشأه عبد الناصر لتأمين نظامه تحول بدوره إلى مركز قوة بيد علي صبري وشلته (سامي شرف - شعراوي جمعه - عبد المجيد فريد ..) - وهكذا أصبح الإتحاد الاشتراكي كله مركز قوة - في البداية حاول جمال عبد الناصر التقليل من خطورة الظاهرة وحاول احتوائها مفسراً نشأة مراكز القوى « بأنه من طبيعة الأمور وطبيعة النفوس أن تظهر في مراحل مختلفة من نضالنا - إن العمل السياسي لا يقوم به الملائكة - ودعا بيان ٣٠ مارس إلى بناء الإتحاد الاشتراكي على الانتخاب الحر من القاعدة إلى القمة وحاول عبد الناصر أن يقنع بغدادي بالإشراف على الانتخابات (لكي يطيح بمراكز القوى) لكن الأخير رفض - وأسفرت الانتخابات عن تقوية نفوذ هذه القوى بأكثر مما كانت .

حاول عبد الناصر إنشاء تنظيم آخر يضرب به الإتحاد الاشتراكي - وفي إبريل ١٩٧٠م أعلن عن إنشاء « اللجان العامة للمعركة » لكنها من أول يوم تحولت إلى مركز قوة جديد .

كانت هذه القوى قد أرادت تقدير قوتها من خلال إشراك بعض عناصرها ومحاولة توجيه المظاهرات المعادية لعبد الناصر في اتجاه معين - ولكنها عرفت حجمها الحقيقي

(١) راجع ملايسات مقتل عبد الحكيم عامر في : تحطيم الآفة : فصل بعنوان إعدام عبد الحكيم عامر .

وأفلت الزمام من يدها .

ويقول أسامة حميد فى موضع آخر :

وهكذا لم يجد السادات صعوبة كبيرة فى الإطاحة بهم فيما عرف اصطلاحاً بحركة التصحيح (١٥ مايو ١٩٧١ م) وفى ذلك يقول جمال سليم^(١) فقيادة الإتحاد الاشتراكى لا تمثل شيئاً وإن كان ولا بد أن تمثل شيئاً فإنها تمثل ضعفها وتفككها وتمزقها بدليل أنها سرعان ما هوت عند أول ضربة وجهتها إليها مجموعة السادات فى ١٥ مايو .

محاولة توريط روسيا فى الصراع مع اليهود :

يقول الأصوليون الإسلاميون فى هذا الصدد أنه بسبب جو اليأس الرهيب الذى سيطر على عبد الناصر بعد النكبة - لم يجد مفرأ من أن يرهن إرادة مصر لروسيا نظير قيام الأخيرة بالإغماس أكثر فى الصراع ومن ثم الضغط على أمريكا - ولكن الروس أفهموا عبد الناصر بأن لعبته هذه أصبحت (قديمة) وإن كان هذا لم يعن تخلى الروس عن دعم عبد الناصر لأنه حتى ذلك الوقت لم تكن قواعد اللعبة فى المنطقة قد أقروها مع أمريكا وكان يهمهم الحفاظ على كل ما يمكن الحفاظ عليه من نفوذ .

بعد خطاب التنحي بإسبوعين نجاء إلى القاهرة وفد روسى رأسه رئيس الإتحاد السوفيتى نفسه وفى مباحثاتهم مع عبد الناصر عرض عليهم^(٢) :

— إعلان الإنخياز المطلق لروسيا (وقال عبد الناصر أنه لا يوجد شيء فى الحقيقة يسمى عدم الإنخياز) ووصل الأمر إلى إعلان عبد الناصر إستعداده لإدانة الصين أعتقد أن الصين متطرفة فى موقفها وهى بذلك تخدم مخططات الأمريكان .

— إعطاء قواعد للروس من بور سعيد إلى السلوم (وفيما بعد إلى غزة) وفى مقابل ذلك طلب منهم :

— تولى الروس مهمة الدفاع الجوى عن مصر
— حماية نظام عبد الناصر (لأنه تقدمى) من غزو يهودى قد يحدث بسبب كل هذه التنازلات للروس . لكن الروس ردوا على عبد الناصر بما يلى :

— رفضهم إنخياز مصر لهم - لأن مصر المنحازة ليس لها قيمة أصلاً ولن تستطيع جر

(١) جمال سليم : التنظيمات السرية لثورة ٢٣ يوليو . م . س . ذ - ص ٨ .

(٢) راجع بالتفصيل : مذكرات محمود رياض ، من محاضر اجتماعات عبد الناصر العربية والدولية (١٩٦٧ - ١٩٧٠) ، لعبد المجيد فريد (أمين عام رئاسة الجمهورية) نشرته مؤسسة الأبحاث العربية - بيروت ١٩٧٩ .

غيرها وراءها .

— رفضهم التصدى لهجوم يهودى محتمل .

* محاولات يارنج ٦٧ - ١٩٧١ م .

* المباحثات الرباعية ٦٩ - ١٩٧١ م

* المباحثات الثنائية ٦٩ - ١٩٧١ م .

* مبادرة روجرز ١٩٧٠ م .

* مبادرة السادات ٤ فبراير ١٩٧١ م .

* المفاوضات عن قرب ١٩٧١ م - ١٩٧٣ م .

ورغم كل التنازلات التى قدمت كان لابد من الإشتمرار فى السياسة الشكلية المعادية
لأمريكا حتى أن السادات صرح فى ١٩٧٣م ماذا سأقول لشعبنا يوم ما نعيد العلاقات مع
أمريكا^(١) وبعد ذلك بخمسة أشهر أعاد العلاقات مع أمريكا !!

كان عبد الناصر قد برز قبوله لقرار ٢٤٢ بحالة الإنهيار التام الذى أصاب الجيش ولكنه
لم يلبث أن ظهر على حقيقته وثبت أن أشد النظم العريية التى قيل عنها أنها شعبية لم تتحمل
حرب الإستنزاف لأكثر من عام ، وهكذا جاء نداء عبد الناصر إلى نيكسون .

ففى أول مايو ١٩٧٠م وفى شبرا الخيمة أعلن عبد الناصر أنه ليس هناك نزاع مباشر
بين مصر وأمريكا وأن الشعب المصرى متحضر وعمره ٧٠٠٠ سنة ثم وجه نداءه إلى
نيكسون :

١ - إذا كانت الولايات المتحدة تريد السلام فعليها أن تأمر إسرائيل بالانسحاب .

٢ - إذا لم يكن فى طاقة أمريكان أن تأمر إسرائيل فنحن على إستعداد لتصديقها إذا قالت
ذلك ولكن عليها قطع مساعداتها لإسرائيل « وإلا » فإن العرب سيخرجون بحقيقة
لا يمكن المكابرة فيها بعد الآن وهو أن الولايات المتحدة تريد لإسرائيل أن تواصل
احتلال أراضينا حتى تتمكن من فرض شروطها علينا بالإستسلام .

يبدو أن عبد الناصر لم يكن قد توصل إلى تلك الحقيقة .

وبناء على ذلك كانت مبادرة روجرز وقام هيكل - والقول لأسامة حميد - بالشعوذة
المطلوبة فأفتى بأن إسرائيل مستضطر ، إلى قبول المقترحات الأمريكية - ولكن القبول سوف
يمزق التحالف الحاكم فى إسرائيل !

(١) مركز الدراسات بالأهرام : مصر وأمريكا ص ٦٦ .

محاولة إحباط المد الجماهيري :

عن هذا الجانب يقول أسامة حميد ممثلاً للإسلاميين الأصوليين .

كانت هزيمة ١٩٦٧م آخر مسمار في نعش العلمانية في مصر - وبدأ المد الشعبي بعدها في التصاعد ووصل اليوم إلى مرحلة أصبح تطويقه شبه مستحيل - ونظراً لأن عبد الناصر كان قد قضى على كل بديل محتمل - فقد كان عليه أن يقوم بنفسه بدور الملتف حول وعي الجماهير - وفي هذا الإطار قام بما يلي :

١ - التحليل الخاطيء للأحداث والإستخفاف بالعقل :

فسر عبد الناصر أسباب الهزيمة (خطاب في ٢٣/٧/١٩٦٧) بأنها مصداق للحكمة القائلة : لا يغنى حذر من قدر ومن الغريب أنه - في نفس الخطاب - تباهى بأنه كان يعرف ميعاد العدوان (يوم الإثنين ٥ يونيو وأن الضربة الأولى ستوجه إلى الطيران - ومن الغريب أيضاً أن نفس قائد الجيش (عبد الحكيم) ونفس قائد الطيران (صدقي) كانا هما المسئولان عن هزيمة ١٩٥٦م بل أن خطة غزو سيناء سنة ١٩٦٧م هي بحذافيرها خطة ١٩٥٦م - فأين الحذر إذن ؟

٢ - الترويج لمقولة أن هناك قوى في أمريكا وإسرائيل تريد السلام :

يقول هيكل (بصراحة ٣٠/٦/١٩٦٧م) تبقى في أمريكا عناصر وقوى ينبغي ألا نكمل من الإتصال بها ولا نسمح للمد الصهيوني الرهيب أن يفرقها تحت أمواجه العالية ووصل الأمر إلى مدح القوى التقدمية في إسرائيل ووسط عبد الناصر أحمد حمروش ليتباحث مع تلك القوى (راجع اعترافات حمروش بجريدة الأهالي عدد ٢٠/١١/١٩٨٥م)

٣ - توجيه الإعلام لتثبيط الدعوة للحرب الشعبية^(١) :

كتب هيكل سبلاً من المقالات عن عدم جدوى المقاومة والحرب الشعبية (مثلاً بصراحة ١٦/٨/١٩٦٨م) وفي ٤/٩/١٩٧٠م كتب هيكل « شعار الحرب الشعبية مطروح بعصية » وبعد استعراضه لجغرافيا المنطقة أفتى « الحرب الشعبية شعار مشكوك في نتائجه » وقدم البديل كالاتي :

— ليس هناك شيء اسمه حل سلمى (لأن العدو يحتل أرضنا) .

(١) راجع : نجوى حسين أحمد خليل : رؤية الصحافة المصرية لأبعاد الصراع العربي الإسرائيلي : تحليل ، مضمون لجريدة الأهرام (١٩٦٧ - ١٩٧٣) ماجستير في الإعلام من جامعة القاهرة ١٩٧٩م .

— ليس هناك شيء اسمه حل عسكري (لأن القوى الكبرى لن تسمح بذلك) .
— هناك متاح أو موجود واحد أماننا وهو الحل السياسى بالمعنى الأصيل لهذا التعبير وهو
تسخير كل طاقات الدولة الدبلوماسية والعسكرية والاقتصادية والدولية لتحقيق كل ما
نقد على تحقيقه .

وقال إن قبول مصر لقرار ٢٤٢ يعطيها أساساً قانونياً ودولياً يشد إليها تأييد قوى ضخمة
فى العالم كله .

بل ووصل الأمر إلى أن كتب هيكى بكل وقاحة : (بصراحة ١٠/١٠/١٩٦٩م) أنه
أبلغ أنطونى ناتج الوسيط بين مصر وإسرائيل (إن مصر مستعدة ألا تعيد بناء قواتها المسلحة
إذا انسحبت إسرائيل .

وقامت أجهزة الإعلام والثقافة بدورها بعملية التخريب اللازمة لدرجة أن إحدى
المسرحيات (وطن عكا) لعبد الرحمن الشرقاوى دعت إلى « الإلتقاء مع الأصوات الحرة
فى إسرائيل » و « ليحيا الإنسان صديقاً للإنسان » أما مسرحية (ياسين ولدى) لفانز حلاوة
فقد دعت إلى معاداة العرب لأنهم سبب الكوارث التى ألمت بمصر^(١)

أما عبد الناصر فقد شارك بنفسه فى محاربة فكرة الحرب الشعبية - ولكن على استحياء -
وتكشف قراءتنا لإجتماعات المؤتمر القومى للإتحاد الاشتراكى (١٤ - ١٨ سبتمبر ١٩٦٨م)
عن حقائق مذهلة^(٢) فقد أصر جميع المتكلمين على الحرب الشعبية وتشكيل جيش شعبى
فرد عبد الناصر ماعنديش أسلحة - الأسلحة محدودة والأسلحة حثجينا على مدة لكن أحد
الأعضاء رفض تلك السخافة : بندقية ومدفعين نمكن يدرب عمال مصنع بالكامل فلم ينس
عبد الناصر بنت شقة .

ورداً على المظاهرات الجماهيرية رفع عبد الناصر شعار (لا صوت يعلو فوق صوت
المرحلة)^(٣) (مارس ١٩٦٨م) قلما استؤنفت المظاهرات (فى نوفمبر ١٩٦٨م) رد
عبد الناصر (خطاب ١٢/٢/١٩٦٨م) مش احنا بس الى عندنا المظاهرات ممنوعة - فى إنجلترا
المظاهرات ممنوعة - ورداً على المظاهرات أنشئ الأمن المركزى (١٩٦٩م) .

(١) راجع : صالى نازكاظم : الخديعة الناصرية - دار الاعصام ١٩٨٤م .

(٢) راجع المحاضر فى : وثائق عبد الناصر (٦٧ - ٦٨) مركز الدراسات بالأهرام .

(٣) استخدم هذا الشعار لتبرير ممارسات كثيرة - فمثلاً فى أغسطس ١٩٦٩م فصل ١٨٩ من رجال القضاء
فيما عرف بمذبحة القضاء .

كان الرد الشعبى على التزيف الباصرى حاسماً جداً - وبعد أن أفاقت الجماهير من ذهولها بعد الكارثة - انفجر الشارع فى فبراير ١٩٦٨ م « عبد الناصر يا دجال - اليهود ع القتال » - « لا صدق ولا الغول عبد الناصر هو المسئول » بل إن أعضاء منظمة الشباب التى أنشأها عبد الناصر لتخريج مضللين محترفين (وبلغ عددهم ٣٠,٠٠٠) هؤلاء الأعضاء تظاهروا أيضاً ضد عبد الناصر .

حاول عبد الناصر أولاً احتواء أثر المظاهرات قائلاً : « طالبت المظاهرات بإلغاء الاتحاد الإشتراكي ومنظمات الشباب وحل مجلس الأمة وإطلاق الحريات وحرية الصحافة - العمال والطلبة ضلوا » - وفى الحقيقة لم يكن ما حدث إلا أن العمال والطلبة قد ثابوا عن ضلالهم القديم ولذلك أعلن عبد الناصر (خطاب ١٩٦٨/٣/٣ م) ، إغلاق الجامعة « لكى تهدأ النفوس وكل واحد يرجع لعقله » .

ورغم تراجع عبد الناصر (شكلياً) بإصداره بيان ٣٠ مارس الذى دعا إلى الحريات وسيادة القانون (ولم ينفذ بالطبع) - فقد انفجر الموقف من جديد فى نوفمبر ١٩٦٨ م فى المنصورة والإسكندرية والقاهرة وبعد فشل الشرطة استدعى الجيش للتدخل لولا هطول الأمطار وخفوت المظاهرات - ثم أغلقت الجامعة شهرين .

وقد اقترنت الثورة الجماهيرية بسلسلة من الأعمال الهجومية ضد رموز السلطة (أقسام الشرطة بالذات) فيما عرف فى صحف تلك الفترة باسم (الحوادث المؤسفة) . ويقول أسامة حميد فى موضع آخر :

أنه ورغم إتباع عبد الناصر جميع أساليب التهذئة مع اليهود - فقد قام الأخيرون بمهاجمة مدن القناة - وبسبب الضغط الشعبى^(١) والإعتداءات اليهودية - لم يكن أمام عبد الناصر

(١) يقول أسامة حميد : فى الحقيقة أن الضغط كان يأتي من الجيش أيضاً - فقد صرح عبد الناصر (خطاب ١٩٦٩/٣/٣٠ م) « لقد مررنا بوقت كنا فيه نحاسب (يقصد نحاكم) الجندي من جنودنا على الجبهة إذا رأى العدو وأطلق عليه نارا » .

لكن هذا لم يمنع من اندفاع الجنود لقتال اليهود لو أتيت فم فرصة وكمثال على ذلك - فقد قام القريب أحمد شاكر عبد الواحد القارح باعطال أجهزة الاتصال فى نش الصواريخ الذى يقوده وأغرق المدمرة إيلات (١٩٦٧/١٠/٢١ م) وكانت أول مرة فى التاريخ تغلب قطعة بحرية صغيرة على مدمرة باستخدام صاروخ سطح مما قلب الموازين البحرية .

لكن عبد الناصر - عندما بدأ حرب الاستنزاف - حرص على أن يؤكد أنه كان مدفوعاً لذلك « لم تكن نحن الذين بدأنا فعلاً بإطلاق النار - أيام إسرائيل ما كانت بتضربنا بعد سنة ٦٧ - وبتضرب السويس والاسماعيلية والمدنيين » . خطاب ١٩٧٠/٧/٢٣ .

مفراً من عمل شيء فكانت حرب الإستنزاف (يوليو ١٩٦٩م - يوليو ١٩٧٠م) - وقد كفلت هذه الحرب تهديداً للجبهة الداخلية مؤقتاً - لكن خسائرها كانت فادحة فقد ردت إسرائيل على عبور وحدات مصرية إلى شرق القناة بأكثر من ألف غارة جوية وفي أواخر ١٩٦٩م كان الطيران اليهودي يلقي على مصر ألف طن من القنابل يومياً وفي فبراير ١٩٧٠م قصف مصنع بأبي زعبل قتل ٧٠ أوصيب ١٠٠ وفي أبريل قصفت مدرسة فقتل ٤٦ طفلاً وأصيب ٤٠ - ولما كان عبد الناصر لا قبل له بهذا النوع من الحروب لأنه لا يستطيع تعبئة الشعب لحرب حقيقة فقد وجه ندائه المشهور إلى نيكسون وأوقف إطلاق النار بعد ذلك . تلك هي رؤية الإسلاميين الأصوليين والتي رغم خلافنا معها إلا أنها رؤية علمية وجديرة بالحوار معها .

خامساً : شهادات الهزيمة (عبد الناصر - عبد الحكيم عامر - عبد الحميد الدغيدى) :

* لكي يكتمل أمام أعيننا مشهد الهزيمة ، نعرض فيما يلي لشهادات ثلاثة من المسؤولين عنها ، كل يحاول فيها الدفاع عن نفسه رغم مسؤوليتهم جميعاً عنها . إنهم جمال عبد الناصر ، وعبد الحكيم عامر ، واللواء طيار عبد الحميد الدغيدى قائد منطقة القناة وسيناء للقوات الجوية إبان الهزيمة . فماذا لديهم ليقولونه :

(١) عبد الناصر :

بداية نقرأ نبوءة عبد الناصر عن الحرب وهي نبوءة تؤكد إدانته ولا تنفيها ، إنها تؤكد مسؤوليته لأنه كان يعلم ورغم ذلك وقع في فخ الهزيمة ؟ إنه يقول في خطاب له بقاعدة عسكرية مصرية يوم ٢٢ مايو ١٩٦٧م ما يلي باختصار :

إن إسرائيل تحشد على حدود سوريا قوات مسلحة كبيرة يبلغ قوامها حوالي ١١ لواء إلى ١٣ لواء وأن هذه القوات وزعت على جبهتين - جبهة جنوب طبرية وجبهة شمال طبرية ، وأن القرار الإسرائيلي الذي اتخذ في هذا الوقت كان ينص على القيام بعمل عدائي ضد سوريا ابتداء من ١٧ مايو . يوم ١٤ مايو أخذنا إجراءاتنا وبحسنا هذا الموضوع واتصلنا بإخواننا السوريين ، والسوريين كان عندهم أيضاً هذه المعلومات ، وعلى هذا الأساس سافر الفريق فوزى إلى سوريا لتنسيق الأوضاع بين مصر وسوريا وقلنا لهم إن إحنا أخذنا قرار أنه إذا حصل هجوم على سوريا فإن مصر هتدخل المعركة من أول دقيقة - ده الوضع اللي كان موجود يوم ١٤ ، وبدأت القوات تتحرك في اتجاه سيناء لأخذ أوضاعها

الطبيعية - بيولوا إمبراح فى وكالات الأنباء ان هذه التحركات لا بد أنها كانت نتيجة لخطئة محكمة موضوعة من السابق ومرتبة وأنا بقول إن ترتيب الحوادث مش زى الكلام اللي أنا بقوله لكم دلوقت مكانش عنده تفكير أبدا قبل يوم ١٣ على أساس أن إسرائيل كما لم تصور لم تكن تجرؤ إنا تقوم بأى عمل ضد أى بلد عربى وإسرائيل لم تكن تجرؤ أن تقوم وتعلن هذه التصريحات الوقحة .

بعد كده فى يوم ١٦ طلبنا سحب قوات الطوارئ الدولية بواسطة جواب الفريق فوزى ثم طلبنا بعد هذا ، سحب قوات الطوارئ الدولية كلها - وبدأت حملة كبيرة فى العالم تنزعها أمريكا وإنجلترا وكندا يعارضون طلب مصر بسحب قوات الطوارئ الدولية من مصر . وعلى هذا الأساس فهمنا أن هناك محاولات لأن تتحول قوات الطوارئ الدولية إلى قوات تخدم أهداف الإستعمار الجديد .. من الواضح إن إحنا حينما قبلنا ونجود قوات الطوارئ الدولية لقينا ان هذه القوات دخلت مصر بموافقتنا ولا يمكن أن تستمر إلا إذا إستمرت بموافقتنا .

ولقاية إمبراح فيه كلام كثير جداً على قوات الطوارئ الدولية وفيه حملة على السكرتير العام للأمم المتحدة . لأن الرجل أخذ قرار أمين وقرار نزيه ولم يقبل الضغط الذى تعرض له من أمريكا ومن بريطانيا ومن كندا لكى يجعل من قوات الطوارئ الدولية شىء ينفذ خطط الإستعمار .

من الطبيعى وأنا بقولها النهاردة بصراحة إن قوات الطوارئ الدولية إذا كانت تحولت من واجبتها الأساسى إلى واجب تحقيق أهداف الإستعمار كنا هنعتبرها قوات معادية وكنا هنجبرها من سلاحها بالقوة ونحن قطعاً قادرين على أن نقوم بهذا العمل .

أنا بقول هذا الكلام النهاردة لا لأحط من قدر قوات الطوارئ الدولية ولكن لأقول لأصحاب أفكار الإستعمار الجديد الى عايزين الأمم المتحدة تحقق أهدافهم إن مفيش دولة بتحترم نفسها ، مفيش دولة بتعتبر إستقلالها إستقلال كامل تقبل هذه الأساليب بأى شكل من الأشكال ، وفى نفس الوقت بأقول إن قوات الطوارئ الدولية أدت واجبها بشرف وأدت واجبها بأمانة وأن الأمين العام للأمم المتحدة رفض أن يتساق وراء هذه الضغوط وأصدر أمره فى الحال بالإنسحاب لقوات الطوارئ الدولية .

وعلى هذا الأساس نحن نشيد بقوات الطوارئ الدولية اللي قعدت عندنا عشر سنين فى خدمة السلام ولما وجدت أن قول الإستعمار الجديد تريد أن نحرفها عن هدفها لم تقبل وهى تغادر أرضنا نكرمها أكبر تكريم ونحجبها أكبر تحية .

دلوقت قواتنا وصلت إلى سيناء ، جموع قواتنا ، واحنا في خالة تعبئة كاملة سواء في قطاع غزة أو في منطقة سيناء إحنا بنلاحظ إن الكلام كثر النهاردة عن السلام .. والسلام.. والسلام الدولي .. والأمن الدولي وتدخل الأمم المتحدة .. إلى آخر هذا الكلام اللي طالع في الجرايد كل يوم الصبح - طيب يوم ١٢ مايو لما صرح رئيس وزراء إسرائيل وصرح كبار القادة الإسرائيليين بأنهم هيجتلوا دمشق وإنهم هيسقطوا الحكم السوري وإنهم هيضربوا سوريا ضربة كبيرة وإنهم هيجتلوا جزء من أراضى سوريا محدش اتكلم عن السلام ومحدش اتكلم عن الأمم المتحدة ومحدش اتكلم عن الأمن وكان باين إنهم موافقين على الكلام اللي قالواه الإسرائيليين واللى قالوه القادة الإسرائيليين - النهارده فيه كلام عن السلام يعنى ايه السلام وكان فيه كلام عن السلام طبعاً بنقول ان احنا أيضاً بنعمل من أجل السلام ولكن هل معنى السلام أن نتجاهل حقوق شعب فلسطين نتيجة لمضى الوقت ؟ هل معنى السلام أن تنازل عن حقوقنا نتيجة لمضى الوقت ؟ يقولوا النهارده ويتكلموا عن تواجد الأمم المتحدة في المنطقة من أجل السلام ، هل تواجد الأمم المتحدة في المنطقة من أجل السلام معناه أن نغمض عن كل شئ ؟ الأمم المتحدة اتخذت قرارات عدة لصالح شعب فلسطين لم تنفذ إسرائيل منها أى قرار وبعدين طبعاً أمريكا ما حصلش فيها هيصة ولا واحد اتكلم .

النهاردة السناتورات الأمريكان يتكلموا وأعضاء مجلس النواب يتكلموا والجرايد يتكلم وكل الدنيا بتتكلم علشان إسرائيل علشان اليهود أما العرب يفقدوا أى شئ وقرارات الأمم المتحدة اللي في صالح العرب لم ينفذ منها أى شئ فمعنى ده إيه ؟ محدش يتكلم أبداً - طب فين الأمم المتحدة بالنسبة لحقوق شعب فلسطين ؟ فين الأمم المتحدة بالنسبة للمآسى اللي حصلت من سنة ١٩٤٨ لغاية دلوقتى ؟ أبداً الكلام عن السلام بيكون موجود بس حينما تعرض إسرائيل للخطر أما إذا ضاعت حقوق العرب وضاعت حقوق شعب فلسطين مايتكلمش حد عن السلام ولا يتكلمش حد عن الحقوق ولا يتكلمش حد عن أى حاجة .

إذن واضح أن هناك تحالف بين الدول الغربية الكبرى الممثلة أساساً في أمريكا وبريطانيا مع إسرائيل . تحالف سياسى وهذا التحالف السياسى يدفع هذه الدول تدفعها وتقدمها بالمعدات العسكرية .

إمبارح وأول إمبارح كل العالم يتكلم على شرم الشيخ وعلى الملاحه في خليج العقبة وعلى ميناء ايلات .. النهارده الصبح أنا سمعت راديو لندن. يقول ان عبد الناصر سنة ٥٦ تعهد بفتح خليج العقبة وطبعاً هذا الكلام لا نصيب له من الصحة .. هذا الكلام نقلاً عن جريدة بريطانية اسمها الدليل ميل . هذا الكلام لم يحدث .. عبد الناصر لا يمكن أن يفرط في حق



من حقوق الجمهورية العربية المتحدة وزى ما قلت احنا لا يمكن أن نفرط في حباية رمل من أرض بلدنا أو تراب بلدنا .

دلوقتي انتم أخذتم مسئولية ، القوات المسلحة احتلت امبارح شرم الشيخ وبعدين ما هو معنى احتلال القوات المسلحة لشرم الشيخ معناه تأكيد حقوقنا وتأكيد سيادتنا على خليج العقبة .. خليج العقبة يمثل المياه الإقليمية بتعتنا .. المصرية . ولا يمكن بأى حال من الأحوال إن احنا نسمح للعلم الإسرائيلى أن يمر فى خليج العقبة - يهددوا بالحرب .. اليهود .. بنقول لهم أهلاً وسهلاً احنا مستعدين للحرب قواتنا المسلحة وشعبنا كلنا مستعين للحرب ولكن لا يمكن بأى حال من الأحوال أن نتنازل عن حق من حقوقنا .

هذه المياه بتاعتنا وقد تكون الحرب فرصة علشان اليهود علشان إسرائيل وعشان راين يختبروا قواتهم مع قواتنا ويشوفوا إن الكلام اللى كتبوه على معركة سنة ٥٦ واحتلال سيناء كان كله كلام هجص فى هجص وكلام تخريف فى تخريف .

طبعاً هناك الاستعمار وهناك إسرائيل وهناك الرجعية عندنا الرجعية بتشكك فى كل شىء والخلف الإسلامى يتمثل الآن أساساً فى ٣ دول : المملكة العربية السعودية والمملكة الأردنية وإيران وقاعدين يقولوا إن الخلف الإسلامى ده هدفه تكتيل المسلمين ضد إسرائيل . أنا عايز من الخلف الإسلامى يخدم قضية فلسطين بشىء واحد بس انهم يمنعوا إمداد إسرائيل بالبترو - البترول النهارده اللى بيوصل لإسرائيل اللى بيوصل لإيلات هو بترول جاي من إحدى دول الخلف الإسلامى البترول جى من إيران إلى إيلات . ومن اللى ييمون النهارده إسرائيل بالبترو ؟ الذى ييمون اليوم إسرائيل بالبترو هو الخلف الإسلامى إيران - دم الخلف الإسلامى حلف استعمارى ومادام حلف استعمارى معنى هذا أنه مع الصهيونية لأن الصهيونية هى الخلف الأساسى للاستعمار أما العالم العربى المعبأ النهارده وفى أعلى ذرى التعيسة والعالم العربى بيعرف كل هذه الأمور وهو اللى بيستطيع إنه يتعامل مع عملاء الاستعمار ومع حلفاء الصهيونية ومع الطابور الخامس .

يقولوا إنهم عايزين ينسقوا خططهم معنا ، لا نستطيع أن ننسق خططنا مع أعضاء الخلف الإسلامى أبداً لأن معنى هذا إن احنا بندى خططنا لليهود بندى خططنا لإسرائيل وإحنا النهارده فى معركة جديدة إحنا لما قلنا إن احنا مستعدين تدخل المعركة كنا نعنى أننا سندخل المعركة فعلاً إذا تعرضت سوريا أو أى دولة عربية أخرى للعدوان . النهارده القوات المسلحة موجودة فى كل مكان .. الجيش معبأ ، والقوات المسلحة كلها معبأة والشعب كله معبأ ، الشعب كله من وراكم يدعو لكم بالليل والنهار ويشعر وأنتم أبتاؤه أنكر فخر لأمتة وفخر

للأمة العربية - الشعب العربى فى مصر والشعب العربى فى خارج مصر يشعر بهذا الشعور نحوكم ونحن ، على ثقة إنكم ستؤدوا الأمانة . كل واحد فىنا مستعد يموت ولا يضحى برملة من أرض بلده وإن ده أشرف شىء لنا أشرف شىء إن إحنا ندافع عن بلدنا وبعدين مش متخوفنا حملات الصهيونية ولا حملات الرجعية إحنا إستقلينا وذقنا طعم الحرية وبنينا جيش وطنى قوى وحققنا أهدافنا وبنينا بلدنا والنهارة فيه حملة نفسية وحملة تشكيك ولكن إحنا كل ده نتركه ورائنا ونسير فى طريق النصر والله يوفقكم .

بعد هذا الخطاب الشهادة الحية كانت الهزيمة التى يعتبر عبد الناصر المسئول الأول عنها .

(٢) شهادة عبد الحكيم عامر :

لم يمهل القدر عبد الحكيم عامر ليقول شهادته ، فلقد قتل قبل أن يفكر جيداً فيما سيقوله ، ورغم ذلك كانت هناك وثيقة هامة تكشف عن شهادة عبد الحكيم عامر نقلها هنا بأمانه ، وهى شهادة كانت عبارة عن (بيان سياسى) كان عبد الحكيم عامر يريد إذاعته من الإسماعيلية فى حالة هروبه ، فماذا يقول :

بسم الله الرحمن الرحيم

مكتب نائب أول رئيس الجمهورية
ونائب القائد الأعلى

عبد الحكيم عامر (يتحدث إليكم) (وهذه العبارة الأخيرة بين القوسين مشطوبة فى الوثيقة ، وإن كان يمكن تمييزها من الظهر) .

إن الأحداث المتلاحقة التى يمر بها الشعب المصرى الكريم منذ شهر مايو جعلته يعيش أقسى مراحل كفاحه الطويل على أبواب الإطاحة بمكاسبه الثورية بين الأمل فى الحفاظ عليها واليأس من بلوغ ذلك ، وساعده فى الوصول إلى هذه المرحلة غموض الرؤية أمامه والمراقة الفكرية التى يعيشها نتيجة إخفاء الحقيقة وضياعه بين التفسيرات العديدة التى تقدم إليه ، والكلمات المحفوظة عالية الرنين والتى تشيع فيه روح التردد الذى يصاحب دائماً البعد عن الحقائق .

إن المرحلة التى يعيشها شعبنا الكريم توجب على أن اتقدم بتوضيح الأمور لرفع كباوس الكتمان عن المواطنين . فليس من حق أحد فى هذه المرحلة أن يخدع الجماهير ، وإنما تقتضى الأمانة الثورية أن تكون لدى الجماهير صاحبة الحق صورة كاملة لكل الأحداث التى تمس حقها فى كفاحها وفى ثورتها ... حتى لا تعيش حياتها فى فراغ الخداع

والتضليل والتردد ، فليس هناك شعب يستطيع ان يبدا تقدمه من فراع ، وإلا كان يتقدم إلى الفراغ ذاته .. وحتى لا تعيش الجماهير إسيرة الإرهاب المعنوى الذى يعرقل حقها فى التجربة .. والخطأ على طريق كفاحها الطويل ، وعلى أساس من ثقتها فى نفسها وفى قدراتها .

أن تقييم الأحداث تقييماً حقيقياً وصريحاً يعيد للجماهير الثقة فى نفسها ويعيدها إلى طريق الكفاح والجهاد باطمئنان كامل وتقدير عميق لمسئولياتها بلوغاً لأمالها .. ولتبدأ العمل على أسس صحيحة ومبادئ راسخة نابعة عن حق الشعب فى إشراكه إشراكاً كلياً وبدون قيود فى الأحداث القادمة واتخاذ القرارات السليمة التى تستلزمها طبيعة هذه المرحلة .

وسأبدأ اليوم بالكلام عن تدخل السياسة وتأثيرها على المعركة العسكرية يوم ٥ يونيو ، وكيف دفعنا إلى المعركة :

ويلزمنى الآن أن أرتب الحوادث على ضوء تقديري لها ومتطوراً مع النتائج التى ترتبت على هذه الحوادث .

التهديد بغزو سوريا :

— يوم ١٣ مايو وردت معلومات من الإتحاد السوفيتى إلى رئاسة الجمهورية عن طريق سفيرنا بها تفيد بأن إسرائيل حشدت حشوداً ضخمة أمام الجبهة السورية بغرض الهجوم عليها والإستيلاء على دمشق بغرض تغيير نظام الحكم التقدمى بها .

— كما أكدت هذه المعلومات للسيد أنور السادات رئيس مجلس الأمة الذى كان يزور موسكو فى مطلع شهر يونيو وطلب منه إبلاغ هذه المعلومات إلى القاهرة ثم تأكيدها فور وصوله .

— كما حددت معلومات الإتحاد السوفيتى موعداً للهجوم الإسرائيلى على سوريا ما بين ١٧/٥ إلى ٢١/٥/١٩٦٧م .

ما ترتب على تبليغات الإتحاد السوفيتى :

— بناء على هذا التبليغ المؤكد طلبنى الرئيس جمال عبد الناصر وأخطرنى بمضمون هذه المعلومات ، وأشار إلى أن الإتحاد السوفيتى يرى أن نتخذ الخطوات الوقائية من جانبنا لإيقاف إسرائيل عن تنفيذ نواياها ضد سوريا مع تجنب العمليات الحربية بقدر الإمكان .



يضعها إلى سيارة يلقي بها إلى مناوره عسكرية

— وتقرر فى هذا الإجتماع البدء فوراً فى حشد جزء من قواتنا المسلحة إلى سيناء تنفيذاً لإحدى خططنا الدفاعية السابق التصديق على العمل بها هذا العام ، وذلك لضيق الوقت المتيسر بين ١٤/٥ يوم الإجتماع و ١٧/٥ اليوم المتوقع لبدء الهجوم الإسرائيلى .
ثم التفكير فوراً فيما يتخذ لتحقيق الهدف الذى إستحدث نتيجة المعلومات السوفيتية .
وقد بدأت القوات المسلحة بتنفيذ المرحلة الأولى للعملية ، واتخذت إمكانيها بأسرع وأدق وأنجع ما تكون عليه القوات من نظام وتدريب .

بعض الملاحظات الهامة :

ارتباط القوات المسلحة بالهدف السياسى :

وأريد هنا أن يعلم الجميع بأن لكل دولة إستراتيجيتها السياسية التى يتحدد معها واجب القوات المسلحة لفترة معينة . فإما أن يكون واجبها عمليات هجومية أو عمليات دفاعية وذلك حتى يمكن إعداد القوات المسلحة مسبقاً للتحضير لأسلوبها القتالى المحدد وما يتطلبه من إعداد وتجهيز للقوات والجهات . وقد كان واجب القوات المسلحة هذا العام هى الخطة الدفاعية فى شبه جزيرة سيناء وذلك بالنسبة لأفرع القوات المسلحة البرية والجوية والبحرية .

فكرة الخطة على ضوء الهدف السياسى :

كان الهدف السياسى لعملية الحشد العسكرى فى البداية هو تثبيت القوات الإسرائيلىة ، وسحب جزء كبير من حشودها من الجبهة السورية ، وهذا لا يتحقق بإتخاذ أوضاع دفاعية صرفة لأن العمليات الدفاعية لا إجبار فيها لتحرك العدو ، ولذا كانت العمليات الهجومية واجبة التفكير من جانبنا لإجبار العدو لمقاتلة قواتنا فى الزمان والمكان الذى نختاره حتى نحقق مفاجأة العدو ويكون لدينا حربنا المناورة والعمل بقواتنا .

الخطة العسكرية :

وقد إعتبرت أنسب الخطط الهجومية لتحقيق هذا الهدف ، وأختير لها إسم العملية « فجر » التى تحقق عزل الثقب الجنوبي مع تثبيت الجبهة الوسطى أمام العوجة . وفى نفس الوقت تقوم بتدمير العدو المتأخم للحدود بين العريش ورفع حتى نجذب جزء من قواته لتخفيف الضغط عن قواتنا المهاجمة حتى يتم الإستيلاء على الخط المحدد والإتصال بالحدود الأردنية .

كما تقوم قوات الصاعقة بتدمير القوات والمنشآت الإسرائيلية بمنطقة ميناء إيلات .
كما تدفع قوات صاعقة أخرى داخل إسرائيل من الحدود الأردنية للقيام بعمليات الإغارات للإزعاج .

وأختير لتنفيذ هذه الخطة ما يناسبها من الخطط الجوية والبحرية لتحقيق الحماية وسرعة النصر .

تفقد القوات المتحركة :

وتوجهت يوم ٥/٢١ إلى سيناء حيث تفقدت القوات واطمأنت إلى تمام إستعدادها وقدرتها على القتال بروح عالية .

مؤتمر القادة :

وأصدرت توجيهات للقيادات ذات الاختصاص لتنفيذ الخطة « فجر » وبدأت فعلاً هذه القيادات فى التحضير لهذه العملية .

وحددت يوم ٥/٢٥ للإستماع إلى قرار قائد المنطقة الشرقية بحضور قائد الجبهة وقادة الأسلحة .

كما أخطرت الرئيس جمال عبد الناصر بهذا الميعاد .

عرض قرار قائد المنطقة الشرقية :

— يوم ٥/٢٤ حضر قائد المنطقة الشرقية وتواجد قائد الجبهة وقائد القوات الجوية والبحرية ورئيس هيئة أركان حرب القوات المسلحة وكبار ضباط هيئة العمليات الحربية .

وقد حضر الرئيس جمال عبد الناصر وبصحته السيد / زكريا محيى الدين .

— بدأ قائد المنطقة الشرقية فى عرض قراره .

— ولكن الرئيس جمال عبد الناصر لم يصدق على القرار لإعتبارين هما :

* لم يقتنع الرئيس بتصورنا لأعمال العدو المنتظرة واستبعد هجومهم على الجبهة المصرية .
بل كان توقعه أنه ليس أمام إسرائيل إلا مهاجمة قطاع غزة وفصله والمساومة به على فتح خليج العقبة .

* لا يمكن السماح للقوات المصرية أو العربية بالبدا بالعمليات الهجومية إلا إذا بدأت إسرائيل .

وذلك تنفيذاً للوعود التي أعطاها الرئيس جمال عبد الناصر للجهات السياسية وما أوضحه للصحافة العالمية .

— وبناء على هذين العاملين أصدر الرئيس « جمال عبد الناصر » بصفته رئيساً للجمهورية وقائداً أعلى للقوات المسلحة توجيهاً كما يلي :

* على القوات العربية إتخاذ الأوضاع الدفاعية وعدم القيام بأى أعمال تعرضية ما لم يبدأ العدو بعمليات داخل الحدود العربية ولفت النظر إلى وجوب تقوية دفاعات غزة والتركيز ومنع سقوط منطقة رفح .

* تعليق :

— ولن أتعرف للتعليق على هذا التوجيه . وأرجى ذلك للحديث عن المعركة من الناحية الحربية .

— ولكن كل ما أود ذكره هنا — حتى لا يغفل التاريخ — أن كل ما توقعناه في دراستنا لأعمال العدو جاءت مطابقة تماماً لما قام به العدو في هجومه على قواتنا يوم ١٩٦٧/٦/٥ م .

* ما ترتب على توجيه السيد / الرئيس :

— ونتيجة لما ذكر إضطررنا لإتخاذ الأوضاع الدفاعية إنتظاراً للهجوم الإسرائيلي ، وزادت أعباء الدفاع عما كان مخططاً . وزادت تحركات الوحدات وتغيرت واجباتها السابق تدريجياً عليها .

(ولن أطيل في هذه النقطة لأنها تتعلق أساساً بالمعركة من ناحيتها الحربية) .

* الإجتماع الثانى للرئيس بالقادة :

— طلب الرئيس جمال عبد الناصر الإجتماع بقيادة القوات المسلحة ، وذلك بمناسبة تعيين موسى ديان وزيراً للحربية فى الحكومة الإسرائيلية .

— وأوضح رئيس الجمهورية والقائد الأعلى بأن تعيين موسى ديان يؤكد قيام إسرائيل بالهجوم . وأن الحرب مؤكدة .

— ناقش الرئيس القادة فى الموقف . وطلب الفريق أول صدق محمود الكلمة * قائلاً : « إذا أخذ العدو الضربة الأولى منا فستكون ضربته معجزة لطائراتنا ولذا أرجو أن نعطي فرصة الضربة الأولى وتكون من جانبنا .

— ولكن الرئيس جمال عبد الناصر رفض أن يقوم بالضربة الأولى قائلاً أن الوضع السياسي لا يمكننا من ذلك .

*** التدخل السياسي لخداعنا :**

— بم تكتف العوامل السياسية بالتدخل في أعمالنا العسكرية لتغيير سياستنا القتالية يوم ٦/٢٤ ولكن توالى الأحداث وسيطر النفوذ السياسي بالأعباء وخداعه واشتركت الولايات المتحدة والإتحاد السوفيتي في الوصول إلى ما أخرجنا عن تحقيق أهدافنا .

وفيما يلي بعض ما حدث :

* أرسلت الولايات المتحدة الأمريكية عن طريق الإتحاد السوفيتي بأنها تطلب من الرئيس جمال عبد الناصر ضبط النفس وعدم البدء في العدوان . وخصوصاً وإن إسرائيل لن تبدأ بالعدوان .

* قابل السفير الروسي الرئيس جمال عبد الناصر الساعة ٣,٣٠ يوم ٥/٢٧ وأبلغه أن الولايات المتحدة الأمريكية علمت بأن ج . ع . م . ستقوم بالهجوم على إسرائيل وإنهم ينصحون بعدم البدء بالعدوان . وينصح الإتحاد السوفيتي هو الآخر بذلك ولا سيما أن إسرائيل لن تعتدى .

* قامت الولايات المتحدة الأمريكية بدعوة السيد / زكريا محيي الدين لزيارتها للتفاهم بشأن الموقف في الشرق الأوسط ، وحدد لذلك يوم ١٩٦٧/٦/٧ أي بعد بدء العدوان بثمان وأربعين ساعة .

موقف الإتحاد السوفيتي :

— ثبت أن المعلومات التي أرسلت من الإتحاد السوفيتي يوم ٥/١٣ عن الحشود الإسرائيلية على حدود سوريا لم تؤكد من الجانب السوري . بل لقد دهش السوريون لإتخاذ هذه الإجراءات التي لا داعي لها ، وذلك كما جاء في المعلومات التي أدلى بها أحمد سويدان وزير الدفاع السوري للفريق أول محمد فوزي أثناء زيارته لسوريا . وقد ذكر له الوزير السوري أنه لا حشود إسرائيلية على حدود سوريا .

— ونتيجة لذلك كلف وزير الحربية في ج . ع . م أثناء زيارته للإتحاد السوفيتي يوم ٥/٢٥ بتأكيد معلومات الحشود أمام الجبهة السورية . وبحث الغرض من إعطاء هذه المعلومات .

— وقد ذكر له اليكسى كوسيجين رئيس وزراء الإتحاد السوفيتى أن المعلومات التى سلناها لكم، دقيقة وصحيحة ولا تقبل أى شك .

— كلف الوزير شمس بدران بشرح الموقف السياسى الخاص بـ ج . ع . م للإتحاد سوفيتى ومعرفة موقفهم بالنسبة لنا فى الظروف التى تمر بها البلاد من أزمة الشرق الأوسط .

— وقد قال كوسيجين فى هذا المجال إكتفوا بما كسبتم سياسياً ولا تطوروا المعركة عسكرياً وهذه نصيحتى .

— كما أوضح وزير الحربية المصرى أنه اجتمع بكوسيجين وجردنيف وأنهم سوف يدخلون الحرب معنا إذا كان هناك حرب .

وإن الأسطول السوفيتى يوجد الآن فى البحر الأبيض المتوسط قرب شواطئكم وبه مدمرات والغواصات مسلحة بالصواريخ وأسلحة لا تعلموها .

واختتم وزير الحربية السوفيتى حديثه قائلاً ... أريد أن أؤكد لكم أنه إذا حدث شىء وإحتجتم لنا ... فبمجرد إرسال إشارة لنا نحضر لكم فوراً فى بور سعيد أو فى أى مكان..

— كلف الوزير شمس بدران بدراسة الحصول على أسلحة عاجلة مضادة للطائرات مع باقى الأسلحة التى سبق التعاقد عليها ، ومنها طائرات مقاتلة .

— ووافقت السلطات السوفيتية على جميع الطلبات ووعدوا بشحنها فوراً وبالطائرات عن طريق مرور طائراتها فى المجال الجوى ليوغوسلافيا ، وطلبوا من ج . ع . م أن تتصل بالرئيس تيتو للسماح لطائراتهم بالمرور . وفعلاً تم الإتصال بالرئيس تيتو ووافق على طلب ج . ع . م بمرور أى أعداد من الطائرات السوفيتية وفى أى وقت .

ولم تتصل الطائرات السوفيتية فى الأوقات المحددة .

وإستدعينا السفير السوفيتى فذكر لنا أن يوغوسلافيا لم تعط الإذن بعد لمرور الطائرات . وأعدنا الإتصال بالرئيس تيتو فما كان منه إلا أن اجتمع بوزير الدفاع اليوغسلافى بحضور السفير المصرى والسفير السوفيتى ، وقرر وزير الدفاع فى هذا الاجتماع أنه أصدر تعليماته بالأذن بمرور الطائرات وبمجرد تصديق الرئيس تيتو مباشرة .

— طلبنا من الإتحاد السوفيتى ما لديه من معلومات عن قوة إسرائيل نظراً لعلمنا بما لديهم من أعمار صناعية ومقدرة الأسطول السوفيتى من معرفة ما وصلهم من إمدادات

ومعرفة نشاطهم الجوى وحشودهم البرية .

— فما كان من الملحق العسكرى السوفيتى إلا أن ذكر عدد الدبابات التى لدى إسرائيل ولم تفرق عن معلوماتنا كثيراً . ولم يذكر شيئاً فيما عدا ذلك مما يفيدنا فى مقاتلة العدو الذى قام بمفاجأتنا .

— أثناء المعركة وفى يوم ٦/٦ تقدمت الولايات المتحدة الأمريكية إلى مجلس الأمن بمشروع إيقاف إطلاق النار كما طلب الاتحاد السوفيتى وأضاف سحب القوات الإسرائيلية . ووافق مجلس الأمن على المشروع الأمريكى وكانت قواتنا ما زالت فى النطاق الثانى وبعض وحدات النطاق الأول متمسكة بمواقعها .

— قابلنى السفير السوفيتى وطلب منى الموافقة على إيقاف القتال والسماح للسفن الإسرائيلية بالمرور فى خليج العقبة دون حمل أعلام الدولة على السفن .

— وما كان إلا أن أخبرت السفير السوفيتى بأننا نوافق على وقف إطلاق النار ، وإنما نريد ضمان الحكومة السوفيتية بأن يتخذ القرار فى مياعده فوراً ولا سيما وأن قرار مجلس الأمن صدر بالإجماع . ورجوته الرد بضمآن حكومته قبل صباح الباكر . ولكن السفير ذهب ولم يعد . واتصلت بالسفير ولكن كان جوابه عن عدم الرد فى الميعاد أن حكومته لم ترد عليه .

— ونتيجة لكل ذلك .. اضطررنا لإصدار أمر الانسحاب إلى غرب القتال لإنقاذ قواتنا البرية من طيران العدو المسيطر ومنعه من تدميرها وحتى يعاد تنظيمها واستعدادها لاستئناف القتال .

* موقف الولايات المتحدة الأمريكية :

— زودت أمريكا إسرائيل بكل المعلومات التفصيلية عن كل حشودنا ومواقعنا الدفاعية مستغلين أعمارهم الصناعية وبالإستكشاف الجوى وادارات الأسطول السادس بالبحر الأبيض المتوسط .

— قاموا بحماية إسرائيل جويّاً أثناء قيام قواتهم الجوية بضرب المطارات العربية وأثناء هجومهم البرى .

— إستغلوا وجود الأسطول السادس بالبحر الأبيض واعتبر احتياطى استراتيجى للدولة الإسرائيلية .

— التفاوض الإشارات الشفوية العربية وحلها أولاً بأول وإرسالها إلى القوات الإسرائيلية المهاجمة والتدخل بالشوشرة على المحطات اللاسلكية العربية وإيقاف الإتصال بين الوحدات العربية أثناء المعركة مما ساعد على شل إدارة المعارك في أكثر المناطق الدفاعية .

— مساعدة إسرائيل في المحافل الدولية والوقوف بجوارها ضد العرب وتكتيل الدول مشتركة في هيئة الأمم المتحدة للتصويت في صالح إسرائيل وضد أى مشروع آخر يقدم من أى جانب .

✽ وأخيراً فلئننى حاولت عدم التعرض للنواحي العسكرية البحتة إلا بما يجعل الموضوع السياسى مفهوماً ، وأعدكم بإذن الله أن أشرح بالتفصيل ظروف المعركة وكيف دارت ، وكيف قضى على مطاراتنا في الساعات الأولى من المعركة ، وكيف أدى جنودنا البواسل دورهم في المعركة بإيمان وشرف الرجال واستشهد منهم الكثيرون وكتبوا بدمائهم صفحات مشرفة للقوات المسلحة في تاريخها المشرف منذ قامت بدورها الخالد من أجل هذا الوطن ول مجد هذا الوطن .

وعلى سبيل المثال فقد إستشهد قائد الفرقة الموجودة في رفع في أول ساعات المعركة وكذلك استشهد مساعده وهما برتبة اللواء . هذا بخلاف قادة الألوية اللذين إستشهدوا أو جرحوا .. وكثيرون غيرهم قدموا صفحات الفخار تضحية وبذلاً في معركة سيطر فيها العدو بطيرانه وصمدت قواتنا بشرف وكرامة وأدت واجبها الذى كلفت به خير أداء .

والله الموفق

(٣) شهادة اللواء طيار / عبد الحميد الدغيدى قائد منطقة القناة وسيناء للقوات الجوية :

ماذا لديه ليقول ؟

لقد كان القائد الأعلى للقوات المسلحة (المشير عبد الحكيم عامر وكذا القائد العام وطاقم قيادته وقائد جيش الميدان بطاقم قيادته وكذا أغلب قواد الفرق وبعض الألوية جميعهم غائبين عن مراكز قيادتهم) . كلهم ذهبوا في زفة مع المشير . كنت مدعواً - أو مأموراً - بالذهاب إليها - ولكنى رفضت .. لقد طلبوا منى الانضمام للقادة الذين سيلتقونه صباح ٥ يونيو في مطار تمادة .

كان الهدف تفقد قوات الجبهة .. ولكن الطائرة التى كانت تقل الجميل اضطرت للعودة إلى القاهرة لعدم إمكانها الهبوط فى أى مطار فى سيناء أو منطقة القناة حيث كانت كلها تقصف بالطائرات الإسرائيلية ، وكان ذلك أخطاراً لهم ببدء الحرب .. وفى نفس الوقت

كان الفريق مرتجى قائد مراكز القيادة المتقدم واللواء أحمد إسماعيل رئيس أركانه والفريق صلاح محسن قائد الجيش الميداني يتجمعون في مطار تمادة ليكونوا في إستقبال المشير عامر عند وصوله بعيدين عن مراكز قياداتهم وقد قامت الطائرات الإسرائيلية بمهاجمة المطار أثناء وجودهم فيه .

رفضت مقابلة المشير :

قالوا لي إن لم تقابل المشير معنا فسوف نحاكمك . وقلت لصدقي محمود قائد القوات الجوية والدفاع الجوي كيف تغيب عن الميدان .. إنك بهذا تكون «صغراً» .. ليس صغراً على الشمال وإنما صغراً تحت الصفر » وسألته : ماذا يحدث إذا وقع شيء .. وأنا قائد للمعركة .. فرد صدقي محمود « اذهب وقابل المشير » .. ورفضت بحسم .. لم أذهب للمشير .. ولا لحسين الشافعي .. نائب رئيس الجمهورية .. وكان قد إستقل وطاهر يحيى رئيس وزراء العراق ويرافقهما عدد من كبار المسؤولين طائرة حربية قصدوا بها منطقة القناة .. ولدى هبوطهم مطار فايد .. فوجئوا بقصف جوى مركز ..

لم أذهب إلى زفة المشير .. لأنني أعرف أنه لا توجد حرب في التاريخ تدار بدون قادة ..

لكنني فيما بعد عرفت أن هناك حرباً واحدة في التاريخ حدث لها ذلك وهي حرب ٦٧ .. وكنت القائد الوحيد الذي ظل في ميدانه بقواته .. وكنت غير مطمئن وبساورني شك وريبة .

أما الواقعة الثانية والتي كانت كفيلة أيضاً بتحقيق الهزيمة فهي واقعة « العنب » !
والقصة أن الفريق عبد المنعم رياض قائد القوات الأردنية المسلحة كان اتفق مع اللواء الجوي مصطفى الحناوى مساعدته لشئون القوات الجوية على شفرة معينة .. تنطلق من منطقة عجلون إلى القاهرة في حالة رصد تحركات مغيرة من إسرائيل .. ومنطقة عجلون هذه تقع في الأردن .. بإرتفاع ٤٠٠٠ قدم عن سطح البحر .. وفيها جهاز رادارى متقدم يقول بكشف معظم مناطق إسرائيل .. وفي مقتوره أن يرصد قيام أية طائرات إسرائيلية في إتجاه مصر والإبلاغ عنها قبل أن تصل هذه الطائرات إلى أهدافها .. وهو ما يعطى وقتاً للإستعداد واتفق « رياض » مع « الحناوى » على كلمة سر تنطلق من الأردن إلى قيادة الدفاع الجوي المصرى إذا إنطلقت ، طائرات إسرائيل .

وكانت كلمة السر « عنب » .. وبالفعل في صباح ٥ يونيو ١٩٦٧م رصدت محطة

عجلوا: قيام سرب جوى إسرائيلى بالتوجه إلى مصر .. وبعث عبد المنعم رياض بالإشارة المنتظرة .

وأنا لم أعرف أن عبد المنعم رياض أرسل الإشارة إلا أثناء المحاكمة وعندما جاء إلى المحكمة سألته :

ألم تتفق على أنك تبعث لنا بإشارة تخطرنا فيها تتحرك القوات الإسرائيلية ؟
فقال : نعم .

قلت : لماذا لم ترسلها لى ؟

فقال : بعثتها .. وكررتها ثلاث مرات ..

ويبدو أن هناك من الفوضى ما جعل أحداً يغير من تردد ذبذبات محطة إستقبال الإشارة .. دون أن يخطر أحداً بذلك وسألت رياض فى المحكمة (التى كانت تنظر فى الاتهامات المنسوبة لى) وما رأيك لو كانت هذه الإشارة (كلمة السر) وصلتني .. فرد من فوره «كانت غيرت مجرى التاريخ» .

لقد فوجئت - رغم استعدادى الكامل للصد وقدرتى على الردع - بالعدو الجوى يدمر الممرات التى تقلع منها وتهبط عليها طائراتى التى ستولى الصد والردع .. هناك كارثة أخرى وقعت وهى أن مقر القيادة العليا للقوات المسلحة فى مركز العمليات كان مغلقاً صباح يوم العدوان بالضبة والمفتاح .. وكانت الضبة والمفتاح فى يد الفريق فوزى .

وسوف نتوقف طويلاً عن دور الفريق أول محمد فوزى رئيس أركان القوات المسلحة . لقد تجاهل عامر وفوزى (وسوف نستشهد على كلامهما من حيثيات حكم المحكمة العسكرية الأولى التى حكمت ببراءتى الأولى) تحذير السيد رئيس الجمهورية للقادة العسكريين ، فقد حذر جمال عبد الناصر فى مؤتمر القيادة العليا للقوات المسلحة مساء يوم ١٩٦٧/٦/٢م بأن إسرائيل ستبادر بالعدوان على مصر .. ورجع عبد الناصر يوم ٥ يونيو على أنه اليوم الذى ستهاجم فيه إسرائيل القواعد الجوية كان تحذير عبد الناصر واضحاً .. لكن ماذا حدث .

فى يوم ٥ يونية كانت هناك تحركات للمشير .. ولنايب رئيس الجمهورية .. الأول إلى سيناء والثانى إلى القناة .. والمنطقتان كلتاهما تحت قيادتى تأتمران بأمرى وكنت مسئولاً عن أى إهمال أو خطأ وتحركات جوية كثيرة أخرى كانت تستلزم تقيد المدفعية أئوماتيكياً كما تنص الأوامر الجوية فى كل أنحاء العالم خوفاً على سلامة الطائرات

الصديقة .. ومن أجل تلك التحركات الكثيفة الفردية فى هذا اليوم المحدد للهجوم كانت مدفعية القناة مقيّدة ومدفعية سيناء مقيّدة وكان العدو - ما من شك - على علم تام بتلك التحركات التى تستلزم تقييد المدفعية .

هذا من جانب ومن جانب آخر .. وهو من أغرب « وأريب » ما حدث أن إنذار الرئيس بتوقع الضربة يوم الاثنين ٥ يونيو لم يخطر به من كان يجب إخطارهم به .. قبل أى أحد .. وهم قائد الجبهة المصرية الفريق أول عبد المحسن كامل مرتجى وقائد الجبهة الأردنية الفريق عبد المنعم رياض وقائد الجبهة السورية وقائد القوات الجوية والدفاع الجوى عن منطقة القناة وشبه جزيرة سيناء وهو أنا .. أفلا يدعو ذلك إلى الريبة .. وإلى طرح علامات استفهام كبيرة تفوح منها روائح كريهة ؟

على أن هناك ما ينبغي أن نتوقف عنده قليلاً .. ويقودنا إلى ما قدمه فوزى لأمنه .. والبداية كانت قبل عشرة أيام من الضربة الجوية .. حيث وضعت مؤامرة استهدفتنى .. بعد تحذيرى للرئيس عبد الناصر من أن القرارات التى تؤخذ ليست صحيحة .. وهذا ثابت . وقد نشره السادات بوثائق وصور فى جريدة مايو فى مقالات بعث بها إلى الصحيفة عام ١٩٨١ .. ونشرت قبل وأثناء وبعد إغتياله .

لقد حاول الوشاة أن ينقلوا إلى رئيس أركان القوات الجوية - وتطوع بالمهمة رئيس فرع الأمن - إننى لا أنفذ أمر القتال الخاص بالمظلات .. ولكن رئيس الأركان (القوات الجوية) استطاع أن يتأكد من كذب هذا الإدعاء .

حتى عبد الناصر :

لكن الرئيس جمال عبد الناصر - وهذا يستحق وقفة - قال فى أجهزة الإعلام أن سبب هزيمة ١٩٦٧م يعود إلى عدم قيام القوات الجوية بإخراج مظلات جوية بعد إنذاره لها فأنكشف الجيش وحدث ما حدث .

كيش الفداء :

ويدو أن جمال عبد الناصر وتابعيه قرروا أن أكون أنا كيش الفداء ..

ولكى نرد على ما قاله عبد الناصر فإننا نمتشهد بكلام اللواء على منير عضو اليمين الثانى للمحكمة العسكرية العليا الأولى التى حاكمت قادة الطيران .. والذى ألف كتاباً بعنوان من هزيمة يونيو ١٩٦٧م إلى العبور العظيم عام ١٩٧٣م .. قال :

لكى تتضح الصورة فمن الأفضل أن أذكر التهم والجنابات التى اتهم بها قواد الطيران وأطبقها على الفرسان الثلاثة فوزى وصلاح وصادق الأمر الذى سيضع النقط فوق الحروف ومن ثم يكتب التاريخ الصحيح .

لقد أقيمت على الفريق أول صدقى محمود قائد القوات الجوية والدفاع الجوى التهم الآتية وهى :

١ - عدم قيامه بإنشاء الدشم الكافية والمناسبة لحماية الطائرات .. الخ ، وهذه الجنابة وهذا الإدعاء لابد أن يقام على الفريق أول فوزى رئيس الأركان والفريق صلاح محسن قائد جيش الميدان إذ أنه يقع تحت بند تجهيز مسرح العمليات والذى ثبت بالإجماع أنه لم يكن مجهزاً للحماية أو الحركة أو المرونة وما تسبب عن ذلك من زيادة ضخمة فى عدد القتلى والأسرى وتدمير كل نوعيات السلاح والإستيلاء على كميات منه كبيرة بدون إطلاق النار وعرضها فى معارض العدو .. إعلاناً عن الخزى والعار .

٢ - لعدم إصداره الأوامر الصريحة باحتلال مراكز العمليات بالأطقم الكاملة .. الخ ، وتفادياً للتكرار فإن نفس الإتهام مقام على رئيس أركان القوات الجوية والدفاع الجوى وهنا يبرز الظلم والغدر والأفك والبهتان لأن الفريق فوزى ومعه الفريق صلاح محسن والأول هو الضابط الأمر بتشكيل المحكمة وهو الذى ألغاهما وهو المهيمن عليها ارتكب جنابة أكبر على مستوى إستراتيجى أعظم وهى أن مركز قيادة عملياته - كان مغلقاً كما أن الفريق صلاح محسن استدعى من مراكز العمليات قوادها ونوابهم ونواب نوابهم وهو وطاقمه بالكامل كانوا غائبين عن تلك المراكز والتى منها فقط وليس من أى مكان آخر تقاد القوات ويسيطر عليها وتدار رحى القتال .

ويشير حكم المحكمة العسكرية الأولى إلى مسئولية الفريق فوزى والتى تفوح منها روائح كريهة (!!!) حيث تقول الحثيثات ما نصه :

فتحت القيادة العليا للقوات المسلحة فى مراكز العمليات يوم ٦/٣ ثم عادت إلى أماكنها العادية فى السلم صباح يوم ٦/٤ رغم أن تلك المدة كانت داخلة فى توقيت تحذير السيد الرئيس (عبد الناصر) بتوقع ضربة العدو . هذا نص ما دوتته المحكمة ، أما الشاهد (القاضى) على منير فيقول فى ص ٦١ ، ٦٢ :

وداع عند الفجر :

اشترك القادة فى توديع المشير عامر عند إقلاع طائرته صباح يوم ٥ يونيو ثم عادوا

إلى أماكنهم رغم أنه كان عليهم أن يعودوا إلى مراكز القيادات الميدانية التي أمر رئيس الأركان بفتحها في الساعات الأولى من صباح يوم ٣ يونية أى بعد تلقي إنذار رئيس الجمهورية وتوقعه الضربة الجوية الإسرائيلية في خلال ثلاثة أيام وكانوا قد تواجدوا فيها فعلاً ثم كانت المأساة أن رئيس الأركان نفسه الفريق فوزى أُلغى هذا الأمر وطلب إلى القادة العودة إلى الوضع العادى .

هل حدث من فجر التاريخ إلى يومنا هذا وقائع تدعو إلى الريية وإحداث تنطق بالخيانة مثل ما حدث من إغلاق مركز القيادة ؟ التساؤل لا يزال للواء طيار عبد الحميد الدغيدى .. لذى أضاف :

إن تلك الجريمة (إغلاق مركز القيادة - وغياب القادة - دون غيرها) والتي اقترفها فوزى ومحسن هي أكبر جناية تشهدها أمة .. وعقوبتها هي الإعدام ولذلك ما من شك كانت هي المشتقة الكبرى التي تلتف حول رقاب الاثنين ، وبمسك بطرفها الرئيس جمال عبد الناصر .

أما الجناية الثالثة المقامة على قائد القوات الجوية والدفاع الجوى فهي :

عدم إنشائه دفاعاً ذا فاعلية للمراقبة والإنذار بالهجوم الجوى المنخفض للعدو ورغم علمه باحتمال هذا الهجوم مما ترتب عليه عدم وصول إنذار مبكر للقواعد المختلفة وعدم أركان صد الضربة الجوية المعادية . وهذه الجريمة على وجه أشد وأكثر يجب أن تسند إلى فوزى ومحسن فهما مسئولان تماماً عن منطقة الأمان ومهتهما الأولى هي الإبلاغ والإنذار عن أى اختراق جوى للمجال الجوى ومسح العمليات والذي اخترقته طائرات إسرائيل وتعمقت فيه بأعداد هائلة ، وإنساق متعددة وعلى فترات زمنية متتابعة ولم تبلغ القوات الجوية باختراق واحد ولم تنذرها منطقة الأمان كذلك .

نقطة رابعة وأساسية لا بد أن أشير إليها وهي بيت القصيد تقول .. لأنه - صدق محمود - في فترة توليه القوات الجوية والدفاع الجوى بجهة القاهرة وبصفته قائداً للقوات الجوية والدفاع الجوى تسبب بإهماله في عرقلة فوز القوات المسلحة وذلك بإعطائه تقديرات عسكرية وتقارير غير سليمة للقيادة العليا للقوات المسلحة عن موقف وإستعداد وكفاءة القوات الجوية وعن قدرتها على تلقي الضربة الجوية المفاجئة ثم القيام بتوجيه ضربة جوية مضادة للعدو رغم عدم إمكان تنفيذ ذلك لعدم كفاءة وسائل الدفاع الجوى ووجود نقص بها مما ترتب عليه أنه بنى تخطيط الدولة العسكرى على تقديرات غير صحيحة . الأمر الذى أدى إلى فشل المعركة وهزيمة القوات المسلحة أما التناقض ما بين الأعلى والأسفل

فهو واضح بليغ كالنور والظلام والنهار والليل .

إحتلال الأرض .. أولاً :

وتشير قرارات المحكمة إلى نقطة هامة فى نكسة يونيو ١٩٦٧م أن هناك اختلافاً طرأ فى توقع عبد الناصر لسير العدوان فالذى حدث أن إسرائيل لم تبدأ بالضربة الجوية فى يونيو ١٩٦٧م وإنما بدأت بضرب الجيش .

فى حوالى الساعة الخامسة والربع صباحاً بدأت القوات الإسرائيلية فى التحرك .. وأخذت فى طريقها لإحتلال منطقة « أم بسيس » .. ثم تعمقت داخل أرضنا بحوالى ١٢ كيلومتراً .. دون أن تفاجأ بأى مقاومة جوية تذكر .. ومن هنا قررت إسرائيل شن ضربة جوية مركزة وخاطفة ..

السبب فى هذا القرار أن طائرات المجهود الجوى لم تعترض إسرائيل خلال تعمقها فى الحدود المصرية ... ولم يطلب قائد الجيش هذه الطائرات فى مواجهة تقدم قوات العدو .. مع أنها قاعدة عسكرية معروفة .

قرار مناسب .. فى وقت غير مناسب :

وعندما حللت إسرائيل هذه النقطة تأكدت أن طائرات المجهود الجوى أصبحت معدة ضمن القوات الجوية التى سوف تفاجئها الضربة الجوية ومن ثم اضطرت إسرائيل للقيام بضربتها الجوية فى وقت غير مناسب بالنسبة لها لأن الضربات الجوية تبدأ من أول ضوء .. وسبقنا فيه قبل أن نسيقها . ويقول اللواء الدغيدى :

حتى الساعة السابعة والنصف .. بل وأقل منها بكثير .. كان ممكناً صد القوات الإسرائيلية .. لولا القادة الغائبون عن مراكز العمليات .. وفى ظل هذا لم تجد القوات المسلحة سبيلاً إلا أن تهرول غرباً وتنجو بنفسها من موت محقق . فאלعنو يطاردها .. والنيران تلاحقها ولا أحد يقودها .. أو يسيطر عليها .

إن قرار القوات الجوية والدفاع الجوى بخصوص صد الضربة الجوية المركزة وخططه معلومة ومصدق عليها قبل المعركة بشهور ..

ولكن المحكمة العسكرية تقول فى حيثيات حكمها ص ٩٣ فقرة (هـ) تحت عنوان تصديق القيادة العليا للقوات المسلحة على خطة الدفاع الجوى عن الجمهورية يقول :

تبين للمحكمة أن المسؤولين بالقيادة العليا للقوات المسلحة كانوا على علم تام بأوجه النقص المتعددة في عناصر الدفاع الجوي كما أن خطة الدفاع الجوي كان قد صدق عليها نائب القائد الأعلى للقوات المسلحة بعد مناقشتها مناقشة طويلة في مؤتمر حضره جميع المسؤولين المختصين في القيادة العليا .

براءة :

براءة حكمت بها المحكمة للقوات الجوية والدفاع الجوي بأنها قررت وخططت وصدق نائب القائد الأعلى على قرارها وخططها التي بينت فيها أوجه النقص المتعددة في عناصر دفاعها الجوي وكانت نسبة الخسائر أكثر شيء لإحتدم حوله النقاش .

وقد ثبت للمحكمة أن إدارة المخابرات الحربية لم تقدم إلى القوات الجوية أية معلومات عن قبلة الممرات التي استخدمها العدو والتي كان لها بلا جدال تأثير كبير على سير المعركة وعدم إمكان صعود الطائرات .

كما ثبت للمحكمة أن المعلومات التي أرسلتها بخصوص مدى عمل الطائرات الميراج على الارتفاع المنخفض (٣٠٠) كم كان لها تأثير عند وضع خطة الدفاع الجوي فاستبعد إمكان وصول هذه الطائرات إلى قواعدنا في القتال والمنطقة المركزية مع أنها استطاعت ذلك فعلاً يوم ٦/٥ ، وهذا يعني أن اللواء صادق تسبب أولاً في عدم إمكان إقلاع الطائرات للصعد والردع ومن ثم تدمرت كقطع حديد على الأرض ، وتسبب ثانياً في تدمير الغالبية الساحقة مما دمر من طائرات على إتساع مصر كلها في منطقة الضباط وكان بها ٩٠٪ من مجموع طائرات الوطن والباقي تدمر بسبب تقارير المخابرات الكاذبة .

وهكذا .. فإن الجريمة التي أسندت للمتهم ارتكبتها على قدر أكبر بكثير الفريق فوزى والفريق صلاح محسن واللواء صادق مدير المخابرات الحربية ومن العدل إنهم أكبر المتهمين .

أبقت جنابة للفريق صدقي قائد الطيران وهي كسابقتها أسندت إليه بعد شهرين من المحاكمة وهي عدم توفير الإنذار المبكر مما أدى إلى عدم إعتراض طائرتنا لطائرات العدو والفارق بين الإنذار والإعتراض كبير لأن الإعتراض مستحيل ؟

إنتهت شهادته والتي تروى مع سابقتها قصة أفدح هزيمة حاقت بمصر ولا زالت تدفع ثمنها .

سادساً : تقييم الهزيمة عسكرياً : قرارات لجان التحقيق فى هزيمة يونيو ١٩٦٧ م .

فى هذه الجزئية ، وإكمالاً لحديث الوثائق ، نقدم تقرير لجان التحقيق العسكرية عن مدى إستعداد قوات الدفاع الجوى والقوات الجوية والطيران لحرب ١٩٦٧ م ، وكيف أن الهزيمة كانت تحصيل حاصل ، وكانت أمراً مؤكداً :

(١) تقرير لجنة التحقيق العسكرية العليا لبحث أوضاع الطيران المصرى التى أدت إلى هزيمة ١٩٦٧ م : النص النهائى لقرار المجلس (اللجنة) :

ثبت للمجلس وكان برئاسة اللواء حسن مطاوع بعد الإطلاع على أقوال المسؤولين فى القوات الجوية والدفاع الجوى وعلى الأوامر والتعليمات والوثائق وبعد الإتصال بالمسؤولين عن الميزانية فى القوات المسلحة والقوات الجوية الآتى :

١ - بالرغم من جميع المحاولات السابق ذكرها بخصوص إنشاء الدشم الخراسانية إلا أن القوات الجوية عندما أعلنت حالة الطوارئ يوم ١٤/٥/١٩٦٧ م لم يكن لديها سوى دراوى ببعض القواعد الجوية بعضها كان منشأ والبعض الآخر كان جارى إنشاؤه بشكائر الرمل قبل بدء العدوان بحوالى ٣ أيام ولذلك واجهت القوات الجوية العدوان يوم ٦/٥ بدون دشم خراسانية توفر الوقاية الكافية للطائرات ضد تأثير الضربة الجوية المفاجئة .

٢ - بالرغم من إنشاء عدد ١١ ممر وقاعدة جوية فى الفترة من عام ١٩٥٦ م حتى بدء إعلان حالة الطوارئ يوم ١٤/٥/١٩٦٧ م علاوة على القواعد الجوية التى كانت موجودة قبل عام ١٩٥٦ م إلا أن هذا العدد لم يكن يتناسب مع حجم القوات الجوية الذى تضاعف بعد عمليات ١٩٥٦ م مع عدم الإهتمام بإنشاء ممرات الهبوط التبادلية لإستخدامها فى الحالات الإضطرابية عند تدمير الممرات والقواعد الأساسية وكذا فى الإنتشار ومفاجئة العدو عند قيامه بتوجيه ضربة جوية مفاجئة للقوات الجوية .

٣ - إتضح للجنة أن القوات الجوية لم تنظر لموضوع الإخفاء والتمويه بجدية إلا ابتداء من عام ١٩٦٤ م وبالرغم من المحاولات التى بدأت فى صورة مشروعات بعد هذا التاريخ فإن العمليات بدأت والقواعد الجوية والمعدات الفنية بدون أى نوع من الأخفاء والتمويه .

٤ - هناك ثغرة فى الكشف الرادارى على الإرتفاعات المنخفضة جداً أقل من ٥٠٠ متر واتجهت القوات الجوية نحو الحصول على رادار مثل ب - ١٥ لتغطية هذه الثغرة



مدمرة مصرية في الطريق لحضور مناورة بحرية

وقد ثبت للقوات الجوية فيما بعد أن هذه الأجهزة لا تحقق هذا الغرض على ارتفاعات أقل من ٥٠٠ متر ولم تهتم القوات الجوية بنقط المراقبة الجوية بالنظر وتحسين وسائل الإتصال والتدريب لكي تكون ذات فاعلية في الإنذار الجوى عن الأهداف التى تطير على ارتفاعات منخفضة جداً ولم يبدأ التفكير في إعادة استخدامها بعد إلغائها في عام ١٩٥٨ م ، إلا في وقت متأخر منذ عام ١٩٦٤ م ولم تكن هناك جدية وإعطاءها الأهمية إذ أنها الوسيلة الفعالة المتيصرة للإنذار بالضربة الجوية المفاجئة بدليل أنه بعد العمليات مباشرة وبمنفس المواصلات التى كانت قائمة مع إدخال بعض التحسينات عليها وحسن الإستخدام والإشراف أمكن توصيل البلاغ إلى الجيوش في فترة من ١ - ١,٥ دقيقة كما ظهر بتقرير اللواء حسن كامل .

٥ - لم يكن هناك توازن في أسلحة الدفاع م ط بجهاز الدفاع الجوى فالصواريخ والمدفعية م ط المتوسطة (وهى أسلحة الإشتباك ضد الأهداف الجوية التى تطير على إرتفاعات منخفضة ومتوسطة وعالية) كانت تشكل أعلى نسبة في جهاز الدفاع الجوى بينما أسلحة الإشتباك ضد الطيران المنخفض جداً على الإرتفاع أقل من ٥٠٠ متر كانت نسبتها أقل ومستوى تدريبها ضعيف .

وبذلك لم تكن هناك سياسة مرسومة نحو خلق جهاز دفاع جوى متوازن في أسلحته ومتكامل لكي يكون قادر على صد الهجمات الجوية المعادية وخاصة الضربة الجوية المفاجئة وكانت الدفاعات م ط عن القواعد الجوية المفاجئة وكانت الدفاعات م ط عن القواعد الجوية بصفة خاصة غير كافية فأقصى دفاع م ط عن القاعدة كان بفوج واحد ٥٧ م فقط بينما تحتاج القاعدة الجوية كحد أدنى لتوفير الحماية لها بعدد لا يقل عن ٢ فوج (مدافع خفيفة ورشاشات) .

٦ - ولو أن شبكات المواصلات المتيصرة في القوات الجوية والدفاع الجوى كانت تشمل اللاسلكى والخطى ومتعددة القنوات إلا أن الإستخدام وتدريب الأفراد لا يحقق نجاح المواصلات في القيادة والسيطرة وبلاغات الإنذار بصورة تجعلها فعالة فورية ومستجيبة .

٧ - اتضح للجنة أنه رغم تصور قيادة القوات الجوية والدفاع الجوى لشكل الضربة الجوية المفاجئة على الوجه السليم إلا أنها لم تقم بإجراء أى مشروع لتدريب كافة عناصر الدفاع الجوى على صد هذا النوع من الهجوم وكذا تدريب أطبقم مراكز العمليات على المستويات المختلفة على التصرف الواجب اتباعه في حالة حدوث الضربة الجوية

كما أن مستوى التدريب الذى وصلت إليه القوات الجوية والدفاع الجوى من نتائج تحليل المشروعات وكذا التفتيشات التى أجريت كان دون المستوى الذى يؤهلها للإشتراك بكفاءة فى العمليات الهجومية أو فى عمليات الدفاع الجوى وتأكيدها لذلك فقد فشلت أجهزة الدفاع الجوى فى صد واعتراض العدو من الطائرات التى اخترقت النطاق الجوى للجمهورية العربية المتحدة .

٨ - لم تتخذ خطوات إيجابية لتأهيل الأفراد ، الرئيسيين فى مراكز العمليات وإعدادهم لتنفيذ واجباتهم فى معركة الدفاع الجوى .

٩ - أتضح للجنة بعد الإتصال بالمسؤولين عن شؤون الميزانية بالقوات المسلحة والمسؤولين عن الشؤون المالية والإدارية بالقوات الجوية الآتى :

(أ) أنه بعد اعتماد الميزانية يمكن للقوات الجوية فى حالة طلب تنفيذ بعض المشروعات ذات الأهمية التقدم للجهات المختصة بطلب تجاوز اعتماداتها مقابل وفر فى الإعتمادات الأخرى أو أن تقوم بنفسها بإعادة توزيع إعتمادات الأعمال الجديدة بما يترأى لها .

(ب) حدثت تجاوزات فى إعتمادات القوات الجوية فى كثير من السنوات الأخيرة . وتم تسوية هذه التجاوزات بمعرفة الجهات المختصة .

(ج) لو أن أجهزة قيادة القوات الجوية والدفاع الجوى أصرت على عمل الدشم الخرسانية والممرات الفرعية وأعطتها العناية اللازمة والإصرار الكافى لكان من الممكن تديرها ولو على مراحل سنوياً منذ عام ١٩٥٦ م .

قرار اللجنة

يرى المجلس أنه لم تكن هناك جدية فى إعداد القوات الجوية والدفاع الجوى للعمليات والقتال وأنه منذ عام ١٩٥٦ م حتى بدء العمليات فى ٥ يونية ١٩٦٧ م لم يمكن خلق جهاز دفاع جوى متكامل وقادر على الدفاع الجوى عن الجمهورية العربية المتحدة بكفاءة ضد العدو . ورغم الإمكانيات التى أعطت للقوات الجوية للإعداد وللقيام بمهامها على الوجه الأكمل وذلك بأنه كان هناك نقص فى إعداد الدشم الخرسانية والإهتمام بالإخفاء والتصويه لتوفير الحماية للطائرات رغم أن ذلك كان ممكناً على مدى ١١ عاماً تقريباً وكذا التفصيل فى إنشاء ممرات الهبوط التبادلية وإنشاء شبكة مراقبة جوية بالنظر يعتمد عليها وضعف

مستوى التدريب في مراكز العمليات بالمناطق والقواعد الجوية وكل هذه من الإجراءات التي تقلل من آثار الضربة الجوية المفاجئة .

ويقول قرار اللجنة في هذا الصدد :

بعد الإطلاع على الخطط والوثائق وأقوال الفريق أول محمد صدقي محمود قائد القوات الجوية والدفاع الجوي واللواء طيار إسماعيل لبيب رئيس شعبة عمليات الدفاع الجوي واللواء طيار محمود بركة رئيس شعبة العمليات ، والعقيد طيار محمود شاكر عبد المنعم ، والعقيد طيار حازم خلوصي من شعبة عمليات الدفاع الجوي ثبت للجنة الآتي .

أولاً : إن جهاز الدفاع الجوي بحالته قبل بدء العمليات كان غير قادر على صد الضربة الجوية المفاجئة لإسرائيل وليس كما جاء بأقوال قائد القوات الجوية والدفاع الجوي الذي قرر أنه في مقدور القوات الجوية صد الضربة المفاجئة إذا كانت من قوة إسرائيل فقط بالرغم من المصاعب الموجودة في جهاز الدفاع الجوي وإن تقديره للخسائر المتوقعة من ١٥٪ - ٢٠٪ تحدثها إسرائيل وبهذا تستطيع قواتنا التعامل مع إسرائيل وحقيقة الأمر أن جهاز الدفاع الجوي لم يكن قادراً على تلقي الضربة المفاجئة وصدّها للأسباب الآتية :

١ - الخطأ في التخطيط لعمليات الدفاع الجوي :

أ - لم تبين الخطة على آخر موقف لقوة العدو الجوية فقد كانت الأعداد مختلفة والغريب أن خطة الدفاع الجوي استبعدت عدد ٥٠ طائرة سكاي هوك للعدو بينما خطة الدفاع الجوي الموضوعة لتنفيذ العمليات الهجومية (خطة فهد - ١) أدخلت في اعتبارها هذا العدد رغم أن الخطين تم عرضهما بواسطة رئيس شعبة عمليات الدفاع الجوي على رئيس الأركان وقائد القوات الجوية والدفاع الجوي وتوقيعها منهما بتاريخ ١٩/٥/١٩٦٧م كما هو مبين في هذه الخطط .

ب - لم يدخل في الخطة أي اعتبار للضربة الجوية المفاجئة من إرتفاعات منخفضة جداً وكان التخطيط مبني على أساس الهجوم الجوي للعدو وسيتم على إرتفاعات ٥٠٠ متر فما فوق رغم تصور أسلوب الهجوم المتبع في الضربة الجوية المفاجئة لدى جميع المسؤولين عن وضع الخطط .

وبذلك أغفل هذا الاحتمال في التقدير ولم يدخل في الاعتبار الإجراءات اللازمة لمواجهة الضربة الجوية المفاجئة وتقليل آثارها .

ج - الخطأ في تقدير إمكانيات العدو وقدرته على ضرب جميع قواعد القناة والمنطقة المركزية في وقت واحد علماً بأن مدى طائرات العدو يمكنها من الوصول إلى جميع أسلوب الضربة الجوية المفاجئة .

د - الخطأ في مقارنة القوات الجوية :

كان هناك تفوق عددي ونوعي لقوة إسرائيل الجوية كالآتي :

(١) جاء في الخطأ أن نسبة التفوق هي ١ : ١,٣ لصالح قواتنا الجوية بينما الحقيقة أن النسبة هي ١ : ١,٥ لصالح إسرائيل أي أن التفوق لصالح إسرائيل وليس لصالحنا ولم يبرز ذلك في الخطأ .

(٢) أغفل في التقدير احتمال قيام العدو بضربة جوية مفاجئة على الإرتفاعات المنخفضة جداً وهذا كان من أكثر العوامل احتمالاً لأن العدو سوف يستغل الثغرة الموجودة لدينا في التغطية الرادارية وعدم كفايات الدفاعات م ط على هذه الإرتفاعات وبذلك نجد أن مقارنة القوات تتأثر بهذا العامل لأنه على أحسن الظروف والأحوال لن يمكن لقواتنا الجوية استخدام سوى طائرات حالات الإستعداد الأولى والثانية من واقع يوميات الإستعداد هذا على افتراض إقلاعها جميعها من قواعدها قبل مهاجمتها وبذلك تكون النسبة ١ : ٣ لصالح العدو أي أن العدو كان متفوقاً على قواتنا الجوية وقد أغفل ذلك في الخطأ .

هـ - لم يؤخذ في الاعتبار أن جميع مطارات الجمهورية في مدى عمل طائرات العدو وعلى ذلك لم تتخذ أى احتياطات لتأمين الضربة المضادة .

٢ - عدم كفاية الدفاعات م ط وخاصة عن القواعد الجوية :

أ - أغلب القواعد الجوية مدافع عنها بواسطة فوج م ط خفيف من ٤ سرايا ٥٧ مم وسرية رشاشات للقاعدة الجوية الواجب وهذا الدفاع يعتبر ضعيف جداً عند استخدامه في صد الضربة الجوية المفاجئة على الإرتفاعات المنخفضة جداً .

ب - ترك قاعدة كبريت بدون دفاعات م ط بينما كان يوجد فوج ٥٧ مم تم توزيعه على سرايا الرادار في سيناء بواقع سرية ٥٧ مم لكل سرية رادار والتي كان يدافع عنها بسراية رشاشات .

ج - قاعدة إنشاص كانت بدون رشاشات م ط ولم يكن بها سوى ٢ سرية ٥٧

مم ، ٢ سرية ٨٥ وهو عيار غير ملائم للإشتباك ضد طائرات ذات سرعات عالية وعلى إرتفاع ٣٠ متر وكذلك الحالة بالنسبة لقاعدة غرب القاهرة .

د - لم يكن هناك توازن فى أسلحة الدفاع م ط بمعنى عدم كفاية أسلحة الإشتباك ضد الطيران المنخفض جداً ، ولم تعط العناية الواجبة للرشاشات م ط إلا فى وقت متأخر جداً حال دون إيجاد وحدات وأفراد مدربة جيداً على استخدام هذا السلاح فى التعامل مع الطائرات المغيرة على ارتفاعات منخفضة .

٣ - عدم وجود تغطية رادارية على ارتفاعات أقل من ٥٠٠ متر ولم تكن هناك شبكة مراقبة جوية بالنظر ذات كفاءة ويمكن الإعتماد عليها فى التبليغ فوراً وبدون تأخير إلى مراكز العمليات عن أى اختراقات لنطاقنا الجوى على الإرتفاعات المنخفضة جداً ، وهى الوسيلة الفعالة الوحيدة لتغطية ثغرة عدم الكشف للطيران المنخفض بسبب عدم وجود الأجهزة الألكترونية المناسبة .

٤ - عدم وجود دشم خراسانية تحت الأرض لتوفير الوقاية للطائرات وكذا لم يكن هناك إخفاء وتمويه فى القواعد الجوية ووسائل الدفاع الجوى الأخرى بصورة فعالة وإيجابية .

٥ - عدم وجود ممرات هبوط تبادلية بالعدد الذى يتناسب مع حجم قواتنا الجوية ويسمح بتركزها منتشرة فى أوضاع تقلل من تأثير الضربة الجوية المفاجئة وتجعلها قادرة بعد ذلك على القيام بالضربة المضادة .

٦ - ضعف مستوى التدريب لجميع عناصر الدفاع الجوى وقد أثبتت ذلك المشروعات التعبوية التى أجريت وتقارير التفتيش التى قامت بها هيئة التفتيش والتدريب للقوات المسلحة فى إبريل ١٩٦٧م كما ثبت من واقع الأقوال عدم تفهم الأفراد لواجباتهم وخاصة فى جميع مراكز العمليات - ولم تكن هناك مشروعات بأهداف حقيقية تمثل الضربة الجوية المفاجئة على القواعد الجوية من ارتفاعات منخفضة جداً لتدريب الأفراد على أسلوب التصرف وكذا ملاقاتة نواحى النقص وابتكار الوسائل التى تحقق التبليغ الفورى عند وقوع هجوم على القواعد الجوية - جميع هذه الأسباب السابق ذكرها كانت لا تمكن القوات الجوية من صد الضربة الجوية المفاجئة التى تقوم بها إسرائيل بنسبة خسائر من ١٥٪ - ٢٠٪ ، تحدثها إسرائيل فى قواتنا الجوية ولهذا كان التقدير خاطئاً وكان يجب توضيح هذه الحقيقة بالتفصيل عند عرض المخططة على الضابط المصدق وخاصة تفوق العدو على قواتنا

الجوية وعدم توفر الوسائل التي تقلل من آثار الضربة الجوية المفاجئة على الارتفاعات المنخفضة جداً وتوضيح عدم قدرة قواتنا الجوية بحالتها الحاضرة على تلقي الضربة الجوية المفاجئة وأن قبولها حتى من قوة إسرائيل فقط سيسبب خسائر فادحة بها .

ثانياً ثبت للجنة أن القوات الجوية بحالتها قبل بدء العمليات كانت في موقف يجعلها غير قادرة على تلقي الضربة من إسرائيل وحدها ثم القيام بالضربة المضادة وليس كما جاء بأقوال الفريق أول محمد صديق محمود وما ورد بخطة فهد - للأسباب الآتية :

١ - الخطأ في تصور القيام بالضربة المضادة بعد تلقي الضربة الجوية المفاجئة وتعليق آمال كبيرة على قدرة جهاز الدفاع الجوي في صد هذه الضربة بنسب خسائر من ١٥٪ - ٢٠٪ تتحول بعدها قواتنا الجوية إلى القيام بالعمليات الهجومية وهذا يخالف الحقيقة لأن الخسائر المتوقعة ستكون عالية لعدم وجود دشم وإخفاء وتعمية ودفاعات م ط قوية وعدم وجود شبكة مراقبة جوية بالنظر فعالة ويعتمد عليها وقد أثبتت العمليات يوم ٥ يونية صحة ذلك فقد قام العدو بتدمير ما يقرب ٧٥٪ من قواتنا الجوية في الساعات الأولى .

٢ - عدم وجود معلومات تفصيلية عن العدو وتسليحه وتمركزه في المطارات والدفاعات م ط لدى العدو سوف لا يحقق النسبة المطلوبة من الخسائر من غاراتنا على قوات العدو الجوية بالدرجة التي تقعدنا عن العمل .

٣ - استخدام القاذفات نهاراً سوف لا يكون ممكناً بدون حراسة لأن مدى المقاتلات لا يسمح بذلك .

٤ - لم يؤخذ في الاعتبار أن جميع مطاراتنا في مدى عمل طائرات العدو وعلى ذلك لم نتخذ أى احتياطات لتأمين طائرات الضربة المضادة وتبين الخطأ في تكديس طائرات الضربة المضادة في قاعدة أبو صوير الأمر الذي ترتب عليه تدميرها جميعاً بضربة واحدة في أول هجمة ولم يعاد تمركزها لتناسب مع الأوضاع الدفاعية .

٥ - كانت تمرکز الطائرات (التي تمثل حوال ٣٠٪ من القوة الضاربة) في سيناء مجازفة لأنها ستكون معرضة للتدمير في أول ضربة بسبب عدم وجود وسائل إنذار كافية تسمح بإقلاع الطائرات في الوقت المناسب لهذه الأسباب كانت فكرة قبول تلقي الضربة الجوية المفاجئة ثم القيام بالضربة المضادة غير سليمة ولم تبين على تقدير صحيح .

ثالثاً : اتضح للجنة أن التصميم على المبادأة من جانبنا وقيام القوات الجوية بالضربة الأولى كانت نتائجها مشكوك فيها وغير مضمونة للأسباب الآتية :

١ - النقص في المعلومات التفصيلية عن تركز القوات الجوية للعدو وعدد طائراته في كل قاعدة وتسليحه ودفاعاته م ط والدمش وتأمين وصول هذه المعلومات حتى قبل بدء هجومنا .

٢ - مدى إمكانيات العدو سواء مباشرة أو غير مباشرة على معرفة وقت هجومنا بوسائل الاستطلاع الإلكتروني في اللحظة المناسبة وبذلك تضيق ميزة المفاجأة .

٣ - واضح من خطة الدفاع الجوي لعملية فهد - ١ (البند ثالثاً - فقرة (١٤)) إن نسبة الخسائر في الطائرات الإسرائيلية في حالة قيامنا بالعمليات الهجومية قدرت - بحوالى ١٠٪ وهذه النسبة ضخمة وبذلك كان يمكن للعدو بالقوة الباقية من قواته الجوية وهى ٩٠٪ أن يحدث خسائر فادحة في قواتنا الجوية عند قيام العدو بالضربة المضادة .

٤ - أن فكرة نقل المعركة الجوية إلى أرض العدو كانت مستكلفنا فقد الطيارين والطائرات بدون تحقيق الهدف وإحراز نجاح معقول لأن أساس النجاح في المعركة مبنى على مقدار المعلومات التى لدينا عن العدو وهذا كان غير متوفر لدى القوات الجوية بالقدر الذى يسمح بإحراز النجاح مثل ما كان لدى العدو من معلومات كافلة عن قواعدها وعناصر دفاعها الجوي إتضح ذلك عندما حصلنا على خريطة عن ج . ع . م مع أحد قادة الأسراب الذى سقطت طائرته فى القتال يوم ٥ يونيه وواضح عليها المعلومات التفصيلية والتلقين الكامل الذى كانت من نتائجه النجاح الذى أحرزه العدو فى الساعة الأولى من المعركة .

رابعاً : اتضح للجنة أن عناصر الدفاع الجوى لم تكن فى أقصى درجات التيقظ والإنباه لملاقاة ضربة العدو الجوية المنتظرة ولم يستفيد قائد القوات الجوية من التحذير وتوقع الهجوم فى خلال فترة زمنية محددة يومين أو أكثر الذى تلقاه من السيد الرئيس فى الاجتماع الذى عقد بمقر القيادة العامة للقوات المسلحة يوم ١٩٦٧/٦/٢م ولم يتخذ الإجراءات التى ينبغى إجراؤها فى مثل هذا الموقف كأخطار كافة الأجهزة والتشكيلات والوحدات والقواعد واحتلال الأطقم الكاملة فى جميع مراكز العمليات وتكثيف المظلات الجوية خاصة على الحدود الشرقية والساحل الشمالى لسيناء وزيادة نشاط الإستطلاع الجوى .

خامساً: يتضح للجنة أن قائد القوات الجوية بمجرد قبوله تلقي الضربة الجوية من إسرائيل ثم التحول إلى العمليات الهجومية للقيام بالضربة الجوية وذلك بعد الاجتماع الذي حضره السيد الرئيس بمقر القيادة العامة للقوات المسلحة يوم ١٩٦٧/٦/٢م لم يتخذ إجراءات سريعة نحو إعادة النظر فوراً في تمرکز القوات الجوية على ضوء هذه التوجيهات لإتخاذ الأوضاع الدفاعية السليمة التي تمكنها من تلقي الضربة الأولى بأقل خسائر وبقيت أوضاع التمرکز كما هي واكتفى بتخفيف مطارات العريش والسر وتمادا بسحب ٦ طائرات من كل مطار وتمرکزها في كبريت التي كانت بدون دفاعات م ط وبلون غرفة عمليات وحتى كانت النية متجهة إلى إعادة تمرکزها ثانية في القواعد التي سحبت منها محافظة على الروح المعنوية للطيارين وبقيت قاعدة أبو صوير كما هي مكدسة بعدد ٣٠ طائرة اليوشن ٢٨ معرضة للتدمير من أول ضربة علماً بأن تنفيذ خطة فهد - ١ كانت متعذرة بعد تلقي الضربة .

القرار

١ - يرى المجلس أن جهاز الدفاع الجوي لم يكن قادراً ولا مستعداً لتلقي الضربة الجوية المفاجئة وصدها على عكس ما جاء في قرار قائد القوات الجوية والدفاع الجوي الذي يتضح منه أن في مقدور القوات الجوية صد الضربة الجوية المفاجئة برغم المصاعب الموجودة والمعروفة في جهاز الدفاع الجوي وقيادة القوات الجوية .

٢ - المخطط في التخطيط لعمليات الدفاع الجوي :

أ - الخطأ في تقدير قوة العدو حسب المعلومات المتوفرة فعلاً مما ترتب عليه إستخلاص نتائج غير صحيحة في مقارنة القوات وبالتالي أدى إلى خطة غير واقعية .

ب - عدم إدخال أى إعتبار للضربة الجوية المفاجئة من الإرتفاعات المنخفضة جداً رغم علم كافة المسؤولين من أن هذا هو الأسلوب المنتظر لهجوم العدو وأنه يمثل أشد الخطر الذي تتعرض له القوات الجوية في الجمهورية العربية المتحدة .

ج - الخطأ في تقدير مدى عمل القوات الجوية المعادية الأمر الذي استبعد معه إمكان قيامه بضرب جميع قواعد القناة والمنطقة المركزية في وقت واحد بينما مدى عمل طائرات العدو يمكنها من الوصول إلى جميع قواعدنا الجوية على الارتفاعات المنخفضة جداً وهذا ما يتمشى مع تصور أسلوب الضربة الجوية المفاجئة .

٣ - تقدير تأثير الدفاع عن القواعد الجوية بالمدفعية الميسورة والأنواع الموجودة منها بأكثر

من حقيقة وكفاءته القتالية بسبب ما اتضح للمجلس من أن عدد المواصلات والرشاشات م ط المتوفرة للدفاع عن القواعد الجوية يقل كثيراً عن الحد الأدنى اللازم لتوفير وقاية معقولة لها .

٤ - عدم اتخاذ الإجراءات اللازمة لضمان سد ثغرة عدم الكشف للطيران المنخفض على الارتفاعات أقل من ٥٠٠ متر وإيجاد جهاز يعتمد عليه للإنذار الجوى بالنسبة للطيران المنخفض .

٥ - الخطأ في تصور إمكان تلقي الضربة الجوية المفاجئة للعدو وصدها بنسبة خسائر قليلة تتراوح بين ١٥ - ٢٠٪ رغم نواحي النقص الواضحة في استعداد جهاز واستكمال إجراءات الوقاية في القواعد الجوية تقوم على أثرها القوات الجوية فوراً بالضربة المضادة .

٦ - يقرر المجلس النقص الواضح في المعلومات التفصيلية اللازمة عن العدو وتسليحه وتمركزه في القواعد الجوية والدفاعات م ط لديه ونواياه وتدريبه ونواحي النقص في معداته وأجهزته ومدى المعلومات المتوفرة لديه عن قواتنا وتمركزها والتوقيت الدقيق والأسلوب التفصيلي المنتظر لعدوانه الأمر الذي يعد حيوياً وضرورياً لنجاح القوات الجوية والدفاع الجوى في تحقيق مهامها .

٧ - يقرر المجلس أنه قد إتضح له أن التخطيط الموضوع للمبادأة من جانب القوات الجوية كانت نتائجه مشكوكاً فيها وغير مضمونة للأسباب الموضحة في الباب الثاني .

٨ - يقرر المجلس أن عناصر الدفاع الجوى جميعها لم تكن وقت بدء العدوان في أقصى درجات التيقظ والانتباه لملاقاة ضربة العدو الجوية المنتظرة ، الأمر الذي جعل الضربة المفاجئة مذهلة وشل تفكير الجميع .

٩ - يقرر المجلس أن مستوى التنسيق والتعاون وتبادل المعلومات بين القوات الجوية والبحرية والبرية كان ضعيفاً الأمر الذي ساعد على إتمام المفاجأة التي أحرزها العدو رغم وجود شواهد برية بنشاط العدو البري مما يوحي بأن هجومه المنتظر قد أصبح وشيك الوقوع وكان يؤدي هذا إلى إنذار القوات الجوية في الوقت المناسب ليقظتها واتخاذ الإجراءات اللازمة لملاقاة ضربته الجوية المنتظرة ، وكذلك عدم وضوح الموقف البري لدى القوات الجوية لاتخاذ القرارات ، الشليمة لإنقاذ وسحب القواعد الأمامية المعرضة والأجهزة والمعدات الغنية في الوقت المناسب .

١٠ - يقرر المجلس أن القوات الجوية لم تتخذ الإجراءات السريعة لإعادة تمركز قواتها واتخاذ الأوضاع السليمة التي تتناسب مع المهمة الجديدة بتلقى الضربة الأولى عقب المؤتمر الذى تم فى القيادة العامة للقوات المسلحة يوم ١٩٦٧/٦/٢ م .

سابعاً : التقييم النهائى للهزيمة والخبرة المستفادة :

الآن بإمكاننا أن نقول أن هزيمة ١٩٦٧م لم تكن (قدراً) كما أراد أهل الحكم فى مصر أن يروجوا بعدها ، بل كانت واقعاً ، نحن الذين خلقناه بضعفنا وصراعنا وفساد أهل الحكم منا ، فضلاً عن مساندة ظروف وملابسات دولية فى أحداث كل ذلك ، وفقاً لرؤية الراحل العزيز د . فاروق يوسف فى كتاب عن (القومية العربية) .

فلقد أعطت حرب السويس ١٩٥٦م لإسرائيل درساً قررت على أثره ضرورة الاعتماد على قوتها الذاتية فى الحرب المقبلة ضد العرب وعدم اشتراكها مع أية قوة عالمية فى القيام بذلك . ومن هنا بدأت إسرائيل تخطط لحرب ٥ يونيو سنة ١٩٦٧م على أساس تقوية جيشها بدرجة كبيرة والحصول له على أحدث الأسلحة المتطورة وتدريبه تدريباً عالياً حتى تتمكن من موازنة التفوق العددي العربى تفوق كفى إسرائيل . وكان هدف إسرائيل من هذه الحرب هو تحطيم القوة والإرادة العربية وفرض السلام الإسرائيلى على العرب بما يتمشى مع مصالحها .

بدأت إسرائيل بمحاولتها لتحويل مجرى نهر الأردن لاستغلال مياهه فى التوسع الزراعى على حساب العرب . فتحركت مصر ودعت لعقد مؤتمر قمة عربى لمواجهة - ذلك . وانعقد مؤتمر القمة الأول فى يناير سنة ١٩٦١م ، الذى وضع خطة مضادة للخطة الإسرائيلية للتحويل واتخاذ الإجراءات الكفيلة بتنفيذها بإقامة منظمة التحرير الفلسطينية . ومن ثم بدأ التوتر بين العرب وإسرائيل يظهر بشكل واضح . وفى سبتمبر سنة ١٩٦٤م عقد مؤتمر القمة الثانى الذى أعلن أن هدف العرب هو تحرير فلسطين وقرر حشد الطاقات العربية من أجل ذلك . ثم عقد مؤتمر القمة الثالث فى سبتمبر سنة ١٩٦٥م الذى أقر ميثاقاً للتضامن العربى ووحدة الصف العربى . إلا أن كل ذلك فى الحقيقة كان حبراً على ورق لم ينفذ منه شيء يذكر وكان ضروره أكثر من فائدته لأنه إستخدم فى الدعاية ضد العرب .

فى الجانب الإسرائيلى فإنه عن طريق جهد سياسى مكثف وعمل دعائى ذكى تمكنت إسرائيل من الحصول على ما تريد من العالم العربى مستغلة فى ذلك القرارات ذات الكلمات الرنانة التى صدرت بها قرارات مؤتمرات القمة العربية والتصريحات غير الواجبة لبعض القادة العرب ، وسوء العلاقات بين الدول العربية التقدمية وكل من ألمانيا الغربية والولايات

المتحدة الأمريكية ، وقد تمكنت من الحصر لعل ما تريده من الأموال من ألمانيا الغربية بحجة تعويض اليهود عن جرائم النازي والحصول على ما تريده من السلاح من ألمانيا الغربية ثم من الولايات المتحدة الأمريكية مستغلة في ذلك عقدة الذنب لدى الألمان والعطف لدى الأمريكيين .

وق اختارت إسرائيل عام ١٩٦٧م ليكون عاماً لعدوانها على البلاد العربية ويرجع ذلك الاختيار لعدة أسباب . أولها إستكمال إستعداد إسرائيل العسكري مع انشغال القوات المصرية الخاصة في حرب اليمن . وثانيها : تأكيد إسرائيل من الدعم الأمريكي غير المحدود لها ، وتدهور العلاقات الأمريكية مع الدول العربية التقدمية وثالثها : تفكك الصف العربي بسبب حرب اليمن وما ترتب عليها من نزاعات ومهاترات بين الدول العربية وعدم فاعلية مؤتمرات القمة العربية ، ورابعها : تهيئة الرأي العام العالمي وإقناعه بوجهة النظر الإسرائيلية نتيجة للدعاية الإسرائيلية التي استخدمت قرارات مؤتمرات القمة العربية مادة لها والتصريحات المثيرة لبعض الزعماء العرب . وخامسها : كانت إسرائيل تعاني من مشاكل إقتصادية وعجز مالى كبير وكانت الحرب هي الوسيلة الوحيدة لخلاصها من تلك المشاكل .

اتجهت إسرائيل إلى سوريا لتكون ذريعتها لعدوانها على البلاد العربية وخصوصاً أن سوريا هي أحد الدول الثلاث التي تعمل لتحويل مجرى نهر الأردن في أراضيها لتفسد المشروعات الإسرائيلية في هذا الخصوص ، كما أن سوريا تساعد الحركات العدائية ضد إسرائيل ، بالإضافة إلى ذلك كان هناك أطماع إسرائيل الخاصة بالهضبة السورية ذات الموقع الاستراتيجي للتحكم في الأراضي الإسرائيلية والمهدد لأمن إسرائيل .

في أوائل عام ١٩٦٧م بدأت إسرائيل بالتهديد بغزو سوريا واحتلال دمشق ثم قامت في أبريل بهجوم كبير على سوريا ، وفي مايو أعلنت إسرائيل حالة الطوارئ الجزئية مما اضطر مصر إلى المسارعة لمساعدة سوريا بحشد قواتها في سيناء ، ثم طلبت في ١٦ مايو من الأمم المتحدة تجميع قواتها التي تحتل نقاط المراقبة على الحدود المصرية في قطاع غزة حتى لا يؤدي وضعها في الأراضي المصرية إلى أى مزايا لإسرائيل . ولكن الأمم المتحدة قررت سحب قوات الطوارئ بالكامل من المنطقة . وبانسحاب قوات الطوارئ من شرم الشيخ دخلتها القوات المصرية فأعلنت مصر في يوم ٢٣ مايو سنة ١٩٦٧م عدم السماح بمرور السفن الإسرائيلية وتلك التي تحمل بضائع إستراتيجية لإسرائيل في خليج العقبة .

وهنا قررت المؤسسة العسكرية الإسرائيلية ضرورة الإسراع بشن الحرب قبل أن تتمكن القوات المصرية من التحصن في مواقعها الجديدة واستغلال ميزة المبادأة والقضاء على القوات



خارجا من خندق تحت الأرض في جبهة القناة عام ١٩٧٠

المصرية الضخمة في سيناء بضربة مفاجئة . إلا أن الحكومة الإسرائيلية كانت تطلب التمهّل حتى تحصل على تأكيدات من واشنطن . وفي يوم ٣٠ مايو تم توقيع ميثاق الدفاع المشترك بين مصر والأردن ، وكان رد إسرائيل هو تكوين حكومة إئتلافية دخلتها كافة الأحزاب السياسية الإسرائيلية وبدأت الدعاية الصهيونية تنشط لجمع التبرعات والتطوعين من الدول الغربية . وفي يوم ٤ يونيو سنة ١٩٦٧م عقد مجلس الوزراء الإسرائيلي اجتماعاً قرر فيه القيام بالحرب في اليوم التالي .

وفي يوم ٥ يونيو قامت إسرائيل بضربة جوية مفاجئة ومركزة ضد القواعد الجوية والمطارات المصرية مما أفقد القوات والقيادة المصرية توازنهما وأصبحت قراراتها إرتجالية غير مخططة مما ساعد على أن تنفرد إسرائيل بعد ذلك بكل دولة من دول المواجهة الثلاث لتصل إلى الحدود التي تمجدها مناسبة لها ، فاجتارت إسرائيل سيناء وأصبحت بينها وبين باقي الأراضي المصرية قناة وخليج السويس . واحتلت الضفة الغربية وأصبح نهر الأردن بينها وبين باقي الأراضي الأردنية . كما احتلت المرتفعات السورية وأصبح الطريق إلى دمشق مفتوحاً أمامها .

ولم تكن سبب النكسة هو عقيرة الإنسان الإسرائيلي أو كفاءته ولو أنه لا يمكن إنكار أن قراراتهم كانت مبنية على خطط علمية محكمة ومدروسة . ولكن السبب الحقيقي وراء النكسة كان القيادة العسكرية المصرية غير المسئولة في سلوكها وتصرفاتها ، والخطط العربية الفاشلة المرتجلة والجهة العربية المعزقة . أى أن جزءاً رئيسياً من أسباب النكسة يرجع إلى الوضع في مصر بصفة خاصة والوضع العربي بصفة عامة .

ولقد كانت للحرب نتائج خطيرة بالنسبة للصراع العربي الإسرائيلي . فأولاً تم تحطيم القوة العسكرية لثلاث دول عربية من ضمنها الدولة العربية الكبرى مصر ، وبذلك أصبح لإسرائيل تفوق عسكري ساحق على العرب . وثانياً : وصلت إسرائيل إلى وضع جغرافي ممتاز وعمق استراتيجي كاف بعد احتلال مساحة من الأرض وتبلغ أضعاف مساحتها الأصلية وإلى حدود تمثل موانع طبيعية شبه آمنة هي غرباً قناة السويس وخليج السويس وشرقاً خليج العقبة ونهر الأردن وشمالاً المرتفعات السورية . وعلى ذلك قامت نظرية الأمن الإسرائيلي ابتداءً من يونيو سنة ١٩٦٧م على أساس هذه الموانع الطبيعية وعلى القدرة الدفاعية الإسرائيلية عند هذه الحدود .

أما بالنسبة للعرب فقد كان تأثير الحرب عليهم عكسياً . فلم تعد في يدهم المبادأة وترتب على الحروب مشاكل اقتصادية ونفسية وهية خصوصاً بالنسبة لمصر التي صمد شعبها بالرغم من الآلام التي كان يعاني منها . إلا أنه كانت للنكسة أيضاً جوانبها الإيجابية فقد حطمت

بعض أجزاء القيادة المصرية المتحجرة وبذلك فتحت الطريق لبعض الكفاءات الجديدة للدخول إلى القيادة كما أضعفت مراكز القوى ومهدت للقضاء عليها فيما بعد. وأدركت إلى إدراك العرب حقيقة أبعاد التهديد الصهيوني ونواحي تقصير العرب في مواجهته . ومن هنا عمل العرب على امتصاص النكسة وتقوية الجيوش العربية والتضامن العربي من أجل المصير المشترك ورفض شروط إسرائيل .

بعد الحرب نقلت القضية إلى الأمم المتحدة بناء على طلب الإتحاد السوفيتي . وقد كان هناك مشروع قرار يهدف إلى انسحاب إسرائيل إلى حدود ٤ يونيو سنة ١٩٦٧م . إلا أن الولايات المتحدة الأمريكية حالت دون صدور مثل هذا القرار . ثم صدر القرار رقم ٢٤٢ في ٢٢ نوفمبر سنة ١٩٦٧م الذي نص على الانسحاب من الأراضي العربية المحتلة في النزاع الأخير ، وإنهاء دعاوى الحرب واحترام سيادة ووحدة الأراضي والإستقلال السياسي لكل دولة في المنطقة وحققها في العيش في سلام في نطاق حدود آمنة معترف بها وحرية الملاحة في الممرات الدولية وتحقيق تسوية عاجلة لمشكلة اللاجئين وضمان الأمن الأقليمي والإستقرار السياسي عن طريق إجراءات من بينها إنشاء مناطق منزوعة السلاح .

ولقد طلب مجلس الأمن من السكرتير العام للأمم المتحدة تعيين ممثل خاص له للذهاب إلى منطقة الشرق الأوسط على أساس هذا القرار الذي وافقت عليه الدول الكبرى والأطراف المعنية بصفة مباشرة . إلا أن المستر يارنج الذي عين لذلك لم يتمكن من أداء مهمته بسبب عدم تعاون إسرائيل التي فضلت إحتلال الأرض العربية عن الانسحاب وتحقيق السلام في المنطقة . ولقد شجعت الولايات المتحدة الأمريكية إسرائيل على اتباع هذه السياسة ومنتها بالمال والسلاح والتأييد السياسي اللازم لاستمرارها في موقفها المتعنت . ولقد حاولت إسرائيل إرهاب العرب عن طريق العنف وما طلت في تنفيذ قرار مجلس الأمن حتى يومنا هذا ١٩٩٢ :

ومن جملة الدروس والخبرات المستفادة من هذه الهزيمة أيضاً ما يلي :

سـ (١) فردية اتخاذ القرار ، حيث تركز صنع القرار في يد عبد الناصر. وحده دون أن يلقى معارضة حتى أنه عندما قرر إغلاق المضائق لم يعترض عليه سوى صديق سليمان ولأسباب اقتصادية بحثه لا علاقة لها بالموقف الإستراتيجي المترتب على إغلاق المضائق بصدد إسرائيل .

كما يذكر صلاح نصر أن جهاز المخابرات ومجلس الدفاع الوطني لم يؤخذ رأيهما بصدد إغلاق المضائق . كما أن رأى القيادات العسكرية التي ستخوض الحرب لم يكن

ذو تأثير كبير حيث يذكر حمروش أنه قد عقد مؤتمر عسكري يوم ١٨ مايو وناقشوا فيه فكرة إرسال قوات نحتل شرم الشيخ وانتهى المؤتمر برفض الفكرة لأن وجود قوات هناك سيقرب عليه أما عدم التدخل في الملاحة بما يزيد من هجوم الدول العربية ، أو إغلاق الخليج بما يعطى إسرائيل الذريعة للحرب في وقت ليست فيه مصر على استعداد للمواجهة .

(٢) الصراع بين القيادة السياسية والقيادة العسكرية بما يعرف « صراع عامر وناصر » والذي بدأ منذ ١٩٥٧م وبلغ ذروته عام ١٩٦٢م وأصبح بعدها عامر هو المتحكم في القوات المسلحة ولم يعد من حق أحد - بما في ذلك ناصر - أن يتدخل في إدارة القوات المسلحة إلا عن طريق عامر فقط . وهو الأمر الذي عجل بالهزيمة الفادحة .

(٣) الارتجالية وعدم التخطيط :

حيث لم يكن هناك استراتيجية عليا للصراع المسلح مع إسرائيل وكان وضع هذه الإستراتيجية من اختصاص مجلس الدفاع الوطني الذي يرأسه رئيس الجمهورية ثم تنفيذها من اختصاص مجلس أعلى يرأسه وزير الحربية .

ويرى المشير عبد النسي الجسمي أنه لم يكن لأى من الجهازين القدرة على ممارسة عملية وإن غياب هذه الإستراتيجية أدى إلى التسرع والارتجال وعدم التنسيق بين القيادات العسكرية بدرجة أن القوات المسلحة كانت تفاجأ بالقرارات المصيرية^(١) .

(٤) عدم تعاون القيادات المسئولة عن الحرب :

فقد كان هناك صراع بين كل سلاح وبين رئاسة الأركان كما هناك تعدد في القيادات المسئولة عن الحرب وعدم تعاونها فهناك القيادة العامة في القاهرة ويتولاها المشير عامر ثم قيادة المنطقة الشرقية ويتولاها الفريق صلاح محسن ثم القيادة الأممية للجهة ويتولاها الفريق أول مرتجى ويظهر عدم التعاون بينهما في عدة مناسبات . منها شهادة اللواء عبد الحميد الدغيدى الذى لم يسمع عن إنذار عبد الناصر يوم ٢ يونيو إلا بعد نهاية الحرب وهو قائد الطيران في منطقة سيناء .

بل أن مرتجى وعبد المنعم رياض (قائد الجبهة الأردنية) لم يخطروا به كما تم إهمال إشارة عجلون والتي أرسلها عبد المنعم رياض حينما لاحظت قواته على شاشات الرادار الأردنية إقلاع الطائرات الإسرائيلية بأعداد كبيرة .

بل أن مرتجى وعبد المنعم رياض (قائد الجبهة الأردنية) إقلاع الطائرات الإسرائيلية بأعداد كبيرة .

وقد أكد مرتجى إن محتويات هذه الرسالة كانت ستغير مجرى الحرب حيث كانت الأوامر الصادرة إلى الطيران الإسرائيلي تنص على ضرورة العودة مباشرة إذا ما ظهرت له قوات غير متوقعة من الطائرات المصرية فوق سماء سيناء واعتبار ما حدث مجرد اختراق عادي للمجال الجوي المصري .

إنها دروس هامة وخبرة مستقاة على الصعيد المصري يضاف إليها غياب التنسيق العربى وغياب الفهم العربى لأبجديات الأمن القومى وحدود الفهم العربى لأهمية أن تبقى مصر قوية وإن قوتها ، قوة لهم . ولكنها مع الأسف الحقائق والدروس التائهة حتى اليوم .

ملحق الفصل الثالث عشر

جدول رقم (١)

المساعدات الأمريكية لإسرائيل ١٩٥١ - ١٩٨٨ م (بملايين الدولارات)

النسبة	الدعم الاقتصادي	الدعم العسكري	المجموع
١٩٥١	٠,١	—	٠,١
١٩٥٢	٨٦,٤	—	٨٦,٤
١٩٥٣	٧٣,٦	—	٧٣,٦
١٩٥٤	٧٤,٧	—	٧٤,٧
١٩٥٥	٥٢,٧	—	٥٢,٧
١٩٥٦	٥٠,٨	—	٥٠,٨
١٩٥٧	٤٠,٩	—	٤٠,٩
١٩٥٨	٦١,٢	—	٦١,٢
١٩٥٩	٤٩,٩	٠,٤	٥٠,٣
١٩٦٠	٥٥,٢	٠,٥	٥٥,٧
١٩٦١	٤٨,١	—	٤٨,١
١٩٦٢	٧٠,٧	١٢,٢	٨٣,٩
١٩٦٣	٦٢,٤	١٢,٣	٧٦,٧
١٩٦٤	٣٧,٠	—	٣٧,٠
١٩٦٥	٤٨,٨	١٢,٩	٦١,٧
١٩٦٦	٣٦,٨	٩٠,٠	١٢٦,٨
١٩٦٧	٦,١	٧,٠	١٣,١
١٩٦٨	٥١,٨	٢٥,٠	٧٦,٨
١٩٦٩	٢٦,٧	٨٥,٠	١٢١,٧
١٩٧٠	٤١,٧	٢٠,٠	٧١,٧
١٩٧١	٥٥,٨	٥٤٥,٠	٦٠٠,٨
١٩٧٢	١٠٤,٢	٣٠٠,٠	٤٠٤,٢

٤٦٧,٣	٣٠٧,٥	١٥٩,٨	١٩٧٣
٢٥٧٠,٧	٢٤٨٢,٧	٨٨,٠	١٩٧٤
٦٩٣,١	٣٠٠,٠	٣٩٣,١	١٩٧٥
٢٥٠٨,٠	١٧٠٠,٠	٨٠٨,٠	١٩٧٦
١٧٥٧,٠	١٠٠٠,٠	٧٥٧,٠	١٩٧٧
١٨١١,٨	١٠٠٠,٠	٨١١,٨	١٩٧٨
٤٨١٥,١	٤٠٠٠,٠	٨١٥,١	١٩٧٩
١٨١١,٠	١٠٠٠,٠	٨١١,٠	١٩٨٠
١٢٨٩,٠	١٤٠٠,٠	٧٨٩,٠	١٩٨١
٢٢١٩,٠	١٤٠٠,٠	٨١٩,٠	١٩٨٢
٢٤٩٨,٠	١٧٠٠,٠	٧١٨,٠	١٩٨٣
٢٦٣١,٠	١٤٣١,٠	١٢٠٠,٠	١٩٨٤
٣٩٥٠,٠	١٢٥٠,٠	٢٧٠٠,٠	١٩٨٥
٢٨٨٠,٠	١٧٠٠,٠	١١٨٠,٠	١٩٨٦
٣٠٠٠,٠	١٨٠٠,٠	١٢٠٠,٠	١٩٨٧
٣٠٠٠,٠	١٨٠٠,٠	١٢٠٠,٠	١٩٨٨
٤١٠٦٩,٨	٢٥٣٩٣,٣	١٥٦٧٦,٣	المجموع العام

ملحق رقم (٢) الفصل الثالث عشر

هزيمة يونيو في مدركات عبد الناصر،

[ولم يكن عملنا في يوم من الأيام سهلاً ولا هيناً فلقد كان علينا أن نواجه ألوان المخاطر السياسية والإقتصادية والعسكرية .. وكان كل انتصار حققناه نتيجة لمشاق ومصاعب صبرنا عليها وتحملنا أعباءها ..

لم يكن قيامنا بالثورة يوم ٢٣ يونيو سهلاً أو هيناً ... وجيش الاحتلال البريطاني يحتل أرض الوطن منذ أكثر من ٧٠ عاماً . ويحكم بالتحالف مع الأقطاع ورأس المال محتمدين جميعاً على ثمانين ألف جندي بريطاني في منطقة قناة السويس ..

ولم يكن تصدى شعبنا لسياسة الأحلاف وسيطرة مناطق النفوذ التي أريد فرضها عليه سهلاً أو هيناً .. في وقت لم تكن حركة التحرير الوطني قد قطعت فيه ما قطعت الآن على طريق الإستقلال ورفض التبعية .

ولم يكن قبول شعبنا لتحدي بناء السد العالي سهلاً أو هيناً .. في وجه صلافة أمريكية أرادت ، وهي تسحب عرضاً غريباً بالمساهمة في تمويل السد العالي ، أن تسيء إلى الأقتصاد المصري ، وأن تصور هذا الشعب وكأنه مفلس غير قادر على تحمل مسئوليات مثل هذا البناء الذي لا يعرف له في العالم نظير ، بل وأرادت بهذه الصلافة أن تضل إلى حد تضيق ثقة الشعب بنفسه ، واسقاط نظامه الثوري .

ولم يكن تحمل شعبنا لأهوال معركة السويس سهلاً أو هيناً .. وقد شاركت في العدوان عليه سنة ١٩٥٦م ثلاث دول بينها إثنان من الدول العظمى استعملت في عدوانها تلك القاعدة التي خلقها الإستعمار .. وزرعها في قلب الوطن العزيز لتقوم دائماً بدورها في تهديده وإرهابه .. ظاهرة مرة وخفية مرة أخرى ..

كل هذا .. لم يكن سهلاً وهيناً في هذا الوطن الذي كانت فيه المصالح الأجنبية والإقطاعية تسيطر على مقدراته وهي في قلب هذا العالم العربي الذي تسيطر عليه المصالح الأجنبية والإقطاعية فما يحدث في وطننا له صدهاء في عالمنا العربي كله . أردنا ذلك الصدى أو لم نرده ..

ولم يكن رضا شعبنا بمسئولياته التضامن العربي ووحدة النضال ووحدة المصير سهلاً أو هيناً . فلقد واجهنا ضمن هذه المسئوليات ووقوفنا إزاء محاولة غزو سوريا ١٩٥٧م وقبولنا بتبعات الوحدة وتبعات الانفصال ، ووقوفنا إزاء محاولة ضرب الثورة العراقية ستة

١٩٥٨م .. وصمودنا وراء الثورة الجزائرية من ١٩٥٤م إلى ١٩٦٢م وانتصارنا إلى جانب الثورة اليمنية وتأييدنا لثورة الجنوب العربي] .

(العيد الخامس عشر للثورة ٢٣ يوليو ١٩٦٧م)

[إن الإستعمار لم يواجهنا فى هذه المرة صراحة كما فعل فى ١٩٥٦م وإنما بذل جهداً لايد أن نسلم بيراعته .. فى إخفاء دوره وفى تغطية تواطئه ولعله فى النهاية لم يترك شيئاً يدل عليه غير بصمات أصابعه] .

(العيد الخامس عشر للثورة ٢٣ يوليو ١٩٦٧م)

[لقد كان موقف شعبنا يوم ٩ ، ١٠ يونيو أكثر مما استحق وأكثر مما يستحق أى فرد ولكنه بالنسبة لى كان يمثل معانى أخرى .. معنى استمرار النضال .. ومعنى استمرار النضال الشعبى .. ومعنى إستعداد الشعب لكل التكاليف والتضحيات .. ومعنى التصميم على المقاومة] .

(العيد الخامس عشر للثورة ٢٣ يوليو ١٩٦٧م)

[ليس هناك طريق مختصر أو قصير إلى ما نريد .. أيضاً ليس هناك طريق واحد .. الطريق طويل وشاق .. كذلك فإن هناك عدة طرق لايد أن نسير عليها فى نفس الوقت] .

طريق النصر مخاطرة .. وطريق النصر تضحيات .. وطريق الآمال الكبرى بدل كبير ، وإلا فإن الشعوب ترضى على نفسها بالجمود وتقبل بالتخلف لأنها لا تستطيع أن تتحرك ولا تقبل بالمخاطرة ولا تقبل على الحياة حلوها ومرها] .

(العيد الخامس عشر للثورة ٢٣ يوليو ١٩٦٧م)

(لم يكن احتلال الأرض هو الهدف ، فى الأصل ، للعدوان الإستعمارى الصهيونى ، إنما احتلال الأرض هدف جزئى يسعى به إلى تحقيق الهدف الأصيل وهو تصفية الثورة العربية عامة .. العدوان حقق الأهداف الجزئية ولكنه لم يتمكن من تحقيق هدفه الرئيسى) .

(العيد الخامس عشر للثورة ٢٣ يوليو ١٩٦٧م)

(إن هدفنا المباشر لا يتنبهى أن يكون إزالة آثار العدوان فحسب .. بل يتنبهى أن يكون أيضاً حماية نظامنا الثورى وتدعيم حركة الثورة العربية) .

(العيد الخامس عشر للثورة ٢٣ يوليو ١٩٦٧م)

(إن الصراع ليس من جبهة القتال وحدها وإنما الجبهة فى كل مكان .. تلك عبرة صدقت فى كل صراع شامل .. وهى أصدق ما تكون فى معركتنا بالذات وبسبب ظروفنا الخاصة

المتميزة ، ذلك لأن العدو يريد أن يغطى حقيقة أن الوقت ليس فى صالحه وذلك عن طريق تركيز وتثبيت تأثيره على كل الجبهات ..

كل الدنيا تريد أن تعيش فى سلام ، واحنا كنا ندرك منذ البداية ونحن نجرب طريق الحل السياسى أن ذلك الطريق صعب مفروش بالأشواك لأن العدو أسكرته نشوة النصر ونحن نعلم أن المبدأ الفصل بأن ما أخذ بالقوة لا يسترد بغير القوة مبدأ سليم وصحيح فى كل الظروف) .

(عيد الثورة ٢٣ يوليو ١٩٦٨م)

لا بديل لهذه الأمة غير النصر وهى تقدر عليه إذا أحسنت الإستفادة من طاقاتها وظروفها وإذا استطعنا أن نؤمن ونبنى جبهتنا الداخلية على أساس المعركة .

(عيد الثورة ٢٣ يوليو ١٩٦٨م)

إن التحديات كلها أثبتت صلاية موقف قوى الشعب العاملة وتصميمها وحسمها .. إن فلاحينا فى الحقول كانوا فى خدمة الصمود .. وكان عمالنا فى المصانع وفى الخدمات سنبداً هائلاً وراء المواجهة المصرية ، كما أن الشباب فى هذا الوطن لم يترك لأحد أن يحدد له موقفه برغم كل المحاولات . وإنما حدد هو بوعيه موقفه وسط قوى النضال الوطنى والقومى المقدرة لتبعات المصير والمتمثلة فى شجاعة لنصيبها منه .

(إفتتاح مجلس الأمة ٢٠ يناير ١٩٦٩م)

من أقوال زعماء إسرائيل ، وقادة إسرائيل ، ومذكرات إسرائيل المنشورة ، والتى صدرت بعد سنة ١٩٦٧م .. قالت أنهم كانوا يريدون هذه المعركة .. قبل أن تستكمل مصر بناء قواتها المسلحة .. قبل أن تدخل مصر فى مرحلة الإنطلاق .. قبل أن يتم بناء السد العالى .. قبل أن تتم خطط التصنيع .. قبل أن تتم خطط تطوير الصناعة واستصلاح الأراضى كانت إسرائيل تريد المعركة قبل أن نكون قد أتممنا ما نريد من أجل تقوية بنائنا الداخلى ، وبنائنا الصناعى .. وبنائنا العسكرى .. فعلى هذا الأساس .. نستطيع أن نقول أن ٥ يونيو والهجوم الإسرائيلى فى ٥ يونيو ١٩٦٧م كان مؤامرة مرتبة ..

(عيد العمال أول مايو ١٩٧٠م)

(إذا سألنا أنفسنا أية كان القصد الحقيقى لعملية العدوان المرتبة التى تعرضنا لها أخيراً .. إذا سألنا أنفسنا هذا السؤال .. الرد يكون القصد الحقيقى كان .. القضاء على الثورة الاشتراكية الموجودة فى مصر ..

وإذن فلنستطيع أن نواجه العدوان .. فإنه من الضروري تدعيم الثورة الإجتماعية في مصر) .

(جامعة القاهرة ٢٣ يوليو ١٩٦٧ م)

(الهدف هو القضاء على الثورة الاجتماعية .. والثورة الاشتراكية .. التي تصدوا لها بكل الوسائل .. تصدوا لنا بمحاولات الإغتيالات ، وبالإخوان المسلمين والمؤامرات ، وبقطع المعونات ولكن صمدنا .. كل الوسائل فشلت .. وفضل حل واحد هو إسرائيل .. وبعد غزو إسرائيل يحصل شرح في النظام) .

(خطاب في ٢٣ يوليو ١٩٦٧ م)

لم يكن إحتلال الأرض هو الهدف الأصلي للعدوان الإستعماري الصهيوني ، وإنما إحتلال الأرض هدف جزئى .. يسعى إلى تحقيق الهدف الأصيل .. وهو تصفية الثورة العربية عامة . العدوان حقق الأهداف الجزئية ، ولكنه لم يتمكن من تحقيق هدفه الرئيسى .

(خطاب في ٢٣ يوليو ١٩٦٧ م)

هدفنا المباشر لا ينبغى أن يكون إزالة آثار العدوان فحسب ، بل ينبغى أن يكون أيضاً حماية نظامنا الثورى ، وتعميق نظامنا الثورى .. تدعيم حركة الثورة العربية .

(خطاب في ٢٣ يوليو ١٩٦٧ م)

طبعاً هم عازمين يقضوا على نظام الثورة له ؟ .. لأنهم عارفين أن هذا النظام الثورى لن يكون نظام إستسلام ولكنه نظام نضال .

(خطاب في ٢٣ يوليو ١٩٦٧ م)

إن ٥ يونيو كان صدمة .. ولكن جماهير شعوب الأمة العربية ، أثبتت عملياً وصممت على الرفض .. رفض الهزيمة .. ويجب أن نلح على الرفض .. أنها أثبتت عملياً لكى تفرق بين الرفض الإرادى والرفض الإنفعالى الذى يصدر على العاطفة وحدها .. إن الأمة العربية حينما خرجت تعلن عن تصميمها على القتال كانت تعبر عملياً عن رفضها للهزيمة وعن إستعدادها للتضحية وعن إستعدادها لتقديم دمائها وأرواحها فداء لكرامتها .. وفداء لأراضيها وفداء لشرفها وفداء لوطنها ..

(بعيد العمال أول مايو ١٩٧٠ م)

إن الأمة العربية ، لم تستسلم ، ولم تخضع ولم تستطع إسرائيل أن تخضع الأمة العربية ولم تستطع أمريكا - الولايات المتحدة الأمريكية - أن تخضع الأمة العربية لأن هذا فوق

طاقة إسرائيل ، وفوق طاقة الولايات المتحدة الأمريكية .

(عيد العمال أول مايو ١٩٧٠م)

(إن شعبنا المصرى .. وأمتنا العربية .. كلاهما يخوض الآن معركة حياته ومستقبله .. معركة استقلاله وحرية معركة حقه فى التطور السياسى والإجتماعى ..

وهو يخوض هذه المعركة فى مواجهة قوى شرسة وضارية تكره الحياة والمستقبل والاستقلال والحرية وآمال التطور السياسى والإجتماعى .

وشعبنا المصرى .. وأمتنا العربية .. كلاهما ليس لديه بديل عن قبول المعركة فهذه المعركة فرضت عليها فرضاً .. ولم يكن غريباً أن جاءت هذه المعركة سنة ١٩٦٧م .. وإنما الغريب أن هذه المعركة لم تفرض قبل ذلك عليهما .

وشعبنا المصرى .. وأمتنا العربية كلاهما .. مطالب بالنصر فى هذه المعركة ليس لأن الثأر هو ثأرنا لما حدث فى سنة ١٩٦٧م ، ولكن لأن النصر هو بابنا الوحيد إلى كل القيم الغالية .. قيم الحياة والمستقبل والحرية والتطور السياسى والاجتماعى) .

(خطاب اللجنة العامة للمواطنين من أجل المعركة)

هذه هى صورة المعركة التى تخوضها الآن بكل بساطة ، بكل أمانة فى نفس الوقت .. من ذلك كله نستخلص حقائق أساسية .

- ١ - إننا فى وسط معركة بالنسبة لنا حاسمة .
- ٢ - أنه لا بديل لنا عن خوض هذه المعركة كضرورة حياة ومستقبل .
- ٣ - أنه لا سبيل أمامنا فى هذه المعركة غير أن نتنصر ، بما يمنع العدو عن تحقيق أهدافه .
- ٤ - إن المعركة عنيفة لأن مدى الصراع فيها واسع .
- ٥ - إن المعركة طويلة لأن القوى التى تخوضها ضدنا تملك وسائل الإستمرار ولن تأس بسرعة .

(خطاب اللجنة العامة للمواطنين من أجل المعركة)

إن النضال شامل لأن الثورة شاملة أن المعركة العسكرية على جبهة القتال ليست بعيدة عن مشاكل التطور .. إن حربنا ضد الإستعمار هى جزء من حربنا ضد التخلف .. إن إستقلالنا الوطنى ليست له دعامة إلا قدرتنا الوطنية .

(المؤتمر القومى العام ٢٣ يوليو ١٩٧٠م)

إن المعركة ليست جبهة القتال ، وإنما المعركة هى الوطن بأسره ، وهى الأمة من المحيط

إلى الخليج .

(خطاب اللجنة العامة للمواطنين من أجل المعركة)

لقد إجتزنا مرحلة في هذه المعركة ، ونحن نعتقد أن وقوفنا يرغم كل أنواع الضغوط التي وجهت إلينا عسكرية وسياسية واقتصادية ونفسية هي خطوات أكيدة على طريق النصر .
إن القوات المسلحة تبذل على الجبهة جهداً هائلاً .

وقوى الإنتاج في هذا الوطن وبالذات في الصناعة والزراعة والإقتصاد ، تكلفت بإعطاء الوقود المادى لمطالب الصمود .

وجماهير الشعب كانت دائماً وما تزال منذ يومى ٩ ، ١٠ يونيو هي الطاقة الهائلة وراء كل شيء تم تحقيقه أو يجري تحقيقه .

(خطاب اللجنة العامة للمواطنين من أجل المعركة)

ولكننا نقف الآن على أبواب مرحلة جديدة نستكمل بها الطريق إلى النصر ، وهذه المرحلة الجديدة سوف تكون أصعب المراحل وأشق المراحل وأحفلها بأسباب التضحية والتحمل والاستعداد بقبول مخاطر بغير حدود :

كل من في هذا الوطن يجب أن يتحول من الآن إلى طاقة قتال .

الوقت قد حان لشئ من توزيع واجبات المعركة محددًا ومخططاً ، وفي هذا تتصل مسئوليتكم بمسئوليات غيرها في هذا الوطن تحمل رسالة المعركة بكل ما تنطوى عليه .

(خطاب اللجنة العامة للمواطنين من أجل المعركة)

لقد جاء توقيت قيام اللجنة وبدء وممارستها لعملها في أنسب الأوقات فعلاً .. بينا المعركة دائرة .. لم تبلغ ذروتها بعد ، ولكن خط وقف إطلاق النار قد سقط تماماً وللإنصاف فإن هذا الخط لم يكن قائماً أبداً ، لأن العدو لم يقبل به .

(خطاب اللجنة العامة للمواطنين من أجل المعركة)

(إن مهمة الطائرة والغواصة ليست بعيدة عن مهمة الحقل والمصنع ، إن النضال الشامل والثورة الشاملة هدفهما الإنسان .. أمن الإنسان .. حق الإنسان .. رفاهية الإنسان .. حرية الإنسان .. ولسوف يكون النصر بإذن الله رفيقاً وحليفاً للإنسان العربى المخلص في نضاله الشامل والمتفانى في ثورته الشاملة) .

(البورة الثالثة للمؤتمر القومى ٢٣/٧/١٩٦٩م)

انخاتمہ
ماٹ جمال عبدالناصر
ولم تمت تجربتہ



الختام

مات جمال .. ولم تمت تجربته

مات جمال عبد الناصر يوم ٢٨/٩/١٩٧٠ م ، تاركاً خلفه قضايا وصراعات وإنجازات لم تحسم بعد ، مات جمال ، وفي يوم جنازته سار عدة ملايين من البشر ، وأذهلت الجنازة المراقبين .. ولتأمل بداية كلمات (جان لاکوتير) في كتابه (عبد الناصر) عام ١٩٧١ م ماذا يقول عن تلك الجنازة :

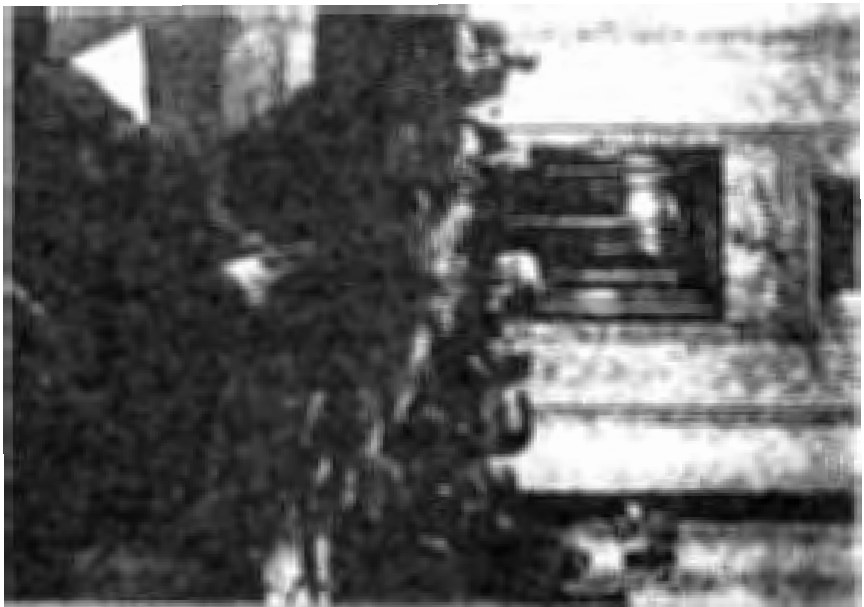
على ضفاف النيل بين الروضة وبولاق ، كنا ملايين من البشر يشهدون آخر رحلة يقوم بها جمال عبد الناصر رئيس الجمهورية العربية المتحدة ، الذي توفي قبل ثلاثة أيام عن اثنين وخمسين عاماً ... ملايين من البشر ينتظرون شيئاً ما ، حدثاً خارقاً لم يدخل في حساب إنسان ، يكون بحجم ناصر ومنجزاته المدينة العظيمة التي كانت له طوال ثمانية عشر عاماً منيراً ومسرحة نشاط ..

وهكذا انقلبت الجنازة الرسمية عيداً بدائياً كبيراً إذ إنتزعت الجماهير النعش وحضنته وبدا وكأنها التهمت .. هل هي محاولة رقى ضد الموت أو ضد الغياب ؟ على من يكنى هذا الشعب اليتيم ؟ على الزعيم الراحل أم على نفسه ؟ على الفراغ الذي خلفه تاركاً شعبة في مطلع تشرين الأول (أكتوبر) ١٩٧٠ م. متعلقاً بين الحرب والسلام ، بين الشرق والغرب ، بين الحرية الجماعية والتقييد الفردي ، بين الشب والتعلل .

* بلى ...

* لقد كان خروج الشعب المصري في جنازة عبد الناصر بهذه الكثافة والم عاطفية (مع إستبعادنا لتفسيرات البعض من أعداء عبد الناصر التقليديين الذين رأوا في الجنازة - حتى الجنازة II - أمراً مديراً من أجهزة عبد الناصر السياسية وبخاصة طليعة الإشتراكيين) ، كان خروج الشعب المصري في هذه الجنازة .. خروجاً لنعى نفسه .. قبل نعى عبد الناصر ، فلقد كان عبد الناصر (بكل أخطائه الجسيمة وإنجازاته الكبيرة) حلماً لم يكتمل ، أو لم يصادف الواقع بعد .. لقد كان وبعد ثمانية عشر عاماً .. مشروعاً .. بكل ما يعنيه « المشروع » من عدم الإكمال والمحاولة .. ولقد كانت (جنازته) تعبيراً عن هذا وبحق ..

* وكانت جنازته وهذا هو الأهم تعبيراً عن (تجربة حية) لم تمت رغم موت صاحبها ، تجربة اختلط فيه الجيد بالخبيث من العمل ، والحق بالباطل والصدق بالزيف ، والإخلاص



يوم ٣ مايو عام ١٩٧٠ شهد اجتماعاً جلس الوزراء لم يكن أحد يدري أنه الاجتماع الأخير . ومع ذلك فإن التاريخ سوف يرى في عاصر هذا الاجتماع ما يثير الدهشة . لقد كان الاجتماع كله تقريباً حديثاً منة إلى الوزراء عن الشعب وتوصيات منة للاهتمام بمشاكل الشعب وتوجهات حل مشاكل الشعب .



السادات .. وعبد الناصر .. الانقلاب العسادي .. أم الاستبداد الطغياني

* وكانت (جنازة عبد الناصر) تعبيراً صادقاً عما سيحدث بعدها من تحولات كيفية ، يرى البعض أنها كانت إمتداداً طبيعياً لجذور زرعت في الستينات (وبخاصة على صعيد الإقتصاد والمجتمع وقضايا الصراع العربى الإسرائيلى والعلاقات مع الولايات المتحدة) ، ويرى البعض أنها كانت إنقلاباً شاملاً على كل التجربة الناصرية ، على أيدي السادات ، نائب الرئيس جمال عبد الناصر ، والوحيد من بين الضباط الأحرار الذين لم يختلفوا مطلقاً مع عبد الناصر ، وكان مؤيداً له على طوال الخط حتى في أخطائه !! .

* وأياً ما كان رأى هؤلاء أو أولئك ، فإن (جنازة عبد الناصر) كانت تعبيراً جياشاً عن حجم الكارثة التى ستحدث في الأيام المقبلة ، فهذا شعب عاطفى ، سريع التأثر ، والتقلب ، سريع الهوى ، ضعيف الحيلة ، وهو شعب يحترم الحاكم خوفاً ، وليس حباً ، والحاكم دائماً هو الفرعون الطاغى القاسى المستبد ، ونادراً ما أتى حاكم لهذا الشعب ، عادلاً ورحيماً ، وسبحان الله ، إن النداء القرآنى لنبي الله موسى كان (اذهب إلى فرعون فإنه طغى .. الآية) ولم يقل (اذهب إلى مصر) أو إلى (شعب مصر) ، بل إلى (فرعون) ، فهذا شعب يُعرف بحاكمه ، ويُخاطب من خلاله ، وثقهم شخصيته من خلال فهم شخصيته حاكمه .

* (اذهب إلى فرعون فإنه طغى) ...

* وكانت (جنازة عبد الناصر) نبوة لذلك « الفرعون الجديد القادم » ، لقد أفهمته أن هذا الشعب ، بلا حول ولا قوة ، وأنه عاطفى شديد الإحساس ، سريع التأثر وبخاصة بـ (الموت) ، وهو أيضاً سريع الاشتغال والثورة وهذا ما لم يفهمه الفرعون الجديد الذى تلى عبد الناصر .

* كانت (الجنازة) التى مشى فيها (السادات) درساً له وخبرة عميقة .. فأعد .. وهو يدفن عبد الناصر ، عدته لكى يدفن معه هذا الشعب ، وتلك الروح المليونية التى هزت أركان القاهرة عشية دفن (الزعيم) أو (الفرعون) فالأثنين لدى التاريخ واحد ، ونسى السادات جزءاً بسيطاً ولكنه هام من الدرس ، وهو عفوية هذا الشعب وثورته ، وهى العفوية والثورة التى أودت به فيما بعد عام ١٩٨١ م .

* لقد قالت (جنازة عبد الناصر) الكثير ، لمن عاشوها ، ولمن أتوا بعدها .. وكان أبرز ما قالته إن عبد الناصر الذى مات بالأمس (وقيل فيما بعد أنه مات مقتولاً أو مسموماً



عهد الناصر قبل وفاته بأيام : المرض يادياً على الوجه الحزين



لى وداع الملك فيصل

ثم .. فى وادع أمير الكويت ... وقد بدأ الأثم لى صدره فراح يقبض يده اليسرى ليكم الأثم .



عندما صافح أمير الكويت وانحنى يقبله شعر يشبه دوار فاستند بيده اليسرى على كتف الأمير وركب
الأمير الطائرة ووقف هو بجوارها ينتظر تحركها فأحس بالألم في صدره يشد فجأة ثم أحس بالعرق يتصب
منه عذارة .. وجاءته السيارة كطلبه على غير العادة إلى داخل أرض المطار وركبها . وطلب أن ينظره
الطبيب في البيت ..

وأن هناك شبهة جنائية في وفاته وهو في تقديرنا أمر غير ذى دلالة أو قيمة تاريخية تفيد في مثل هذا العمل الذى تقوم به سيفضل مثيراً للجدل وللخلاف بشأن تجربته ، فالتيارات السياسية الداخلة في علاقة صراع معه (كالتشيعيين والإخوان المسلمين ، والوفديين ، والإقطاعيين والساداتيين ... وغيرهم) وجدت في جنازته بداية لإعلان الحرب على الثمانية عشر عاماً الماضية ، وإمتشقت كل أسلحتها للإعلان وللإستمرار في هذه الحرب ، وهى حرب بدأت يوم الجنازة (١٠/١/١٩٧٠م) ولا زالت رحاها دائرة حتى اليوم (يونيو ١٩٩٢) .

* أما التيارات المؤيدة لهذه التجربة (كالتنصرين والقوميين ومن شابههم) فلقد أخذوا من إيجابيات التجربة وقوداً لمعاركهم السياسية وبخاصة بعد الموافقة الرسمية لنظام الحكم في مصر على إنشاء حزب ناصرى بزعامه ضياء داود : أحد الناصرين القدامى ورفض الحزب الآخر الذى تقدم به فريد عبد الكريم ، صارت التجربة وقوداً في معركتهم ضد (الوفد) والإخوان وغيرهم من الخصوم السياسيين .

* وعلى الرغم من وجهة الحجج التى إستند إليها أعداء وأنصار التجربة إلا أننا نأخذ عليهم جميعاً ، وبعد اثنين وعشرين عاماً من المعارك السياسية والإعلامية والفكرية العنيفة ١٩٧٠ - ١٩٩٢ ، مأخذاً أساسياً وهو فساد أسلحتهم - تجربة يوليو بأخطائها وإنجازاتها - وعقم معاركهم ، وذلك لأنهم لم يفهموا طبيعة تلك الأسلحة أو طبيعة المرحلة التى تعبر عنها .. ومن ثم دخلوا بها معارك ، كان منطقياً أن يكون حصادها هو العقم والحلقم معاً .

* ولأن هذه المعارك العقيمة ستستمر ، رغم كل ما قلناه ورغم إنقاداتنا ، ورغم دعوتنا الدائمة لأن تكون أعيننا على المستقبل ومعاركه ، وأن نأخذ من الماضى درساً وعظة وخبرة ، وإلا يستغرقنا بمعاركه الصغيرة ... رغم ذلك فإن تلك المعارك ستستمر لأن العيب ، ليس في الماضى فقط ، بل في (العقل) الذى ينظر إلى هذا الماضى .. والمنهج الذى يستخدم في دراسة هذا الماضى .. إن (التجربة الناصرية) مثلها مثل أية تجربة إنسانية بها الأخطاء والخطايا والإيجابيات أيضاً ، وإذا كنا نبغى مستقبلاً مشرقاً - بالفعل وليس بالقول - لهذه الأمة ، فعلياً أن ننظر إلى هذه التجربة من كافة نواحيها - كما حاولنا أن نفعل في هذه الموسوعة - بهدف الإستفادة والتعلم ، لخلق المستقبل لا للعيش على أطلال الماضى سعيداً كان أو سيئاً .

* تلك هي رسالتنا بشأن تجربة عبد الناصر ... وهي رسالة طموحة ... رسالة تريد المستقبل ، فإذا ما لاقت صدى لدى من يستقبلها ، فإن هذا غاية ما نتمناه ، وإذا لم نجد ذلك الصدى ، فليس لدينا سوى أن نقول اللهم قد بلغنا اللهم فأشهد .. علينا .. وعليهم .

والحمد لله .

فائزۃ السراج



(قائمة المراجع)

باللغة العربية :

أولاً : الوثائق والقوانين :

- (١) الميثاق الوطنى (القاهرة وزارة الإرشاد القومى ١٩٦٢) .
- (٢) بيان ٣٠ مارس ١٩٦٨ م (القاهرة ، مطابع مؤسسة الأخبار ، ١٩٦٨ م) .
- (٣) بيان مجلس قيادة الثورة بحل جماعة الإخوان المسلمين فى الأهرام بتاريخ ١٥ يناير ١٩٥٤ م .
- (٤) بيان السيد / كمال الدين حسين أمام مجلس الأمة عن التربية والتعليم خلال ٥ سنوات (منشورات وزارة التربية والتعليم ، إدارة الشؤون العامة ، أغسطس ١٩٥٧ م) .
- (٥) حطب وأحاديث الرئيس جمال عبد الناصر :
الأجزاء من الأول إلى الخامس (القاهرة ، وزارة الإرشاد القومى ، مصلحة الإستعلامات ، د . ت) ..
الأجزاء السادس والسابع (القاهرة ، مركز الدراسات السياسية والإستراتيجية بالأهرام ، ١٩٧٣ م) .
- (٦) قانون إعادة تنظيم الأزهر رقم ١٠٣ لسنة ١٩٦١م والمذكرة الإيضاحية للقانون :
(مضابط مجلس الأمة ، دور الإنعقاد العادى الثالث لمجلس الأمة ، دور الإنعقاد العادى الثالث لمجلة ، المجلد الرابع ، الجلسة ٢٨ بتاريخ ٢٢ يونيو ١٩٦١ م) .
- (٧) قانون إلغاء التقاضى أمام المحاكم الشرعية والمجالس المليية رقم ٤٦٢ لسنة ١٩٥٥ (وزارة العدل ، النشرة التشريعية ، سبتمبر ١٩٥٥ ، القاهرة ، بولاق ، المطبعة الأميرية ، ١٩٥٥) والمذكرة التفسيرية للقانون .
- (٨) الكتاب الأبيض : القضية المصرية ١٨٨٢ - ١٩٥٤ (القاهرة ، المطبعة ، الأميرية د . ت) .
- (٩) نشرة الاشتراكى الإعداد من ٤ - ٧١ خلال الفترة ١٩٦٥/٢/٦ - ١٩٦٨/١/٦ ،
(نشرة غير دورية ، تصدر عن أمانة الدعوة والفكر بالإنحداد الاشتراكى العربى)
ولقاءات جمال عبد الناصر مع طليعة الاشتراكيين القاهرة والجيزة .

(١٠) المسح الإجتماعى الشامل لمصر ١٩٥٢ - ١٩٨٠م المركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية - القاهرة .

(١١) النصوص الكاملة لمحكمة الشعب للإخوان المسلمين ١٩٥٤م .

(١٢) النصوص الكاملة لمحاكمة سيد قطب عام ١٩٦٥م .

(١٣) بيانات الجهاز المركزى للتعبئة العامة والإحصاء خلال السبعينات .

ثانياً : الكتب :

١ - د . أحمد أحمد بدوى : رفاة رافع الطهطاوى (القاهرة : مطبعة لجنة البيان العربى ، ١٩٥٩) .

٢ - د . أحمد بدر : أصول البحث العلمى ومناهجه (الكويت ، وكالة المطبوعات ، ١٩٧٧) .

٣ - أحمد حمروش : قصة ثورة ٢٣ يوليو ، الأجزاء كاملة ، (بيروت ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، ١٩٧٤م) . كذلك الطبعة الجديدة من نفس الكتاب (القاهرة ، دار الموقف العربى ، ١٩٨١م) .

٤ - مجتمع عبد الناصر ، قصة ثورة يوليو ، الجزء الثانى (بيروت المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، ١٩٧٥م) .

٥ - أحمد عرابى : كشف الستار عن سر الأسرار فى النهضة المصرية المشهورة بالثورة العرابية فى عامى ١٢٩٨ - ١٢٩٩ الهجريين وفى ١٨٨١ - ١٨٨٢ الميلاديتين الجزء الأول (القاهرة ، دار الهلال ، ١٩٥٨م) .

٦ - أحمد لطفى السيد : قصة حياتى (القاهرة ، دار الهلال ، ١٩٨٢) .

٧ - السيد ياسين (أشراف) الثورة والتغير الاجتماعى : ربع قرن بعد ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢م (القاهرة ، مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بالأهرام ، ١٩٧٧) - وكتابه (صفحات مجهولة) وكذلك : يا ولدى هذا عمك جمال وكذلك : كتابه أسرار الثورة المصرية طبعة ١٩٥٧م .

٨ - أنور السادات : البحث عن الذات ، قصة حياتى (القاهرة ، المكتب المصرى الحديث ، ١٩٧٩م) .

٩ - جابر رزق : مذابح الإخوان فى سجون ناصر (القاهرة ، دار الإعتصام ، ١٩٧٧م) .

١٠ - جاكوب لاندو : تاريخ الأحزاب والحياة البرلمانية فى مصر ، ترجمة سامى الليثى

- (بيروت ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، ١٩٧٤م) .
- ١١ - جمال عبد الناصر : فلسفة الثورة (القاهرة ، المطبعة العالمية ، د . ت) وكذلك
مذكراته التي كتبها في مجلة المصور المصرية عام ١٩٥٢م .
- ١٢ - د . حامد ربيع : محاضرات في النظرية السياسية غير منشورة (جامعة القاهرة ،
كلية الاقتصاد ، ١٩٨١م) .
- ١٣ - حسن البنا : مذكرات الدعوة والداعية (القاهرة ، دار الشهاب ، د . ت) .
- ١٤ - مجموعة رسائل الإمام الشهيد حسن البنا (القاهرة ، دار الموقف العربي ،
١٩٨١م) .
- ١٥ - حسن حنفي وآخرون : الثورة العربية ، مائة عام (دار الموقف العربي ، ١٩٨١م) .
- ١٦ - حسن العشماوى : الإخوان والثورة (القاهرة ، مؤسسة روز اليوسف ،
١٩٧٨م) .
- ١٧ - ريتشارد ميتشل : الإخوان المسلمون ، مترجم (القاهرة ، مكتبة مدبولي ،
١٩٧٧م) .
- ١٨ - د . زكريا سليمان بيومي : الإخوان المسلمون والجماعات الإسلامية في الحياة السياسية
المعاصرة ١٩٢٨ - ١٩٤٨م (القاهرة ، مكتبة وهبة ، ١٩٧٨م) .
- ١٩ - التيارات السياسية والاجتماعية بين المجددين والمحافظين ، دراسة تاريخية في فكر الشيخ
محمد عبده (القاهرة ، مركز وثائق مصر المحاصرة ، ١٩٨٢م) .
- ٢٠ - زينب الغزالي : أيام من حياتي (القاهرة ، دار الشروق ، ١٩٧٨م) .
- ٢١ - سامي جوهر : الصامتون يتكلمون . (القاهرة ، المكتب المصري الحديث ،
١٩٧٥م) .
- ٢٢ - د . سعد الدين إبراهيم (تحرير) : مصر في ربع قرن (بيروت ، معهد الإنماء العربي ،
١٩٨١م) .
- ٢٣ - سلامة موسى : حرية الفكر وإبطالها في التاريخ (القاهرة ، مطبعة دار الهلال ،
١٩٢٧م) .
- ٢٤ - د . سيد عويس : رسائل ألى الإمام الشافعى : ظاهرة لإرسال رسائل إلى ضريح الإمام
الشافعى دراسة سوسولوجية ، ط ٢ (القاهرة ، الكويت ، دار الشايع للنشر ،
١٩٧٨م) .
- ٢٥ - الإزدواجية في التراث الدينى المصرى : دراسة ثقافية إجتماعية تاريخية (القاهرة ، دار
الطباعة الحديثة ، ١٩٨١م) .
- ٢٦ - الإبداع الثانى على الطريقة المصرية (القاهرة ، دار الكتاب العربى ، ١٩٢٢م) .

- ٢٧ - سيد قطب : العدالة الاجتماعية في الإسلام (القاهرة ، دار الكتاب العربى ، ١٩٢٢ م) .
- ٢٨ - سيد قطب - معالم في الطريق (القاهرة ، دار الشروق ، ١٩٨٢ م) .
- ٢٩ - طارق البشرى : الحركة السياسية في مصر ٤٥ - ١٩٥٢ م (القاهرة ، دار الشروق ، ١٩٨٣ م) .
- ٣٠ - الديمقراطية والناصرية (القاهرة ، دار الثقافة الجديدة ، ١٩٧٥ م) .
- ٣١ - المسلمون والأقباط في إطار الجماعة الوطنية (القاهرة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٨٠ م) .
- ٣٢ - طه حسين : في الأدب الجاهلى (القاهرة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، ١٩٢٧ م .
- ٣٣ - طه حسين : مستقبل الثقافة في مصر (القاهرة ، مطبعة المعارف ، د . ت) .
- ٣٤ - د . عاصم الدسوقي : مجتمع علماء الأزهر في مصر ١٩٨٥ - ١٩٦١ م (القاهرة ، دار الثقافة الجديدة ، ١٩٨٠ م) .
- ٣٥ - د . عبد الباسط حسن محمد : أصول البحث الاجتماعى (القاهرة ، مطبعة لجنة البيان العربى ، ١٩٦٣ م) وكتابه : تاريخ الحركة الوطنية .
- ٣٦ - عبد الرحمن الرافعى : مصر محمد على (القاهرة ، د . ن ، ١٩٣٠ م) .
- ٣٧ - د . عبد العظيم رمضان : الإخوان المسلمون والتنظيم السرى (القاهرة ، مؤسسة روز اليوسف ، ١٩٨٢ م) .
- ٣٨ - تطور الحركة الوطنية في مصر من ١٩١٨ م إلى ١٩٣٦ م (القاهرة ، دار الكاتب العربى للطباعة والنشر ، ١٩٦٨ م) .
- ٣٩ - عبد الناصر وأزمة مارس ١٩٥٤ م : (القاهرة ، مؤسسة روز اليوسف ، ١٩٧٦ م) .
- ٤٠ - عبد القادر عودة : الإسلام وأوضاعنا السياسية (القاهرة ، دار الكتاب العربى ، ١٩٥٣ م) .
- ٤١ - عبد القادر عودة : الإسلام وأوضاعنا القانونية ، (القاهرة ، مطبعة المختار الإسلامى د . ت) .
- ٤٢ - عبد اللطيف البغدادى : (مذكرات البغدادى الجزء الأول والثانى ، القاهرة ، المكتب المصرى الحديث ، ١٩٨٠ م) .
- ٤٣ - عبد الله إمام : عبد الناصر والإخوان المسلمين (القاهرة ، دار الموقف العربى ، ١٩٨٠ م) .
- ٤٤ - عبد الله العروى : الأيديولوجية العربية المعاصرة : ترجمة محمد عيناتى (بيروت ، دار الحقيقة ، ١٩٧٠ م) .

- ٤٥ - د . على الدين هلال : التجديد في الفكر السياسي المصري الحديث ، أصول الفكرة الاشتراكية ١٨٨٢ - ١٩٢٢ (القاهرة ، معهد البحوث والدراسات العربية ، ١٩٧٥ م) .
- ٤٦ - د . على الدين هلال : السياسة والحكم في مصر (القاهرة ، مكتبة نهضة الشرق ، ١٩٧٧ م) .
- ٤٧ - على عبد الرازق : الإسلام وأصول الحكم (بيروت ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، ١٩٧٢ م) .
- ٤٨ - عمر طوسون : البعثات العلمية في عهد محمد علي ثم علي عهد عباس الأول وسعيد (الإسكندرية ، مطبعة صلاح الدين ، ١٩٣٤ م) .
- ٤٩ - د . فاروق يوسف أحمد : دراسات في علم الاجتماع السياسي ، الجزء الأول ، (القاهرة ، مكتبة عين شمس ١٩٧٧ م) .
- ٥٠ - لويس شيخو اليسوعي : الأدب العربي في القرن ١٩ ، الجزء الثاني (بيروت ، د . ن ، ١٩٢٦ م) .
- ٥١ - ليونارد بانيدر : الثورة العقائدية في الشرق الأوسط ترجمة خيرى حملا (القاهرة ، دار القلم ، ١٩٦٦ م) .
- ٥٢ - د . مارلين نصر : التصور القومي العربي في فكر جمال عبد الناصر (١٩٥٢ م - ١٩٧٠ م) (دار المستقبل العربي - القاهرة ، ١٩٧١ م) .
- ٥٣ - د . محمد الجوهري : علم الاجتماع وقضايا التنمية في العالم الثالث (القاهرة ، دار المعارف ، ١٩٧٨ م) .
- ٥٤ - د . محمد جابر الأنصارى : تحولات الفكر والسياسة في المشرق العربي ١٩٣٠ م - ١٩٧٠ م (الكويت ، سلسلة عالم المعرفة ، المجلس الوطنى للثقافة والفنون والآداب ، ١٩٨٠ م) .
- ٥٥ - د . محمد حسين : الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر ، الجزء الثانى ، (القاهرة ، مطبعة الآداب ، ١٩٥٤ م) .
- ٥٦ - محمد رجب البيومى : الأزهر بين السياسة وحرية الفكر (القاهرة ، دار الهلال ، ١٩٨١ م) .
- ٥٧ - محمد طلعت عيسى : البحث الاجتماعى مبادئه ومناهجه (القاهرة ، مكتبة القاهرة الحديثة ، ١٩٦٣ م) .
- ٥٨ - د . محمد عمارة : الأعمال الكاملة للأستاذ محمد عبده (بيروت ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، ١٩٧٣ م) .

- ٥٩ - الأعمال الكاملة لجمال الدين الأفغانى (القاهرة ، دار الكاتب العربى للطباعة والنشر ، ١٩٦٨ م) .
- ٦٠ - الأعمال الكاملة لرفاعة رافع الطهطاوى (بيروت ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، ١٩٧٣ م) .
- ٦١ - تيارات اليقظة الإسلامية الحديثة (القاهرة ، دار الهلال ، ١٩٨٢ م) .
- ٦٢ - محمد مصطفى عطا : الدعوة التحريرية الكبرى (القاهرة ، دار المعارف ، د . ت) .
- ٦٣ - مناهج الدين ، و التاريخ ، للمرحلة الابتدائية والإعدادية والثانوية خلال الفترة (١٩٥٢م - ٢٩٥٤م) ، (المصدر - وزارة المعارف العمومية ، مطبعة وزارة المعارف العمومية ١٩٥٢م ، ١٩٥٤م) .
- ٦٤ - مناهج مادق الدين والتاريخ للمرحلة الابتدائية والإعدادية والثانوية خلال الفترة ١٩٦٩م - (المصدر - وزارة التربية والتعليم ، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية ، ١٩٧٠ م) .
- ٦٥ - د . هشام شرابى : مقدمة لدراسة المجتمع العربى (بيروت ، الأهلية للنشر والتوزيع ، ١٩٧٧ م) .

مراجع أخرى

- ٦٦ - جان لاکوتير : عبد الناصر - دار النهار - بيروت ١٩٧١ م .
- ٦٧ - محمد حسنين هيكل : عبد الناصر والعالم - دار النهار - بيروت - ١٩٧١ م .
- ٦٨ - أنور الجندى : جمال عبد الناصر والثورة - القاهرة دار الجمهورية - ١٩٥٥ م .
- ٦٩ - محمد جلال كشك : ثورة يوليو الأمريكية - القاهرة ١٩٨٨ م .
- ٧٠ - محمد جلال كشك : كلمتى للمغفلين - القاهرة ١٩٨٩ م .
- ٧١ - محمد جلال كشك : الناصريون قادمون - القاهرة ١٩٥٥ م .
- ٧٢ - فتحى رضوان : كتاب (أنخى المواطن) - القاهرة ١٩٥٥ م آ
- ٧٣ - فتحى رضوان : ٧٢ شهراً مع عبد الناصر - القاهرة ١٩٨٦ م .
- ٧٤ - البعازر يعمرى : ضباط للجيش فى السياسة والمجتمع العربى - ترجمة : أنور الرفاعى - سينا للنشر - القاهرة - ١٩٩٠ م .
- ٧٥ - صلاح نصر : ثورة يوليو بين المسيرة والمصير - دى - ١٩٨٩ م .
- ٧٦ - صلاح نصر : الحرب النفسية - دار الوطن العربى - بيروت - ١٩٨٨ م .
- ٧٧ - أسامة حميد : موجز تاريخ مصر فى الحقبة العلمانية بدون ناشر - القاهرة ١٩٨٦ م .

- ٧٨ - د . لطيفة محمد سالم : فاروق وسقوط الملكية في مصر (١٩٣٦م - ١٩٥٢م) مكتبة مديبول - القاهرة - ١٩٨١م .
- ٧٩ - محمد حسنين هيكل : ملفات السويس - مركز الأهرام للترجمة والنشر - القاهرة - ١٩٨٦م .
- ٨٠ - محمد حسنين هيكل : الانفجار ١٩٦٧م - مركز الأهرام للترجمة والنشر - القاهرة - ١٩٩٠م .
- ٨١ - موسى صبرى - السادات الحقيقة والأسطورة - القاهرة - ١٩٨٥م .
- ٨٢ - عبد الله إمام - حقيقة السادات - القاهرة - ١٩٨٦م .
- ٨٣ - د . رفعت سيد أحمد : الدين والدولة والثورة - القاهرة - ١٩٨٩م .
- ٨٤ - د . رفعت سيد أحمد : النبى المسلح (جزائيات) دار رياض الريس - لندن - ١٩٩٠م .
- ٨٥ - صلاح العقاد : قضية فلسطين : المرحلة الحرجة ١٩٤٥م - ١٩٦٥م - معهد البحوث العربية - القاهرة - ١٩٦٧م .
- ٨٦ - د . طه حسين : تقديم : العدوان الثلاثى على مصر - القاهرة ١٩٥٧م .
- ٨٧ - فؤاد مطر : بصراحة عن عبد الناصر : حوار مع هيكل : بيروت - ١٩٧٥م .
- ٨٨ - د . فاروق يوسف : السلام وأزمة الهوية مصر - القاهرة - ١٩٨٥م .
- ٨٩ - د . فاروق يوسف : القومية العربية والصهيونية العالمية - ١٩٧٨م .
- ٩٠ - عادل حسين : نحو فكر عربى جديد - القاهرة - ١٩٨٥م .
- ٩١ - صلاح ذكى أحمد : القاموس الناصرى - القاهرة ١٩٨٥م .
- ٩٢ - مصطفى كامل السيد المجتمع والسياسة في مصر (١٩٥٢م - ١٩٨١م) القاهرة - ١٩٨٣م .
- ٩٣ - د . محمود عبد الفضيل : التحولات الاقتصادية والاجتماعية في الريف المصرى ١٩٥٢م - ١٩٧٠م القاهرة - ١٩٧٨م .
- ٩٤ - عادل الجيار : سياسات توزيع الدخل في مصر - مركز الدراسات - الأهرام - الغد (٥٥) - القاهرة .
- ٩٥ - جمال سليم : التنظيمات السرية لثورة ٢٣ يوليو في عهد جمال عبد الناصر - مكتبة مديبول - ١٩٨٢م .
- ٩٦ - مهندس حسين السرجاني : مشكلة الإسكان بالجمهورية العربية المتحدة : أسبابها وحجمها الإسكندرية - ١٩٩٢م .
- ٩٧ - سميرة نمر : الأقباط في الحياة السياسية المصرية القاهرة - ١٩٨٤م .

- ٩٨ - د . ميلاد حنا : نعم أقباط لكن مصريون - القاهرة مكتبة مدبولي - ١٩٨٠ م .
- ٩٩ - د . أنيس صايغ : في مفهوم الزعامة السياسية من فيصل الأول إلى جمال عبد الناصر - بيروت - ١٩٦٥ م .
- ١٠٠ - أمين هويدي : حروب عبد الناصر - بيروت - دار الطليعة - ١٩٧٧ م .
- ١٠١ - محمد السيد سليم : التحليل السياسي الناصري - بيروت - ١٩٨٣ م .
- ١٠٢ - د . عبد العظيم رمضان : تحطيم الآلهة (قصة حرب يونيو ١٩٦٧ م) - القاهرة - ١٩٨٤ م .
- ١٠٣ - د . صلاح العقاد : مأساة يونيو ١٩٦٧ م - حقائق وتحليل - القاهرة - ١٩٧٥ م .
- ١٠٤ - نيقولا ميكافيلي : الأمير ، بيروت - ١٩٨٥ م .
- ثالثاً : الدوريات :**

- ١ - المجلة الاجتماعية القومية : عدد خاص عن المرأة لعام ١٩٧٧ م (القاهرة ، المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية) .
- ٢ - الكاتب : العدد رقم ٨٥٠ بتاريخ سبتمبر ١٩٧٣ م (القاهرة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب) .
- ٣ - المستقبل العربي : العدد رقم ٢٤ بتاريخ فبراير ١٩٨١ م (بيروت ، مركز دراسات الوحدة العربية) .
- ٤ - عمر عز الرجال : دور وزارة الخارجية في صنع القرار - مجلة اليقظة العربية - السنة ٥ - مارس ١٩٨٩ .
- ٥ - د . بنسعيد الخطاب القومي والمصطلح السياسي الناصري نموذجاً - امجلة الوحدة - عدد ١٦ - سنة ١٩٨٦ م .
- ٦ - مجلة الموقف العربي - عدد يونيو ١٩٨٣ م - القاهرة .
- ٧ - مجلة اليقظة العربية - عدد مايو ١٩٨٦ م - القاهرة .
- ٨ - مجلة مصر المعاصر - عدد إبريل - ١٩٨٠ م .

رابعاً : الصحف والمجلات :

- ١ - صحيفة السيامة : بتاريخ ١٩٢٤/٣/٢١ (أصدرها حزب الأحرار الدستوريين - ١٩٢٤ م)
- ٢ - صحيفة الأهالي : بتاريخ ١٩٧٨/٧/٢٦ (يصدرها حزب التجمع الوطني التقدمي الوحدى) - والأهالي بتاريخ ١٩٨٦/٣/١٩ .

٣ - صحيفة الأهرام :

- مجلد عام ١٩٥٠م (القاهرة ، مؤسسة الأهرام) .
- مجلد عام ١٩٥١م (القاهرة ، مؤسسة الأهرام) .
- مجلد عام ١٩٥٢م (القاهرة ، مؤسسة الأهرام) .
- مجلد عام ١٩٥٤م (القاهرة ، مؤسسة الأهرام) .
- مجلد عام ١٩٥٨م (القاهرة ، مؤسسة الأهرام) .
- مجلد عام ١٩٥٩م (القاهرة ، مؤسسة الأهرام) .
- مجلد عام ١٩٦٠م (القاهرة ، مؤسسة الأهرام) .
- مجلد عام ١٩٦١م (القاهرة ، مؤسسة الأهرام) .
- مجلد عام ١٩٦٢م (القاهرة ، مؤسسة الأهرام) .
- مجلد عام ١٩٦٥م (القاهرة ، مؤسسة الأهرام) .
- مجلد عام ١٩٦٦م (القاهرة ، مؤسسة الأهرام) .
- مجلد عام ١٩٦٧م (القاهرة ، مؤسسة الأهرام) .
- مجلد عام ١٩٦٨م (القاهرة ، مؤسسة الأهرام) .
- صحيفة الوفد المصرية مجلد ١٩٩٠ - ١٩٩٢م .
- صحيفة أخبار اليوم مجلد ١٩٩٠ - ١٩٩٢م .
- مجلد عام ١٩٧٠م (القاهرة ، مؤسسة الأهرام) .
- مجلد عام ١٩٧١م (القاهرة ، مؤسسة الأهرام) .
- ٤ - صحيفة الجمهورية : بتاريخ ١٨/٢/١٩٦٦م .
- ٥ - صحيفة مصر الفتاة بتاريخ ٢٧/٧/١٩٤٥م (يصدرها حزب مصر الفتاة) .
- ٦ - صحيفة الهدف الكويتية : بتاريخ ٣٠/٦/١٩٧٧م .
- ٧ - مجلة الإسلام والتصوف : أعداد السنة الأولى حتى السنة الرابعة (١٩٥٨م - ١٩٦٢م) .
- ٨ - مجلة التصوف الإسلامي : مارس ١٩٨٣م (تصدر عن مشيخة الطرق الصوفية بالقاهرة) .
- ٩ - مجلة الدعوة : الأعداد من مايو ١٩٧٨م حتى ١٩٨١م (تصدر عن جماعة الإخوان المسلمين) .
- ١٠ - مجلة النوحة : بتاريخ مارس ١٩٨٣م (وزارة الإعلام بدولة قطر) .
- ١١ - مجلة المصور : بتاريخ ٢٣/٦/١٩٨٣م (القاهرة دار الهلال) .
- ١٢ - نشرة المعلومات ، الخاصة بأرشيف جريدة الأهرام خلال عامي ١٩٦٥م : ١٩٦٦م .

خامساً : الرسائل الجامعية :

- ١ - انعام سيد عبد الجواد : الوضع الاجتماعى للمرأة فى القانون المصرى المعاصر ، رسالة دكتوراة غير منشورة (جامعة القاهرة ، كلية الآداب ، يوليو ١٩٨٠ م) .
- ٢ - عبد الهادى عبد الحكيم الخطيب : الدور السياسى لحركة الإخوان المسلمين فى المجتمع المصرى فى ١٩٣٦م - ١٩٥٣م ، رسالة ماجستير غير منشورة (جامعة القاهرة ، كلية الآداب ، يوليو ١٩٨٠ م) .
- ٣ - لواء دكتور محمود خليل : الأمن القومى المصرى والعربى وحرب أكتوبر - كلية الدفاع الوطنى - القاهرة ١٩٨٦م) .
- ٤ - عثمان سعيد الخليس : العلاقات المصرية السعودية ١٩٥٦م - ١٩٧٣م - رسالة دكتوراة - كلية الإقتصاد - ١٩٧٩م .
- ٥ - حمد بن عبد العاطى صباحى : تطور مفهوم الوحدة العربية فى الصحافة اليومية المصرية ١٩٥٢م - ١٩٦١م - ماجستير بكلية الإعلام جامعة القاهرة - ١٩٨٦م .
- ٦ - نبيه يومى عبد الله : تطور فكرة القومية العربية فى مصر - رسالة ماجستير - من معهد البحوث والدراسات العربية - ١٩٧٥م .
- ٧ - محمد عبد المولى الزعبي : الجمهورية العربية المتحدة تجربة الوحدة العربية ١٩٥٨م - ١٩٦١م ماجستير فى العلوم السياسية - جامعة القاهرة ١٩٦٨م .
- ٨ - أحمد حمد الله السمان : توزيع الدخل فى مصر (١٩٥٢م - ١٩٨٠م) رسالة دكتوراة فى الإقتصاد جامعة القاهرة - ١٩٨٢م .
- ٩ - فايز بكتاشى : الناصرية أيديولوجية سياسية - رسالة دكتوراة من جامعة السربون - باريس - ١٩٧٧م .
- ١٠ - يلى إبراهيم أحمد : مدى معالجة سياسات التنمية الإقتصادية لمشكلة البطالة فى مصر فى فترة الستينات - دكتوراة فى الإقتصاد - جامعة القاهرة ١٩٨٢م .
- ١١ - د . مصطفى علوى : سلوك مصر الدولى : رسالة دكتوراة فى العلوم السياسية - جامعة القاهرة - ١٩٨١م .

سادساً : المقالات :

مقابلة مع الأستاذ فتحى رضوان حول قانون إعادة تنظيم الأزهر رقم ١٠٣ لسنة ١٩٦١م .

المراجع الأجنبية

- A - BOOKS:

- 1- Abdel Maleck, Anouar, Anthologie de la littérature Arabe Contemporaine (Paris: Editions du seuil, 1965).
- 2- Abu Lughod, Ibrahim. Arab Rediscovery of Eutope (Princeton: Princeton University Press. 1963).
- 3- Adaems, Charles, Islam and Madernism in Egypt (London, Oxford University Press, 1933).
- 4- Ahmed. Jamal, Muhammad. The Intellectual Origins of Egyptian Nationalism (London, Oxford University Press, 1960).
- 5- Appelfaum, Richard. P. Theories of Social Change (Chicago, Mstkham Publishing Compeny, 1971).
- 6- Baer, Gabriel. Studies in the Social Hictory of Egypt. (Chicago, The University of Chicago Press, 1969).
- 7- Berger, Morrice, The Arab World Today (New York: Doubleday and Co., 1962).
- 8- Berger, Morriceem Islam in Egypt Today (Cambridge University Press, 1970).
- 9- Dawisha, A.I., Egypt in the Arab World, The Elements of Forigen Polivy (London, Macmillam, Press, 1974).
- 10- Esposito, John. L. (Ed), Islam and Development (Syrecuse University Press, 1980).
- 11- Gibb H.A.R. and Bowen, Harold. Islamic Society and the West (London: Oxford University Press, 1950) 2 Vol.
- 12- Heyworth - Dunne, J, An Introduction to the History of Education in Egypt. (2nd ed. Ltd., 1968).
- 13- Hourani, Albert, Arabic Thought in the Liberal age (London, Oxford University Press, 1962).
- 14- Issawi, Charles. Egypt in Revolution (London: Oxford University Press, 1963).
- 15- Khadduri, Majid, Political Trends in the Arab World (Baltimore, The John Hopkins Press, 1970).
- 16- Safran, Nadav, Egypt: In Search of Political Community (Combridge: Harvard University Press, 1961).
- 17- Sharabi, Hisham. Arab Intellectuals and the West Sormative Tears 1875-1914 (Baltimore: The HopkIns Press, 1970).
- 18- Smith, Donald, E. Religion and Political Modernisation (New Haven, Yole University Press, 1974).
- 19- Vatikiotis, P.H. The Modern History of Egypt (London: Weidenfeld and

Nicolson, 1969).

20- Aatikiotis, P.J. Nasser and His Generation (London, Croom helm, 1978).

21- Von Grunefanm G.E. Modern Islam (New York: Vinlage Books, 1964).

B - Unpublished Paper:

1- Dessouk, Ali. E. Hillal. The Limets of Instrumetalism. Islam in Egypts Foreign Policy, Unpublished Paper Presented at Conference on Idlam In Foreign Policy Held at The Roval Institute of International Affairs (London, October, 1982).

فهرس المحتويات

الموضوع	رقم الصفحة
الإهداء	٥
المقدمة	٧
الفصل الأول :	عبد الناصر : البدايات الأولى ١٣
الفصل الثاني :	الطريق إلى ثورة يوليو : تشكيل «الضباط الأحرار» ٤٧
أولا :	البيئة الخاصة التى تشكل فيها التنظيم : مؤسسة الجيش وتاريخها ٤٧
ثانيا :ـ	الرؤية الأجنبية لتشكيل تنظيم الضباط الأحرار وتطوره ٥٤
ثالث :ـ	الرؤية الناصرية لنشأة وتطور تنظيم الضباط الأحرار ٦٦
رابع :ـ	الرؤية الإسلامية لنشأة وتطور التنظيم ٨١
خامس :ـ	المناخ السياسى العام عشية ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ ٨٧
ملحق :	معنى الثورة فى مدركات عبد الناصر : من أقواله وخطبه ٩٧
الفصل الثالث :	الضباط يحكمون : عبد الناصر واستقرار الحكم (١٩٥٢ - ١٩٥٤ : السياسات والأفكار) ١٠٣
أولا :	وثائق انفجار الثورة : قراءة فى المقدمات ١٠٣
ثانيا :ـ	سنوات القلق : التطورات السياسية والفكرية خلال الفترة (١٩٥٢ - ١٩٥٤) ١٢٤
ملحق :	مفهوم الديمقراطية عند عبد الناصر : الأقوال والخطب ١٦١
الفصل الرابع :	عبد الناصر والصدام الأول مع الاخوان المسلمين : ١٩٥٤ ١٧٣
أولا :	موجز تاريخ جماعة الاخوان ١٧٤

١٧٩	ثانيًا :	الاخوان والآخرون فى المحيط الاسلامى
١٨١	ثالثًا :	رؤية الاخوان لاشكالية الوطنية
١٨٨	رابعًا :	رؤية الاخوان لشخصية جمال عيد الناصر ...
١٩٠	خامسًا :	رؤية الاخوان لحادث المنشية
١٩١	سادسًا :	رؤية غربية لحادث المنشية
	سابعًا :	علاقة عبد الناصر بالاخوان : حقيقة صدام
٢٠٠		١٩٥٤
	ملحق (١) :	الوثائق تتحدث عن صدام ١٩٥٤ : ملخص
٢١٦		التحقيقات الكاملة مع الاخوان
	ملحق (٢) :	وثائق الاخوان وبياناتهم السرية أثناء صدام
٣٣٥		١٩٥٤
	الفصل الخامس :	عبد الناصر والانتصار الأول : حرب السويس
٣٥١		١٩٥٦
	أولاً :	بيئة الحرب : المناخ العربى والدولى عشية
٣٥١		حرب السويس
٣٥٨	ثانيًا :	واقعة الحرب : التفاصيل العامة
٣٨٤	ثالثًا :	نتائج الحرب
٣٨٥	رابعًا :	تقييم المفكرين المصريين لحرب السويس
	ملحق :	حرب السويس (١٩٥٦) فى مدركات
٣٩٧		عبد الناصر : من أقواله وخطبه
	الفصل السادس :	عبد الناصر وأحلام الوحدة
٤٠٣		العربية
	أولاً :	قراءات عبد الناصر قبل ١٩٥٢ وأثرها على
٤٠٣		وعيه القومى
	ثانيًا :	تطور الفكرة العربية فى مصر خلال العهد
٤١٠		الناصرى (الواقع)
٤١٥	ثالثًا :	مدركات عبد الناصر لمسألة الوحدة (الحلم) ..
	رابعًا :	رؤية الاسلاميين الأصوليين لمسألة الوحدة عند
٤٣٠		عبد الناصر
	ملحق رقم (١) :	الوحدة العربية فى ادراك عبد الناصر : من
٤٤٠		أقواله و خطبه

ملحق رقم (٢) :	النص الكامل للدستور المؤقت للجمهورية العربية المتحدة (١٩٥٨/٣/٥)	٤٤٧
الفصل السابع :	عبد الناصر وانجازات الداخل	٤٥٩
أولا :	المدرجات الناصرية لقضايا الداخل (التنمية والاشتراكية)	٤٥٩
ثانيا :	الانجازات الناصرية فى الواقع : رؤى متعاطفة	٤٦٨
ثالثا :	الانجازات الناصرية فى الواقع : رؤى اسلامية	٤٨٤
رابعا :	الانجازات الناصرية فى الواقع : رؤى موضوعية	٤٩٥
ملحق رقم (١) :	الاشتراكية فى ادراك عبد الناصر : من الأقوال والخطب	٥٢٨
ملحق رقم (٢) :	التشريعات المتصلة بنشاط الاسكان فى الفترة من ١٩٥٢ - ١٩٨٠	٥٤١
الفصل الثامن :	عبد الناصر والغرب	٥٥٣
أولا :	المدرجات الناصرية للسياسة الخارجية مع الغرب	٥٥٣
ثانيا :	رؤية عميل امريكى لشخصية عبد الناصر	٥٦٣
ثالثا :	عبد الناصر والأحلاف الغربية فى المنطقة	٥٧٦
رابعا :	رؤية الاصوليين الاسلاميين للبيئة الدولية وموقف عبد الناصر منها	٥٨٩
خامسا :	قضايا التجسس لصالح الغرب : قضية مصطفى أمين نموذجا	٥٩٤
الفصل التاسع :	عبد الناصر والأخوة الأعداء : الصراع من الشيوعيين والاخوان ١٩٦٥	٦١٩
أولا :	جوهر الخلاف الناصرى - الشيوعى :	
	الديمقراطية والقومية العربية	٦١٩

ثانيا :	اغتيال شهدى عطية الشافعى كنموذج لعلاقة عبد الناصر بالشيوعيين	٦٣١
ثالثا :	الصدام الثانى بين عبد الناصر والاخوان	٦٤٢

٦٦٩	عبد الناصر والدين : الادراك والممارسة	الفصل العاشر :
٦٦٩	الدين في مدركات عبد الناصر	أولا :
	عبد الناصر والأزهر والمحاكم الشرعية	ثانياً :
٦٩١	والمجالس المليية	
٧٠٩	عبد الناصر والطوائف المسيحية	ثالثاً :
٧٢٠	عبد الناصر والطرق الصوفية	رابعاً :
٧٣١	عبد الناصر والاعلام الدينى	خامساً :
٧٣٤	عبد الناصر والمساجد	سادساً :
	عبد الناصر وموقع الدين فى قضايا التطور	سابعاً :
٧٣٦	الاجتماعى	

	عبد الناصر وتنظيماته السرية : التنظيم الطلعى	الفصل الحادى عشر
٧٥٧	نمونجا	
٧٥٧	مقدمة للتنظيم	
	الاجتماع السرى الأول للرئيس عبد الناصر	
٧٥٩	بالتنظيم الطلعى ٧ مارس ١٩٦٦	
	الاجتماع السرى الثانى لعبد الناصر مع أعضاء	
	التنظيم الطلعى بالقاهرة والجيزة - ٨ مارس	
٧٨٠	١٩٦٦	
	مدركات عبد الناصر للتنظيمات السياسية من	ملحق :
٨٠٠	الأقوال والخطب	
	عبد الناصر وقضية فلسطين : تحليل شامل	الفصل الثانى عشر
٨٠٩	للمدركات	
	مستويات ادراك عبد الناصر لطبيعة الصراع	أولا :
٨٠٩	وإدارته	
	تطور المدركات الناصرية لقضية فلسطين :	ثانياً :
٨١٤	النصوص الكاملة	
	مدركات عبد الناصر لحل الصراع العربى	ثالثاً :
٨٨٤	الاسرائيلى	

الفصل الثالث عشر	الانكسار المر : ١٩٦٧ : الموت الحقيقي لعبد
أولا :	الناصر ٨٩١
	الظروف الدولية والعربية قبل يوم ١٩٦٧/٦/٥
	 ٨٩٣
ثانيا : _____	واقعة الحرب/الهزيمة : التفاصيل العامة ٨٩٨
ثالث : _____	رؤية عميل امريكي للهزيمة ٩٠٥
رابع : _____	رؤية الأصوليين الاسلاميين للهزيمة وما تلاها ٩١٠
خامس : _____	شهاداب الهزيمة (عبد الناصر - عبد الحكيم
	عامر - اللواء طيار/عبد الحميد الدغيدى) ٩٢٠
سادس : _____	تقييم الهزيمة عسكريا : قرارات لجان التحقيق
	في هزيمة يونيو ١٩٦٧ ٩٤٢
سابع : _____	التقييم النهائى للهزيمة والخبرة المستفادة ٩٥٣
ملحق رقم (١) :	المساعدات الأمريكية لاسرائيل من
	١٩٥١-١٩٨١ بملايين الدولارات ٩٦٠
ملحق رقم (٢) :	هزيمة يونيو فى مدركات عبد الناصر : من
	الأقوال والخطب ٩٦٢
الخاتمة :	مات جمال ولم تمت تجربته ٩٧١
قائمة المراجع :	 ٩٨٥

هذه الموسوعة الفكرية والسياسية

بالموثائق والتحليل العلمي الدقيق . يتناول الكاتب والباحث المصري المعروف الدكتور / رفعت سيد أحمد قصة حياة جمال عبد الناصر كاملة من الميلاد إلى الموت (١٩١٨ — ١٩٧٠) : على كافة الأصعدة السياسية والاجتماعية والعسكرية والإنسانية . فيتعرض للنشأة الأسرية ، والتشكيل العقلي والسياسي في مرحلة الصبا والشباب . ثم تكوين تنظيم الضباط الأحرار . فتورة يوليو بمقدماتها وأحداثها الكبرى : فالتحولات السياسية والاجتماعية التي صاحبت الثورة . وبخاصة صدام عبد الناصر مع أكبر قوة سياسية في مصر (الإخوان المسلمين خلال عامي ١٩٥٤ . ١٩٥٥) . وتتناول الموسوعة أيضا موقف عبد الناصر من الشيوعيين . ومن أمريكا ومن الوحدة العربية والإسلامية . وتفاصيل هزيمة يونيو ١٩٦٧ وانعكاساتها على شخصية عبد الناصر وسياساته .

والموسوعة . تقدم أيضا الصورة النادرة (أكثر من مائة صورة) ، والوثيقة المتميزة عن عبد الناصر ، وعصره ، وهي تقدم رؤية نقدية لكافة الرؤى الإسلامية والقومية والغربية التي تناولت جمال عبد الناصر .

أنها موسوعة فكرية وسياسية شاملة ، لاغنى عنها للباحثين والمتخصصين ، والقارئ المهتم بالحقبة الناصرية ؛ مكتوبة بلغة ومنهج علمي رصين .